

تراثنا

صنعة الإنشاء

في
صناعة الإنشاء

تأليف
أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشندي

٨٢١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الثالث

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيبة

يتصوبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع کوستاتوماس وشركاه
شارع وقت الجزائر بالظاهرية
تشرين ١٩١٨ م. ١١٨٨
٦٣٤١١

فهرست

الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى

مقدمة

الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الأولى في الكلام على

نفس الخط؛ وفيه ثمانية أطراف ١

الطرف الأول - في فضيلة الخط ١

الطرف الثاني - في بيان حقيقة الخط ٣

الطرف الثالث - في وضع الخط؛ وفيه جملتان ٥

الجملة الأولى - في بيان المقصود من وضعه، والموازنة بينه

وبين اللفظ ٥

الجملة الثانية - في أصل وضعه؛ وفيه مسلكان ٦

المسلك الأول - في وضع مطلق الحروف ٦

المسلك الثاني - في وضع حروف العربية ٧

الطرف الرابع - في عدد الحروف وجهة ابتدائها وكيفية ترتيبها؛

وفيها خمس جمل ١٥

الجملة الأولى - في مطلق الحروف في جميع اللغات ١٥

الجملة الثانية - في حروف العربية ١٥

الجملة الثالثة - في بيان جهة إبتداءات الحروف ١٧

الجملة الرابعة - في كيفية ترتيب الحروف ١٨

الجملة الخامسة - في كيفية صور الحروف العربية، وتداخل

أشكالها ١٩

صحة

- الطبرف الخامس - في تحسين الخط؛ وفيه جملتان ... ٢٠ ... ٢٠
- الجملة الأولى - في الحث على تحسين الخط ... ٢٠ ... ٢٠
- الجملة الثانية - في الطريق إلى تحسين الخط ... ٢٢ ... ٢٢
- الطرف السادس - في قواعد تتعلق بالكتابة لا يستغنى الكاتب المحيد
- عن معرفتها؛ وفيه جملتان ... ٢٣ ... ٢٣
- الجملة الأولى - في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار صحتها ... ٢٣ ... ٢٣
- الجملة الثانية - في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وأتتهاؤها
- من نقطة أو شظية أو غير ذلك، أما الابتداء فعل
- ثلاثة أضرب ... ٣٥ ... ٣٥
- الضرب الأول - ما يتبدأ بنقطة ... ٣٥ ... ٣٥
- الضرب الثاني - ما يتبدأ بشظية ... ٣٥ ... ٣٥
- الضرب الثالث - ما يتبدأ بحلقة ... ٣٦ ... ٣٦
- الضرب الأول - [من ضروب الاختتام] ما يختم بقطة القلم ... ٣٦ ... ٣٦
- الضرب الثاني - ما يختم بشظية ... ٣٦ ... ٣٦
- الضرب الثالث - ما يرسل في ختمه لإرسالا ... ٣٦ ... ٣٦
- الطرف السابع - في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة؛
- وفيه ثلاث جمل ... ٣٧ ... ٣٧
- الجملة الأولى - في صكيفية إمساك القلم عند الكتابة، ووضعه
- على الورق ... ٣٧ ... ٣٧
- الجملة الثانية - في كيفية الاستعداد ووضع القلم على الدرج ... ٣٨ ... ٣٨
- الجملة الثالثة - في وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التفكير ... ٣٩ ... ٣٩
- الطرف الثامن - في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط؛ وفيه ست جمل ... ٤٠ ... ٤٠
- الجملة الأولى - في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة ... ٤٠ ... ٤٠
- الجملة الثانية - في تناسب الحروف ومقاديرها في كل قلم ... ٤١ ... ٤١

مقدمة

الجملة الثالثة - فيما يجب اعتاده لكل ناحية من نواحي القلم ... ٤٥

الجملة الرابعة - في الترويس ... ٤٦

الجملة الخامسة - فيما يطمس من الحروف ويفتح ... ٤٦

الجملة السادسة - في ذكر الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء

في زمان المؤلف ... ٤٧

القلم الأول - قلم الطومار ... ٤٩

القلم الثاني - قلم مختصر الطومار ... ٥٥

القلم الثالث - قلم الثلث ؛ وهو على نوعين ... ٥٨

النوع الأول - الثلث الثقيل ، وصورة مفردة ومركبة ... ٥٨

الألف على ضربين : مفردة ومركبة

الضرب الأول - المفردة ... ٥٨

الضرب الثاني - المركب مع غيره من الحروف ... ٦٠

الصورة الثانية - صورة الباء ؛ وهي على ضربين ... ٦٠

الضرب الأول - المفردة ... ٦٠

وأما المركبة فعلى نوعين : متوسطة ومتطرفة ... ٦١

الصورة الثالثة - صورة الجيم وما شاكلها ... ٦٢

الصورة الرابعة - صورة الدال وأختها ؛ وهي على ضربين ... ٦٦

الضرب الأول - المفردة ... ٦٦

الضرب الثاني - المركبة ... ٦٧

الصورة الخامسة - صورة الزاء وأختها ؛ وهي على ضربين ... ٦٨

الضرب الأول - المفردة ... ٦٨

الضرب الثاني - المركبة ... ٧٠

الصورة السادسة - صورة السين ... ٧١

صفحة

الصورة السابعة - صورة الصاد...	٧٢
الصورة الثامنة - صورة الطاء وأختها	٧٣
الصورة التاسعة - صورة العين وأختها	٧٥
الصورة العاشرة - صورة الفاء...	٧٩
الصورة الحادية عشرة - صورة القاف	٧٩
الصورة الثانية عشرة - صورة الكاف	٨٠
الصورة الثالثة عشرة - صورة اللام ؛ وهى على ضربين	٨٢
الضرب الأول - المفردة	٨٢
الضرب الثانى - المركبة	٨٣
الصورة الرابعة عشر - صورة الميم ؛ وهى على خمسة أضرب	٨٤
الضرب الأول - المحققة	٨٤
الضرب الثانى - المعلقة	٨٥
الضرب الثالث - المسبلة	٨٦
الضرب الرابع - المبسوطة	٨٦
الضرب الخامس - المفتولة	٨٧
الصورة الخامسة عشرة - صورة النون	٨٧
الصورة السادسة عشرة - صورة الهاء ؛ وهى على ضربين	٨٩
الضرب الأول - المفردة	٨٩
الضرب الثانى - المركبة	٩٠
الصورة السابعة عشرة - صورة الواو	٩٥
الصورة الثامنة عشرة - صورة اللام ألف	٩٥
الصورة التاسعة عشرة - صورة الياء ؛ وهى على ضربين	٩٧
الضرب الأول - المفردة	٩٧

صفحة

الصرح الثاني - المركبة	٩٨
السور الثاني - قلم الثلث الخفيف	١٠٠
القلم الرابع - قلم التوقيع	١٠٠
القلم الخامس - قلم الرقاع	١١٥
القلم السادس - قلم الغبار	١٢٨
الجملة السابعة - في كتابة البسملة ؛ وفيها مهيعان	١٢٩
المهيع الأول - في ذكر قواعد جامعة للبسملة في جميع الأقلام	١٢٦
المهيع الثاني - في بيان صورة البسملة في كل قلم من الأقلام التي تستعمل في ديوان الإنشاء	١٣١
الجملة الثامنة - في وجوه تجويد الكتابة وتحسينها ؛ وهي على ضربين	١٣٩
الضرب الأول - حسن التشكيل	١٣٩
الصرح الثاني - حسن الوضع	١٤٠
الكلمة الأصلية - أسماء كانت أحرفا أو فعلا ، لا تخرج عن أربعة أصناف	١٤١
الصف الأول - الثنائية	١٤١
الصف الثاني - الثلاثية	١٤٢
الصف الثالث - الرباعية	١٤٢
الصف الرابع - الخماسية	١٤٣
مراعاة فواصل الكلام	١٤٥
حسن التدوير - في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها	١٤٧
الفصل المستفح - في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان	١٤٧
الصنف الأول - فصل بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض	
وتفرقها في السطر والذي يليه	١٤٧
الصنف الثاني - فصل الكلمة التامة وصلاتها	١٤٨

صفحة

الفصل الثالث — من الباب الثاني من المقالة الأولى في لوائح الخط،

وفيه مقصدان ... ١٤٩

المقصد الأول — في النقط؛ وفيه أربع جمل ... ١٤٩

الجملة الأولى — في مسبب الحاجة إليه ... ١٤٩

الجملة الثانية — في ذكر أول من وضع النقط ... ١٥١

الجملة الثالثة — في بيان صورة النقط وكيفية وضعه ... ١٥١

الجملة الرابعة — فيما يختص بكل حرف من النقط وما لا نقط له ... ١٥٢

المقصد الثاني — في الشكل؛ وفيه خمس جمل ... ١٥٦

الجملة الأولى — في اشتقاقه ومعناه ... ١٥٦

الجملة الثانية — في أول من وضع الشكل ... ١٥٦

الجملة الثالثة — في الترغيب في الشكل والترهيب عنه ... ١٥٧

الجملة الرابعة — فيما ينشأ عنه الشكل ويترتب عليه ... ١٥٨

الجملة الخامسة — في صور الشكل ومحال وضعه على طريقة المتقدمين

والمؤخرين ... ١٦٠

الأولى — علامة السكون ... ١٦٠

الثانية — علامة الفتح ... ١٦١

الثالثة — علامة الضم ... ١٦١

الرابعة — علامة الكسر ... ١٦٢

الخامسة — علامة التشديد ... ١٦٢

السادسة — علامة الهزمة ... ١٦٣

السابعة — علامة الصلة في ألفات الوصل ... ١٦٦

الفصل الرابع — من الباب الثاني من المقالة الأولى في الهجاء؛

وفيه مقصدان ... ١٦٨

منه

المقصد الأول - في مصطلحه الخاص ؛ وهو على ضربين ... ١٦٨

الضرب الأول - المصطلح الرسمي ... ١٦٨

الضرب الثاني - المصطلح العروضي ... ١٦٨

المقصد الثاني - في المصطلح العام ؛ ولله جملتان ... ١٦٩

الجملة الأولى - في الأفراد والحذف والإثبات والإبدال ... ١٦٩

المكتوب على المصطلح المعروف على قسمين ... ١٧٠

القسم الأول - ماله صورة تخصه من الحروف ؛ وهو على ضربين ... ١٧٠

الضرب الأول - ما هو على أصله المعبر به في ذوات الحروف وعددها الخ ... ١٧٠

اللفظ الذي يكتب على نوعين ... ١٧٣

النوع الأول - أن يكون أسما لحرف من حروف الهجاء ... ١٧٣

النوع الثاني - ألا يكون أسما لحرف من حروف المعجم ... ١٧٥

الضرب الثاني - ما تغير عن أصله ؛ وهو على ثلاثة أنواع ... ١٧٥

النوع الأول - ما تغير بالزيادة ... ١٧٥

النوع الثاني - ما تغير بالنقص ... ١٨٠

النوع الثالث - ما تغير بالبدل ... ١٩٦

القسم الثاني - ما ليس له صورة تخصه ؛ ولها

ثلاثة أحوال ... ٢٠٤

الحال الأول - أن تكون في أول الكلمة ... ٢٠٤

الحال الثاني - أن تكون متوسطة ؛ ولها حالتان ... ٢٠٥

الحال الثالث - أن تكون الهمزة آخر ؛ ولها حالتان ... ٢٠٨

الجملة الثانية - في حالة التركيب والفصل والوصل ... ٢١١

الفصل الخامس - من الباب الثاني من المقالة الأولى فيما يكتب بالظاء

مع بيان ما يقع الاشتباه فيه لما يكتب بالضاد ... ٢١٨

صفحة

المقالة الثانية

- فى المسالك والممالك ؛ وفيها أربعة أبواب ٢٢٣
- الباب الأول - فى ذكر الأرض على سبيل الإجمال ؛ وفيه ثلاثة فصول ٢٢٣
- الفصل الأول - فى معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها الخ ؛
- وفيه طرفان ٢٢٣
- الطرف الأول - فى شكل الأرض وإحاطة البحر بها ٢٢٣
- الطرف الثانى - فىما آشتملت عليه الأرض من الأقاليم الطبيعية ... ٢٢٦
- الفصل الثانى - فى البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البلدان ؛ وفيه طرفان ٢٢٩
- الطرف الأول - فى البحر المحيط ٢٣٠
- الطرف الثانى - فى البحار المنبثة فى أقطار الأرض ؛ وهى على ضربين ٢٣٠
- الضرب الأول - الخارج من البحر المحيط وما يتصل به ... ٢٣٠
- الضرب الثانى - من البحار المنبثة فى أقطار الأرض ما ليس له اتصال
- بالبحر المحيط ٢٤٤
- الفصل الثالث - فى كيفية أستخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة.
- بينها ؛ وفيه طرفان ٢٤٦
- الطرف الأول - فى كيفية أستخراج جهات البلدان ٢٤٦
- الطرف الثانى - فى معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان ... ٢٤٧
- الباب الثانى - فى ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ، ومقراتهم
- فى القديم والحديث الخ ؛ وفيه فصلان ٢٥٠
- الفصل الأول - فى ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ؛ وهم على
- أربع طبقات ٢٥٠
- الطبقة الأولى - الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٢٥٠
- الطبقة الثانية - خلفاء بنى أمية ٢٥٢

صفحة

الطبقة الثالثة — خلفاء بنى العباس بالعراق ٢٥٤

الطبقة الرابعة — خلفاء بنى العباس بالديار المصرية ٢٦٠

وأما مقولات الخلفاء، فهي أربع مقولات :

المقولة الأولى — المدينة النبوية ٢٦٣

المقولة الثانية — الشام ٢٦٤

المقولة الثالثة — العراق ٢٦٤

المقولة الرابعة — الديار المصرية ٢٦٤

الفصل الثانى — فيما أنطوت عليه الخلافة من الممالك فى القديم،

وما كانت عليه من الترتيب، وما هى عليه الآن؛

ولها حالتان ٢٦٥

الحالة الأولى — ما كان عليه الحال فى الزمن القديم ٢٦٦

شعار الخلافة ٢٦٩

الوظائف المعتبرة عندهم على ضربين ٢٧٣

الضرب الأول — وظائف أرباب السيوف ٢٧٣

الضرب الثانى — وظائف أرباب الأقلام ٢٧٤

الحالة الثانية — ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى

الديار المصرية ٢٧٤

الباب الثالث — فى ذكر مملكة الديار المصرية؛ وفيه ثلاثة فصول ... ٢٧٨

الفصل الاول — فى مملكة الديار المصرية ومضافاتها؛ وفيه طرفان ... ٢٧٨

الطرف الأول — فى الديار المصرية؛ وفيه اثنا عشر مقصدا ٢٧٨

المقصد الأول — فى فضلها ومحاسنها ٢٧٨

المقصد الثانى — فى ذكر خواصها ومعجزاتها، وما بها من الآثار القديمة ... ٢٨٢

المقصد الثالث — فى ذكر نبيلها ومبدهه وآتهائه وزياته ونقصه الخ ... ٢٨٥

منحة

المقصد الرابع — في ذكر خلجانها؛ وهي ستة ... ٢٩٧

الخليج الأول — المنهى ... ٢٩٧

الخليج الثاني — خليج القاهرة ... ٢٩٨

الخليج الثالث — خليج السردوس ... ٣٠٠

الخليج الرابع — الإسكندرية ... ٣٠٠

الخليج الخامس — خليج منجا ... ٣٠١

الخليج السادس — خليج دمياط ... ٣٠١

المقصد الخامس — في ذكر بحيرات الديار المصرية؛ وهي أربع بحيرات ... ٣٠٣

المقصد السادس — في ذكر جبالها ... ٣٠٥

المقصد السابع — في ذكر زروعها ورياحينها وفواكهها وأصناف

المطعم بها ... ٣٠٧

المقصد الثامن — في ذكر مواشها ووحوشها وطيورها ... ٣١٠

المقصد التاسع — في ذكر حدودها ... ٣١٠

المقصد العاشر — في ابتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفرع الأقاليم

التي حولها عنها ... ٣١٣

المقصد الحادي عشر — في ذكر قواعدها القديمة والمباني العظيمة الباقية الخ

وقواعدها القديمة على ضريين ... ٣١٥

الضرب الأول — ما قبل الطوفان ... ٣١٥

الضرب الثاني — قواعدها فيما بعد الطوفان ... ٣١٦

المقصد الثاني عشر — في ذكر قواعدها المستقرة؛ وهي ثلاث ... ٣٢٥

القاعدة الأولى — مدينة الفسطاط ... ٣٢٥

(جوامعها) ... ٣٣٧

القاعدة الثانية — القاهرة ... ٣٤٤

(جوامعها) ... ٣٦٠

القاعدة الثالثة — القلعة ... ٣٦٨

صنفا

الفصل الثانى - فى ذكر كور الديار المصرية ؛ وهى على صريين ... ٣٧٥

الضرب الأول - فى ذكر كورها القديمة ؛ وهى ثلاثة أحياء ... ٣٧٥

الحيز الأول - أعلى الأرض ؛ وهو الصعيد ... ٢٧٦

الحيز الثانى - أسفل الأرض ؛ وهو أربع نواح ... ٣٨١

الناحية الأولى - كور الحوف الشرق ؛ وبها ثمان كور ... ٣٨١

الناحية الثانية - بطن الريف ؛ وفيها سبع كور ... ٣٨٢

الناحية الثالثة - الجزيرة بين فرقى النيل الشرقية والغربية ؛ وفيها

خمسة كور ... ٢٨٤

الناحية الرابعة - الحوف الغربى ؛ وفيها إحدى عشرة كورة ... ٣٨٤

الحيز الثالث - كور القبلة ؛ وفيها خمس كور ... ٣٨٧

الحيز الأول - [مما لم يذكره القضاعى] بلاد الواح ... ٣٨٩

الحيز الثانى - برقة ... ٣٩١

الضرب الثانى - من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة

ولها وجهان ... ٣٩٢

الوجه الأول - القبلى ... ٣٩٢

الوجه الثانى - البحرى ؛ ويشتمل على ثلاث شعب ... ٣٩٨

الشعبة الأولى - شرقى الفرقة الشرقية من النيل ؛ وفيها أربعة أعمال ... ٣٩٨

الشعبة الثانية - غربى فرقة النيل الغربية ؛ وفيها عملان ... ٤٠٢

الشعبة الثالثة - ما بين فرقى النيل الشرقية والغربية ؛ وهو جزيرتان ... ٤٠٥

الفصل الثالث - فىمن ملك الديار المصرية جاهلية وإسلاما ؛ وهم

على ثلاث مراتب ... ٤٠٧

المرتبة الأولى - من ملكها قبل الطوفان ... ٤٠٧

صفحة

المرتبة الثانية - من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامي؛

وهم على طبقات ٤٠٨

الطبقة الأولى - ملوكها من القبط ٤٠٨

الطبقة الثانية - ملوكها من العماليق ملوك الشام ٤١١

الطبقة الثالثة - ملوكها من القبط بعد العماليق ٤١٢

الطبقة الرابعة - ملوكها من الفرس ٤١٣

الطبقة الخامسة - ملوكها من اليونان ٤١٤

الطبقة السادسة - ملوكها من الروم ٤١٥

المرتبة الثالثة - من وليها في الإسلام من بداية الأمر إلى زمن

المؤلف وهم على صريين ٤١٩

الضرب الأول - فيمن وليها نيابة ، وهو الصدر الأول ؛ وهم على

ثلاث طبقات ٤١٩

الطبقة الأولى - عمال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ٤١٩

الطبقة الثانية - عمال خلفاء بني أمية بالشام ٤٢٠

الطبقة الثالثة - عمال خلفاء بني العباس بالعراق ٤٢١

الضرب الثاني - من وليها ملكا ؛ وهم على أربع طبقات ٤٢٤

الطبقة الأولى - من وليها عن بني العباس قبل دولة الفاطميين ٤٢٤

الطبقة الثانية - من وليها من الخلفاء الفاطميين ٤٢٦

الطبقة الثالثة - ملوك بني أيوب ٤٢٨

الطبقة الرابعة - ملوك الترك ٤٣٠

الفصل الرابع - في ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية ؛ وفيه

ثلاثة أطراف ٤٣٦

الطرف الأول - في ذكر معاملاتها ؛ وفيه ثلاثة أركان ٤٣٦

الركن الأول - الأئمان ؛ وهي على ثلاثة أنواع ٤٣٦

صفحة

النوع الأول - الدنانير المسكوكة ؛ وهي ضربان	٤٣٦
الضرب الأول - ما يتعامل به وزنا	٤٣٦
الضرب الثاني - ما يتعامل به معادة	٤٣٧
النوع الثاني - الدراهم النقرة	٤٣٩
النوع الثالث - الفلوس	٤٣٩
الركن الثاني - في المئمنات ؛ وهي على ثلاثة أنواع	٤٤١
النوع الأول - الموزونات	٤٤١
النوع الثاني - المكيلات	٤٤١
النوع الثالث - المقيسات ؛ وهي الأراضي والأقمشة	٤٤٢

أما الأراضي فصنفات :

الصنف الأول - أرض الزراعة	٤٤٢
الصنف الثاني - أرض البنيان	٤٤٢
الركن الثالث - في الأسعار	٤٤٣
الطرف الثاني - في ذكر جسورها وأصناف أرضها ؛ وما يختص بكل صنف الخ	٤٤٤

أما جسورها فعلى صنفين

الصنف الأول - الجسور السلطانية	٤٤٤
الصنف الثاني - الجسور البلدية	٤٤٥
الطرف الثالث - في وجوه أموالها الديوانية ؛ وهي على ضربين	٤٤٨
الضرب الأول - الشرعي ؛ وهو على سبعة أنواع	٤٤٨
النوع الأول - المال الخراجي	٤٤٨

والجاري في الدواوين منه على ضربين :

الضرب الأول - ما هو داخل في الدواوين السلطانية ؛ وهو الآن (زمن المؤلف) على أربعة أصناف	٤٥١
---	-----

صفحة

- ٤٥١ ... الصف الأول - ما هو جار في ديوان الوزارة ...
- ٤٥٢ ... الصف الثاني - ما هو جار في ديوان الخالص ...
- ٤٥٣ ... الصف الثالث - ما هو جار في الديوان المفرد ...
- ٤٥٣ ... الصف الرابع - ما هو جار في ديوان الأملاك ...
- ٤٥٣ ... الضرب الثاني - ما هو جار في الإقطاعات ...
- ٤٥٥ ... النوع الثاني - ما يتحصل مما يستخرج من المعادن ...
- ٤٥٧ ... النوع الثالث - الزكاة ...
- ٤٥٨ ... النوع الرابع - الجوالى ...
- النوع الخامس - ما يؤخذ من تجار الكفار الواصلين في البحر إلى
الديار المصرية ... ٤٥٩
- النوع السادس - الموارد الحشرية ... ٤٦٠
- النوع السابع - ما يتحصل من دار الضرب بالقاهرة؛ والذي يضرب
فيها ثلاثة أصناف ... ٤٦١
- الصف الأول - الذهب ... ٤٦١
- الصف الثاني - الفضة النقرة ... ٤٦٢
- الصف الثالث - الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر ... ٤٦٣
- الضرب الثاني - من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى ،
وهو المكوس ؛ فهي على نوعين ... ٤٦٤
- النوع الأول - ما يختص بالديوان السلطاني ؛ وهو صنفان ... ٤٦٤
- الصف الأول - ما يؤخذ على الواصل المحلوب وأكثره متحصلا
جهاز ... ٤٦٤
- الجهة الأول - ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع في بحر
القلزم من جهة الحجاز واليمن وما والاها ... ٤٦٤
- الجهة الثانية - ما يؤخذ على واصل التجار بقطيا في طريق الشام ... ٤٦٦

صفحة

الصف الثاني - ما يؤخذ بمحاضرة الديار المصرية بالفسطاط والقاهرة ٤٦٦

النوع الثاني - ما لا اختصاص له بالديوان السلطاني ... ٤٦٧

في ترتيب المملكة؛ ولها ثلاث حالات ... ٤٦٧

الحالة الأولى - ما كانت عليه من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية ٤٦٧

الحالة الثانية - ما كانت عليه في زمن الخلفاء الفاطميين؛ وتختصر

في ثلاث جمل ... ٤٦٨

الجلسة الأولى - في الآلات الملوكية المختصة بالموكب العظام ... ٤٦٨

الجلسة الثانية - في حواصل الخليفة؛ وهي على خمسة أنواع ... ٤٧١

النوع الأول - الخزائن ... ٤٧١

النوع الثاني - حواصل المواشي ... ٤٧٤

النوع الثالث - حواصل الغلال وشون الأبنان ... ٤٧٥

النوع الرابع - حواصل البضاعة ... ٤٧٥

النوع الخامس - ما في معنى الحواصل ... ٤٧٦

الجلسة الثالثة - في ذكر جيوش الدولة الفاطمية وبيان مراتب أرباب

السيوف؛ وهم على ثلاثة أصناف ... ٤٧٦

الصف الأول - الأمراء ... ٤٧٦

الصف الثاني - خواص الخليفة؛ وهم على ثلاثة أنواع ... ٤٧٧

النوع الأول - الأستاذون ... ٤٧٧

النوع الثاني - صبيان الخصاص ... ٤٧٧

النوع الثالث - صبيان الحجر ... ٤٧٧

الصف الثالث - طوائف الأجناد ... ٤٧٨

الجلسة الرابعة - في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية؛ وهم

على قسمين ... ٤٧٨

صفحة	
٤٧٨	القسم الأول - بالمحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف
٤٧٨	الصف الأول - أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوعان
٤٧٨	النوع الأول - وظائف عامة الجند
	النوع الثاني - وظائف خواص الخليفة من الأستاذين؛ وهي
٤٨٠	على ضربين
٤٨٠	الضرب الأول - ما يختص بالأستاذين المحنكين
٤٨١	الضرب الثاني - ما يكون من غير المحنكين
	الصف الثاني - من أرباب الوظائف بمحضرة الخليفة أرباب الأعلام؛
٤٨٢	وهم على ثلاثة أنواع
٤٨٢	النوع الأول - أرباب الوظائف الدينية
	النوع الثاني - من أرباب الأعلام أصحاب الوظائف الدينية؛ وهي
٤٨٥	على أربعة أضرب
٤٨٥	الضرب الأول - الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم
٤٨٦	الضرب الثاني - ديوان الإنشاء
٤٨٨	الضرب الثالث - ديوان الجيش والرواتب
٤٨٩	الضرب الرابع - نظر الدواوين
٤٩٢	الصف الثالث - من أرباب الوظائف أصحاب الوظائف الصناعية
٤٩٣	الصف الرابع - الشعراء
	القسم الثاني - من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ماهو خارج
٤٩٣	عن حضرة الخلافة. وهو صنفان
٤٩٣	الصنف الأول - النقاب والولاة
	الجلسة الخامسة - من ترتيب مملكتهم في هيئة الخليفة في مواكبه
٤٩٤	وقصوره؛ وهي على ثلاثة أضرب
٤٩٤	للضرب الأول - جلوسه في المواكب؛ وله ثلاثة جلوسات

صفحة

- الجلوس الأول - جلوسه في المجلس العام أيام المواكب ... ٤٩٤
- الجلوس الثاني - جلوسه للقاضي والشهود في ليالى الوقود الأربع ... ٤٩٧
- من كل سنة .. ٤٩٧
- الجلوس الثالث - جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٩٨
- الضرب الثاني - ركوبه في المواكب؛ وهو على نوعين ... ٤٩٩
- النوع الأول - ركوبه في المواكب العظام، وهى ستة مواكب ... ٤٩٩
- الموكب الأول - ركوب أول العام ... ٤٩٩
- الموكب الثاني - ركوب أول شهر رمضان ... ٥٠٥
- الموكب الثالث - ركوبه في أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان ... ٥٠٥
- الموكب الرابع - ركوبه لصلاة عيدى الفطر والأضحى ... ٥٠٨
- الموكب الخامس - ركوبه لتطبيق المقياس عند وفاء النيل ... ٥١٢
- الموكب السادس - ركوبه لفتح الخليج ... ٥١٤
- النوع الثاني - من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة ... ٥١٧
- الضرب الثالث - من هيئة الخليفة هيئته في قصوره ... ٥١٨
- الجملة السادسة - في اهتمامهم بالأساطيل، وحفظ الثغور، وأعتنائهم بأمر ... ٥١٨
- الجهاد، وسيرهم في رعاياهم، وأستماله قلوب مخالفينهم ... ٥١٩
- الجملة السابعة - في إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم ... ٥٢١
- وما يتصل بذلك من الطعمة ... ٥٢١
- وأما الطعمة - فعلى ضربين ... ٥٢٣
- الضرب الأول - الأسمطة التى تمتد في شهر رمضان والعيدين ... ٥٢٣
- الضرب الثاني - فيما كان يعمل بدار الفطرة في عيد الفطر ... ٥٢٤
- في جلوس الوزير للظالم الخ ... ٥٢٥

تنبیه

بعض التعليقات الخاصة بتعيين الأماكن ، مع تحديد مواضعها
في هذا الجزء هي من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزي بك
المفتش بوزارة المالية سابقا ، فنسدى إليه جزيل الشكر ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الأولى

• فى الكلام على نفس الخسط ، وفيه ثمانية أطراف

الطَّرَفُ الأول

فى فضيلة الخسط

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
فأضاف تعليم الخسط إلى نفسه ، وأثبت به على عباده ؛ ونأهيك بذلك شرفا !

١٠ وقال جل وعز : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بما يَسْطُرُونَه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَنَارَةٍ مِنْ نَارٍ ﴾ أنه الخسط
كما تقدم الكلام عليه .

ويروى أن سليمان عليه السلام سأل غفريتاً عن الكلام فقال : رَجِّحْ لا يَبْقَى !
قال : فما قِيْدُهُ ؟ قال : الكتابة .

١١ . وقال عبيد الله بن العباس : الخسط لِسَانُ الْبِدْ .

(١) فى الأمل : «سبعة أطراف» والأطراف التى يذكرها المؤلف مائة .

وقال جعفر بن يحيى: الخط سَمَطُ الحكمة، وبه تُفَصَّلُ شُودُهَا، ويتنظم متورها.

وقال النّظام: الخط أصل الروح له جسدانية في سائر الأعمال. إلى ما يتجري هذا التجري.

وقال إبراهيم بن محمد الشيباني: الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووصي الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند العُرقة، ومهادتهم على بُعد المسافة ومستودع السر، وديوان الأمور.

وقال مسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالى في خلقه، وإنعائه عليهم من فضله، تعليمه إياهم الكتاب المفيد للباقيين، حكم الماضين، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب، على لغات متفرقة، في معاني معقولة، بحروف مؤلفة من ألف، وباء، وجيم، ودال، متباينات الصور، مختلفات الجهات، لقاحها التفكير، ونساجها التأليف، تحترس منفردة، وتضيق مُردوجة، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن مزورة، ولا حركات ظاهرة، ما خلا قلباً جوف بارية بطنه ليعلق المسدأ به، وأرهف جانبيه ليرد ما أنشتر منه إليه، وشق رأسه ليعتس الاستمداد عليه، وأربع من شفتيه، ليجمعها حواشي تصويره إليه، فهناك آتت القلم برشفه، وقذف المادة إلى صدره، ثم مجّها من شقه بمقدار ما احتملت شفتاه بتخطيط أجزاء النقط التي أراد بها الخطوط، فالأبصار لها سامية، فإذا حكمتها الألسن فالآذان لها واعية، وأولى أسمائها بها حينئذ الكلام الذي سده العقل، وأتمه اللسان، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفتان، وصدها اللحو، وجرعته الأسماع على أنهاء شتى، وسميت بها الأشياء لتعريف متناكريها، وتمييز متشابهها، وتبين معلومها من مجهولها. فمن ذلك فضل الكتاب الصناعات.

(١) عبارة الضوء: "قال بعض العلماء: الخط كالروح في الجسد".

(٢) في الأصل: «سميت لها» واليافق يقتضى ما أتينا به.

وبالجملة فليس يذكر ذا كرشينا مما يجري به الخاطر، أو يميل إليه العقل، أو يلقبه الفهم، أو يقع عليه الوهم، أو تدركه الحواس، إلا والكتاب والكلام موكلان به، مدبران له، معبران عنه .

فلما أن تضمنت الحروف الدلالة، وقامت الألفاظ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل لغة، ونصرف المنطق بكل جهة، فلم تكنف منه أمه بأمه، ولم تستغن عنه ملة ثون ملة، تعرب ذلك بلغة العرب التي هي القاهرة لجميع اللغات، المنظمة لجميع المعاني في وجيز الصفات .

ولو لم يكن من شرف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هود عليهما السلام كما تقدم ذكره، وأنزل الصحف على الأنبياء مسطورة، وأنزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبة، لكان فيه كفاية .

وأبضا فإن فيه من حفظ الحقوق، ومنع تمرد ذوى العقوق، بما يسطر عليهم من الشهادات، التي تقع في السجلات، والمكتاتيب بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك حامل رسالة، ولا يناله الحاضر بمشاهدة وإن كثر حفظه وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخط أفضل من اللفظ، لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط، والخط يفهم الحاضر والغائب . والله القائل في ذلك بصرف القلم :

وَأَتَرَسَ يَنْطِقُ بِالْحُكْمَاتِ * وَجُتَّأَنُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ * وَبِالشَّامِ مَنَظِقُهُ يُعَرِّفُ

الطرف الثاني

في بيان حقيقة الخط

قال الشيخ شمس الدين بن الأكفاني في كتابه "إرشاد القاصد" في حصر العلوم :
وهو علم تتعرف منه صور الحروف المفردة، وأوضاعها، وكيفية تركيبها خطأ،

أو ما يكتب منها في السطور، وكيف سبيله أن يكتب، وما لا يكتب؛ وإبدال ما يُبدل منها في الهجاء وبماذا يُبدل“

قال: ”وبه ظهرت خاصّة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل، وأمتاز عن سائر أنواع الحيوان؛ وضبطت الأموال، وترتبت الأحوال وحفظت العلوم في الأدوار، واستمرت على الأطوار، وانتقلت الأخبار من زمان إلى زمان، وحملت سرّاً من مكان إلى مكان.“

وبهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية على قبوله بطلب تعلمه محافظة لم يحتاج بها إلى تدكار بعد الفينة. ولهذا العلة استغنى عن كتاب يُصنّف فيه“.

ثم قال: ”وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها: بالإشارة، أو اللفظ، أو الخط؛ فالإشارة تتوقف على المشاهدة؛ واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه؛ أما الخط فإنه لا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعاً وأشرفها“.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى اللُّغَةِ فِي ”النَّوْعِ الْأَوَّلِ“ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ“
أنه ينبغي للكاتب أن يتعلم لغة من يحتاج إلى مخاطبته، أو مكاتبتها من اللغات غير العربية؛ فكذلك ينبغي أن يتعلم من الخطوط غير العربية ما يحتاج إليه من ذلك، فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب ”القلم والدواة“: إنه يجب عليه أن يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط المعجمة. ويؤيد ذلك ما تقدم في الكلام على اللغة أن النبي صلى الله عليه وسلم ”أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتاب يهود من السريانية أو العبرانية فتعلمها“ وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم كتبهم ويُجيبهم عنه.

(١) هذه العبارة وردت في الأصل هكذا: ”وبه ظهرت خاصّة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل، وأمتاز به عن سائر الحيوان؛ وضبطت الأموال، وترتبت الأحوال، وحفظت العلوم في الأدوار، واستقرأها على الأطوار، وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان وحمل العلم من مكان إلى مكان... الخ“ وما أثبتناه عن كتاب إرشاد القاصد المؤلف المذكور (ص ٣٠ طبع مصر)

الطرف الثالث في وضع الخط وفيه جملتان

الجملة الأولى

في بيان المقصود من وضعه، والموازنة بينه وبين اللفظ

- أما بيان المقصود من وضعه، فأعلم أن وضع اللفظ لأداء المعنى، الحاصل في الذهن المشعور به للسمع؛ إذ لا وقوف على ما في الذهن؛ ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيه. فإذا أردت إيقافك أحدا على ما في ذهنك من المعاني تكلمت بالفاظ وضعت لها، وإذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الإيقاف إلى أحد بغير إشقاء، نقشت النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ، فيطالع تلك النقوش، ويفهم منها تلك الألفاظ، ومن الألفاظ تلك المعاني؛ ولا علاقة معقولة بين المعاني والألفاظ على الأمر العام، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعة؛ ومن ثم جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والرومية وغيرهما.

- وأما الموازنة بينه وبين اللفظ، فالأصل في ذلك أن الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها؛ من حيث إن الخط دال على الألفاظ والألفاظ دالة على الأوهام؛ ولاشتراك الخط واللفظ في هذه الفضيلة وقع التناسب بينهما ١٥ في كثير من أحوالهما؛ وذلك أنهما يعبران عن المعاني إلا أن اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن، وهو وإن كان ساكنا فإنه بفعل فعل المتحرك بإبصاره كل ما تضمنه إلى الأفهام وهو مستقر في حيزه، قائم في مكانه؛ كما أن اللفظ فيه العذب الرشيق السائغ في الأسماع كذلك الخط فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور

وكأن اللفظ فيه الجزل الفصيح الذي يستعمله مصارع الخطباء، ومقاليق الشعراء،
والمبتدأ السخيف الذي يستعمله العوام في المكتبة والمخاطبة؛ كذلك الخط فيه
المحرر المحقق الذي تكتب به الكتب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المطلق المرسل
الذي يتكاتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقع فيه لحن الإعراب
الذي يهجنه كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حُلوا
رفع المعنى الخسيس وقربه من النفوس، وإن كان غثا مستكبرا وضع المعنى الرفيع
وبعده من القلوب، كذلك الخط إذا كان جيّدا حسنا بعث الإنسان على قراءة
ما أودع فيه وإن كان قليل الفائدة، وإن كان ركيكا قبيحا صرفه عن تأمل
ما تضمنه وإن كان جليل الفائدة .

ولما أشترك اللفظ والخط في الفوائد العامة التي جُمِلت فيهما وقع الاشتراك
أيضا بين آليتهما إذ آلة اللفظ اللسان، وآلة الخط القلم، وكل منهما يفعل فعل
الآخر في الإبانة عن المعاني إلا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جعلت آله آلة
طبيعية، والخط لما كان دليلا صناعيا جعلت آله آلة صناعية؛ ولما تقاسمت
الآلتان الدلالة نابت إحداها مناب الأخرى فأوقعوا اسم اللسان على القلم فقالوا :
الأقلام أليسة الأفهام، وشركوا بينهما في الاسم فقالوا : القلم أحد اللسانين .

الجملة الثانية

في أصل وضعه؛ وفيه مسلكان

المسلك الأول

في وضع مطلق الحسروف

قيل : إن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام : كتبها في طين
وطبخه؛ وذلك قبل موته بثلاثمائة سنة؛ فلما أظلم الأرض الفرق أصاب كل قوم

- كتّابهم . وقيل أَخْنُوخ (وهو إدریس عليه السلام) . وقيل إنها أُنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توفيقية علمها الله تعالى بالوحى؛ والمقالتان الأوليان محتملتان لأن تكون توفيقية وأن تكون اصطلاحية وضعها آدم وإدریس عليهما السلام . على أنه يَحتمل أن يكون بعض ذلك توفيقيا علمه الله تعالى بالوحى، وبعضه اصطلاحيا وضعه البشر : واحدٌ أو جماعةٌ، فيصير
- الخلاف فيه كاخلاف في اللغة هل هى توفيقية أو اصطلاحية على ما هو مقفّر في علم الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثانى

في وضع حروف العربية

- قال الشيخ أبو العباس البونى رحمه الله في كتابه "لطائف الإشارات في أسرار الحروف المعلومات" :
- يروي عن أبي ذرّ الغفّارى رضى الله عنه أنه قال : "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله، كلُّ نبيٍّ مُرْسَلٌ بِمِ رُسُلٍ ؟ . قال : بكتابٍ مَنزَّلٍ . قلت : يا رسول الله، أىُّ كتابٍ أُنزل على آدم؟ . قال : ا ب ت ث ج الى آخره . قلت : يا رسول الله، كم حُرُوفٌ ؟ . قال : تسعٌ وعشرون . قلت : يا رسول الله، صدّدت ثمانية وعشرين، فنَضِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتّى أجمرت عيناه، ثم قال : يا أبا ذرّ، والذي يَعبُني بالحقّ نبياً! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعةً وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله، فيها ألف ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرفٌ واحد، أنزله على آدم في صحيفة واحدة، ومعه سبعون ألف ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يعدّ لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف وهى تسعةٌ وعشرون حرفاً لا يخرج من النار أبداً"

وهذا الخبر ظاهر في أن المراد منه حروف العربية فقط، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضى الله عنه بحروف: ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف، وليس ذلك في غير حروف العربية؛ وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم عليه السلام وهو الموافق لما في أول الفصل قبله، لكن في كتاب "التنبيه على نطق المصاحف وشكلها" للشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله أنها أنزلت على هود عليه السلام؛ ولا تبين بينهما، بلواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هود أخرى، فربما نزلت الآية على نبي ثم نزلت على نبي آخر كما قيل في قوله تعالى: ﴿ تَحْمِسُكَ كَذَلِكَ يُوْحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ لأنه ما بعث الله تعالى نبيا إلا وأنزل عليه ﴿ حمس ﴾. وقد أنزلت ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ على سليمان عليه السلام ثم أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وربما أنزلت الآية الواحدة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين كما في الفاتحة فإنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة على أحد الأقوال.

وعلى الجملة فقضيته أنها توقيفية وهو الموافق لأحد الأقوال في مطلق الحروف. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان (وبولان قبيلة من طي) نزلوا مدينة الأنبار، وهم مرامر بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جدرة، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة، ثم قاسوها على إيماء العربانية؛ فأما مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام؛ ثم نُقل هذا العلم إلى مكة وتعلمه من نيلسه وكثره في الناس وتداولوه.

ونقل الجوهرى عن شريق بن القطامي: أن أول من وضعه رجال من طي منهم مرامر بن مرة^(١) وأنشد عليه:

(١) في الأصل مرار: والذي في جميع ما جاء اللغة مرامر، وكذلك في البيت أيضا.

تَعَلَّمْتُ بِأَجَادِ آلِ مُرَّامِيسَ * وَسَوَدْتُ أَثَوَانِي وَلَسْتُ بِكَاتِبٍ

قال الجوهري : وإنما قال آل مُرَّامِيسَ لأنه كان قد شئى كل واحد من أولاده بكلمة من أبى جاد وهم ثمانية ، وذكر غيره نحوه فقال : أول من آخَرَمَهُ وأَلَفَ حروفه ستة أشخاص من طَسِم كانوا زُؤْلًا عند عَدَنَانَ بن أَدَدَ ، وكانت أسمائهم : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، فوضعوا الكتابة .
وانلخط على أسمائهم ، فلما وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الزُؤِدَافُ ، وهى الئاء المثلثة ، والحاء ، والذال ، والظاء ، والغين ، والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجُحْلُ ، ثم آتتقل عنهم إلى الأنبار ، وآتصن بأهل الحيرة ، وقتنا فى العرب ولم ينتشر كلَّ الآنتشار إلى أن كان المبعث .

وقيل : إن نفيسا ونصرا وتيا ودومة بنى إسماعيل وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا موصول الحروف كلها غير متفرق ، ثم فرقه نبت وهَمَيْسَعُ وقِيدَارُ ، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشياء والنظائر . وعن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرنى قوم من علماء مصر أن أول من كتب الكتاب العربى رجل من بنى النضر بن كنانة ، فكتبته العرب حينئذ .

١٥ وقضية هذه المقالات أنها اصطلاحية .

وفى السيرة لابن هشام : أن أول من كتب الخط العربى حمير بن سيار عليه فى المنام قال : وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمُسْنَدِ سعى بذلك لأنهم كانوا يُسندونه إلى هود عليه السلام . وهو مخالف لما تقدم من كلام أبى عمرو الدانى : أن العربى أنزل على هود عليه السلام .

٢٠ قال المصطفى رحمه الله فى "التعريف والإعلام" : والأصح ما روينا من طريق

أبي عُمر بن عبد البر رحمه الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال . "أَوَّلُ مَنْ
كُتِبَ بالعربية إسماعيل عليه السلام" قال ابن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أَوَّلُ
مَنْ تَكَلَّمَ بالعربية إسماعيل" وهذا محتمل للتوقيف أيضا بأن يكون إسماعيل علمها
بالوحي ؛ والاصطلاح بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أقول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قِبل حرب بن أمية . قال المدائني :
حدثني حسان بن عبد الملك الأنصاري قال : حدثني سليمان بن سعيد المزني قال :
سمعت الفراء يقول : حدثني العمري أنه قيل لابن عباس : من أين تعلمتم الهجاء
والكتابة والشكل ؟ قال علمناه من حرب بن أمية ؛ قيل : ومن أين علمه حرب
ابن أمية ؟ قال : من طاري طرأ علينا من اليمن ؛ قيل : ومن أين علمه ذلك الطاري ؟
قال : من كاتب الوحي لهُود عليه السلام .

وذكر أبو عمرو الداني في كتاب "التنبيه على النقط والشكل" نحوه . وقيل :
أول ما ظهرت باليمن من قِبل أبي سفيان بن أمية ، عم أبي سفيان بن حرب ، وأنته
من قِبل رجل من أهل الحيرة ؛ قال أهل الحيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبي داود عن علي بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب
قال : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار ، ونرج إلى مكة ، وتزوج
الصفهاء بنت حرب . وقيل : إنه لما تعلم أبو سفيان بن حرب الخط من أبيه تعلمه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من قريش ، وتعلمه معاوية بن أبي سفيان
من عمه سفيان .

أما الأوس والخزرج فقد روى الواقدي بسنده إلى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابة العربية قليلاً في الأوس والخزرج ، وكان يهودي من يهود ماسكة قد علمها فكان يعلمها الصبيان بغاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون ؛ منهم سعيد بن زُرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، يكتب الكُتَّاب جميعاً العربية والعبرانية ، ورافع بن مالك ، وأسيد بن حضير ، ومعن بن عدي ، وأبو قيس بن كثير ، وأوس بن حويل ، وبشير بن سعد .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة" : والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ، ومنه استنبطت الأقلام التي هي الآن ، وقد ذكر ابن الحسين في كتابه في قلم الثلث : أن الخط الكوفي يسه عدة أقلام مرَّجها إلى أصلين : وهما التقوير والبسط .

فالمقور — هو المعبر عنه الآن باللين ، وهو الذي تكون عرفاته وما في معناها منخسفة منخطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط — هو المعبر عنه الآن باليابس ، وهو ما لا أنخساف وأنحطاط فيه كالحمق وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلام الموجودة الآن . ثم قد ذكر صاحب "إعانة المشتري" أن أول ما نُقل الخط العربي من الكوفي إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن في أواخر خلافة بني أمية وأوائل خلافة بني العباس .

قلت : قل أن الكثير من كُتَّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علي بن مقله (رحمه الله تعالى) هو أول من ابتدع ذلك ، وهو غلط فإننا نجد من الكُتَّاب بخط الأولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أميل لقربه من نقله عنه .

قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وينال إن جودة الخط آتته
إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما : الضحاك ، وإسحاق بن حماد ، وكانا يخطان
الجليل ، وكأنه يريد الطومان أو قريبا منه .

قال صاحب "إعانة المشتري" : وكان الضحاك في خلافة السفاح ، أول
خلفاء بني العباس ، وإسحاق بن حماد في خلافة المنصور والمهدى .

قال النحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعني السجزي^(١)) عن إسحاق بن حماد الجليل
وأخترع منه قلما أخف منه سماه قلم الثلثين ، وكان أخف أهل دهره به ، ثم اخترع
من قلم الثلثين قلما سماه قلم الثلث .

قال صاحب "الأبحاث الجليلة" : وأخذ يوسف أخو إبراهيم السجزي القلم
الجليل عن إسحاق أيضا ، وأخترع منه قلما أدق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به
ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون ، وأمر أن تحضر الكتب السلطانية به ،
ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرياسي . قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات .

قال النحاس : ثم أخذ عن إبراهيم السجزي الأحوال الثلثين والثلث ، وأخترع

منهما قلما سماه قلم النصف ، وقلما أخف من الثلث سماه خفيف الثلث ، وقلما متصل

الحروف ليس في حروفه شيء يتفصل عن غيره سماه المسلسل ، وقلما سماه غبار الحلية ،

وقلما سماه خط المؤامرات ، وقلما سماه خط القصص ، وقلما مقصوفا سماه

الحوادثي . قال : وكان خطه بوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان ،

وكان عجيب البرى للقلم . وكان وجه العجة مقدما في الجليل . قال : وكان محمد بن

معدان يعني المعروف بأبي درجان مقدما في خط النصف ، وكان قلمه مستوى

(١) كذا في نسخة أول الألباب الشيخ عبد الرحمن بن الصانع المكتب المحفوظ منها نسخة بخطوطان
بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢ ، ١٤ صناعات . والسجزي نسبة إلى جستان على غير قياس .
في الأصل : « الشجري » وهو خطأ .

السَّيِّئِ ، وكان يشقُّ الطَّاءَ والظَّاءَ والصاد والضاد بعرض النصف ؛ ويعطف مثل باء ، ويصل كلُّ باءٍ من يساره إلى يمنه بعرض النصف لا يرى فيه اضطراب . وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجلُّ الكتاب خطًّا في الثلث ، وكان ابنُ الزَّيَّاتِ - في أيامِ أبْنِ طولون - وزيرُ المعتمد يعجبه خطُّه ولا يكتب بين يديه غيره . وأتته رياسَةُ الخطِّ بمصر إلى طَبْطَبِ المحرِّرِ جودةً وإحكامًا .

قال النحاس : وكان أهلُ مدينةِ السلامِ يحسدونَ أهلَ مصر على طَبْطَبِ وآبن عبد كان ، يعني كاتبَ الإنشاء لابن طولون ، ويقولون : بمصر كاتبٌ ومحرِّرٌ ليس لأُمير المؤمنين بمدينة السلامِ مثلهما .

قلت : ثم أتته جودة الخطِّ وتحريره على رأسِ الثلاثة إلى الوزير أبي علي محمد بن مقله وأخيه أبي عبد الله .

قال صاحب "إعانة المشتى" : ولَّدا طريقة اخترعاها ، وكتب في زمانهما جماعة فلم يقار بهما . وتفرد أبو عبد الله بالندسج ، والوزير أبو علي بالندرج ؛ وكان الكمال في ذلك للوزير ، وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها ، وعنه أنشئ الخطُّ في مشارق الأرض ومقاربها . والله قول القائل :

سَبَقَ الدَّمْعُ فِي الْمَسِيرِ الْمُطَايَا * إِذْ رَوَى مِنْ أَحِبِّ عَنْهُ بِقَلَّةٍ
وَأَجَادَ السُّطُورَ فِي صَفْحَةِ الْخِصِّ وَلَمْ لَا يُجِيدُ وَهُوَ آبْنُ مُقْلَةٍ
وقول الآخر :

تَسْتَسَلُّ دَمْعِي فَوْقَ خَدَيِ أُسْطُرَا * وَلَا تَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ آبْنُ مُقْلَةٍ
ثم أخذ عن آبن مقله محمد بن السَّمِيعِيَّ ومحمد بن أسد ؛ وعنهما أخذ الأستاذ أبو الحسن علي بن هلال المعروف بآبن البَوَّابِ ، وهو الذي أكمل قواعد الخطِّ وتممها وأخترع غالب الأقلام التي أسماها آبن مقله ؛ ولما مات رثاه بعضهم بقوله :

وَأَسْتَشَعَرَ الْكُتَّابُ فَقَدَكَ سَالِفًا * فَجَرَّتْ بِصَحَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ
فَلِذَاكَ سَوَدَتْ الدُّيُ وَجُوهَهَا * أَسَفًا عَلَيْكَ وَشُقَّتِ الْأَقْلَامُ

ومن أخذ عنه محمد بن عبد الملك، وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشبيحة
المحدثه الكاتبة زينب الملقبة بشهدة ابنة الإبري^(١)؛ وعنها أخذ أمين الدين ياقوت؛
وعنه أخذ الولي العجبي^(٢)؛ وعليه كتب العفيف^(٣)؛ وعن العفيف أخذ ولده الشيخ
عماد الدين، ويقال؛ إنه كان كاتب البواب في زمانه؛ وعن الشيخ عماد الدين بن
العفيف أخذ الشيخ شمس الدين بن أبي رقية محاسب القسطنطينية، وهو من عاصرائه؛
وأخذ عنه شيخنا الشيخ شمس الدين محمد بن علي الزرقاوي المكتوب بالقسطنطينية،
وصنف مختصرا في قلم التلث مع قواعد ضمها إليه في صناعة الكتابة، أحسن فيه
الصنيع؛ وبه تخرج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآتاري
محاسب مصر، ونظم في صناعة الخط ألفية وسمها بـ «العناية الربانية في الطريقة
الشعبانية» لم يسبق إلى مثلها؛ ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والهند؛
ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ.

قلت: وقد علم مما تقدم ذكره أن ألقاب الأقلام: من الثلثين والنصف
والثلث وخفيف الثلث والمسلسل والغبار قديمة، وإن وقع في أذهان كثير من
الناس أنها من مخترعات ابن مقلة وآبن البواب فمن بعدهما.

(١) هذه النسبة إلى الإبري التي يحاط بها، وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها.

(٢) هو ولي الدين علي بن زكريا المشهور بالولي العجبي.

(٣) هو عفيف الدين محمد الحلبي.

الطرف الرابع

في عدد الحروف، وجهة ابتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه خمس^(١) جمل

الجملة الأولى

في مطلق الحروف في جميع اللغات

- وأعلم أن الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تعدد مخارجها، فحروف
السريانيين، والرُّوم، والفُرس، والصِّقْلَب، والتُّرك من أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة
وعشرين حرفاً؛ وحروف العبرانيين، واليونانيين، والقيبط الأول، والهنود وغيرهم من
أثنين وثلاثين إلى ستة وثلاثين؛ فيوجد في غير العربية من الحروف ما لا يوجد
في العربية، كما يوجد في العربية ما لا يوجد في غيرها من اللغات، ويكثر في الاستعمال
فيها ما لا يكثر في غيرها، فالحساء المهملة، والظاء المعجمة مما أُفردت بها العربُ
في لغاتها، واختصت بها دون غيرها من أرباب اللغات؛ والعين المهملة قليلة في كلام
بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم؛ وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست
في الفارسية، والناء المثلثة ليست في الرومية ولا في الفارسية، والفاء ليست في التركية.
قال الشيخ أبي الريح أبي حيان رحمه الله: ولذلك يقولون في فقيه: يقيه بالباء
الموحدة المشربة الفيوية.

الجملة الثانية

في حروف العربية

- وأعلم أنا ما كنا بحمد الله أمة وسطاً خير أمة أخرجت للناس، وكان خير الأمور
أوسطاً، وكانت حروف اللغات ما بين أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وثلاثين كما
(١) في الأصل: «أربع» وما أثبتناه يتفق مع المعداد.

تقدم، كانت حروف الكلام العربى التى بها رُقم القرآن الكريم ثمانية وعشرين حرفاً فى اللفظ، متوسطة بين حروف اللغات، وهى ا ب ت ث إلى آخره؛ وتسمى حروف الهجاء وحروف التهجى؛ ويسمى سيبويه والخليل حروف العربية أى حروف اللغة العربية، وهى التى يتركب منها الكلام العربى؛ وتسمى أيضاً حروف المعجم، إما لأنها مقطعة لا تفهم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، وإما لأن منها ما ينقط النقط المعروف، أو تنقط كلها أى تُشكّل، إذ النقط قد يكون بمعنى الشكل . وقال بعض أهل اللغة : [المعجم] النقط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان، يقال منه أعجمت الحروف، ومعناه حروف الخط المعجم . وبعضهم يجعل المعجم مصدراً بمعنى الإعجام من أعجمت الشيء إذا بيّنته فكانها مبيّنة للكلام؛ وتكون الهمزة فى أعجمت للإزالة، أى أزلت عجمته إما بنقطه أو شكله .

قال الشيخ عبد الخالق بن أبى القاسم المصرى : وإذا أعتبرت سائر اللغات بالتحقيق فلن يزيد ذلك على ثمانية وعشرين حرفاً (يريد غير اللام ألف) فى الحروف العربية، والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركباً من حرفين فلا يعدّه حرفاً مستقلاً . قال علماء الحرف : وجعلت ثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين .

قالوا : ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلةً ويغيب تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يظهر منها مع لام التعريف أربعة عشر بعدد المنازل الظاهرة، وهى الألف، والباء، والحاء المهملة،

(١) الزيادة عن اللسان .

(٢) هو المبرد كما نقله عنه فى اللسان .

٤. وانحاء المعجمة ، والمين المهملة ، والعين المعجمة ، والقاف ، والكاف ،
واللام ، والميم ، والمهاء ، والواو ، والياء المثناة تحت . تقول الألف والباء والحاء
فتظهر اللام في لفظك وكذلك في البواق . وما يسدغم منها أربعة عشر حرفا أيضا
بسد المنازل الفائية ، وهي التاء المثناة من فوق ، والتاء المتلثة ، والذال المهملة ،
والذال المعجمة ، والراء ، والزاي ، والسين المهملة ، والسين المعجمة ، والصاد
المهملة ، والصاد المعجمة ، والطاء المهملة ، والطاء المعجمة ، والنون . تقول التاء ،
والتاء ، والذال تصغى في لفظك ، وكذلك في البواق .

وقد تقدم في خبر أبي ذر رضي الله عنه أنها نزلت على آدم عليه السلام تسعة
وعشر حرفا عده منها اللام ألف وهو الموجود في التصوير فلا يعزى إلا عليه
إن صح الحديث .

ثم لم تحرف العربية فروع توجده في اللفظ دون الكتابة مستحسنة ومستفحمة ،
تبلغ بها الحروف العربية سبعة وأربعين حرفا ، ولا يوجد ذلك في لغة أمة من الأمم ،
أضربنا عن ذكرها لعدم تعلقها بالخط الذي نحن بصدد ، والله المستعان .

الجملة الثالثة

في بيان جهة ابتداء الحروف

وأعلم أن أصحاب الأقاليم اختلفوا باعتبار مقاصدهم في البداء بالحروف .
فهم من يبدأ من اليمن إلى اليسار كالعرب والعبرانيين والهند وأهل الطبيعة
والسريانيين ، أخذوا فيه على سبيل القلق من المشرق إلى المغرب ، والمشرق عندهم
يمين القلق ويقال له : مأخذ كورى ، وقيل : لأن فيه الإستعداد من الكبد
إلى القلب .

وبنهم من يسدأ من اليسار الى اليمين كالرومية واليونانية والقبطية، وفن من الفارسية أخذوا فيه على سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب الى المشرق . ويقال له : مأخذ دَوْرِيٌّ ؛ وقيل : لأنه ناشئ عن حركة القلب إلى الكبد .

الجملة الرابعة

في كيفية ترتيب الحروف

وأعلم أن ترتيب الحروف على ضربين : مفرد ومزدوج ؛ وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب .

أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض
ع غ ف ق س ش ه و لا ي

وأما المزدوج فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ضفطن .
وأهل الغرب يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ظفشن^(١) .

على أنه قد اختلف في كلمات أبجد هل لها معنى أم لا، وهل يكره تعلمها أم لا، وأكثر الناس في الشرق والغرب على تعلمها .

(١) كذا في الأصل والضم، ولعل الصواب ظفشن .

وقد جاء أنها كانت تُعَلَّم في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ويشهد لذلك قول الأعرابي في أبياته :

أَتَيْتُ مهاجِرِينَ فَعَلِمُونِي • ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُتَابِعَاتٍ
وَحَطُّوا لِي أَبَا جَادٍ وَقَالُوا • تَعَلَّمْ سَمْعًا وَقَرِّئْ نَسَاتٍ

- وقيل : إن أجد، وهوز، وحطى، وكلى، كانت أسماء بلوك مدين، وإن
كلن كان في زمن سُعَيْب عليه السلام . وقد تقدّم أن الأربعة المذكورة كانت
أسماء وإضحي الخط العربي على قول؛ والله أعلم .

الجملة الخامسة

في كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها

١٠. قد تقدّم أن الحروف العربية على تسع عشرة صورة، وهي صورة الألف،
وصورة الباء والتاء والثاء، وصورة الجيم والحاء والخاء، وصورة الدال والذال،
وصورة الزاء والزاي، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء
والظاء، وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف، وصورة الكاف، وصورة
اللام، وصورة الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة
اللام ألف، وصورة الياء، وفترقوا بينها بالنقط كما سيأتي، وقصدوا بذلك تقليل
الصّور للاختصار لأن ذلك أخف من أن يحمل لكل حرف صورة فتكثر الصّور .
ثم ترجع الصّور التّسع عشرة بعد ذلك إلى خمس صور : وهي الألف والجيم
والراء والنون والميم ؛ ففي صورة الألف إحدى عشرة صورة، ألف قائمة، وهي ا

(١) لله وصورة القاف ليتم العدد ولاختلاف الصورتين في الرسم .

وسُمِّعُ الْفَاتُ سَطُوحةٌ ، وهى ب ت ث ، ك ل ي ، فنكل هذه كل صورة الألف غير أن فيها ما تكرر فيه صورة الألف ، وهى الكاف واللام ، والفتان مبطوحتان ، وهما ط ظ ، وألف معطوفة ، وهى لا ؛ وهى الجيم سبع صور جيم مُرْفَلَةٌ ، وهى ج ح خ ، وجبان مخدوفتان ، وهما د ذ ، وجبان شاحصتان ، وهما غ غ ، وهى الزاء ثلاث صور ، وهى ر ز و ، وهى التاء ست صور ، وهى ن س ش ص ض ق ؛ وهى الميم صورتان ، وهما م ه .

الطرف الخامس

في تحسين الخط ، وفيه جملتان

الجملة الأولى

في الحث على تحسين الخط .

لا خفاء أن حُسن الخط من أحسن الأوصاف التى يتصف بها الكاتب ؛ وأنه يرفع قدره عند الناس ، ويكون وسيلة إلى نُجْح مقاصده ، وبلوغ مآربه ؛ مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد التى لا تكاد تُحصى كثرة .

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : " الخط الحسن يزيد الحق

وضوحاً " .

وقال بعض العلماء : الخط كالروح في الجسد ، فإذا كان الإنسان جسيماً وسيماً حسن الهيئة ، كان في العيون أعظم ، وفي النفوس ألخم ، وإذا كان على ضد ذلك ستمته النعوس ، وبجته القلوب ؛ فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف ، مليح الرصف ،

(١) لم يذكر إلا ستة ، ولعل الساقط منها ما لم يذكر في الصور الآتية .

مفتّح العيون ، أمّلس المتنوّب ، كثير الاختلاف ، قليل الاختلاف ، هتّث إليه النفوس ، وأشتته الأرواح ، حتّى إن الإنسان ليقروّه وإن كان فيه كلامٌ دنى ، ومعنى ردى ، مستريداً منه ولو كثر ، من غير سامة تلحقه ، وإذا كان الخط قبيحاً تجتّه الأنفهام ، ولقطنه العيون والأفكار ، وسّم قارنه ، وإن كان فيه من الحكمة عجائبها ، ومن الألفاظ غرائبها .

ويقال : إن الخط مُوازٍ للقراءة ، فأجود الخط أيسّره ، كما أن أجود القراءة أيسّرها ، ولا يخفى أن الخط الحسن هو البين الرائق البهيج . ثم قد تقدّم في الكلام على أصل وضع الخط أن الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ، ويشتركان فيها .

- قال في "موادّ البيان" : ولما كان الخط قسماً للفظ في البيان الذى آمّن الله تعالى بتعليمه على الإنسان ، وجب على الكاتب أن يُعنى بأمر الخط ، ويُراعى من تجويزه وتصحيحه ، ما يراعى من تهذيب اللفظ وتنقيحه ، ليسدّل على سرعة وسهولة كما بدّل اللفظ البليغ البين . لأن الخط وإن كان على الإطلاق في المنة التى لا تُساوى من الشرف فإنما تحصل فضائله للبيد منه ، كما أن المنطق وإن كان من الشرف وهذا الحدّ فإنما تحصل فضائله التامة لمنطق البليغ اللّسن ، دون منطق النقيّ الألتكن ، وكذلك مسائل الصنائع الفاضلة على الإطلاق إنما يحصل فضلها لساير فيها دون المبتدئ .

قال : فنبينى للكاتب ألاّ يقدم على تهذيب خطه وتحريره شيئاً من آدابه فإن جودة الخط أوّل الأدوات التى ينظم بمصوّلها له أسم الكفاة ، ويحكم عليه إذا حلّزها بأنه من أهلها . وقد دخل بحسن الخط في الصناعة من إذا حُص عن مقدار معرفته وجب أن تُنزه الكتابة عن نسبته إليها .

ويجب مع ذلك أن يراعى تأسيس الخط على الوضع الذى أصطلح عليه المجيدون من الكُتّاب ، فقد قَسَم أهل الصناعة الخط إلى قسمين : مَحَقَّقٌ وَمُطَلَّقٌ .
فأما المَحَقَّقُ فما صَحَّحَتْ أشكاله وحروفه على اعتبارها مفردة .

قال فى "موادّ البيان" : وهذا القسم هو الذى يُستعمل فى الأمور الجسيمة : ككُتُب المهود ، والإصحاحات ، والتعليقات التى تبنى على الأعقاب ، والمكتابات الصادرة عن الملوك إلى الملوك ، اندالة كل قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .
وأما المُطَلَّقُ فهو الذى تداخلت حروفه وأتصل بعضها ببعض .

قال فى "موادّ البيان" : وهو خط مولّد من المَحَقَّقِ ، يستعمل فى تنفيذ ما لا يمكن تأخير من المكتابات المهمة والأمور العامة . قال : ويجب أن يلزم الطريقة فى كل واحد من الخطين ، ولا يخلط أحدهما بحروف الآخر .

الجملة الثانية

فى الطريق إلى تحسين الخط ، ويتوصّل إلى ذلك بأمور

الأوّل - معرفة تشكيل الحروف

قال فى "موادّ البيان" : وهو الأصل فى أدب الخط ، لأن الخط إنما يسمّى جيّداً إذا حُسِّنَتْ أشكال حروفه ، وإنما يسمّى رديئاً إذا قُبِّحَتْ أشكال حروفه .
وحُسْن صور حروف الخط فى العين شبيهٌ بحُسْن مخارج اللفظ الْعَدَبُ فى السَّمْع .

قال : والوجه فى تصحيح الحروف أن يبدأ أولاً بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرف منها على حبالها ، ثم يؤخذ فى تقويمها بجموعة مركبة ، وأن يبدأ
(١) لم يذكر غيره ، ولعله اكتفى بما تقدّم فى الأدوات من حسن البراية والخبرة واليقظة غير ذلك فلينبه .

- من المركب بالثنائي والثلاثي، ثم بالرباعي، ثم بالخماسي، فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد في التثنية على توقيف المهرة في الخطوط، العارفين بأوضاعها ورسومها وأسمائها، فإن لكل خط من الخطوط قلباً من الأقسام يصلح لذلك الخط، وهذه الأقسام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءاً من صناعته لا يصنع به غيره، ولا يعول على كتابة خط من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفيه، إذ لو كان ذلك كافياً لاستغنى في جميع الصنائع عن توقّف عليها. على أن كثيراً من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعاً دون التوقيف من أحد على طريقة من طرق المحترفين، إلا أن الأفضل أن يبنى الخط على أصل يكون له أساساً، فإذا فصلت أحواله أنكشف فساد كثير من حروفه.

الطرف السادس

في قواعد تتعلق بالكتابة

لا يستغنى الكاتب المهيّد عن معرفتها، وفيه جملتان

المقالة الأولى

في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف

الألف

قال الوزير أبو علي بن مُغَلَّة: وهي شكل مركب من خط متصّب، يجب أن يكون مستقيماً غير مائل إلى استلقاء ولا أنكباب. قال: وليست مناسبة لحرف في طول ولا قصر.

قال الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وهي قاعدة الحروف المفردة ، وباق الحروف متفرعة عنها ومنسوبة إليها .
ثم الذي ذكره صاحب "رسائل إخوان الصفا" في رسالة الموسيقى ، عند ذكر حروف المعجم استطرادا أن مساحتها في الطول تكون ثمانَ نُقْطَ من نُقْطَ القلم الذي تكتب به ليكون العرض ثمنَ الطول .

والذي ذكره الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام :
أنها مقدرة بست نقط

والذي ذكره الشيخ زين الدين شعبان الآتاري في ألفيته أنها مقدرة بسبع نقط ، فما زاد على ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .

قال ابن عبد السلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون أبعادها بنقطة وأنها بسطية .

قال ابن مقلة : وأعتبرها أن تخط إلى جانبها ثلاث ألفات أو أربع ألفات تجد فضاء ما بينها متساويا .

قال ابن عبد السلام : وتكون تلك الألفات المخطوطة إلى جانبها مناسبات لها في الطول متساويات الرؤوس والأذنان . ١٥

الباء

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : متصّب ومنسطح . قال : ونسبته إلى الألف بالمساواة .

قال ابن عبد السلام : ويكون المتصّب طوله بمقدار ثلث ألف خطه . قال : ويبدأ أوله بنقطة ، وكذلك آخره إن كان مُرْتَلًا ، فإن كان معطوفا فليكن بسن القلم ٢٠

البسرى، والمستدير فيه مثل المنتصب، ولكن يكون المنتصب أرفع من المستدير
بتر يسير، وتكون السنة المبتدأ بها مترجحة في الطول على آخرها المعطوف.

قال ابن مقلة: وأعتبر صحتها أن تزيد في أحد سنيها ألفا فتصير لاما. وزاد
ابن عبد السلام في إيضاحه فقال: أن تزيد المنتصب بكلمة ألف بحيث يكون طول
جمله كطول المنسطح لا أطول ولا أقصر. ثم قال: وهذا الحرف وما يجري مجراه
من يمتدة إلى يسرة، وكل ما كان كذلك فينبى أن يمال القلم فيه نحو الهمزة قليلا.
ولا يخفى أن التاء والتاء في معنى الباء في ذلك جميعه.

الجيم

- قال ابن مقلة: هي شكل مرگب من خطين؛ مُنكَب ونصف دائرة؛ وقطرها
مساوٍ للألف. وأبدل ابن عبد السلام المُنكَب بالمنسطح. ثم قال: والمنسطح
١٠ كحقي الألف من خطه، وربما يكون أُنْقَصَ بنقطة. قال: ومساحة نصف الدائرة
كألف ونصف الألف من قلم الكتابة، ورأسها يكون من يسرة إلى يمتدة على استقامة
تقريبا؛ وكل ما كان كذلك ينبى أن يمال برأس القلم فيه إلى اليمنة قليلا، يُبدَأُ
أوله بشطية بالسّن اليمنى من القلم، وآخر تعريجها بالسّن اليسرى منه.
- قال ابن مقلة: وأعتبر صحتها أن تحط عن يمينها وشمالها خطين فلا تنقص
١٥ عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج.

وقال ابن عبد السلام: وأعتبر صحة رأسها أن تكتب من يسرة إلى يمتدة على
استقامة تقريبا. قال: وحسنها أن تحفّضها من الجهة اليمنى قليلا؛ وميزانها أن تسطر
سطرا وتأخذ عليه من يسرة إلى يمتدة مقدار ثلثي ألف من قلم الكتابة؛ بحيث لا يرتفع

أولاً عن آخرها إلا يسيراً ، ولا آخرها عن أولاً بل تكون متشبكة فيه ، واعتبار
نصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة . ثم قال : وليقصد أن يجعل
رأس الجيم سواء أخذنا ابتداء الدائرة في جسد ثلث الرأس ، منسبكاً فيه ، بحيث
يكون الثلث ضلعاً واحداً .

ولا يخفى أن الحاء والحاء في معنى الجيم في جميع ما تقدم .

الذال

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : منكب ومنسطح ، مجموعهما
مساوٍ للألف . وجعل ابن عبد السلام منها شكلاً آخر مركباً من ثلاثة خطوط :
منكب ، ومنسطح ، ومستدير . وكأنه يريد الدال المجموعة . ثم قال : فالمنكب
طوله بمقدار نصف ألف خطه لا غير ، وكذلك المنسطح . وأبتداء أولاً بنقطة ،
وآخرها إن كان مرسلًا بقطعة ، وإن كان معطوفاً بين القلم البصري .
قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تصل طرفيها بخط فتجده مثلثاً منساوياً الأضلاع .
ولا يخفى أن الذال في معنى ما تقدم .

الراء

قال ابن مقلة : وهي شكل مركب من خط مقوس هو ربع الدائرة التي قُطِرَها ،
الألف وفي رأسه ستة مقصورة في الفكر .
قال ابن عبد السلام : وتبدأ أولاً بنقطة ، وآخرها إن كان مرسلًا فيسقط القلم
اليتني ، وإن كان معطوفاً فيسقط اليسرى .

قال ابن مقلة : وأعتبر حجتها أن يَصْلُها بِمِثْلِها فَنَصِيرُ نَصْفَ دَائِرَةٍ .
ولا يخفى أن الزاى فى معناها .

السين

قال ابن مقلة : وهو شكلٌ مركَّب من خمسة خطوط : متصِّب ، ومقوَّس .
ومتصِّب ، ومقوَّس ، ومتصِّب ^(١١) .

- قال ابن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أول سَن منها إلى ثالث سَن كُلِّى ألف خطّه . قال : ومساحة قوسها إن كان معطوفاً مساحة ألف من خطّه ، وإن كان مُرسِلاً مساحة ألفين من خطّه . وطول كل سِنَّة مثل سُدُس ألف خطّه ، يُبْدَأُ أولها بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسِلاً فبِسَّ القلم اليمنى ، وإن كان معطوفاً فبِسَّ اليسرى . قال : وإذا ابتدأت بالسِنَّة وطلعت إلى الثانية نُقِذَ إلى الثالثة من أعلاها بصير بياض من أسفلها ، فإنك متى أخذت رأس سِنَّة من أسفلها صار أسفلها مصطحباً ، ويكون البياض الذى بين السَّنات على السوية فى البياض .
- قال ابن مقلة : وأعتبر حجتها بمعنى حجة رأسها أن تُنمَّ بِأَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا خَطَيْنِ فلا تخرج منهما شيئاً ولا تنقص .
- ولا يخفى أن حكم الشين أيضاً كذلك .

الصاد

قال ابن مقلة : هو شكل مركَّب من ثلاثة خطوط : مقوَّس ، ومديحج ، ومقوَّس .

- (١) كذا فى رسالة الوزير ابن مقلة فى علم الخط والاسم الموجود بها نسخة معطوبة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤ صانعاته . وفى الأصل : « ثم مقوَّس » .
- (٢) فى رواية ابن مقلة : شكل مركَّب من أربعة خطوط : مستقيم ومتصِّب ومقوَّس .

قال ابن عبد السلام: وأبتدأوه بِسَطِيَّةٍ، أما آتتهأوه فإن كان مرسلًا فبِسَقِّ الذلم
البنى، وإن كان معطوفاً فبِسَنه اليُسرى. قال: ومساحة رأس الصاد في الطول
كُتِفَى ألف خطه، ومساحة قوسها إن كان معطوفاً مساحة ألف الكثاية؛ وإن كان
مرسلًا لمساحة ألفين من قلم خطه.

قال ابن مقلة: وأعتبر محبتها أن تجعلها مربعة فتصير متساوية الزوايا
في المقدار.

وقال ابن عبد السلام: أعتبر محبتها أن يكون أعلاها كراء معلقة، والمنسطح
كباء، والمقوس كنون؛ ويكون رأس النون مشرفاً على آخرها.
ولا يخفى أن الضاد كذلك.

الطاء

قال ابن عبد السلام: هو شكل مركب من ثلاثة خطوط: متعصب،
ومقوس، ومنسطح، يبدأ أوله بنقطة وآخره بنقطة. قال: ومساحة ضوّه الطاء
في الطول كُتِفَى ألف خطه.

قال ابن مقلة: وأعتبرها كاعتبار [الصاد].

وقال ابن عبد السلام: أعتبر محبتها أن يكون المتعصب كألف من خطه
في الانتصاب والطول، والمقوس كراء معلقة، والمنسطح كباء مرسله.
ولا يخفى أن حكم الظاء في ذلك كالطاء.

(١) الزيادة عن رسالة الوزير ابن مقلة ومعالن الكتابة لابن شيث القرطبي (ص ٣٠ طبع مصر).

العين

• قال ابن مقلة : رهى شكلُ مرَّكبٍ من خطين : مقوَّس ومنسطح ، أحدهما نصف الدائر .

وقال ابن عبد السلام : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوَّس ، ومنكب ، ومنسطح ^(١) يبدأ أولها بشِطَّةٍ ، وآخر تعريجها بسنِّ القلم اليسرى ، والتعريجة نصف دائرة ؛ ومساحة القوس كآلف وثلاث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس فى الطول كثنَّى آلف خطه ، ويعزُّو من رأسها رأس صاد .

قال ابن مقلة : وأعتبار محبتها كأعتبار الجيم .

وقال ابن عبد السلام : أعتبارها أن تخط عن يمينها خطا من أعلاها إلى منتهى تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيرا بنقطة تكون سدس ألف خطها لا غير .

ولا يخفى أن العين فى الحكم كذلك .

الفاء

قال ابن مقلة : هى شكلُ مرَّكبٍ من أربعة خطوط : منكبٌ ، ومستطيقٌ ومنصب ، ومنسطح

١٥

قال ابن عبد السلام : تبدأ أوله بنقطة وتأخذه على سطر إلى جهة اليسار ، ثم تأخذ المستطيق إلى أن تنتهى إلى قبالة المنسطح بحيث يصير كالادل المقلوبة .

(١) الزيادة عن تحفة أرى الألباب الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ .

ثم نأخذ من حيث انتهيت إلى أن تلصق بالمنسطح فيبقى مثلثا متساوي الأضلاع ،
مساحة ضوئه نقطة بمقدار سدس ألف خطه ؛ ثم إن كان معطوفا ختمته بين
القلم ، وإن كان مرسلا فبقطته .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحته أن تصل بالخط الثاني منها خطا فيصير مثلثا
قائم الزاوية .

القاف

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من ثلاثة خطوط : منكب ، ومستقي ،
ومقوس .

قال ابن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط ، رأسها كراس الفاء سواء
بجميع ما تقدم ، وإرسالها كالنون على ما سيأتي ذكره ؛ فإن كان آخرها معطوفا فيسن ١٠
القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فيسنّه اليمنى . قال : ومساحة ضوء القوس من أوله
إلى آخره إن كان معطوفا كألف قلم الكتابة ، وإن كان مرسلا فكألفين .
قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها كأعتبر النون ، وسيأتي ذكره .

الكاف

قال ابن مقلة : شكل مركب من أربعة خطوط : منكب ، ومنسطح ،
ومتصّب ، ومنسطح . ١٥

وقال ابن عبد السلام : وهو مركب من أربعة خطوط : مستقي ، ومنسطح
طوله مقدار ألف وثلاث ألف من قلم الكتابة ، ومنكب طوله مقدار ثلث ألف

من خطه، ومنسطح طوله مقدار ألفين من خطه، يفصل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تريد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثلث ألف الكتابة بسبب ما يتصل به، فيصير فضاء ما بين ما اتصل بآخرها إلى رأس الكاف مثل الفضاء الذي بين المنسطحين .

قال : ولا يجوز أن تكتب مخنثة إذا لم يتصل آخرها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمة تكتب متصبة قائمة لا غير ، وتكتب إذا كانت متصبة كاللام على ما سيأتي بيانه .

قال : وتبدأ أولها بشيطة فإذا انتهت إلى اتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن يفصل منها باءان . قال ابن عبد السلام : يعني مستقيمة ومقلوبة .

اللام

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : متصبي، ومنسطح .

قال ابن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمتصبي باء، فإن كان معطوفاً فبين الفم اليسرى، وإن كان مرسلًا فبقطه .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن تُخرج من أولها إلى آخرها خطاً يُماس الطرفين فيصير مثلثاً قائم الزاوية .

قال : وتكتب على الأنواع الثلاثة التي تكتب عليها الباء .

الميم

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من أربعة خطوط : مُنكَبٌ ، ومُستَقِيٌّ ، ومُسطَّحٌ ، ومُقَوَّسٌ .

وقال ابن عبد السلام : مركب من أربعة خطوط : مُنكَبٌ ، ومُقَوَّسٌ ، ومُستَقِيٌّ ، ومُستَقَرٌّ .
ومُقَوَّسٌ ، ومُقَوَّسٌ كالراء يكون ربع دائرة ؛ فإن كان آخرها متمصبا فهو في الوضع والطول مثل ألف من خطه غير مائل إلى استلقاء ولا أنجاب ، تبدأ أول الميم بِشِطَّةٍ وآخرها بِشِطَّةٍ .

قال : ومساحة ضوئها مثل سدس ألف خطها ؛ وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة متمصبا إلى جهة اليمين .

قال ابن مقلة : واعتبارها كاعتبار الهاء ، ونسباني .

النون

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من خطٍ مقوَّسٍ ، هو نصف الدائرة ؛ وفيه هيئة مقطرة في الفكر .

قال ابن عبد السلام : يبدأ أوله بنقطة ، وآخره إن كان معطوفاً فيسنّ القلم اليسرى ، ومساحة ضوئه ألف من قلم خطه ؛ وإن كان مُرسَلاً فيسنّ القلم اليماني ، ومساحة ضوئه ألفان من قلم خطه .

قال ابن مقلة : واعتبار صحتها أن يوصل بها مثلها فتكون دائرة .

الهـاء

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من ثلاثة خطوط : منكب ، ومتصبي ، ومقوس .

وقال ابن عبد السلام : من ثلاثة خطوط : منكب ، ومسطح بترطيب ، ومستقي ، تبدأ أولها بنقطة وآخرها إرساله بسن القلم اليمنى ، طول المنكب كطول .
نصف ألف من خطه ، وطول المسطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستقي كنصف ألف قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تجعلها مربعة فتساوى الزاويتان العلياوان
كتساوى الزاويتين السفلاوين .

وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن تجعل رديتها في ثلثها ، فإذا كل وضعها
فأجعلها مربعة فتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان .

الواو

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من ثلاثة خطوط : مستقي ، ومنكب ، ومقوس .

وقال ابن عبد السلام : هي مركبة من أربعة خطوط ، رأسها كراس الفاء ،
وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ، تبدأ أولها بنقطة ، وآخرها إن كان معطوفا
ليسن القلم اليسرى ، وإن كان مرسلًا فيسنه اليمنى .

اللام ألف

قال ابن عبد السلام : هي شكل مرَّكَّب من ثلاثة خطوط : منكبٌ ،
ومستطعٌ مستقيم ، ومستلقٍ ؛ طول المنكب كطول ألف من قلم الكتابة وطول
المستطع كنصف ألف الكتابة ، وطول المستلق كطول ألف الكتابة ؛ تبدأ أول
المنكب بنقطة ، وكذلك المستلق .

قال : واعتبار صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها ، وأن تخط
من رأس اللام إلى رأس الألف خطا مستقيما ، وأن تخط من أعلاها إلى أسفلها
خطا فلا يقصر عنها ولا يخرج .

قال : ومنها نوع آخر مركب من ثلاث خطوط : منكبٌ ، ومستدير يقارب
ألفا ، ومستلق يقابل طرفه طرف المنكب .

الياء

قال ابن مقلة : شكل مرَّكَّب من ثلاثة خطوط : مستلق ، ومنكبٌ ، ومقوس .

قال ابن عبد السلام : وهي كالنون ؛ وتبدأ أوفا بسطية رأسها كدال مقلوبة ،
طول المستلق منها كنصف ألف من خطه ، وكذلك المنكب على ما تقدم في الدال .

قال : والمقوس إن كان معطوفا لمساحته كألف من خطه وآخره بسن القلم
اليسرى ، وإن كان مرسلا لمساحته كالفير من خطه وآخره بسن القلم اليمنى

قال : ومنها نوع كراس الكاف المستلق والمستطع سواء .

قال ابن مقلة : واعتبارها كأختبار الواو .

(١) في رسالة الوزير ابن مقلة : « شكل مركب من أربعة خطوط : مستلق ، ومستصب ،
ومنكب ، ومقوس » .

الجملة الثانية

في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وأتھاؤها : من نُقْطة أو شَطْبَة أو غير ذلك
أما الإبتداء فعل ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

ما يتبدأ بنقطة ، وهو تسع صور ^(١)

صورة الباء وأختها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السين وأختها ، وصورة
اللام ، وصورة النون ، وصورة العين وأختها ، وقد جمعها السُّرْمَرِيُّ في أُرْجوزته
في أوائل كلمات بيت واحد ، وهو قوله :

إِذَا بَدَتْ دَعْدُ رَقَا سَنَاهَا * لِمَا شِيقِي نَاحَ عَلَى هَوَاهَا

١٠ على أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد فهم فَعَدَّ منها الفاء ، وليس كذلك
بل هي مما يتبدأ بِمُجْلَفَةٍ ^(٢) على ما سيأتي ذكره .

الضرب الثاني

ما يتبدأ بنشْطَة ، وهو صُور خمسة أحرف

الحاء ، والطاء ، والياء ، والصاد ، والكاف

١٥ وقد جمعها السُّرْمَرِيُّ في قوله : "خطي يصك" .

وجعل ابن عبد السلام الخمسة :

الغين ، والطاء ، والحاء ، والكاف ، والصاد

وجمعها في قوله : "عَطَّ خَصَّك" وألحق بها أشباهها .

(١) لم يصل العدد إلى التسع ولعله سبع وسقطت صورة الزاء وأختها كما يظهر بالتأمل في بقية الأضرب .

٢٠ (٢) لكل قصة جلفة بحسب صلاتها ، فالصلة تطول ، وحدها ألا تأخذ في الخط ولا تقبل
فختلف مخافة الكتابة (راجع شرح قصيدة ابن الرواب في آلات الخط للشيخ شرف الدين بن الرعيد) .

الضرب الثالث

ما يتبدأ بحلقة . وهو صور أربعة أحرف :

القاف ، والميم ، والواو ، والفاء

وقد جمعها السمرى في قوله : "قَمْ وَف" .

وأما الاختتام فعلى ثلاثة أضرب أيضا :

الضرب الأول

ما ينتتم بقطة القلم . وهو صور ستة أحرف :

الطاء ، والفاء ، والباء ، واللام ، والذال ، والكاف

وجمعها ابن عبد السلام في قوله : "دَبَّ طَفْلُكَ" ولا يخفى أن أخواتها في معناها .

الضرب الثاني

ما ينتتم بشظية ، وهو صورة واحدة

وهى الألف

الضرب الثالث

ما يرسل فى ختمه إرسالاً ، وهو صورة أحد عشر حرفاً ، وهى :

السين ، والراء ، والحاء ، والميم ، والنون ، والياء

والعين ، والقاف ، والصاد ، والواو ، والهاء

يجمعها قولك : "مرح منيع وقصه" .

الطرف السابع

في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة ؛ وفيه ثلاث جمل

الجملة الأولى

في كيفية إمساك القلم عند الكتابة ، ووضعه على الورق

- قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع
الثلث : الوسطى والسبابة والإبهام على القلم ؛ وإلى ذلك يشير أبو تمام
الطائي بقوله :

... .. وسدت * ثلاث تواجيه الثلاث الأمانل

أما قول القائل في وصف القلم أيضا :

- وذي عَافٍ رايح ساجد * أخو صلاح دمه جاري
ملازم أنميس لأوقاتها * مجتهدا في طاعة الباري

يريد بالخمسة الأصابع الخمس ، فإنه على سبيل المجاز ، من باب مجاز المجاورة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع مبسوطة غير مقبوضة ،

لأن بسط الأصابع يتمكن الكاتب معه من إدارة القلم ؛ ولا يتمكن على القلم الاتكاء

- الشديد المضعف له ؛ ولا يمسكه الإمساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط ،
لكن يجعل اعتياده في ذلك معتدلا .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتب فإنه يأخذ القلم فيتنكح على الخنصر ،

ويعتمد بسائر أصابعه على القلم ، ويعتمد بالوسطى على البنصر ، ويرفع السبابة على

القلم ، ويعمل الإبهام في دَوْرانه وتحريكه .

قال ابن مقلة : ويكون إمساك القلم فوق الفتحة بمقدار عرض شعيرتين أو ثلاث ، وتكون أطراف الأصابع متساوية حول القلم لا تفضّل إحداهن على الأخرى .

قال صاحب " الحليّة " : وتكون الأصابع على القلم منبسطة غير منقبضة .
ليتمكّن من إدارة القلم ، ولا يدار حالة الاستعداد .

قال ابن العفیف : وعلى حسب تمكّن الكاتب من إدارة قلبه وسرعة يده في الدوران يكون صفاء جوهه حروفه .

الجملة الثانية

في كيفية الاستعداد ، ووضع القلم على الدرج

١٠ أما الاستعداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة ، وقد قال المقرئون : ابن فضل الله : من لم يُعَيِّن الاستعداد وبرّى القلم فليس من الكتابة في شيء .

قال الشيخ عماد الدين بن النفيث : وإذا مدّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة إمساكه له حين الكتابة ، ولا يديره للاستعداد ، لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في الكتاب ، ويحرك رأس القلم من باطن يده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبتيه من الأصابع ، ومتى عدل عن هذا لحقته المشقة في نقل نصبة الأصابع في كل مدة .

قال : وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هذا هو الذي عليه مدار جودة الخط .

ثم قال : وقبلما يُدْرِكَ علم هذا الفصل إلا العالم الحاذق بهندسة الخط ، مع ما يكون معه من الآفة وحسن التأدية .

ومن كلام المقر العلاء ابن فضل الله : ينبغي للكاتب ألا يكثر الاستعداد بل يمدّ مدا معتدلا ، ولا يحسرك الأليقة من مكانها ، ولا يثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكتاب ، ولا يرد القلم إلى الأليقة حتى يستوعب ما فيه من المداد ، ولا يدخل منه الدواة كثيرا ، بل إلى حد شقه ، ولا يتجاوز ذلك إلى آخر الفتحة ، ليأمن تمويهه أنامله ، وليس ذلك من خصال الكتاب .

وأما وضع القلم على الدرج فقال أبو علي بن مقلة : ويجب أن يكون أول ما يوضع على الدرج موضع القطعة منجبا .

الجملة الثالثة

في وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التفكر

- ١٠ قال محمد بن عمر المدائني : يستحب للكاتب في كتابته إذا فكر في حاجة أن يضع الذم على أذنه ، وساق بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه : أن معاوية بن أبي سفيان كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا رأى من النبي صلى الله عليه وسلم إعراضا وضع القلم في فيه ، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : "يا معاوية إذا كنت كاتباً فضع القلم على أذنك فإنه أذكرك وللمملي" .

- ١١ وساق بسنده أيضا إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إليه وهو يكتب في حوائجه فقال له : "ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك" .

وأخرج أيضا من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتابه : "ضع القلم على أذنك يذكرك ذلك" .

- ٢٠ وفي رواية عن أنس : "كان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع القلم على الخصر فقال : يا معاوية إذا كتبت كتابا فضع القلم على أذنك" .

وأخرج أيضا "أن كعبا كان يتحدث عند عائشة، فذكر إسماعيل فقال : له جناح بالشرق وجناح بالمغرب وجناح مُسْرَبِل به والقلم على أذنه فإذا نزل الوحى جرى القلم ودرست الملائكة . فقالت عائشة : هكذا سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

الطرف الثامن

في ذكر قوانين يستمدها الكاتب في الخط؛ وفيه ست جمل

الجملة الأولى

في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة، وما يجب أن يُراعى في كل حرف قال السمرمري وأبن عبد السلام وغيرهما : كل خط متصّب ينبنى أن يكون الاتّحاد فيه من القلم على سبّيه معاً، وكل خط من يَمّة إلى يسرة ينبنى أن يمال القلم فيه نحو اليسرة قليلا، وكل خط من يسرة إلى يَمّة ينبنى أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمّة قليلا، وكل شطيبة ينبنى أن تكون بالسّن اليمنى من القلم، وكل نُقطة ينبنى أن تكون بسنّ القلم، وكل تععير كما في النون وتريقة الصاد يجب أن تكون بالسّن الأيمن وكل إرسالة يجب أن تكون بسنّ القلم اليمنى، وكل تعريج كما في عراقة الجيم والعين يجب أن يكون بسنّ القلم اليسرى، وكل مأخذ فيه من يَمّة إلى يسرة كاللام ونحوها ينبنى أن يمال فيه رأس القلم إلى اليسرة قليلا، وكل مأخذ فيه من يسرة إلى يَمّة كراس الجيم ينبنى أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمّة قليلا، وكل خط متصّب فيجب أن يكون آتياؤه إرسالة، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سُدس ألف خطها، وقيل مثل سبعة؛ وكل شطيبة في أول أو آخر مثل سُبُع ألف خطها .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وللسّن الأيمن من القلم الألف واللام ورَفعة الطاء والنون والباء والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخر التعريفات والمسندات

وطبقة الصاد والضاد، ومدة السين والشين؛ ولأئسر الجيم وأختاها والذات وتدوير رؤوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة.

قال: وكل ردة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم.

- قال: ويجب أن تكون المَطَّات الطويلة بين القلم اليمنى مُسْتَطَاة مَمَالَة، فتكون المَطَّة من رأس شَظِيفَتِهَا، وأن تُكْتَبَ المَدَّات القصيرة بحرف القلم؛ وإذا آبتدأ بالمدة وجب أن يدار القلم على سنه مثل مَطَّة الطاء؛ وإذا وُصِلَت المَطَّة بحرف مثليها كُتِبَتْ بوجه القلم مثل مَطَّة الفاء المفردة. ثم قال: وهذا من أعظم أسرار الكتابة.

الجملة الثانية

في تناسيب الحروف ومقاديرها في كل قلم

- ١٠ قال صاحب "رسائل إخوان الصفا" في رسالة الموسيقى منه: ينبغي لمن يرغب أن يكون خطه جيذاً وما يكتبه صحيح التناسب، أن يجعل لذلك أصلاً يبنى عليه حروفه، ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه في حروفه، لا يتجاوز ولا يقصر دونه.

- قال: ومثال ذلك في الخط العربي أن تخط ألفاً بأى قلم شئت، وتجعل غلظه الذى هو عرضُه مناسباً لطوله وهو الثمن، ليكون الطول مثل العرض ثمان مرات. ثم تجعل اليركاس^(١) على وسط الألف وتدير دائرة تحيط بالألف لا يخرج دورها عن طريقه، فإن هذا الطريق والمسلك يوصلان إلى معرفة مقادير الحروف على النسبة، ولا تحتاج في مقاييسك ما تقصده إلى شئ يخرج عن الألف وعن الدائرة التي تحيط به. فالهاء وأختاها — كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحها إذا اضيققت إليه سنها مساوياً لطول الألف، فإن زاد شئ وإن قصر قبح؛ ومقدار ارتفاع سنها

(١) البركار: آلة ذات سافين ترسم بها الدوائر.

- وجميع السنين التي في السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف .
والجيم وأخواتها - مقدار مدتها في الابتداء لا يقصر عن نصف طول الألف .
وكذلك يجري الأمر في العين ، والغين ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد
والراء ، والزاي ، كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة .
والدال ، والذال - كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أزيل الارتفاع
الذي فيها وأعيدت إلى التسطیح لا يتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .
والسين ، والشين - كل واحدة منهما يجب أن تكون سنّها إلى فوق مثل مقدار ثمن
الألف ، وفي العرض بمقدار نصفها ، وفي التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .
والصاد ، والضاد - مقدار عرض كل منهما في مدها مثل مقدار نصف
الألف وفتحة البياض فيها مقدار ثمن الألف أو سدسها ، وتعريفها إلى أسفل مثل
نصف الدائرة المحيطة بالألف .
والطاء ، والظاء - كل واحدة منهما في ناحية يجب أن يكون مقداره مثل
مقدار جميع طول الألف وعرضه مثل نصف الألف .
والعين ، والغين - كل واحد منهما مقدار تقويمه في العرض مثل نصف
الألف أو مثل الألف إذا أعيدت إلى التسطیح وأزيل تثنيّه ، وتقويمه من
أسفل مثل نصف محيط الدائرة .
والفاء - يجب أن يكون تسطيحه إلى قدام بعد الطالع منه من فوق مثل طول الألف .
وحلقته وحلقه الواو والميم كلّها إلى فوق مثل سدس الألف ، وإلى أسفل في الميم
والواو مثل الراء .
والغاف - تقويمها من فوق ينبغي أن يكون مثل سدس طول الألف ،
وتعريفها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف — ينبغي أن يكون الأعلى منها طول الألف، ونحوها الباء تن
داخلة مثل سدس طول الألف، وتسطيحه من أسفل مثل أعلاه وكسبرته إلى
فوق مثل نصف طول الألف .

واللام — يجب أن يكون مقدار طول قائمتها مثل الألف، ومذتها إلى قدام
مثل مقدار نصف الألف .

والنون — يجب أن يكون مقداره مثل نصف محيط الدائرة .
والباء — ينبغي أن يكون مبدؤه دالا مقابو لا تتجاوز مقدار طول الألف،
وتعريفها إلى أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

ثم قال : وهذه المقادير وكيفية نسبة بعضها إلى بعض هو ما توجهه قرائن الهندسة
والنسبة الفاضلة، إلا أن ما يتعارفه الناس ويستعمله الكتاب على غير ذلك .
وقد أشار الشيخ عماد الدين بن العفيف إلى ضوابط في ذلك على ما تقتضيه
أوضاع الكتاب يجب الوقوف عندها فقال :

وأعلم أن مقادير الحروف متناسبة في كل خط من الخطوط .
وأعلم أن صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الأنباري في الفيتة قد جعل طول
الألف سبع نقط من كل قلم، ومقتضاه أن يكون العرض سبع الطول .
ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد في الطول، وما كان ناقصا عن ذلك
فهو ناقص، وعلى ذلك تختلف المقادير المقدرة بالألف من الحروف بنقص قدر
الغن من الطول .

فالألف واللام قدر سواء في كل خط : كذلك الباء وأختاها، والجيم وأختاها،
والعين والهاء قدر سواء، والنون، والصاد، والضاد، والسين، والشين، والفاء،
والباء الموحدة قدر سواء، والراء، والزاوي، واليم، والواو قدر سواء .

قال : وكل عرافة بدأت بها في كل خط ما فعل مثلها يكون آتياؤها .

ثم نال : فتفهم هذا القدر فإنه كثيرا ما يختلط على الكتاب الخُداق .

وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :

أحدها — ما هو متناسب الطول ، وهو خمس صور : صورة الألف ، وصورة اللام ، وصورة القاف ، وصورة الراء ، وصورة الكاف ويجمعها قولك : ”الفنك“ وفرع عليها أربع صور يجمعها قولك : ”بت مى“ .

الثاني — ما يميز مده من أول السطر إلى آخره وقصره ما شاء ، ما لم يقصر عن طول الألف ، وهى الباء ، والكاف ، واللام ، ويجمعها قولك : ”بكل“ ويتفرع عليها أخواتها .

الثالث — ما هو متناسب في المفسد ، وهو ثلاث صور ، يجمعها قولك : ”دبل“ .

والمنكب من الدال والمستلق منها والمنسطح والمستلق منها والمنكب من الباء بمقدار نصف ألف خطه .

الرابع — ما هو متناسب المساحة في حال العطف والإرسال : وهى القاف ، والسين ، والباء ، والياء ، والضاد ، ويجمعها قولك : ”قبس بض“ وكل أخت تُلحق بأختها .

الخامس — ما هو متناسب في الإرسال وهو المنيب ، والواو ، والزاي ، ويجمعها قولك : ”موز“ .

السادس — ما هو متناسب في الضو والإرسال ، وهو ست صور ، هى الفاء ، والقاف ، والهاء ، والميم ، والواو ، واللام ألف ، ويجمعها قولك : ”فقه مولا“ .

السابع — ما هو متناسب ضوء الباطن ، وهو ثلاث صور : الصاد ، والطاء ،
والعين وأخواتها .

الثامن — ما هو متناسب الرؤوس ، وهو ثلاث : الصاد ، والعين ، والطاء ،
ويجمعها قولك : ”صمط“ ويُلقب بها أخواتها .

التاسع — ما هو متناسب في التعرّيج ، وهو العين ، والجيم ، ويجمعهما
قولك : ”عج“ .

الجملة الثالثة

فيما يجب اعتياده لكل ناحية من نواحي القلم

فقد تقدم في الكلام على راية القلم أن للقلم سناً أيّناً وسناً أيسراً ، وعرضاً ،
ووجهاً ، وصندراً ، وأنه يتعين على الكاتب معرفة كلّ واحد منها ، يُعطى كل واحد
منها حقه في الموضع الذي يقتضيه الحال . وقد ذكر السمرقاني في أرجوزته جملاً
كلية إذا عرفها الكاتب سهّل عليه ما يرومه من ذلك فقال :

”إن كلّ خط منتهى الشكّل كالآلف ونحوه يجب في كتابته الاعتقاد على سنى
القلم جميعاً ، وكلّ خطٍ آخذ من اليمين إلى اليسار يجب إمالة القلم فيه إلى اليسار شيئاً
يسيراً ، وكلّ خطٍ آخذ من اليسار إلى اليمين يجب إمالة القلم فيه إلى اليمين شيئاً يسيراً ،
وكل نقطة يعتمد فيها بسنّه جميعاً ، وكل شطبة فإنها تُختلّس بسنّه اليمنى اختلاصاً ،
وكل إمالة تعقب كما في الجيم والعين يُعتمد فيها على السن الأيسر ، وكلّ تعدير كما
في النون يكتب بالسنّ اليمنى“ .

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

إنّ لسنّ الأيمن الألف واللام ، ورفعة الطاء ، والنون ، والباء ، والكاف إذا كانت
فائضة مبتدأة ، وأواخر التعريقات والمدّات ، وطَبقة خطه الصاد والضاد المستقلة ،

وبدء السين والشين . وللس الأضمر الجيم وأختيها ، والذات ، وتدوير رؤوس
الفاءات والماءات والواوات والكافات المشكولة^(١) . ثم قال : وكل ردة من اليسار
إلى اليمين تكون بصدر القلم .

الجملة الرابعة

في الترويس

والذي يدخله الترويس في الجملة الألف ، والباء ، والجيم ، والدال ، والراء ،
والطاء ، والكاف ، واللام المجموعة ، ويختلف الحال في ترويسها وعدمه باختلاف
الأقسام .

فما ما يروس حتماً ، ومنها ما يمتنع فيه الترويس ، ومنها ما الكاتب فيه بالخيار
بين الترويس وعدمه ، وربما رؤس بعض الحروف في بعض الأقسام ولم يروس
في بعضها . ثم قد ذكر أهل الصناعة أن ترويس الألف كسبعة . وذهب ياقوت
إلى الزيادة على ذلك ؛ وترويس الباء وأختيها بتدوير نقطتين ؛ وترويس الجيم بقدر
نصف نصبها ؛ وترويس الصاد والطاء كالسين ؛ وترويس الفاء والتاف كالبيهاء .
وصيأتي الكلام على ترويس كل حرف منها في قلمه إن شاء الله تعالى .

الجملة الخامسة

فما يطعس من الحسرف ويفتح

وهي المعبر عنها بالعقد ، وهي صورة الصاد ، والطاء ، واليمين ، والفاء ، والقاف ،
والميم ، والماء ، والواو ، واللام ألف المخففة ، ويختلف الحال فيها :

(١) في الأصل : « المشققة » وما أتيته من التعريف عن أشكال حروف الآتين في هذا الفرع .

فمنها ما لا يُطَمَس بحال، وهي : الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين المفردة والمبتدأة وأختها .

ومنها ما يطمس في بعض الأقلام دون بعض وهي : العين المتوسطة ، والعين الأخيرة؛ وكذلك الفين، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف وسيأتي الكلام على ما يُطَمَس ويفتَح من ذلك في كل قلم عند ذكره .
ثم الطمس فيما يُطَمَس منها على سبيل الجواز لا على سبيل الزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع في ذلك إلى قانون مضبوط، وهو أنه كُلُّمَا غُلِظَتِ الأقلام كان الطمس فيها على خلاف الأصل، وكُلُّمَا رَقَّتْ كان الفتح فيها على خلاف الأصل، وذلك أننا عدَلْنَا عن الفتح إلى الطمس لأجل التلطيف.

الجملة السادسة

١٠

في ذكر الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء في زماننا

وسيأتي في المقالة الثالثة في الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام ، أن المغز الشهابي بن فضل الله ذكر في ذلك خمسة أقلام ، وهي : مخنصر الطومار، والثُلث، وخفيف الثُلث، والتوقيع، والرقاع .

فمخنصر الطومار لقطع البعداء الكامل ، والثُلث لقطع الثلثين ، وخفيف الثلث لقطع النصف، والتوقيع لقطع الثلث، والرقاع لقطع المادة .
ويلحق بالخمسة التي ذكرها ثلاثة أقلام آخر، وهي : الطومار الكامل، والمحفق، والغبار .

فالطومار — يكتتب به السلطان علاماته على المكتبات والولايات ومناشير الأقطاع .

٢٠

والحقق — أَسْتَحْدِثْتُ كِتَابَهُ فِي طَعْرَاوَاتِ كُتُبِ الْقَائِنَاتِ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ

فِي مَوْضِعِهِ .

وَالْقُبَارُ — يَكْتُبُ بِهِ بِطَانَتِي الْحَمَامِ وَالْمَلَطَقَاتِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا .

وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ الْمُسْتَعْمَلُ بِدِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي الْجُمْلَةِ ثَمَانِيَةَ أَقْلَامٍ : الطُّومَارُ ، وَخُمْصَرُ الطُّومَارِ ، وَالثَّلْثُ ، وَخَفِيفُ الثَّلْثِ ، وَالتَّوْقِيعُ ، وَالرَّقَاعُ ، وَالْحَقِّقُ ، وَالْقُبَارُ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْكُتَّابُ فِي تَسْمِيَةِ قَلَمِ الثَّلْثِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَقْلَامِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْكُتُوبِ كَالثَّلَثِينَ وَالنَّصْفِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ :

المذهب الأول — مَا نقله صاحب "منهاج الإصابة" عن الوزير أبي علي بن مقلة : أَنَّ الْأَصْلَ فِي ذَلِكَ أَنَّ لِقَطْعِ الْكُوفِ أَصْلَيْنِ مِنْ أَرْبَعِ عَشْرَةِ طَرِيقَةٍ ، هُمَا لَهَا كَالْحَاشِيَيْنِ ، وَهَمَا : قَلَمُ الطُّومَارِ ، وَهُوَ قَلَمٌ مَبْسُوطٌ كُلُّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُسْتَدِيرٌ . قَالَ : وَكَثِيرًا مَا كُتِبَ بِهِ مَصَاحِفُ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ . وَقَلَمُ غُبَارِ الْحَلِيقَةِ ، وَهُوَ قَلَمٌ مُسْتَدِيرٌ كُلُّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُسْتَقِيمٌ ، فَالْأَقْلَامُ كُلُّهَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْمُسْتَدِيرَةِ نِسْبًا مُخْتَلِفَةً ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ الثَّلَاثُ سَمِيَ قَلَمُ الثَّلْثِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ الثَّلَاثَانِ سَمِيَ قَلَمُ الثَّلَثِينَ ، وَعَلَى ذَلِكَ أَقْتَصَرَ صَاحِبُ "مَنْهَاجِ الْإِصَابَةِ" .

المذهب الثاني — مَا ذهب إليه بعض الكُتَّابِ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْلَامَ مَبْسُوبَةٌ مِنْ نِسْبَةِ قَلَمِ الطُّومَارِ فِي الْمَسَاحَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَلَمَ الطُّومَارِ الَّذِي هُوَ أَجْلُ الْأَقْلَامِ مَسَاحَةُ حَرَضِهِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ الْبُرْذُونِ كَمَا سَيَأْتِي ؛ وَقَلَمُ الثَّلْثِ مِنْهُ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةٍ ، وَهُوَ ثَمَانِ شَعْرَاتٍ ، وَقَلَمُ النِّصْفِ بِمَقْدَارِ نِصْفِهِ ، وَهُوَ اثْنَانَا عَشْرَةَ شَعْرَةً ؛ وَقَلَمُ الثَّلَاثِينَ بِمَقْدَارِ ثَلَاثِيهِ ، وَهُوَ ثَمَانٌ وَعَشْرَةُ شَعْرَةٍ . وَإِلَى ذَلِكَ كَانَ يَذْهَبُ بَعْضُ مَشَائِخِ الْكُتَّابِ الَّذِينَ أَدْرَكَاهُمْ ، وَطَلَبَهُ أَقْتَصَرَ الْمُؤَلِّفُ زَيْنُ الدِّينِ شُعْبَانَ الْآخَرِيَّ فِي أَلْفَيْتِهِ .

(١) الْقَائِنَاتُ : جَمْعُ قَائِنٍ : أَمْرٌ عِلْمٌ لِلْمَلِكِ التُّرْكِيِّ ، قَوْلُهُ : هُوَ خُمْصَرُ خَافَانَ (رَاجِعْ فَرَحَ الْقَامُوسِ مَادَّةُ قَبِ) .

وهذه صور حروف الإقلام السبعة التي تستعمل في ديوان الإنشاء ولوازمه
وهي : الطومار، ومختصره، والثلاث، وخفيف الثلاث، والرقاع، والحقق، والغبار
في حاشي الأفراد والتركيب .

الْقَلَمُ الْأَوَّلُ

قَلَمُ الطُّومَارِ

- بإضافة قلم إلى الطومار؛ والمراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل
عمله، وهو المبرهنه في زماننا بالفرخة؛ فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه .
وقد تقدم أنه قلم جليلٌ قلَّدَّ الكُتَّابُ مساحةَ عرضِه بأربع وعشرين شعرةً من شعر
اليزدُون؛ وبه كانت الخلفاءُ تكتبُ علاماتهم في الزمن المتقدم في أيام بني أمية قن بعدهم .
- ١ فقد حكى أحمد بن إبراهيم الدورقي في مناقب محمد بن عبد العزيز أن محمد بن
عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت
مال المسلمين؛ وبالضرورة فلا يكتب في الطومار إلا بقلم الطومار؛ وهذا دليل على
أنه كان موجوداً فيما قبله، وأظنه من الأمور التي رتبها معاوية بن أبي سفيان،
إذ هو أوَّل من قور أمور الخلافة، ورتب أحوال الملك، وبه استقرت كتابة ملوك
١٥ الديار المصرية من كُدن السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" وعلم جراً
إلى زماننا .

- قال صاحب "ميناخ الإصابة" : ويكون من لب الجريد الأخضر، ويؤخذ منه
من أعلى الفتحة ما يسع رؤوس الأنامل . قال : ويمكن أن يكون من القصب الفارسي .
قلت : والذي استقر عليه الحال في كتابة اليهود بالديار المصرية بقصب البوص
٢٠ الأبيض الغليظ الأنايب؛ ينتقى قصبه من جزائر الصعيد بالوجه القبلي؛ وفي كل سنة

ويُؤتى بها فتحفظ عند كاتب السر ويُرى منها ما يحتاج إليه في كتابة السلطان ويوضع في دواته بقدر الحاجة . قال في " منهاج الإصابة " : ولا بد فيه من ثلاثة شقوق أو أكثر بقدر ما يحتاج إليه في تحّ القلم الجير في القرطاس . وأعلم أن للكتاب فيه طريقتين :

أحدهما — طريقة الثلث ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى التقوير .

والثانية — طريقة المحقق ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى البسط دون التقوير ، وسيأتى إيضاح الطريقتين وكيفية تشكيل حروفهما فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر السرّمرى في أرجوزته اختصاص قلم الطومار بأمور :

أحدها : أن مستدراته كلها تكون بوجه القلم ، والمذات بسنه ، والتعاريق بوجهه مغتلا فيها على اليمن .

الثاني : أن الميم منه تكون مفتوحة مدوّرة . والفاء والقاف فيه أوساطها محدّدة وجنبتها مدوّرة .

الثالث : أن يكون البياض بين الأحرف كمثل بين السطور .

الرابع : أن يكون الفضل من جانبي القرطاس متساويا في المقدار .

الخامس : ألا يكون فيه صاد مدوّرة ولا كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآتارى في ألفيته : أنه يدخل فيه الترويس

في الألف ، والباء ، والجيم ، والدال ، والراء ، والطاء ، والكاف المجموعة ، واللام ،

والتون في الأفراد والتركيب عند الابتداء وأنه لا يميز فيه الطمس في شيء من عقده

كالصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والراء ، واللام ألف المحققة

بحال ، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

(١) أصلنا في هذه الصفحة بعض كلمات مطبوعة استدركت في نهاية الجزء السادس من هذا الكتاب

من نسخة محفوظة في بعض المكتبات الأهلية .

وهذه صورة كتابة اسم السلطان في المكاتب والولايات وغيرها منسوبا للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة ما يكتب في جليل المكاتب

الحج محمد

صورة ما يكتب في متوسطات المكاتب

والسجل

صورة ما يكتب في صغار المكاتب

محلى

وهذه صورة كتابة العلامة على المنشير للإقطاع لمن علامته
 "الله أملي" بياء راجعة

الله أملي

القلم الثاني

قلم مختصر الطومار

بإضافة قلم إلى مختصر ، وربما قيل فيه مختصر الطومار بحذف المضاف ؛ وهو الذى يكتب به فى قطع البغدادى الكامل .

- وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الاثرى فى ألفيته : أن مقدار مساحته ما بين كامل الطومار وبين قلم الثلثين ، وحيث أن يكون مقداره ما بين عرض ست عشرة شعرة من شعر البرذون وبين أربع وعشرين شعرة ؛ والحامل له على ذلك أن أصل ما وضعوه من الأفلام المنسوبة لكثير من الكسور قلم الثلثين ، وهو عرض ست عشرة شعرة ؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هذا المقدار ، لعبروا عنه بقلم الثلثين دون مختصر الطومار ، فتعين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل ، فيكون ما بين عرض ثمان عشرة شعرة وعرض أربع وعشرين شعرة .

- ثم هذا القلم يجوز أن يكتب به على طريقة الثلث فى الميل فى حروفه إلى التقوير وعلى ذلك يكتب ثلث ديوان الإنشاء فى عهد الملوك عن الخلفاء ، والمكتبة إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق . ويجوز أن يكتب به على طريقة المحقق فى الميل فى حروفه إلى البسط كما فى الطريقة الثانية من قلم الطومار ، وسيأتى ذكر تشكيل الثلث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى أن هذا القلم بالنسبة إلى الترويس وعدم الطمس على ما تقدم فى الطومار لوقوه به فى الجلالة وسعة مساحة العرض .

والمادة مسورة كتابه

هنا على امر

الملك

القلم الثالث

قلم الثلث

بإضافة قلم إلى الثلث، ويقال فيه الثلث بجذف المضاف وهو الذى يُكْتَب به
في قطع الثلثين .

وقد تقدم اختلاف الكُتَّاب في نسبته هل هو باعتبار التقوير والبسط، أو باعتبار
أنه ثلث مساحة الطومار، من حيث إن عَرْض الطومار أربع وعشرون شعرةً من
شعر الرِّدْوَيْن، وعَرْض الثلث ثمانُ شعرات وهى الثلث من ذلك؛ وقطعة هذا القلم
عزفة؛ لأنه يحتاج فيه إلى تشعيرات لا تتأق إلا بحرف القلم، وهو إلى التقوير أميل
منه إلى البسط، بخلاف المحقق على ما سياتى ذكره، والترويس فيه لازم .

وقد ذكر المولوت زين الدين شعبان الآتارى في الْفَيْتِيَّة: أنه برّس فيه من الحروف
الألف المفردة، والجيم وأختاها، والطاء، والكاف المجموعة، واللام المفردة، والسنة
المبتدأة، وعقده من الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين وأختها، والفاء، والقاف،
والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحقة كلها مفتحة لا يجوز فيها الطمس بحال .
وهو على نوعين :

النوع الأول

الثلث الثقيل

وربما قيل فيه ثقل الثلث، وهو المقدرة مساحته بثمان شعرات على ما تقدم
ذكره، وهذه صُورَه مفردة ومركبة :

الألف على ضربين : مفردة ومركبة، فالمفردة على ثلاثة أنواع :

الأول — الألف المطلق

ا

وطريقه : أن تبتدى فيه بصدر القلم من قفا الألف ، ثم تصعد إلى هامتها فإذا بلغتها نزلت بعرض القلم إلى وجهه ، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا في نزولك على السن البنى حتى إذا بلغت شاكلة الألف أدركت القلم برفق حتى تختمه بحرفه .

الثاني — المشمر

ج

وطريقه : كالدى قبله إلا أنه إذا جئت آخر الألف عطفت ذنبها ويكون موصولا بغيره ، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .

الثالث — المحزون

ح

وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه على تحريفه وتنزل به مستويا ، حتى إذا بلغت شاكلته أدركت حرف القلم على ما مضى من الشرط في المطلق والمشمر .

الضرب الثاني

المركب مع غيره من الحروف

ولا يكون إلا طرفاً أخيراً، إذ لا يوصل بما بعده، لأن الألف مطية يُركب عليها ولا تتركب؛ وطريقه أنك تصعد به بمد تمام الحرف الذي قبله بصدر القلم عكسا لتزولك بالألف المحزف، فإذا بلغت هامة الألف وقفت بالقلم حتى يكون بمنزلة رأس الألف المحزف.

وكذلك يفعل في اللام الطالع، وهذه صورته :

الطالع

ل

الصورة الثانية

صورة الباء

وهي على ضربين

الضرب الأول

المفردة

وهي ثلاثة أنواع : مجموعة، وموقوفة، ومبسوطة . ولك في ابتدائها في الثلاث الصور وجهان : إن شئت بدأت من قفاها بشعيرة على ما مضى من صفة الألف المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن، وإن شئت بصدر القلم . ثم لكل صورة منها طريقة تخصها .

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتى إذا بلغت قنلة الباء
وهى الإدارة الخلفية التى تجمع بين الخط القائم والمبسوط ، فبليت القلم ومططت الباء
بصدره ، حتى إذا صرت إلى آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، وتثرت يدك برفق
حتى ترفع ذنب الباء ، حتى يحمى رأسها فى نهاية الدقة .

المجسورة



وأما المرقوفة : فطريقها كطريق المجموعة فى جميع ما تقدم ، إلا أنك إذا بلغت
المكان الذى ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقفت فيه بمرض القلم فتأتى مطة مخزنة
كتحريف القلم .

المرقوفة



وأما المبسوطة : ^(١)

المبسوطة



[المرحكة^(٢)]

وأما المركبة : فعلى نوعين : متوسطة ، ومتطرفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما — أن يكون قبلها وبعدها مثلها ، فتكون الوسطى مرتفعة على أخواتها .
وإذا رفعتها أكثر من أخواتها ، رجعت فى خط يلاصقها . وهذا فى كل حرف صغير
كالنون ، والباء ، والتاء .

الثانى — ألا يكون قبلها وبعدها مثلها ، فهى كاحدى السنوات .

(١) لم يتكلم عليها (٢) زيادة ينقضها السياق .

وأما المتظرفة ، فلها حالان أيضا :

أحدها - أن تكون مبتدأة ، وهى التى تكون فى أول الكلمة ، فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحذرا من يمينك إلى يسارك ، وهى تصحب الجيم وأختها .

الثانى - أن تكون فى آخر الكلمة ، وتكون محذوفة الرأس للتركيب كراس السين المبسوطة ، وتكون صورة مدتها كصورة المفردة سواء فى جميع أحوالها :
فى الجمع والبسط والوقف ؛ وهذه صورها :



الصورة الثالثة

صورة الجيم وما شاكلها

وهى على أربعة أضرب : مرسلة ، ومسبلة ، ومجموعة ، وملوزة ؛

وآيتداء جميع الصور على وجهين ، من رأسها ومن جبهتها .

فأما المبتدأة من رأسها فيخبر الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جزأ ، وإن شاء جعلها مشعرة ، فإنها يبدأ فيها بصدر القلم ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن ، والمشعرة يحطفها بحرف القلم أو يصدره على ما مضى ؛ فإذا بلغت جبهتها أدرت بغيرت بوجه القلم ، وأنت فى الجزة بالخيار ، إن شئت جئت بها على خط مستقيم ، وإن شئت رطبها شيئا يسيرا ؛ فإذا بلغت قفاها ، كنت أيضا بخيرا : إن شئت رجعت فى الخط الذى جئت فيه ، وإن شئت رجعت فى خط تحتها بلا صفة بصدر القلم ؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدرت القلم على تحريفه فزلت بعرضه حتى إذا

بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم ، ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازي
لجبهتها ، كما لا يجوز أن يخرج طرف ذنبها عن الخط الموازي لقفها ، حتى لو نصب
عليها خطوطا لناسبت أعالها أسافلها ، وهذه صورتها :

مفردة مرسلّة



وأما المسبلة : فإنها كالمرسلّة في الصورة والصفة ، والفرق بينهما أنك في المرسلّة
إذا بلغت الصدر وتزلت فيه ، أسبلت ذنبها ، وهذه صورتها :

مفردة مسبلة



١٠. وأما المجموعة : فإنها كالمرسلّة أيضا في جميع أوصافها ويزيد عليها أنك إذا وفيت
بها على ما مضى من صفة المرسلّة رددت ذنبها على عجزها فصارت هناك دائرة ،
وهذه صورتها :

مفردة بمجموعة



وأما الملوّزة : فإنها لا تكون إلا قبل الألف . وطريقها أن تبدأ بعرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر ، فإذا بلغت جبهة الجيم ، جررت بوجه القلم جرة مبطنة حتى يصير البياض الأوسط لوّزةً محققةً وترفع الألف مع جبهة الجيم وتبقى تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم ، وهذه صورتها :

مبتدأة مركبة ملوّزة

ح

وزاد المتأخرون صورة أخرى نسمى الرقاء ، وصورتها أنك تبدئي برأس واو من واوات الثالث مفردة ، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من نقط الخط ، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدم ذكره على الثلاث الحالات المتقدمة في الباب ، وهي : المرسلّة والمسبلة ، والمجموعة ، وهذه صورتها :

وتقاء مجموعة

ح

وتقاء مسبلة

ح

وتقاء مرسلّة

ح

وزاد المتأخرون صوراً أخرى في التركيب ، وهي ثلاث : أولى ، ووسطى ، وأخيرة .

أما الأولى : فأبتداء العمل فيها كابتداء العمل في الثلاث الحالات الأولى ، ثم تكل بالحرف الذي تريد ، وهذه صورتها :

مركة مبتداء محففة

ح

ونارة تكون ملوزة وهي التي نصحب الألف وما شابهها كالدال ، واللام ، واللام ألف ، وقد صوروها مع الألف فتقاس على ما عداها .

وهذه صورتها مع اللام ؛ وهذه صورتها مع اللام ألف ؛ وهذه صورتها مع الدال :

١٠	مركة مبتداء ملوزة مع شبه الألف	مركة مبتداء ملوزة مع شبه الألف	مركة مبتداء ملوزة مع شبه الألف
----	-----------------------------------	-----------------------------------	-----------------------------------

ح حلا حد

وأما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل في المبتداء المحففة المركبة كما تقدم ولكن بغير ترويس ؛ وهذه صورتها :

مركة متوسطة محففة

ح

وأما الأخيرة : فالعمل فيها كالعدل في الثلاث الحالات الأول : المرسلة ،
والمسبلة ، والمجموعة ، ولكن بغير ترويس ، وهذه صورها .

مركة مخنثة بمجموعة

مركة مخنثة مسبلة

مركة مخنثة مرسلة



الصورة الرابعة

صورة الذال وأختها

وهي على ضربين : مفردة ، ومرصعة

الضرب الأول

المفردة

ولها صورة واحدة ، وهي شكل مُثلَّث على زاوية واحدة ، ويجمع طرفها جميعاً
يسمياً ، وهذه صورتها :

مفردة



الضرب الثاني

المركبة

ولما أربعة أشكال : مجموعة ، ومبسطة ، ومخطوفة ، ومقطوفة .

أما المجموعة : فإنك ترفعها بعد فراغك من الحرف الذي قبلها ، ولك في ذلك مذهبان :

أحدهما — مذهب الوزير أبي علي بن مقلة .

والثاني — مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب ، وطريقه أن ترفعها مائلا إلى اليسار ميلا خفيفا .

ثم على كلا المذهبين ترجع بخط يلاصق الخط الذي صعدت به وبظهر القطعة في الانتهاء ، وتأتي بالعراقة على شكل عراقة الدال المفردة في الجمع ، وهذه صورتها :

مجموعة مركبة

لد

وأما المبسطة : فحكما في جميع صفاتها حكم المجموعة ، إلا أنك إذا نزلت في المبسطة إلى العراقة وفتلتها ، أرسلت العراقة بعرض القلم ، وهذه صورتها :

مركبة مبسطة

لد

(١) لم يبين طريقه ، ولعله سقط من قلم النسخ لحر .

وأما المخطوفة : فهي كالمجموعة أيضا ، إلا أنك تحطفها بحرف القلم وتختتمها بأدق ما تهدر عليه من النحافة ؛ وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة



وأما المقطوفة : فهي كالمخطوفة ، إلا أنك عد الفتلة تُبقى لها ذنباً صغيراً بحرف القلم ؛ وهذه صورتها :

مركبة مقطوفة



الصورة الخامسة

صورة الراء وأختها

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها ثلاثة أشكال : مجسوة ، ومبسوطة ، ومقورة ؛ وأبداؤها في جميع الصور على وجهين :

أحدهما — أن تبدأ من قفاها صاعداً إلى هامتها ثم تنزل إلى وجهها

والثاني — أن تبدأ بها حقاً من رأسها ، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن بن

البزواب .

ثم لكل واحدة منها بعد ذلك عمل يخصها . فأما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل على خط الاستواء ، يقدر ريعها ، ثم تدير القلم وتبدأ في المرافقة بصدر القلم ، ويكون ترتيبك إياها أكثر صبا من الباء المفردة قللاً ، فإذا عرفت مثلي ما زلت به أولاً على خط الاستواء ثرت بذلك بالقلم إلى فوق وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون ختمها بسن القلم اليميني ، وهذه صورتها .

مفردة بمجموعة



وأما المبسوطة : فطريقها أن تنزل بها على ما ذكرناه ، ونرسل ما عرفت منها على ما تقدم في الدال المجموعة وتنقص منها الشرة الأخيرة ، ونحذف طرفها ، وهذه صورتها .

مفردة بمبوطة



وأما المقفورة : فطريقها أن تنزل بأقل مما ذكرناه شيئاً يسيراً ، وهذه صورتها :

مفردة مقفورة



الضرب الثاني

المركبة

ولها أربعة أشكال : مخطوفة، ومطوفة، وبراء، ومدغمة

فأما المخطوفة : فهي كالمقصورة في الصورة ، غير أن مراقبتها بحرف القلم ؛
وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة

س

وأما المقطوفة : فإنك تبقى لما قُتِبَ صغيرا ؛ وهذه صورتها :

مركبة مقصورة

س

وأما البراء : فإنك تقطفها من الثلاث فتحذف ثلثها وتبقى بها مستدقة الطرف ؛
وهذه صورتها :

مركبة مبطونة

عس

وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتقبل بعد المد ، وسميت مدغمة مجازا
والأحرف الذي قبلها هو الذي يدغم فيها ، لكنهم لما حذفوا منها شيئا لقبوها بذلك ؛
ولا بد أن تحذف من الحرف الذي قبلها شيئا من آخره وتحذف منها شيئا من أولها .

وتُنقَى من كل واحد منهما ما يدل عليه، وهذه صورتها :

مركبة مدغمة



الصورة السادسة

صورة السين

وحكمها في حالتى الأفراد والتركيب سواء، غير أنها في حالة الأفراد تزيد العرافة، وعرافتها كعرافة النون في الجمع والبسط والتفوير، وسيأتى الكلام على ذلك في حرف النون إن شاء الله تعالى .

ثم هي على نوعين : محققة، ومعلقة .

فأما المحققة : فلها شكلان : مُظهرة، ومدغمة .

فطريق المظهرة أن تبدأ بوجه القلم ثم تدبر القلم منها إلى آخرها إدارة لطيفة في نهاية الاعتدال ، وتحذف رأس الثانية بسن القلم اليمنى ، ويكون الذى بين الأولى والثانية أقل مما بين الثانية والثالثة ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البواب . وإذا كان قبلها شئ يكون سواء، ويجوز أن تكون مصدرة مقلوبة ، وهذه صفتها :

محققة مظهرة



وأما المعلقة : فصفتها أنك تحذف السين حذفاً وتقيم جزءاً مقامها، وتبدئها بوجه القلم حاملاً إلى آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة، فإن كانت متوسطة، فالأولى أن تكون محققة، ولا بد من جزأ فوق المعلقة تقطت أولم تنقط؛ وهذه صورتها :

مبتدأة معلقة



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف، ولا تكون قبل الصاد والعين والكاف المتزاة، وقيل إنها لم ترف خط أبين البواب إلا منردة .

الصورة السابعة

صورة الصاد

والكلام في عراققتها كالكلام في عراقفة السين : من الجمع، والبسط، والتقوير؛ وسيأتى الكلام على ذلك في حرف النون .

نعم لا تكون عراققتها إلا حديدية الطرف في جميع صورها، ولا يجوز فيها الوقف بحال، أما نفس الصاد فلها شكل واحد، وهى تقارب التلويزة. وللناس فيها مذهبان : الأول إظهار مبدأ الصاد تحت رأس العراقة، والانترإخناؤه؛ وفي كلا المذهبين لا بد من ظهور رأسها شيئاً يسيراً، فإن كانت متوسطة، فيكون رأسها بحرف القلم

محدد الطرف . وإن كانت مفردة أو منتزعة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم .
وإذا ركبت على خط قبلها ، لا يكون خطا على خط ولا يظهر أكثر من خط واحد ؛
وهذه صورتها .

محمدة

ص

الصورة الثامنة

صورة الطاء وأختها

وهي ثلاثة أنواع : موقوفة ، ومرسلة ، ومحققة

فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ بها على صورة الألف المطلق ، فإذا وجمت به ،
رجعت طالعا من تلقاء ذنب الألف حتى تقارب شاكلته ، فترجع إلى يمينك ،
فتركب عليه شكلا على صورة اللوزة ، وتخرج ذنب اللوزة من تحت الألف وتقف
عليه بمرض القلم فتظهر القطعة ؛ وهذه صفتها :

مفردة موقوفة

ط

وأما المرسلة : فهي على نحو ما تقدم في الموقوفة غير أن الجوزة السفلى هاهنا
مبطنة ، وفي الموقوفة على خط مستقيم ؛ وهذه صفتها :

مفردة مرسلة

ط

وقد اختلف الكُتّاب في رأس الطاء، فكان بعضهم يذهب أن يكون على طَرَف اللُّوزة من غير ركوب عليها، وهو أحد المذاهب فيها .

قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخي عن "طلى" كيف يكون وضع الياء فيها ؟ بحضرة جماعة من الكُتّاب ، فقال : تُكْتَب طاء جيدة بعدها ياء حسنة ، فقلت : الحمد لله الذى أبقى على جديد الأرض مَنْ يُحَسِّنُ صفة الخط بمثل هذا الضبط . فلما أردت الانصراف أشار إلى أن أجلس بفلسة حتى أنصرف القوم ، فقال : قد كنتُ سألتُ عنها شيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرغت من الطاء فأحذف رأس الياء وألصق قفا الياء بَدَنِبِ الطاء ، ثم تممها على مذهبك فى الياء أى شئت ، ولا تخرج صدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفت لوزة الطاء بقيت فى نهاية الصمحة إن كان بعدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا فى نهاية الكمال .

قال الشيخ أبو القاسم : فينبى أن يكون رأسها فى آخر اللوزة ، ولا يكون مركبا على ظهرها لأنه إذا تركب بطل هذا القياس .
وأما المحققة : فإنك تبدأ فيها على صورة اللام المبتدأة المعلقة ، ويأتى الكلام على ذلك فى حرف اللام إن شاء الله تعالى .
وأكثر ما تستعمل هذه الطاء إذا كانت مشعرة بالف قبلها وألف بعدها تستحسن ؛ وهذه صفتها :

منسطة بين فائمين

طا

وأعلم أنه لا بد للطاء من مدة قبلها تركب عليها، ويكون طرفها ينتهي إلى تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نقصان، ويجوز في طرف هذه المدة الجمع وعدمه، وكلا المذهبين حسن.

الصورة التاسعة

صورة العين وأختها، ولها حالتان

الحال الأول : ألا تكون متصلة بما قبلها، وهي على نوعين : ملوزة، ومرتبجة .
فأما الملوزة : فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف التلم في غابة الدقة، حتى إذا وصلت إلى هامتها، مكنت إدارة قلمك فصرت عاملاً بوجهه إلى قُحْدْوَةِ^(١) العين فتصير على صورة اللوزة، وتكون هذه العين قبل الهاء المدغمة، وهذه صفتها :

ملوزة

ع

وتكون أيضاً قبل هاء الرفع، وهذه صورتها :

ملوزة مع هاء الرفع

ع

- وأما المركبة : فهي مركبة من راءين محققة ومعلقة، وأبتدأها على ما تقدمت في الملوزة، غير أنك إذا صرت إلى هامتها وأردت القمَحْدُوَّةَ، زلت على خط مستقيم أو قريب من الاستقامة . والذي وجد يحط الأستاذ أبي الحسن بن البواب على (١) الفمودة لقصة : ما أشرف على القفا من عظم الرأس راحمة قوتها والقصد الودتها . والمراد هنا ظاهر .

الاستقامة؛ وهذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالآلف واللام وما جرى مجراهما، وهذه صفتها :

مركبة وتطبع

ا

وكثيراً من الكتاب يخلطونها مع ما قبلها كالجاءة والمضاعة ، فإنهم يردون من الألف إلى العين جزءة مبطنة يجعلونها غالبة العين ، وهي مستحسنة ، ولا يتد لها من ألف قبلها وحرف طالع بعدها ؛ وهذه صفتها :

مردودة ومنسكولة

ا

الحال الثاني : أن يكون قبلها شيء متصل بها، وتسمى المربعة، وهي هل نوعين : متزوجة، ومطموسة .

فأما المتزوجة : وتسمى المحققة ، فإنك إذا خرجت من الحرف الذي قبلها أتبعته خطاً محدودها مبطناً إلى يسارك بصدر القلم ، ثم حررت غالبة العين بوجه القلم ثم على الجزء الأولى جزءة تناقصها مثلها في القدر والمساحة بقطع الخط الأول ، ثم إن كانت معرقة عرفت . وإن كانت غير ذلك أتبعتها ما بعدها

وعلاوة صحتها أن تلتصق البيضاء الذي في وسطها فإن تأسبت زواياه فهو
في غاية الصحة وقد تم تركيبها، وإلا فتحرر حتى يصبح ما رسم، وهذه صفتها :
مربعة مفتوحة

عد

- وأما المطموسة، وتسمى المعلقة ولا تكون إلا في قلم التوقيعات والرفاع،
فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة، ولا يجوز فيها من العراقات غير المجموعة،
بذو صورتها :

معلقة مطموسة

عد

- ١٠ ثم إن كانت معزقة مفردة أو مركبة، فالعراقة على ثلاثة أنواع: مسبلة، ومرسلة،
ومجموعة، كعراقات الجليم .

- فأما المسبلة: فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف
الدائرة، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القمّحْدُوَّة، بل يكون كل واحد
منهما مساويا لما فوقه، غير زائد عليه ولا ناقص عنه. وكان الوزير أبو علي بن مقلة
رحمه الله يقول: "المرء على ترك شيء مما يعملُه أقدرُ منه على تكلف شيء لم يعتده"
١٠ ويأمر الطلبة بإخراج ذنُب العين من تحت صدرها، وهذه صورتها :

مفردة مسبلة

ع

وأما المرسله : فإنك تأتي بالعراقة نصف دائرة محققة ، وتأمل فيها من المسامحة
 ما وصف في المسيلة والمسيلة تكون حديدية الطرف ، والمرسله يجوز فيها التحديد
 والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب ، وهذه صورة التحديد ،
 وهذه صورة الوقف .

مفسدة مرسله

ع

وأما المجموعة : فإنها كالمرسله أيضا في جميع أوصافها ، وتزيد عليها أنك إذا وقفت
 بها على ما مضى من صفة المرسله ، رددت ذنبها على عجزها فصارت هنالك دائرة ،
 وهذه صفتها :

مفسدة بمجموعة

8

الصورة العاشرة

صورة الفاء

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فعل ثلاثة أقسام : مجموعة ، وبسطة ، وموقوفة ، وقد تقدم الكلام

- على هذه العرافات في حرف الباء ، فأعني عن إعادته هنا ، وهذه صفة العرافات الثلاث :

ببسطة

بموقوفة

بمجموعة



وأما المركبة : فإنها تكون مقلوبة ، وذلك أن يباؤها يكون الحاد نسه

في متنى الخطين اللذين يتقاطعان في ذهابها وبجيئها ، ويكون عريضه عند هامتها ،

وهذه صفة المتوسطة ،

١٠

متوسطة



الصورة الحادية عشرة

صورة الفاء

وهي على ضربين أيضا : مفردة ، ومركبة

١١

فأما المفردة : لحكم رأسها حكم الفاء ، وحكم عرافتها حكم النون ، وصتاني ، غير أنها

تكون مفردة ببسطة وهي مستحسنة بخلاف النون ، وهذه صفتها :

مفردة ببسطة



وأما المركبة : فإنها كالفاء في جميع ما تقدم ، فلا حاجة إلى تمثيلها .

٢٠

الصورة الثانية عشرة

صورة الكاف

وهي على ثلاثة أنواع : مبسطة، ومشكولة، ومعزاة ؛

ولكل واحدة منها موضع يخصها

فأما المبسطة : فتكون مفردة ومركبة، وإفرادها قليل ؛ والمركبة منها موضعها
الابتداءات والوسط، ولا تكون طرفاً أخيراً بحال ؛ وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم
من رأسها حتى ترد جبهتها فتخط غاليتها بوجه القلم وتقتل على هذا المنهاج إلى المطة
السفلى، وتمطها بصدر القلم وتقط ذنبها ؛ وتنوحي في غاليتها أن يكون على خط مستقيم
لتجعلها قابلاً للمطة السفلى ؛ واعتبار صحتها باعتبار البياض الذى في وسطها إذا استقام
استقامت ؛ وهذه صورتها في الإفراد والتركيب والابتداء :

مبسطة مبسطة

مبتدأة مبسطة

مفردة مبسطة

ك ك ك

وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة ؛ وموضعها الابتداءات والوسط، ولا تنفرد
الينة ؛ وتكون على هيئة شق لوزة فإن وصلت بالث أو لام تيننت ولا يخرج الحرف
الذى يكون بعدها من تحت رأسها أصلاً، لأن الكاف المبسطة والمشكولة لا يجوز

أن يأتي بعدها مدة ، وإنما سميت مشكولة للمزة التي عليها ؛ وهذه صورتها
في الابتداء وفي الوسط :

متوسطة مشكولة

مبتدئة مشكولة

ك ك

- وأما الممزة : فلا تكون إلا طرّفاً أحياناً وهي في الصورة والشبه كاللام المطلقة ،
والفرق بين اللام والكاف الممزة أن القائم من الكاف ثلث المبسوط ، والمبسوط
من اللام كالقائم فيها ؛ وهذه الكاف لا تجمع أبداً ، فإن مواضعها أواخر السطور ،
وهذه صفتها :

مفردة ممزة

ل

الصورة الثالثة عشرة

صورة اللام

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهي على نوعين : مجسومة، ومطلقة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من قفاها على نحو ما وصف في الألف المطلق، لأن الألف واللام يجريان على نظام واحد في كل خط لأنهما صاحبان ؛ كالباء والتاء ؛ والحاء والخاء ؛ والعين والغين . فإذا وصلت إلى شاكلته عرفت اللام عرافة أكثر حدوثاً من الباء، وجمعت ذنبها كما تقدم في حرف الزاء ؛ وهذه صفتها :

مطلقة

مجسومة

ل ل

الضرب الثاني

الركبة.

وهي على قسمين : محققة، ومبتدأة معلقة .

فأما المبتدأة المحققة : فهي كالمرسلة غير أنها محذوفة المطة لأجل التركيب،
وهذه صفتها :

مبتدأة محققة

ل

وأما المبتدأة المعلقة : فتتزل فيها بعرض القلم مائلا من يمينك إلى يسارك،
وهي تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف، وهي الجيم، والحاء، والخاء، ويكون
مبتدؤها يوازي قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلى العرقاة، وهذه صفتها : ١٠

مبتدأة معلقة

حا

الصورة الرابعة عشرة

صورة الميم

وهي على خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومبسطة، وبسطة، ومفتولة .

الضرب الأول

المحققة

وهي على نوعين : مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنها كثيرا ما تصحب اللام، وصفتها إذا أردت وضعها أنك إذا صرت إلى آخر الحرف الذي تريد منه الميم المحققة، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بخط آخر يجواره طالما فيه، ثم تمرق كتعريق الميم المعالقة؛ وهذه صفتها :

مبتدأة عفتة

مل

وكان الشيخ عماد الدين بن العفيف إذا انتهى من الحرف الذي قبل هذه الميم يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة؛ وهذه صفتها :

محققة مختمة

م

وأما المحققة غير المبتدأة : ^(١)

(١) أغفل الكلام عليها في الأصل .

الضرب الثاني

المعلقة

وهي على نوعين : مبتدأة ، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لا تحسن إلا مشعرة مع ما قبلها ، ولا تكون إلا قبل الألف ؛ وهذه صفتها :

معلقة مبتدأة

٦

وأما المعلقة غير المبتدأة : فإنها تختص بالسلمة على مذهب الحذائي.

وطريقها : أنك إذا مططت إلى آخر المطية ، رجعت بالميم في الخط الذي

جئت فيه ، حتى إذا بلغت هامتها فارقت ذلك الخط لئلا تجيء منافرة ؛ فإذا وصلت إلى جهة الميم ، عرقتها على ما رسم في الرأء المجموعة والمقورة والمبسطة والمنحطوفة ،

وكان الأستاذ أبو الحسن بن البرّاق لا يفردها ؛ وهذه صفتها :

معلقة مختمة

س

وأما المعلقة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كابتداء المحققة، فإذا بلغت فلتها ألصقت
مَدَّتْهَا بِقَفَاها، والأولى أن تكون مطموسة، فإذا بلغت جبهتها عَرَّفَتْ كتمريق الراء
المُدْعَمَة، لا يستعمل فيها غير ذلك؛ وهذه صفتها :

معلقة مبتدأة



الضرب الثالث

المُسَبَّلَة

ولا بأس بتركيبها وأفرادها، غير أنك إذا وصلت إلى جبهتها أسبلت عرافة
كهيئة الألف ملأى من فوق، وتكون حديدة الطرف؛ وهذه صفتها :

مركبة

مفردة مسجلة



الضرب الرابع

المبسوطة

وهي كالمحققة، وهي مفردة؛ وهذه صفتها :

مبسوطة



الضرب الخامس

المفتولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة على مذهب الحدائق . وبعض الكتاب يميزها مع غير الهاء، والأقل أجود .

- وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهاء المدغمة تفوس بصدر القلم ثم تنزل بقدر ما قوتست، ثم تدير الميم عن يمينك وترد إلى يسارك شكلا مدقورا، وتعرفها على ما تقدم في المعلقة والمحقة، وهذه صفتها :

مفتولة



الصورة الخامسة عشرة

صورة النون

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

- وهي على أربعة أنواع : مجموعة، ومقورة، ومبسوطة، ومدغمة
- فاما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم على خط مستقيم . فإذا نزلت منها بمقدار ما ينزل من الباء وبلغت الفتلة، أدت القلم برفق من الفتلة بصدر القلم،

ثم تصير العرافة جمعا بصدر القلم، حتى إذا بلغت ذنبها ختمت بحرف القلم؛
وهذه صفتها :

مفردة بمجموعة



وأما المقورة : فإنها تكون كنصف دائرة، ويكون ذنبها موازيا لرأسها من غير
زيادة عليه؛ ويموز أن يكون ناقصا عنه شيئا يسيرا، وذلك قليل؛ وهذه صفتها :

مفردة مقسورة



وأما المبسوطة : فأكثرها تكون متطرفة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها
أنك إذا نزلت على ما وصف في المجموعة وبلغت بها الفتلة وأدريت صدر القلم إلى
العرافة، جعلتها قطعة قوس من دائرة عظمى، حتى يكون فيها تطعين يسير، وتختصمها
بحرف القلم، ولا ييموز في شيء من مبسوطات العرافة أن يكون مرفوما؛ ولا ييموز
أن يكون إلا حديد الطرف؛ وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة



وأما المدخمة : فإنها لا تنفرد البتة؛ ولا تحسن إلا مع ثلاثة أحرف: مع الميم
وهي كثيرة بالمزاواة لها، ومع الكاف، ومع العين .
وكان بعض الكتاب يأبى إدغام النون ويكرهه، إلا الأبتاذ أبا الحسن بن
البواب .

ولا يتقدم هذه النون من سائر الحروف إلا ثلاثة أحرف : الميم المعلقة من سائر الهجاء ، والعين الملوّزة ، وهى الصادقية من أشكال العين خاصة ، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصة .

- وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف ، صيبت النون صبيّاً فى عرض اللام المبتدأة المعلقة ، فإذا صيبت ثلثها ، ختمت العرافة على مارسم فى الرأ المدخمة وعرافة الميم المدخمة ؛ وهذه صورها :
- مدخمة مع الميم مدخمة مع الكاف مدخمة مع العين



الصورة السادسة عشرة

صورة الهاء

١٠

وهى على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهى على نوعين : معزاة ، ومركبة

- فاما المعزاة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلى عجزها ممبلا إلى ذات اليمين شيئا يسيرا ، ثم تفتل إلى قاعدتها بصدر القلم إلى صدرها ، ثم تصعد بمنثل ما كنت آنحدرت به من وجهها إلى قفاها ؛ وهذه صفتها :

معزاة



وأما المركبة : فهي في الصورة قريبة من المَعَزَة إلى صدرها ، فإذا بَلَفَت صدرها وأنت طالع إلى وجهها ، رفعته بعرض القلم وأخرجت وجه الهاء إلى قفاها ، والكتاب غير بين التقليل والتكثير في ذلك . ويكون الطرف الخارج إلى قفاها محذواً ، وهذه صفتها :

مركبة



وإنما سميت مُرْكَبَةً وإن كانت مفردة مجازاً لتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركب كيفما وقع في المصطلح المختلط بغيره .

الضرب الثاني

المركبة

وهي على قسمين

القسم الأول

المشقوقة

وهي على ستة أنواع : ملوزة ، ووجه الهز ، ومشقوقة طولاً ،

ومشقوقة عرضاً ، ومختلصة ، ومدعّمة

فأما الملوزة : فتكون مبتدأة ، ومتوسطة ، ولا تأنحز بحال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدار نصف الهاء المفردة ، ثم تدوير القلم من يسارك إلى يمينك حتى إذا وصلت إلى المكان الذي آبتدأت منه أدت إلى يمينك أيضاً حتى يصير مركز نصف دائرة محققة لطيفة بصدر القلم ، وتقف عليها وقفه خفيفة ، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتى تصير إلى المكان الذي آبتدأت منه أولاً ، فيصير رأس الهاء حاداً في الغاية .

ومذهب الأستاذ أبى الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل .
بجزء يسير، وهذه صفتها :

مسورة



- وإن كانت متوسطة، فهي غير مستحسنة إلا قبل الألف، وطريقها على ما تقدم ولها حكم، وهو أنك تهيء بالخط الذى قبلها حتى يشقها متصلا بالألف، حتى لو طرحت الهاء لا تصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه تركيبا، ويكون هذا العمل فى كل حرف يقع معها، وهذه صفتها :

مقززة مستطيرة



١٠

- وأما وجه الحز : فتكون أيضا مبتدأة، ومتوسطة، ولا يجوز تأخيرها . وطريقها فى الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل النزول شيئا قليلا، ثم تردّها عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين، فإذا بلغت المكان الذى ابتدأت منه تكففتها طولا حذرا من أن يقع فيها حوّل، وهو أن يكون أحد شقيها أوسع من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا كانت متوسطة .

فإن كانت مبتدأة فشققها بوجه القلم

وهذه صورتها في الابتداء :

وهذه صورتها في التوسط

وجه المتوسط

وجه المسو

هـ

وأما المشقوقة طولا : فإنها لا تكون إلا متوسطة ، ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها ، ولا تصحب من حروف المعجم غير اللام وحدها ، وطريقها كطريق وجه الهز ، ويفترقان في القاعدة فتكون قاعدتها مستديرة ، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها ، وعلامة صحتها أنك إذا حذفت الهاء صارت اللام متصلة بما بعدها كأنما زيدت الهاء عليها ، وهذه صفتها :

مشقوقة طولا

١٠

هلـ

وأما المشقوقة عرضا : فلا تكون إلا صحبة اللام أيضا ، وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة ، أدركت الهاء فلصقت بها بوجه اللام وشققت الهاء عرضا ، ولا بد من مدة لطيفة تكون بعدها ، وهذه صفتها :

مشقوقة عرضا

١١

لهـ

وأما المختلصة : فإنها لا تكون إلا مبتدأة، ويكون بعدها من الحروف حروف
المد واللين، وهى الألف، والواو، والياء، وهى مطموسة، وهذه صفتها :

خطية

ى

- وأما المدغمة : فلا تكون إلا متوسطة، وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف
الذى قبلها أدركت منه إدارة لطيفة، ونزلت بها نزلة إلى ذات اليمين، ثم صعدت
فى خط يلاصق الخط الذى هبطت فيه من غير أن يكون بينهما، وتكون مطموسة
أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوسع شيئا يسيرا،
ويتوخم فيها الترطيب، وهو شدة الاستدارات، فتنى كان العمل فيها بإسكان
رديئا، وهذه صورتها :

١٠

مدغمة

مها

القسم الثاني

ما يقع في آخر الكلمة، وهي على نوعين

هاء الرِّفِّ ، والمُخَفَّاة

فأما هاء الرِّفِّ : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها طلعت فيه

بصدر القلم، ثم نزلت في الخط الذي صعدت فيه .

هذا مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب .

ومذهب الوزير أبي عليّ بن مقلة أن تنزل في خط يلاصق الخط الذي صعدت

فيه، وكلاهما مستحسن، فإذا بلغت ثلثي ما صعدت به جئت بصدر القلم إلى وجه

الماء ولا تخرج رأسها إلى قفاها البتة، وهذه صفتها :

مردودة

١٠

ه ه

وأما المخفأة : فأكثر ما تصحب الحروف القصار، وهي يمين أليق، وطريقها

أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها أدركت منه إلى الهاء إدارة لطيفة مهللة،

ثم تأتي بنصف راء مدعمة حديدة الطرف مخطوفة، وهذه صفتها :

مخطوفة

١١

ه ه

الصورة السابعة عشرة

صورة الواو

ونظيرها في التركيب الهاء، وفي الأفراد القاف، ولكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع : مجموعة، ومبسطة، ومقزورة، وبراء، ومخطوفة؛ ويكون ذلك في الأفراد والتركيب،

وكان بعض الكتاب يجعلها معلقة كالراء المدغمة لأنها قدرها . وقد تقدم أن الراء والراءى، والميم، والواو قدر سواء في كل خط .



الصورة الثامنة عشرة

صورة اللام ألف

ولها ثلاث صور : محققة، ومخففة، وورائية

فأما المخففة : فلا تكون إلا معردة ولا يجوز تركيبها بحال، وطريقها أن تبدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصورة، ثم تعتل إلى قاعدتها بوجه القلم؛ ثم ترفع

(١) لم يضع لها رسماً في الأصل

القلم وقد بَطُنَتْ قلمك فصيرت بطنه ممَّا يلى يمينك وظهره عن يسارك؛ ويكون قدر الألف واللام قدرا سواء في الطول والالتواء والغَلِظَ والنَّحَافَةَ؛ ويكون ما بينهما كواحد منهما؛ وتكون القاعدة على هيئة رأس الفاء المبسوطة لكنها مقبوبة؛ وهذه صورتها :

مخففة مفردة



وأما المخففة : فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحسن جيد . وصورتها في التركيب كصورتها في الإفراد؛ وطريقها أن تأتي بلام معلقة على ما تقدم في اللام المعلقة في حرف اللام، ثم ترمى عليها ألفا مُعْوِجَةً إلى ذات اليمين ويكون ذنب الألف موزونا على الخط الذي لامست به الحرف الذي قبل اللام إن كانت مركبة؛ وهذه صورتها :

مخففة مركبة



وإن لم تكن مركبة فتشعرهما معاً وهذه صورتها في الإفراد :



وأما الوراقية : فإنها كالحققة، فإذا كتبت اللام ركبت عليها الألف وأخرجتها عنها، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادة الزوايا، والأولى أن تكون مفردة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا يكون هذا الشكل إلا في قلم
النسخ وما شاكله، وفي قلم المحقق وما شابهه؛ وهذه صفتها :

درائية

لا

الصورة التاسعة عشرة

صورة الباء

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

١٠ وهي على ثلاثة أنواع : مجموعة، ومقورة، وبسطة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة
وصدرها أيضا دالا مستوية، فإذا تركبت الدالان جررت المراقبة؛ وعلامة صحتها
أن تكون الدالان صحيحين كما تقدم . وإذا ركبت خطأ من ذنبها إلى صدرها ،
صار صادا جيدة؛ وهذه صفتها :

مفردة مجموعة

ي

وأما المقصورة : فيدّؤها كبده المجموعة ، غير أنك إذا وصلت إلى صدرها عرفت نصف دائرة ، ويكون ذنبها يحاذي صدرها ، وتكون حديدة الطرف ، ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمع ، ويكون رأسها موزوناً على صدرها ، لا يجاوزها ، سواء انفردت أو تركبت ، وهذه صورتها :

مقصورة



وأما المبسوطة : فعلى ما تقدم في المقصورة ، وتنفارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهللة ، وتكون حديدة الطرف ولا يجوز فيها الوقف ، وهذه صورتها :

مبسوطة



الضرب الثاني

المركبة

وهي على ثلاثة أنواع : مبتدأة ، ومتوسطة ، ومتأخرة
فأما المبتدأة والمتوسطة : فتحكما حكم الباء والتاء والنون وما شابهها .
وأما المتأخرة : فعلى ثلاث صور : محففة ، وراجعة ، ومعلقة .

فأما المحققة : فعلى ما تقدم أولاً ، غير أنك تحذف رأسها للتركيب ؛ وهذه صورتها :

عققة

في

- وأما الراجعة : فتختص بمض الكلم دون بعض كالفاء واللام وهي مع الفاء أكثر استعمالاً .

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها بطنته شيئاً يسيراً وجئت برأس كراس الياء ، ويكون فيها شيء من تبطين ، ثم تجز القلم إلى ذات اليمين جزء معتدلة فى التكيف ، فإذا بلغت ثلاثة أرباعها أدت القلم برفق ، ولا تظهر الإدارة ، ثم تمت وأنت مدبر لقلبك حتى تحتما بحرف القلم فى نهاية الدقة والتحديد ؛ وهذه صورتها :

راجعة

و

وأما المعلقة : فتكون على صورة اللام المجموعة واللام المرسلّة ؛ وهذه صفتها :

معلقة

في

النوع الثاني

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيه خفيف الثلث، وهو الذي يكتب به في قَطْع النصف، وصُورُهُ كصُورِ الثلث الثقيل المتقدمة الذكرا لا تختلف، إلا أنه أدق منه قليلا والطف بمقادير منه بقر يسير .

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ: والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيل تكون متصباته ومبسوطاته قدر سبع نُقْط على ما في قلبه، على ما تقدم، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منه خمس نقط . فإن نقص عن ذلك قليلا، سمي القلم اللؤلؤي .

القلم الرابع

قلم التوقيع

بالإضافة قلم إلى التوقيع، سمي بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور القيصص، ويقال فيه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف إليه . ثم هو على نوعين :

النوع الأول

قلم التوقيع المطلق

وهو الذي يكتب به في قَطْع الثلث، وقد تقدم أن أول من اخترعه يوسف أخو إبراهيم السجزي، وأب ذو الرياستين الفضل بن هارون أُنْجَب به، وأمر، أن تحزور الكتابة السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسي، ولعله إنما سمي الرياسي لما تقدم من اختصاص الكتب السلطانية به أخذًا من الرياسة، وقواعد حروفه وأوضاعه في الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه في أمور .

أحدها — أن قَطَنه إلى التدوير أميل، بخلاف الثلث فإن قَطَنه إلى التحريف
أميل وذلك أن التوقيع أمتلاء حروفه على السواء بخلاف الثلث، فإن فيه تشعيرات
محتاج إلى التحريف .

الثانى — أن حروفه إلى التفوير أميل من الثلث، وإن كان في الثلث ميل إلى
التفوير فإنه لا يبلغ في ذلك مبلغ التوقيع .

قال لى الشيخ عبد الرحمن المكنَّب^(١) الشهير بابن الصائغ : ويكون في سطره
تفوير ما على نسبة تفوير حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان في ألفيته : وتكون متعبداته مرقوسة كما في الثلث .

قال لى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المكنَّب : ويموزترك التعويس

في بعض حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثاري : ويخبر فيه بين الطمس والفتح في العين
المتوسطة والفاء والقاف والميم والواو وعقدة اللام ألف المحققة . وخص الشيخ
زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثاري : ويختص من الحروف الزائدة على الثلث
بالراء المقفورة والراء البتراء والراء المخطوفة والواو المقفورة والواو البتراء والواو المخطوفة،
والعين البتراء، وسيأتى ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) قال في الصالح للبرهري : والمكنَّب (كمن) الذى يعلم الكتابة، قال الحسن : كان الجراح
مكتبا بالعاطف يعنى مملأ . وفي المصباح : كتبت الغلام تكتبها : ملته الكتابة . ١ نبيه لثنان

حرف الألف

مطلق مشر محزون مركب

ا ا ا ا

الباء

بسيطة موقوفة مجموعة

ب ب ب

مدغمة بمجموعة مدغمة مبسطة مركبة مبتدأة • مركبة متوسطة

ب ب ب

مركبة موقوفة مركبة مبسطة

ف عب

الجيم

مرسلة

ح

مبسلة

ح

مجموعة

ح

وقفاء مفردة مرسلة

ح

وقفاء مقفزة مرسلة

ح

وقفاء مفردة مجموعة

ح

مرکبة مبتدأة ملوزة

ح

وقفاء مبتدأة

ح

مرکبة متوسطة

ح

مرکبة غنينة مرسلة

ح

مرکبة مرسلة

ح

مجموعة

ح

الـدال

مركبة بمجموعة	مخلصة	مفردة بمجموعة
عد	د	د
مركبة مشعرة	مركبة مخطوطة	مركبة غنطية
هد	حد	عد

الـراء

مفردة مبسوطة	مخطوطة	مفردة
ر	ر	ر
مركبة مدغممة	مركبة مبسوطة	مفردة مدغممة
عر	حر	ر
مركبة بمجموعة	مفردة بمجموعة	
صهن	ر	

المسین

عسوة

مجموعة

مبسوطة

س س س

مبتدأة مركبة

متوسطة

مخسوة

ساحس عس

مطرقة مبسوطة

مطرقة مجموعة

مطرقة معلقة

عس عس س

مركبة مطرقة معلقة

مركبة متوسطة معلقة

عس حسا

الصاد

مبسوطة

بجمرة

مبسوطة

ص ص ص

مطرقة مخسوة

موسطة

مبسوطة

صا صا صا

مطرقة مبسوطة

مطرقة مبسوطة

ص ص

الطاء

مركبة ملفوفة

مفسردة ملفوفة

مفسردة مرعلة

طا ط ط

متوسطة أبسوطين

متوسطة لقائمين

مبتدأة مبسوط

طسمر لطا سطر

مطرقة مرسل

مطرقة موقوفة

وط وطر

العين

نعلية يثنا متصب

مجموعة

مسجلة

مرسل

ع ع ع ع

سادية يثنا ما هو في حكم المبسوط

سادية يثنا مبسوط

نعلية يثنا ما هو في حكم المتصب

ع ع ع ع

مؤلفه مع الأفراد

مؤلفه مع التركيب

ما مع صا كما حم

الفاء

بجموعه

مؤلفه

ببعضه

ف ف ف

ببدايه

منسوطه

منطرقه بجموعه

ف ف ف

منطرقه مؤلفه

منطرقه ببعضه

ف ف

القاف

مجردة بمجموعة غيرة مبسوطة

ف ف ف

مطرفة بمجموعة مطرفة بخسوف مطرفة بمجموعة

ح ح ح

الكاف

مجموعة مفردة موصولة مبسوطة

ك ك ك

منكولة مبتدأة متوسطة مبسوطة مبتدأة

كا مكلف كبا

وسمى

مشكولة مبتدأة

متوسطة

ملكه كه هكه

مبسوطة

منزول عليها

مشكولة مركبة مطرفة بمحوطة بزودها

اسك عل حل

اللام

منزلة يخرج منها نون على رأى أين الزواب يخرج منها كاف على طريقة باقوت

ل ل ل

مطرفة

وسمى

مركبة مبتدأة

أرباء على طريقة أين العفيف

ل ل ل ل ل

الميم

مبتداء مشعرة

ما

مسبلة

م

مقطوعة

مر

معددة

ممر

مسبلة ملوثة

مم

مسبلة ملقوفة

مم

وسمى مخففة

فما

وسمى مقلوبه

ما

١٤٥

النون

وسمى

ن

مختلطة

نر

مدغمه

نر

معددة مجموعته

ن

مختلطة

نر

مدغمه

نر

مركبة ملقوفة مجموعته

من

١٤٦

الماء

مركبة مبتدأة مطوذة

هـ

مفردة مطوذة

هـ

مفردة مريضة

هـ

طالعة

هـ

مدفحة

هـ

وجه الميز

هـ

مردودة

هـ

محفقة

هـ

محدودة

هـ

مخلوطة

هـ

الواو

بسرطة مفتوحة

بسرطة مفتوحة

بسرطة مشددة

بسرطة مشددة

و و و و

بسرطة

بسرطة مشددة

بسرطة مشددة

و و و

اللام ألف

مركبة مخففة

مركبة مشددة

مخففة مفردة

لا لا لا لا

الياء

مفردة بمجموعة

مركبة

راجعة

ي ي ي

مبتدأة ثم وسطى

مركبة بمجموعة

مركبة مبسوطة

لب في في

١ مركبة راجعة

مركبة مخسوفة

مركبة مبسوطة

و في ي

القلم الخامس

من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قلم الرقاع

بإضافة قلم إلى الرقاع، والمعنى أنه يُكْتَبُ به في الرقاع جمع رُقْعَةٍ، والمراد الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها، وهو الذي يكتب به في قطع العادة من المنصوري والقطع الصغير، وصوره في الأصل كصور حروف التثنية والتوقيع في الأفراد والتركيب إلا أنه يخالفه في أمور :

أحدها - أن قلمه أميل إلى التدوير من قلم التوقيع الذي هو أميل إلى التدوير من قلم التثنية .

قال في الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المكتَّب : وتكون جِلْفَةُ قلمه في البرأية .
أفصر من التثنية والتوقيع .

الثاني - أن حروفه تكون أدق وألطف من حروف التوقيع .

الثالث - أن الترويس لا يقع في متصباته من الألف المفردة وأخوانها

إلا في القليل، بخلاف التثنية والتوقيع فإن الترويس فيها لازم .

الرابع - أنه يغلب فيه الطمس في العين المتوسطة والأخيرة، وكذلك الفاء،
والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة . أما الصاد والطاء والعين المفردة والمبتدأة فإنها لا تكون إلا مفتوحة .

الخامس - أنه يوجد فيه من الحروف ما لا يوجد في غيره كالألف المنسالة

إلى جهة اليمين على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : «والرقاع» والسياق يقتضي ما أثبتناه .

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

الألف

مطلق	شمر	محرف	طالع
ا	ل	ا	ا

الباء

بجمعة	مدغمة مفردة	مدغمة مبسوطة	مفردة موقوفة
ب	ب	ب	ب

مبتدأة . وسطى . مطرقة	مطرقة موقوفة	مطرقة مبسوطة
ب	ب	ب

الجيم

مفردة مجموعة

ج

مفردة مسبلة

ح

مفردة مرسله

ح

ونقاء، مسبلة

ح

ونقاء، مجموعة

ج

ونقاء، مرسله

ح

وسطى، مفتوحة

لح

وسطى

ح

مبتدأه

حسد

مطرقة، مجموعة

ج

مطرقة، مسبلة

ح

مطرقة، مرسله

ح

الدال

مفردة مجزعة	خطية	خطوة	شعرة
د	د	د	هد

مركبة مجزعة	خطية	خطوة
مد	عد	هد

—

الراء

مجموعة	منفردة	خطوة	هراء
ر	ر	ر	ر

خفيفة	مدعمة	منطوية
ر	ر	ر

السين

غمرة

مقنة

جمرة

س

س

س

منوطة

مبتدأة

مبسوطة

س

س

س

مملقة

محمرة

مبسوطة

مطرقة مجمعة

س

س

س

س

المصاد

بحرمة مبسوطة محسرة
ص ص ص

أول مركبة وسطى مركبة مطرقة بحرمة
صد قصم نص

مطرقة مبسوطة مطرقة محسرة
قص نص

الطاء

مبتداء

طا

موصلة

ط

مرسلة

ط

مطرقة موقوفة

عط

مطرقة مرسلة

حط

متوسطة

حط

العين

مجموعة

ع

مسبلة

ع

مرسلة

ع

متوسطة

ع

مبتداء صادية

ع

مبتداء نعلية

ع

مطرقة مجموعة

مع

مطرقة مسبلة

مع

مطرقة مرسلة

مع

الفاء

مبسوطة

و

مولوة

و

مجموعة

و

مطرفة مجموعة

مم

وسطى

ممد

أول مركبة

و

.

مطرفة مبسوطة

مم

مطرفة مولوة

مم

القاف

مفردة مخومة مخومة مبسوطة مفدأة

و و و و

منسطة مطرفة بمخومة مطرفة مخسوة مبسوطة

حفا نو مو نو

الكاف

بمخومة مؤنونة مبسوطة أول مشكولة

ل ل ل كلا

وسلى مشكولة مركبة بمخومة

لر لمكلم لد

أول مبسوطة

كـ

مركبة مفردة

كـ

مركبة موقوفة

كـ

مشكولة مفصولة

كـ

مشكولة موصولة

كـ

وسطى مبسوطة

لكـ

اللام

مبتدأة

لـ

مبسوطة

لـ

موصولة

لـ

مفردة مجموعة

لـ

موصولة

لـ

مبسوطة

لـ

مجموعة مركبة

لـ

متوسطة

لـ

الميم

مفردة معلقة	مغلقة	مسبلة	مبتدأة مركبة
مر	مر	م	م
وسطى مركبة	مطارقة معلقة	مركبة مسبلة	مختلطة مغلقة
مر	حمر	عم	عمر

النون

مجموعة	مدخلة بمجموعة	مدخلة بمبسطة
ن	ن	ن
مبسطة	مختلطة	أول . وسطى
ن	ن	ن
مجموعة مركبة	مبسطة مركبة	مختلطة مركبة
ن	ن	ن

الهاء

محددة	وجه الحز	مفردة	مرببة
هـ	هـ	هـ	هـ

محددة	مفردة طولا	مفردة	مفردة
هـ	هـ	هـ	هـ

مفردة	مفردة	مفردة
هـ	هـ	هـ

الواو

مبسطة مركبة	مجموعة مركبة	مبسطة مفردة	مجموعة مفردة
عو	فو	و	و

اللام ألف

محفقة مفردة مفردة محفقة مركبة مفردة

لا لا حلا فلا

الياء

مجموعة مفردة غيرة راجعة مبتدأة . وسطى

ى ى ى ى

مجموعة مركبة غيرة مركبة راجعة مركبة مختلة

ى ى ى

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والطمس جميعاً).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ الْأَمِيرُ الْمُؤْتَمِرُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
الْمَعْرُوفُ وَقُرُوشُ بْنُ الْأَيَّامِ رُوِيَ عَنْهُ
عَنْ نَفْسِهِ صَاحِبُ وَمِنْ قَاهِرِ الْحَقِّ قَهْرًا وَسَلَامٌ

الجملة السابعة

في كتابة البسملة

وبيان صورتها في كل قلم من الأقلام المستعملة

في ديوان الإنشاء ؛ وفيها مهيئات

المهيئات الأولى

في ذكر قواعد جامعة للبسملة في جميع الأقلام ؛ وتشتمل على ثمان قواعد :

الأولى — قد آتفق الكتاب على تطويل باء البسملة أكثر مما يطول به غيرها من الباءات التي في أول الكلمة . وسأني في الكلام على البسملة في المقالة الثالثة أنها طولت بدلا من الألف المحذوفة بينها وبين السين لكثرة تكرارها . وقد ذكر بعض المصنفين في انخط أنها تكون بمقدار ثلثي ألف ذلك انخط .

وقد سبق القول على مقدار ألف كل قلم فيما تقدم ؛ وهذا أصل يترتب عليه غيره .

الثانية — في البسملة خمس أخوات متساويات في الطول والانتصاب ، وهي :

ألف الجلالة ، والألف واللام من الرحمن ، والألف واللام من الرحيم ؛ فكلها على

مقدار واحد ، وقد سبق .

الثالثة — فيها أربع أخوات متساويات في الإرسال : وهى رسالة الميم من بسم ، وإرسالة الراء من الرحمن ، وإرسالة الراء من الرحيم ، وإرسالة الميم من الرحيم .
الرابعة — فيها أربع أخوات متساويات في الضوء : وهى الميم من بسم ، والهاء من الجلالة ، والميم من الرحمن ، والميم من الرحيم .

الخامسة — فيها أختان متساويتان في المقدار : وهما الهاء من الرحمن ، والهاء من الرحيم .

السادسة — أن لامات الجلالة تكون موازية من أعلاها للباء في أول البسملة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفض من اللام الأولى يسير .

قال ابن عبد السلام في الميزان : بحيث لا يُدرك ذلك إلا بتأمل . والذي ذكره الشيخ زين الدين الأتارى أنها تكون ناقصة عنها بقدر نقطة (يعنى من تقطع فلم تكتبها) وتكون الهاء أخفض من اللام الثانية مثل ذلك .

السابعة — أن يكون بين الباء والسين قدر ربيع ألف من ألفات ذلك الخط ، وتكون أسنان السين منها محددة الأطراف ، ويكون الأخذ من كل سين من أسنان السين من أعلاها أخذاً فيها إلى أسفل مع التساوى من الأعلى وكذا من الأسفل ، بحيث إنه إذا خُطَّ خط من أسفل الباء إلى آخر السين لاصق بهما وقع على الاستقامة ، ثم يأخذ من أعلى السنته الأخيرة منها ، وتكون أصابعه مقدمة وتكوة يده مؤنثة .

الثامنة — أن يكون البسط بين اللام الأولى والثانية متخسفاً لا مستويًا ، وكذلك ما بين اللام الثانية والهاء .

المهيع الثانى

فى بيان صورة البسملة فى كل قلم من الأقلام التى تستعمل
فى ديوان الإنشاء

- قد تقدم أن الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء مما يكتب به ثمانية ستة أقلام
ومى : مختصر الطومار، وقلم الثلث الثقيل والخفيف، وقلم التوقيعات، وقلم الرقاع،
وقلم الفبار، إلا أن المحقق لا بسملة له فى ديوان الإنشاء، لأنه إنما يستعمل فى كتابة
طغرة كتاب على ما تقدم ذكره، ولا بسملة للطغرة .
- اللهم إلا أن يكتب مختصر الطومار على طريقة المحقق فتكتب البسملة فيه على
طريقة المحقق، بخلاف قلم الفبار فإنه يكتب به فى الملقطات فيحتاج إلى البسملة
وإن لم يمتنع إليها فى البطائق .
- ولتعلم أن صورة البسملة فى هذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكل
قلم فأكثر . وقد ذكر صاحب العناية الربانية صوراً من ذلك، وأنا أوردتها على
الترتيب إن شاء الله تعالى .
- فأما بسملة قلم مختصر الطومار، فقد تقدم أن طريقته طريقة الطومار، وأن
الطومار تارة يكتب على طريقة المحقق وهو الأكثر، وتارة يكتب على طريقة
الثلث، وعليه عمل ثغاب الإنشاء، وربما عملوا على طريقة المحقق؛ وحينئذ فإن كان
المكتوب على طريقة المحقق فيقسمته على طريقة المحقق مع امتلاء قلبه على حدة
قلم مختصر الطومار على ما تقدم بيانه .

وهذه صورة رسمه

على طريقة الخط

بسم الله
الرحمن الرحيم هـ

وأما قرم اللث والثلث اللطيف ففقر يقهما واحده لا تحق بينهما إلا في رقة القلم ويقلبه على ما تقدم بيانه في الكلام على أصل الأعلام . والبسملة فيهما ثلاث صور :

الصورة الأولى - أن تكون الراء في الرحمن وفي الرحيم محسوبةً وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية — أن تكون الراء فيها مجموعة والتون في الرحمن مجموعة وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة — أن تكون لراء فيها مُدَحَّجَةٌ والنون في الرحمن مدحجة؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة قلم التوقيع فلها ثلاث صور :

الصورة الأولى — مختصرة من قلم الثلث فتكون كهيء إلا أنها أدق قلما منها؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية — أن تكون الحياء في الرحمن مقلوبة وفي الرحيم مقلوبة وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة — أن تكون الحياء في الرحمن والرحيم مقلوبة وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ

وأما بسملة قلم الرقاع، فإن السين تكون فيها بالتدريج، كل سنّ دون التي قبلها يسير، والكاتب فيها مختارين وصل أسنانها وفصلها فصلا يسيرا. وقد اصطلاحوا على أن تكتب الألف التي قبل الجلالة فيها متصلة بـم بسم، وتكون مثل الألف. والصاعد في قلم الرقاع، ثم يعمل لها ذيل وتوصل بالجلالة، ولها ثلاث صور :

الصورة الأولى — أن تكون الراء فيها مدغمة، والحاء في الرحمن والرحيم مقلوبة، وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية — أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رقاء، وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة — أن توصل الألف بالجلالة من أعلاها، وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة النبار [فلها صورة واحدة وهي هذه]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجملة الثامنة

في وجوه تجويد الكتابة وتحسينها؛ وهو على ضربين

الضرب الأول

حسن التشكيل

- قال الوزير أبو علي بن مُقْلَة : ونحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء :

الأول — التوفية؛ وهي أن يُؤْتَى كُلُّ حرف من الحروف حَفْظَه من الخطوط التي يركب منها : من مقوس ومُنْحَنٍ ومُسَطَّح .

- الثاني — الإتمام؛ وهو أن يعطى كُلُّ حرف قِسْمَتَه من الأقدار التي يجب أن يكون عليها : من طَوَّلٍ أو قَصَرَ أو دَقَّةً أو غِلَظَ .

الثالث — الإكمال؛ وهو أن يُؤْتَى كُلُّ خط حَفْظَه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها : من أَتْصَابٍ، وتَسْطِيعٍ، وَأَنْجَابٍ، وَأَمْتَلَقَاءٍ، وتَقْوِيسٍ .

- الرابع — الإشباع؛ وهو أن يُؤْتَى كُلُّ خط حَفْظَه من صَدْرِ القلم حتى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما .

الخامس — الإرسال؛ وهو أن يُرْسَلَ يَدُه بِالْقَلَمِ في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يُضَرِّسُه ولا تَوَقُّفٍ يَرْعَشُه .

الضرب الثاني

حسن الوضع

قال الوزير : ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء :

الأول - الترتيب ؛ وهو وصل كل حرف متصل إلى حرف .

الثاني - التاليف ؛ وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضل

ما ينبغي ويحسن .

الثالث - التسطير ؛ وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصبح سطرا منتظما

الوضع كالسطرة .

الرابع - التنصیل ؛ وهو مواقع المدّات المستحسنة من الحروف المنصّلة .

وأعلم أن المدّ في الخطّ قديم ، فقد حكى أبو جعفر النحاس في "صناعة

الكتاب" : أن أهل الأثبار كانوا يكتبون المشق . وكأنه يريد أنهم كانوا على ذلك

في القديم ، فقد تقدم أن أول ما تعلّم أهل الحجاز الخطّ من أهل الأثبار . حل

أن صاحب "موادّ البيان" قد حكى أن جماعة من المحرّرين كانوا يكرهون المشق

لإنساده خطّ المبتدئ ودلالته على تهاون المتنبّئ .

قال : ولذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سين مبيّنة ثم صارت كراهة ذلك سنة

وعرفنا . والذي عليه حدّاق المحرّرين استعمال المدّ .

قال في "موادّ البيان" : وهذه المدّات تستعمل لأمرين : أحدهما أنها تحسن

الخطّ وتفخّمه في مكان كما يحسن مدّ الصوت اللفظّ ويفخّمه في مكان . الثاني أنها

ربما أوقعت ليم السطر إذا فضل منه مالا يتسع لجرف آخر ، لأن السطر ربما

ضاق عن كلمتين وقضّل عن كلمة فتعدّ التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى

في أول السطر الذي يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدّ أواخر السطور، وتكره إذا كانت سينا مدغمة .

- قال في "موادّ البيان" : فيجنب على الكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يقعها في غير المواضع الالافقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسد المعنى، مثل أن يقع المدّ في متعلم بين الميم والتاء فنشتبه بمستعلم، أو يقع المدّ في متسلم بين الميم والتاء فنشتبه بمستسلم . ثم قال : وبالجمله فالكلمة الأصلية أسماء كانت أو حرفا أو فعلا لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأول

الثنائية

- ١٠ وهى إما أسماء مضاعفة أو أفعال أو حروف .
فالأسماء : نحو نذ، وضر، وِسر، وشرّ، وِطلّ، وطلّ، وما أشبه ذلك .
والأفعال : نحو قُل، وكُل، وقُم، وعُد، وتمّ، وِسر، ونحو ذلك .
والحروف : نحو هل، وبلى، وقط، وقد، ومدّ، وعن، ولو، ولم، ومن، وما، وما يجرى مجرى ذلك .

- ١١ فأما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر في "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ في شيء منها إلا في وِسر، وشرّ، من الأسماء وِسر من الأفعال لأن السين أو الشين وإن كان كل منهما حرفا على حياله في صورة ثلاثة أحرف .

قال : وقد يحسن في نحو نطلّ، وطلّ، في بعض المواضع .
وأما الحروف الثنائية فقد ذكر في "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ فيها .

وحكى صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتاب كان يمدّ في أوامر السطور مثل ما ، وهل ، وعن . ثم حكى عن أبي القاسم بن خلوف : أن ذلك لا يجوز في عن في أول السطر ولا في آخره .

الصف الثاني

الثلاثية

قال في "موادّ البيان" : والمدّ فيها على الأكثر قبيح لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين .
قال : ومنها ما يُسمَح في مدّه للضرورة كما إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التميم فيمدّ كيّس وقطع ونحوهما . وصل نحو من ذلك جرى صاحب "منهاج الإصابة"
ثم قال : ويجوز أن يمدّ إذا كان ثالثها ألفا أو لا ما .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمدّ في الكلمة الثلاثية إذا كان أولها الجيم وأختاها ، والطاء ، والسين ، والعين .
قال في "موادّ البيان" : وينبغي إذا مدّ أن يُقدّم الحرفان الأولان وتوضّع المدّة .
بينهما وبين الثالث . أما عسى ، ومتى ، وقفى ، ونحوها فلأنها لا تحتل المدّ بحال .

الصف الثالث

الرابعة نحو محمد وجعفر

قال أبو القاسم بن خلوف : والمدّ فيه جائز بل المدّ فيه أحسن من القصر .
قال في "موادّ البيان" : ولا يجوز أن يقدّم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدّة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المدّ بين الحرفين الأولين والحرفين الآخرين فقط . قال : على أن منها ما لا يحسن المدّ فيه نحو : تغلب ، وخبير ، ومير .

الصنف الرابع الخامسة

نحو : مشتل، ومستقل، ومسيطر، ومهيمن .

وقد اختلف علماء الخط فيه على مذهبين : فذهب صاحب "مواد البيان"

- ١٠ إلى أن المد فيها لا يحسن، فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما في الثلاثية؛ وذهب أبو القاسم بن خلوفاً إلى أن المد فيها لازم، لا يجوز تركه . ثم إذا مد فالذي ذكره في "مواد البيان" أن الأحسن أن يقدم حرفين ويوقع المد بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأخر .

أما ما كان زائداً على خمسة فقد ذكر صاحب "العناية الربانية" أنه يرجع فيه

- ١٠ إلى الأصول . ويعتبر من السادسة^(١) فإنه مد فيا بعد السين من مسامون وبعد التاء من معتبر .

قال في "مواد البيان" : ويصح المد فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولاً بضمير كناية مثل : كتبه، وعلمته، وفيه، ومنه، وعليه، وإليه، إذا وقعت المدة بين تمام الكلمة والضمير .

- ١٥ قال : ومثق السين يُحسن الخط في بعض المواضع، ويقبح إذا وقعت طرأاً نحو مثق السين من العباس والحواس؛ وأقبح من ذلك مثقها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدمها نحو يانس، وعانس، وجالس، وناعس . وإذا توالى سينان أو سين وشين، فالأحسن أن يفصل بينهما في الخط المحذور بمدة لطيفة نحو مسست وعشتت ورشتت .

قال أبو القاسم بن خلوف : ومن الحروف مالا يحسن المد بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختها ، والياء ، والفاء ، والقاف ، واللام ، وأما الكاف المشبكونة فإنه لا يجوز مد ما بعدها في ابتداء ولا توسط .

وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآفاري في ألفيته حروفا يجوز مدّها في مواضع :
أحدها — الباء وأختها ، فتعدّ إذا كان بعدها دال مثل : بدر ، أو راء مثل : بر ، أو ميم مثل : هم ، أو هاء مثل : بهز ، وأنه ربما مُتت إذا كان بعدها لام مثل : بل ، أو لام ألف مثل : بلا .

الثاني — الجسيم وأختها ، فتعدّ إذا كان بعدها دال مثل : حداد ، أو راء مثل : حرير ، أو ميم مثل : حم ، أو هاء مثل : جهر .

الثالث — السين وأختها ، وتعدّ إذا كان بعدها راء مثل : سر ، أو ميم مثل : سم ، أو هاء مثل : سهم .

الرابع ، والخامس — الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، فلا يجوز مدّ واحد منها بحال .

السادس — العين وأختها ، فتعدّ إذا كان بعدها دال مثل : عد ، أو راء مثل : عر ، أو ميم مثل : هم ، أو هاء مثل : ههن .

السابع ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادي عشر — الفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والهاء ، فحكّمها حكم العين وأختها في جواز المدّ فيما تقدم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين متدين في كلمة واحدة و "على" تعدّ إذا كانت الياء معزقة ، فإن كانت راجعة لم يجر المدّ أصلا ، لأنه يجتمع في كلمة ثلاثية مدّتان .

قال في "موادّ البيان" : ويقبح أن تُمتدّ حرفين توالى بينهما في سطر واحد ، وأن تُوقّع حرفين ممدودين في سطرين : أعلى وأسفل على تقابل وتخاذ .

(١) الكلام فيما يجوز منه فإثبات هذا القسم موهن المقسم .

قال السَّرْمَرِيُّ : وإن كان في آخر الكلمة ياء لم يميز المدة قبل الياء . قال : ولذلك لا يجوز المدة بعد السين في أسم موسى : ولا قبل السين في أسم عيسى .
قال الآنَارِيُّ : وأجاز بعضهم مدَّ العين منه بخلاف السين .
قال ابن العفیف : ولا تُدغم الواو والنون بعد مدِّ أصلا في خفيف ولا ثقيل .
قال : ولا يحسن إدغام السين بعد الكاف المشكولة ، ويجوز بعد اللام والميم .
قال في "مواد البيان" : ويصح أن تكتب ياءان معطوفتان متقاربتان في سطر واحد .
قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازي : وإذا توالى العراقات وكان فيها الياء وجب أن تكون راجعة إلى ذات اليمين .

قال ابن أبي ربيعة : سألت الشيخ عماد الدين بن العفیف : هل يكون ذلك في كل قلم ؟ قال نعم ! إذا تمكَّن الكاتب من وضعها إلا في المحقق فإنه غير جائز .
قال السَّرْمَرِيُّ : وإن أتت ياءان متقاربتان مثل قول القائل "لبي صلى" ردَّ ياء الأخرى من الكتبتين دون الأولى ، وإن شئت عرَّقتهما جميعا ، وهو اختيار الوزير ابن مقلة . قال : وتردَّ الياء بعد الألف واللام مثل : إلى في خفيف الأقسام دون ثقلها على الأحسن .

قال الآنَارِيُّ : وإذا توالى حروف متشابهة كتبت القصير منه مقدما على الطويل

الصننف الخامس^(١٢)

مرآة فواصل الكلام

قال في "مواد البيان" : وذلك بأن تميز الفصول المشتغل كل فصل منها على نوع من الكلام عما تقدمه : لتعرف مبادئ الكلام ومقاطعها ، فإن الكلام ينقسم فصولا يطوالا

(١) كذا في الضو ، أيضا والمراد سواء اتصل الله بالياء ، أو كان لله في كتبه .

(٢) لم يجمع في الضو بخماس ، ولا بسادس ، وأقصر في الترجمة على ما يدهما وهو المناسب .

وقصارا، فالطُّوال كتقسيم منشور المترسل إلى رسائله، ومنظوم الشاعر إلى قصائده .
ومثل هذا لا يحتاج إلى تفصيل ، لأنه لا يشكل الحال فيه في الرسالة أو القصيدة
بغيرها اتصالا وانفصالا .

والفصول الفطر كاتقسام الرسالة إلى الفصول، والقصيدة إلى الأبيات . ومثل
هذا قد يشكل، فينبغي أن يُتميَّزَ تميِّزا يؤمِّنُ معه من الاختلاط، فإن ترتيب الخط
بغير ما يفيد ترتيب اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتَّبًا تَحُلُّصُ بعض المعاني
من بعض، وإذا كان مُخَلَّطًا أشكلت معانيه، وتعدَّر على سامعه إدراك محموله .

وكذلك الخط إذا كان متميِّزَ الفُصول، وصل معنى كلِّ فصل منه إلى النفس على
صورته، وإذا كان متصلا دعا إلى إعمال الفكر في تَحْلِيص أغراضه .

وقد اختلفت طرق الكُتَّاب في فصول الكلام الذي لم يُمَيِّزْ بذكر باب أو فصل
ونحوه . فالنَّسَاح يفعلون لذلك دائرة تفصيل بين الكلامين، وكُتَّاب الرسائل يفعلون
للفواصل بياضا يكون بين الكلامين من صبح أو فصل كلام، إلا أن بياض فصل
الكلامين يكون في قدر رأس إبهام، وفصل السجعتين يكون في قدر رأس خنصر .

قال في "مواد البيان" : وينبغي ألا تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في أول
السطر الذي يليه ؛ فإنه يُلْغِى الاتصال بالكلام ؛ بل لا يعمل في أول السطر بياضا أصلا
لأنه يقيح بذلك نلوجه عن نسبة السطور ؛ ولا أن يُفَسِّح بين السطر والذي يليه
إفْسَاحًا زائدا عما بين كل سطرين، ولكن يُراعى ذلك من أول شروعه في كتابة السطر
فيقدَّر الخط بالجمع والمشق حتى يَحُلُّص من هذا العيب .

الصنف السادس

حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها
لأن السطور في المنظر كالفصول، فإذا قطع السطر على شيء يتعلق بما بعده
كان قبيحا، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول
السطر الذي يليه .

ثم للفصل المستنقع في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان :

الصنف الأول

فصلٌ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتفريقها في السطر والذي يليه
مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" في آخر السطر، فيكتب الكاف والتاء والألف
في آخر السطر، والباء في أول السطر الذي يليه؛ أو يقع في آخر السطر لفظة "مسرور"
فيكتب الميم والسين والراء فيه، والواو والراء الثانية في أول السطر الذي يليه
ونحو ذلك .

قال في "مراد البيان" : وهو قبيح جداً لأنه لا يجوز فصل الأسم عن بعضه .
قال : وأكثر ما يوجد ذلك في مصاحف العلماء وخطوط الوزراء؛ والحامل لهم
على ذلك في الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكاملها؛ ومن هنا أحتاج
الكتاب إلى النظر في ذلك بالجمع والمشق من حين شروعه في كتابة أول السطر
على ما تقدم .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك في المصاحف التي
كتبت في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل
مبسوط، وربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيها
في السطر الثاني .

وعلى ذلك حمل ما روى أن عثمان رضى عنه . قال : ” إنَّ في المصحفِ لحناً
سُتِيقِمُهُ العربُ بِأَلْسِنَتِهَا “ إذ لا جائز أن يكون ذلك لحناً في اللفظ فقد أجمع الصحابة
رضوان الله عليهم على أن ما بين دَقَقِ المصحفِ قُرْءَانٌ ، ومَحَالٌّ أَنْ يَتِمَّتْ عَلَى
لحن . على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلى ذلك
الشاطبي بقوله في الرائية :

وَمَنْ رَوَى سَتِيقِمُ الْعَرَبُ أَلْسِنَهَا . لَحْنًا بِهِ قَوْلَ عُثْمَانَ فَا شُهِرَا

الصنف الثاني

فصل الكلمة السامة وصلتها

مثل أن يكتب ” وصل كتابك وأيدك الله “ مَفْصَلَات ، فيكتب ” وصل “
في آخر السطر و ” تتباك “ في أول الذي يليه ، أو يكتب ” أيدك “ في آخر سطر
وَأَسَم ” الله “ تعالى في أول الذي يليه ، وما جرى مجرى ذلك .

قال في ” مواد البيان “ : والأحسن تجنبه إذا أمكن ، فإن لم يمكن فينبغ
القيح منه ، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، كعبد الله و غلام زيد
وما أشبه ذلك ، لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة الأسم الواحد ، والفصل بين
الأسم وما يتلوه في النسب ، كقولك زيد بن محمد ، فلا يجوز أن يفصل بين الأسم
والمنسوب إليه كما لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان
المراد بلفظة ابن تليت البتة كقولك لزيد ابنٌ جاز قطع الابن عما تقدمه . وكأنه
إنما امتنع ذلك لأن زيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس بخلاف غلام زيد ونحوه .
ثم قال : وما يقبح فصله الفصل بين كل اسمين جعلاً أحداً نحو : حضرموت ،
وتأبط شراً ، وذى يزن ، وأحد هشر .

قلت : وباب الخط وأقلامه وحسن تدبيره متسع لا يسع استيفائه .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الأولى

في لواحق الخط، وفيه مقصدان

المقصد الأول

في النقط، وفيه أربع جمل

الجملة الأولى

في ميسر الحاجة إليه

- قال محمد بن عمر المدائني : ينبغي للكاتب أن يُعِجِمَ كتابه ، وبين إعرابه ؛ فإنه . متى أعراه عن الضبط ، وأخلاه عن الشكل والنقط كثريته التصحيف ، وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : ١٠
”لِكُلِّ شَيْءٍ نُورٌ ، وَنُورُ الْكَاتِبِ الْعَجْمُ“ . وعن الأوزاعي نحوه .
قال أبو مالك الحضرمي : أي قلم لم تُعِجِمَ فُصُولُهُ ، أَسْتَمِجِمَ مَحْصُولُهُ . ومن كلام بعضهم : ”الخطوط المَعْجَمَةُ ، كالبرود المَعْلَمَةُ“ .

- ثم قد تقدم في الكلام على عدد الحروف أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً ، وقد وُضِعَتْ أَشْكَالُهَا عَلَى تِسْعَةِ عَشَرَ شَكْلًا . فَمَا مَا يَشْتَرِكُ فِي الصُّورَةِ ١٥
الواحدة منه الحرفان : كالدال والذال والراء والزاي ، والسين والشين . ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الثلاثة : كالباء والتاء والثاء ، والجيم والخاء والحاء . ومنها ما يفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لا يلتبس حالة الأفراد ، فإذا رُكِّبَ وَوُصِلَ فسيره ألتبس : كالتون والقاف ، فإن التون في حالة الأفراد منفردة بصورة ،

فإذا رُكِّبت مع غيرها في أول كلمة أو وَسَطَها، أشتبهت بالباء وما في معناها؛ والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس، فإذا وصلت بغيرها أولا أو وسطا ألتبست بالقاء، فأحتجج إلى ميمٍ يُمَيِّزُ بعض الحُرُوف من بعض : من نقط أو إهمال ليزول اللَّبْسُ، ويذهب الاشتراكُ .

قال الشيخ أبي الدين أبو حيان : ولذلك ينبغي أن القاف والنون إذا كتبا في حالة الأفراد على صورتها الخاصة بهما لا يُنْقَطان، لأنه لا شبه بينهما ولا يُشَبَّهان فيهما، فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعضُ مشايخنا الاشتراك في صورة الحروف . وقال : الصورة والنقط مجموعهما دالٌّ على كل الحرف .

إذا تقرر ذلك فالنقط مطلوب عند خوف اللَّبْس، لأنه إما وُضِعَ لذلك ؛ أما مع أمن اللَّبْس فالأولى تركه لئلا يُظْلَمَ الخطُّ من غير فائدة .

فقد حكى أنه خُيرَ رض على عبد الله بن طاهر خطُّ بعض الكُتَّاب فقال : ما أحسنه ! لولا أنه أَكْثَرُ شَوْنِيهِ

وقد حكى محمد بن عمر المدائني أن جعفرًا المتوكل كتب إلى بعض عماله أن أحصِ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمَدِينِيِّينَ وَعَمْرَفُنَا بِمَبْلَغِ مَدَدِهِمْ ، فوقع على الحاء نقطة فجمع العاملُ مَنْ كَانَ فِي عَمَلِهِ مِنْهُمْ وَخَصَّاهُمْ فَأَتَوْا غير رجلين أو واحد .

وقد حكى المسدائي عن بعض الأدباء أنه قال : كثرةُ النَّقْطِ فِي الْكِتَابِ سُوءٌ ظَنٌّ بِالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ .

أما كُتَّابُ الْأَمْوَالِ فَإِنَّهُمْ لَا يَرْبُوفُ النَّقْطَ بِحَالٍ ؛ بَلْ تَعَاطِبُهُ عِنْدَهُمْ عَيْبٌ فِي الْكِتَابَةِ .

الجملة الثانية

في ذكر أول من وضع النقط

- قد تقدم في الكلام على وضع الحروف العربية أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من قبيلة بولان على أحد الأقوال . وهم : ^(١)مراد بن مرة ، وأسلم بن يذرة ، وعامر بن جذرة ، وأن مرارا وضع الصور ، وأسلم فصل ووصل ، وعامرا وضع الإجمام . وقضية هذا أن الإجمام موضوع مع وضع الحروف .
- وقد روى أن أول من نقط للمصاحف وضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين : "على كرم الله وجهه" . فإن أريد بالنقط في ذلك الإجمام ، فيحتمل أن يكون ذلك ابتداء لوضع الإجمام ، والظاهر ما تقدم ، إذ يبعد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عربية عن النقط إلى حين نقط المصحف .
- وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شيء ، حتى من النقط والشكل . على أنه يحتمل أن يكون المراد بالنقط الذي وضعه أبو الأسود الشكل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

في بيان صورة النقط ، وكيفية وضعه

- قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : والنقط صورتان : إحداها شكل مريع والأخرى شكل مستدير
- قال : وإذا كانت نقطتان على حرف ، فإن شئت جمعت واحدة فوق أخرى ، وإن شئت جعلتهما في سطر معاً ، وإذا كان بهوار ذلك الحرف حرف يُنقط لم يميز أن يكون النقط إذا اتسعت إلا واحدة فوق أخرى ، والعلة في ذلك أن النقط إذا كن

فى سطر خرجن عن حروفهن فوقع اللبس فى الأشكال ، فإذا جعل بعضها على بعض كان على كل حرف قسطه من النقط فزال الإشكال .

قلت : وإذا كان على الحرف ثلاث نقط ، فإن كانت ثاء جعلت واحدة فوق اثنين ، وإن كانت شينا فبعض الكُأب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطوا ، وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة .

أما السين إذا تقطعت من أسفلها فإنهم ينقطونها ثلاثة سطوا واحداً .

الجملة الرابعة

فما يختص بكل حرف من النقط وما لا تقط له

قد تقدم أن حروف المجمع ثمانية وعشرون حرفاً سوى اللام ألف ، وأن ذلك على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين ، وأن المنازل أبداً منها أربعة عشر فوق الأرض ، وأربعة عشر تحت الأرض ، ثم إنه لا بد أن يبقى مما فوق الأرض منزلةً مخفية تحت الشفق ، فكانت الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفاً بعدد المنازل المخفية : وهى الأربعة عشر التى تحت الأرض ، والواحدة التى تحت السماع ، إشارة إلى أنها تحتاج إلى الإظهار لاختفائها : وهى الباء ، والياء ، والهاء ، والجيم ، والحاء ، والذال ، والزاي ، والسين ، والضاد ، والطاء ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والنون ، والياء ، آخر الحروف .

وكانت الحروف الماطلة ثلاثة عشر بعدد المنازل الظاهرة : وهى الألف ، والحاء ، والذال ، والزاء ، والسين ، والضاد ، والطاء ، والعين ، والكاف ، واللام ، والميم ، والهاء ، والواو .

فأما الألف فإنها لا تُنْقَطُ لأفرادها بصورة واحدة ، إذ ليس في الحروف ما يُسبِّحها في حالي الأفراد والتركيب .

وأما الباء فإنها تُنْقَطُ من أسفل لتخالف التاء المثناة من فوق ، والتاء المثناة في حالي الأفراد والتركيب ، والياء المثناة من تحت ، والنون في حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً وتُنْقَطُ من أسفل لئلا تلتبس بالنون حالة التركيب .

وأما التاء فإنها تُنْقَطُ بأثنين من فوق لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين في حالة الأفراد ، وتخالفهما مع الباء والنون حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الناء فإنها تُنْقَطُ بثلاث من فوق لتخالف ما قبلها من الصورتين في الأفراد وتخالفهما مع النون والياء أيضاً في التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لتخالف الصورتين بعدها .

وأما الحاء فإنها لا تُنْقَطُ ، ويكون الإهمال لها علامة ؛ وحذف الكُتَّاب يعملون لها علامة غير النقط ، وهي ساء صغيرة مكان النقطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنْقَطُ بواحدة من أعلاها لتخالف ما قبلها من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنْقَطُ ولا تَعْلَمُ ، ويكون ترك العلامة لها علامة .

وأما الذال فتُنْقَطُ بواحدة من فوق قرأاً بينها وبين أختها .

وأما الراء فإنها لا تنقط ولا تعلم ، ويكون الإهمال لها علامة .

وأما الزاي فإنها تنقط بواحدة من فوق قرأاً بينها وبين الراء .

وأما السين فإنها لا تُنْقَطُ ، وتكون علامتها الإهمال كغيرها ، وبعض الكُتَّاب

ينقطها بثلاث نقط من أسفلها .

وأما الشين فإنها تنقط بثلاث من فوق فرقاً بينها وبين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بد من حجة فوقها ؛ ثم إن كانت محقة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاهما ؛ وإن كانت مدغمة فالأولى جعل الثلاث نقط سطراً واحداً .
وأما الصاد فإنها لا تنقط ؛ نعم حذائق الكُتّاب يعملون لها علامة كالحاء ، وهي صادة صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تنقط بواحدة من أعلاها فرقاً بينها وبين أختها .
وأما الطاء فإنها لا تنقط لكن لها علامة كالصاد والحاء ، وهي طاء صغيرة تحتها .
وأما الظاء فإنها تنقط بواحدة من فوقها فرقاً بينها وبين أختها .
وأما العين فإنها لا تنقط ، ولها علامة كالحاء ، والصاد ، والطاء ، وهي عين صغيرة في بطنها .

وأما الغين فإنها تنقط بواحدة فرقاً بينها وبين أختها .
وأما الفاء فذهب أهل الشرق أنها تنقط بواحدة من أعلاها ، ومذهب أهل الغرب أنها تنقط بواحدة من أسفلها .

وأما القاف فلا خلاف بين أهل الخط أنها تنقط من أعلاها إلا أن من نقط الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف بأثنين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما ، ومن نقط الفاء من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تقدم من كلام الشيخ أمير الدين أبي حيّان رحمه الله عن بعض مشايخه :
أنّ القاف إذا كتبت على صورتها الخاصة بها ينبغي ألا تنقط إذ لا شبهة بينهما وذلك في حالتي الأفراد والتطريف أخيراً .

وأما الكاف فإنها لا تنقط ، إلا أنها إذا كانت مشكولة عُلِّيت بشكلة ، وإن كانت معزاة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما أُلْبِسَتْ باللام .

وأما اللام فإنها لا تُنْقَط ولا تَعْلَم ، وترك العلامة لها علامة .

وأما الميم فإنها لا تنقط ولا تعلم أيضا لأفرادها بصورة .

وأما النون فإنها تنقط بأحده من أعلاها ، وكان ينبغي اختصاص النقط بحالة التركيب ابتداءً أو وسطاً لكتابتها حينئذ بالباء ، والياء ، والناء ، وأوائل الحروف ، والياء آخر الحروف ؛ بخلاف حالة الأفراد والتطرف في التركيب أخيراً فإنها تختص بصورة فلا تنبس كما أشار إليه الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله ، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .

وأما الهاء فإنها لا تنقط بجميع أشكالها ، وإن كثرت ، لأنه ليس في أشكالها ما يلتبس بغيره من الحروف .

وأما الواو فإنها لا تنقط وإن كانت في حالة التركيب تقاربُ الفاء ، وفي حالة الأفراد تقارب القاف ، لأن الفاء لا تشابهها كل المشابهة ، ولأن القاف أكبر مساحةً منها .

وأما اللام ألف فإنها لا تنقط لأفرادها بصورة لا يشابهها غيرها .

وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها ، وإن كانت في حالة الأفراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها ، لأنها في حالة التركيب في الابتداء والتوسط تشابه الباء ، والياء ، والناء ، والنون ، فيحتاج إلى بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب على حالة الأفراد كما في النون ، وربما نقطها بعض النُكَّاب في حالة الأفراد بنقطتين في بطنها ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقصد للثاني

في الشكل ، وفيه خمس جمل

الجملة الأولى

في آستفاقة ومعناه

قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شَكَلَ الدَّيَّاة ، لأن الحروف تُضَبِّط بقيد
فلا يلتبس إعرابها كما تُضَبِّط الدَّيَّاة بالشَّكَال فيمنعها من الهُرُوب . قال أبو تمام :
تَرَى الأمرَ مُعْجَومًا إذا كان مُعْجَمًا • لَدَيْهِ وَمَشْكُولًا إذا كَانَ مَشْكُولًا

الجملة الثانية

في أول من وضع الشَّكْل

وقد اختلفت الرواية في ذلك على ثلاث مقالات ، فذهب بعضهم إلى أن
المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلي ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم
الناس به ما فسد من كلامهم ، إذ كان ذلك قد فشا في الناس .

فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرءان أولا ، فأحضر من يمسك المصحف ،
وأحضر صبغا يخالف لون المداد . وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ
فأَيَّ فأجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرتُ فأَيَّ فأجعل نقطة تحت الحرف ،
وإذا ضمنتُ فأَيَّ فأجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أتيت شبتا من هذه الحركات
غنة (يعني تنوينا) فأجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك نصر بن عاصم الليثي ، وأنه الذي
نحسها وعشرها .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك يحيى بن يعمر .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصريين .

وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لا غير . وأن الخليل
آبن أحمد هو الذى جعل الهمز والتشديد و الروم والإشمام .^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤)

الجملة الثالثة

فى الترغيب فى الشكل والترهيب عنه

وقد اختلفت مقاصد الكُتّاب فى ذلك ، فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه ، والحث
عليه ، لما فيه من البيان والقبض والتقيد .

قال هشام بن عبد الملك : أشكّلوا قرائن الآداب ، لئلا تَنِدَّ عن الصواب .
وقال على بن منصور : حلّوا غرائب الكَلِم بالتقيد ، وحصّنها عن شبه
التصحيف والتحريف .

ويقال : إعجام الكُتُب يمنع من استعجابها ، وشكّلها يصونها عن إشكالها ،
ولله القائل :

وكانَ أَحرفَ خطّه يَجْمُرُ * والشَّكْلُ فى أَغصانِهِ تَمُرُ

وذهب بعضهم إلى كراهته ، والرغبة عنه .

قال سعيد بن حميد الكاتب : لأن يُشكّل الحرف على القارئ أحبُّ إلى من أن
يُعاب الكاتب بالشكل . ونظر محمد بن عبّاد إلى أبى عُبَيْد وهو يقيّد البسملة فقال :
لو عرّفته ما شكّته . وقد جرد الصحابة رضوان الله عليهم المصحف حين جمعوا
القرءان من النقط والشكل وهو أجدر بهما ، فلو كان مطلوباً لبأ جردوه منه .

(١) فى الأصل : « الميزة » والتصويب عن كتاب المقنع فى رسم المصحف لأبى عمر الدانق .

(٢) فى الأصل : « من » والتصويب عن كتاب المقنع أيضاً .

(٣) الروم : حركة غنطسة مخففة لغرب من التخفيف وهى أكثر من الإشمام لأنها تسع .

(٤) الإشمام : ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمة إشارة إلى أن الحركة المهددة ضمة . من غير أن يظهر
لذلك أثر فى النطق .

قال الشيخ أبو عمرو الداني: وقد وردت الكراهة بنقط المصاحف عن عبد الله ابن عمر؛ وقال بذلك جماعة من التابعين .

وأعلم أن كُتَابَ الدِّيُونَةِ لا يَمرُجونَ على النقط والشكل بحال ، وكُتَابُ الإِنْشاءِ منهم مَنْ منع ذلك عِشاشَةً لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ عن نسبته ليجعل بأنه لا يقرأ إلا ما نُقِطَ أو شِكِلَ ، ومنهم مَنْ نَدَبَ إِلَيْهِ ، لِلضَّبْطِ وَالتَّقْيِيدِ كما تَقَدَّمَ .

والحق التفريق في ذلك بين ما يَقَعُ فِيهِ اللَّئِسُ وَيُتَطَرَّقُ إِلَيْهِ التَّعْرِيفُ لِعَلاقَتِهِ أَوْ غَرَابَتِهِ ، وَبَيْنَ مَا تَسَهَّلُ قِرَاءَتُهُ لَوْضُوحِهِ وَسَهُولَتِهِ .

وقد رَخَّصَ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ بِالْإِعْرَابِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ رِبْعَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأَبْنُ وَهْبٍ . وَصَرَحَ أَصْحَابُنَا الشَّافِعِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ يُنْدَبُ نَقْطُ الْمَصْحَفِ وَشِكْلُهُ ؛ أَمَّا تَجْرِيدُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ فَذَلِكَ حِينَ آبَتْ إِدْيَا جَمْعَهُ حَتَّى لَا يُدْخِلُوا بَيْنَ دَفْعِي الْمَصْحَفِ شَيْئًا سِوَى الْقِرَاءَانِ ، وَلِذَلِكَ كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ .

وَأَمَّا أَهْلُ التَّوْقِيعِ فِي زَمَانِنَا فَإِنَّهُمْ يَرْغَبُونَ عَنْهُ خَشْيَةَ الْإِظْلَامِ بِالنُّقْطِ وَالشُّكْلِ إِلَّا مَا فِيهِ الْبَاسُ عَلَى مَا مَرَّ ؛ وَأَهْلُ الدِّيُونَةِ لَا يَرُونَ شَيْءَ مِنْ ذَلِكَ أَصْلًا وَيَمْتَدُّونَ ذَلِكَ مِنْ عِيُوبِ الْكِتَابَةِ وَإِنْ دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ؛ وَاقَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

الجملة الرابعة

فَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ الشَّكْلُ وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّكْلَ جَارٍ مَعَ الْإِعْرَابِ كَيْفَمَا جَرَى ، فَيَنْقَسِمُ إِلَى السُّكُونِ (وَهُوَ الْجُزْمُ) ، وَإِلَى الْفَتْحِ (وَهُوَ النَّصْبُ) ، وَإِلَى الضَّمِّ (وَهُوَ الرِّفْعُ) ، وَإِلَى الْجَزْزِ (وَهُوَ الْخَلْفُضُ) .
أَمَّا السُّكُونُ فَلَا يَنْشَأُ إِلَّا مِنْ الْأَصْلِ . وَأَمَّا الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ فَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا مَشَاكِلَةٌ لِلْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ : فَالرِّفْعُ مَشَاكِلٌ لِحَرَكَةِ الْفَلَكَ لِأَرْتِفَاعِهَا . وَالْجَزْمُ مَشَاكِلٌ لِحَرَكَةِ

الأرض والماء لا تخفاضها، والنصب مشاكل لحركة النار والهواء لتوسطها؛ ومن ثم لم يكن في اللغة العربية أكثر من ثلاثة أحرف بعدها ساكن إلا ما كان معدولا . فسبحان من أتقن ما صنع ! .

- ثم الذى عليه أكثر النحاة أن الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المد واللين وهى الألف، والواو، والياء، اعتمادا على أن الحروف قبل الحركات والثانى مأخوذ من الأول. فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب فى قولك : رأيت زيدا، ولقيت عمرا، وضربت بكرا؛ والألف علامة النصب فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : رأيت أباك، وأكرمت أخاك؛ ويكون إطلاقا للرؤى المنسوب كقولك : المذهب، وأنت تريد المذهب ، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف ؛ والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها، والكسرة علامة الخفض فى قولك : مررت بزيدا، وأخذت عن زيد حديثا، والياء علامة الخفض أيضا فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال ؛ والضممة من الواو لأنها من مخرجها : من الشفتين، وهى علامة الرفع فى قولك : جاءنى زيد، وقام عمرو، ونخرج بكرا، والواو علامة الرفع فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

- وذهب بعض النحاة إلى أن هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، الألف من الفتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة اعتمادا على أن الحركات قبل الحروف ، بدليل أن هذه الحروف تحدث عند هذه الحركات إذا أشبعت ، وأن العرب قد استغنت فى بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف اكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل على فرعه .

وزهب آخرون إلى أن الحروف ليست مأخوذة من الحركات ، ولا الحركات مأخوذة من الحروف ، اعتمادا على أن أحدهما لم يسبق الآخر ، وصححه بعض النحاة .

الجملة الخامسة

في صور الشكل ومَحَالِّ وضعه على طريقة المتقدمين والمتأخرين
 ٥ وأعلم أن المتقدمين [يميلون^(١)] في [شكل^(٢)] غالب الصور إلى النقط بلون يخالف لون الكتابة .

وقال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وأرى أن يستعمل للنقط لونان :
 الحجرة والصُّفْرَة ، فتكون الحجرة للحركات ، والتنوين ، والتشديد ، والتخفيف ،
 والسكون ، والوصل ، والمدة ؛ وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

١٠ قال : وعلى ذلك مُصَاحِفُ أهل المدينة . ثم قال : وإن استعملت الحضرة للإبتداء بألفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا ، فلا أرى بذلك بأسا . قال :
 ولا أستجيز النقط بالسواد لمسا فيه من التغير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقصّدوا أحدثوا لذلك صُورًا مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل شكل منها ، ومن أجل اختلاف صُورِها وتباين أشكالها رَخَّصُوا في رسمها بالسواد .
 ١٥ ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور :

الأولى

علامة السكون

والمفتحة من يفعلون علامة ذلك جرةٌ بالحجرة فوق الحرف ، سواء كان الحرف
 ٢٠ المسكن همزة كما في قولك : لم يَسَأْ ، أو غيرها من الحروف كالنال من قولك : أذهب

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) في الأصل : « استعمل النقط لونين » والتصويب من كتاب الفتح في رسم المصحف لأبي عمرو الداني .

- أما المتأخرون : فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذا الميم آخر حرف من الجزم ، وحذفوا عملاقة الميم استخفافا ، وسموا تلك الدائرة جزمة ، أخذا من الجزم الذى هو لقب السكون ، ويحتمل أن يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة الصفر فى حساب الهنود ونحوهم إشارة إلى خلو تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى ، ومنه قولهم : "صَفَرُ الْيَدَيْنِ" بمعنى أنه فقير ليس فى يديه شئ . من المال . وحذفوا الكُتَّابَ يجعلونها جيا لطيفة بغير عملاقة إشارة إلى الجزم .

الثانية

علامة الفتح

- أما المتقدمون فإنهم يعملون علامة الفتح نُقْطَةً بالجرّة فوق الحرف . فإن
- ١٠ أثبتت حركة الفتح تنوينا ، جعلت نقطتين ، أحدهما للحركة ، والأخرى للتنوين . والمتأخرون يعملون علامتها ألفا مضطجعة . لما تقدّم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعتلة ورسموها بأعلى الحرف موافقة للتقدمين فى ذلك ، وسموا تلك الألف المضطجعة نُصْبَةً أخذا من النصب ، ويعملون حالة التنوين خطتين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدمون لذلك نقطتين ، وعبروا عن الخطتين بنصبتين .
- ١٥ قال الشيخ عماد الدين بن المقفّى رحمه الله : ويكون بينهما بقدر واحدة منهما .

الثالثة

علامة الضم

- أما المتقدمون فإنهم يعملون علامة الضمة نقطة بالجرّة وسط الحرف أو أمامه ، فإن لحق حركة الضم تنوين ، رسموا لذلك نقطتين : أحدهما للحركة ، والأخرى للتنوين على ما تقدّم فى الفتح .
- ٢٠

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضيمة واوا صغيرة ، لما تقدم أن الواو من علامة الرفع في الأسماء المعتلة ، وسموها رفعة لذلك ، ورسومها بأعلى الحرف ولم يجعلوها في وسطه كيلا تشين الحرف ، بخلاف المتقدمين لمخالفة اللون ولطافة النقطة . فإن لحق حركة الضم تنوينٌ رسموا لذلك واوا صغيرة بخطِّ بعدها : الواو إشارة للضم ، والنقطة إشارة للتنوين ، وعبروا عنها برفعتين . وبعضهم يجعل عوض الخطة واوا أخرى مردودة الآخر على رأس الأولى .

الرابعة

علامة الكسر

والمقدمون يجعلون علامة الجحوة نقطة بالجمرة تحت الحرف . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين .
والتأخرون جعلوا علامة الكسر شظية من أسفل الحرف إشارة إلى الياء التي هي علامة الجحر في الأسماء المعتلة على ما مر ، وسموها تلك الشظية خفضة ، أخذوا من الخفض الذي هو لقب الكسر ، ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محلها . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطتين من أسفله : إحداهما للحركة ، والأخرى للتنوين .

الخامسة

علامة التشديد

والمقدمون اختلفوا : فذهب أهل المدينة أنهم يرسمون علامة التشديد على هذه الصورة $\left[\sqrt{\frac{1}{x}} \right]$ ولا يجعلون معها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشد مع الفتح فوق الحرف ، ومع الكسر تحت الحرف ، ومع الضم أمام الحرف .
(١) الإضافة عن تجاب الفتح في رسم المصحف . ومحلها بياض في الأصل والفتوة .

- قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وعليه عامة أهل بلدنا . قال : ونهم
من يجعل مع ذلك نقطة علامة للإعراب ، وهو عندى حسن ،
وعامة أهل الشرق على أنهم يرثمون علامة التشديد صورة شين من غير عرافة
على هذه الصورة (=) كأنهم يريدون أول شديداً ، ويجعلون تلك العلامة فوق
الحرف أبداً ويعربونه بالحركات . فإن كان مفتوحاً جعلوا مع الشدة نقطة فوق
الحرف علامة الفتح ، وإن كان مضموماً جعلوا مع الشدة نقطة أمام الحرف علامة
الضم ، وإن كان مكسوراً جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة الكسر .
وعلى هذا المذهب استقر رأى المتأخرين أيضاً ؛ غير أنهم يعملون بدل النقط الدالة
على الإعراب علامات الإعراب التي اصططلحوا عليها من النصب ، والرفع ،
والخفض . فيجعلون النصب والرفع بأعلى الشدة ، ويجعلون الخفض بأقل الحرف
الذى عليه الشدة . وبعضهم يجعلها أسفل الشدة من فوق الحرف . ولا فرق في ذلك
بين أن يكون المشدد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

السادسة

علامة الهمزة

- والمتقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالقوا بها نقط الإعراب كما تقدم في كلام
الشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله : ويرثمون فوق الحرف أبداً ، إلا أنهم يأتون
معهما بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالخطرة على ما تقدم .
وشواء في ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفاً ؛ إذ حق الهمزة أن تلزم مكاناً
واحداً من السطر ، لأنها حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونها عينا
بلا عرافة ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين ، ولأنها تمتحن بها كما سيأتى .

ثم إن كانت الهمزة مصورة بصورة حرف من الحروف، فإن كانت الهمزة ساكنة، جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاها . وإن كانت مفتوحة، جعلت بأعلى الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها . وإن كانت مضمومة، جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها . وإن كانت مكسورة، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها . وربما جعلت بأعلى الحرف والخفضة بأسفله .

وقد اختلف القدماء من النحويين في أى الطرفین من اللام ألف هي الهمزة . فحكى عن الخليل بن أحمد رحمه الله أنه قال : الطرف الأول هو الهمزة، والطرف الثاني هو اللام .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وإلى هذا ذهب عامة أهل النقط ، واستدلوا على صحة ذلك بأن رسم هذه الكلمة كانت أولا لاما مهسولة في طرفها ألف على هذه الصورة " لا " كنحو رسم ما أشبه ذلك مما هو على حرفين من سائر حروف المعجم مثل " يا ، وا " وما أشبههما إلا أنه استثقل رسم ذلك كذلك في اللام ألف خاصة لأعتدال طرفيه لمشابهة كتابة الأعاجم لحسن رسمه بالتضفير فضم أحد الطرفين إلى الآخر فأيهما ضم إلى صاحبه كانت الهمزة أولى ضرورة . وتعتبر حقيقة ذلك بأن يؤخذ شيء من خيط ونحوه فيصغر ويخرج كل واحد من الطرفين إلى جهة ، ثم يقام الطرفان فيتين من الوجهين أن الأول هو الثاني في الأصل ، وأن الثاني هو الأول لا محالة في التضفير .

وأبضا فقد اتفق أهل صناعة الخط من الكتاب القدماء وغيرهم على أنه يرسم الطرف الأيسر قبل الطرف الأيمن ، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من ابتدأ برسم الألف قبل الميم في " ما " وشبهه مما هو على حرفين ،

فثبت بذلك أن الطرف الأول هو الهمزة، وأن الطرف الثاني هو اللام، إذ الأول في أصل القاعدة هو الثاني، والثاني هو الأول على ما مر، وإنما اختلف طرفاها من أجل التضعيف.

- وخالف الأخفش، فزعم أن الطرف الأول هو اللام، والطرف الثاني هو الهمزة، وأستشهد لذلك بأن ما تلفظ به أولا هو المرسوم أولا وما تلفظ به آخر هو المرسوم آخر، ونحن إذا قرأنا لأنت ولأنه ونحوهما لفظنا باللام أولا ثم بالهمزة بعدها، ونازعه في ذلك الشيخ أبو عمرو الداني. والحق أن ذلك يختلف باختلاف اللام ألف على ما رتبته متأخرو الكتاب الآن. ففي المصفورة على ما تقدم، وفي المصورة بهذه الصورة "لا" بالعكس.

- ١٠ وإن كانت الهمزة غير مصفورة بحرف من الحروف كالهمزة في جزء وخب؛ جعلت العلامة في محل الهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب: من سكون، وفتح، وضم، وكسر. فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوين، جعل مع الهمزة علامة التنوين: من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على ما مر في غير الهمزة. قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله: وتمتحن الهمزة في موضعها من الكلام بالعين، غيبت وقعت العين وقعت الهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة لحقها التنوين أو لم يلحقها، فتقول في آمنوا عامنوا، وفي وءاتى المال وعاتى المال، وفي مستزعين مستزعين، وفي خاسئين خاسعين، وفي مبرهون مبرعون، وفي متكئون متكئون، وفي ماء ماع، وفي سوء سوع، وفي أولياء أولباع، وفي تنوع تنوع، وفي تنوع تنوع، وفي أن تبوعا أن تبوعا، وفي تنوع تنوع، وفي من شاطي من شاطع، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطرد.

السابعة

علامة الصلة في لغات الوصل

أما المتقدمون فإنهم رسموا لها جِزَّة بالجمرة في سائر أحوالها، وجعلوا محلها تايما
للحركة التي قبل ألف الوصل . فإن وليها فتحة كما في قوله تعالى : "نَتَقُونَ الَّذِي"
جعلت الصلة جِزَّة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما
في قوله تعالى : "رَبِّ الْعَالَمِينَ" جعلت الصلة جِزَّة حمراء تحت الألف على هذه
الصورة (ا) وإن وليها ضمة كما في قوله تعالى : "نَسْتَعِينُ أَهْدِنَا" جعلت الصلة
جِزَّة حمراء في وسطها على هذه الصورة (+) . فإن لحق شيئا من الحركات التنوين
جعلت الصلة أبدا تحت الألف ، لأن التنوين مكسور للسكينة ما لم يأت بعد
الساكن الواقع بعد ألف الوصل ضمة لازمة نحو قوله تعالى : "فَتَيَلَّأُنْظُرُ" و"عَبُورِ"
أَدْخُلُوها" . قال بعضهم : يضم التنوين فتجعل الجزة على ذلك في وسط الألف .
وأما المتأخرون [فإنهم رسموا لذلك صادًا لطيفة إشارة إلى الوصل^(١)] وجعلوها
بأعلى الحرف دائما ولم يرأوها في ذلك الحركات ، اكتفاءً باللفظ .

تنبیه

قد تقدم في ...^(٢) ... الأول من الهجاء أن اللفظ قد يتعين في الهجاء إلى الزيادة
والنقصان ، ولا شك أن الشكل يتغير بتغير ذلك ، ونحن نذكر من ذلك ما يختص
بالهجاء العرفي دون الرسمي باعتبار الزيادة والنقص .

(١) الزيادة عن "ضوء الصبح" وجعلها ياءش بالأصل .

(٢) ياءش في الأصلي .

أما الزيادة، فقتل أولئك، وأولو، وأولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الداني : وسبيلك أن تجعل علامة الهمزة نقطة بالصفرة في وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعل نقطة بالحمرة أمامها في السطر لتدل على الضمة . قال : وإن شئت جعلتها في الواو الزائدة، لأنها صورتها، وهو قول عامة أهل النقط . هذه طريقة المتقدمين .

أما المتأخرون، فإنهم يجعلون علامة الهمزة على الواو وهو مخالف لما تقدم من اعتبار الهمزة بالعين فإنها لو أمتحن بالعين، لكان لفظها عولك وكذلك البواقي .

وأما النقص فمثل النبيّن إذا كتبت بياء واحدة، وهؤلاء، وباء ادم إذا كتبتا بحذف الألف بعد الهاء في هؤلاء والألف الثانية في بباء ادم فترسم علامة الهمزة من النقطة الصفراء وحركتها على رأي المتقدمين، وصورة العين على رأي المتأخرين قبل الياء الثانية في النبيين . وتجعل ذلك على الألف الثانية في بآدم لأنها صورتها وعلى الواو في هؤلاء لأنها صورتها .

ووراء ما تقدم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والمدة وغيرها : من متعلقات القراءة ليس هذا موضع ذكرها، والله أعلم .

فائدة

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا بد من تناسب الشكل والنقط وتناسب البياضات في ذلك للحروف .

الفصل الرابع

من الباب الثاني من المقالة الأولى

في المجيء ، وفيه مقصدان

المقصد الأول

في مصطلحه الخاص ، وهو على ضربين

الضرب الأول

المصطلح الرسمي

وهو ما أصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم في كتابة المصحف عند جمع
القرآن الكريم ، على ما كتبه زيد بن ثابت رضي الله عنه ، ويسمى الاصطلاح
السلفي أيضا ، ونحن نورد منه ما جرت إليه الكلام ، أو وافق المصطلح العرفي . ١٠

الضرب الثاني

المصطلح العروضي

وهو ما أصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر ، واعتادهم في ذلك على
ما يقع في السمع دون المعنى ، إذ المعتقد به في صنعة العروض إنما هو اللفظ ،
لأنهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركا وساكتا فيكتبون التنوين ١٥
نونا ، ولا يراعون حذفها في الوقف ، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ، ويحذفون
اللام وغيره مما يدغم في الحرف الذي بعده : كالرحمن والذاهب والضارب ،
ويعتمدون في الحروف على أجراء التفعيل ، فقد يُنقطع الكلمة بحسب ما يقع من
تبيين الأجزاء كما في قول الشاعر :

سَبْدَى لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا • وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزِدْ
فيكتبونه على هذه الصورة :
سَبْدَى، لَكَ الْإِيَّامُ، ثُمَّ كُنْ، تَجَاهِلًا • وَيَأْتِي، بِالْأَخْبَارِ، مَنْ، تَزِدْ

المقصود الثاني

في المصطلح العام

وهو ما أصطلح عليه الكتاب في غير هذين الاصطلاحين •
وهو المقصود من الباب، وفيه جملتان

الجملة الأولى

في الإفراد، والحذف، والإثبات، والإبدال، وفيه مذكرتان

المذكر الأول

١٠

في بيان الأصل المتعمد في ذلك، وما يكتب على الأصل

وأعلم أن الأصل في الكتابة مطابقة المنطوق المفهوم، وقد يزيدون في وزن
الكلمة [ما ليس في وزنها] ليحصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له، وينقصون من
الكلمة [عما هو في وزنها] استخفافا واستثناء عما أتى عما أنتقص إذا كان فيه دليل
على ما يحذفون، كما أن العرب تنصرف في الكلمة بالزيادة والنقصان، ويحذفون ما لا يميم
الكلام في الحقيقة إلا به استخفافا وإيجازا إذا عرّف المخاطب ما يقصدون •
فال آين فنية : وربما تركوا الاستثناء على حاله، ولم يقصصوا بين المتشابهين
وأكتفوا بما يدل عليه من متقدم أو متأخر : كقولك للرجل الواحد : بغزوا،

(١) الإادة " مر أدب الكاتب " و " ضو. الصبح "

وللأثنين لن يفسروا ، ولجميع لن يغزوا بالواو والألف في الجميع من ذير تفرق بين
الواحد والأثنين والجمع ، ويقوّه على أصله .
إذا علمت ذلك ، فالمكتوب على المصطلح المعروف هو على قسمين :

القسم الأول

ما له صورة تخصه من الحروف ، وهو على ضربين

الضرب الأول

ما هو على أصله المعتبر فيه ذوات الحروف وعددها بتقدير الابتداء بها
والوقوف عليها ، سواء بقي لفظه على حاله أم أقلب النطق به إلى حرف آخر
فيكتب لفظ "يأخى" بغير نون بعد الألف ، وإن كان أصله يأخى على وزن
أنفعل من المحو ، لأن الإدغام من كلمة واحدة ، بخلاف ما إذا كان الإدغام من
كلمتين ، فيكتب لفظ "ين مال" بنون في من منفصلة من ميم مال وإن كانت
النون الساكنة تدغم في الميم .

ويكتب لفظ خنقي مصدر خنق ولفظ أنت وما أشبهها بنون ، وإن كانت النون
مخفاة في القاف من خنقي وفي التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو من كافير .

ويكتب غير ما أشبهها بنون أيضا وإن كانت النون الساكنة تثقل عند
الباء ميا ، وكذلك في حالة التركيب نحو من بعد . ويكتب مثل أضربوا القوم
وغزوا الرجل يواو ، وكذلك كل ما فيه حرف مد حذف لساكن يليه لأنه لولا الالتقاء
الساكنين لثبتت هذه الواو لفظا . ويكتب أنا بألف بعد النون وإن كانت
في وصل الكلام لا إشباع في الفتحة لأن الوقف عليه بألف . ومن أجل ذلك

(١) في المباح أن نملحن من باب فاعل ومصدره ككتف ويمكن تخفيف ،

- كتبت ﴿لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ﴾ بألف بعد النون في لَكُنَّا إذ أصله لَيْكُنَّا أنا . ويكتب المتون المنصوب مثل زيدا وعمرا من قولك : رأيت زيدا وضربت عمرا بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخلاف المتون المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد، إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين وإسكان الآخر على الصحيح . وتكتب إذا المتونة بالألف على رأى المسازنى رحمه الله ومن تابعه ، لأن الوقف عليها بالألف لضعفها، والمبرد والأكثرى على أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ابن عصفور : وهو الصحيح ، لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها عنده بالنون ؛ وأيضاً فإنها إذا كتبت بالنون كانت فرقا بينها وبين إذا الطرفية لثلا يقع الإلباس ، وفصل الفزاء فقال : إن ألفت كتبت بالألف ، وإن أعملت كتبت بالنون لثوتها . ويحكى عن ١٠ أبى التباس محمد بن يزيد أنه كان يقول : اشتبى أن أكتوى يد من يكتب إذن بالألف لأنها مثل أن وأن ، ولا يدخل التنوين في الحروف .

- ويكتب نحو لَسَعَمًا بالألف لأن الوقف عليها بالألف ، وكذلك يكتب اضرباً زيدا ولا تضرباً عمرا بالألف على رأى من ادعى أنه الأكثر ، وجهه بأن النون الخفيفة تنقلب ألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً في الوقف . ١٥

وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بالنون تشبيهاً لثوته بنون الجمع نحو اضرب^(١) للجمع المذكور به جزم الشيخ أبو حيان . وجهه بأنه لو كتبت بالألف لكتبت بأمر الاثنين ونهيمها في الخط ، وإن كنت إذا وقفت عليه وقفت بالألف ، فلم تراع حالة الوقف في ذلك ، لأن الوقف منع من اعتباره ما عرض فيه من كثرة

(١) أى تشبهاً لنون التوكيد التى فى العمل المستد إلى المفرد بنون التوكيد التى فى الفعل المستد إلى الجمع . ٢٠

الإلباس، لأنهم لو أرادوا (على الوقف بالألف) كتابته بالألف، كثُر اللَّبْسُ بالوقف والخط، فتجنبوا ما كثُر به الإلباس، ويكتب كل اسم في آخره ياء نحو قاضي وغازي وداعي وحادي وساري ومشتري ومهتدي ومُسْتَدْعِي ومُقْتَرِي في حالي الرفع والجر بنير ياء، كما في قولك: جاء قاضي ومررت بقاضي، وكذا في الباقيات، وفي حالة النصب بالياء مع زيادة ألف بعدها كما في قولك: رأيت قاضياً وغازياً وداعياً وما أشبهه.

وإن كان جمعاً، فإن كان غير منصرف كُتِبَ في حالي الرفع والخفض بنير ياء على ما تقدّم.

فِي كُتِبَ في الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسَوَارٍ ودَوَاعٍ، وفي الخفض مررت بِجَوَارٍ وسَوَارٍ وغواشٍ ودَوَاعٍ بنير ياء في الحالتين.

ويكتب في النصب بالياء إلا أنه لا تزد الألف بعدها، فتكتب رأيت جوارى وسوارى ودواعى.

فإذا دخلت الألف واللام في جميع هذه الأسماء، أثبتت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعي والغازي والقاضي والمستدعي وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعى بالياء في الجميع.

قال ابن قتيبة: وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا في كتابة المصحف. ويكتب نحو: رة أسرا بالزوية، ولم يرة نفا للزوية، ورة أسرا بالوقاية، ولم يرة نفا لذلك وما أشبهه بالهاء وإن كانت الهاء تسقط منه حالة الدرج، لأن الوقف عليها بالهاء. وكذلك قولهم: ^(١)بمه أثبت، ويحي مة جئت، لأن الوقف على ما الاستفهامية بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهاء، بخلاف ما إذا وقعت ما المحذوف ألفها بعد

(١) في الأصل والضم: «مه أنت» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

الجار نحو : حَتَّامٌ وَالْآمُ وَعَلَّامٌ ، فإنه لا تلحقها الهاء لشدة الاتصال فلا تكتب بالهاء .
وتكتب تاء التانيث في نحو : رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمعة بالهاء ،
لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح ؛ وبعضهم يقف عليها بالنساء ، وهي لغة قليلة
فتكتب بالتاء موافقةً للوقف . وقد وقع في رسم المصحف الكريم مواضع من ذلك
نحو قوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ أَنَّهُ يَكْفُرُونَ ﴾ كتبوا أَفَتُؤْمِنُونَ بالتاء ، والأكثر ما تقدم .

قال ابن قتيبة : وأجمع الكتابُ على كتابة السَّلام عليك ورحمت الله وبركاته
في أول الكتاب وآخره بالتاء . قال : فإن أضفت تاء التانيث إلى مضمر ، صارت تاء
فتكتب تتجبرتك وناقتك ورحمتك وما أشبهه بالتاء .

أما أخت وبنت ، وجمع المؤنث السالم مثل : قائمات وصائمات وتائبات ، وتاء
التانيث الساكنة في آخر الفعل نحو : قامت وقعدت ، وما أشبه ذلك ، فإنه يكتب
جميع ذلك بالتاء لأن الوقف عليها بالتاء .

قال ابن قتيبة : وهبتات يوقف عليها بالهاء والتاء ، والإجماع على كتابتها بالتاء
ثم اللفظ الذي يكتب على نوعين :

النوع الأول

أن يكون أسماء الحرف من حروف الهجاء ؛ وهو مل وجهين :

الوجه الأول

أن يكون أسماء فاصرا على الحرف لم يُسم به غيره ؛ وله حالان
أحدهما - أن يقصد اسم ذلك الحرف لا مُسماه فيكتب الملفوظ به نحو : جيم
إذا سئل كتابته فيكتب بجيم وياء وميم .

- الثاني — أن يقصد مسماء لاسمه فيجب الاختصار في الكتابة على أول حرف في الكلمة، ويكتب بصورة ذلك الحرف مثل : ق ق ن ص، ولذلك كتبت الحروف المفتوح بها السور على نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالاً لهذه الحروف لتمييزها، فهي أسماء مدلولاتها أشكال خطية، ولو لم يضعوا لها هذه الأشكال الخطية، لم يكن لخط دلالة على المنطوق . ولو اقتصرنا على كتبها على حسب النطق ولم يضعوا لها أشكالاً مفردة لتمييزها لم يمكن ذلك، لأن الكتابة بحسب النطق متوقفة على معرفة كل حرف وحرف وشكل كل حرف وحرف غير موضوع، فأستحال كتبها على حسب النطق . ألا ترى أنك إذا قيل لك : أكتب جيم، عين، فاء، راء؛ وإنما تكتب هذه الصورة "جعفر" والمففوظ بلسان الأمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه، لكان المكتوب "جيم" كالمففوظ على قياس غيره من الألفاظ .
- ويشهد لذلك ما حكى أن الخليل رحمه الله قال يوماً لطلبته : كيف تخطفون بالجيم من جعفر؟ فقالوا جيم فقال : إنما نطقتم بالأمم ولم تلفظوا بالمسئول عنه، ثم قال : الجواب جة لأنه المسمى من الكتاب (يريد جيم مفتوحة)، وإنما أتى فيها بالهاء يمكن الوقف عليها) .

الوجه الثاني

- ألا يكون الاسم قاصراً على الحرف بأن يسمى به غيره أيضاً كما إذا سمي رجل بقات أو بياسين، فللكتاب فيه مذهبان :
- أحدهما — أن تكتب صورة الحرف هكذا ق و يس
- والثاني — أن يكتب المففوظ به هكذا "قات" و "ياسين" وهو أخيران
- أبي عمرو بن الحارث رحمه الله .

النسوع الثاني .

آلا يكون آسما لحرف من حروف المعجم ، وهو على وجهين أيضا

الوجه الأول

أن يكون له معنى واحد فقط

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاي ، ياء ، دال .

الوجه الثاني

أن يكون له أكثر من معنى واحد

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك : أكتب شعرا فإن دلت القرينة على أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) وإلا فيكتب ما ينطبق عليه الشعر إذ هو معنى الشعر .

الضرب الثاني

ما تغير عن أصله ، وهو على ثلاثة أنواع

النسوع الأول

ما تغير بالزيادة . والزيادة تقع في الكتابة بثلاثة أحرف

الحرف الأول

الألف ، وتزاد في مواضع

(منها) تزداد بعد الميم في مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقا بينها وبين منه وإنما كانت الزيادة من حروف العلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها ، وكان حرف العلة ألفا لأنها تشبه الهمزة ، ولأن الفتحة من جسد الألف . ولم تكن الزيادة ياء ، لأنه يستشكل في الخط أن يجمع بين حرفين مثلين في موضع ما مون فيه اللبس .

(١) عبارة الضرر : فإن كان له معنى (أى واحد) كتب على هذه الصورة " زيد " وهو أوضح .

ألا ترى إلى كتابتهم خطيبة على وزن فعيلة بياء واحدة ولو كتبت على صيغة لفظها ،
لوجب أن تكتب بياءين ياء لبياء فعيلة ، وياء هي صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة
واوا لاستتقال الجمع بين الياء والواو؛ ويجعل الفرق في مائة ولم يجعل في منه لأن مائة
أسم ومنه حرف والأسم أحمل للزيادة من الحرف ، ولأن المسائة محذوفة اللام بدليل
قولهم : أمأيت الدراهم ، بفعل الفرق في مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الاستعمال ؛
ثم اختلف في المنفى منه فقليل لا يزداد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لئس
في التثنية ، والراجح الزيادة كما في الأفراد ، لأن التثنية لا تغير الواحد عما كان عليه .

أما في حالة الجمع ، فقد اتفقوا على منع الزيادة فكتبوا "مئين ومئات" بغير
ألف بعد الميم ، لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد ، وجمع السلامة ربما تغير فيه
أيضا فقلت . ١٠

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله : وقد رأيت بخط بعض النحاة "مائة"
على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء . قال : وكثيرا ما أكتبُ أنا "مئة"
بغير ألف كما تكتب "فئة" لأن كُتِبَ مائة بالألف خارج عن القياس . فالذي أختاره
أن تكتب بالألف دون الياء على وجه تحقيق الهمزة ، أو بالياء دون الألف على
وجه تسهيلها . ١٠

(ومنها) تراد بعد واو الجمع المستطرفة في آخر الكلمة إذا اتصلت بفعل ماض أو فعل
أمر مثل ضَرَبُوا وأَضْرَبُوا وما أشبههما ، فتكتب بألف بعد الواو . وتسمى ابن قتيبة
هذه الألف ألف الفصل لأنها تفصل بين الفعل^(١) كي لا تنطس الواو في آخر الفعل
بواو العطف . فإنك لو كتبتْ أَوْرَدُوا وصَدَرُوا مثلا بغير ألف ثم اتصلت بكلام

(١) لئلا الألف لها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها، ظن القارئ أنها واو العطف . ولما فصلوا ذلك في الأفعال التي تنقطع وأوها
عن الحرف كالفعلين المتقدمين، فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل وأوها بالحرف
قبلها نحو كانوا وبنوا ليكون حكم هذه الواو في جميع المواضع واحدا . أما إذا لم تنفع
طرقا في آخر الكلام نحو : ضربوهم وكألوهم ووزنوهم ، لم تلحق به الألف . فلو
أتصلت واو الجمع المذكورة بفعل مضارع نحو : لن يضربوا ولن يذهبوا . فذهب
بعض البصريين أنه لا تلحقها الألف . ومذهب الأخفش لحوقها كالماضي والأمر .
ولو أتصلت بآسم نحو : ضاربوهم وضاربو زيد . فذهب البصريين أنها لا تلحق
بل يجعل الاسم نلو الواو . ومذهب الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضاربوا زيد
وقائلا عمرو ومموا بالف بعد الواو في الجميع ، والراجح الأول .

١٠ (وهنا) زادها الفراء في يدعو ويغزو المفرد حالة الرفع خاصة نسيها بواو الجمع
واطلق ابن فنيبة النقل عن بعض كتّاب زمانه بأنها لا تلحق في مثل ذلك ، لأن
العلة التي أدخلت هذه الألف لأجلها في الجمع لا تلزم هنا ، لأنك إذا كتبت الفعل
الذي تتصل واؤه به من هذا الباب مثل : أنا أرجو وأنا أدعو ، لم تشبه واؤه واو العطف
أيضا إلا بأن تزيل الكلمة عن معناها ، لأن الواو من نفس الفعل لا تنفارقه إلا في حال
جزمه ، والواو في صدرها ، ووردوا وأوجع مكثف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد
وتنهم الواو عاطفة لثنى . عليه . قال : وقد ذهبوا مذهبا . غير أن متقدمي الكتّاب
لم يزالوا على إلحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم في كل
موضع واحدا .

قال الشيخ أمير الدين أبرحان : وفصل الكسائي في حالة النصب فقال : إن
لم يتصل به ضمير نحو [لن يدعو كتب بالف ؛ وإن اتصل به ضمير نحو] لن يدعوك ،
كتب بغير ألف فرقا بين الحالين .

(١) زيادة بضمها السابق

(ومنها) تزداد شذوذاً بعد الواو المبذلة من الألف في الرّيو فتكتب بالالف بعد الواو على هذه الصورة (الريو) تنبيهاً على أن الأصل يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زيدت في مواضع من المصحف، كما في قوله تعالى : ﴿إِنْ أَمْرُوا هَٰلَكَ﴾ تنبيهاً على أنه كان ينبغي أن تكون صورة الهمزة الفا على كل حال ولا يعتد بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هي فتح الراء دائماً، والقياس كتابته بصورة الحركة التي قبل الهمزة، وكذلك كتبوا «تَلَا أَوْضَعُوا» بزيادة ألف بعد اللام ألف، وذلك مختص برسم المصحف الكريم دون غيره فلا يقاس عليه، والله أعلم .

الحرف الثاني

الواو، وتزداد في مواضع أيضاً

١٠

(منها) تزداد في عمرو بعد الراء إذا كان علماً في حالتي الرفع والجر فربما بينه وبين عُمر . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئلا يلتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم، ولا ألفا لئلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة في عمرو دون عُمره، لأن عُمرًا أخف من عُمر من حيث بناءه على فَعْل ومن حيث أنصرأته . أما في حالة النصب فلا تزداد فيه الواو ويكتب عمرو بالف وعُمر لا يكتب بالالف لأنه لا ينصرف، وكذلك المحلّ باللام كالعُمر والمضاف كعُمره والواقع قافية شعر كقول الشاعر :

إِنَّمَا أَنْتَ فِي سُلَيْمٍ كَوَاوٍ * أُلْحَقْتُ فِي الْحِجَاءِ طُلُمًا يَعْمُرُ

١٥

وكذلك عُمر واحد عُمرور الأساس : وهو الظم الذي بينها، وما هو بمعنى المصدر مثل قولهم : لَعُمْرُ اللَّهِ لا تزداد فيه الواو إذ لا يلتبس . ولم يفرقوا في الكتابة بين عُمر العلم وعُمر جمع عُمرية لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبان .

٢٠

(ومنها) تزداد في أولئك بين الألف واللام فرقا بينها وبين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذي بعد اللام لكثرة الاستعمال فالتبس بـإليك، وكانت الواو أولى بالزيادة من الباء، لمناسبة ضمة الهمزة؛ ومن الألف؛ لاجتماع صورتى الألف، وهم يحذفون الواحدة، إذا اجتمعت صورتاها، وجعلت الزيادة في أولئك دون إليك، لأن الاسم أحمل للزيادة من الحرف ولأن أولئك قد حذف منه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالموض من المحذوف .

قال ابن الحاجب : وحملوا أولى عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين على مائة . (ومنها) تزداد في أولى وفي أولو بين الألف واللام، أما في أولى فللفرق بينها وبين لئى، وأما في أولو فبالحمل على أولى بالياء، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب، وقاله الشيخ أنير الدين أبو حيان بحثا وأدعى أنه لم يظفر في تعليقه بنص . قال : وحمل التائيث في أولات على التذكير في أولى .

(ومنها) تزداد في أوتى تصغير أى بين الألف والحاء، والتغير بأنس بالتغير . وجعلت الزيادة واوا لمناسبة ضمة الهمزة كما في أولئك ونحوه . وأكثر أهل الخط لا يزدونها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلى .

الحرف الثالث

الياء المثناة تحت

وتزداد في مواضع من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالى : ﴿بَنِيَّاهَا يُنْبِئُ﴾ بياء بين بين الألف والdal من قوله : ﴿يُنْبِئُ﴾ . وقوله تعالى : ﴿مَنْ نَبِئَا الْمُرْسَلِينَ﴾ بياء بعد الألف من نبيا، وقوله تعالى : ﴿مَنْ مَلَأِيهِ﴾ و﴿مَنْ مَلَأِيهِمْ﴾ بياء قبل الهاء فيهما . وهذا مما يجب الاتقياد إليه في المصحف اقتداء بالصحابة

رضوان الله عليهم . أما في غير المصحف فيكتب بأيد بياء واحدة لأن الهزمة فيه أول كلمة فتصور ألفا كغيرها من الحركات الواقعة أولا حل ما سبقت بيانه إن شاء الله تعالى . ويكتب من نبي ومن ملكه ومن ملثهم بغير ياء لأن الهزمة في نبي وملأ أخيرة بعد تحة فتصور ألفا كما في نحو : كلا وخطأ ، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير . وذهب بعضهم إلى أنها تكتب في هذا ياء على ما يناسب حركتها سواء أصبحت نحو : من كلكه أو لم تضاف نحو من الكلى .

قال بعضهم : والأقرب أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو : من خطئه لأنها صارت معه كلمة وسطية ويكتب ألفا إذا تظرفت نحو : من خطأ اعتبارا بما يؤول إليه في التخفيف ، والله أعلم .

النوع الثاني

ما يغير بالنقص

والنقص يقع في الكتابة على وجهين :

الوجه الأول

مالا يختص بحرف من الحروف ، وهو المدغم

فيكتب كل مشتد من كلمة واحدة حرفا واحدا نحو : شد ومد وآذ كر ومقر وآقشعز فيكتب بهال واحدة في شد ومد وآذ كر ، وراه واحدة في مقر وآقشعز وإن كان في اللفظ حرفان ، فإن الحرف المدغم فيها بعده هو متلفظ به ما كما مدعما ، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب الطق ، لكنه لما ادغم صُغف بالإدغام ، إذ صار الطق به والمدغم فيه نطقا واحدا فآقتصر في الكتابة على حرف واحد ولم يجعل للأول صورة اختصارا . وسواء كان المدغم إدغام مثل نحو : رد ، أو مقارب نحو :

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو : مِمَّ وَمِمَّ

ما يختص بحرف من الحروف

الحرف الأول

(منها) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجزر، فيكتب للقوم

وَالْغَلَامُ وَالنَّاسُ بِلَامٍ مَتَوَالِيَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ، بِخِلَافِ مَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَاءُ الْجُزْءِ ١٠
فَهِيَ لَا تُحَذَفُ، فَيَكْتُبُ بِالْقَوْمِ وَالْغَلَامِ وَالنَّاسِ بِأَلْفٍ بَيْنَ الْبَاءِ وَاللَّامِ . وَإِنْ
كَانَ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ أَلْفٌ وَلَامٌ مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ لَيْسَ اللَّامُ اللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ نَحْوُ الْأَلْفِ
وَاللَّامِ فِي الْإِنْفَاءِ وَالْكَفَاتِ وَالْإِتِّبَاسِ . ثُمَّ دَخَلَتْ لَامُ الْجُزْءِ أَوْ بَاءُ ثَبَتِ الْأَلْفُ ،
فَيَكْتُبُ بِالْأَتَانِ وَالْإِتْنَانِ وَالْإِتِّبَاسِ الْأَمْرَ عَلَى وَبِاتِّبَاسِهِ ، فَإِنْ أَدَخَلْتَ أَلْفَ
التَّعْرِيفِ وَلَامَهُ عَلَى الْأَلْفِ وَاللَّامِ اللَّامِ مِنَ نَفْسِ الْكَلِمَةِ لِلتَّعْرِيفِ وَلَمْ تَصِلْ الْكَلِمَةُ ٢٥
بِلَامِ الْجُزْءِ وَإِنَّمَا لَمْ تُحَذَفْ شَيْئًا ، فَيَكْتُبُ الْإِنْفَاءَ وَالْكَفَاتِ وَالْإِتِّبَاسِ بِالْفَيْنِ^(٢)
وَالَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَصَلْتُمَا بِلَامِ الْجُزْءِ أَوْ بَاءَهُ ، فَيَكْتُبُ بِالْإِنْفَاءِ وَالْكَفَاتِ
وَالْإِتِّبَاسِ وَالْكَفَاتِ وَالْكَفَاتِ وَالْإِتِّبَاسِ .

(ومنها) تُحذف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالى، وبعد الميم من الرحمن إذا

دخلت عليها الألف واللام، فيكتب الله بلامين بعدهما ها، على هذه الصورة "الله" ٢٠

(١) في الأصل : «وعم والإام» والبيان يقتضي حذف كلمة «و» لأنّها ليست من الباب .

(٢) و الأصل : « ملايين » والباقي ينص على ما أفتناه .

وإن كانت المدة بعد اللام الثانية توجب ألفاً بعدها، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم على هذه الصورة "الرحن" وإن كانت المدة على الميم توجب ألفاً بعدها، لأنه لا ألتباس في هذين اليمين، ولكثرة الاستعمال، فلو تجوزا عن الألف واللام كتبنا بالألف كما قالوا: لا إه أبوك، يريدون لله أبوك، لحذفوا حرف الجر والألف واللام وكتبوه بالألف. وكقولك: رحمان الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف.

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام في عبد السلام وفي السلام عليكم، فيكتبان على هذه الصورة: "عبد السلم" و"السلم عليكم".

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة فتكتب على هذه الصورة: "ملككة". قال أحمد بن يحيى: لأنه لا يشبه لفظ مثله، ولكثرة الاستعمال.

(ومنها) تحذف بعد الميم من سموات، فتكتب على هذه الصورة: "سموات". قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: وعلة الحذف فيه علة الحذف في الملائكة من كثرة الاستعمال وعدم الشبه. وأما الألف الثانية منه وهي التي بعد الواو، فإنها لا تحذف، لأنها دليل الجمع، ولأنها لو حذفت لاجتمع في الكلمة حذفان، وقد كتبت في المصحف بحذف الألفين جميعاً فيجب الإبقاء إليه في المصحف خاصة.

(ومنها) تحذف بعد اللام في أولئك، وبعد الذال من ذلك فيكتبان على هذه الصورة: "أولئك" و"ذلك". فلو تجوز أولاء، وفذا عن حرف الخطاب وهو الكاف، كتبنا بالألف فيكتبان على هذه الصورة: "أولاء" و"ذا".

(ومنها) تحذف بعد ها التنبيه إذا اتصلت بهذا التي للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب في آخر الكلمة، فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء، فيكتب الجميع بغير ألف، فإن اتصلت بأسم الإشارة الكاف نحو ذاك أنتع الحذف، فيكتب بألف.

(١) أي وأولاء كما يؤخذ من التثنية.

بعد الهاء على هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر اختلاف حرف الخطاب بالنسبة للأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تاءى فى الإشارة بتاءى للذكر وبقى للثؤنت ؛ فإن الألف لا تحذف معهما إذا اتصلت بهما ها التنبيه ، فيكتب ها تا وهاتى وهاتان .

وذكر أحمد بن يحيى : أنها حذفت من هاتم وهانا وهانت أيضا ، فكتب

- بألف واحدة بعد الهاء فى جميع ذلك . قال : وهو القياس ؛ وكان الأصل أن تكتب بألفين على هذه الصورة : ها أتم وهأ أنا وهأ أنت ؛ ثم تلى الهزمة . ودليل أن ألف ها قد حذفت من ها التنبيه فى غير اتصالها بذى وما والاها من رسم المصحف فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم فى النور (آية المؤمنين) وفى الزخرف (بآية الساجر) وفى الرحمن (آية الثقلان) .

- ١٠ قال ابن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب فى القرآن الكريم بالألف وغير الألف لاختلافهم فى الوقف عليها .

(ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثمانى نساء ، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان فإنه لا تحذف الألف ، بل تكتب على هذه الصورة : "ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان" لأنه قد حذفت منه الياء فلو حذفت الألف ، لتوالى الحذف فيكثر ؛ فمثل قول الشاعر :

- ١٥ وَلَقَدْ شَرِبْتُ تَمْنِيًا وَتَمْنِيًا * وَتَمَّانَ عَشْرَةَ وَأَثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا

يكتب الأولان بغير ألف والثالثة بالألف . وفى ثمانين وجهان : أحدهما إثبات الألف بعد الميم فيها ، لأنه قد حذفت منه الياء إذ الياء فى ثمانين ليست ياء ثمانية ، لأنها حرف الإعراب المنقلب عن الواو فى حالة الرفع ، فلو حذفت الألف أيضا لتوالى فيه الحذف . والوجه الثانى الحذف ، لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه

- ٢٠ (١) هكذا فى الضوء . أيضا ولعله مهوأ سبق فلم تأنى وبقى للثؤنت كما هو واضح .

قد عاقبتها ياء أخرى فهما لا يجتمعان ، فكان الياء موجودة إجراء للعاقب مجرى المعاقب . وإذا قلت ثمانون بالواو ، لحكمه حكم ثمانين بالياء في جواز الوجهين .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ثلاث فيكتب على هذه الصورة : "ثَلَث" سواء كانت مفردة ، نحو عندى ثَلث من البط ، أو مضافة نحو ثَلث نساء ، أو مركبة نحو ثَلث عشرة امرأة ، أو معطوفة نحو ثَلث وثلاثون جارية ، وحكم ثلثة بالياء كذلك في جميع الصور .

وكذلك تحذف أيضا من ثلاثين وثلاثون بالياء والواو ، فيكتبان على هذه الصورة : "ثَلثين" و "ثَلثون" .

فأما ثَلَاث المندول كما في قوله تعالى : (مَتْنِي وَثَلَاث) . فقال الشيخ أنبأ الدين أبو حيان رحمه الله : لم أقف فيه على نقل . قال : والذي اختاره أن يكتب بالألف لوجهين : أحدهما أنه لم يكثر كثرة ثَلث ، وثلاثة ، وثلاثين ، وثلاثون . والثاني أنها لو حذفت لأكثرت بثَلث الذي ليس بمندول .

قال ابن قاسم رحمه الله : وقد ذكر في "المُقْنِع" أنه محذوف في الرسم .

(ومنها) تحذف من -- يا -- التي للنساء إذا اتصلت بهمزة نحو يا أحمد ، يا إبراهيم يا أبا بكر ، يا أبانا ، تكتب على هذه الصورة : يا أحمد ، يا إبراهيم ، يا أبا بكر ، يا أبانا . ثم الأظهر أن المحذوف هو ألف يا لا صورة الهزمة .

وقال أحمد بن يحيى : المحذوف صورة الهزمة لا الألف من يا نعم إذا كانت الهزمة المنصلة بيا كهزمة آدم أمتنع الحذف ، وكتبت بالفتن على هذه الصورة : يا آدم ، لأنهم قد حذفوا ألفا من آدم لتوالي أَلْفَيْنِ ، وحرف النداء مع المتأدى كالكلية الواحدة بدليل أنه لا يجوز الفصل بينهما فلو حذفت الألف من يا لاجتماع فيا هو كالكلية الواحدة حذف أَلْفَيْنِ .

(١) هو كتاب « المقنع في رسم المصحف » للإمام أبي عمرو الداني ، وتوجد منه نسخة بخطوطه محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٣ قراءات .

أما إذا لم يل يا همزة البتة نحو: يا زيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكتاب فيه إثبات الألف في يا . وفي كلام أحمد بن يحيى تجوز كتابته بغير ألف أيضا، توجيها بأنهم جملوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مقام الألف واللام بدليل أنهم لا ينادون ما فيه ألف ولا م، فلا يقولون يا الرجل .

- (ومنها) تحذف من الحارث إذا كان علماً ودخلت عليه الألف واللام، فيكتب على هذه الصورة : الحرث . أما إذا عرّى عن الألف واللام، فإنه يشبه فيه الألف لئلا يلتبس بحرب بالباء الموحدة إذ قد سمي به، وإنما امتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنما يدخلان من الأعلام على ما كان صفة إذا أريد به معنى التفاضل وحرب ليس بصفة فلم يدخل عليه وإن كانا قد دخلا على بعض المصادر كالعلاء . وكذلك إذا كان حارث اسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا ١٠
- كما إذا عرّى عن الألف واللام .

- (ومنها) تحذف مما كثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شيء، سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو : مالك، وصالح، وخالد، أو من اللغة العجمية نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فتكتب على هذه الصورة : ملك، وصلح، وخلد، وإبرهيم، وإسمعيل، وهرون، وسليمن . ١٥
- بخلاف ما إذا لم يكثر استعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطالوت، وجالوت، وهاروت وماروت، وهامان وقارون، فإنها لا تحذف ألفها .

وقد حذف في بعض المصاحف من هاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فكتبت على هذه الصورة : هروت، ومرت، وهمن، وقرون .

- ٢٠ قال الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله : وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها في نحو : صالح، وخالد، ومالك جيد .

وقال أحمد بن يحيى : يحوز فيه الوجهان ، وهو قضية كلام ابن قتيبة .

أما إذا كان العلم الذي كثر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو : «هالة ولام»^(١) فإنه لا تحذف ألفه ، وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو : إسرائيل وداود ، لأنهم قد حذفوا من إسرائيل صورة الهمزة ، ومن داود الواو فأمتنع حذف الألف للالتصالي الحذف .

ويلحق بذلك في الإثبات ما لو خيف بالحذف التباسه : كعاسر ، وعباس ، فلا تحذف منه الألف أيضا ، لأنه لو كتب بغير ألف ، لالتبس عاسر بعمر ، وعباس بعبس .

(ومنها) تحذف استحسانا مما كثر استعماله ، مما في آخره الألف والنون نحو شعبان ، وعثمان وما أشبههما ، فيكتبان على هذه الصورة «شعبن» و «عثمن» ١٠

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله : إلا أنهم لم يحذفوا ألف عمران والإثبات في نحو : شعبان حسن أيضا .

قال ابن قتيبة : فأما شيطان ، ودهقان ، وإثبات الألف فيهما حسن . وكان القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبتا بغير ألف ، إلا أن الكتاب مجموعون على ترك القياس في ذلك . ١٠

(ومنها) تحذف من كل جمع على وزن مفاعل أو وزن مفاعيل ، إذا لم يحصل بالحذف التباس الجمع فيه بالواحد لموافقة له في الصورة ، حيث لا يقع التباس مثل خواصم ودوانق في وزن مفاعل ، ومحاريب وتمائيل وشياطين في وزن مفاعيل

(١) في الأصل والنوء : «هالة وأوس ولام» وهو لا يفتق والبيان .

تُحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : خواتم ، ودَوَاتِق ، ومَحَارِيب ، وَمَنَائِل ،
وشَيَاطِين ، ودهاقين . إذ المفرد منها خَاتَمٌ ، ودَائِقٌ ، ومَحْرَابٌ ، وَمَنَائِلٌ ، وشَيْطَانٌ .
وِدِهْقَانٌ ، وهى لا تشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد ،
مثل : مساكين فى وزن مفاعيل جمع مسكين فإنه يكتب بالألف لئلا يلتبس بالواحد .
فلو كان الحذف يؤدى إلى موافقته للواحد فى الصورة لكنه فى غير موضع المفرد .
نحو : ثلاثة دراهم ، ودراهم جياد ، ودراهم معدودة ، حذف منه الألف وكتب على
هذه الصورة : ثلاثة دراهم ، ودراهم جياد ، ودراهم معدودة ، لأنه لا يلتبس حينئذ .
بخلاف عندى دراهم ونحوه فإنه لو حذف الألف منه لالتبس بدرهم المفرد .

ثم الحذف فى مفاعل ومفاعيل على ما تقدم إنما هو على سبيل الجواز ، وإلا
فالإثبات أجود .

وشرط بعض المغاربة فى جواز الحذف شرطاً ، وهو ألا تكون الألف فاصلاً
بين حرفين متماثلين ، فلا تحذف الألف من نحو : سكاكين ، ودكاكين ، ودنانير ،
لئلا يمتنع مثلاً فى الخط وهو مكروه فى الخط ككراهته فى اللفظ .

وقد كتبت فى المصحف مساكين ، ومساكينهم بغير ألف على هذه الصورة :
مَسْكِينٌ وَمَسْكِينُهُمْ ، وإن كان اللبس موجوداً .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وإنا كنا كتبنا كذلك لأنهما قد قرئتا
بالإفراد فكنتما على ما يصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا ﴿ وَمَا يُجَادِعُونَ ﴾ بغير
ألف على هذه الصورة ﴿ وَمَا يُجَادِعُونَ ﴾ لأنه يصلح لقراءة يُجَادِعُونَ من الثلاث .
(ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان ، مما جمع بالألف والتاء

المزيدتين نحو : صالحات ، وعابدات ، وقانتات ، وذاكرات ، فنكتب على هذه
الصورة : صَالِحَاتٌ ، وَعَابِدَاتٌ ، وَقَانِتَاتٌ ، وَذَاكِرَاتٌ .

وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو: الصالحين، والقانتين، فيكتب على هذه الصورة: "الصالحين" و"القانتين" وإن لم يكن فيه ألف أخرى حلا على المؤنث.

وقال بعض المغاربة: إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالساعات، والصالحات، فيختار حذف ألف الجمع وإبقاء الأخرى. وثبت في المصحف بحذف الألفين جميعا على هذه الصورة: "سموت، وصلحت" وكذلك سياحات، وغيايات. وإن كان ليس فيه ألف أخرى بالاختار إثبات الألف كالمسلمات، وثبت أيضا في المصحف محذوف الألف على هذه الصورة: مسلمت.

قال: وتحذف أيضا في جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا: كالشاكركين، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها في كثرة الاستعمال فتكتب على هذه الصورة: "الشكرين، والصدقيين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين".

نعم إن خيف اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، أمتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لالتبس بقللحات جمع قللحة. وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارحين، وفارحين. فلو حذفت الألف منه، لالتبس بحدزين، وقريحين، وقريحين، وهما مختلفان في الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهب به مذهب الزمان، وقيل يدل على المبالغة لا على الزمان.

وكذلك لو كان مضعفا مثل شابات، والعاذرين، فلا يجوز فيه حذف الألف لأنه بالإدغام نقع في الخط. إذ جعلوا الصورة للذغم والمذغم فيه شكلا واحدا. ولذلك كتبوا في المصحف: الضالين والعاذرين بالألف. وقد أجرى مجرى المضعف في الإثبات ما بعد ألفه همزة نحو: الخائنين. وقد حذفت ألفه في بعض المصاحف

فكتب على هذه الصورة: "الحسين". ويتعين الإثبات أيضا فيها هو معتل اللام مثل: دانيات حملا على دانيين، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات، ومثل: الرامين لأنه قد حذف منه لام الفعل. وحمل ما جمع بالالف والتاء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات في حذف الالف، وإن كانت العلة فيها مفقودة.

قال ابن قتيبة: وكذلك ما كان من ذوات الياء والواو لا يجوز فيه حذف الالف

نحو: هم القاضون، والرأون، والساعون، لأنهم حذفوا الياء لانتفاء الساكنين لما استنقلوا ضمة في الياء بسد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء، فكروا أن يحذفوا الالف أيضا لثلاثي يخلوا بالكلمة.

- (ومنها) تحذف إحدى الالفين مما اجتمع فيه ألفان مثل: آدم، وأزر، وأمن، وأمين، وأتين، وأنفا، ووراك، وقراءة، وبراءة، وشان، وشبهه، فكتب
- على هذه الصورة: "لدم، وأزر، وأمن وأمين، وأتين، وأنفا، ووراك، وقراءة، وبراءة، وشان" فلو افتتح الأول منهما كما في قرأ لفعل الاثنين من القراءة، كتب بالفين على هذه الصورة: (قرأ) لثلاثي يلبس بفعل الواحد، إذ المفرد تقول فيه قرأ فكتبه بalf واحدة. وذهب قوم إلى أنه في التشبيه يكتب أيضا بalf واحدة
- مسندا إلى ألف الاثنين، وبه قال أحمد بن يحيى. والذي عليه المتأخرون وهو
- الأجود عند ابن قتيبة ما تقدم.

- (ومنها) تحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث ألفات، مثل برأت جمع براءة، ومسافات جمع مسافة، فكتب بالفين فقط على هذه الصورة: "برأت" و"مسافات" لأنها في الجمع ثلاث ألفات. فلو حذفوا اثنتين، أُخلوا بالكلمة.
- (ومنها) تحذف من أول الكلمة في الاستفهام في اسم، أو فعل، نحو: الله أذن لكم؟ السحر إن الله سيظله؟ الله كرم أم الاثنين؟ أصطفى البات على

الْبَيْنِ ؟ أَلرَّجُلُ فِي الدَّارِ ؟ أَسَمَكَ زَيْدٌ أَمْ عَمْرُو ؟ فَتَكْتُبُ بِأَلْفٍ وَاحِدَةً عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ : اللَّهُ ؟ أَلْسَحْرُ ؟ أَلذَّكَرَيْنِ ؟ أَلرَّجُلُ ؟ أَسَمَكَ ؟ أَلْآنَ ؟ .

ثم مذهب أحد بن يحيى ، وعليه جرى ابن مالك رحمه الله : أنه لا فرق بين المكسورة، والمضمومة . والذي ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بألفين ، إحداهما ألف الوصل، والأخرى همزة الاستفهام .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وجاز في نحو : الرجل ، الأمران ، ورسمت في المصحف بألف واحدة نحو : الذكرين ، الآن .

(ومنها) تحذف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجزاء نحو : **عَمَّ تَسْأَلُ ؟ وَفِيمَ تَفْكَرُ ؟ وَفِيمَ تَرْفُقُ ؟ وَلِمَ تَكَلَّمْتَ ؟ وَفِيمَ عَايَنْتَ ؟ وَحَتَّى تَنْفَضُبَ ؟** وَعَلَامَ تَدَّأَبَ ؟ فتكتب كلها بغير ألف في آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة ، وبصير حرف الجزاء كأنه عوض من الألف المحذوفة . وكان الحذف من الاستفهامية دون الموصولة لأن آخرها انتهى الاسم ، والأطراف محل التغير ، بخلاف الموصولة ، لأنها متوسطة من حيث إنها تحتاج إلى صلة .

وحكى الكوفيون ثبوتها في الاستفهامية أيضا ، والله أعلم .

تذليل

تحذف الهمزة المصورة بصورة الألف في أربعة مواضع .

الأول — تحذف بعد الباء من **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ، فتكتب بغير ألف على هذه الصورة "بسم" . والقياس إثباتها كما تكتب يا أيها بالألف لكنها حذفت لكثرة الاستعمال ، أما في غير **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ، فظاهر كلام ابن مالك أنها لا تحذف ، فتثبت في **بِاسْمِ رَبِّكَ** ، وفي **بِاسْمِ اللَّهِ** ، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضاعفاً إلى لفظ الله تعالى وليس متعلقاً بالياء ملفوظاً به ،
حذفت وإلا فلا ، فثبت في بآسم ربك لأنه غير مضاف إلى لفظ الله تعالى ، وفي نحو
قولك : تبركت بآسم الله ، لأن متعلقه ملفوظ به .

- وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ نُجْرَاهَا وَنُصْرَاهَا ﴾ (١) إن شئت أثبت
وإن شئت حذفت ، فمن أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معها الرحمن الرحيم ،
ومن حذف ، قال : كان معها الرحمن الرحيم في الأصل ، غذفت في الاستعمال . فإن
أضفت الاسم إلى الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائي : تحذف ، وقال الفراء :
لا يجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كررت معه ، فإذا عدت ذلك أثبت الألف .
الثاني — تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هي فاء الفعل من وزن الكلمة ،
مثل قولك : فأت وأت ، لأنهم لو أثبتوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعاً بين ألفين :
١٠ أحدهما صورة همزة الوصل ، والأخرى صورة الهمزة التي هي فاء الفعل ، مع أن الواو
والفاء شديداً الاتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجمعوا بين ألفين
في سائرهما ، إلا على خلاف في المتعزفة كما مر ، لأن الأطراف محل التغيرات
والزيادة ، فبذلك حذفوها في نحو : فاذن ، وأؤمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿ وَأَمْرُ أَهْلِكَ ﴾
فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو وبين الهمزة التي هي فاء الفعل ثبتت ، نحو أئتمرو
و﴿ الَّذِينَ أَوْفَيْنَ ﴾ . ﴿ وَيَمْنَهُ مَن يَقُولُ آئِذْ نَقُلْ ﴾ وكذلك لو كانت ابتداءً والهمزة
فاء الفعل ، نحو آئذ نل ، أو آمن فلان ، ثبتت أيضاً ، أوليست فاء ، نحو : ثم أضرب ،
وأضرب ، فاضرب . وكذلك في ﴿ وَأَتُوا الْبَيْتَ ﴾ .

الثالث — تحذف في آبن وآبنة مما وقع فيه آبن مفرداً صفةً بين عاتين ، غير

- مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أو فلانة بنت فلان بغير ألف في آبن وآبنة .
٢٠ ولا فرق في ذلك بين أن يكون العاتبان اسمين ، نحو هذا أحمد بن عمر ، أو كنيّتين ،

نحو: هذا أبو بكر بن أبي عبد الله، أو لقين، نحو: هذا تبت بن بطة، أو أسما وكنية، نحو: هذا زيد بن أبي قحافة، أو لقباً وأسماً، نحو: هذا أنف الناقة بن زيد، أو كنية ولقباً، نحو: هذا أبو الحارث بن تبت، أو لقباً وكنية، نحو: هذا بدر الدين بن أبي بكر. فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من ابن ولا تسقط فيها عداها، فلو قلت

هذا زيد أبك، وابن أخيسك، وابن عمك، ونحو ذلك مما ليس صفة بين علمين، أثبت فيه الألف. وكذلك إذا كان خبراً كقولك: أطلق زيداً ابن عمرو، وكأن بكراً ابن خالد، وإن زيدا ابن عمرو، فتثبت الألف في الجميع. ومنه في القرآن الكريم: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزُّرَ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) كتبنا في المصحف بالألف. فلو ثبتت الألف، ألحقنا فيه الألف صفة كان أو خبراً، فتكتب: قال عبد الله، وزيد أبنا محمد كذا وكذا؛ وأطلق عبد الله وزيدا أبني محمد فقال كذا بالألف. وكذلك إذا ذكرت أبناً بغير أسم، فتكتب: جاء ابن عبد الله بالألف أيضاً. وحكم أبنه مؤنثاً في جميع ما ذكر حكم الألف، تقول: جاءت هند بنت قيس، فتحذف الألف. وشرط الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أن يكون مذكراً فلا تسقط من أبنه.

ونقل أحمد بن يحيى عن أصحاب الكسائي: أنه متى كان منسوباً إلى أسم أبيه أو أمه أو كنية أبيه أو أمه وكان نعتاً، حذفوا الألف فلم يُعْجِزه في غير الأسم والكنية في الأب والأم. قال: وأما الكسائي فقال: إذا أضفت إلى أسم أبيه أو كنية أبيه، وكانت الكنية معروفاً بها كما يعرف بأسمه، جاز الحذف، لأن القياس عنده الإثبات والحذف استعمال! فإذا عدى الاستعمال، رُجِعَ إلى الأصل.

وحكى ابن جني عن متأخري الكتاب: أنهم لا يحذفون الألف مع الكنية، تفقمت أو تأخرت. قال: وهو مردود عند العلماء على قياس مذهبهم.

(١) في الأصل: «ما ليس له صيغة» وفي الضوء: «ما ليس بين علمين» والسباق يقتضى ما أثبتناه.

والألف تحذف من الخط في كل موضع يحذف منه التنوين وهو حذفت مع الكنى .

- الرابع - تحذف من كل مَعْرُوف بالألف واللام إذا دخلت عليه لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، نحو : (وَلَا تَحِزْ حَزَنًا مِنَ الْأُولَى) أو لَامُ الْحَزْ ، نحو : لَتَدَارُ الْفُ سَا كُنْ غَيْرَكَ ؛ وقياسها الإثبات كما أثبتوها في لَابَنِكَ قَاتِم ، وَلِأَيْسِكَ مَال ؛ وسبب حذفها ألتباسها بلا النافية .

وذهب بعضهم : إلى أنها لا تحذف مع لام الْإِبْتِدَاءِ فرقا بينها وبين الجازة . ولم يحذفوها من نحو : سررت بالرجل ؛ والله أعلم .

الحرف الثاني

- ١٠ اللام ، وتحذف في مواضع (منها) تحذف من الذى للزومها ، فكأنها ليست منفصلة ، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشبه مفردة في لزوم البناء ، ولفظ الواحد كأنه باق فيه ؛ ولم يحذفوه من المثني كما في قوله تعالى : (رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا) فكتبوه بلامين فرقا بينه وبين الجمع . وإنما أختصت التثنية بالإثبات ، لأنها أسبق من الجمع ، واللبس إنما حصل بالجمع .

- ١٥ (ومنها) تحذف من التثنية للزومها كما تقدم ، ومن تثنيها وهى التَّان ، وجمعها : وهى الآتى لأنهما لا يتيسران ، بخلاف تثنيه الذى وحروفه .

- وقال أحمد بن يحيى : كتبوا (الآتى) واللاتى (الآتى) وأسقطوا لاما من أولها وألفا من آخرها . قال : وهذا للاستعمال لأنه يقل في الكلام مثله ، ويدل عليه ما قبله وما بعده ، ولو كتب على لفظه كان أولى .

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله : والذي عهدناه من الكتاب أنه لا تحذف الألف لئلا يتيسر بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل واللييلة على أجود الوجهين ، فيكتبان بلام واحدة على هذه الصورة : " اللَّيْلُ وَاللَّيْلَةُ " : لأن فيه اتباع المصحف ، وأجاز بعضهم كتابته بلامين . قال أبو حيان : وهو القياس .

(ومنها) تحذف من [اللَّيْبُ^(١)] ونحوه ، مما دخل عليه لام الجز فيكتب بلامين وإن كان في اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمد بن يحيى : يكتب الطيف بلام واحدة ، لأنه قد عُرِفَ فُحِشٌ ، وهذا بخلاف اللهُو ، واللَّيْب ، واللَّعْبَة ، واللَّاعِبِينَ ، واللَّفُو ، واللُّؤْلُؤُ ، والآلِيَّة ، واللَّهَب ، واللَّهَبِ وَاللَّوَامَةِ ، فإنها لا تحذف منها اللام .

قال ابن قتيبة : وكل اسم كان أوله لاماً ثم أدخلت عليه لام التبريف ، كتبته بلامين ، نحو : اللهم ، واللبن ، واللحم ، والحمام ، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد اختلفوا في الليل واللييلة لموافقة المصحف كما تقدم .

الحرف الثالث

النون ، وتحذف في مواضع

١٥

- (منها) تحذف مِنَّ عَنْ إِذَا وَصَلَتْ يَمِنْ أَوْ يَمَّا ، فتكتب عَمَّنْ وَعَمَّا وَعَمَّ .
- (ومنها) تحذف مِنْ مِنْ الْجَارَةِ إِذَا وَصَلَتْ يَمِنْ أَوْ مَا ، فتكتب يَمِّنْ وَيَمَّا .
- (ومنها) تحذف مِنْ إِنْ إِذَا وَصَلَتْ بَلَمْ ، فتكتب اِلْمَّ .
- (ومنها) تحذف مِنْ أَنْ الْمَفْتُوحَةِ إِذَا وَصَلَتْ بِلَا ، فتكتب أَلَا .

(١) زيادة يقتضها السياق .

٢٠

الحرف الرابع

الواو ، وتحذف في مواضع

- (منها) تحذف لأمن اللبس ، مثل ما كتبوا من قوله تعالى : ﴿ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ .
 ﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ، ويروا في يدعو ويحو ، لأن ذكر الداع في الأول ، وذكر
 الله تعالى في الثاني يمنع أن يكون الفاعل جماعة فلا يحصل اللبس ، بخلاف قولك
 لا تضربوا الرجل ، فإنه لو حذف لالتبس الجمع فيه بالواحد .

- (ومنها) تحذف مما توالى فيه واوان في كلمة واحدة ، مثل : داود ، وطاوس ،
 ورؤوس ، ويستوثون ، ويلوون ، وأووا إلى الكهف ، ويسووا ، وتبوؤوا ، وجأؤوا ،
 وبأؤوا ، وأسأؤوا ، وبؤؤده ، ويؤوس ، وفادرؤوا ، ومبرؤون ، فيكتب بواو واحدة .
 ١٠ وكتب بعضهم طاووس ونحوه بواوين على الأصل ، والقياس الاقتصاد على واو
 واحدة كراهة اجتماع المثليين .

- وأستثنى ابن عصفور من ذلك موضعاً ، وهو ألا يؤدي إلى اللبس ، نحو :
 قؤول وصؤول على وزن قؤول فإنه يلتبس بقؤول وصؤول ، وأختاره أحمد بن يحيى .
 (ومنها) تحذف مما توالى فيه ثلاث واوات في كلمتين ككلمة ، مثل : ليسوءوا ،
 وينوءون ، فتكتب ليسوءوا ، وينوءون ، بواوين فقط ، ويكتب لووا ، وأجنؤوا ،
 ١٥ ولأتنؤوا ، بواوين ، لأنه لو حذفت إحدى الواوين لالتبس الجمع بالمفرد

وقع في المصحف كتابة يستوثون ، ويلوون ، بواو واحدة ، وذلك لأن في يستونون
 ونحوه اجتماع واوان وضمة ، فناسب الحذف ، وفي لووا رؤوسهم ، ونحوه افتتح ما قبل
 الواو فناسب الإثبات .

- (ومنها) تحذف للجزم كما في قولك : لم يند ، فتحذف الواو علامة للجزم ، والله
 سبحانه وتعالى أعلم .

الحرف الخامس

الياء ، وتحذف في مواضع

(منها) للجزم كما في قولك : لم يقض ، تحذف الياء من آخره علامة للجزم .

(ومنها) تحذف لمراعاة الفواصل ، نحو قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَنسَرُ) بغير ياء

• في آخرها لمراعاة ما قبله من قوله : (وَالْفَجْرِ) .

(ومنها) تحذف فيما توالى فيه ياءان أو ثلاثة ، فَتَكْتُبُ النَّبِيَّينَ ، وَخَاسِئِينَ ،

وَخَاطِئِينَ ، وإسرائيل ، وما أشبه ذلك بياءين فقط ، وإن كان في اللفظ ثلاث ياءات .

(ومنها) تحذف لأمن اللبس ، فَتَكْتُبُ قَارِئِينَ جمع قارئ بياء واحدة ، فرقا بينها

و بين قَارِئَيْنِ ثنية قارئ فإنها تكتب بياءين •

١٠ (ومنها) تحذف مدة ضمير الغائب مثل قولك : ضربه ، فتكتبه بغير واو ، وإن

كنت تلفظ به لأنك إذا وقفت حذقتها ووقفت على الهاء ساكنة ، وكذلك مدة

ضمير الغائين ، مثل قولك : ضربهم في لغة من وصل الميم ، وكذلك حذفها إذا

وليت الكاف ، نحو : ضربكم زيد ولكم في لغة من وصل الميم بواو وبياء ، لأنه

إذا وقف حذف الصلة ؛ والله أعلم

النوع الثالث

ما يُفِيرُّ بالبدل

والحروف التي يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف ، والواو ، والياء ، والألف

والياء أكثرهما تعاقبا •

فتنوب الياء عن الألف في ثلاثة محال :

(١) لعل في العبارة سقطا والأصل يكتب بيا ، فقط وإن كان في اللفظ ياءين وبياءين فقط وإن كان الخ ،

(٢) تملق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس •

الحل الأول

الاسم، وهو ثلاثة أحوال

- الحال الأول - أن تكون الألف فيه رابعة فصاعداً، نحو: المعزى،
والمُسْتَدْعَى، والْحَبْلَى، والمرضى، والمَلْهُى، والمُدْعَى، والمُشْتَرَى، ومَقْلَى، ومَتْنَى،
وكذلك أَعْمَى، وأَعْشَى، وأَظْمَى، وأَفْقَى، وأَذْنَى، وأَعْلَى، ومُعَاْفَى، ومُنَادَى، وما
أشبه ذلك، فتكتب الألف في جميع ذلك ياءً سواء كان متقلبا عن واو أو متقلبا عن
ياء، لأنك إذا ثنيت ثنيته بالياء، ومن ثم كتبت ياو يلى، وياحسرتى، ويا أسنى،
بالياء إشعاراً بأنها مما تمال أو تقلبها عند التثنية ياء، إلا فيما قبلها ياء نحو: الدنيا،
والْعُلْبَا، والقَصْبَا، وهُدْيَا، ومَتْعَا، وتَحْيَا، وعَام حَيَّا ورُقْيَا، وسُقْيَا، فإنا لا نكتب
الألف فيها ياءً كراهة أن يجتمع ناعان في الخط. نعم يفتقر ذلك في نحو: يحى وربى
علمين، للفرق بين يحى علما وبينه فعلا وبين ربي علما وبينه وصفاً، وكان البديل
في العلم دون الوصف والفعل لأن الفعل والصفة أنقل.

- قال ابن قتيبة: وأحسبهم أتبعوا في يحى رسم المصحف
فلو كان مهموزاً، نحو: مستقراً، ومستنبطاً، أو قبل آخره ياء نحو: خطايا، وزوايا،
وركبا، والحوايا، والحيا، وما أشبه كتب بالألف.

- الحال الثاني - أن تكون الألف فيه تالفة، فإن كانت مبدلة عن ياء، نحو: قى،
ورحى، وسوى، والهُدَى، والمُدَى للغاية، والهُوَى لهُوى النفس، ونَدَى الأرض،
ونَدَى الجود، وحَفَى الدابة، والكَوَى: النوم، والقَدَى، والأَذَى، والْحَنَى: الخش
القول، والضْحَى: المرض، والرْدَى: الهلاك، والطَوَى: الجوع، والأَسَى: الحزن،
والعَمَى: في القلب والعين، والْحَنَى: جنى الفرة، والصَّدَى: العطش، والْبَرَى: ٢٠

في الجسد، والضوى : الهزال، واللثى : التراب الندي، والجوى : داء في الجوف،
والسرى : [سَيْر] الليل، والسلى : سلى الناقة، وبني : المكان المعروف، والمذى
الغاية، والصدى : اسم طائر يقال إنه ذكر البوم، والنسى : عرق في الفخذ، وطوى :
وَاد، والوغي : الحرب، والوحي : العجل، والورى : الخلق، والدرى : الناحية
وأنا في ذرى فلان، والمعنى واحد الأمعاء، والجحي والنهى : العقل، والحشى واحد
الأحشاء، وما أشبه ذلك كتب بالياء .

وإن كانت مقبلة عن واو، نحو عصا، ومنا للقدر، وربا لحانب البئر، والقنا
في الأنف، والزما والقرا للظهر، والعشا في العين، والقفا : قفا الإنسان، والصفا :
ميلك للرجل، ووطا جمع وطاة، و[لما جمع] ^(٢)لما، والقلا جمع قلاة، كنب بالأنف .
وتفترق الواو من الياء فيه بطرق أقربها التنبيه تقول في الأول : فبان، ورجبان ،
وسوياب .

قال ابن قتيبة : فلو ورد عليك اسم قد بُني بالواو والياء عملت على الأكثر
الأعم . وذلك نحو رسي، فإن من العرب من يقول : رحوت الرحاء، ومنهم من يقول :
رحيت، قال : وكتبها بالياء أحب إلى لأنها اللغة العالية .

وكذلك الرضا، من العرب من يقول في تثنيته : رضبان، ومنهم من يقول :
رضوان، قال : وكتابته بالأنف أحب إلى، لأن الواو فيه أكثر، وهو من الرضوان .
وكذلك الحكم في متى، لأنها لو سُمي بها وُثِي، لقلت متيان، فيعلم أنه من ذوات
الياء . ونقول في الثاني : حصّون ومنتّون ورجّون، فيعلم أنه من ذوات الواو .
فإذا أشكل عليك شيء فلم تعلم أهو من ذوات الراء [أو من فوات الياء] ^(٣) ؟ نحو
خسا بالخاء المعجمة والسين المهملة، كتبه بالأنف لأنه هو الأصل

ومنه من يكتب الباب كله بالألف على الأصل وهو أسهل للكتاب، وعلى تقدير كتبها بالياء فلو كان متونا فاختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا، وهو قياس المبرد، وقياس المازني أن يكتب بألف إذ هي ألف التنوين عنده في جميع الأحوال .
وقاس سيويه المنصوب بالألف^(١) لأنه للتنوين فقط .

- قال ابن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث ، لما كان في المؤنث بالياء كتبته بالياء، نحو : العَمى ، والظَمَى ، لأنك تقول : عَمِيَاءَ وَظَمِيَاءَ ، وما كان المؤنث فيه بالواو كتبته بالألف ، نحو : العَسَا في العِرْبِ ، والعَمَاءُ وهو كثرة شعر الوجه ، والقَنَا في الأنف ، لأنك تقول : عَشَوَاءَ ، وَقَنَوَاءَ ، وَعَثَوَاءَ .

- قال : وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحد في الهجاء إلا الهاء من المقصور، نحو الحصى ، والقَطَا ، والنَّوى ، لما كان جمعه بالواو كتبته بالألف ، وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء .

وكتبت لدى بالياء لأنفلاها ياء في لَدَيْكَ .

- وأما كَلَا ، فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالألف ، لأن ألفه عن واو ، ومن زعم أنها عن ياء كالميم ، كتبها بالياء . وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ على مذهبه ، لأن الألف عندهم للتننية ، وألف التننية لا يجوز أن تكتب ياء لئلا يلتبس المرفوع بغيره . وقياس كلنا عند البصريين أن تكتب ياء ، وشذ كتابتها بالألف .
قال ابن قتيبة : والذي أَسْتَحِبُّهُ أن تُكْتَبَ كَلَا وَكَلْنَا في حال الرفع بالألف ، وفي الحالتين الجز والنصب بالياء . فإذا قلت : أتاني كَلَا الرجلين أو كَلْنَا المرأتين ، كتبته بالألف . وإذا قلت : رأيت كلتي الرجلين أو كلتي المرأتين كتبته بالياء ، لأن العرب قد فرقت بينهما في اللفظ فقالوا : رأيت الرجلين كليهما ، ومررت بالرجلين كليهما ،
ومررت بالمرأتين كليهما . وقالوا : جاءني الرجلان كلاهما ، والمرأتان كلتاهما .
(١) لعله المنصوب فقط فقال يكتب بالألف الخ . (٢) أي مع المكى كما هي عبارة ابن قتيبة .

وتتري إن لم تتون ، فالفها للتأنيث ، وإن توت فهي للإلحاق ، وقياسها
أن تكتب بالياء . ومن زعم أنه فعل ، فالفه بدل التنوين كالف صبرا ، فهو قياسه .
ووقع في كلام ابن البادس أن تتري في الخط بياء ، وهو خلاف المعروف .

تنبيه

لو اتصل الهم الذي يكتب بالياء بضمير متصل ، نحو : رحاك ، وقفاك ،
وملهاك ، ومرعاك ، فقيس يكتب بالياء كحال عدم اتصالها ، فيكتب على هذه
الصورة : رحيك ، وفغيك ، وملهيك ، ومرعيك .

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله : وأختيار أصحابنا فيه بالألف إذا اتصل
به ضمير خفض أو ضمير نصب ، سواء كان ثلاثيا أم أزيدا ، إلا إحدى خاصة فإنها
تكتب بالياء حال اتصالها بضمير الخفض ، نحو من إحداهما كمالها دون الاتصال .
وأختلفوا إذا اتصلت بشاء تأنيث تنقلب هاء في الوقف ، فذهب البصريون
إلى كتابتها ألفا ، نحو الحصة ، وأختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصة .

الحال الثالث — أن تكون الألف فيه ثمانية ، نحو ما وذا إذا كانا أسمين ،
فيكتب بالألف على صورة النطق به

المحل الثاني

الفعل ، وله حالات

الحال الأول — أن تكون الألف فيه رابعة فصاعدا ، نحو : أعطى ، وأستعمل ،
وتداعى ، وتعادى ، وأستدنى ، وما أشبهه ، فتكتبه كله بالياء إلا أن يكون مهموزا ، نحو :
أخطأ ، وأنبأ ، ونخاطأ ، وأستنبأ ، فإنه يكتب بالألف ، وكذلك إذا كان قبل آخره ياء ،
نحو : استعيا ، وتحايا ، وأعيا ، وتعايا ، وأستعيا ، وما أشبهه ، فإنك تكتبه بالألف .

ووقع في بعض المصاحف : (تَحْتَشَى أَنْ تُصَيِّنَا دَائِرَةً) بالألف في آخر نحشى ، وفي بعض المصاحف بالياء .

الحال الثاني — أن تكون الألف نالته ، فترده إلى نفسك ، فإن ظهرت فيه الواو فأكتبه بالألف ، نحو قولك : عدا ، ودعا ، وعما ، وغزا ، وسلا ، وعلا من الملو .
لأنك تقول : عدوت ، ودَعَوْتُ ، وعصوت ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذركي ، فكتب بالياء وإن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكي يزكو ، إلا أن العرب يُملون الأفعال ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فأكتبه بالياء ، نحو قولك : قضى ، ومشى ، وسعى ، وصى ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسميت ، وصيت ، ويجوز كتابته بالألف أيضا .

تنبيه

- ١٠ لو اتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو : رماه ، وجرأه ، ورماه ، فقبل يكتب على حاله بالياء ، فيكتب على هذه الصورة : رميه ، وجرّيه ، ورعيه ، والصحيح كتابته بالألف . قال ابن قتيبة : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلى أصله ، وكتبته كله بالياء ، فكتب أغزى فلان فلانا ، وأدنى فلان فلانا ، وألّى فلان فلانا بالياء . وهو
- ١٥ من غزوت ، ودنوت ، ولحوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدنيت ، وألّيت . وكذلك تكتب يُغزى ، ويُدنى ، ويُلى ، على البناء لمالم بسم فاعله بالياء ، لأنك تقول في تنيته : يُغزيان ، ويُدنيان ، ويُليان .

المحل الثالث

بعض الحروف

- ٣٥ وأعلم أن الحرف الذي في آخره ألف في اللفظ إنما يكتب ألفاً على صورة لفظه ، نحو : ما ، ولا ، وآلا ، وما أشبهها ، وأستثنوا من ذلك أربع صور فكتبوها بالياء .

إحداها — بلى، قال بعض النحاة : لإمالتها ، وقال سيويه : لأنه إذا سمي بها وثبت قيل بليان كما يقال في متى مَتَّان .

الساينة — إلى، وكتبت بالياء ، لأنها تُرَدُّ إلى الياء في قولهم : إليك .

الساينة — على، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء أيضا في قولهم : عليك .

قال ابن قتيبة : وكان القياس فيها وفي إلى أن تكتب بالالف لعدم جواز الإمالة فيها .

الرابعة — حتى، وكتبت بالياء حملا على إلى، لكونهما بمعنى الانتهاء والغاية، ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكمها .

تنبيه

لو وليت ما الاستفهامية حتى، أو إلى، أو على، كُتِبَ بالالف على هذه الصورة : ١٠٠
حَتَّامٌ، وإلام، وعلَّامٌ، لأنها شديدة الاتصال بما الاستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عليه إلا بذكرها معه، فكأن الف وقعت وسطا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا اتصل بضمير خفض أو ضمير نصب، فإنه يكتب بالالف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : فإن وصل في حَتَّامٍ وإلى الهاء الحاترة، فلك أن تجريها على الاتصال ولا تعتد بها، ولك أن تعتد بها وترجع الف إلى حتى، وإلى، وعلى، إلى أصلها، فتكتب بالياء يعني على هذه الصورة حتى مه، وإلى مه، وعلى مه .

فائدة

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الف للجارورة كما في قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى ﴾ .
واللَّيْلُ إِذَا تَجَى مَا وَدَّكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿ فَإِنَّ الضُّحَى وَنَحْوَهُ قِيَاسُهُ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ ٢٠١

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو، ولكنه كتب بالياء لمجاورة يحيى، ويحيى وإن كان من ذوات الواو أيضاً، كتب بالياء لمجاورة قلى الذى هو من ذوات الياء، فسجى مجاور، والضحى مجاور المجاور.

- وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضع من رسم المصحف الكريم، وهى :
- الصلوة، والزكاة، والحياة، والنجاة، ومَشْكَاة، ومَنَاة، فنكتب على هذه الصورة :
- الصلوة، والزكاة، والحياة، والنجوة، ومنوة، ومَشْكُوَة . فمنهم من كتبها كذلك فى غير المصحف أيضاً أتباعاً للسلف فى ذلك، ومنهم من كتبها بالألف وهو القياس، ووجه بأن رسم المصحف متبع فى القراءان خاصةً، ولا يكتب شئ من نفاثر ذلك إلا بالألف . كالفناة، والقطاة، أقصارا على ما ورد به الرسم السلفى .
- قال ابن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو على لغات الأعراب، وكانوا يميلون فى اللفظ بها إلى الواو شيئاً . وقيل : بل كتبت على الأصل، إذ الأصل فيها واو، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات، وزكوات، وحيوات : وإنما قلبت إلفاً، لما أفتحت وأفتتح ما قبلها .
- قال : ولولا اعتياد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة، أى الصلاة، والزكاة، والحياة، لكان من أحب الأشياء إلى أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الربا بين المعوض والمعوض منه، فكتبوه بواو وألف بعدها على هذه الصورة : الربوا . وفى بعض المصاحف : ﴿وَمَا آتَيْنُم مِّن رِّبَاٍ﴾ بالفاء وبغير واو، وما سواه فلا خلاف فيه .

تنبيه

- لو اتصل بشئ مما أبدلت ألفه واوا ضمير، نحو صلاتهم، وزكاتهم، وحياتهم، ونجاته، ومَشْكَاة، ورباه، كتبت بالألف دون الواو؛ والله أعلم .

(١) فى الأصل والقض : « دون الياء » والصواب ما أثبتناه .

القسم الثاني

ما ليس له صورة تخصه

وهو الهمزة، إذ تقع على الألف والواو والياء، وعلى غير صورة، ولها ثلاثة أحوال :

الحال الأول

أن تكون في أول الكلمة

- ١٠ فتكتب ألفا بأى حركة تحركت، من فتحة مثل : أحمد، وأيوب، وأحد، أو ضمة نحو : أخذ، وأكرم، وأوحى، وأولئك، أو كسرة نحو : إبراهيم، وإسماعيل، وإصحق، وإئحيد، وإيل، وإذ، وإذا وإلى، وإلا، وأما، سواء في ذلك همزة القطع مثل : أكرم، وهمزة الوصل مثل : اتخذ، والهمزة الأصلية مثل : أمرئ، والهمزة الزائدة مثل : إشاح، وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلا من حيث إن التخفيف يقو بها من الساكن، والساكن لا يقع أولاً، بفعلت لذلك على صورة واحدة . وأختصت الألف بذلك دون الياء والواو حيث شاركت الهمزة في المخرج، وفارقت اختيا في اللفظة، ولا فرق في ذلك بين أن تكون الهمزة مبتدأة كما في الصور المذكورة، أو تقدمها لفظ آخر، نحو : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ) وقِيَّاتٍ، وأفانت، وبأنه، وكأنه وكأين، وبإيمان، وإيلاف، ولبيامام، وسائرله، ولأقطعن، ومررت بأحمد، وجئت لأكرمك، وأكتعلت بالإئمة، إلا فيما شذ من ذلك، نحو هؤلاء، وأبنؤم، ولئن، ولئلا، ويومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة فيها ألفا لأنها وقعت أولا، لكنهم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وأبنؤم بالواو، وإن كانت في الحقيقة مبتدأة بدليل أن ها حرف تنبيه وهو منفصل عن أسم الإشارة . وكذلك ابنُ أسم أضيف إلى الأم، لكنهم شبهوها بهمزة لؤم، فكتبوها

- بالواو، وراعوا في ذلك كثرة لزوم هاء الإشارة، وعدم انفكاك أبزوم الواقع في القراءان،
فكانها صارت همزة متوسطة . وكتبوا همزة لثن، ولثلا، وحينئذ، ويومئذ،
وما أشبهها ياء وإن كانت أول كلمة، وكان القياس أن تكتب بالألف . أما لثن،
فلأن أصلها لأن بلام ألف ونون . وأما لثلا، فلأن أصلها لأن، بلام ألف ونون
منفصلة من لا، بدليل أنهم إذا لم يميثوا بعدها بلا، كتبوها لأن، نحو جئت لأن .
تقسرا، لكنهم جعلوا اللام مع أن كالشيء الواحد . وكذلك حينئذ، ويومئذ، فإن
الأصل أن يفصل الظرف المضاف للمعملة التي بقي منها إذ المتونة تنوين العوض وأن
يكتب بالألف، لكن جعل الظرف مع إذ كالشيء الواحد، فوصل بإذ، وجعلت
صورة الألف ياء كما جعلوها في يأس . وكذلك الحكم في كل ظرف أضيف إلى
ما ذكر، سواء المفرد، كالأثلة المذكورة، واجمع نحو أزمانئذ . وسيأتي الكلام
على ما يتعلق من ذلك في الفصل والوصل إن شاء الله تعالى .

الحال الثاني

أن تكون متوسطة، ولها حالتان

- الأولى — أن تكون ساكنة، فلا يكون ما قبلها إلا متحركا وتكتب بحركة
ما قبلها . فإن كان ما قبلها مفتوحا، كتبت ألفا نحو : رأس، وكأس، وبأس،
ويأس، وضأن، وشأن، ودأب، وتأسر، وتأكل . وإن كان ما قبلها مضموما،
كتبت واوا، نحو : مؤمن، ومؤمن، وقوى، وتلقى، ومؤق، ويؤك، وما أشبهها .
وإن كان ما قبلها مكسورا، كتبت ياء، نحو : يثر، وذئب، وبأس، وأنيهم،
ونبتنا، وجئت، وجئنا، وشئت، وشئنا، ولمئكت، وما أشبهها .
الثانية — أن تكون الهمزة متحركة، والنظر فيها باعتبارين :

١. الاعتبار الأول - أن يكون ما قبلها ساكناً، وحينئذ فلا يخلو، إما أن يكون حرفاً من حروف العلة (وهي الألف والواو والياء) أو حرفاً صحيحاً. فإن كان الساكن الذي قبلها حرف علة يُنظر، إن كان حرف العلة ألفاً، فإن كانت حركة الهمزة فتحةً، فلا تثبت للهمزة صورة نحو: ساعل، وأبناءنا، وأبناءكم، ونساءنا، ونساءكم، وجاءنا، وجاءكم، (وساعل، فأعل من السؤال) وما أشبهه. وإن كانت ضمة تثبت لها صورة الواو نحو: التَّسْأَلُ، وآباءكم، وأبنائكم، وأولادكم، وبآبائنا، وبأبنائنا، وشبه ذلك، وإن كان حرف العلة واواً أو ياءً، فإما أن تكونا زائدتين للسَّ، أو تكون الياء للتصغير أو أصليتين أو ملحقتين بالأصل. فإن كانتا زائدتين لآل نحو: خطيبة، ومقروءة، وهنيئة، ومرشاة، أو ياء تصغير نحو: أفتيس تصغير أفتس جمع فاس، فلا صورة للهمزة. وإن كانتا أصليتين نحو: سؤة، وهيشة، أو ملحقتين بالأصل نحو: جيل (وهو الضَّيْعُ)، وحوَّبة (وهو الدلو العظيم)، والحوَّبة (آسم موضع)، والسَّموءل (آسم رجل)، فإنك تحذفها وتنقل حركتها إلى الساكن قبلها فتقول: سؤة، وهية، وجيل، وحوَّبة: وحوَّوب وتَمُول. ولا صورة للهمزة حينئذ في تحقيقها ولا في حذفها. وإن كان الساكن الذي قبلها حرفاً صحيحاً نحو: المرأة، والكَّاء، ويسَّام، ويسَّيم، ويَلَّوم ونحو ذلك، فنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وتحذف الهمزة. والأحسن الأفتيس ألا تثبت لها صورة في الخط لافي التحقيق ولا في الحذف والنقل.

وممن من يجعل صورتها الألف على كل حال، فيكتبها على هذه الصورة: المرأة والكَّاء، ويسَّام، ويسَّيم، ويَلَّوم، وهو أقل استعمالاً. وقد كتب منه حرف في القرءان بالألف، وهو قوله تعالى: "يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ".

(١) كذا في الأصل، وليس هذا موضعها كما هو ظاهر.

ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكاء، ويَسَامُ، بالألف، ويكتب يُسَمُّ بالياء، ويكتب يُؤْم بالواو. وأستثنى بعضهم من ذلك ما إذا كان بعدها حرف ملة نحو: سَتُول، ومَشْشوم فلم يجعل لها صورة أصلاً، وإذا كان مثل: رءوس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها. وكذلك الموءودة في قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) على ما كتبت في المصحف بواو واحدة. لا يجعل لها صورة.

الاعتبار الثاني - أن يكون ما قبلها متحركاً فينظر، إن كانت مفتوحة مفتوحاً ما قبلها، كتبت ألفاً نحو: سَأَلْ، ورَأَيْتُ، ورَأَوْتُ، وبدأ كَمْ، وأنشَأ كَمْ، وقرأه، وليَقْرَأه، وشبه ذلك. إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها نحو: مَالٌ ومَنَاب. وذهب بعضهم إلى أنها تصوّر ألفاً فتكتب بالعين. وإن كانت مفتوحة مكسوراً ما قبلها نحو: خاطئة، وناشئة: وليُبْعَثَنَّ، ومَوْطِئًا، وخَاسِئًا، وَيُنْشِئُكُمْ، وشَائِنُكَ، صَوْرَتِ يِجَانِسَ ما قبلها (وهو الكسرة) فتصوّر ياء. وإن كانت مفتوحة، مضموماً ما قبلها نحو: الفُؤَاد، والسؤال، وإِؤْدِهَ إِلَيْكَ، وإُولَف، ومُؤَجَّلًا، ومُؤَذَّنٌ، وهُزُّوْا، وشبهه، صَوْرَتِ يِجَانِسَ ما قبلها. وإن كانت مضمومة، مضموماً ما قبلها، نحو: نُؤْم، كَصَبِيرٍ جمع صبور، أو مضمومة، مفتوحاً ما قبلها نحو: لُؤْم، كتبت بالواو في الحالتين، إلا إن كان بعدها في الصورتين واو نحو: رءوس، وتُؤْم، وإن كانت مضمومة، مكسوراً ما قبلها نحو: يَسْتَهْزِئُونَ، وَأَنْبِئُكُمْ، وَلَا يَنْبِئُكُمْ، وسَقَرْتُكَ، كتبت بواو على مذهب سيويوه، ويا وواو بعدها على مذهب الأَخْفَش.

(١) أي فلا صورة لها. (٢) هذا خاص بنحويستيزيون وبنحويون.

الحال الثالث

أن تكون الهمزة آخرًا، ولما حالتان أيضا

[الحالة الأولى]

أن يكون ما قبلها ساكنًا، والنظر فيها باعتبارين

١. الاعتبار الأول — أن يكون ما قبلها صحيحًا، فتحذف الهمزة وتبقى حركتها على

ما قبلها ولا صورة لها في الخط نحو: جزء، ونخب، ودفع، والمرء، وملء. سواء

في ذلك حالة الرفع والنصب والجر. وقيل: إن كان ما قبل الساكن مفتوحًا،

فلا صورة لها. وإن كان مضمومًا، فصورتها الواو، وإن كان مكسورًا، فصورتها

الياء مطلقًا، وقيل: إن كان مضمومًا أو مكسورًا فعلى حسب حركة الهمزة،

١٠ فيكتب الجزء، والدفع، بالواو في الرفع وبالألف في النصب وبالياء في الجر.

وإن كان شيء من ذلك منصوبًا مثوَّنًا فيكتب بـألف واحدة، هي البديل من التنوين.

وقيل: يكتب بالفتن، إحداهما صورة الهمزة، والأخرى صورة البديل من التنوين.

الاعتبار الثاني — أن يكون ما قبلها معتلاً، فينظر إن كان حرف العلة زائداً لاذاً،

فلا صورة لها نحو: نبيء، ووضوء، وسماء، والسوء، والمسئء، وقراء، وشاء، ويشاء،

١٥ والمساء، وجاء، إلا إن كان مثوَّنًا منصوبًا، فيكتبه البصريون بالفتن، والكوفيون

وبعض البصريين بواحدة، وهذا إذا كان حرف العلة ألفاً نحو: سماء: الألف الواحدة

حرف العلة، والأخرى البديل من التنوين. فإن اتصل ما قبله ألف بضمير مخاطب

أو غائب، فتصور الهمزة وأوا رفعاً نحو: هذا سماءك، وياءً جرّاً نحو: نظرت إلى

سمائك، وألفاً واحدة هي ألف المدة تصبياً نحو: رأيت سماءك. أما إذا كان حرف

٢٠ (١) هذه الألفاظ الأربع لم يسهل فيها مدحاً أو ذملاً، مصحف بأصله [و بناء، ورماء، والمساء، ونخباء، الخ]، فليحذر.

العلّة ياء أو واو نحو : رأيت وضوءاً ، فيكتب بالثف واحدة . وإن كان خرف
العلّة عير زائد للثف فلا صورة للهمزة في الخط .

الحالة الثانية

أن يكون ما قبل الهمزة متحركاً

- فكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها . فإن كانت الحركة فتحة ،
رسمت ألفاً نحو : بدأ ، وأنشأ "وَمِنْ سَبِيلٍ يَنْبَأُ" والمَلَأَ ، وَيُسْتَهْزَأُ ، على البناء للفعول ،
وَيُنْشَأُ كذلك ، ورأيت أمراً وما أشبهه . وإن كانت كسرة رسمت ياء نحو : فُيْرِي ،
وَأَسْتَهْزِي ، ولكل أمرئ ، ومن شاطئ ، وَيُسْتَهْزِي ، على البناء للفاعل ، وبرئ
وصررت بأمرئ . وإن كانت ضمة ، رسمت واواً نحو : أمرؤ ، واللؤلؤ ، وما أشبه
ذلك ، إلا في مثل البناء إذا كان منصوباً متوناً فقبل : يكتب بألفين نحو : سمعت
نبأاً ، وقيل : بواحدة وهو الأولى . وإن اتصل بها ضمير ، فعل حسب الحركة قبلها
كحاله إذا لم يتصل بها ضمير . وقيل : إن كان ما قبلها مفتوحاً قبل الف ، نحو : لن يقرأ ،
إلا أن تكون هي مضمومة فبواو ، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو ، وبالياء إن
قلنا بإبدالها ياء ، وقيل : إن أنضم ما قبلها أو أنكسر ، فكما قبل الاتصال بالضمير ،
فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها . وإن أفتتح ما قبلها وأفتحت قبل الألف ،
نحو : لن يقرأ ، وكذلك إذا أفتتح ما قبلها وسكنت نحو : لم يقرأ ، ولم يَنْبَأْ ،
وأقرأ ، وإن أنشأ وما أشبهه . وإن أفتتح ما قبلها وأنضمت قبل الواو ، نحو : يقرؤ .
وقيل : بالواو والألف كما كتبوا في المصحف : (قُلْ مَا يَعْذَرُونَ) و (تَبَرُّوا أَنْفُسَهُمْ)
و (يَبْدُوا الْخَلْقَ) (أَوْ مَنْ يَنْشَأُ) بواو وألف في الجميع . أو أنكسرت قبل الياء ،
نحو : من المقرئ ، وقيل بها وبألف كما كتبوا في المصحف : (مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ)
بألف وياء .

تنبیه

- قد تقدّم في الحذف أن همزة الوصل تحذف في بعض مواضع وثبتت فيما عداها .
 فحيث ثبتت ، كتبت بحسب حالها إذا ابتدئ بها . فإن كانت يبتدأ بها مضمومة ،
 كتب ما يليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبدلة منها ، نحو : اؤتمن فلان ، وقلت لك
 ٥ اؤمر فلانا بكذا ، وإن كانت يبتدأ بها مكسورة ، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة
 أو ياء مبدلة منها ، نحو : أئذن لي يا زيد ، انت القوم ، انت عليهم كذلك ، وإن كان
 النطق بها واوا بضم ما قبلها ، نحو : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي) تكتبه ياء على الهمزة
 في الابتداء بها ، ويستثنى فاء افعّل من نحو يوجل مثل يؤسن فإنها تكتب واوا
 بعد الواو . والفاء كما في قولك فاجعل ، وأوجل . يكتبان بإثبات ألف الوصل ،
 ١٠ والواو بعدها ولم يكتبوها على ابتداء الهمزة . أما بعد غير الواو والفاء ، فإنها تكتب
 بحسب الابتداء بها ، نحو : قلت لها آييل ، أو ثم آييل ، وقلت لكم آيجلوا ، فإلك
 تلفظ به واوا وتكتبه ياء للائصال ، وإن كانت قبلها كسرة كانت ياء لفظا وخطا ،
 نحو : قلت لك آييل ، وكذلك إذا ابتدئ بهمزة الوصل ، نحو : آيجل يا هند .
- وأعلم أنه إذا وقعت همزة استفهام وبعدها همزة قطع صوّرت همزة القطع
 ١٥ بعدها بحائس حركتها . فإن كانت الحركة فتحة كتبت ألفا ، نحو : أأمجد ، وإن
 كانت الحركة ضمة كتبت واوا ، نحو : أؤزّل ، وإن كانت الحركة كسرة كتبت ياء ،
 نحو : أئك لأنها إذا خففت بالبدل كان إبدال المفتوحة ألفا ، وإبدال المضمومة
 واوا ، وإبدال المكسورة ياء . وقد تحذف المفتوحة خطا فتكتب بألف واحدة ،
 نحو : أمجد كما في رسم المصحف .
- ٢٠ وأختلف في الساقطة من الهمزتين والحالة هذه ، فقبل الثانية ، وهو قول أحمد
 ابن يحيى ، وقبل الأولى وهو قول الكسائي .

فلو كانت ثلاث ألفات في اللفظ، نحو قوله تعالى : ﴿ اَلَيْهٖنَا خَيْرٌ ﴾ فقال أحد ابن يحيى : تكتب بواحدة .

وأختلف في الثابتة ، فذهب الفراء وثعلب وابن كيسان إلى أنها الاستفهامية لأنها حرف معنى . وحكى الفراء عن الكسائي : أنها الأصلية ، وحكاها ابن السيد عن غير الكسائي وحكى عنه أنها ألف الجمع .

وقد تكتب غير المفتوحة ألفا ، نحو قوله : أإنك ، لأن الألف هي الأصل ، والمهمزة حرف زائد لمعنى كالواو والفاء فلا يعتد به ، لكنه قليل ، والله أعلم .

الجملة الثانية

في حالة التركيب والفصل والوصل

- ١٠ وأعلم أن الأصل فصل الكلمة من الكلمة ، لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى ، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبر عنهما يكون متميزا . وكذلك انحط النائب عن اللفظ يكون متميزا بفصله عن غيره . ويستثنى من ذلك مواضع كتبت هل خلاف الأصل :

(منها) أن تكون الكلمتان كشىء واحد ، وذلك في أربعة مواضع :

- ١٥ الموضع الأول - أن تكون الكلمتان قد رُكبتا تركيب مزج ، مثل : بعلبك ، ليدل على أن التركيب الذى يعتبر فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج ، وهو أن يتحد مدلول اللفظين . بخلاف ما إذا رُكبتا تركيب إسناد ، نحو : زيد قائم ، أو تركيب إضافة ، نحو : غلام زيد ، أو تركيب بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين ، نحو : خمسة عشر ، وصباح مساء ، وبين بين ، وحيث يقيم ، فإن هذا كله يكتب مفصولا لا تخط في كلمة بأخرى .

الموضع الثانى - أن تكون إحدى الكلمتين لا يتبدأ بها فى اللفظ ، نحو الضمائر البارزة المنصلة ، ونون التوكيد ، وعلامة التأنيث والثنية والجمع فى لغة أكلوى البراعيث ، وغير ذلك مما لا يمكن أن يتبدأ به ، فكل هذا يكتب متصلا وإن كان من كلمتين .

الموضع الثالث - أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها ، وذلك ها كان نحو باء الجز ، وفاء العطف ، ولام التأكيذ ، وفاء الجزاء ، وإن هذه الحروف لا يوقف عليها ، فلما أمتزجت فى اللفظ أمتزجت فى الخط فنكتب متصلة ، وإن كانت فى الحقيقة كلمتين .

الموضع الرابع - أن تكون الكلمة مع الأخرى كئىء واحد فى حال ما تأستصحب لها الاتصال ظاهرا ، مثل : بعلبك ، إذا أعرب إعراب المضاف والمضاف إليه ، فإن هذا الإعراب يقتضى أن تفصل إحدى الكلمتين من الأخرى ، لأن الإعراب قد فصلهما . أما إذا أعرب إعراب ما لا ينصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا ، لأن اللفظ الثانى منتهى الأعم ، فهو مفرد فى المعنى وفى اللفظ .

وكتبوا لئلا مهموزة وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالألف) كما تكتب لأن إذا كانت اللام مكسورة بالألف فكذلك إذا زيدت عليها لا ، إلا أن الناس أتبعوا رسم المصحف ، وكذلك لئن فعلت كذا تكتبه بالياء أتباعا للمصحف ، وإن كان القياس أن يكتب بالألف . وسأى الكلام على وصل لا بيان فيما بعد إن شاء الله تعالى

(ومنها) توصل من الجزاء وهى المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدم فى موضعين :

الموضع الأول - توصل من المفتوحة الميم مطلقا ، سواء كانت موصولة ، نحو : أخذت الدرهم من أخذته منه ، أو موصولة كما فى المثال المذكور فإنها فيه تحتمل

المعنيين جميعا، أو استفهامية، نحو: يَمُنُّ أنت؟ أو شرطية، نحو: يَمُنُّ تأخذُ درهما أخذَ منه، وإنما وصلت بها لأجل اشتباههما خطأ إذ لو كتبتا مِنْ مَنْ لكانتا مشبهتين في الصورة، فأدغمت نونِ مَنْ في ميمِ مَنْ وتزلت منزلة المدغم في الكلمة الواحدة، فلم يجعل له صورة بل حذف مع كنبه متصلا، وقد تقدّم الكلام على ذلك في الحذف. هذا هو المشهور الراجح.

وقال الأستاذ ابن عصفور: إن كانت مَنْ استفهامية، كتبت مفصولة على قياس ما هو من المدغمات على حرفين.

الموضع الثاني - توصل بعد حذف النون أيضا بما، إذ كانت موصولة، نحو: عجبتُ مما عجبَت منه، أو استفهامية، نحو: يَمُّ هذا الثوب؟ أو زائدة كما في قوله تعالى: ﴿يَمَّا خَطَّ بِأَنَّهُمْ أَغْرَقُوا﴾، أما إذا كانت شرطية، نحو: من ما تأخذُ أخذَ، أو موصوفة، ١٠ نحو: أكلتُ من ما أكلت منه، فإن القياس يقتضى أن تكون مفصولة.

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إذا كانت ما غير استفهامية، كتبت مِنْ معها، وقضيته أنها لا تكتب متصلة إلا في حالة الاستفهام فقط، وتكتب منفصلة فيما عداها.

قال الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله: والأوّل أصح لأنّ علة الوصل في يَمِنْ ١٠ مفقودة في مما، وهي ألباس اللفظين خطأ.

(ومنها) توصل عن بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدّم، في موضعين:

الموضع الأوّل - توصل بِمَنْ الموصولة غالبا، نحو: رَوَيْتُ عَنْ رَوَيْتُ عَنْهُ، ويجوز فصلها، فتفصل عن مَنْ وتثبت النون في عن، وأما مَنْ غير الموصولة، ٢٠ فالقياس فصلها، فتكتب في الاستفهام عن مَنْ تسأل؟ وفي الشرط، عن مَنْ ترض أرضَ عنه، فتفصل عَنْ مَنْ على ما مرّ.

وزعم ابن قتيبة أن عَنْ مَنْ تكتب موصولة بكل حال، سواء الموصولة وغيرها كما تكتب مع وهما موصولة من أجل الإدغام . وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام في ذلك لأنهما كلمتان إلا في نحو : هما قليل لزيادتها .

الموضع الثاني — توصل بما الاستفهامية، كما في قوله تعالى: ((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)) وتحذف الألف من ما على ما تقدم في الحذف .

(ومنها) توصل مع بما إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة، قاله ابن قتيبة، (ومنها) توصل في بَيْنَ في موضعين :

الموضع الأول — توصل بَيْنَ الاستفهامية دائماً، نحو قولك : فيمن تفكر؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذفت ألون من عَنْ ومن، إذا لا إدغام هنا .

الموضع الثاني — توصل بما إذا كانت موصولة في الغالب، نحو: فكُتِرَ فيها فكُتِرَتْ فيه، ولا تسقط الياء على ما مر . ويجوز في هذه الحالة فصلها، تنفصل "في" عن "ما"، وتكتب على هذه الصورة "في ما"، وكذلك توصل بما إذا كانت استفهامية، نحو قوله تعالى: ((فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا)) ولا تحذف ياءها كما تقدم .

أما مع إذا اتصلت بما أو بمن، فإنها تكتب منفصلة . قاله ابن قتيبة .

قال بعض النحاة : أطلق سبب ذلك قلة الاستعمال ، وإلا فسا الفرق بين مع وبين في . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما في الاسمية، فإن في لا تكون إلا حرفاً، ومع إن تحزكت كانت اسماً ، وإن مكنت ، بخلاف والأصح الاسمية ، وأيضاً فإنها تنفصل مما بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصب للأسم، الروافع للغير، إذا دخلت على ما الزائدة نحو : إنا وكأنما وليتا، فتكتب إنَّ وكأنَّ وليت متصلات بما، نحو : إنا فعلت كذا، وإنا كلمت أخاك ، وإنا أنا أخوك، وكأنما وجهه قر، وليتا هذا الشيء، لي،

ونحو ذلك. فإن كانت ما موصولة، كتبت مفصولة، نحو: **إِنْ مَا قُلْتَ لَحَقَّ**، وكَانَ مَا حَدَّثَتْ صَحِيحٌ، وليت ما لَكَ لى. عل أنه قد جاء فى القرآن كثير من ذلك متصلا. وزعم بعضهم أنه لم يأت فى القرآن مفصولا إلا قوله تعالى فى الأنعام: **(إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ)**. وقد كتبوا فى المصحف: **(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ)** فى الطور وغيره متصلا، وكذلك: **(إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاسٍ)**. مع رفع كبد ونصبه، وإن كانت ما موصولة فى الموضعين.

(ومنها) توصل قل بما إذا دخلت عليها، نحو: **قُلْنَا أَتَيْتِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ**.

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون، نحو: **(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ)**.

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون، نحو: **١٠ (وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً)**. وإنما حذف النون فى هذه وما قبلها لإدغامها كما فى تَمَا وعَمَا ونحوه.

(ومنها) توصل أين بما، نحو: **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ)**. لأن ما إذا دخلت

على أين صارت جازمة إذ تقول: أين تكون أكون، فترفع النون، فإذا دخلت عليها

ما، قلت: أينما تَكُنْ أَكُنْ بفزمت، فصارت أين وما كأنها كلمة واحدة. فإن كانت ما موصولة، فصلت نحو: أين ما أشرت، تريد أين الذى أشرت.

ولم يصلوا متى بما بل كتبوها منفصلة عنها، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا

كما فى حَتَام، فتكتب مَتَام فيتعذر إدراكها.

(ومنها) توصل حيث أيضا بما، نحو: **(وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ قُولُوا وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ)**.

كما تقدم فى أين.

(ومنها) توصل كل بما المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو: كُتِبَ جُتِنِي أَحْسَنُ إِلَيْكَ . فإن كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة، نحو: كُلُّ مَا تَفْعَلُ حَسَنٌ، وكلُّ مَا كَانَ مِنْكَ حَسَنٌ .

قال ابن قتيبة : وكلُّ مَنْ مَقْطُوعَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَمَكَانٍ .

• (ومنها) توصل هل يَلَا، وتحذف إحدى اللامين على هذه الصورة (هَلَّا فَعَلْتُ) وتقطعها من بل، فتكتب (يَلَّ لَا تَفْعَلُ) .

قال ابن قتيبة : والفرق بينهما أَنَّ لَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَى هَلْ تَغْيِرُ مَعْنَاهَا، فَكَأَنَّهُا مَعَهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى بَلْ لَمْ تَغْيِرِ الْمَعْنَى تَقُولُ : بَلْ تَفْعَلُ، وَبَلْ لَا تَفْعَلُ، كَمَا تَقُولُ : كَيْ تَفْعَلُ، وَكَيْ لَا تَفْعَلُ .

• (ومنها) توصل بين بما الزائدة، نحو : يَبْنِي أَنَا جَالِسٌ، وَيَبْنِي أَنَا أَمْسَى .

(ومنها) توصل أيُّ بما إذا كانت ما زائدة كما في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : (أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) وكما تقول : أَيُّمَا الرَّجُلَيْنِ لَقِيتَ فَأَكْرَمَ . فإن كانت ما موصولة قطعت فتكتب أيُّ ما تراه أَوْفَقُ، أيُّ ما عندك أَفْضَلُ، مَقْطُوعَةٌ .

• (ومنها) يوصل يوم وحين بإِذٍ من قولك يومئذ وحينئذ، وكان القياس الفصل، على ما تقدم في الهزمة .

(ومنها) توصل لَئِنْ وَلَئِلَّا وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا كَلِمَتَيْنِ . إِذَا الْأَصْلُ لَئِنْ وَلَئِنْ لَا وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ كَاتِبِهِمَا بِالْيَاءِ دُونَ الْأَلْفِ، لِكَوْنِهِمَا جَمْعُهُمَا مَعَ مَا بَعْدَهُ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ (ومنها) توصل أَنَّ الْمُفْتُوحَةَ بِلَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ حَذْفِ النُّونِ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ فَتُكْتَبُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ (أَلَّا) (وَالثَّانِي) : تَفْصِلُ مِنْهَا وَتَشَبَّهَتِ النُّونُ، فَتُكْتَبُ عَلَى

- هذه الصورة : (أن لا يقوم) . و (الثالث) : يُفَصِّلُ بين أن تكون مخففة عن
الثقيلة ، فكتب مفصولة نحو : علمت أن لا يقوم زيد ، وعلمت أن لا ضرر عندك ،
التقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عندك ولذلك ثبتت في قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنْ
لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدر كتبها متصلة على اللفظ وتحذفها
في الخط ، نحو : يعجبني ألا تقوم ، وهو قول الأخفش وابن قتيبة واختيار ابن السيد .
(والرابع) : التفصيل بين أن تدغم يثنية ، فكتب مفصولة ، أو بغر غنة فينوي الانصالي
وتحذف خطأ . ويروى عن الخليل ، وأستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع في القراءان
مواضع متصلة ومواضع مفصولة فيجب اتباعها اقتداء بالسلف . وقد وقع
في المصحف وصل مواضع القياس فصلها ، فيجب وصلها في المصحف اتباعا
لرسمه ، وتوصل في غيره في الغالب أو في بعض الأحوال .

- (ومنها) وصلت بئس بما في موضعين :
أحدهما — ﴿ بَلَسَمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ في البقرة .
والثاني — ﴿ بَلَسَمًا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ في الأعراف .
(ومنها) وصلت نعم بما للإدغام . وحكى ابن قتيبة فيه الفصل والوصل .
(ومنها) وصلت إن لم مع حذف النون للإدغام في قوله تعالى : ﴿ قَالُمْ يَسْتَجِيبُوا
لَكُمْ ﴾ في هود ، بخلاف التي في القصص فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون .
(ومنها) وصلت أن بأن مع حذف النون للإدغام في سورة الكهف في قوله :
﴿ أَلَنْ تَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ .
(ومنها) وصلت أم بمن في نحو قوله تعالى : ﴿ آمَنَ هُوَ قَانِتٌ ﴾ .
قال محمد بن عيسى : كل ما في القرآن من ذكر أم فهو موصول ، لا أر بعة مواضع :
١٠

في النساء : (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) . وفي التوبة : (أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) .
وفي الصافات : (أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) . وفي فصلت : (أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا) .
(ومنها) وصلت كي بلا في نحو : تَجَلَّ وَلِتَجَلَّ في أربعة مواضع في المصحف :
(لِيَجَلَّ تَحْزَنُوا عَلَى مَا قَاتَلْتُمْ) في آل عمران . و (لِيَجَلَّ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْنًا) في الحج .
(لِيَجَلَّ يَكُونَتْ عَلَيْكَ حَرَجٌ) في الأحزاب . و (لِيَجَلَّ تَأْسُوا) في الحديد .
وما عداها فهو مقطوع كما في أول الأحزاب .

ووجه ابن قتيبة المقطوع بأنك تقول : أبيتك كي تفعل وكى لا تفعل ، كما تقول :
حتى تفعل وحتى لا تفعل فيختلف المعنى بالنفي والإثبات فيه .

الفصل الخامس

من الباب الثاني من المقالة الأولى

١٠ فيا يُكْتَبُ بالظاء ، مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يُكْتَبُ بالضاد
وإنما خصت الظاء بالذکر دون الضاد لقلّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضاد ؛
وخص ما يكتب بالظاء بالذکر دون ما يكتب بالذال المعجمة ، لأن الدال والذال
في صورة الكتابة واحد ، فلا يظهر خطأ الكاتب فيه ، بخلاف الظاء والضاد ، فإن
١٥ شكلهما مختلف فيظهر خطأ الكاتب وعوارؤه فيه ؛ فذلك وقعت العناية بالتنبيه على
ما يكتب بالظاء دون ما يكتب بالذال المعجمة .
وقد أوردته على حروف المعجم ليقرب تناوله
حرف الألف

فيه — اظله الشيء : إذا غشيته ؛ أما أضله من الضلال إذا ضلّ دابته إذا ندت ،
٢٠ فبالضاد .

حرف الباء

فيه — بهتله الأمر : إذا أتبعه . وفيه ، البطر ، وهو الخلة المتدلية من فرج المرأة ، التي تُفطع بالثتان .

حرف التاء المثناة فوق

- فيه — التفریط ، وهو المدح ، والتأبط ، وهو تحريك الشفتين بعد الأكل لابتلاع ما حصل بين الأسنان .

حرف الجيم

فيه — الجواز ، وهو الجاني المتكبر ، أو الأكل ، والجحوظ ، وهو نؤ العين ونؤورها ، ومنه أبو عثمان الجاحظ ، وبجحة البرمكي .

١٠ حرف الحاء المهملة

- فيه — الحفظ ، وهو ضد النسيان ، والحفيظة ، وهي الموجدة ، والحظ ، وهو الغنى والنصيب . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله : ﴿ لِلذِّكْرِ يُشَلُّ حَظُّ الْآتِيَيْنِ ﴾ . أما الحَض بمعنى الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْضُ عَلَى ظُلَمٍ الْمُسْكِينِ ﴾ . والحظوة ، وهي الرفعة ، والحظر ، وهو المنع . ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . وقوله : ﴿ كَهَيْسَمِ الْحَظِيرِ ﴾ . وفي معناه الحظير ، وهو المحوط من نصب ونحوه . أما الحضور خلاف النية فإنه بالضاد ، والحظال ، وهو النبات المر المعروف .

حرف الشين المعجمة

- ٢٠ • فيه — الشَّيْطَة ، وهي القطعة من الشيء ، والشَّطَاظ ، وهي عيدان بطاف يُجمع بها العدلان ، والشَّطَف ، وهو خشونة العيش ، والشَّوَاظ ، وهو حب النار .

ومنه قوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكَ شَوَاطِدٌ مِنْ نَارٍ وَخَسَافٌ﴾ . والشَّيْطُمُ ، وهو القرس الطويل الظهر ، والشَّيْطِيُّ ، وهي أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

فيه - الظَّنُّ ، بمعنى التَّخمين والشَّكُّ ، والظَّنَّةُ ، وهي التَّهْمَةُ . أما الضَّنُّ بمعنى البخل فإنه بالضاد ، وعلى المعنيين قريء قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بالضاد والظاء ، لا لِمَجْهَازِ المعنيين في التَّجَنُّبِ صِلَى الله عليه وسلم إذ ليس بتَّجَبُّلٍ وَلَا مَتَّيْمٍ ، وفيه ظَلٌّ بفعل كذا : إذا فعله نهأراً . ومنه قوله تعالى : ﴿فَطَلُّوا فِيهِ بَعْجُونَ﴾ . وقوله : ﴿فَطَلْتُمْ نَمَكَهُوْنَ﴾ ، وقوله : ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ .

أما ظَلٌّ من الضلال ، خلاف الهدى ؛ وظَلَّ الشيءُ : إذا ضاع ، فالضَّادُ . وفيه الظَّلُّ ، خلاف الحرِّ حبثاً وقع وما يُسْتَقُ منه ؛ والظَّلْمُ وما يَتَّصِفُ منه ، والظَّلَامُ وما يَنْفَرُ منه ، والظَّلْمُ (نفتح الظاء) وهو ماء الأسنان ؛ والظَّلِيمُ ، وهو ذَكَرُ النَّعَامِ ؛ والظُّيُّ : واحدُ الظُّبَاءِ ؛ والظُّيَّةُ الأُنْثَى منه ؛ والظُّيَّةُ : حَيَاءُ النِّفَاقِ ؛ والظُّبَةُ ، وهو حَدُّ السِّيفِ ؛ والظُّرْفُ ، وهو الوعاء الحسن ؛ والظُّعْنُ ، وهو السَّفَرُ . ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ ظَعْنُكُمْ وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ﴾ . والظَّرَابُ ، وهي المِضَابُ ، أما الضَّرَابُ مصدر ضاربته فإنه بالضاد ؛ والظَّيْعَةُ ، وهي المرأة ؛ والظَّلْفُ ، وهو لبقر والغنم كالخافر لخبيل ؛ والظَّلْفُ ، وهو زاحمة النفس ؛ والظُّفَرُ ، واحدُ الأظفار ، والظُّفَرُ ، وهو النصر . أما ضَفَرُ الشَّعْرِ ونحوه بالضاد ، والظُّفَرُ ، وهي المُرْضُعة ؛ والظُّهْرُ ، وهو المَضْمُونُ المعروف . أما الضُّهْرُ ، وهو صحفة في الجبل يخالف لونها لونه فإنه بالضاد ؛ والظُّهَيْرُ ، وهو المِيعِنُ ؛ والظُّهيرة ، وهي وَسَطُ النَّهَارِ ؛ والظَّمَا ، وهو العَطَشُ ؛ والظُّرَادُ جمع ظُرٍّ ، وهو النِّلَظُ من الأرض . أما الضُّرِيرُ بمعنى الإغمى بالضاد ،

وَالظَّرَبَانُ ، وهى دُويَّةٌ منثنة الريح ، وَالظَّلْعُ ، وهو الفمُّز يقال : ناقةٌ ظالِعٌ إذا غرِزَتْ في المني . أما الضَّلَعُ واحد الأضلاع فإنه يكتب بالضاد ، ومنه قولهم : فرسٌ ضَلِيعٌ .

حرف العين المهملة

فيه - العَقِمَ ، وهو معروف ، والعَقْلَمَةُ ، وهى الكِبْرِيَاءُ وما تصرّف منها ، وعَقَلَهُ الدهر وعَقَلَتْهُ الحرب . أما العَصُ بالأسنان فبالضاد ، والعَقْلُ ، وهو الشدة ، ومنه تماثلُ الجراد والكلاب في السَّفاد . أما العَضَلُ بمعنى المنع فإنه بالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ ﴾ . وكذلك قولهم : أَعْضَلُ الأمرُ إذا صَعِبَ . ومنه الداء العَضَالُ ، وسوق عَكَاظُ ، وهو سُوقُ كان يقام للعرب في الجاهلية ، وأصل العَكِظِ الجَنَسُ .

حرف الغين المعجمة

فيه - الْغَيْظُ بمعنى الحَنَقُ وما تفرَّع عنه ، أما غاضُ الماءُ بمعنى غار ، والغِيْظَةُ ، وهى منبتُ الشجر في الماء فبالضاد ، واليَغْلُظُ وما تصرّف منه

حرف الفاء

فيه - الْفَقَاظَةُ ، وهى الفسوة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْفَأْسِ ﴾ . أما أَنْفِضاضُ الجَمْع فبالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تَنْفِضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . وكذلك أَنْفِضاضُ البكر والكنايب ، وَالْفَضْطِيعُ ، وهو الشنيع ، وفاظَ الرجلُ إذا مات . أما فَنِضُ الإله والدمع بمعنى السَّيْلَانِ فبالضاد ، ومن ثمَّ جاز أن يكتب فَاظَلَتْ نَفْسُهُ بالطاء على معنى ماتت نفسه ، ويجوز أن يكتب بالضاد على معنى مالت نفسه .

(١) كذا في الضي . أيضا بالطاء المشالة . وفي اللسان مادة (ع ض ل) : « راصل الفضل المتع

والشدة » أى بالضاد المانعة ، ولم يذكره بهذا المعنى في مادة (ع ظ ل) .

حرف القاف

فيه - القَيْطُ، وهو صميم الخمر وما تصرف منه . أما القَيْضُ الذي هو الفشر الأعلى من البيض فبالضاد، وكذلك قَيْضُ الله له كذا ، أى أتاحه له ، والقَرْطُ ، وهو ثمرة شجرة السَّنَطِ التي يدبغ بها الجلد . أما القَرْضُ بمعنى التقطع فبالضاد، ومنه قَرْضُ المال .

حرف الكاف

فيه - الكَنَفُ ، وهو كَتَمُ الحُزْنِ ، والكَنَفُ ، وهو شدة الحرب ، وكَاظِمَةٌ ، وهو اسم مكان بالبحرين .

حرف اللام

فيه - لَقَى : أَسْمُ جَهَنَّمَ ، واللَّقْظُ ، وهو اللزوم . ومنه " اَلْقُلُوبُ بِيَاذَا الْجَحْلَالِ وَالْإِكْرَامِ " أى أَلْزَمُوا هَذَا الْأَسْمَ فِي الدَّمَاءِ وَالْمَاجَاةِ بِهِ ، واللَّحْظُ ، وهو النظر بمؤخر العين ، واللَّمْظُ ، وهو بياضُ الْجَحْفَلَةِ السُّفْلَى مِنَ الْفَرَسِ ، ومنه قبل : فَرَسُ الْأَمْظُ ، واللَّفْظُ ، وهو معروف وما تصرف من جميع ذلك .

حرف النون

فيه - النَّظْمُ وما تصرف منه ، والنَّظَرُ بالعين وما تصرف منه ، والنَّظِيرُ وهو المثل . أما النَّضَارَةُ بمعنى البَهْجَةِ فبالضاد، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ . ومنه اشتقاق بنى النَّسِيرِ ، وفي معناه النَّضَارُ أَسْمُ الذَّهَبِ ، والنَّظَافَةُ ، وهى خلاف القَدَّارَةِ .

حرف الواو

فيه - الوَظِيفُ : ما فوق الرُّسْخِ من ذوات الحافِرِ ، والوَظِيفَةُ ، وأصلها الطعام الراتب ثم أَسْتَمِيلَتْ فيما هو أَعَمُّ من ذلك .

حرف الياء

الْيَقَظَةُ ، وهى خلاف النوم .

المقالة الثانية

في المسالك والممالك ؛ وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

(في معرفة شكل الأرض ، وإحاطة البحر بها ، وبيان جهاتها الأربع ، وما اشتملت عليه من الأقاليم الطبيعية ، وبيان موقع الأقاليم المرفوعة من الأقاليم الطبيعية ، وذكر حدودها الجامعة لها ، ومعرفة طريق استخراج جهة كل بلد ، وفيه طرفان) .

الطرف الأول

في شكل الأرض ، وإحاطة البحر بها

أما شكل الأرض فقد تفرد في علم الهيئة أن الأرض كُرَيَّة الشكل والماء يُحِيط بها من جميع جهاتها إلا ما اقتضته العناية الإلهية من كشف أعلاها لوقوع العيرة فيه ؛ وقيل هي مُسَطَّحة الشكل ؛ وقيل كالتُرْس ؛ وقيل كالطُّبْل . والتحقق الأول وبكل حال فالماء يحيط بها من جميع جهاتها كما تقدم .

قال في "تقويم البلدان" : وأحواله معلومة في بعض المواضع دون بعض ، فمن المعلوم الخلال الجانب الغربي ويسمى بحر أوقيانوس (بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة تحت مفتوحة ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة) .

١ (١) هذه الفقرة تناسب الكلام على الجمار وقد ذكرها هناك .

ثم للأرض أربع جهات :

الأولى - المشرق؛ سميت بذلك لشرق الشمس منها؛ ويقال لها الشرق أيضا.
 الثانية - المغرب؛ سميت بذلك لغروب الشمس فيها؛ ويقال لها الغرب أيضا.
 الثالثة - الشمال (فتح الشين) وهي التي إذا استقبلت المشرق كانت على شمالك
 ويقال لها الشام أيضا، لأن الشام كانت في جهة الشمال من بلاد العرب فسميت
 بالجهة به؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهة : البحريّة، لكونها جهة البحر الروميّ،
 أو تسمية لها بأسم الرياح التي تهبّ منها، فقد سبق أنهم يسمون الرّيح التي تهبّ من
 الشمال البحريّة، لأنها يسار بها في البحر كيف كان.

الرابعة - الجنوب (فتح الجيم) وهي التي إذا استقبلت المشرق كانت على جانبك
 الأيمن ولم يسم بالأيمن كما سُمّي بمقابلته بالشمال، لأنه لما ذكر الشمال لم يبق إلا الجانب
 الأيمن فاستُغني عن ذكره؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهة : القبليّة، لوقوعها في جهة
 قبيلتهم ولذلك يبدّون بها في التحديد، وإن كان الأصل الابتداء بالشرق، لأن منه
 مبدأ حركة الفلك.

ثم كُرّة الأرض يقسمها خطّ في وسطها بنصفين : نصف جنوبيّ، ونصف
 شماليّ؛ ويسمّى هذا الخطّ خطّ الاستواء، لأستواء الليل والنهار عنده في جميع فصول
 السنة؛ ويقاطعه خطّ آخر يقسمها بنصفين : نصف شرقيّ ونصف غربيّ؛ وتسمى
 الأرض به أربعة أرباع، ويسمى هذا الخطّ خطّ نصف النهار لمسامتة الشمس له
 في نصف النهار، وكلّ من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجة، كل درجة
 ستون دقيقة، وسيأتي تقدير ذلك بالأميال والفراخ والمراحل والبُرد في الكلام على
 بُعد ما بين البلدان فيما بعد؛ إن شاء الله تعالى.

(١) في الأصل : « المغرب » ولكن خطأ .

- وأعلم أن كُلَّ ما بُعد عن أقصى البحارة في المغرب إلى جهة المشرق يعبر عنه عند علماء الهيئة والميقات بالطول؛ وقد اختلف في ابتداء ذلك : فالقدماء آتبدؤوه من جزائر البحر المحيط تُعرف بالخالدات ، يأتي الكلام عليها في جملة جزائر البحر المحيط ، والمحققون على ابتداء ذلك من ساحل البحر المحيط الغربي الذي هو أقصى البحارة الآن ، وبينهما عشر درج ، ونهاية البحارة في المشرق موضع يقال له كندُر ؛ ومتصف ٥ ما بين الابتداء والنهاية الشرقية يسمى قبة أرين ، ويعبر عنه بقبة الأرض ؛ وهي على بعد ربع الدور من المبدأ الغربي ، ويختلف الحال فيه باختلاف الابتداء من الجزائر الخالدات أو من الساحل . وما بُعد عن خط الاستواء المقدم ذكره يعبر عنه بالعرض ؛ فإن كان في جهة الجنوب فالعرض جنوبي ، وإن كان في جهة الشمال فالعرض شمالي . ويعبر الطول والعرض في الأمكنة من البلدان وغيرها بالدرج والدقائق ١٠ على ما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .
- ثم النصف الجنوبي من الأرض لا عمارة فيه إلا فيما قارب خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة ، وما إلى ذلك مما لا يزيد عرضه على ثلاث درج فيما أورده السلطان عماد الدين صاحب حماه في "تقويم البلدان" أو ست عشرة درجة ونحس عشرين دقيقة فيما ذكره إصحاق الحارثي وغيره . وأكثر المعمورانما هو ١٥ في النصف الشمالي ؛ والبحارة فيه فيما بين خط الاستواء إلى نهاية ست وستين درجة ونصف درجة في العرض ؛ وما وراء ذلك إلى نهاية الشمال تحراب لا عمارة فيه ، وغالب البحارة واقع بينا يجاوز عرضه عشر درج إلى حدود الخمسين درجة ، وما وراء ذلك في جهة الجنوب إلى خط الاستواء ، وفي جهة الشمال إلى حد البحارة غالبه جبال وقفار ؛ وغالب البحارة في الطول من ساحل البحر المحيط الغربي إلى تسعين درجة فما دونها . ٢٠

الطَّرَفُ الثَّانِي

فِيَا أَشَقَلْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضُ مِنَ الْأَقَالِيمِ الطَّبِيعِيَّةِ

قد قَسَمَ الْحِكْمَاءُ الْمَعْمُورَ إِلَى سَبْعَةِ أَقَالِيمٍ مُمْتَدَّةٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي عُرُوضٍ قَلِيلَةٍ تَنْشَابُهُ أَحْوَالُ الْبَقَاعِ فِي كُلِّ إِقْلِيمٍ مِنْهَا ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي تَرْتِيبِهَا بِحَسَبِ الْعَرْضِ ، فَعَمِمُوا جَمْعًا وَأَبْتَدَأُوا الْأَوَّلُ مِنْهَا خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ ، وَآخِرَ السَّابِعِ مَتْنَى الْعِمَارَةِ فِي الشَّامِ . وَهُوَ سِتُّ وَسِتُّونَ دَرَجَةً عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ أَبْتَدَاءَ الْإِقْلَامِ الْأَوَّلِ حَيْثُ الْإِعْرَاضُ اثْنَتَا عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَلَاثًا دَرَجَةً ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ خَارِجٌ عَنِ الْإِقْلَامِ الْأَوَّلِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ ، وَآخِرُ الْإِقْلَامِ السَّابِعِ حَيْثُ الْعَرْضُ ثَمَسُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثَ دَرَجَةٍ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى نِهَازَةِ الْعُمُرَانِ فِي الشَّامِ خَارِجٌ عَنِ الْإِقْلَامِ السَّابِعِ إِلَى الشَّامِ فَيَكُونُ مِنَ الْعِمْرَانِ مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ ، وَعَلَيْهِ وَقَعَ التَّرْتِيبُ فِي هَذَا الْكِتَابِ .

الْإِقْلَامِ الْأَوَّلُ — مَبْدُؤُهُ حَيْثُ الْعَرْضُ اثْنَتَا عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَلَاثًا دَرَجَةً كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَوَسَطُهُ حَيْثُ الْعَرْضُ سِتُّ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَنِصْفُ ثَمْنٍ دَرَجَةٍ ، وَآخِرُهُ حَيْثُ الْعَرْضُ عِشْرُونَ دَرَجَةً وَرَبْعُ ثَمْنٍ دَرَجَةٍ ، فَتَكُونُ سَعَتُهُ سَبْعَ دَرَجَاتٍ وَثَلَاثِي دَرَجَةٍ وَثَمْنُ دَرَجَةٍ .

الْإِقْلَامِ الثَّانِي — مَبْدُؤُهُ حَيْثُ الْعَرْضُ عِشْرُونَ دَرَجَةً وَرَبْعُ ثَمْنٍ دَرَجَةٍ ، وَوَسَطُهُ حَيْثُ الْعَرْضُ أَرْبَعُ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثًا دَرَجَةً ، وَآخِرُهُ حَيْثُ الْعَرْضُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَنِصْفُ دَرَجَةٍ ، فَتَكُونُ سَعَتُهُ بِالتَّقْرِيبِ سَبْعَ دَرَجَاتٍ وَثَلَاثَ دَقَائِقَ .

الإقليم الثالث — مبدؤه حيث العرض سبعٌ وعشرون درجة ونصف درجة؛
ووسطه حيث العرض ثلاثون درجة وثلاثا درجة؛ وآخره حيث العرض ثلاث
وثلاثون درجة ونصف وثمن درجة بالتقريب؛ [فتكون سعته ست درجات وثمن
درجة بالتقريب^(١)].

- الإقليم الرابع — مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمن
درجة؛ ووسطه حيث العرض ست وثلاثون درجة وخمسة وسدس درجة؛ وآخره
حيث العرض تسع وثلاثون درجة إلا عشرا؛ فتكون سعته خمس درجات
وسبع عشرة دقيقة بالتقريب.

- الإقليم الخامس — مبدؤه حيث العرض تسع وثلاثون درجة؛ ووسطه
حيث العرض إحدى وأربعون درجة وربع درجة؛ وآخره حيث العرض ثلاث
وأربعون درجة وربع وثمن درجة؛ فتكون سعته أربع درجات وربع وثمن وعشرون
درجة بالتقريب.

- الإقليم السادس — مبدؤه حيث العرض ثلاث وأربعون درجة وربع
وثمن درجة؛ ووسطه حيث العرض خمس وأربعون درجة وعشرون درجة؛ وآخره
حيث العرض سبع وأربعون درجة وخمسة درجة؛ فتكون سعته ثلاث درجات
ونصف وثمن وخمسة درجة.

الإقليم السابع — مبدؤه حيث العرض سبع وأربعون درجة وخمسة درجة؛
ووسطه حيث العرض ثماناً وأربعون درجة ونصف وربع وثمن درجة؛
وآخره حيث العرض خمسون درجة وثلاث درجة؛ فتكون سعته ثلاث درجات
وثمان دقائق.

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف في الطول والقصر باعتبار القرب من خط الاستواء والبعد عنه ؛ فكلما قُرب الإقليم من خط الاستواء كانت أكثر طولاً من الذي يليه ؛ ضرورة أن أوسع الكثرة وسطها وما بعده من الجانبين ينحصر شيئاً فشيئاً .

٥ فطول الإقليم الأول — من ابتدائه من ساحل البحر المحيط الغربي إلى ساحل البحر المحيط الشرقي فيا ذكره في "تقويم البلدان" مائة وأثنان وسبعون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثاني — مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثالث — مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .

١٠ وطول الإقليم الرابع — مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرة دقيقة .

وطول الإقليم الخامس — مائة وخمس وثلاثون درجة وأثنان وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السادس — مائة وست وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السابع — مائة وتسع عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الثانية

فى البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البلدان فى التعريف بها والسفر إليها ، وفيه طرفان :

الطرف الأول

فى البحر المحيط

٥

وهو المستدير بالقدر المكشوف من الأرض . وأحواله معاودة فى بعض المواضع دون بعض .

فمن المعلوم الحبال منه الجانب الغربى ، ويسمى بمرأوقيانوس ، وفيه الجزائر الخالبات المتقدم ذكرها فى الكلام على الأطوال .

- ١٠ ويأخذ فى الامتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصى من زقاق سبتة الذى بين الأندلس وبرعدوة إلى جهة الجنوب حتى يتجاوز صحراء لمتونة ، وهى بادية البربر بين طرف بلاد المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال ، ثم يمتد جنوبا على أرض خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتى يتجاوز خط الاستواء المتقدم ذكره إلى الجنوب .

- ١٥ قال الشريف الإدريسى : وماؤه هناك مخين غليظ شديد الملوحة ، لا يعيش فيه حيوان ، ولا يسلك فيه مركب .

- ثم يعطف إلى جهة الشرق وراء جبال القمر التى منها منابع نيل مصر الآتى ذكرها ، فيصير البحر المذكور جنوبيا عن الأرض ، ويمتد شرقا على أرض خراب وراء بلاد الزنج ، ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الصين والهند ، ثم يأخذ مشرقا حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة ، وهناك بلاد الصين ؛ ثم ينعطف

٢٠

في شرق الصين إلى جهة الشمال ويصير في جهة الشرق عن الأرض ، ويمتد شمالا
على شرق بلاد الصين حتى يتجاوز حد الصين ، ويسامت سداً يأجوج ومأجوج ،
ثم ينعطف ويستدير على أرض غير معلومة الأحوال ، ويمتد مغرباً وبصير في جهة
الشمال عن الأرض ، ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ، ثم ينعطف غرباً وجنوباً
ويستدير على الأرض وبصير في جهة الغرب منها ، ويمتد على سواحل أمم مختلفة من
الكفار حتى يسامت بلاد رومية من غربها ، ثم يمتد جنوباً ويتجاوز بلاد رومية
ويسامت البلاد التي بينها وبين الأندلس ، ويتجاوزها إلى سواحل الأندلس ،
ويمتد على غربي الأندلس جنوباً حتى يجاوزه ويتنهي إلى زقاق سبئة الذي وقعت
البداءة منه .

الطرف الثاني

١٠

في البحار المنبثقة في أقطار الأرض ، ونواحي الممالك ، وما بها من الجزائر
المشهوره ، وهي على ضربين

الضرب الأول

الخارج من البحر المحيط وما يتصل به

والمشهور منه ثلاثة أبحر :

١٥

البحر الأول

الخارج من البحر المحيط الغربي إلى جهة الشرق

وهو (بحر الروم) وأضيف إلى الروم لسكنى أمهم عليه من شماليه ، ويعبر عنه
بالبحر الرومي أيضاً ، وقد يعبر عنه بالبحر الشامي ، لوقوع سواحل الشام عليه من
شرقيه . وتخرج من المحيط من بحر أوقيانوس المتقدم ذكره بين الأندلس وبر العذوة

٢٠

من بلاد المغرب، ويُسمى هنالك بحر الزُّفاق، وربما قيل زُفاق سَبْتَة، لمجاورته لها على ما سيأتى؛ وهو هناك في غاية الضيق .

قال الشريف الإدريسي : والثابت في الكتب القديمة أن سَعْتَه عشرة أميال ولكنه آتسع بعد ذلك .

قال ابن سعيد : وهو في زماننا ثمانية عشر ميلا .

قال في "الروض المعطار" : ويذكر أنه كان عليه قنطرة عظيمة بين الأندلس وساحل طَنْجَة من بر الصُّدوة، مبنية بالحجارة، لا يُعلم لها نظير في معمور الأرض، يمز عليها الناس والدواب من جانب إلى جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة طمى فأغرق القنطرة؛ وربما ظهرت لأهل المراكب تحت الماء . قال :
والناس يقولون إنه لا بُدَّ من ظهورها قبل فناء الدنيا .

١٠

ويبتدئ هذا البحر من أول بحر الزُّفاق المقدم ذكره، ويمتد على (سواحل الغرب) إلى حدود الديار المصرية فيمز على مدينة (طَنْجَة) حيث الطول ثمان درج، والعرض خمس وثلاثون درجة ونصف؛ ثم يَغْطِف جنوبا وشرقا إلى مدينة (سَلَا) . ثم يمتد شرقا وتَمَّالاً إلى مدينة (سَبْتَة) ويمتد كذلك حتى يسامت مدينة (فاس) قاعدة الغرب الأقصى على بُعد منه؛ ثم يمتد إلى حدود مدينة (نَيْلْمَسَان) قاعدة الغرب الأوسط؛ ثم يأخذ شرقا بميلة إلى الشمال حتى يصير عند (الجزائر) فُرُوضَة بِحَايَة، ويمتد حتى يسامت (بِحَايَة) .

١٥

ثم يمتد حتى يجاوز مدينة (مَرْسى الخرز) الذي به مَقَاصِ المَرَجَلات شرقاً مُسْتَنْطِيَة : آخر مملكة بِحَايَة من الشرق، ثم يتجاوز مملكة بِحَايَة إلى أول حدود إفريقية، ويمتد في سمت وسط المشرق حتى يقابل مدينة (تُونُس) قاعدة إفريقية من شماليها، ويدخل منه خَوْراً إلى تُونُس المذكورة .

٢٠

ثم يمتد بعد أن يتجاوز تُونِس نحوَ تسعين ميلا شرقا نصّاء، ثم يعطف جنوبا حتى يصير له دخلة كبيرة في الجنوب؛ وفي قِم هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلى الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية .

ثم يمتد في الجنوب إلى قريب من مدينة (سوسة)؛ ثم يشرق إلى سوسة المذكورة ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة (المهديّة)؛ ثم يمتد شرقا وجنوبا حتى يتجاوز مدينة (صفاقس)، ويمتد حتى يجاوز جزيرة (حرّبة)؛ ثم يعطف شمالا ويصير للبر الجنوبي دخلة في البحر، ويمتد شرقا وشمالا حتى يبلغ مدينة (طرابلس) وهي آخر مدین إفريقية؛ ثم يمتد شرقا حتى يجاوز حدود إفريقية عند طول إحدى وأربعين درجة، ثم يمتد شمالا على سواحل (برقة) الآتي ذكرها في جملة نواحي الديار المصرية إلى (طابنبا) ثم ينمطف إلى جهة الشمال، ويكون للبر في البحر دخلة إلى (رأس أوتان) وهو جبل داخل في البحر، ثم يشرق من رأس أوتان (إلى رأس تَنِي) وهو جبل في البحر قبالة رأس أوتان من جهة الشرق؛ ثم يعطف إلى الجنوب ويمتد جنوبا حتى يسامت (عقبسة برقة) وهي أول حدود الديار المصرية، على ما يأتي ذكره في تحديدها .

ثم يمتد على سواحل مصر، ويمتد شرقا وجنوبا إلى مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية .

ثم يأخذ شرقا إلى عند مصب فرقة النيل الشرقية، ويأخذ مشرقا إلى (رشيد) عند مصب فرقة النيل الغربية، ويمتد كذلك إلى مدينة (دمياط) عند مصب فرقة النيل الشرقية، ويأخذ شرقا إلى الطينة^(١) ثم إلى (القرما) ثم إلى (العريش) ثم إلى (رَج) وهي مستقلة في طَرَف دمل الديار المصرية من جهة الشام على مرحلة من

(١) الزيادة عن الفهرست .

غَزَّةٌ ، حيث الطُّول نحو سِتٍّ وخمسين درجة ونصف والعرضُ اثْنان وثلاثون درجة ؛ ومن هنا ينقطع تشريقه .

- ثم ينمطف ويأخذ شمالاً على (سواحل الشام) الآتى ذكرها في الكلام على المملكة الشامية فيمتد إلى مدينة (غَزَّة) ، ثم إلى (عَسْقلان) ، ثم إلى (يَاقَا) ميناء الزملة من أعمال الصَّفقة الساحلية من دمشق ؛ ثم إلى (قَيْساريَّة) . (بفتح الغاف)
- وهي مدينة خراب تعدّ من جُنْد فلسطين ، كانت من أمّهات المُدُن ، ثم إلى (عَتَلَيْث) من أعمال صَفد ، ثم إلى (عَكَا) من أعمالها ، ثم إلى (صُور) من أعمالها ، ثم إلى (بيروت) من أعمال الصَّفقة الشمالية من دمشق ، ثم إلى (جُبَيْل) وهي مدينة قديمة خراب ، ثم إلى (أَنفَسَة) من أعمال طرابلس ، ثم إلى مدينة (طرابلس) ، ثم إلى (أَنْطَرطُوس) من أعمالها ، ثم إلى (بُلُنْيَاس^(١)) من أعمالها ، ثم إلى (جَبَلَة) من أعمالها ، ثم إلى (الْأَلَذِيَّة) من أعمالها ، ثم إلى (السُّويديّة) ميناء أَنْطَاكِيَّة من أعمال حَلَب ، ثم يأخذ البحر غرباً بشمال (إِيَّاس) ، مدينة الفتوحات الجاهانية ، ثم إلى (المَصْبِيصَة) ثم إلى (أَذَنَة) ثم إلى (طَرَسُوس) ثم يمتدّ شمالاً بقرب حتى يماز حدود بلاد الأرمن ؛ ويمتدّ على سواحل بلاد الروم التي هي الآن بيد الرّكّان الآتى ذكرها في مكاتبات ملوكهم إلى (الْكُرْك) . (بضم الكاف وسكون الراء المهملة)
- وهي بلدة بساحل بلاد المسابيين هي الآن بسد صاحب قبرس ، ثم يترّ شمالاً إلى (الْعَلَايَا) ، ويقابلها من البرّ الآخر (دِمياط) من سواحل الديار المصرية تقريباً ؛ ثم يترّ إلى (أَنْطَاكِيَّة) ، ثم إلى (يَلَاط) ، ثم إلى (طَنْفَرُلو) ، ثم إلى (إِيَّاس لوق) ، ثم إلى (مَغْنِيسِيَا) ، ثم إلى مدينة (ابزو) وهي بلدة على فم الخليج القسطنطيني من الشرق ، وبها يعرف الخليج فيقال فم ابزو ، ويقابلها من البرّ الآخر غربيّ مدينة الإسكندرية ، فيما بينها وبين بَرْقَة ؛ ثم يماز الخليج المذكور ، ويمتدّ مغرباً بمِثْلَة
- (١) قال في سمر البلدان : (بضيتين ويكون النون) . وفي القاموس : (بلنياس كسر طراط) قلل فيه لنتين .

إلى الجنوب على سواحل الروم والفرنجية، فيمّر على بلاد المّرّا، وهى مملكة أوّلها
فم الخليج القسطنطينى المتقدّم ذكره من جانبه الغربى . كانت فى الأيام الناصرية
(أبن قلاوون) مشتركة بين صاحب القسطنطينية وبين طائفة الكيتلان من الفرنج،
وقد فتحها الآن أبن عثمان وأستقلّها من الروم .

٥ ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد (المفجوط) وهم جنس من الروم
لهم لسان ينغردون به . ويقابلها من البر الآخر شرقاً برقة، ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد
إفقرنس، ثم إلى بلاد الباسليسة، وهى امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعائة فعمّرت بها .
ويقابلها من البر الآخر أوساط برقة . وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب
(جَوْن البنادقة) وهو خليج يخرج من بحر الروم هذا ، ويمتدّ غرباً بشمال حتى
يصير طرفه غربى رومية ، وعلى طرفه مدينة (البُنْدُقية) ومن فيه إلى منتهى نحو
١٠ سبعمائة ميل ، ثم يجاوز فم الخور المذكور إلى مملكة بولية ، وأولها فم خور البنادقة
من الجانب الغربى . ويقابلها من البحر الآخر (طَلَيْيَا) فُرْضة برقة المتقدمة الذكر،
ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد (قفرية) من جملة مملكة بولية المتقدمة الذكر .

ويقابلها من البر الآخر بلاد أطرابلس من بلاد إفريقية، ثم يمتدّ إلى ساحل
١- (رومية)، المدينة المعظمة المشهورة .

ويقابلها من البر الآخر شرقاً تُونُس من إفريقية . ثم ينقطع تغريبه ويأخذ
جنوباً حتى يجاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلى بلاد التّسقان ، وهم جنس من
الفرنج وبلادهم معروفة بنبات الزّعفران .

ويقابلها من البر الآخر مدينة تُونُس : قاعدة إفريقية المتقدمة الذكر ، ويمتدّ
٢٠ فى الجنوب إلى بلاد (بيزة) وهى بلدة على الركن الشمالى من جزيرة الأندلس إليها
ينسب الفرنج البيازنة والحدّيد البيزانى .

ويقابلها من البر الآخر (مَرْسَى الْخَرَز) آخر مملكة بَجَايَة من الشرق على ما تقدم ذكره . ثم يمتد إلى بلاد (جَنَوَة) الآتي ذكرها في الكلام على البلاد الشمالية ، ثم يأخذ غربا إلى جبل البرت ، وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة ، ثم ينقطع تغريبه ويعطف مشرقا ويدخل الركن الشرقي من الأندلس فيه ، ويمتد في الشرق ، ويستدير على الركن المذكور ، ثم يعطف غربا . ويمتد على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (بَرْثُلُونَة) ثم إلى مدينة (طَرْطُوشَة) .

قال في "الروض المعطار" : ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية .

قال في (تقويم البلدان) : وعرض البحر بينهما ثلاثة مجازء ثم يمتد كذلك بين الغرب والجنوب إلى مدينة بَلَنْسِيَة ، ثم يعطف غربا إلى دَانِيَة ، ثم يمتد غربا بمجنوب إلى مدينة مالقة ثم يمر إلى الجزيرة ، وهي مقابلة لساحل سَبْتَة وطنجة حيث وقع الابتداء .

وسأقي الكلام على ضبط ما لم يضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف مع ذكر صفاتها عند التعرض لذكرها في الكتاب في مواضعها إن شاء الله تعالى .

وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يذكر ألف فرسخ ومائة وسبعون فرسخا ، وغاية عرضيه في بعض الأماكن ستمائة ميل .

وأما ما يتصل بالبحر الرومي المتقدم الذكر في بحر نِيَطُش^(١) (بنون مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة في الآخر) . وهو المعروف في زماننا ببحر القريم ، لتركب بلاد القريم على ساحله ، ويعرف أيضا بالبحر الأرمني ، لتركب بعض بلاد أرمينية على بعض سواحل ، وربما قيل فيه البحر الأسود ، وهو متصل ببحر الروم المذكور من شماليه ، ويتركب عليه من آخره (بحر مانيطش) بزيادة لفظ "ما" في أوله وباقي الضبط على ما تقدم وهو المعروف في زماننا ببحر الأناضول ،

(١) ورد في معجم البلدان لياقوت « بنطس » بضم الطاء والسين المهملة ، وذكر مؤلفه أنه وجده هكذا بخط أبي الريحان البيروني .

لتركب بلاد الأَزَق على ساحله الشرقى وليس وراءه بحر متصل به ، ولذلك يُعبر عنه
بدمهم ببحيرة مانيطش ، وهو يصب في بحر نيطنش ، وبحر نيطنش يصب في بحر
الروم ؛ ولذلك تُسرع المراكب في سيرها من القريم إلى بحر الروم ، وتبطن في سيرها
من بحر الروم إلى القريم لاستقبالها جريان الماء .

• وأول بحر نيطنش المذكور مما يلي بحر الروم . (الخليج القسطنطيني) المتقدم ذكره
في تحديد بحر الروم ، وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الإنسان صاحبه من البر الآخر .
قال آبن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا واتصاله
بالبحر الرومى من جانبه الشمالى ، ويمتد شمالا (على سواحل بلاد الروم) من البر الشرقى
منه إلى (قلعة الجرون) ، وهى قلعة خراب على ساحل هذا الخليج مقابل القسطنطينية ،
10 ويمتد من الجرون شمالا بميلة يسيرة إلى الشرق إلى مدينة كرى على خليج القسطنطينية
على القرب من الجرون المذكورة ؛ ثم يمتد شرقا بشمال إلى مدينة (كترو) وهى
آخر مدن القسطنطينية التى على هذا الساحل ، ثم يمتد إلى مدينة (كينولى) وهى بلدة
على الخليج القسطنطينى ، ثم يأخذ بين الشمال والغرب ، ويكون للبر دخلة فى البحر إلى
15 جهة الغرب ، وعلى طرف هذه الدخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتى ذكرها
فى مكاتبات ملوك الكفر ، ثم يأخذ فى الاتساع إلى مدينة (سامسون) ، وهى بلدة
من سواحل بلاد الروم ، ثم يأخذ مُشرقاً إلى مدينة (طرابزون) ، وهى فُرْضة للروم بهذا
الساحل ، ثم يمتد شمالاً بميلة إلى مدينة (مُخُوم) ، وهى مدينة على ثلاثة أيام عن طرابزون
شرقاً بشمال ، وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد ، ويقال إنها من بلاد الكرج ، ثم يمتد
20 شرقاً بشمال إلى مدينة (أَبْتَّاس) وهى مدينة فى جبل على ساحل البحر على القرب
من مُخُوم ؛ ثم يتضايق البحر مُغرباً ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البران ويصير

- الماء بينهما مثل الخليج، وهو مصب بحر مَانِيطُش في بحر نِيطُش، وعلى جانب هذا الخليج مدينة (الطامان) من سواحل الروم، وهي حد بلاد الروم، من مملكة بركة المشتعلة على القيريم، وذشت القَبَجَاق، والسراي، وخوارزم على ما سياتي بيانه في مكاتبات القانات؛ ثم يأخذ في الاتساع شرقا وتيمالا وغربا ويصير كالبركة، ويمتد على سواحل الأَزَقِ الآتي ذكرها في مكاتبات حاكمها إلى مدينة (الشرقي) وهي أول بلاد الأَزَقِ، ومنها ينتهي تسريقه؛ ثم يعطف إلى الشمال ويأخذ إلى مدينة (الأَزَقِ) ثم يستدير من الأَزَقِ حتى يصير إلى الغرب، وينتهي إلى الخليج الذي بين بحر نِيطُش وبحر مَانِيطُش المتقدم ذكره.
- وهناك مدينة الكِرَش من بلاد الأَزَقِ، مقابل مدينة الطامان المتقدمة الذكر من البر الآخر، ثم يمتد جنوبا ويمتد على سواحل القيرم الآتية الذكر في مكاتبة حاكمها، فيتم إلى مدينة (الكفا) فرضة القيرم.
- ويقابلها من البر الآخر مدينة (طرابزون) المتقدمة الذكر؛ ثم يمتد كذلك إلى مدينة صُودَاق، وهي فرضة بلاد القيرم أيضا.
- ويقابلها من البر الآخر مدينة (سامسون) المتقدمة الذكر؛ ثم يأخذ في الانضمام جنوبا ويعطف مشرقا بحيث يكون للبردخلة في البحر، ويمتد على سواحل بلاد
- البلفار إلى مدينة (صَارِي كِرمان) من بلاد البلفار، وبينها وبين صُلغات مدينة (القيرم) خمسة أيام.
- ويقابلها من البر الآخر مدينة (سَنُوب) المتقدمة الذكر؛ ثم يأخذ في الاتساع غربا بميلة إلى الجنوب ويمتد كذلك إلى مدينة (أَقْبَا كِرمان) من بلاد البلفار، ثم يأخذ جنوبا ويمتد على (سواحل بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة) إلى بلدة صَقْجِي، وعندها
- يصب نهر طُنا (بطاء مهملة مضمومة بعدها نون) وألف) وهو نهر عظيم يقدر

مجموع دَجَلَة والفُرَات ، ثم يتضابق ويأخذ شرقاً حتى ينتهي إلى أول الخليج
الْقُسْطَنْطِينِيّ المتقدم ذكره ، ثم يأخذ جنوباً ويتقارب الْبَرَّانِ ويمتد كذلك إلى
مقابل مدينة كربى المتقدمة الذكر ، ثم يمتد كذلك إلى مدينة (الْقُسْطَنْطِينِيَّة) قاعدة
ملك الروم الآتية ذكرها في مكتبة مَلِكِهَا .

ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون المتقدمة الذكر ، ثم يمتد حتى يصب في بحر
الروم حيث وقع الابتداء . وسأقي الكلام على ضبط ما لم يضبط من البلاد التي
على ساحل هذا البحر المتقدمة الذكر مع ذكر صفاتها عند الكلام على مكاتب
ملوكها وحُكَّامها إن شاء الله تعالى .

ويجوز نيطش المتقدم ذكره على القرب من الخليج الْقُسْطَنْطِينِيّ جزيرة (مَرْمَرَا)
الآتية ذكرها عند الكلام على مكتبة مَلِكِهَا في جملة ملوك الكفران شاء الله .

البحر الثاني

الخارج من المحيط الشرقي إلى جهة الغرب

وهو بحر يخرج عند أقصى بلاد الصَّين الشرقية الجنوبية مما يلي خط الاستواء
حيث لا عرض ، وقبل : على عرض ثلاث عشرة درجة في الجنوب ، ويمتد غرباً
بشمال على (سواحل بلاد الصَّين) الجنوبية ، ثم على المفاوز التي بين الصَّين والهند
حتى ينتهي إلى (جبال قَامُرُون) الفاصلة بين الصَّين والهند .

قال ابن سعيد : ومدينة الملك بها في شرقها ، ثم يجاوز (جبال قَامُرُون)
المذكورة ويمتد على سواحل بلاد (الهند) من الجنوب ، ويمتد على (سُقَالَة الهند)
وهي سُوقَارَة ، ويمتد حتى ينتهي إلى آخر الهند ، ثم يمتد على مفازة السُّنْد الفاصلة
بينه وبين البحر ، ويمتد حتى ينتهي إلى بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى
جهة الشَّمال على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

- ويماورؤه إلى بلاد اليمن فيمتر على (ساحل مهرة) : أول بلاد اليمن؛ ويمتد من شمالها على سواحل اليمن من جنوبه حتى ينتهي إلى مدينة (عدن) فرضية اليمن، ثم يمر من عدن إلى الشمال بمسلة إلى الغرب نحو مجرا حتى ينتهي إلى (باب المتدب) وهو فرضة بين جبلين، ويخرج منه ويمتد غربا بمسلة إلى الشمال اثني عشر ميلا، ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية إلى (علايقة) فرضة مدينة (زبد)؛ ثم يمتد شمالا أيضا إلى مدينة (حل) من أطراف اليمن من جهة الحجاز، وهي المعروفة بجبل آبن يعقوب؛ ثم يمتد شمالا على (ساحل الحجاز) إلى (جدة)، فرضة على بحر القلزم؛ ثم يمتد شمالا إلى (البحجة) ميقات الإحرام لأهل مصر؛ ثم يمتد شمالا بمسلة إلى الغرب حتى يتصل بساحل (ينبع)، ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يماور (مدين) الآتي ذكرها في كور مصر القديمة؛ ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب (أيلة) الآتي ذكرها في كور مصر القديمة أيضا؛ ثم يعطف إلى الجنوب حتى يماور أيلة المذكورة إلى مكان يعرف (برأس أبي محمد) ويكون للبر دخلة في البحر في جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا حتى ينتهي إلى فرضة (الطور) وهي مكان حط وإقلاص لمراكب الديار المصرية، وما يصل إليها من اليمن وغيرها؛ ويمر في الشمال حتى يصل إلى فرضة (السويس) وهي مكان حط وإقلاص للديار المصرية أيضا؛ وعنده ينتهي بر العرب ببحر القلزم ويتبدى بر العمجم.

وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم على ما تقدم ذكره في الكلام على أصل هذا البحر.

- ثم من السويس يعطف إلى الجنوب على ساحل مصر، ويمتد موازيا لبلاد الصعيد حتى ينتهي إلى مدينة (القلزم) التي ينسب إليها هذا البحر الآتي ذكرها في الكلام على كور مصر القديمة، ويقابلها من بر الحجاز أيلة، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بمسلة إلى الشرق حتى يسامت فرضة الطور المتقدم ذكرها، وتصير فرضة الطور بين أيلة

والْقَلْبُ غَرْبِي الدخلة المتقنم ذكرها؛ ثم يمتد كذلك حتى ينتهي إلى (القَصِير) ،
فُرْصَةُ قُوص ؛ ثم يتسع في جهتي الجنوب والشرق حتى يكون أنساعه تسعين ميلاً ،
وتسمى تلك القطعة المتسعة بِرَكَّة الْغُرُنْدِل ، وهي التي أغرق الله تعالى فيها فرعون ؛
ثم يأخذ جنوباً بميلة يسيرة إلى الغرب إلى (عِيْدَاب) ، فُرْصَةُ قُوص أيضاً . ويقال لها
من بَرَّ الحجاز جُدَّة ، فُرْصَةُ مَكَّة المشرقة ؛ ثم يمتد في سمت الجنوب على (سواحل
بلاد السودان) حتى يصير عند (سَوَاكِن) من بلاد البجاة ؛ ثم يمتد كذلك حتى يحيط
(بجزيرة دَهْلَك) وهي جزيرة قريبة من ساحل هذا البحر الغربي ، وأهلها من الحبشة
المسلمين . ويقال لها من البرّ الآخر جَنُوبِي حَلِيّ أبْن يعقوب من بلاد اليمن ، ويمتد
حتى يصل إلى رأس (جبل المَنْدَب) المتقدم ذكره .

وهناك يضيق البحر حتى يرى الرجل صاحبه من البرّ الآخر .

ويقال : إنه بقدر رميتي سَهْم ؛ وتُرى جبال عَدَن من جبال المَنْدَب في وقت
الصبح ، ثم يتجاوز باب المَنْدَب ويأخذ شرقاً وجنوباً ، ويتسع قليلاً قليلاً ويمتد على
بقية سواحل الحبشة حتى يمز بمدينة (زَيْلَع) من بلاد الحبشة المسلمين .

ويقال لها عَدَن من بَرّ اليمن ، وهي عن عَدَن في الغرب بميلة إلى الجنوب ، ثم يمز
إلى مدينة مَقْدِسُو^(١) ، ثم يمتد كذلك حتى ينتهي إلى (خليج بَرَّاء) الخارج من بحر الهند
في جانبه الجنوبي على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ويتجاوز ثم هذا الخليج ويمتد على (سواحل بلاد الزُّنُج) حتى ينتهي إلى آخرها ؛
ثم يمتد على (سواحل بلاد الواق واق) على أماكن مجهولة حتى ينتهي إلى مبدئه من
البحر المحيط الشرق . على أنه في تقويم البُلْدَان لم يتعرض لساحل هذا البحر
الجنوبي فيما هو شرق باب المَنْدَب لعدم تحققه .

(١) في تقويم البلدان [بكر الهمداني] وفي معجم البلدان [يفتح الهمداني] فهما لغتان .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ يُسَمَّى فِي كُلِّ مَكَانٍ بِأَسْمٍ مَا يَسَامَتْهُ مِنَ الْبُلْدَانِ ، أَوْ بِاسْمِ بَعْضِ الْبُلْدَانِ الَّتِي عَلَيْهِ . فَيُسَمَّى فِيمَا يَقَابِلُ بِلَادَ الصِّينِ : بِمَحَرِّ الصِّينِ ، وَفِيمَا يَقَابِلُ بِلَادَ الْهِنْدِ إِلَى مَا جَاوَرَهَا إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ شَرْقِيَّ بَابِ الْمُنْدَبِ : بِمَحَرِّ الْهِنْدِ ، وَفِيمَا دُونَ بَابِ الْمُنْدَبِ إِلَى غَايَتِهِ فِي الشَّمَالِ وَالْغَرْبِ : بِمَحَرِّ الْقُزْنِ ، نَسْبَةً إِلَى مَدِينَةِ الْقُزْنِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ فِي سَاحِلِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

قال في "تقويم البلدان" : وطول هذا البحر من طَرَفِ بِلَادِ الصِّينِ الشَّرْقِيَّةِ إِلَى الْقُزْنِ الْفَانِ وَسَبْعُمِائَةٍ وَثَمَانِيَّةٍ وَأَرْبَعُونَ فَرَسَخًا بِالتَّقْرِيبِ ، وَمُقْتَضَى كَلَامِ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي "عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ" أَنَّ طَوْلَهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَتِسْعُمِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَسِتُونَ فَرَسَخًا وَثَلَاثِينَ ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ طَوْلَ بَحْرِ الصِّينِ وَالْهِنْدِ إِلَى بَابِ الْمُنْدَبِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَخَمْسُمِائَةٍ فَرَسَخٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ طَوْلَ بَحْرِ الْقُزْنِ أَلْفٌ وَأَرْبَعُ مِائَةٍ مِيلٍ ، وَهِيَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَسِتُونَ فَرَسَخًا وَثَلَاثِينَ وَبَيْنَ الْكَلَامَيْنِ بَوْنٌ .

وَكَلَامُ صَاحِبِ تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ . فَإِنَّهُ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ نَضْرِبِ الدَّرَجِ وَاسْتَخْرَاجَ أَمْيَالَهَا وَفَرَسَخَهَا . وَبَآخِرَ بَحْرِ الْقُزْنِ مِنَ الذَّرَاعِ الْآخِذِ إِلَى جِهَةِ السُّوَيْسِ عَلَى مِيلٍ مِنْ مَدِينَةِ الْقُزْنِ مَوْضِعَ يَعْرِفُ (بَذَنِيْبُ التَّمَسَّاحِ) يَتَقَارَبُ بِحَرَ الْقُزْنِ وَبَحَرَ الرُّومِ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْقَرَمَاءِ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُمَا نَحْوُ سَبْعِينَ مِيلًا فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعِيدٍ .

قال في "الروض المِعْطَارِ" : وَكَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ قَدْ حَفَرَهُ لِيُوصَلَ مَا بَيْنَ الْقُزْنِ وَبَحْرِ الرُّومِ فَلَمْ يَتَأْتِ لَهُ ذَلِكَ لِأَرْتِفَاعِ الْقُزْنِ وَأَنْخِفَاضِ بَحْرِ الرُّومِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَهُمَا حَاجِرًا كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ . قَالَ : وَلَمَّا لَمْ يَتَأْتِ لَهُ ذَلِكَ أَحْفَرُ خَلِيجًا آخَرًا مِمَّا بَلَى بِلَادَ تَيْبَسَ وَدِيمَاطَ وَجَرَى الْمَاءُ فِيهِ مِنْ بَحْرِ الرُّومِ إِلَى مَوْضِعٍ يَعْرِفُ بِقِيْعَانِ (٩) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية، وتدخل من بحر القلزم إلى ذئب التماسح فيقرب ما في كل بحر إلى الآخر، ثم أردتم ذلك على طول الدهر . وقد ذكر ابن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يغرق بينهما من عند ذئب التماسح المتقدم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقال : **إِذْ ذُنُوبُكُمْ تَغْتَفَلُ الرُّومُ الْحَاجَّ** .

وذكر صاحب "الروض المبطّر" أن الرشيد هم أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مصب النيل من بحر بلاد الحبشة وأقصى صعيد مصر فلم يأت له قسمة ماء النيل ، فرام ذلك مما على بلاد القرماء فقال له يحيى بن خالد : إن تم هذا **تُغَطِّفُ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَكَّةَ** ، وأُحْتَجَّ عليه بمنع عمر بن الخطاب عمرو ابن العاص من ذلك ، فأمسك عنه .

ويتفرع من البحر الهندي بحران عظيمان مشهوران ، وهما (بحر فارس ، والبحر الخليج البربري) .

فأما بحر فارس ، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره من شماليه ، ويمتد شمّالاً بميلة إلى الغرب غربى (مقازة السند) الفاصلة بينه وبين بحر الهند ، ثم على غربى بلاد السند ، ثم على أرض (مكرّان) من نواحي الهند ، ويخرج منه من آخر مكرّان خورٌ يمتد شرقاً وجنوباً على ساحل مكرّان والسند حتى يصير السند غربيه ، ثم ينعطف آخره على (ساحل بلاد كرمان) من شماليها حتى يعود إلى أصل بحر فارس ، فيمتد شمالاً حتى ينتهى إلى مدينة (هرموز) وينتهى إلى آخر كرمان فيخرج منه خور يمتد على ساحل كرمان من شماليها ، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبها حتى يتصل بأصل بحر فارس ، ويمتد شمالاً ثم يعطف ويمتد مغرباً إلى (حصن ابن عمارة) من بلاد فارس ، وقيل من بلاد كرمان ، وهو اليوم خراب ،

- ثم يمتد مغرباً في جبال منقطعة ومفاوِز إلى مدينة (سِرَاف)؛ ثم يمتد كذلك إلى (سيف البحر) بكسر السين، وهو ساحل من سواحل فارس، فيه مزارع وقرى مجتمعة؛ ثم يمتد إلى (جَنَابَة) من بلاد فارس، ثم يمتد إلى (سِينِيز) من بلاد فارس، وقيل من الأهواز؛ ثم يمتد إلى مدينة (مَهْرُوبَان) من سواحل خوزستان، وقيل من سواحل فارس، وهي قُرْصَة (أَرْجَان) وما والاها، ثم يمتد مغرباً بميلة يسيرة نحو الشمال إلى مدينة (عَبَادَان) من أواخر بلاد العراق من الشرق على القرب من البصرة عند مَصَبِّ دِجْلَة في هذا البحر؛ ثم ينعطف ويمتد جنوباً إلى (كَاطِمَة) وهي جُؤْنٌ على ساحل البحرين مما يلي البصرة على مسيرة يومين منها؛ ثم يمتد إلى (الْقَطِيف) من بلاد البحرين ثم يمتد كذلك إلى مدينة (عُمَان) قُرْصَة بلاد البحرين، وإليها تنتهي مراكب السند والهند والزنج، ويخرج على القرب منها من بين المُلُغ من ساحلها في جهة الغرب بحر بِلَاد (الشَّحْرِ) من اليمن أيضاً، وإليها ينسب العَبَر الشَّحْرِيُّ الطَّيِّب كما تقدّم ذكره في النوع الخامس فيما يحتاج إليه من نفيس الطيب؛ ثم يمر على سواحل (مَهْرَة) من شرق بلاد اليمن حتّى ينتهي إلى مَبَدَّته من بحر الهند.

- قال في "تقويم البلدان": وبغم هذا البحر ثلاثة أجبال يحشاها المسافرون، يقال لأحدها كُثَيْر، والثاني حُور، والثالث ليس فيه خير.

- قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات": وطول هذا البحر أربع مائة فرسخ وأربعون فرسخاً، وعُمُقُه ثمانون باعاً.

- وأما الخليج البرّري، فهو ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره في جنوبي جبل المنّديب المتقدم الذكر، ويمتد في جنوبي بلاد الحبشة، ويأخذ غرباً حتّى ينتهي إلى مدينة بَرَبَر (بهاين موحدتين مفتوحتين ورايين مهملتين الأولى منهما ساكنة)

وهي قاعدة الزغابة من السودان، حيث الطول ثمان وستون درجة، والعرض ست درج ونصف .

- قال في "نقويم البلدان" : وطوله من المشرق الى المغرب نحو خمسمائة ميل .
- قال الشريف الإدريسي : وموجه كالجبال الشواقي ولكنه لا ينكسر . قال :
- يركب فيه إلى جزيرة قنبلو، ويقال قنبلة، وهي جزيرة للزنج في هذا البحر .
- قال في "الفانون" : وطولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها في الجنوب ثلاث درج .
- قال الإدريسي : وأهلها مسلمون .

البحر الثالث

- الخارج من المحيط الشمالي، المعروف بحر برديل .
- (يفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام في الآخر) .
- قال ابن سعيد: ويقال له بحر برطانية أيضا، وهو بحر يخرج من شمالي الأندلس ويأخذ شرقا إلى خلف جبل الأبواب الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة، ويقرب طرفه الشرقي حتى يبقى بينه وبين بحر الروم المتقدم ذكره أربعون ميلا، وهناك مدينة (برديل) التي يضاف البحر إليها .

الضرب الثاني

- من البحار المنبثة في أقطار الأرض ما ليس له اتصال بالبحر المحيط وهو بحر الخزر (يفتح الخاء والزاي المعجمتين، وراء مهملة في الآخر) .

ويسمى بحر جُرجانَ لوقوع مدينة جُرجانَ على ساحله ، وبحر طَبَرِسْتَانَ لوقوع ناحية طَبَرِسْتَانَ على ساحله أيضا ، وهذا البحر بحر مُلَحٌ منفرد عن البحار لا اتصال له بغيره البتة .

قال ابن حوقل : وهو مظلم القعر ، ويقال : إنه متصل ببحر يُطِش من تحت الأرض .

قال المسعودي : وهو غلط لا أصل له ، ولم أدر من أين أخذه قائله ، أين طريق الجلس ، أم من طريق الاستدلال والقياس .

- قال الشريف الإدريسي : وهو مدور الشكل إلى الطول ، وقبل مثلث الشكل كالقُلْع ، وعلى ساحله الجنوبي بلاد الجليل والذُبْلَم ، وعلى جانبه الشرق بلاد جُرجانَ والمفازة التي بين جُرجانَ وخَوَارَزْم ، وعلى جانبه الشمالي بلاد التُّرْك والخَزَر وجبال سِيَاهُ كُوه ، وعلى جانبه الغربي بلاد إِيلاَق وجبال الفتيق ، وأبتدأه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف بباب الأبواب من بلاد أَرَّان ، حيث الطول ست وستون درجة والعرض نحو إحدى وأربعين درجة على الغرب من دَرَبَنْد شَرَوَانَ ، ثم يمتد جنوبا من باب الحديد أحدا ونمسين فرسخا ، وهناك مصب نهر الكُرْفِه ، ثم يمتد مشرقا بالحرف إلى الجنوب ستة عشر فرسخا ، فيمُر على أراضي مَوْقَان ١٥ من عمل أَرْدَبِيل من أَذَرْبَيْجَان ، ثم يمتد جنوبا ومشرقا حتى تبلغ غايته في الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (أَمَل) قصبة طَبَرِسْتَانَ ، ثم ينمطف ويمتد شرقا حتى يجاوز بلاد الجليل إلى مدينة آهَسْكُون ، وهي قُرُصَةُ جُرجانَ ، ثم يمتد إلى نهايته في الشرق حيث الطول ثمانون درجة والعرض نحو أربعين عند مدينة جُرجانَ ، وهي في الشرق منه قريبة من ساحله ، ثم ينمطف ويمتد شمالا وغربا ٢٥ حتى يبلغ نهايته في الشمال حيث العرض نحو خمسين درجة ، والطول تسع وسبعون

درجة ، وفي شمالية وغربية يصبّ ممر إيل^(١) الذي عليه مدينة السراى قاعدة مملكة
أربك الآتى ذكرها في مكتبة قانهم إن شاء الله تعالى .
قال في "تقويم البلدان" : وليس في هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الثانية

في كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها، وفيه طرفان
الطرف الأول

في كيفية استخراج جهات البلدان

إذا كنت في بلد أردت أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذي أنت فيه ، فالذي أطلقه
كثير من المصنفين أنك تعرف طول البلد الذي أنت فيه وعرضه ، وطول البلد الآخر
وعرضه ، وتقابل بين الطولين وبين العرضين ، فإن كان ذلك البلد أعرض من بلدك
مع مساواته له في الطول ، فهو عنك في جهة الجنوب . وإن كان أطول من بلدك
مع مساواته له في العرض ، فهو عنك في جهة الشرق . وإن كان أقبل طولاً مع
مساواته في العرض ، فهو عنك في جهة الغرب . وإن كان أطول وأعرض من
بلدك ، فهو عنك بين الشرق والشمال . وإن كان أقبل طولاً وعرضاً ، فهو عنك
بين المغرب والجنوب . وإن كان أقبل طولاً وأكثر عرضاً ، فهو عنك بين الجنوب
والشمال . وإن كان أكثر طولاً وأقل عرضاً ، فهو عنك بين الشرق والجنوب .
والذي ذكره المحققون من علماء الهيئة أن البلد إذا كان أطول من بلدك مع
مساواته له في العرض ، يكون عنك في جهة الشرق بميلة إلى الشمال . وإذا كان أقبل

(١) إيل (عل وزن إيل) : نهر يبلاد الروس بأسم قرية هناك .

- طولا مع مساواته له في العرض ، يكون في جهة الغرب بميلة إلى الشمال أيضا .
 وإذا كان أقل طولا وعرضاً ، يكون بين المغرب والجنوب على ما تقدم ، إلا أن يقل
 الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
 على وسط المغرب . وإذا كان أقل طولا وأكثر عرضاً ، فإنه يكون بين المشرق
 والمغرب على ما تقدم ، إلا أن يقل الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
 على وسط المشرق .

الطرف الثاني

في معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان

- قد تقدم أن الأطوال والروض في الأمكنة والبلدان تعتبر بالدرج والدقائق
 وأن الدرجة مقسومة بستين دقيقة ، ثم الذي حققه القدماء كبطليموس صاحب
 المجسطي وغيره تقدير الدرجة بستة وستين ميلاً وثلاثي ميل ، وبه أخذ أكثر المتأخرين
 وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرصد المأمون مما يخالف ذلك بنقص عشر درج
 مما لا تمويل عليه .

- وقد نقل علاء الدين بن الشاطر من المتأخرين في "زيج" عن القدماء أنهم قدروا
 الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخاً ، وبستين ميلاً ، وبمائتي ألف وأربعين ألف ذراع ،
 وبخمس مئة برز ، وبمسير يومين .

- وقدر الشافعي رضي الله عنه ذلك بمسير يومين بالأيام المعتدلة دون ليلتهما ،
 وقدر السير بالسير المعتدل ، وتقدير الدرجة كما بين الفسطاط وديمياط ، فإن عرض
 ديمياط يزيد على عرض الفسطاط بدرجة وكمر يسير على ما سيأتي ذكره .
 فإذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذي أنت فيه وبين بلد آخر على الخط المستقيم ،
 فلك حائلان :

الحالة الأولى — أن يكون ذلك البلد على سمت بلدك الذي أنت فيه في الطول أو العرض، فأنظر كم درجة بينهما بالزيادة والنقص فأضربه في ست وستين، وهو ما لكل درجة من الأميال، فما خرج من الضرب فهو بُعد ما بينهما من الأميال على الخط المستقيم، فأعتبره بما شئت من المراحل والفراخ والبُرْد على ما تقدم بيانه .

الحالة الثانية — ألا يكون ذلك البلد على سمت بلدك الذي أنت فيه . فطريقك أن تقابل بين عرض بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتنتظر كم فضل ما بين الطولين وبين العرضين، وهو ما يزيد أحد الطولين أو أحد العرضين على الآخر فتضرب كلا من فضل الطولين وفضل العرضين في مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان غد جذره، وهو القدر الذي إذا ضربته في مثله حصل منه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقدار ما بين بلدك والبلد الآخر من الدرج، فأضربه في ست وستين وتلّين على ما تقدم، فما بلغ فهو أميال . فأعتبره بما شئت من المراحل والفراخ والبُرْد على ما تقدم .

مثال ذلك — أن القُسْطَاطَ طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون درجة ودمشق طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف درجة، ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث درج ونصف درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين، وهو خمس درج في مثله يبلغ خمسا وعشرين، وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف في مثله يبلغ آخى عشر وربما، فتجمع ما حصل من الضربين، وهو خمس وعشرون وأثنا عشر وربيع ويكون سبعا وثلاثين وربما فخذ جذرها يكن سبعا ونصف سُدّين تقريبا، وهو ما بين القُسْطَاطَ ودمشق من الدرج، فأضربه في ست وستين وتلّين، وهي ما للدرجة الواحدة من الأميال يكن أربعائة وخمسة لميال وثلاث سديس ميل، فإذا أعتبرت كل أربعة

وعشرين ميلاً بمرحلة على ما تقدم ، كانت سبع عشرة مرحلة تقريباً ، وهو القدر الذى بين القُسطَاطِ وِدِمَشْقَ على الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلى البُلْدَانِ على التعاريج بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها ، فإنها تقتضى الزيادة على ذلك .

- وقد ذكر أبو الرِّيحان البيرونى فى كتابه "القانون" : أن زيادة التعرج على الاستواء يكون بقدر الخمس تقريباً . فإذا كان بين البلدين أربعون ميلاً على الخط المستقيم كانت بحسب سِرِّ السائر خمسين ميلاً .

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريج على بعض فى الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم على ما هو مشاهد فى الأسفار .

- ١٠ اللهم إلا أن يريد الغالب كما تقدم بين القُسطَاطِ وِدِمَشْقَ ، فقد مر أن بينهما على الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب ، فإذا أضيف إليها مثل خمسها ، وهو ثلاثة وخمسان ، كانت عشرين مرحلة ، وهو القدر المعتاد فى سيرها بالسير المعتدل .

وأعلم أن أطوال البُلْدَانِ وعُرُوضُها قد وقع فى الكتب المصنفة فيها ككتاب "الأطوال" المنسوب للفرّيس . و"رسم المعمور" المترجم لأمون من اللغة اليونانية .

- ١٥ "والزيجات" وغير ذلك آخلاف كثير وتباين فاحش . ومن صرح بذلك أبو الرِّيحان البيرونى فى كتابه "القانون" فقال عند ذكرها : ولم يهتأ لى تصحيح جميعها ، وقد صححت ما أمكن منها .

قال فى "تقويم البُلْدَانِ" : إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

الباب الثاني

من المقالة الثانية

في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء، ومقوماتهم في القديم والحديث، وما أنطوت
عليه الخلافة من المناك في القديم، وما كانت عليه من الترتيب،
وما هي عليه الآن، وفيه فصلان

الفصل الأول

في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء : من خلفاء بني أمية بالشام ، وخلفاء
بني العباس بالعراق ، وخلفاء الفاطميين بمصر ، وخلفاء بني أمية بالأندلس

أما الخلافة ، فسيأتي في المقالة الخامسة في الكلام على الولايات أن المراد بها
خلافة النبي صلى الله عليه وسلم بعده في أمته . ولذلك كان يقال لأبي بكر الصديق
رضي الله عنه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الراجح أنه لا يجوز أن يقال
في الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتي ذكره هناك ، إن شاء الله تعالى .
وأما من وليها من الخلفاء ، فعل أربع طبقات :

الطبقة الأولى

الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ١٥

وأولهم : " أبو بكر الصديق رضي الله عنه " بوجع بالخلافة في اليوم
الذي مات فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على البيعات
من المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقي حتى توفى لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة
ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم ، في حجرة عائشة رضي الله عنها . ٢٠

• وبويع بعده "عمر بن الخطاب رضى الله عنه" في اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عهد له بالخلافة، وتوفي يوم السبت سلخ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبي ثؤلثة : غلام المغيرة بن شعبه ، ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه .

- وفي أيامه فتحت الأمصار : ففتحت دمشق على يد خالد بن الوليد وأبي عبيدة ابن الجراح، وتبعها في الفتح سائر بلاد الشام ففتحت يسان، وطبرية، وقيسارية، وقيسطين، وعسقلان، وبلبك، وحمص، وحلب، وقيسرين، وأنطاكية، وسار إلى بيت المقدس في خلال ذلك، ففتحته صلحا .
- وفتح من بلاد الجزيرة الفراتية : الرقة، وحران، والموصل، ونصيبين، وأمد، والرها .

- وفتح من العراق : القادسية، والمدائن، على يد سعد بن أبي وقاص، وزال ملك الفرس، وأنهزم ملكهم زدرجود إلى فرغانة من بلاد الترك .
- وفتحت أيضا كور دجلة، والأبله، على يد عتبة بن غزوان .
- وفتحت كور الأهواز على يد أبي موسى الأشعري .
- وفتحت نهاوند، وإصطخر، وأصبهان، وتستر، والسوس، وأذربيجان، وبعض أعمال خرسان .

• وفتحت مصر، والإسكندرية، وأنطاكس، وهى برقة، وطرابلس الغرب، على يد عمرو بن العاص .

- وبويع بالخلافة بعده "عثمان بن عفان رضى الله عنه" ثلاث بقين من المحرم سنة أربع وعشرين، وقتل بالمدينة لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل يوم الأضحى، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده "عليّ كرم الله وجهه" يوم قتل عثمان ، وقُتل لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق ، ودفن بالتَّجَف على الصحيح المشهور .

وبويع بالخلافة لأبيه "الحسن" بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه ، وسلم الأمر لمعاوية بنسب أربعين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقيل في ربيع الآخر ، وقيل في جمادى الأولى ، ولحق بالمدينة فأقام بها إلى أن توفى بها في ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وقيل ست وخمسين .

الطبقة الثانية

خلفاء بني أمية

١٠ أولهم : "مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ" كان أميرا على الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واستقر بها إلى أن سلم الحسن إليه الأمر ، فأستقل بالخلافة وبني حتى توفي بدمشق مستهل رجب الفرد سنة ستين من الهجرة ، وقيل في النصف من رجب ، وهو أول من رتب أمور الملك في الإسلام .

١٥ وقام بالأمر بعده ابنه "يَزِيدُ" بالعهد من أبيه ، وبويع له بعد وفاته في رجب سنة ستين ، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين .

وقام بالأمر بعده ابنه "مُعَاوِيَةُ" وبويع له بالخلافة في النصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ، فأقام بالخلافة أربعين يوما ، وقيل ثلاثة أشهر ، وقيل عشرين يوما .

٢٠ وقام بالأمر بعده "مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ" وبويع له بالخلافة بالحجابة في رجب سنة أربع وستين ، ثم جددت له البيعة في ذي القعدة من السنة المذكورة ، وتوفى بالطاعون بدمشق في شهر رمضان سنة خمس وستين .

وقام بالأمر بعده أبنة "عبد الملك" بالعهد من أبيه؛ وبويج له بالخلافة في الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفي بدمشق منتصف شوال سنة ست وثمانين.

وقام بالأمر بعده أبنة "الوليد" بالعهد من أبيه؛ وبويج له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفي بدمشق في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين.

- ٥ وقام بالأمر بعده أخوه "سليمان بن عبد الملك" وبويج له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفي بدأبى لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين.

وقام بالأمر بعده ابن عمه "عمر بن عبد العزيز" بعهد له؛ وبويج له بالخلافة يوم موته، وتوفي بخصاصرة لخمس وقيل لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة.

- ١٠ وقام بالأمر بعده "يزيد بن عبد الملك بن مروان" بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل: بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لابن عمه عمر، وبويج له يوم موت عمر، وتوفي بجولان لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة.

وقام بالأمر بعده أخوه "هشام بن عبد الملك" بعهد من أخيه يزيد؛ وبويج

- ١٥ له بالخلافة في يوم موته، وتوفي بالرصافة ليست خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة.

وقام بالأمر بعده "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" وبويج له بالخلافة

فلاث خلون من ربيع الآخرة سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين^(١).

(١) أى فكانت خلافته سنة واحدة وعشرين.

وقام بالأمر بعده ابنه "يزيد" المعروف بالناقص؛ سمي بذلك لتقصه الجند ما كان زادهم يزيد؛ بويع له بالخلافة يوم قتل الوليد، وتوفي يومئذ شقيق لشريطين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده أخوه "إبراهيم بن الوليد" بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه في ذى الحجة المذكور، فحك أربعة أشهر، وقيل أربعين يوماً ثم خلع نفسه .

وقام بالأمر بعده "مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي" بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمر إليه؛ وفي أيامه ظهرت دعوة بني العباس، وقصدته جيوشهم فهرب إلى مصر، فأدرك وقتل بقرية يقال لها بؤصير من الفيوم، وبزواله زالت دولة بني أمية .

الطبعة الثالثة

خلفاء بني العباس بالعراق

وأول من قام بالأمر منهم بعد خلفاء بني أمية "السفاح" وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس : عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ بويع له بالخلافة بالكوفة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي بالأنبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "المنصور" أبو جعفر عبد الله؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه السفاح، وتوفي بطريق مكة وهو محرم بالجسنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن بالمجوف .
وقام بالأمر بعده ابنه "المهدي" أبو عبد الله محمد؛ بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد، وتوفي بماسيدان في المحرم سنة تسع وستين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الحادي" أبو محمد موسى؛ بويع له بعد أبيه يوم موته وهو غائب^(١)، فسار إلى بغداد ودخلها بعد عشرين يوماً، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

(١) كان مقبلاً بمرحان بحارب أهل طبرستان بسكر أبيه

وقام بالأمر بعده "الرشيذ" أبو محمد هرون بن المهدي ؛ بويج له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادي ، وتوفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الأمين" أبو عبدالله محمد ، ويقال أبو موسى ، ويقال أبو العباس ، بالعهد من أبيه هرون الرشيد ؛ وبويج له صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه الرشيد ، وقتل نخس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه "المأمون" أبو العباس ، ويقال أبو جعفر عبدالله ، بالعهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين ؛ وبويج له بالخلافة يوم قتل أخيه الإييين بهفداد وهو غائب ؛ وبويج له البيعة العامة لنخس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتوفي بأرض الروم ليلة بقيت من رجب ، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمان عشرة ومائتين ، ودفن بقرسوس .

وقام بالأمر بعده أخوه "المعتصم بالله" أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد ؛ وبويج له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بقرسوس ، فسار إلى بغداد ، فدخلها مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، وتوفي بسامرا لثمان عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه "الواثق بالله" أبو جعفر هرون ؛ وبويج له بالخلافة يوم موت أبيه ، وتوفي بسر من رأى ليست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه "المستكبر على الله" أبو الفضل جعفر ؛ وبويج له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق ، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أبوه "المستنصر بالله" أبو جعفر محمد ، بويج له بالخلافة صبيحة قتل أبيه المتوكل ، وتوفي بسلاماً ثلاث خلون من ربيع الآخر ، وقيل نفس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المستعين بالله" أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدم ذكره ، بويج له بالخلافة في اليوم الثاني من موت المستنصر ، وخلع نفسه لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وجعل إلى واسط ، فقتل بها في آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده "المعتز بالله" أبو عبدالله محمد ، وقيل أبو الزبير بن المتوكل على الله المتقدم ذكره ، بويج له ببغداد حين خلع المستعين نفسه ، وبايعه المستعين فimen بايع ، وخلع ثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، ثم قتل بعد ذلك .

وقام بالأمر بعده "المهتدي بالله" أبو عبد الله ، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدم ذكره ، بويج له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتز بالله ، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان يقال هو في بني العباس مثل صهر بن عبد العزيز في بني أمية .

وقام بالأمر بعده "المعتمد على الله" أبو العباس ، ويقال أبو جعفر أحمد ابن جعفر المتوكل المتقدم ذكره ، بويج له بالخلافة يوم قتل المهتدي بالله ، وتوفي لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة سبع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المعتضد بالله" أبو العباس أحمد بن الموفق ، طلحة بن جعفر المتوكل ، بويج له بالخلافة يوم قتل المعتمد على الله ، وتوفي ببغداد لسبع وقيل ثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه "المكتنى بالله" أبو محمد على؛ بويح له بالخلافة يوم موت أبيه المتضد وهو غائب بالرقّة، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة على من عنده وسار إلى بغداد، فدخلها ثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثنتي عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين.

- وقام بالأمر بعده أخوه "المقتدر بالله" أبو الفضل جعفر بن المتضد بالله المتقدم ذكره، وخُليع لعشرَين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين .

- وبويح "المرتضى بالله" أبو محمد عبدالله بن المعتز، فأقام يوما وليلة ثم اضطرب عليه الأمر فأخفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفر بأبن المعتز فصادره، ثم أُخرج من دار السلطان ميّتا للبلتين خلتا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خَلَعَ المقتدرُ بالله نفسه؛ وبويح بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المتضد فأقام بومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر بالله وبقي حتى قُتِل لثلاث خلون من شوال سنة عشرين وثلاثمائة .

- وقام بالأمر بعده أخوه "القاهر بالله" المتقدم ذكره، لليتين بقينا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، ثم خلع وُجِلَت عيناه لِسِتَّ خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وعشرين وثلاثمائة .

- وقام بالأمر بعده ابن أخيه "الراضى بالله" أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدم ذكره، وتوفى لست عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .
- وقام بالأمر بعده أخوه "المتقى بالله" أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدم ذكره؛ بويح له بالخلافة لعشرَين من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .
- وخُليع وُجِلَت عيناه لعشرَين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن عمه "المستكفي بالله" أبو القاسم عبد الله بن المكفي بالله المتقدم ذكره ؛ بويج له بالخلافة يوم خلع المتنى بالله بمشاركته له ، ثم خلع وسميت عيناه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن عمه "المطيع لله" أبو القاسم ، ويقال أبو العباس الفضل ابن المقنن بالله المتقدم ذكره ، بويج له بالخلافة يوم خلع المستكفي ، وخلع نفسه منها للعجز بالمرض في الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

وولى الخلافة بعده ابنه "الطائع لله" أبو بكر عبد الكريم ؛ بويج له بالخلافة يوم خلع أبيه المطيع لله ، وقبض عليه لأتت عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة فخلع نفسه .

وقام بالأمر بعده "القادر بالله" أبو العباس أحمد بن إسحاق ؛ بويج له بالخلافة يوم خلع الطائع ، وكان غائباً بالبطائح فأحضر ، وجددت له البيعة ببغداد في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وتوفي حادى عشر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "القائم بأمر الله" أبو جعفر عبد الله ، بالعهد من أبيه ، وجددت له البيعة بعد موت أبيه ، توفي ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المقتدى بأمر الله" عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدم ذكره ، وتوفي بخافة في الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستظهر بالله" أبو العباس أحمد ؛ بويج له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وتوفي سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة .

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٥٧) والنجوم الزاهرة (ج ٣ ص ٢٧٣) أيضاً . وفي حياة الحيوان (ج ١ ص ١١٥) : «أبو العباس» .

(٢) ليست «له الكلمة في العقد ولا في حياة الحيوان وهي قلبة الجردى كما ترى .

وقام بالأمر بعده أبنه "المسترشد بالله" أبو منصور الفضل ؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر، وقتل في قتال الباطنية سابع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

- وقام بالأمر بعده أبنه "الراشد بالله" أبو جعفر المنصور، بالمهد من أبيه ؛
- وبجئدت له البيعة يوم قتله ، وخلع في منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .
- وقام بالأمر بعده "المقتنى لأمر الله" أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقدم ذكره ؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الراشد بالله ، وتوفى ثانی ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

- وقام بالأمر بعده أبنه "المستنجد بالله" أبو المظفر يوسف ؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتنى ، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة .
- ١٠ • وقام بالأمر بعده أبنه "المستضيء بالله" أبو محمد الحسن ؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المستنجد من أقاربه بيعة خاصة ، وفي عشرة بيعة عامة ، وتوفى ثانی ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

- وقام بالأمر بعده أبنه "الناصر لدين الله" أبو العباس أحمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستضيء ، وتوفى أول شوال سنة أئتين وعشرين وستمائة .
- ١٥ • وقام بالأمر بعده أبنه "الظاهر بأمر الله" أبو نصر محمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الناصر ، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

- وقام بالأمر بعده أبنه "المستنصر بالله" أبو جعفر المنصور ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر ، وتوفى لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة .
- ٢٠ • وقام بالأمر بعده أبنه "المستعصم بالله" أبو أحمد عبد الله ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستنصر بالله ، وقتله هولاكو ملك التتار في العشرين من المحرم

" (١) أى مآثر ربيع الآخر التالى لليمة الخاصة الواضحة في التاسع

سنة ست وخمسين وستمائة . وبقتله أنقضت الخلافة العباسية من بغداد ، وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس ببغداد إذا عدت خلافة آبن المعتز ، وحسبت خلافة القاهرة أولاً وثانيها خلافة واحدة .

الطبعة الرابعة

خلفاء بني العباس بالديار المصرية من بقايا بني العباس

- وأول من قام بأمر الخلافة بها "المستنصر بالله" أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله
أبي نصر محمد المتقدم ذكره . وذلك أنه لما قتل التتر المستعصم المتقدم ذكره ،
وبقيت الخلافة شاغرة نحو من ثلاث سنين ونصف ثم قديم جماعة من عرب
البحار إلى مصر في رجب سنة تسع وخمسين وستمائة أيام الظاهر بيبرس ، ومعهم
المستنصر المذكور ، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر ،
فعمد الملك الظاهر له مجلساً حضره جماعة من العلماء ، منهم الشيخ عز الدين بن
عبد السلام شيخ الشافعية ، وقاضى القضاة تاج الدين آبن بنت الأعز الشافعى ، وهو
يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده ، وشهد أولئك العرب بنسبه ، ثم شهد جماعة من
الشمود على شهادتهم بحكم الاستفاضة ، وأثبت آبن بنت الأعز نسبه ، ثم بايعه الملك
الظاهر بالخلافة وأهل الخلل والعقد ، وآتم الملك الظاهر بأمره ، واستخدم له عسكرياً
عظيماً ، وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو محبته بخمسة من هناك بعسكره إلى بغداد
طعماً أن يستولى عليها ويترعها من التتار ، فخرج إليه التتار قبل أن يصل بغداد
فقتلوه ، وقتلوا غالب عسكره فى العشر الأول من المحرم سنة ستين وستمائة . فكانت
خلافته دون السنة ، وهو أول خليفة لقب بلقب خليفته قبله ، وكانوا قبل ذلك
يلقبون بالقاب مرتجلة .

- وقام بالأمر بعده "الحاكم بأمر الله" أبو العباس أحمد بن حسين بن أبي بكر
 ابن الأمير أبي علي القتيبي ابن الأمير حسن بن الراشد بالله أبي جعفر المنصور المتقدم
 ذكره في الخلفاء ببغداد . قديم مصر سنة تسع وخمسين وسثمائة ، وهو ابن خمس عشرة
 سنة في سلطنة الظاهر بيبرس ، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد ،
 وجلس له مجلسا عاما أثبت فيه نسبه ، وبايعه بالخلافة في سنة ست وستين وسثمائة ،
 وأشركه معه في الدعاء في الخطبة على المنابر ، إلا أنه منعه التصرف والدخول
 والخروج . ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف خليل بن المنصور
 قلاوون ، فأسكنه بالكش بخط الجامع الطولوني ، فكان يخطب أيام الجمعة في جامع
 القلعة ويصلي ، ولم يطلق تصرفه إلى أن تسلطن المنصور لاجين ، فأباح له التصرف
 حيث شاء وأركبه معه في الميادين ، وتوفي في شهر سنة إحدى وسبعمائة .
- ١٠ . وقام بالأمر بعده أبنته "المستكني بالله" أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه
 الحاكم ، وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه ، وأستقر على ما كان عليه أبوه من الركوب
 والتزول وركوب الميادين مع السلطان إلى أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن
 قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير في شهر
 سنة تسع وسبعمائة ، فحصل عند السلطان منه وحشة ، فجهزه إلى قوص ليقيم بها ،
 وبقي بقوص حتى توفي في سنة أربعين وسبعمائة .
- ١٥ . وولى الخلافة بعده أبنته "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بعهد من أبيه
 المستكني بأربعين شاهدا بمدينة قوص ، ودعى له على المنابر في العشر الأخير من
 شوال سنة أربعين وسبعمائة .
- ٢٠ . ثم خلعه الناصر محمد بن قلاوون ، وبايع بالخلافة "الواثق بالله" أبا إسماعيل إبراهيم
 ابن الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره ، وأمر بأن يدعى له على المنابر ، وتحمل له راية

الخلافة ، بغرى الأمر على ذلك . وكان قد هم بمبايعته بعد موت المستكنى فلم يتم له . فلما توفى الملك الناصر فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، أعيد المستعصم بالله أحد المتقدم ذكره إلى الخلافة بعد خلع الواثق إبراهيم ، وبقى حتى توفى رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

ثم ولى الخلافة بعده أخوه "المعتضد بالله" أبو الفتح أبو بكر بن المستكنى بالله أبى الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتوفى عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده أبنته "المتوكل على الله" أبو عبدالله محمد بن المعتضد بالله المتقدم ذكره بالمهد من أبية المعتضد ، وأستقر له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس ثمانى عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وبقى حتى خلعه الأمير أيبك أتابك العساكر فى سلطنة الملك المنصور على بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه "المستعصم بالله" أبو يحيى زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدم ذكره ، فأقام فى الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل على الله محمد بن أبى بكر إلى الخلافة ثانيا فى أواخر المحرم أو أوائل صفر سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وأستمر حتى قبض عليه الظاهر برقوق وأعتقله بقلعة الجبل فى مستهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وولى الخلافة مكانه "الواثق بالله" أبو حفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدم ذكره ، فبقى حتى توفى فى العشر الأول من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدم ذكره ثانيا إلى الخلافة ، والمتوكل على الله فى الاعتقال والناس لا يرون فى كل ذلك الخليفة غيره .

ثم عَنَ لَلك الظاهر برفوق بعد ذلك فاطلق المتوكل على الله من الاعتقال ،
وأكرمه وأحسن إليه في ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وبقى
في الخلافة حتى توفي سابع عشر شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة .

وبولى الخلافة بعده آبنه "أبو الفضل العباس ولُقِّبَ المستعين بالله"

- وبقى في الخلافة على سَنَنٍ من تقدمه من الخلفاء العباسيين بالديار المصرية من قصود
أمره على العهد إلى السلطان والدعاء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على
الناصر فرج بن برفوق بالشام في الثاني عشر من ربيع الأول من سنة خمس عشرة
وثمانمائة ، فأستقل بالأمر واستبد به ، وأجمع له أمر الخلافة : من ضرب اسمه على
السُّكَّةِ في الدنانير والدراهم والدعاء له على المنابر بمفرده ، والعلامة على الثقاليد والتواقيع
والمكتابات وغيرها ، وفوض أمر تدبير دولته للأُمير "شيخ" وكتب له تفويض
في ورق ، عرضُه ذراعٌ ونصف بذراع البر ، يزيد عما كان يكتب فيه للسلطين
نصف ذراع بقلم مختصر الطومار .

وكان المتولى لأمر كتابته المقر الشمسي محمد العمري حين أعيان تُكتب التست
الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية ، ونائب كاتب المر . وسيأتى ذلك في الكلام
على التواقيع في المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وأما مقررات الخلفاء ، فهي أربع مقررات :

المقررة الأولى

المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام

- كانت مقررة الخلفاء الراشدين إلى حين أقراضهم ؛ وذلك أن مبدأ النبوة كان
بمكة ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأقام بها حتى توفى في الثالث عشر^(١)
من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة .

(١) المشهور أن وفاة يوم الاثنين الثاني عشر الخ ولكن في القند الفريد (ج ٢ ص ٢٤٨ طبع بولاق)

ثلاث عشرة خلت من ربيع الأول "ولم المؤلف أحمد ."

ثم كان بعده في الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم الحسن إلى حين سلم الأمر لمعاوية، وإنما كان مقام علي والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية.

المقرة الثانية

الشام

وهي دار خلفاء بني أمية إلى حين أنقراضهم

قد تقدم أن معاوية كان أميراً على الشام قبل الخلافة، ثم استقل بالأمر حين سلم إليه الحسن، وبقى في الشام هو ومن بعده إلى حين أنقراض خلافتهم، فقتل مروان ابن محمد على ما تقدم ذكره. وكانت دار إقامتهم دمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة.

المقرة الثالثة

العراق

وهي دار خلفاء بني العباس

وكان أول مبايعة السَّجَّاج به بالكوفة على ما تقدم، ثم بنى بعد ذلك بالأنبار مدينةً وسماها الهاشمية وزلها. فلما ولي أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة بعده بنى بغداد وسكنها وصارت منزلاً لخلفاء بني العباس بعده إلى حين أنقراض الخلافة منها بقتل النثر المستعصم آخر خلفائهم بها.

المقرة الرابعة

الديار المصرية

وهي دار الخلافة الآن

وقد تقدم سبب انتقال الخلافة إليها بعد أنقراضها من بغداد في الكلام على من ولي الخلافة من الخلفاء، فأغنى عن إعادته هنا.

وقد تقدم أن الحاكم بأمر الله ثانی خلفاتهم بمصر أسكنه الأشرف خليل بن قلاوون بالكبش بمسط الجامع الطولوني . أما الآن فاستقرت دار الخلافة بمحط المشهد النفيسى بين مصر والقاهرة ، ولا أحل الله هذه المملكة من آثار النبوة .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثانية

فما أنطوت عليه الخلافة من الممالك فى القدم ، وما كانت عليه

من الترتيب ، وما هى عليه الآن

أما ما أنطوت عليه من الممالك ، فأعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نتج مكة وما حول المدينة من القرى تقيير ونحوها .

١٠ وفتح خالد بصرى من الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وهى أول فتح ففتح بالشام ، ثم كانت الفتح الكثيرة فى خلافة عمر رضى الله عنه ، ففتح بلاد الشام ، وكور دجلة والأبله ، وكور الأهواز ، وإصطخر ، وأصبهان ، والسوس ، وأذربيجان ، والرى ، وجرجان ، وقزوین ، وزنجان ، وبعض أعمال خراسان ، وكذلك فتحت مصر ، وبرقة ، وطرابلس الغرب .

١٥٠ ثم فتح فى خلافة عثمان رضى الله عنه : كرمان ، ومجستان ، ونيسا بور ، وفارس ، وطبرستان ، وهرأة ، وبقية أعمال خراسان . وفتحت أرمينية ، وحران ، وكذلك فتحت إفريقية ، والأندلس ، وسد الإسلام ما بين المشرق والمغرب ، وكانت الأموال تُجنى من هذه الأقطار النائية والأمصار الشاسعة ، فتحمل إلى الخليفة ، وتوضع فى بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المال . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أثناء خلافة بنى العباس ، ما عدا الأندلس فإن بقايا خلفاء بنى أمية استولوا

عليه حتى يقال : إن الرشيد كان يستلج على ظهوره ويظهر إلى السحابة مازة يقول :
 ”أذهبي إلى حيث شئت يأتيني نَجْرَاجِك“ ثم اضطرب أمر الخلافة بعد ذلك
 وتفاصر شأنها وأستبد أكثر أهل الأعمال بعمله من خلافة الراضى على ما سبأني
 ذكره في الكلام على ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما ترتيب الخلافة ، فله حالتان :

الحالة الأولى

ما كان عليه الحال في الزمن القديم

١٠ إعلم أن الخلافة لأبتداء الأمر كانت جارية على ما أُلّف من سيرة النبي صلى الله
 عليه وسلم : من خشونة العيش ، والقرب من الناس ، وأطراح الخيل ، وأحوال
 الملوك ، مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم ، وجب إليهم من الأموال
 التي لم يُغز عظماء الملوك بجزء من أجزائها . وتأهلك أنهم فتحوا عدّة من الممالك العظيمة
 التي كانت يضرب بها المثل في عظم قدرها ، وأرتفاع شأن ملوكها ، من ممالك المشرق
 والمغرب . حتى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال : ”إنما الملك الذي يأكل
 الشعير ويضع على رجله بالليل ماشيا وقد فصحت له مشارق الأرض ومغاربها“
 ١٥ يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن سلم الحسن
 رضي الله عنه الأمر لمعاوية ؛ وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم :
 ”الخلافة في أمي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك“ فكان آخر الثلاثين خلافة الحسن .

فلما سلم الحسن رضي الله عنه لمعاوية بعد وقوع الاختلاف وتباين الآراء ، اقتضى
 الحال في زمانه إقامة شعار الملك ، وإظهار أبهة الخلافة ، فأخذ في ترتيب أمور الخلافة
 ٢٠ على نظام الملك لما في ذلك من إرهاب العدو وإخافته . بل كان ذلك شأنه وهو

- أمير بالشام قبل أن يلى الخلافة. حتى حكى صاحب "العقد" وغيره أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قَدِمَ الشام فى خلافته، وهو راكب على حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية أمير على الشام، فخرج معاوية لملاقاته فى موكب عظيم، فلقيه فى طريقه فى خُفٍّ من القوم فلم يشعر به وتمذاه طالبا له؛ ثم صُرف ذلك فبأ بعد، فرجع وسلم على أمير المؤمنين عمر، ومضى الى جانبه، فلم يلتفت إليه وطال به ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتنبئت الرجل يا أمير المؤمنين، فألتفت إليه حينئذ، وقال: أنت صاحب الموكب الآن مع ما ييلنى من وقوف ذوى الحاجات بياك؟ - فقال: يا أمير المؤمنين: إنا بأرض يكثر فيها جواسيس العدو فأحتاج أن أظهر لهم من أهبة الملك والسلطان ما يرهبهم، فإن أمرنى به، أتخرت، وإن نهيته عنه، انتهيت - فقال: إن كان ما قلت حقا، فإنه رأى أدب! وإن كان غير حق، فإنه لخُدعة أريب. لا أمرك ولا أنهالك - فقال عبد الرحمن: لحسن يا أمير المؤمنين! ما صدّر به هذا الفقى عما أوردته فيه - فقال: لحسن مصاديره وموارده جشمناه ما جشمناه.

- فلما صارت الخلافة إليه، زاد فى حسن الترتيب وإظهار الأهبة، وأخذ الخلفاء بعده فى مضاعفة ذلك والاحتفال به حتى أمتت الخلافة فى أغني ما يكون من ترتيب الملك، ووافقت فى ذلك الأكاسير والقباصرة. بل أضمحل فى جانب الخلافة سائر الممالك العظام، وأطوى فى ضمنها ممالك المشرق والمغرب، خصوصا فى أوائل الدولة العباسية فى زمن الرشيد ومن ولاة.
- حتى يحكى أن صاحب عمورية من ملوك الروم كانت عنده شريفة مأسورة فى خلافة المعتصم فعذبها، فصاحت وأعتصمها! فقال لها: لا باقى المعتصم لخلاصك إلا على ألق. فبلغ ذلك المعتصم، فنادى فى عسكريه يركوب الخيل البلق،

ونخرج وفي مقدمة عسكره أربعة آلاف أبلق، وأتى عمورية فحاصرها وخلص الشريفة، وقال: أشهدى لى عند جئتكَ المصطفى صلى الله عليه وسلم أنى جئت لخلاصك، وفي مقدمة عسكرى أربعة آلاف أبلق.

وقد حكى ابن الأثير فى تاريخه: أنه لما وصلت رُسُل ملك الروم إلى بغداد فى سنة خمس وثلاثمائة فى خلافة المقتدر، رُتِبَ من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفاً ما بين راكب وراجل، ووقف بين يدى الخليفة سبعمائة حاجب، وسبعة آلاف خادم خصى: أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سُود، ووقف الغلمان المحررة الذين هم بمثابة ممالك الطباقي الآن بالباب، بتمام الزينة والمناطق المُحَلَّاة، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة، وغرائب الزينة، وغُشِّيت جُدرانُها بالسُتُور، وفُرِشت أرضها بالسُّبُط، وكان عدَّة البسط أثنين وعشرين ألف بساط، وعدَّة السُتُور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر، منها اثنا عشر ألف ستر من الديباج المُذهَّب، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها، وطيور الذهب والفضة على أغصانها، وأغصانها تمايل بحركات موضوعة، والطيور تُصَفِّرُ بحركات مرتبة، وألقيت المراكب والديابدب فى دجلة بأحسن زينة. وكان هناك مائة سَبْع مع مائة سَبَّاح، الى غير ذلك من الأحوال الملوكية التى يطول شرحها.

هذا مع تفهقر الخلافة وأحطاط رتبها يومئذ. ولم تزل الخلافة قائمة على ترتيب وأحد فى النفقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلى آخر أيام الراضى بالله.

فلما ولى المُتَّقَى لله، تقاصر أمر الخلافة وتناقص، وقنع الخلفاء من الخلافة بالدعاء على المتأخر وضرب أسمهم على الدنانير والدراهم، وربما خطب الواحد منهم بنفسه، ومع ذلك فكان الخليفة هو الذى يولى أرباب الوظائف من القضاء وتوقيعهم، وتكتب عنه اليهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه فى ذلك سلطان.

وأما شعار الخلافة :

فنها " الْحَاكِمُ " : والأصل فيه ما ثبت في الصحيح " أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له : إن الملوك لا يقرءون كتابا غير غنوم فأخذ حَاتِمًا من وِيقٍ ، وجعل نقشه عُد رسول الله " فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبي بكر ، ثم لبسه عثمان بعد عمر ، فوقع منه في بئر فلم يُقَدَّر عليه .
 ٥ . وأخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيم ، لكل حَاتِم نقش يخصه ، وبقي الأمر على ذلك إلى أنقراض الخلافة من بغداد .

ومنها " البردة " وهي بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان الخليفة يلبسها في المواكب .

قال ابن الأثير : وهي شَمْلَةٌ مُحْطَطَةٌ ، وقيل كِسَاءٌ أَسْوَدُ مَرِيعٍ فِيهِ صَبْرٌ ، وقد اختلف في وصولها إلى الخلفاء .

حكى المَسَارِزِيُّ في الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبسها لكتب بن زهير حين امتدحه بقصيدته التي أولها : " بَأْتَتْ سَعَادٌ " فأشترها منه معاوية . والذي ذكره غيره أن كتب لم يسمح ببيعها لمعاوية ، وقال : لم أكن لأؤثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كتب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى المَسَارِزِيُّ أيضا عن حمزة بن ربيعة أن هذه البردة كان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها لأهل أَيْلَةَ أَمَانًا لهم ، فأخذها منهم عبد الله بن خالد بن أبي أوفى وهو عامل عليهم من قَيْسِيلِ مَرْوَانَ بن محمد آخر خلفاء بني أُمَيَّةَ وبعت بها إليه ، وكانت في خزائنه حتى أخذت بعد قتله . وقيل اشتراها أبو العباس السفاح ، أول خلفاء بني العباس بثمائة دينار .

ومنها "القَضِيب" : وهو عُود كان النبي صَلَّى الله عليه وسلم يأخذه بيده .
قال المساوردي : وهو من تَرَكَّة النبي صَلَّى الله عليه وسلم التي هي صدقة .

قلت : وكان القَضِيب والبردة المتقدما الذكر عند خلفاء بني العباس ببغداد إلى
أن أترعهما السلطان سنجر السَلْجُوقِي من المسترشد بالله ، ثم أعادهما إلى المفتي عند
ولايته في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . والذي يظهر أنها بقيت عندهم إلى أنقضاء
الخِلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستائة فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى
وعشرون سنة ، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما .

ومنها "ثياب الخِلافة" : وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حاة
في تاريخه في الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بني أيوبَ بِأَمْنِيَّ أنه
كان به هَوَجٌ ، فأدعى أنه من بني أمية وليس ثياب الخِلافة ، ثم قال : وكان
طول الكم يومئذ عشرين شِبْرًا ، فيحتمل أنه أراد زمن بني أمية ، وأنه أراد زمن
بني أيوب .

ومنها "اللون" في الأعلام والخِطع ونحوها .

وكان شعار بني أمية من الألوان الخُمْضَرَة ، فقد حكى صاحب حاة عن الملك
السعيد إسماعيل المتقدم ذكره : أنه حين أدعى الخِلافة وأنه من بني أمية لبس
الخُمْضَرَة ؛ وهذا صريح في أنه شعارهم .

أما بنو العباس فشعارهم السَّوَادُ ؛ وقد اختلف في سبب اختيارهم السَّوَادَ ،
فذكر الفاضل المساوردي في كتابه "الحاوي الكبير" في الفقه : أن السبب في ذلك
أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم في يوم حُتَيْنٍ ويوم الفَتْحِ عقد لعنه العباس رضى الله
عنه راية سوداء .

وحكى أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مروان
ابن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسي أول القائمين
من بني العباس بطلب الخلافة قال لشيعة : لا يهولنكم قتل ، فإذا تمكنتم من أمركم
فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعني السفاح ، فلما قتل مروان ، لبس شيعة عليه
السواد ، فزعمهم ذلك وصار شعاراً لهم .

- ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد في "المغرب" أن الظاهر
الفاطمي أحد خلفاء مصر لما قتله وزيره عباس ، بعث نساء الخليفة شعور^(١)عن
على الكتب إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ والي بنية بني خصب ،
فحضر إليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح ، وأقام الرايات السود إظهاراً للحرب
على الظاهر ، ودخل القاهرة على ذلك ، فكان ذلك من القال المجيب ، وهو أن
مصر انتقلت إلى بني العباس بعد خمسة عشرة سنة ، ورفعت راياتهم السود بها .



- وأما تولية الملوك من الخلفاء ، فكان الحال فيه مختلفاً باختيار السلطان بمحضرة
الخليفة وغيره . فإن كان الذي يوليه الخليفة هو السلطان الذي بمحضرة الخلافة ،
كبنو بويه وبني سلجوق وغيرهم ، فقد حكى ابن الأثير وغيره أن السلطان طغرل^(١)بك
ابن ميكائيل السلجوقي لما تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" في سنة تسع وأربعين
وأربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسي ارتفاعه عن الأرض نحو سبعة أذرع ، وعليه
البردة ، ودخل عليه طغرل بك في جماعة ، وأعيان بغداد حاضرون ، فقَبِلَ طغرل^(١)بك
الأرض ويد الخليفة ، ثم جلس على كرسي نُصِبَ له ، ثم قال رئيس الرؤساء وزير
الخليفة عن لسان الخليفة : "إن أمير المؤمنين قد ولّاك جميع ما ولّاه الله تعالى من

(١) وتعرف بنية ابن الخصب ، ومنه أبي نصيب ، نسبة إلى الخصب بن عبد الحميد صاحب نراج
يمرّق عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي . وهي المعروفة اليوم بـ «المنيا» عاصمة الإقليم المعروف باسمها .

بلاده، وردَّ إليك أمرَ عياده، فأَتى الله بما وُلاكَ، وأَعرَف نعمته عليك“ ثم خَلَعَ
 على طُغْرُوكَ سَبْعَ جُبَّاتٍ سودَ بَرِيقٍ واحد، وعمامة سوداء، وطُوقَ بطوق من
 ذهب، وسُورَ بِسِوَارَيْنِ من ذهب وأُعْطِيَ سِيفًا بفلّاف من ذهب، ولقبه الخليفة،
 وقرئَ عهده عليه فقبل الأرضَ ويَدَ الخليفة ثانياً وأنصرف، وقد جَهَّزَ له فرس من
 إصْطَبَلَاتِ الخليفة بِمَرْكَبٍ من ذهبٍ مقدس فركب وأنصرف إلى داره، وبعث
 إلى الخليفة خمسين ألف دينار، وخمسين مملوكاً من الترك بغير سلاحهم مع
 ثياب وغيرها . ولعل هذا كان ترتيبهم في لبس جميع ملوك الحضرة .

وإن كان الذى يوليه الخليفة من ملوك النواحي البعيدة من حضرة الخليفة
 كلوك مصر إذ ذاك ونحوهم ، جهز له التشریف من بغداد صحبة رسول من جهة
 الخليفة، وهو جبةً أطلَس أسود بطراز مُذهَّب وطوق من ذهب يجعل في عنقه ،
 وسِوَارَيْنِ من ذهبٍ يعلنان في يديه ، وسِيفٌ قِرابه ملبس بالذهب، وفرس بمركب
 من ذهب، وعَلَمٌ أسودٌ مكتوب عليه بالياض اسم الخليفة ينشر على رأسه، كما كان
 يبعث إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل . فإذا وصل
 ذلك إلى سلطان تلك الناحية، لبس الخُلعةَ والعمامة ، وتقلد السيف وركب الفرس
 وسار في موكبه حتى يصل إلى محل ملكه . وربما جهز مع خلعة السلطان خُلَعٌ
 أخرى لولده أو وزيره أو أحد من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ .

وآخر من وصلت إليه الخُلعةُ والطوق والتقليد من ملوك بني أيوب من بغداد
 الناصر يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم في سنة خمس
 وخمسين وستمائة .

وأما الوظائف المعبرة عندهم، فعلى ضربين :

الضرب الأول

وظائف أرباب السيف؛ وهى عدة وظائف

منها "الوزارة" فى بعض الأوقات دون بعض .

- وقد ذكر القضاعى وغيره أن أول من لُقّب بالوزارة فى الإسلام ، أبو سلمة .
 حفص بن سليمان الخلال وزير أبى العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس ، ولم يكن
 ذلك قبله ، ثم جرى الأمر على ذلك فى اتخاذ الخلفاء الوزراء إلى أنقراض الخلافة
 ببغداد بقتل التتار المستعصم فى سنة ست وخمسين وسقانة ، ووزيره يومئذ مؤيد
 الدين بن العلقمى ، وقتله هولاكو ملك التتار بعد قتل المستعصم لمالاته على المستعصم
 مع التتار ، وهو آخر وزراء الخلافة ببغداد .

- ومنها "الجباية" : وكان موضوعها عندهم حفظ باب الخليفة والإستئذان
 للداخلين عليه ، لا التصدى للحكم فى المظالم كما هو الآن .

وقد ذكر النضاعى فى " تاريخ الخلائف " ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تُنفذ
 الجُباية من لَدُن الصّديق رضى الله عنه فمن بعده ، خلا الحسن بن على فإنه لم يكن
 له حاجب .

- ومنها "ولاية المظالم" : وموضوعها قودُ المتظالمين إلى التناصف بالرغبة ،
 وزجر المتنازعين عن التجاؤد بالهيبه . كما قاله المسأوردى فى "الأحكام السلطانية"
 وهى شبيهة بالجوبية الآن فى هذا المعنى ؛ وكانت عندهم من أعلى الوظائف وأرفعها
 رتبة لا يتولاها إلا ذوو الأقدار الجليلة ، والأخطار الحفيلة .

- ومنها "النقابة على ذوى الأنساب" : كالطالبيين والعباسيين ومن
 فى معناهم ، كما فى نقابة الأشراف الان بالديار المصرية وأعمالها ؛ وكانت لديهم من

وظائف أرباب السيوف، ولذلك أُنْصِفَ هذا المعنى في نقيب الأشراف الآن، فيكتب في ألقابه الأمير، وإن كان من أرباب الأعلام على ماسياتي ذلك في كتابة توقيعه إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

- وظائف أرباب الأعلام، وهي نومان : دينة ودوانية .
- فأما الديوانية — فأجلها "الوزارة" إذا كان الوزير صاحب قلم . وقد مر القول في أبشاء وزارة الخلفاء وأنتهاها في الكلام على وزارة أرباب السيوف في الضرب الأول .
- وأما الدينة — فمنها "القضاء" وكانت ولاية القضاء عن الخليفة نارة تكون عامة لبغداد وأعمالها، ونارة قاصرة على بغداد أو أحد جانبها .
- ومنها "الحسبة" وأمرها معروف .
- ومنها "ولاية الأوقاف" والنظر عليها .
- ومنها "الولاية على المساجد" والنظر في أمر الصلاة .
- ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافة لأرباب السيوف الإمارة على الجهاد، والإمارة على الحج وغيرها .
- ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأعلام ولاية قضاء النواحي، والحسبة بها إلى غير ذلك من ولايات زعماء الذمة وغيرهم .

الحالة الثانية

- ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية عند استيلاء التتار على بغداد لما بايع الملك الظاهر بيبرس البندقداري في سنة تسع وخمسين وستمائة .

”المستنصر بن الظاهر“ أول الخلفاء بمصر على ما تقدم ذكره وكتب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان الدهايز وآلات الخلافة ورتب له الجمدارية، وأستخدم له عسكريا عظيما وجهزه إلى بغداد للاستيلاء عليها فقتله التتار على ما تقدم .

- ٨ . ثم لما بايع الظاهر أيضا الإمام ”الحاكم بأمر الله“ ثاني خلفائهم أيضا في سنة تسع وخمسين وستائة على ما تقدم ذكره، بقي مدة، ثم أشركه معه في الدعاء في الخطبة على المابر في سنة ست وستين وستائة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج، ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف ”خليل بن المنصور قلاوون“ فأطلق سبيله، وأسكنه في الكيش على القرب من الجامع الطولوني، وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولي السلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء، وبقي الأمر على ذلك إلى أن ولي الخلافة ”المستعصم بالله“ أبو العباس أحمد بن المستنصر بالله أبي الربيع سليمان المزة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوض إليه السلطان نظر المشهد النفيسي وأستقر بأيدي الخلفاء إلى الآن .

- ٩ . والذي أستقر عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوض الأمور العامة إلى السلطان، ويكتب له عنه عهد بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر إلا في مصطل السلطان خاصة في جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة، ويستبد السلطان بما عدا ذلك : من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتى للخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة في جميع ذلك .

- ١٠ . قلت : ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قبض على السلطان الملك الناصر فرج ابن الظاهر برفوق بالشام في أوائل سنة خمس عشرة وثمانائة على ما تقدم ذكره ،

فاستقل الإمام "المستعين بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة: من الكتابة على اليهود ومناشير الإنطاعات ، والتقاليد ، والتوافيع ، والمكاتبات وغيرها ، وأفرد بالداء على المنابر ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم والطرز على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب الخلفاء ، وهيئته في لبسه عند ركوبه بالمدينة في المراكب أو غيرها .

فعماته مدورة لطيفة عليها رفوف من خلفه تفصيل نصف ذراع في ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها ، وفوق ثيابه كاملة ضيقة الكم مفرجة الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكم .

أما تقليد السلطان السلطنة، فالذي رأيته في بعض التواريخ في عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي الربيع سليمان ، إلى السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة : أنه طلع القضاة والأمراء إلى القلعة واجتمعوا بدار العدل ، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت ، وعليه خلعة خضراء ، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض ، ونرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السر على العادة ، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء ، وجاء السلطان بفلس

على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة ، ثم قام الخليفة فقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إلى آخر الآية ، وأوصى السلطان بالرفق بالزعية ، وإقامة الحق ، وإظهار شعار شاعر الإسلام ونصرة الدين ، ثم قال : "فوضت إليك جميع أمر المسلمين ، وقلدتك ماتقديته من أمور الدين" . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ إلى آخر الآية ، ثم أتى الخليفة بخلعة سوداء وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض ، فالبسها السلطان وقلده سيقه ، ثم أتى بالمعهد المكتوب عن الخليفة للسلطان فقرأه القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره . فلما فرغ من قراءته ، تناوله الخليفة

فكتب عليه ما صورته - فوضت إليه ذلك - وكتب - أحمد بن محمد صلى الله عليه وسلم - وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية ، ثم أتى بالباطل على العادة .

- وأخبرني مَنْ حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق عن الإمام المتوكل على الله أبي الفتح محمد المشار إليه فيما تقدم : أنه حضر الخليفة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني^(١) ، والقضاة الأربعة وأهل العلم ، وأحرار الدولة إلى مقعد الإصطبلات السلطانية يعرف بالحزاقة ، وجلس الخليفة في صدر المكان على مقعد مفروش له ، ثم أتى السلطان وهو يومئذ حدثٌ ، بجلوس بين يديه ، وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحلم فأجاب بالبلوغ ، فخطب الخليفة خطبةً ، ثم خاطب السلطان يتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدم ذكره ، ثم أتى الخليفة بخليفة سوداء وعمامة سوداء مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة ، ثم جلس الخليفة في مكانه الذي كان جالسا فيه ، ونُصِبَ للسلطان كرسيٌّ إلى جانب مقعد الخليفة بجلوس عليه ، وجلس الأمراء والفضلة حوله على قدر منازلهم ، وقد استقرت جائزة تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكتندري .

- أما حضوره يجلس السلطان في عامة الأيام، عند حضوره إلى السلطان اسلام أو مهم^{٢٠} أو غير ذلك ، فقد أخبرني بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكل المنتقم ذكره كان إذا حضر إلى مجلس السلطان للظاهر ، قام له ، وربما منى إليه خطوات وجلس على طرف المقعد وأجلس الخليفة إلى جانبه .

(١) القضاة الأربعة في ذلك الوقت هم : القاضي الشافعي صدر الدين محمد المناري ، والقاضي الحنفي

جمال الدين يوسف المملئي ، والقاضي المالكي ولي الدين صيد الرحمن بن خلدون ، والقاضي الحننلي برهان الدين إبراهيم بن نصر الله السقلائي .

الباب الثالث

من المقالة الثانية

في ذكر مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان

الطرف الأول

في الديار المصرية، وفيه اثنا عشر مقصدا

المقصد الأول

في فضلها ومحاسنها

- ١٠ أما فضلها فقد ورد في الكتاب والسنة ما يشهد لها بالفضيلة ، ويقضى لها بالفخر قال تعالى : ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مِثْقَالَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ يريد بالقوم بنى إسرائيل ، وبالأرض أرض مصر ، ووصفها بالبركة إما بمعنى الفضل كما في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ . وإما من الخصب وسعة الرزق بدليل قوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون : ﴿ فَأَنزَلْنَاهُمْ مِنْ جَنَاتٍ وَعَبَّوْنَ زُرُوعًا وَنَقَامٍ كَرِيمٍ وَتَقَعَتْ فِيهَا فَأَيَّ كَهِيفٍ ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فأمر بالعبادة في بيوتها إشارة إلى شرف أرضها ورفعة قدرها .

- وقد ذكر الله تعالى أسمها في غير موضع من كتابه العزيز في ضمن قصص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ وفي موضع آخر : ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ وفي معناه قوله تعالى خطابا لبني إسرائيل : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ لَنَا مَا سَأَلْتُمْ ﴾ على قراءة الحسن والأعمش مصر غير مصروف .

قال القضاة : وكذلك قراءة من قرأ ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ مصروفا بناء على أن مصر مذكر سمي به مذكرا فلم يمنع الصرف فيه ، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

- وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بِلَادًا يُدْعَرُ فِيهَا الْقِبْرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لِأَهْلِهَا نَسَبًا وَصِهْرًا " أراد بالنسب هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سارة . وأراد بالصهر مارية أم إبراهيم ، ولَدِ النبي صلى الله عليه وسلم ، كان الْمُقَوْسُ قد أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم في جملة هديته .
- ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ خَيْرُ جُنْدِ الْأَرْضِ ، قِيلَ : وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مِصْرُ أَطِيبُ الْأَرْضِينَ تَرَابًا وَتَجَمُّهَا أَكْرَمُ الْعَجَمِ نِسَابًا " .
- ويقال في التوراة : " مِصْرُ خَزَائِنُ اللَّهِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِسُوءِ قَضَمِهِ اللَّهُ " .
- وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه " وَلَا يَهُ مِصْرُ جَامِعَةٌ تَعْدِلُ الْخِلَافَةَ " .

ومن كلام كعب الأحبار : ” مصر بلد معاق من الفتن ، فمن أرادها بسوء كبه الله على وجهه “ .

ووصفها اليعنبدى فقال : ” جبلها مقدس ، ونيلها مبارك ، وبها الطور الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام “ .

قال كعب الأحبار . ” كلم الله تعالى موسى من الطور الى طوى “ وفي التوراة ” واد مقدس أنصح “ يريد وادى موسى عليه السلام .

ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام ، منهم إبراهيم ، ويعقوب ، ويوسف ، وإخوته عليهم السلام .

ونقل في ” الروض المعمار “ عن الجاحظ أن عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها بكورة^(١) أهناس الآتى ذكرها في كور مصر المقدسة ، وإن نخلة مريم كانت بأهناس قائمة إلى زمانه . وذكر أيضا أن موسى عليه السلام ولد بها بمدينة أسكر شرق النيل ، وهى الآن قرية من الأعمال الإطيفية الآتى ذكرها في أعمال الديار المصرية .

وبها سجن يوسف عليه السلام بمدينة بوضير الخراب من الأعمال الجيزية على القرب من البدرشين .

قال القضاعى : أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان ، وأن الوثقى كان يتزل عليه به ، وسطحه معروف بإجابة الدعاء .

سأل كانور الإخشيدى الإمام أبا بكر بن الحداد الفقيه الشافعى عن موضع يستجاب فيه الدعاء ، فأشار عليه بالدعاء على سطح هذا السجن .

قال القضاعى : وعلى القرب منه مسجد موسى عليه السلام ، وهو مسجد مبارك .

(١) ادى أجمعت عليه كتب الدين والتاريخ أنه ولد بقرية بيت لحم ببلاد فلسطين وليس بمصر .

وبسفع المَقَطِّم بالقرافة الصغرى قبر (يَبُوذَا ورُوَيْل) من اخوة يوسف عليه السلام .

وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ، ودُفِنَ بقراتها جماعة منهم فيما ذكره ابن عبد الحكم عن ابن طَبِيعَة خمسة نفر ، وهم : عمرو بن العاص ، وعبد الله بن حُدَّافَة ، وأبو بَصْرَة الغفاري ، وعُقْبَة بن عامر الجُهَنِّي ، وعبد الله بن الحارث الزبيدي وهو آخرهم موتاً .

قال القُضَاعِي : وذكر غير ابن طَبِيعَة أن مَسْلَمَة بن مُخَلِّد الأنصاري أيضا مات بها ، وهو أميرها .



أما محاسنها ، فلا شك أن مصر مع ما أشتملت عليه من الفضائل ، وحُفَّتْ به من المآثر أعظم الأماليم خَطَرًا ، وأجلُّها قَدَرًا ، وأغنىها مملكة ، وأطيبها تربة ، وأخفها ماء وأخصبها زرعًا ، وأحسنها مِمَارًا ، وأَعْدَمُها هواءًا ، وألطفها سائِجًا .

ولذلك ترى الناس يرحلون إليها ، وفُودًا ، وَيَقْدُونَ عليها من كل ناحية ، وقُلَّ أن يخرج منها مَنْ دخلها ، أو يرحل عنها من وِجْهَتِها ، مع ما أشتملت عليه من حسن للنظير ، وبهجة الروثي لا سيما في زمن الربيع ، وما يسدُّونها من الزروع التي تملأ العين وسامةً وحُسْنًا ، وتروى صورةً ومعنى .

قال المسعودي : وصف الحكماء مَصرَ فقالوا : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر يَسْكَّةٌ سوداء ، وثلاثة أشهر زُرْدَةٌ خضراء ، وثلاثة أشهر سَيِّكَةٌ حمراء .

فاللؤلؤة البيضاء ، زمان النيل ، والمِسْكَةُ السوداء ، زمان نُضُوبِ الماء عن أرضها والزُرْدَةُ الخضراء ، زمان طلوع زروعها ، والسَيِّكَةُ الحمراء ، زمان هَيِّجِ الزرع وأَكْثِياله .
وقد قيل : لو ضُربَ بينها وبين غيرها من البلاد سورٌ ، لَفَتِي أهلها بها عما صواها ولما احتاجوا إلى غيرها من البلاد . وناهيك ما أخبر الله تعالى به عن فرعون .

مع عتوه وتجبره وأدعائه الربوبية بآفتهاره بملكها بقوله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ يَمْسَرُ
وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

قال ابن الأثير في "معجائب المخلوقات" : وهي إقليم العجائب ، ومعين الغرائب ؛
كان أهلها أهل ملك عظيم ، وعن قديم ؛ وإقليمها أحسن الأقاليم منظرًا ، وأوسعها
خيرًا ؛ وفيها من الكنوز العظيمة ، ما لا يدخله الإحصاء . حتى يقال إنه ما فيها
موضع إلا وفيه كنز .

قلت : أما ما ذكره أحمد بن يعقوب الكاتب في كتابه في "المسالك والممالك"
من ذمه مصر بقوله : هي بين بحر رطب حفين كثير البحارات الرديئة ، يولد الأذواء
ويُفِيد الفداء ، وبين جبل وبر يابس صليد ، لشدة بسه لا تنبت فيه خضراء ،
ولا تتفجر فيه عين ماء ؛ فكلام متعصب نرق الإجماع ، وأتى من تخيف القول
بما تنفر عنه القلوب وتُجبه الأسماع ؛ وكفى به نقيصة أن دم النيل الذي شهد العقل
والقل بفضيله ، وغض من المقطع الذي وردت الآثار بتشريفه .

المقصد الثاني

في ذكر خواصها وعجائبها ، وما بها من الآثار القديمة
١٥ أما خواصها ، فمن أعظمها خطرًا معدن الزمرد الذي لا نظير له في سائر أقطار
الأرض ، وهو في مقارة في جبل على ثمانية أيام من مدينة قوص ، يوجد عروفا
خضرًا في تطابق تجر أبيض ، وأفضله الدبابي ، وهو أقل من القليل ، بل
لا يكاد يوجد .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد إلى أثناء الدولة الناصرية "محمد بن
٢٠ قلاوون" فأهمل أمره وترك .

قال في "مسالك الأبصار": وجميع ملوك الأرض وأهل الآفاق تستمد منه .
وقد مرّ القول عليه في جملة الأحجار الملوكة في أواخر المقالة الأولى .

- وأعظم خطراً منه وأرفع شأنًا اللسان الذي تسميه العاتة البَلَمَ، وهو نبات يزرع
ببقعة مخصوصة بأرض المطرية من ضواحي القاهرة على القرب من قَبَن شَمْسٍ ،
- ويسقى من بئر مخصوصة هناك، يقال إن المسيح عليه السلام أقتسل بها حين
قدّمت به أمّه إلى مصر، والنصارى تزعم أنه حفرها بَعْقِيهِ وهو طفلٌ، حين وضعتَه
أمّه هناك .

ومن خاصتها أن اللسان لا يعيش إلا بماثها ولا يوجد في بقعة من بقاع الأرض
غير هذه البقعة .

- قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وطول هذه الأرض مِيلٌ في مِيلٍ ،
وشأنه أنه يُقصد في شهر كِبَهك من شهور القبط، ويجمع ما يسيل من دُهْنِه ويصنّى
ويطبخ ويحمل إلى نِزَانَةِ السلطان، ثم ينقل منه قَدْر معلوم إلى قلاع الشام
والبيارستان ليستعمل في بعض الأدوية ؛ وسلوك النصارى من الحبشة والروم
والفرنج يستمدُّونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه ، لما يعتقدونه فيه من أثر
المسيح عليه السلام في البئر، وله عليهم بذلك الْبَدُّ الطَّوْلُ والمِنَّةُ العظيمةُ ، لا يساويه
- عندهم ذهب ولا جواهر .

قال في "مسالك الأبصار": والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم
تنصّر نصرانيّ حتّى يوضع شيء من هذا الدهن في ماء المعمودية عند تغلبسه فيها .
وبها معدن النُّطْرُون، وهو منها في مكانين .

- أحدهما — بركة النُّطْرُون التي بالبحل الغربي غربيّ عمل البحيرة الآتية ذكره

في جملة أعمالها المستنفة، وهي من أعظم المعادن وأكثرها مُتَحَصِّلًا على حَقارة
النظرون وقلة ثمنه .

قال في "التعريف" : لا يعرف في الدنيا بركة صغيرة يُسْتَفْل منها نفعها ،
فإنها نحو مائة فدان تفل نحو مائة ألف دينار .

والثاني - مكان بالخطارة من الشرقية ، ولا يبلغ في الجودة مبلغ البركة الأولى ،
ولا يبلغ في المُتَحَصِّل قريباً من ذلك .

وبها أيضاً معدن الشَّب على القرب من أسوان ، وهو من المعادن الكثيرة
المتحصِّل أيضاً إلى غير ذلك من الخواص .

وبها معدن النُفُط على ساحل بحر القلزم ، يسيل دهنه من أعلى جبل قليلاً قليلاً
وينزل إلى أسفله فيتحصِّل في ديار قد وضعها له الأولون ، وتأتي العرب فتحمله
إلى خزائن السلاح السلطانية .



وأما عجائبها، فكثيرة

(منها) جبل الطير شرق النيل، مقابل منية أبي خصب، فيه صدع يأتي إليه
جلس البواقي من الطير، وهو المعروف بالبع في يوم من السنة فيضيئون مناقيرهم في ذلك
الصدع واحداً بعد واحد حتى يتعاق منها واحد في ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون .
قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : قال أبو بكر الموصلي : سمعت من أعيان
تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصباً ، يُقبض على طائرَيْن ، وإن كان متوسطاً ،
يقبض على طائر واحد ، وإن كان جَدْباً ، لم يقبض على شيء .

(ومنها) مكان بالجبل الشرق من النيل ، على القرب من أنصنا به تلال رمل إذا
صُعد إلى أعلاها وكسح الرمل إلى أسفلها سمعت له أصوات كالرعد ، يسمع من
البر الغربي من النيل .

وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنه إذا كان الذي صعد على ذلك المكان جُبًّا أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شيء من تلك الأصوات لو كسح الرمل. (ومنها) مكان بالجبل المذكور على القرب من إنجيم به تَلَّ رمل إذا كسحها الإنسان من أعلى إلى أسفل، عادت إلى ما كانت عليه وارتفع الرمل من أسفلها إلى أعلاها.

٥

قال في "الروض المطار": وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الناحية من أنقض سيفه وأولج فيه وقبض على مقبضه بيديه جميعا، اضطرب السيف في يديه وأرتمد فلا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس، وإذا حُدَّ بحجارة هذا الجبل سيكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا، وجذب الإبر والمسأل أشدَّ جذبا من المغناطيس، ولا يبطل فعلها بالتوم كما يبطل المغناطيس، أما الحجر نفسه فإنه لا يجذب.

١٠

قال القضايعي: ويجبل زماخير الساحرة يقال إن فيه خلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد بلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم". وعلى القرب من الطور عين ماء في أجمية رمل ينبع الماء من وسطها فورايت لطيفة وينبسط ماؤها حولها نحو الذراع، ثم ينوص في الرمل فلا يظهر له أثر، ولا يعرف أحد إلى أين يذهب، وهي على ذلك مدى الدهور والأيام لا ينقطع نبعها، ولا يجتمع ماؤها في مكان يدركه البصر، وعجائبها أكثر من أن تذكر.

١٥

المقصد الثالث

في ذكر نبيلها ومبدئه وآتئائه، وزيادته ونقصه، وما تنهى إليه زيادته،

وما تصل إليه في النقص وقاعدته

٢٠ ما ابتدأه وآتئأؤه، فاعلم أن ابتدأه من أول الخراب الذي هو جنوبي

خط الاستواء المقدم ذكره، ولذلك عسر الوقوف على حقيقة خبره.

وقد ذكر الحكاء أنه ينحدر من جبل القمر، إما (بفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم) كما نقله في "تقويم البلدان" عن ضبط ياقوت في "المشترك" وأبن سعيد في "معجمه".

قال في "رسم المعمور" وطرفة الغربي عند طول [ست وأربعين]^(١) ونصف وعرض إحدى عشرة ونصف ونصف في الجنوب، وطرفة الشرق حيث الطول إحدى وستون درجة ونصف والعرض بماله. قال في الرسم: ولونه أحمر. وذكر الطوسي أنهم شاهدوه على بُعد، ولونه أبيض لما غلب عليه من الثلج. وأعرضه في "تقويم البلدان" بأن عرض إحدى عشرة في غاية الحرارة لاسيما في الجنوب لحضيض الشمس.

قال بطليموس: والنيل ينحدر من الجبل المذكور من عشرة مسيلات، بين كل مسيلين منها درجة في الطول المقدم بيانه، والغربي منها، وهو الأول عند طلوع ثمان وأربعين درجة، والثاني عند طلوع تسع وأربعين، وعلى ذلك حتى يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين، كل مسيل منها نهر، ثم تجتمع العشرة وتصب في بطيختين كل خمسة منها تصب في بطيخة، ثم يخرج من كل واحدة من البطيختين أربعة أنهار، ثم تنفزع إلى ستة أنهار، وتسير الستة في جهة الشمال حتى تصب في بحيرة مدورة عند خط الاستواء تعرف ببجيرة كوري، فيفترق النيل منها ثلاث فرق.

ففرقة تأخذ شرقا وتذهب إلى مقدشو من بلاد الحبشة المسلمين على ساحل البحر الهندي مقابل بلاد اليمن. وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلى التكرور وغانة من مملكة مالي من بلاد السودان، وتمز حتى تصب في البحر المحيط الغربي عند جزيرة أوليل وتسمى نيل السودان.

(١) الزيادة عن كتاب رسم المعمور من البلاد العلامة محمد بن موسى بن شاكر الخوارزمي أحد الإخوة الثلاثة المروين بنى موسى الموقى سنة ٢٥٩ هـ المطبوع من الجزء الخامس بإفريقية.

وفرقة تأخذ شمالاً - وهي نيل مصر - فيمر في الشمال على بلاد زغارة ، وهي أول ما يلي من بلاد السودان .

ثم يمر على بلاد النوبة حتى ينتهي إلى مدينتها دُنْقَلَة الآتي ذكرها في الكلام على ممالك السودان .

ثم يمر شمالاً ببيلة إلى الغرب إلى طول إحدى وخمسين ، وعرض سبع عشرة • على حاله .

ثم يمر مغرباً ببيلة قليلة إلى الشمال إلى طول اثنتين وثلاثين ، وعرض تسع عشرة . ثم يرجع مُشرِّقاً إلى طول إحدى وخمسين .

ثم يمر في الشمال إلى الجَنَادِيْنِ ، وهو الجبل الذي ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة في آنحدارها ومراكب مصر في صُعودها ، حيث الطول مئتين وخمسون درجة ، والعرض اثنتان وعشرون درجة .

ثم يمر شمالاً إلى مدينة أُسْوَان الآتي ذكرها في أعمال الديار المصرية على القرب من الجنادل المقدمة الذكر .

و يمر شمالاً ببيلة إلى الغرب إلى طول ثلاث وخمسين ، وعرض أربع وعشرين .

ثم يُتَرْقَى إلى طول خمس وخمسين .

ثم يأخذ في الشمال حتى ينتهي إلى مدينة الفُسطاط الآتي ذكرها في قواعد مصر المستنقزة .

ويمتد في جهة الشمال أيضاً حتى يصير بالقرب من قرية تسمى شَطْنُون^(١) من

قرى مصر ، من عمل مُنُوف فيغترق بفرقتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة

الشرقية ، فتمر في الشمال حتى تأتي على قرية تسمى المنصورة من عمل المُرتاحية ،

(١) كذا ضبطه بالمرث بالباءة ، وقال في القاموس : "شطونف كحزون" .

فتتشعب شُعبتين وتمر الغربية منهما، وهي العظمى إلى ديباط من شرقها، وتصب في بحر الروم حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون وخميس وعشرون دقيقة؛ وتمر الشرقية منها على أَشْهُوم طَنَاح، من غربيها حتى تجاوز بلاد المَنْزِلَةِ، وتصب في بحيرة شرق دِيبَاط حتى بحيرة تَنْيَس حيث الطول أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة .

وأما الفرقة الغربية، فتمر من شَطْنُوفَ المقدم ذكرها حتى تأتي بالقرب من قرية تسمى بأبي شُأْبَةَ من عمل البحيرة، فتتشعب شعبتين، الغربية منهما، وهي العظمى تأخذ شمالاً بين عمل البحيرة من شرقها وبين جزيرة بنى نصر من غربيها، والشرقية تأخذ شمالاً أيضاً بين جزيرة بنى نصر من شرقها، وبين عمل الغربية من غربيها . ويسمى هذا البحر ببحر أبيار، ويمزج حتى يلتقي مع الفرقة الغربية عند قرية تسمى القَرْسَتْق من الغربية بالقرب من مدينة أبيار المنسوب إليها البحر المقدم ذكره، ويصير شعبة واحدة ويمزج حتى يصب في البحر الرومي غربي قرية تسمى رشيد حيث الطول ثلاث وخمسون، والعرض إحدى وثلاثون .

ومن هذه الفرقة يتفرع خليج صغير يدخل إلى بَحْرَةٍ تَسْرُوهُ^(١) الآتي ذكرها في جملة البحيرات، ويتفرع من كل فرقة من هذه الفرق وما يليها من أعلى النيل خُلْجَانٌ يأتي ذكر المشهور منها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما زيادته ونقصه، فقد اختلف في مَدَد زيادته؛ فنقل المسعودي عن العرب أنه يستمد من الأنهار والعيون . ولذلك تفيض الأنهار والعيون عند زيادته . وإذا غاض زادت؛ ويؤيده ما روى القاضي بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : "إن نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهريين

(١) كذا ضبطها المؤلف بما أتى وألحق بها الماء وكذلك ما قوت إلا أنه حذف منها الماء : نسزو .

المشرق والمغرب أن يُمَدَّ، فأمدته الأنهار بمائها، وبخرَّ الله له الأرض عيونا فانتهى جريُّه إلى ما أَرَادَ اللهُ، فأوحى اللهُ إلى كلِّ منها أن يرجع إلى عُنْصُرِهِ .

ويقال عن أهل الهند : زيادته ونقصه بالسبيل، ويعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار، ورُكُود السحاب .

- وقالت القِبطُ : زيادته من عيون في شاطئه رأها من سافر وحقَّقَ بأعاليه، ويؤيده
- مارواه القضاعى بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب "أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال لكعب الأحبار أسألك بالله ! هل تجدد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل حبرا؟ قال : إى والله ! إن الله عز وجل يُوحى إليه في كلِّ عام مرتين، يوحى إليه عند خروجه فيقول إن الله يأمرك أن تجسرى، فيجسرى ما كتب الله له، ثم يُوحى إليه بعد ذلك فيقول : يا نيلُ إن الله يأمرك أن تنزلَ، فينزلَ . ولا شك أن جميع
- الأنوال المتقدمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجميعها .

- وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة في الخامس من بشونه من شهور القِبط . وفي ليلة
- الثانى عشر منه يوزن الطينُ، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى العادة به، بأن يوزن من الطين الجاف الذى يعلوه ماء النيل زنة ستة عشر درهما على التحريك، ويرفع في ورقة أو نحوها ويوضع في صُنْدُوقٍ أو غير ذلك، ثم يوزن عند طلوع الشمس
- فهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة خروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهما .
- وفي السادس والعشرين منه يُؤخذ قاع البحر وتُقاس عليه قاعدة المقياس التى تبنى عليها الزيادة .

- وفي السابع والعشرين ينادى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين
- أصبعا إلى أن يكمل آخى عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعاً وعشرين أصبعا،
- فإنما وفى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود، وموسم معدود؛ ليس له نظير في الدنيا؛ وفيه تكتب البشارات
بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة، وتسير بها البرد، ويكون وفاءه في الغالب
في ممرى من شهور القبط، وفيها جُلُّ زيادته .

وفي النبروز، وهو أول يوم من توت يكثر قطع الخُلجان والترع عليه، وربما
أضطرب لذلك ثم عاد .

وفي عيد الصليب، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليه غالب
بقية الترع .

وقد حكى الفُصَّاحي عن ابن عفر وغيره عن القبط المتقدمين أنه إذا كان
الماء في آثنى عشر يوماً من ممرى آثنى عشر ذراعاً، فهي سنة ماء، وإلا فالماء
ناقص، وإذا تمَّ الماء ستة عشر ذراعاً قبل النبروز فالماء يتم، ثم غالب وفاءه
يكون في النصف الأول من ممرى، وربما وفي في النصف الثاني منها، وقد
يتأخر عن ذلك .

وفي الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت في "تاريخ النيل" أنه تأخر وفاءه في سنة ثمان وسبعمائة إلى تاسع عشر
بابه فوفى ستة عشر ذراعاً، وزاد أصبعين بعد ذلك في يومين : كل يوم أصبح بعد أن
أستسقى الناس أربع مرات، وهذا مما لم نسمع بمثله في دهر من الدهور .

وقد جرت عادته أنه من حين ابتداء النداء بزيادته في السابع والعشرين من
بئونه إلى آخر أبيب تكون زيادته خفيفة ما بين أصبعين لما حوطها إلى نحو
العشرة، وربما زاد على ذلك . فإذا دخلت ممرى، أشتدت زيادته وقويت،
فيزيد العشرة لما فوقها، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته على القرب
من الوفاء حتى ربما يبلغ سبعين أصبعاً .

ومن العجيب أنه يزيد في يوم الوفاء سبعين أصباً مثلاً، ثم يزيد في صبيحة يوم الوفاء أصبعين فاحولها، ويتم على ذلك . وله في آخر بابه زيادة قليلة يعبر عنها بصية بابه لما ينصب إلى النيل من ماء الأملاق .

- وقد ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم وغيره : أنه لما فتح المسلمون مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل شهر بشونة، فقالوا : أيها الأمير إن لينا هذا سنة لا يجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان اثنا عشر من هذا الشهر عمدنا إلى جارية يكر من أبويها فأرضيناها فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيه . فقال : هذا مما لا يكون في الإسلام، فأقاموا أيب ومسرى وهو لا يزيد قليلاً ولا كثيراً . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يترقه ذلك، فكتب إليه أن أصبت، وكتب رقعة إلى النيل فيها :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك، فلا تجر؛ وإن كان الله الواحد القهار الذى يُجريك، فنسأل الله أن يُجريك .

- وبعث بها إليه، فالتقاها في النيل، وقد تها أهل مصر للخروج منها، فأصبحوا يوم الصليب، وقد بلغ في ذلك اليوم ستة عشر ذراعاً .

ويروى أنه وقع مثل ذلك في زمن موسى عليه السلام، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون، فحبس الله منهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فرغبوا إلى موسى فدعا لهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أجراه الله في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً .

- ورأيت في "تاريخ النيل" المتقدم ذكره : أنه في زمن المستنصر أحد خلفاء

الفاطميين بمصر مكث النيل سنتين لم يطلع، وطلع في السنة الثالثة وأقام إلى الخامسة لم يزل، ثم نزل في وقته وتصب الماء عن الأرض، فلم يوجد من يزرعها لقلة الناس، ثم طلع في السنة السادسة وأقام حتى فرغت السابعة، ولم يبق إلا صباية من الناس، ولم يبق في الأقاليم ما يمشى على أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر، وأنه وفي ست عشرة ذراعا في ليلة واحدة بعد أن كان يخاض من برآلى برّ وأقل ما انتهى إليه قاع النيل في النقص ذراع واحد وعشرة أصابع، ووقع ذلك من سنة الهجرة وإلى آخر الثمانمائة مرتين فقط : المرة الأولى — في سنة خمس وستين ومائة من الهجرة . وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا . والمرة الثانية — في سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا ونحمة أصابع .

وقد وقع مثل ذلك في زماننا ، في سنة ست وثمانمائة . وأغى ما انتهى إليه القاع في الزيادة مما رأته مسطورا إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة تسعة أذرع . وسمعت بعض الناس يقول إنه في سنة خمس وستين وسبعمائة كان القاع أنقى عشرة ذراعا .

وأقل ما بلغ النقص في نهاية الزيادة أننا عشر ذراعا وأصبعان . وذلك في سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وأغى ما كان ينتهى إليه في الزمن المتقدم ثمانية عشر ذراعا حتى تعجب الناس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم انتهى في المائة السابعة إلى أن صار يجاوز العشرين في بعض الأحيان .

ومن العجيب أنه في سنة تسع وسبعين وثمانمائة كان القاع على تسع أذرع، ولم يُوف بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع، وفي سنين كثيرة كان القاع فيها

٢٠ (١) الذراع والاصبع يذكران ويؤنثان وقد جرى في كلامه تارة بالند كيزوتارة بالناث وكل صحيح .

دون الذراعين ، وجاوز الوفاء إلى ثمانى عشرة ذراعا لها دونها . ولا عبة بقول
المسعودى فى "مروج الذهب" إن أقل ما يكون القاع ثلاثة أذرع، وإنه فى مثل
تلك السنة يكون متقاصرا . فقد تقدم ما يخالف ذلك ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ .

- قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس ، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة فى كل
يوم وقت العصر ، ثم ينادى عليه من القِد بتلك الزيادة أصابع من غير تصريح بذكر
إلا أنه يكتب فى كل يوم رقعا لأعيان الدولة من إرباب السيوف والأقلام ،
كأرباب الوظائف من الأمراء ، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، وكاتب السر
وناطق الخصاص ، وناظر الجيش ، والمختص ، ومن فى معانهم ، فيذكر زيادته فى ذلك
اليوم من الشهر العربى وموافق من القبط من الأصابع وما صار إليه من الأذرع .
- ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته فى العام الماضى فى ذلك اليوم من الأصابع
وما صار إليه من الأذرع والعادة بينهما بزيادة أو نقص ، ولا يُطْلِع على ذلك حوام
الناس ورعاهم ، فإذا وفى سنة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من
الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، ويصير ذلك مشاهدا عند كل أحد .
- وأما مقياسه ، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" أن
أول من وضع مقياسا للنيل (خصليم) الساج من ملوك مصر بعد الطوفان : صنع بركة
لطيفة وركب عليها صورتى عُقاب من ثُجَاس : ذكر وأنثى ، يجتمع عندها كهتهم
وعلمائهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصغر أحد العقابين .
فإن صغر الذكر استبشروا بزيادة النيل . وإن صغرت الأنثى استبشروا بدم زيادته
فهيئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودي : وقد سمعت جماعة من أهل الخبرة يقولون : إن يوسف عليه السلام حين بنى الأهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه .

قال القضاعي : وذلك بمدينة منف ، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لها علوة إلى أن بنى مقياس منف ، وأن القبط كانت تقيس عليه إلى أن بطل .

قلت : وموضع المقياس بمنف إلى الآن معروف على القرب من الأهرام اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبتريشين ، وقيل كانوا يقيسونه بالرصاص .

قال المسعودي : ووضعت دلوكة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنصنا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر بواثيم ، ووضعت الرؤم مقياسا بقصر الشمع .

قال القضاعي : وكان المقياس قبل الفتح قيسارية الأكسية بالفسطاط إلى أن آتت المسامون أبنتهم بين الحصن والبحر ، ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بمنف .

كان النيل يقاس بمنف ويدخل القياس إلى الفسطاط فينادى به ، ثم بنى عمرو ابن العاص مقياسا بأسوان ، ثم بنى مقياسا بدندرة ، ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بأنصنا .

فلما ولي عبد العزيز مروان مصر ، بنى مقياسا صغير الأذرع بمحلوان من ضواحي الفسطاط ، ثم لما ولي أسامة بن زيد التميمي بنى مقياسا في جزيرة الصنعة

المعروفة الآن بالروضة بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بني أمية سنة سبع وتسعين من الهجرة ، وهو أكبرها ذرعا ، ثم بنى المتوكل مقياسا أسفل الأرض

بالجزيرة المذكورة في سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله على مصر ، وهو المعمول عليه إلى زماننا هذا .

(١) كذا في ياقوت والمقرئ والنجوم الزاهرة . وفي الأصل : «المأمون» وهو خطأ .

(٢) كذا في المقرئ والنجوم الزاهرة . وفي الأصل : «يزيد بن عبد الملك» وهو خطأ .

وكانت النصارى تتولى قياسه فعزلم المتوكل عنه ورَّتب فيه أبا الرِّدَاد عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرِّدَاد المؤدَّب ، وكان رجلا صالحا ، فأستفد قياسه في بَيْتِهِ إلى الآن ، ثم أصلحه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين .

- ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعا إلى تمام أثني عشرة ذراعا ، ثم يكون كل ذراع أربعة وعشرين أصبعا ، فلما أرادوا وضعه على ستة عشر ذراعا ، وزهوا
 ٥ الذراعين الزائدين ، وهما ثمانية وأربعون أصبعا على أثني عشر ذراعا لكل ذراع منها أربعة أصابع ، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا ، وبقى الزائد على ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا .

- قال القاضي : وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسن بن محمد بن عبد المنعم في رسالة
 ١٠ له أن المسلمين لما فصحوا مصر عرض على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل في حدِّ لمقياس لهم فضلا عن تقاصره ، ويدعوهم ذلك إلى الاحتكار ، والاحتكار يدعوهم إلى زيادة الأسعار ، فكتب عمر إلى عمرو ابن العاص يسأله عن حقيقة ذلك ، فأجاب به : لاني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يَقْطَع أهلها أربع عشرة ذراعا ، والحد الذي يروى منه سائرهما حتى يَفْضُلَ عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعا ، والنهاتان الخوفتان
 ١٥ في الزيادة والتقصان ، في الظلم والاستبعاد ، اثنتا عشرة ذراعا في التقصان وثمانى عشرة ذراعا في الزيادة ، فاستشار عمر رضي الله عنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في ذلك ، فأشار بأن يكتب إليه أن يبنى مقياسا ، وأن يَقْصُ ذراعين على أثني عشرة ذراعا ، ويبقى ما بعدهما على الأصل .

(١) كذا في المصري (ج ١ ص ٥٨) والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢١٢) روى الأصل :

قال القضاة: وفي هذا نظر في وقتنا لزيادة قساد الأنهار، وانتفاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة على ذلك .

قال المسعودي: فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل في ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه، وكان فيه نقص من نجاج السلطان. وإذا انتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا، ففيه تمام نجاج السلطان وأخصب الناس، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضار للبهائم لعدم المرعى .

قال: وأتم الزيادات العامة النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا، وذلك كفافها وبقي جميع أرضها. وإذا زاد على السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمان عشرة، استبحر من صحر الربيع، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع . قال: وذلك أكثر الزيادات .

قلت: هذا ما كان عليه الحال في زمانه وما قبله وكان الحال جاريا على ما ذكره في غائب السنين إلى ما بعد السجاسة .

أما في زماننا، فقد طغى الأرض مما يصب عليها من الطين المحمول مع الماء في كل سنة وضعفت الجسور، وصار النيل بحكمة الله تعالى إلى ثلاثة أقسام: متضاخرة وهي ست عشرة ذراعا فما حولها، ومتوسطة وهي سبع عشر ذراعا إلى ثمان عشرة ذراعا فما حولها، وعالية وهي ما فوق ثمان عشرة، وربما زادت على العشرين .

المقصود الرابع

في ذكر خُلتانها

وخلجانها القديمة سنة خُلج :

الخليج الأول

(المنهى)

وهو الخليج الذى حفره "يوسف الصديق عليه السلام" وخرّجه بالقرب من دَرَوَة سَرَبَام، من عمل الأَشْمُونِيين الآتى ذكرها، وهى المعروفة بِدَرَوَة الشَّرِيف، ويأخذ شمالاً إلى مدينة البهنسى، ثم إلى قرية الألاهون من عمل البهنسى، ويمتد إلى الجبل حتى يجاوزه إلى إقليم القُيُوم، ويمتد بمدينة وينهت في نواحيه .

- ١٠ وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تجفُّ قُوَّته في أيام قصص النيل، وباقيه يجرى في موضع ويجف في آخر إلى إقليم القُيُوم، فيجرى شتاءً وصيفاً من أعين تنفجر منه ولا يحتاج إلى حفرٍ قط .

ويقال : إن "يوسف عليه السلام" حفره بالوحي وبياهه منقسمة على استحقاق مقدر، كما في دِمَشْق من البلاد الشامية .

- ١١ وقال في "الروض المبطّر" : وكانت مَقَامُهُ بِمَجَرِّ الألاهون على القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدمة الذكر . قال : وهو من عجائب الدنيا، وهو شاذروان بين قبتين من أحكم صنعة، مُدْرَج على ستين درجة، فيها فُؤَارَات في أعلاها وفي وسطها وفي أسفلها، يسقى الأعلى الأرض العليا، والأوسط الأرض الوسطى، والأسفل الأرض السفلى بوزن وقدر معلوم .

- ٢٠ قال : ويقال إن يوسف عليه السلام عمله بالوحي، وإِنَّ مَلِكَ مِصْرَ يومئذ لما ماينه قال هذا من مَلَكُوتِ السماء .

ويقال إنه عمل من الفضة والنحاس والرخام .

قلت : قد ذهبت معالم هذا اللاهون وبق بعض بنائه ونقلت المقاسم الى مكان آخر بالقيوم تسقى الآن الأراضى على حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التماسيح التى لا تحصى كثرة ، ولم يشتهر فى زمن من الأزمان أنها أذنت أحدا قط .

الخليج الثانى

خليج القاهرة الذى يكسر سده يوم وفاء النيل

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر ، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

قال القضاعى : أمر بحفره عام الرمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وساقه إلى بحر القلزم ، فلم يتم عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد والأطعمة إلى مكة والمدينة ، وقع الله بذلك أهل الجحاز .

وذكر الكندى فى كتاب "الجند العربى" أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وفرغ منه فى سنة أشهر ، وجرت فيه السفن ووصلت الى الجحاز فى الشهر السابع .

قال الكندى : ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن العزيز ، ثم أضاعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل ، وصار منتهاه إلى ذنب التماسيح من ناحية الطور والقلزم .

وذكر ابن قديد : أن أبا جعفر المنصور أمر بسده حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليه قنطرة إلى أن بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة في سنة تسع [وستين ^(١)] .

وقد ذكر المسمودي في " مروج الذهب " أنه أنقطع جريان هذا الخليج عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة لردم جميعها وصار شرب أهلها من الآبار .

قال ابن عبد الظاهر : وليس لها أثر في هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن السادل أبي بكر بن أيوب هاتين القنطرتين الموجودتين الآن على بستان الخشاب وباب الخرق ، يعنى قنطرة السد وقنطرة باب الخرق في سنة نيف وأربعين وستائة .

وذكر في موضع آخر من خطه أن القنطرة التي عليه خارج باب القنطرة بناها الفائد جوهر سنة ستين وثلاثمائة ، وقنطرة اللؤلؤة — وهي التي كانت بالقرب من ميدان القمع ، وبعضها باق إلى الآن — من بناء الفاطميين أيضا ، واللؤلؤة التي تنسب هذه القنطرة إليها منقورة على بر الخليج القبلي ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ، كانت مستنزا لخلفاء الفاطميين يتزلون فيها في أيام النيل وقيمون بها إلى آخر النيل .

قلت : أما باقى القناطر التي على هذا الخليج : كقنطرة عمر شاه ، وقنطرة سُفْر ، وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستحدثة في الدولة التركية ، وظالها في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون .

قال ابن أبي المنصور في " تاريخه " : وأول من رتب حفرة على الناس المأمون ابن البطاحي ، وكذلك البساتين في دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمفرده .

(١) الزيادة عن المقرئ (ج ٢ ص ١٤٦) . (٢) هذه الفقرة ليس هذا موضعها وإنما موضعها في الكلام على خليج الإسكندرية ، وقد ذكرها المؤلف هناك في (ص ١٠٥)

الخليج الثالث

خليج السردوس

ويقال السردوس زيادة ياء في آخره ، وهو الذي حفره هامان لفرعون .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : ويقال : إنه لما حفره سأله أهل البلاد أن يحريه إليهم على أن يعملوا له على ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة ألف دينار فحملها إلى فرعون ، فقال : ويمك ! إنه ينبغي للسيد أن يعطى على عبيده ولا ينظر إلى ما في أيديهم ، وأمر بردة المال إلى أربابه .

قال : وكان هذا الخليج أحد نزهات الدنيا يسار فيه يوما بين بساتين مشبكة وأشجار مُتَفَتِّة وفواكه دانية .

قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعوض عنه بحر أبى المنجا الآن ذكره .

الخليج الرابع

خليج الإسكندرية

وهو خليج يخرج من الفرقة الغربية من النيل عند قرية تسمى المَطَفْ تُقابل فُوَّةَ مدينة المراحيتين ، ويميل غربا حتى يتصل بمُجْدِرَان الإسكندرية ، وتدخل منه قناة تحت الأرض إلى داخلها ، ويتشعب منها شُعَبٌ كثيرة تدخل دُورَها ، وتخرج من دار إلى أخرى ، ويخالط أبارها فيعلو ماؤها وتغلا منها صهار يجها حيلئذ فتتمكث من السنة إلى السنة .

وكانت فُوَّةُ هذا الخليج فيما تقدم جنوبي فُوَّته الآن عند قرية تسمى الظاهرية من عمل البحيرة ، وكان يمر على دمنهور مدينة البحيرة ، ثم تقل إلى مكانه الآن ويقال إن أرضه في القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال في "تقويم البلدان" : وهو من أحسن المترهات لأنه مخضر الجانيين
باللسانين ؛ وفيه يقول ظافر الحداد الشاعر السكندري :

وَعِشِّيَّةٌ أَهَدَتْ لِعَيْنِكَ مَنْظَرًا • جَاءَ السُّرُورُ بِهِ لِقَائِكَ وَأَفْدَا
رَوْضٌ كَمُحَضَّرِ الْعِدَارِ وَجَدُولٌ • نَقَشَتْ عَلَيْهِ يَدُ النَّيَالِ مَبَارِدًا
وَالنَّخْلُ كَالْيَدِ الْخِمَانِ تَزَيَّنَتْ • وَلَيْسَ مِنْ أُمَامِيهِمْ قَلَائِدًا

وقد ذكر المسعودي في "مروج الذهب" : أنه أنقطع جريان هذا الخليج
عن الإسكندرية إلى سنة أربعين وثلاثين وثلاثمائة لدم جميعها ، وصار شرب أهلها
من الآبار .

الخليج الخامس

١٠

خليج صفا^(١)

ويقال إن الذي حفره برصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

خليج ديباط

ولم أفق على تفاصيل أحواله^(٢) .

١٥

[بحر أبي المنجا]

أما بحر أبي المنجا ، فإنه وإن عظم شأنه مستحلت ، حفره الأنضل بن
أمير الجيوش وزير المستمل بالله الفاطمي .

قال ابن أبي المنصور في "تاريخه" : وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية
كانت جارية في ديوان الخلافة ، وكان معظمها لا يروى في أكثر السنين ولا يصل

٢٠

(١) في الأصل : « منجا » وهو خطأ . وخليج صفا من الخلبان الفرعونية القديمة وهو مدكور ضمنها
في الجزء الأول من النجوم الزاهرة ص ٦ • (٢) موقفة الحال هو الجزء النبال من فرع
ديباط الحال المعروف بفرع النيل الشرق في المساحة ما بين سمند وديباط .

الماء إليها إلا من خليج السردوس المتقدم ذكره ، أو من غيره من الأماكن البعيدة .

وكان يشارف العمل يهودى اسمه أبو المنجا ، فرغب أهل البلاد إليه في فتح تربة يصل الماء منها إليهم في ابتدائه فرفع الأمر إلى الأفضل ، فركب في النيل في ابتدائه في مركب ورمى بحجر من البوص في النيل وجعل يتبعها بمركبه إلى أن رماها النيل إلى قم ذلك البحر لحفر من هناك ، وأبتدأ حفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وثمانمائة ، وأقام الحفر فيه ستين وغريم فيه مال كثير . وكان في كل سنة تظهر فالدته ، ويتضاعف ارتفاع البلاد التي تحته ، وغلب عليه إضافته إلى أبي المنجا لتكلمه فيه . فلما عرض على الأفضل ما صرف عليه استعظمه وقال : حرمنا عليه هذا المال العظيم والأسم لأبي المنجا ، فسماه البحر الأفضل فلم يتم له ذلك ولم يعرف إلا بأبي المنجا ، ثم سطر بأبي المنجا المذكور بعد ذلك ونفى إلى الإسكندرية . ولسا ولى المأمون بن البطائحي الوزارة تحدث معه الأمراء في أن يتخذ لفتح يومما كفتح خليج القاهرة ، فابتنى عندسده منظره متسعة يتزل فيها عند فتحه . قلت : وكانت فيه معشدة يعذى فيها بين قلوب و يلسوس ، وكان يحصل للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المازين ، فمر عليها الظاهر بيبرس رحمه الله فقطر عظمة بحجر صلد ، من غرائب البناء ، تمت عليها الناس والدواب ، فحصل للناس بها الارتفاق العظيم ، وهى باقية على جدتها إلى زماننا .

وكان سده يقطع في عيد الصليب في سابع عشر توت ، ثم استقر الحال على أن يقطع يوم الثوروز ، في أول يوم من توت حرصا على رى البلاد .
وأما بقية خلج الديار المصرية المستحدثة وترعها بالوجهين : النيل والبحرى ، فأكثر من أن تحصر ، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصود الخامس

في ذكر بحيرات الديار المصرية، وهي أربع بحيرات

الأولى منها — "بَحِيرَةُ الْفَيُومِ" ويُعبر عنها بالبركة، وهي بحيرة حلوة بالغرب من الفيوم بين الشمال والغرب عنه، على نحو نصف يوم، يصب فيها فضلات مائه المنصب إليه من خليجه المنهى المتقدّم ذكره، وليس لها مصرفٌ تتصرف إليه لإحاطة الجبل بها، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفيوم وعلا ماؤها على أرضها .

قال في "تقويم البلدان" : وطولها شرقا بغرب نحو يوم، وبها أسماء كثيرة تحصل من صيدها جملة كثيرة من المال؛ وبها من أجام القصب والطرفاء والبرذئ ما يتحصل منه المال الكثير .

- ١٠ الثانية — "بَحِيرَةُ بُوْقَيْرٍ" (بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر القاف وسكون الياء المشناة تحت وراه مهملة في الآخر) وهي بحيرة ماء ملح يخرج من البحر الرومي بين الإسكندرية ورشيد، ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية المتقدّم ذكره، يأتيها ماء النيل منه عند زيارته؛ وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المال الكثير، وفيها من أنواع الطير كل غريب، ويجوؤها الملاحات الكثيرة التي يحمل منها الملح إلى بلاد الفرنج وغيرها .

- ١٥ قلت : وقد وقع للسلطان عماد الدين صاحب حماة، رحمه الله، وهم فجعل هذه البحيرة هي بحيرة تستروه الآتي ذكرها ؛ على أن هذه البحيرة قد أقطع مددها من البحر الملح في زماننا بواسطة غلبة الرمل على أشواطها الموصل إليها الماء من بحر الروم بفحقت وصارت سبخة طويلة عريضة؛ ومات ما كان يصاد منها من السمك البوري؛ وما يتحصل منها من الملح المتعقد بسواحلها، وعاد على الإسكندرية

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب على أهلها أكل السمك ويحصل لهم بالملح
دفع كبير .

الثالثة - "بَحِيرَة تَسْتَرَوْه" (بفتح النون وسكون الحين المهملة وفتح التاء
المثناة فوق وضم الزاء المهملة وسكون الواو وهاء في الآخر) وهي بحيرة ماء مالح
أيضا بالقرب من البرلس في آخر بلاد الأعمال الغربية الآتي ذكرها، متسعة الأرجاء
إذا توسطها المركب لا ترى جوانبها لعظمتها، بعد صرورها عن البر، والقرب منها
قرية تسمى تَسْتَرَوْه، وهي التي تضاف إليها، وداخلها قرية أخرى تسمى سِنْجَار
لا زرع فيها ولا نفع، وليس بها غير صيد السمك، وهي النهاية القصوى فيما
يُحصل من المال .

١٠ قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها في كل سنة فوق عشرين ألف
دينار مصرية، وليس يساويها بحيرة من البحيرات في ذلك .
قلت : وأخبرني بعض مباشريها أنها في زماننا قد تميز متحصلها من ذلك نحو
مثله للاجتهاد في الصيد، وكثرة الضبط وارتفاع السعر .

الرابعة - "بَحِيرَة تِنْيَس" قال السمعاني (بكسر التاء المثناة فوق والنون
المشددة المكسورة ثم ياء مثناة تحت وسين مهملة في الآخر) وهي بَحِيرَة متصلة
١١ بالبحر الرومي أيضا بآخر عمل الدقهلية والمراحيبة الآتي ذكره، وفيها مصب بحر
أَشْمُوم المنفرد من الفرقة الشرقية من النيل، ولذلك يعذب ماؤها في أيام زيادة
النيل، وبوسطها تِنْيَس الآتي ذكرها في الكلام على الكَوَر القديمة .

٢٠ قال صاحب "الروض المبطر" : طمى عليها البحر قبل الفتح الإسلامي بمائة
سنة ففرقتها وصارت بحيرة، ويتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دمياط"
وهما في الحقيقة كالبخيرة الواحدة .

المقصود السادس

في ذكر جبالها

اعلم أن وادى مصر يكتنفه جبلان شرقا وغربا، يتدانان من الجنادل المتقدمة
الذكر فوق أسوان آخذين في جهة الشمال على تقارب بينهما بحيث يرى كل منهما
من الآخر والنيل ما بين جنتيهما .

٥

فأما الشرق منهما فيتميز بين النيل وبحر القلزم المتقدم المذكور حتى يماور السطاط
فينعطف وياخذ شرقا حتى يأتي على آخر بحر القلزم من الشمال، يرتفع في موضع
ويخفض في آخر؛ وفي أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة
قوص (معدن الزمرّد) المتقدم ذكره في خواص الديار المصرية، في مفارة طويلة

١٠ في قطعة جبل عالية، تسمى قرشده ليس هناك أعلى منها، وعلى القرب من ذلك (مقطع
الرّحام) الملون من الأبيض والسّمّاق وسائر الألوان المستحسنة التي لا تساوى حسّنا .

ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل المراغات من محل لإخم "جبل
الساحرة" وأطلنه جبل زماخير الساحرة المتقدمة الذكر في عجائب الديار المصرية .
ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل مدينة مقلوط "جبل أبي فيدة"
١٥ بقاء وياه مشاة تحت .

ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل مية بنى خصيب من الأثمنين .
"جبل الطيلبون" ويعرف الآن بجبل الطير؛ وقد تقدم ذكره في جملة عجائب
الديار المصرية .

ويسمى ما سامت السطاط والقرافة منه "المقطم" وربما أطلق المقطم على
جميع المقطّم؛ وقد اختلف في سبب تسميته بذلك، فقليل سمي باسم مقطم الكاهن
٢٠ كان مقيا فيه لعمل الكيمياء .

(١) لله على جميع الجبل .

وقال أبو عبد الله اليمنى : سمى بالمَقْطَمِ بن مصر بن بصرى ، وكان عبدا صالحا
أنفرد فيه لعبادة الله تعالى .

وذَكَرَ الكُنْدِيُّ في كتاب "فضائل مصر" ما يوافق ذلك : وهو أن عمرو بن
الماص رضى الله عنه سار في سفح المَقْطَمِ ومعه المَقْوُوسُ ، فقال له عمرو : ما بالُ
جبلِك هذا أفرع ليس عليه نبات بكبال الشام ؟ فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل
وغير سناه نخلا ، فقال المَقْوُوسُ : وجدنا في الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا
ونباتا وفاكهة ، وكان يترله المَقْطَمُ بن مصر بن بصرى بن حام بن نوح عليه السلام ،
فلما كانت اللبلة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام ، أوحى الله تعالى إلى
الجبال : إني مكلّمٌ نيا من أنبيائي على جبل منك ، فسمت الجبال كلها وتشاجعت
إلا جبَلُ بيت المقدس فإنه هبط وتصاهر ، فأوحى الله تعالى إليه : لم فعلت ذلك ؟
وهو به أخبر ، فقال : إعظاما وإجلالا لك يا رب فأمر الله تعالى الجبال أن يحياه
كل جبل مما عليه من النبات ، بخاد له المَقْطَمُ بكل ما عليه من النبات حتى بقى كما
ترى ، فأوحى الله تعالى إليه إني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غرس الجنة .

وأنكر القضاعى وغيره أن يكون لمصر ولد اسمه المقطم ، وجعلوه مأخوذا من
القطع وهو القطع ، لكونه منقطع الشجر والنبات .

قال ابن الأثير في "معجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة ، وهياكل كثيرة ،
ومعجائب غريبة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضة والأواني ،
والآلات النفيسة ، والتمائيل العجيبة ، وتراب الصنعة ما يخرج عن حد الإحصاء .
قال في "الروض المبطر" : وإذا دُبرْتُ تَرَبُّثُهُ حصل منها ذهب صالح .
وبلى المَقْطَمَ من جهة الشمال "اليحامي" وهي الجبال المتفرقة المطلة على
القاهرة من جانبها الشرق وجباتها .

قال القضاعى: وقيل لها البَاسِمُ لِأختلاف ألوانها، والبَحْمُومُ فى كلام العرب:
الأسود المظلم، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاّه .

وفى شرق المَقَطَّم على بحر القلزم "طورُ سينا" الذى كلم الله تعالى موسى عليه
السلام عليه، وهو جبل مرتفع للغاية، داخل فى البحر .

٥. قال الأزهرى: وسمى الطورَ بطُورِ بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .
قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات": ومن خاصّيته أنه كيفما كُبر، ظهر فيه
صورة شجر العليق، وقد بُنى هناك ديرٌ بأعلى الجبل، وخرس بواديه بساتين وأشجار .



وأما الغربى منهما، فإنه يتبدى من الجبال أيضا ويمتدّ فى الشمال فيما بين بلاد
الصعيد والصحراء، ثم فيما بين بلاد الصعيد والوَاحَات، ثم فيما بين بلاد الصعيد
والقُيُوم حتى ينتهى إلى مقابل القُسطَاط . وهناك موقع المَرَمِينَ العظيمين المقدم
ذكرهما على القرب من بُوَصير، ثم ينطفئ ويأخذ غربا بِسَمالٍ فيما بين بلاد ريف
الوجه البحرى والبرية حتى يماورِ رِكةَ النَطْرُون، ويمضى إلى قريب من الإسكندرية .
ويسمى فيما سامت الواحات "جبل جالوت" نسبة إلى جالوت البربرى .

١٥. ويتصل به من جنوبى الوَاحَات "جبل اللازورد" قيل لِمَن به معدن
لازورد، وإنه أمتنع أستخراجه لأنقطاع المارة هناك .

المقصد السابع

فى ذكر زروعها، ورياحينها، وفواكهها، وأصناف المطعم بها

- أما زروعها — فيزرع فيها من أنواع الحبوب المُقَنّاة وغيرها كالأبر، والشعير،
والذرة، والأرز، والباقل، والحمص، والمَدَس، واليسلّا، والجلبان، واللُّبيا، والسمسم،
٢٠. والقرطم، والشمشاش، والخروع، والسلمج، ويزر السَّكَّان، والبرسيم، وغير ذلك .

وجها فصب السكر في غابة الكثرة، والبطيخ، والقثاء على اختلاف أنواعها،
والملوخيا، والفلقاس، واللث، والباذنجان، والدباء، والحليون، والقنبيط، وأنواع
البقول المختلفة، كاللحم، والبصل، والكراث، والفجل وغيرها؛ وطامة زرع حبوبها
على النيل عند نزوله عن أرضها من أثناء بابة، من شهور القبط إلى أثناء طوبه منها
بحسب ما يقتضيه حال الزرع . وربما زرع فيها على السواقي والدوايب؛ وأكثر
ما يكون ذلك في بلاد الصعيد خصوصا في سني الجذب؛ ويؤزر في الفيوم في غير
زمن النيل على نهر المنى المتقدم ذكره في جملة الأنهار . ولا زرع فيها على المطر
إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبء به على قلة المطر بها بل فقد به صعيدا .

وأما رياحينها — ففيها الأس، والورد، والبنتسج، والترجس، والياسمين،
والقيرين، والبان، والينور، وأزهار الحمضات، والريحان القارسى على اختلاف
أنواعه، والمثور فيها بقله، وإنما أكثر بالإسكندرية، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع
التي يشق استيعابها .

وأما فواكهها — ففيها الرطب، والعنب، والتين، والرمان؛ والخوخ،
والشمش، والقراصيا، والبرقوق، والتفاح، والكمثرى، والسفرجل بقله، والوز
الأخضر، والتين، والثوت، والفرصاد، والموز، ولا يوجد فيها الجوز، والفستق،
والبنديق، والإجاص إلا مجلوبا بعد جفافه . وإن زرع بأرضها شيء من ذلك، لم
يُفْلح؛ والزيتون فيها بقله، ولا يستخرج منه زيت البنة وإنما يؤكل ملحا .

وفيه من الحمضات : الأترج، والحماض، والكباد، والنارج، والليمون،
على اختلاف أنواعها .

وأما أصناف المطعوم — ففيها ما يستطاب من الألبان ، والأجبان ،
والسَّيل ، الذى لا يساوى حسناً ، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال ، والسكر
الكثير : من المكرر ، والتبع ، والوسط ، والنبات . ومنها يجلب إلى أكثر البلاد ،
قال فى "مسالك الأبصار" : وقد نُسِي به ما كان يذكر من سكر الأهواز .

- وبها من أنواع الحلوى والأشربة المتخذة من السكر ، والأشربة الفانقة .
ما لا يوجد فى غيرها من الأقاليم .

وبها من لحم الضأن ، والبقر ، والمعز ، مالا يعادله غيره فى قُطْرِ من الأقطار
لطافة ولذة .

- قلت : ومن محاسنها أن فاكهتها لا يدوم نوع منها فى جميع السنة فيَمَلُّ ، بل
يأتى كل نوع منها فى وقت دون وقت ، فتتشوف النفوس إلى طلبه ، ويكون
- ١٠ لقدمه بهجة . ولا يعترض ذلك بدوام أكل الجنة ، فإن الجنة أكلها لا يملُّ
بخلاف ما كل الدنيا . ولأهل الرفاهية بذلك فرحة ، وتعالى فيه فى ابتدائه مع أنه
يجتمع فى الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه فى زمنه إلى غيره .
قال المهذب بن مَسَاقِي فى "قوانين الدواوين" : بعثتُ فلاناً لى ليحضر من
 - ١٥ فاكهات القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين ، فأحضر لى منها الورد ،
والترجس ، والبَنَفْسِج ، والبَاسِمْج ، والمَشْثُور ، والمَرَسِين ، والرَّيْحَان ، والطلح ،
والنَّعْنَاع ، والجَمَار ، والنجار ، والبَطِيخ الأخضر ، والباقيل ، والتفاح ، والفُقُوس ،
والأنثريح ، والتارتج ، والأشياء ، والليمون ، والتمر هندي الأخضر ، والعنب ، والخضرم .
وقال بعض الخوالمين فى الأفاق : طفت أكثر المعمور من الأرض فلم أر مثل
ما بمصر من ماء طوبى ، ولبن أشير ، وترويب برمهات ، وورد برمودة ، وتيق
٢٠ بشنس ، وتين بؤنة ، وعسل أيب ، وعنب مصرى ، ورطب توت ، ورمان بابه ،
وموز هتور ، وتمك كيك .

المقصود الثامن

في ذكر مواشها ، ووحشها ، وطورها

أما مواشها — ففيها الإبل المستجادة ، والبقر العظييات القدود ، والأغنام المستطابة المخوم ، والخيول المسمومة ، والبقال النفيسة ، والحمر الفارغة مما ليس له نظير في إقليم من الأقاليم ، ولا مصر من الأمصار .

وأما وُحُوشُها — ففي براريها : الفيلان ، والنعام ، والأرانب ، والثعالب ، والضبَاع ، والذئاب ، وغير ذلك . ويحلب إلى سلطانها الفيلة ، والزرافات ، وغيرها من الوحوش من البلاد القاصية ، والضبَاع من بلاد الشام من مملكته لتكون في إصطبلاته زينة لمملكته .

وأما طيورها — ففيها من الطيور الدواجن في البيوت : الدجاج ، والإوز ، والحمام ، ومن الطيور البرية : الصقر ، والعقاب ، والنسر ، والحُرْكي ، والفلق ، والإوز التركي ، والرمز ، والجع ، والبشون ، والحبرج ، والحجل ، والكرز ، والسماني ، والببل ، وسائر أنواع المصافير ، والأنواع المختلفة من طيور الماء . ويحلب إلى سلطانها سائر أنواع الجوارح الصائدة على اختلاف أجناسها من أقاصي البلدان ، ويقع الثغالي في أمانها للغاية القصوى على ما يأتي ذكره في الكلام على أوصافها إن شاء الله تعالى .

المقصود التاسع

في ذكر حدودها

قد اضطربت عبارات المُصنِّفين في المسالك والممالك في تحديدها ، والذي عليه الجمهور أن حدّها الشّمالى ، وهو المبرّعه عند المصريين بالبحرى ، يتدنى مما بين الزعقة وريح عند حدّها من الشام والبحر شماله ، ويمتد غربا على ساحل البحر .

- المذكور حيث الشجرتان عند الشجرة التي يعلق فيها العوام الخرق وتقول هذه مفتاح الرمل، عند الكُثْب المجنبة عن البحر الرومى، إلى رَجْع ثم إلى العريش أخذنا على إلخفار، إلى الفرما، إلى الطينة، إلى دِمياط، إلى ساحل رشيد، إلى الإسكندرية، وهى آخر المعارة بهذا الحصد . ثم يأخذ على اللبونة، على المعيدى، إلى بَرْقَة، إلى العَقْبَة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقية على ما تقدم ذكره فى الكلام على سواحل البحر الرومى .

وحدها الغربى — يتدئ من ساحل البحر الرومى حيث العَقْبَة، ويمتد جنوبا، وأرض إفريقية غربية، على ظاهر القُيُوم والوَاحَات حتى يقع على صحراء الحبشة على ثمان مراحل من أسوان .

- وحدها الجنوبي — وهو المبرهنه عند المصريين بالقبلى، يتدئ من ١٠ آخر هذا الحصد بصحراء الحبشة ويمتد شرقا، وبلاد الروم من بلاد البرية جنوبيه حتى يأتى إلى أسوان، ثم يمتد من أسوان شرقا حتى ينتهى إلى بحر القلزم مقابل أسوان على خمس عشرة مرحلة منها .

- وحدها الشرقى — يتدئ من آخر هذا الحصد ويمتد شمالا وبحر القلزم شرقيه، إلى صِيْدَاب، إلى القصير، إلى القلزم، إلى السَّوَيْس، ثم يأخذ شرقا عن ١٥ بركة القُرْنُدَل التي أغرق الله تعالى فيها فرعون من بحر القلزم إلى تيه بنى إسرائيل، ثم يعطف شمالا ويمتد على أطراف الشام حتى يخط على ما بين الزعقة ورَجْع ساحل البحر الرومى حيث وقعت البداءة .

- وعلى هذا التحديد جرى السلطان حماد الدين صاحب حماة فى "تقويم البلدان" والمقرئ الشهابى بن فضل الله فى "التعريف" إلا أنه فى "تقويم البلدان" جعل ابتداء ٢٠ الحصد الشمالى نفس رَجْع، ونهاية الحصد الغربى حدود بلاد النوبة، وفى "التعريف"

جعل ابتداء الحد الشمال ما بين الزعقة ورَّغ، ونهاية الحد الغربي صحراء بلاد الحبشة على ما تقدم في التحديد، والأمر في ذلك قريب .

وخالف في ذلك القضاعي فجعل ابتداء الحد الشمال من العريش، وليس فيه بُعدٌ عن رَّغ بل في الآثار ما يدل عليه . كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .
• وجعل الحد الجنوبي يقطع بحر القلزم وينتهي إلى ساحل الهجاز بالجواراء، أحد منازل طريق الهجاز من مصر، والحد الشرقي يمتد على ساحل البحر الشرقي إلى مدائن، إلى أيلة، إلى تيه بنى إسرائيل، إلى العريش . فادخل بحر القلزم من حد الجوزاء إلى نهايته في الشمال، وما على ساحله من بر الهجاز مما يسامت العريش كأيلة ومدائن ونحوها في أرض مصر .

قلت : وفيه نظر، والظاهر ما تقدم لأن البر الشرقي من القلزم معدود من ساحل الهجاز من جملة جزيرة العرب، وهي ناحية على أنفرادها، وكان الذي حمل القضاعي على ذلك مسامحة هذا الساحل لحدتها بساحل البحر الرومي على ما تقدم .
وأعلم أن جميع المحدثين لها وإن اختلفت عباراتهم في ابتداء الحد الشمال الفاصل بينها وبين الشام، هل هو من العريش أو من رَّغ، أو بين الزعقة ورَّغ ؟ متفقون على أن ابتداء الحد حيث الشجرتان، وكأنهما شجرتان قديمتان حدد في الأصل بهما .

قال في "التعريف" : وما إخال الآن بقاء الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التي نعلق فيها العوام الخرق، ويقولون هذه مفاتيح الرمل عند الكُتُب المحببة عن البحر الرومي قريباً من الزعقة .

قال : فأما الأشجار التي بالمكان المعروف الآن بالخروبة،^(١) ويعرف قديماً بالعش، فهي وإن عظمت محدثة من زمن من حدد الأقاليم، وليست في موضع ما ذكره .

(١) كما في الضوء والتعريف . وفي الأصل : « بالسردية » .

ثم لها طول وعرض، فطولها ما بين جهتي الشمال والجنوب، وعرضها ما بين جهتي المشرق والمغرب . وقد قيل : إن طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة شهر . وذكر القضاعي أن ما بين العريش إلى بركة أربعون ليلة .

المقصود العاشر

- في ابتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفرع الأقاليم التي حولها عنها
أما ابتداء عمارتها — فقد ذكر المؤرخون أنها بُنيت مرتين :
المرّة الأولى — قبل الطوفان، وأول من عمّرها قبل الطوفان نراقوس بن
مصرم بن راجيل بن رزائيل بن غرياب بن آدم عليه السلام، نزلها في سبعين رجلا
من بني غرياب جبابرة، فعمّروها . وهو الذي هتدس نيلها وحفره حتى أجراه، ووجهه
إلى البرية جماعة هندسوه وأصلحوه، وبني المدين وأثار المعادن، وعمل الطلسمات .
المرّة الثانية — بعد الطوفان، وأول من عمّرها بعد الطوفان مصر بن بيسر بن
حام بن نوح عليه السلام، قدم إليها هو وأبوه بيسر في ثلاثين رجلا من قومه حين
قسم نوح الأرض بين بنيه، فزلوا بسفح المقطم، وتقرّوا فيه منازل كبيرة نزلوا بها
ثم أبطنوا مدينة منف وسكنوها على ما يأتي ذكره في الكلام على قواعد مصر القديمة
إن شاء الله تعالى .

قال ابن طيعة : وكانت نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يسكنه الله تعالى
الأرض الطيبة المباركة التي هي أمن البلاد وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار،
ويميل له فيها أفضل البركات، ويسخر له الأرض ولولده ويذلّها لهم، ويقومهم
عليها . فسأله عنها فوصفها له، وأخبره بها .

- ٢٠ (١) لم يتفق الكتب على هذه الأسماء، بل كل كتاب يخالف الآخر فذلك لم نزل عليها وأقصرتا على ما في نسختنا الخطية .

وأما تسميتها مصر — فقول : إن تقرأوس بن مصرم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سماها بأسم أبيه مصرم تبركا، وإن مصر بن بيسر إنما سمي بأسمه، وأكثر المؤرخين على أنها سميت بمصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام. وعلى الوجهين تكون مأمّا منقولا عن أسم رجل .

وقال الجاحظ في رسالة له في مدح مصر : إنما سميت مصر ^(١) بمصر لمصير الناس إليها .

قلت : ويجوز أن تكون سميت مصر لكونها حدا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصرف أصل لغة العرب أسم للحد بين الأرضين كما قاله القضاعي . ومنه قول أهل حجر : أشرت الدار بمصورها، أي بمحدودها . قال القضاعي : وكيف ما ... أما إن أريد بالمصر البلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع على أمصار .

وأما قفر الأقاليم التي حولها عنها — فمن ابن خزيمة أنه لما استقر مصر ابن بيسر بهذه البلاد هو وأبوه بيسر وإخوته : فاروق، وماسح، ويح وكثر أولادهم، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرنا وأفضلنا، وأن هذه الأرض أسكنك إياها جدك نوح، ونحن نضيق عليك أرضك، ونحن نطلب إليك بالبركة التي جعلك فيها جدك نوح أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها، وتكون لنا ولأولادنا، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلى، لا تباعدوا مني، فإن لي في بلادى هذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسي، وتكون لي ولولدى وأولادهم . فجاز مصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أسوان طولا، ومن برقّة إلى أيلة عرضا . وحاز فاروق لنفسه ما بين برقّة إلى إفريقية، فكان ولده الأفارقة، وبذلك سميت إفريقية، وذلك مسيرة شهر . وحاز ماسح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر إلى الجزيرة، مسيرة

(١) الزيادة من خطط المقرئ (ج ١ ص ٢٢ طبع بلاق) .

(٢) كذا في الأصل بدون بياض، وهو غير مستقيم، ولعله : وكيفما كان فإنها لا تنصرف، أما إن انسخ

شهر، وهو أبو تَبَطّ الشام ، وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسية شهر، فهو أبو تَبَطّ العراق .

وقد قال الفضاعي بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربى فهو من فتوح أهل مصر وثغورهم من بركة إلى الأندلس .

- قلت : وذلك أن المسلمين بعد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفريقية ففتحتها ، ثم توجهت طائفة من إفريقية إلى الأندلس ففتحت على ما سبأى ذكره فى الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

فى ذكر قواعدها القديمة ، والمباني العظيمة الباقية على مزارع الأزمان ،

- والمقاصد المستقرة ، وما فيها من الأبهة الحسنة
وقواعدها القديمة على ضريين :

الضرب الأول

ما قبل الطوفان

والمعروف لما إذ ذاك قاعدتان :

- القاعدة الأولى — مدينة "أمسوس" وهى أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل الطوفان ، بناها قراووس بن مصرم بن براجيل بن رزائيل بن غراباب بن آدم عليه السلام ، أول ملوك مصر قبل الطوفان ، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومى كما ذكره بعض المؤرخين ، وشق لما نهرا يتصل بها من النيل .
- القاعدة الثانية — مدينة "برسان" وهى مدينة بناها قراووس المتقدم ذكره لابنه مصرام وأسكنه فيها ، ولم أقف على مكانها .

الضرب الثاني

قواعدها فيما بعد الطوفان

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى — مدينة "منف" قال في "تقويم البلدان" : (بكسر الميم
وسكون النون وفاء في الآخر) والجاري على الألسنة منف (بفتح الميم) وموقعها
في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها
ثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان، بناها
مصر بن بمصر بن حلم بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال في "الروض المطار" : وأصلها بالسرمانية مائه، ومعناها بالعربية ثلاثون؛
وذلك أن مصر حين نزلها كان في ثلاثين رجلا من أهل بيته، فسمّاها بعددهم .

قال ابن الأنباري في كتابه "الزاهر" : وهي على اثني عشر ميلا من القسطنطين .

قلت : ومنف هذه في جنوبي القسطنطين على القنرب من البلدة المعروفة
بالبدريشين من حمل الحيزة، وهي المعروفة بمصر القديمة، وقد تحريت وصارت كيانا،
وبها آثار بليان من الحجر الكائن يوجد تحت الردم، على القرب من أجمار الأهرام
في العظمة والمقدار، وبوسطها آثار برتبة عظيمة، بها صلمان عظيمان من حجر صوان
أبيض، طول كل صمن منها نحو عشرين ذراعا، وهما مطروحان على الأرض،
وقد غطى الطين أسفلهما .

وكان على القرب منها بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة؛ جوانبه الأربعة
وأرضه وسقفه، ولم يزل على ذلك إلى الدولة الناصرية بحسن بن الناصر محمد بن

فلاون، بأمراد الأمير شيخو أتابك المسا كرقله إلى القاهرة صحبها فوعلج فأنكر
فامر بأن تحت منه أعتاب فتحت وجعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصلية
الجامع الطولوني؛ وشرق هذه المدينة معالم سور مبنى بالجمر الكدّان النجيت فصوصا
صفارا بالطين والجير الذى قد علمت، لونه لون الجمر. ويقال: إنه سور الأهرام
التي بناها يوسف عليه السلام لأدخار الحنطة فى سنبها.

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السبيل الذى أخبر به يوسف
عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن. وأنه فى المقدار فوق مقدار الحنطة
المتعارفة بقليل.

- وفى شمال هذه المدينة بلدة صغيرة تعرف بالمززية، يقال إنها كانت منزلة
العزير وزير الملك، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزيغا، وفى غربها إلى
الشمال فى سفح جبل مصر الغربى يجن يوسف عليه السلام، وإلى جانبه مسجد
موسى عليه السلام، وعلى القرب من السور المقدم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام.
ويقال: إن النيل كان تحت هذا السور، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن.



- ١٥ القاعدة الثانية — مدينة "الإسكندرية" نسبة إلى الإسكندر بن فيليبس
المقدونى ملك اليونان المقدم ذكره.

- وقد ذكر القضاى: أنه كان بها عدة عجائب، من أعجبها المنارة، وهى منارة
مبينة بالجمر والرصاص ارتفاعها فى الهواء ثلثائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار، وقيل
أربعمائة ذراع، وقيل مائة وثمانون ذراعا، وقيل بالجمر لقلبة الجير فيه. وعلى رأسها
مرآة من أخلاط يرى فيها من حضر إليها على بُعد، وتمتدى بها المراكب السائرة
إلى الإسكندرية إذ برها منخفض لا جبال فيها، تمرق بشعاعها ما أرادوا إحرافه
من المراكب الواصلة، أحتال عليها النصارى فى أوائل الإسلام فى خلافة الوليد

(١) لعله وقيل بالجبرأى هى مبنية بالجمر والرصاص وقيل بالجبر الخ تأمل.

أبن عبد الملك الأموى فكسروها، وتداعى هدم المنارة شيئا فشيئا إلى أوساط المائة الثامنة فاستوصلت وبقي أثرها .

(ومنها) المَلْعَبُ الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع فى فجير أحد إلا ملك مصر ، وإن حضر فيه ألف ألف من الناس كان كل منهم ناظرا فى وجه صاحبه ، وإن قرئ كتاب ، سمعوه جميعا ، أو أتى بنوع من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلية .

وكان من غريب هذا المَلْعَب أن عمرو بن العاص رضى الله عنه حضر فيه فى الجاهلية فى يوم لَمِيع الكُرّة فوقعت الكُرّة فى حجره ، وهم لا يعرفونه ، فتعجب القوم منه وقالوا : ما رأينا هذه الكُرّة كذبت قط إلا هذه المرة ، فأفق أن ملكها فى الإسلام . (وعمود السوارى) الذى يظاهر الإسكندرية الآن أحد عمود هذا الملعب، وهو عمود عظيم يرى الرجل القوى السهم عن قوس قوى فلا يبلغ رأسه . (ومنها) عمودا الإعياء، وهما عمودان ملقيان وراء كل منهما جبل حصائره كصبر الجمار بنى يُقِيل النوى بسبع حصيات حتى يسقط على أحدهما، ثم يرى وراءه بالسبع ويقوم ولا يلتفت، ويمضى لطيفته فلا يحس بشئ من تعب .

(ومنها) القبة الخضراء، وهى قبة ملبسة تحاسا كأنه ذهب إبريز لا يُبلبه القدم ولا تُخلقه الدهور .

(ومنها) المِسْتَان، وهما جبلان قائمان على سَرَطانات نحاس فى أركانها كل ركن على سرطان، فلو أراد مرید أن يدخل تحتها شيئا إلى الجانب الآخر لفل .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وهاتان المِسْتَان إحداهما فى الركن الشرق من البلد ، والثانية ببعض البلد، وهما عمودان مُرَبَّعَان من حجر أحمر، وعرض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شبرا، طول كل واحدة منهما خمس قانات، وأعلاهما مُسْتَدِقٌّ، وعرض قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شبرا .

(١) لله هكلان ، أو بئان . (٢) يظهر أنه مكرر مع المذكور فى السطر قبله .

ويقال : إن عليهما مكتوب بالسريانية : "أنا يعمّر بن شداد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادي ومقدام بن يعمّر بن أبي رغال التهودي إلى جبل بريم الأحمر، فأقتطعوا منه حجّرين وحملهما على أعناقهما، فأتكسرت ضلع البتون، فوددت أن أهل مملكتي كانوا فداء له، فأفامهما القطن بن حازم المؤنفي في يوم السعادة".

وقد قيل فيها : إنها إرم ذات العماد، ولم تزل عاصرة إلى الفتح الإسلامي، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

"أما بعد . فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها، غير أني أصبت فيها أربعة آلاف يتيمة، وأربعة آلاف سحّام، وأربعون ألف يهودي عليهم الجزية، وأربعمائة مئله للولك". ويقال : إنه وجد فيها أربعة آلاف بقال يبيعون البقل، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوة لحقوا بأرض الروم في المراكب، وكان من بقي ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

قلت : وقد ذهب جلّ ذلك وزال أكثره، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا عمود السّواري، وهو عمود عظيم من حجر صوّان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير في الدنيا، ويقال : إنه كان قبلها مدينة في مكانها تسمى رقودة^(٢) بناها مصر بن بيسر بن حام ابن نوح المتقدم ذكره حين بنى مدينة منف، وعلى منوالها نسج الإسكندر مدينته .



القاعدة الثالثة — "قصر الشّمع" الذي هو داخل مدينة القسطنطين الآن، وهو المعبر عنه في كتب الفتوح بالحصن، بناه كسرجوس الفارسي أحد نواب ملك الفرس عند أسبلائهم على مصر بعد غلبة بُحْت نصر الآتي ذكره في الكلام على ملوكها .

(١) في بإقوت : قلن بن جواد . (٢) كذا في المقرئ (ج ١ ص ١٤٥) ونهاية الأرب

لنوبري (ج ١٢ من النسخة الفلورنسية) وفي الأصل « وقوره » .

قال للفضاعي : ولم يكله وإنما كله الروم بعد ذلك... التي فتحت مصر
وهي مقرة الملوك بها . وقد قيل : إن الموقوس كان يقم بالإسكندرية أربعة
أشهر من السنة ، ومدينة منف أربعة أشهر ، وبصر الشمع أربعة أشهر ،
وأعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقرات أخرى عظام كانت قواعد لبعض
ملوكها في بعض الأزمان ، ومدن دون ذلك يأتي الكلام على جميعها بعد ذكر الكوز
القديمة والأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .



وأما المباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان -- فأعلم أن ملوك مصر
القدماء كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم ، وكانوا يفتخرون بذلك لإخباره على
طول الزمن بعظمة ملكهم وأقدارهم على ما لم يبلغه غيرهم . ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام)
وهي قبور أخذوها في غاية الوثاقة حفظاً لأجسامهم ، وكان لهم بها العناية التامة ،
وأبتنوا منها عدة بالجبل الغربي من النيل ، بعضها مقابل القسطنطينية ، وبعضها ببوصير
السدر وسقارة ودهشور من الأعمال الخيرية ، وبعضها يمسدوم من البهساوية ،
وأعظمها خطراً وأجلها قدراً الهرمان المقابلان للقسطنطينية ، يقال إن طول هرود
كل هرم منهما ثمانية وسبعة عشر ذراعا ، تحيط بها أربعة سطوح متساوية
الأضلاع ، طول كل ضلع منها أربع مائة وستون ذراعا .

قال أبو الصلت : ليس على وجه الأرض بناء باليد مجر على حجر بهذا المقدار .
ويقال : إن لما أبوايا في أريج في الأرض طول كل درج مائة وخمسون ذراعا ،
وباب الحرم الشرقي من الجهة البحرية ، وباب الحرم الغربي من الناحية الغربية .

(١) عبارة المقرئ في خطه (ج ١ ص ٢٨٧) : « وقال الفضاعي : ذكر الحصن المعروف بقصر
الشمع ، يقال : إن فارس لما ظهرت على الروم وملك عليهم الشام وملك مصر بدأت ببناء هذا القصر
وبنت فيه هيكلا لبيت النار لم يتم بناؤه على أيديهم بل أن ظهرت الروم عليهم قسمت بناؤه وحصلته ولم
تزل فيه إلى حين الفتح » وعلمها بياض بالأصل .

والصابئة تحج هذين الهرمين ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليه السلام ،
والآخر قبر ابنه صابئ الذى إليه ينتسبون .

- وقد اختلف فى بانيها فأكثر المؤرخين على أنف بانيها سوريد بن مهلق أحد
ملوك مصر قبل الطوفان ، الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها فيما بعد إن شاء الله
تعالى ، جعلها قبورا لأجسادهم ، وكنوزا لأموالهم ، حين أخبره متجموه وكهنته بما
• دهم عليه الرصد النجومى من حدوث حادثة تعم الأرض ، ورجحه محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم وقال : لو بُنيت الأهرام بعد الطوفان ، لكان صليها عند الناس .
وذكر ابن عثير عن أشياءه أن بانيها جئاد بن مباد بن شمير شداد بن عاد بن
عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون : إن
الذى بناها شداد بن عاد . وذهب المسعودى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام .
• وقال ابن شبرمة : بنتها الهالقة حين ملكوا مصر . وبالجملة فهما من أعظم الآثار
وأقدمها وأجل المباني وأدومها ، والله القائل :

أَنْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا * مَا يَرْوِيَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَائِبِ
لَوْ يَنْطَلِقَانِ ، تَلَسَّرَانَا بِالَّذِى * صَنَعَ الزَّمَانُ بِأَوَّلِ وَأَخْرِ

- وكيف كان فآلها إلى الخراب ، شأن الدنيا ومبانيها .

- وقد كان المأمون ، أحد خلفاء بنى العباس ، حين دخل إلى مصر فى سنة
ست عشرة ومائتين قصد هدمها فلم يقدر ، فأعمل الحيلة فى فتح طاقة فى أحدهما
يتوصل منها إلى مزلقان ، يصعد فى أهله إلى قاعة بأعلى الهرم ، بها فلوس من
حجر ، ويترل فى أسفله إلى بر تحت الأرض لم يعلم ما فيها . ويقال : إنه وجد

- (١) الثابت الآن تاريخيا بعد الاستكشافات وقراءة الحروف الهيروغليفية أن باني الهرم الكبير الملك
• خوفو ، وباني الهرم الثانى الملك خفرع ، وباني الهرم الثالث الملك منقرع . واستكشف السلام الأثرى
الجليل الأستاذ سليم حسن بك فى هذه الأيام هرما وأبعا بجوارها .

في أعلاه مالا فأعتبره فإذا هو قدر المال الذي صرفه من غير زيادة ولا نقص؛ وقد أخذ الآن في قطع مجارتهما الظاهرة لاكتخاذ البلاط منها . فإن طال الزمان يوشك أن يخرجا كغيرهما من المباني .

ولله المتلئ حيث يقول :

أَبْنِ الذِي الْحَرَمَيْنِ مِنْ بَنَائِنِهِ ؟ * مَا قَوْمُهُ؟ مَا يَوْمُهُ؟ مَا الْمَصْرَعُ؟
تَخْلُفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا * دَهْرًا، وَيُذِرُكُمَا الْفَنَاءُ تَنْتَبِهُ!

قال إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب "العجائب" : وقد قيل إن هوجيب أحد ملوك مصر قبل الطوفان أيضا بنى الحرم الكبير الذي يدهشون ، والثاني بناه قنطيريم ، بن قنط ، بن قطيم ، بن مصر ، بن بصر ، بن حام ، بن نوح عليه السلام بعد الطوفان .

قال القاضي : أما الحرم الذي يدير أبي هيرميس ، وهو الحرم المنقوج ، يعني الذي شامئ الأهرام دهشور ، فإنه قبر فرماس ، وهو فارس أهل مصر ، كان بعد فيهم بألف فارس ، فلما مات جزع عليه ملكه وبنى له هذا الحرم فدفعته فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الحرم الكبير من الأهرام التي غربي دير أبي هيرميس ، وعلى بابها لوح من الحجر الكتان طوله ذراع في ذراع مكتوب بالخط البراوي .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حكنهم (البآبي) وهي بيوت عبادة كانت لهم ، زبروا فيها حكنهم ، ورقوا تواريج ملوكهم ، وصوروا فيها صور الأمم التي حولهم . فبقي قصدتهم أمة من الأمم ، أوقعوا بصورهم المصورة من النكال ما أرادوا ، فيصيب تلك الأمة على البعد ما أوقعوه بتلك الصور ، إلى غير ذلك من الحكن التي أودعوها والطلسمات التي وضعوها بجدرانها .

(١) لا يزال إلى الآن (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) وتقوم الحكومة بالمحافظة عليهما وعلى جميع الآثار بالهبار المصرية ، ويعتبران من مقاصد مصر الخالدة . (٢) هو المعروف الآن بالخط الهريرغلي .

ويقال : إن أول من بنى البرابي بمصر دُلُوكَة العجوز ، التي ملكت مصر بعد
فرعون لعنه الله ! .

- قال في "مسالك الأبصار" : وقد أخبرني الحكيم شمس الدين محمد بن سعد
الدمشقي أنه رآها وتاملها ، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفلك ، وأن الذي
ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عليها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دورته ،
وهو ثلاثون ألف سنة ، لأن مثل هذه الأعمال لا تُعمل إلا بالآرصاد ولا يكمل
رصد المجموع في أقل من هذه المدة .

قلت : ويحوز أن يكون الرصد حصل على الوجه المذكور ، وزُرَّ ودُيِّمَ
في الكتُب ، فلما بنى الثاني هذه البرابي ، نقل منها ما زُرَّ في الكتب من ذلك
الزمن المتقدم .

١٠

وأعلم أن أكثر البرابي بالوجه القبلي من الديار المصرية ، وبالوجه البحري
القليل منها ، وقد استولى الخراب على جميعها ، وذهبت معالمها ولم يبق إلا آثارها ،
والذي وقفت عليه في التواريخ ، ووقفت على آثار غلبه ورسومه سبع برآب ؛
(منها) بربا سَمْنُودَ ، كانت بظاهر سَمْنُود من الأعمال الغربية بالوجه البحري .

١١

قال الكندي : رأيتها وقد نَحَرَتْ فيها بعضُ عَمَلِهَا قَرَضًا فرأيت الجمل إذا دنا
من بابها بجمله وأراد أن يدخلها ، سقط كل ديب في القِرْط فلا يدخل منها شيء
إلى البربا .

قال القضاعي : ثم خربت عند الخمسين وثلاثمائة .

- (ومنها) بربا مُمَيَّ بِالْمُرْتاحية من الوجه البحري على القُرب من مدينة مُمَيَّ
الخراب ، وعامة أهل تلك الناحية يقولون بربا عاد ، وهي باقية بمجْدَرانها ، وسفوفُها

١٢

من أعظم الحجارة العظيمة، إلى الآن باقية، وبأعلى بابها قطعة مبنية بالطوب الآجر والحصى، وداخلها أحواض عظيمة من الصوان غريبة الشأن .

(ومنها) بربا إنعيم، وهى بربا بظاهر مدينة إنعيم من الوجه القبلى، كانت من أعظم البرابى وأحسنها صنعة وأكبرها حكمة، ولم تزل طامرة إلى أوساط المائة الثامنة، فأخذ فى هدمها والعمارة بأجبارها خطيب إنعيم، ولم يبق إلا آثارها، وبعض جذرانها قائمة إلا الآن .

(ومنها) بربا دندرة من الأعمال القوصة .

قال القضاعى : وهى بربا عجبية فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس فى كل يوم فى كوة منها، ثم تكثر راجعة إلى الموضع الذى بدأت منه، وهى الآن خراب لم يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأقصر : وكانت بربا عظيمة فهُدمت أيضا، ولم يبق منها إلا آثارها .

ومن بقايا الآثار بها صحن عظيم من حجر صوان أملس، قائم على باب ضريح الشيخ أبى الجحاج الأقصرى على حاله إلى الآن، ومر عليه زمن الشيخ وهو على ذلك، ولعله إنما أراد ببقائه التنبيه على ضعف عقول عبدة الأصنام لكونهم يبدون حجرا مثل هذا .

(ومنها) بربا أرمنت، وهى بربا صغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عمدة صوان قائمة من غير شئ محمول عليها .

(ومنها) بربا إسناء وهى متوسطة القدر بين الكبر والصغر، وقد بقي منها قطعة جيدة سعلت شونة للفلال، وأهل إسناء يذكرون أن الفار لا يدخلها، وإن دخلها مات .

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مِسْلَتَانِ بعين شمس على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة من حجر صَوَانٍ أحمر محدَّتا الرأسين. ذكر القضاعى : أن الشمس تطلعُ على الجنوبية منهما في أقصر يوم في السنة، وعلى الشمالية في أطول يوم في السنة، وترتدُّ فيما بينهما في بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صُومعتان من نحاس، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطر الماء من أعلاهما إلى أسفلهما ؛ فنبئت حولها العَوَجُجُ، وما في معناه من الحشيش.

ومن العجائب حائطُ المعجوز، وهو حائط من لبن، بنتها دُلُوكَة ملكة مصر بعد فرعون، من العريش إلى أسوان، دائرة على أراضى مصر من شرقها وغربها في حِطِّ جليها، وجعلت بين كل ثلاثة أميال حُرْسًا، وشقَّت خليجًا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرق والجانب الغربى .

المقصد الثانى عشر

في ذكر قواعد المستقرة

وهى ثلاث قواعد، قد تقاربت وأختلطت حتى صارت كالقاعدة الواحدة .

القاعدة الأولى

مدينة القُسطَاط

(بقاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية فى الآخر) . ويقال فيه قُسطَاط بإبدال الطاء الأولى تاء وقُسطَاط . قال الجوهري : وكسر الفاء لغة فيهن ؛ وهى المدينة المعروفة بين العامة بمصر وأسمها القديم باب أَلْيُون^(١) .

قال أبو السعادات بن الأثير فى نهايته : (بفتح الهزرة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر) .

(١) روى بالقرت : « بالجرن » الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى البرز .

قال القضاى : وهو اسمها بلغة الروم والسودان ، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق بباب أليون ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

وقال فى "القانون" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخميس وخمسون دقيقة .

وقال ابن سعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخميس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .
والذى عليه عمل أهل زماننا فى وضع الآلات وغيرها طول خميس وخمسين درجة ، وعرض ثلاثين .

واختلف فى سبب تسميتها بالفسطاط ، فقال ابن قتيبة : إن كل مدينة تسمى فسطاطاً ، ولذلك سميت مصر الفسطاط .

وقال الزحشرى : الفسطاط اسم لضرب من الأبنية ، فى القدر دون المرادق والذى عليه الجمهور أنه يسمى بذلك لمكان فسطاط عمرو بن العاص رضى الله

عنه رضى خيمته ، وذلك أن عمرو لما فتح الحصن المعروف بقصر الشمع فى سنة

إحدى وعشرين من الهجرة وأستولى عليه ضرب فسطاطه على القرب منه ، فلما

قصده التوجه الى الإسكندرية لفتحها ، أمر بترق فسطاطه للرحيل ، فإذا بجأه قد

أفرغ فيه فقال : لقد تحزمت بنا بحرم ، وأمر بإفراق الفسطاط مكانه ، وأوصى على

الجأه ، وسار الى الإسكندرية ففتحها ، ثم عاد الى فسطاطه ونزل به ونزل الناس

حواله ، وأبقى داره الصغرى التى هى على القرب من الجامع العتيق مكان فسطاطه

وأخذ الناس فى الاختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والاختطاط ، فولئى عمرو

على الخطط معاوية بن حُذَيْفِ التَّجِيبِيَّ، وشريك بن سُمَيِّ الغُطَيْفِيَّ، وعمرو بن حَزَمٍ الخَوْلَانِيَّ، وحبوب بن ناشرة المَعَارِي، ففصلوا بين القبائل وأنزلوا الناس منازلهم، فأخططوا الخطط وبنوا الدور والمساجد، وعُرفت كل خطة بالقبيلة أو الجماعة التي أخططتها أو بصاحبها الذي أخططها .

فأما الخطط والآدُر التي عُرفت بالقبائل والجماعات :

- (فنها) خِطَّةُ أَهْلِ الرَّايَةِ، وهم جماعة من قُرَيْشٍ، والأنصار، ونُزَاعَةَ، وأَسْلَمَ، وَغِفَارٍ، وَمُرَيْنَةَ، وَأَصْبَحَ، وَجُهَيْنَةَ، وَتَقِيفَ، وَدَوْسَ، وَعَبْسَ بن بَيْضَ، وَجُرَاشَ بن بَنِي كِنَانَةَ، وَلَيْثَ بن بَكْرٍ، لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلى أحد، وقال : يكون وقوفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها فيُعرفوا بأهل الراية، وأنفردوا بخطة وحدهم، وخططتهم من أعظم الخطط وأوسعها .

(ومنها) خِطَّةُ مَهْرَةَ، وهم بنو مَهْرَةَ بن حِيدَانَ بن عمرو بن الحَفَافِ بن قُضَاعَةَ ابن مالك بن حِمْيَرَ، من قبائل اليمن .

- (ومنها) خِطَّةُ ثُجَيْبٍ، وهم بنو عَدِيٍّ وسعد أبي الأشتر بن شَيْبٍ بن السَّكَنِ بن الأشتر بن كِنْدَةَ، وَثُجَيْبُ أَسَمٍ أمهما عرفت القبيلة بها .

(ومنها) يخطط نخم، وهي ثلاث : الأولى، بنو نخم بن عَدِيٍّ بن مُرَّة بن أَدَةَ، وَمَنْ خالطهم من جُدَامَ . والثانية، بنو عبد ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل ابن راشدة بن نخم . والثالثة، بنو راشدة بن أَدَبٍ بن جَزِيلَةَ بن نخم .

(ومنها) يخطط اللقيف، وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الرُّومِ

- حين بلغ عمرو قسودهم الإسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو، وقد

(١) كذا في ابن دقاق أيضا ويقع في المزيدي : " بنورية " وهو تصحيف .

(٢) في خطط المزيدي وابن دقاق : " فقال لهم عمرو بن جالة " .

استنكروهم : إنكم لكما قال الله : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَتِيفًا) فسمعوا اللئيف من يومئذ .

(ومنها) يخطط أهل الظاهر، وهم جماعة من القبائل قفلوا من الإسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم، فتحاكوا إلى معاوية ابن حذغ الذي جمعه عمرو على الخطط، فقال لهم : إني أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل، فسميت منازلهم الظاهر .

(ومنها) يخطط غافق، وهم بنو غافق بن الحارث بن حك بن عذنان بن عبد الله بن الأزدي .

(ومنها) يخطط الصييف (يفتح الصاد وكسر الدال المهملتين) . وهم بنو مالك ابن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير من قبائل اليمن، وقيل بنو مالك بن مرقع ابن كندة، سمي الصييف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيبل العريم .

(ومنها) يخطط خولان، وهم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن زيد بن حبيب .

(ومنها) يخطط الفارسيين، وهم بقايا جند باذان، عامل كسرى ملك الفرس على اليمن .

(ومنها) يخطط مدحج، وهم بنو مالك بن مرة بن أد بن زيد بن كهلان بن عبد الله .

(ومنها) خطة يحصب، وهم بنو يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث بن حمير .

(ومنها) خطة رعين، وهم بنو رعين بن زيد بن سهل بن يعفر بن مرة بن أد .

(ومنها) خطة بنى الكلاع، وهو الكلاع بن شرحبيل بن سعد بن حمير .

(ومنها) خطة المعافر، وهم بنو المعافر بن يعفر بن مرة بن أد .

(ومنها) يخطط سبأ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سبأ .

(ومنها) خطة بنى وائل، وهو وائل بن زيد مناة بن أفعى بن إلياس بن حرام

ابن جذام بن عدى .

(ومنها) خِطَّة الْقَبْض ، وهم بنو الْقَبْض بن مَرْثِد .

(ومنها) يَخْطَطُ الْحَمْرَاوَات ، وهى ثلاث ، سميت بذلك لتزول الروم بها ، وهم حمراء الألوان :

الأولى - الحمراء الدنيا ، وبها خطَّة بِلّ ، وهم بنو بِلّ بن عمرو بن الحُطَّاف بن قُضَاعَةَ إلا من كان منهم فى أهل الرّاية ؛ وخِطَّةُ نَزَاد من الأزد ؛ وخِطَّةُ نَهْم ، وهم بنو نَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلَانَ ، وخِطَّةُ بَنى بجر بن سَوَادَةَ من الأزد .

الثانية - الحمراء الوسطى ، وبها خطَّة بَنى نِسَه ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ؛ وخِطَّةُ هُذَيْل ، وهم بنو هُذَيْل بن مُدْرِكَةَ بن إِبْرَاهِيم بن مُضَرَ ، وخِطَّةُ بَنى سَلَامَانَ من الأزد .

الثالثة - الحمراء القصوى ، وهى خطَّة بَنى الأَزْدَق من الروم ، وحضر الفتح ١٠ منهم أربعمائة رجل ؛ وخِطَّةُ بَنى يَسْكُرَ بن جَزِيلَةَ من نَعْم ، وإليهم ينسب جبل يَسْكُرَ الذى بُني عليه جامع أحمد بن طولون الذى ذكره مع جوامع القُطَطَاطِ إن شاء الله تعالى .
(ومنها) يَخْطَطُ حَضْرَمَوْت ، وهم بنو حَضْرَمَوْت بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جَعْفَر ، إلى غير ذلك من الخطاط التى دَرَسَتْ قبل الاهتمام بالتأليف فى الحِطَاطِ .

+

١٥ وأعلم أنه كان فى خلال هذه الخطَطُ دُور جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم ممن حضر الفتح .

(منها) دار عمرو بن العاص ، ودار الزبير بن العوام ، ودار قيس بن سعد بن عُبَاد الأنصارى ، ودار مَسْمَعَةَ بن مَحْلَد الأنصارى ، ودار عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِى ، ودار وهب بن عُثَيْر بن وَهَب بن خَلَف الجمحى ، ودار نافع بن عبد القيس بن لَيْقِط ٢٠ الفهري ، ودار سَعْد بن أبى وَقَاص ، ودار عُقْبَةَ بن حَاصِر الجُهَنى ، ودار القاسم

وعمره وأبى قيس بن عمرو، ودار عبد الله بن سعد بن أبي سرج العامري، ودار
 مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حرام البلوي، ودار المستورد بن شداد الفهري،
 ودار حبي بن حرام اللبي، (وفي صحبته خلاف)، ودار الحارث بن مالك اللبي
 المعروف بابن البرصاء، ودار بشر بن أوطاة العامري، ودار أبي ثعلبة الخشني، ودار
 إلياس بن البكير اللبي، ودار معمر بن عبد الله بن فضلة القرشي العدوي، ودار
 أبي المرداء الأنصاري، ودار يعقوب القبطي رسول الموقيس إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم مع مارية: أم ولده إبراهيم وأختها شيرين، ودار مهاجر مولى أم سلمة
 زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ودار عتبة بن زيد الأنصاري، ودار محمد بن مسلمة
 الأنصاري، ودار أبي الأسود مسروح بن سندر الحضي، ودار عبد الله بن عمر
 ابن الخطاب، ودار خارجة بن حذافة بن غانم العدوي، ودار عتبة بن الحارث،
 ودار عبد الله بن حذافة السهمي، ودار بحية بن جزة الزبيدي، ودار المطلب بن
 أبي وداعة السهمي، ودار هيب بن معقل الغفاري، وبه يعرف وادي هيب
 بالقرب من الإسكندرية، ودار عبد الله بن السائب المخزومي، ودار جبر القبطي
 رسول الموقيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودار يزيد بن زياد الأسلمي،
 ودار عبد الله بن ريان الأسلمي، (وفي صحبته خلاف)، ودار أبي عميرة رشيد بن
 مالك المزني، ودار سباع بن عرفة الغفاري، ودار فضلة بن الحارث الغفاري،
 ودار الحارث بن أسد الخزاعي (وفي صحبته خلاف)، ودار عبد الله بن هشام بن
 زهرة من ولد تميم بن مرة، ودار خارجة بن حذافة بن غانم العدوي، وهو أول
 من أبقى غرفة بالفسطاط، فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أمرها
 فكتب إلى عمرو بن العاص: أن أدخل غرفة خارجة وأنصب فيها سريرا، وأقم عليه
 رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، فإن أطلع من كواها فأهدمها، ففعل عمرو فلم

(١) كذا في الفرزي (ج ٢ ص ١٣٧) وهو مول زباج بن روح بن سلامة الجذامي، بكى
 أبا الأسود، له حبة، قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالوصاة فأقطع منة الأصم
 ابن عبد العزيز، وفي الأصل « مسروح بن سندر الحضي » (٢) تقدم قريبا فهو مكرر.

يبلغ الكوى فافتزها ، ودار محمد بن حاطب الجمحى ، ودار رفاة النوىسى ، ودار فضالة بن عبيد الأنصارى ، ودار المطلب بن أبى وداعة السهمى . إلى غير ذلك من الدور التى أغفلت ذكرها أصحاب الخطوط .

قلت : وكان أمراء مصر القائمون مقام ملوكها الآن ينزلون بالفسطاط ، ولم يكن لهم فى ابتداء الأمر مقررة معينة ، ولا دار للإمارة مخصوصة . فنزل عمرو بن العاص أول أمرائها بداره على القرب من الجامع ، ولم يزل كل أمير بعده ينزل بالدار التى يكون بها سكنه إلى آخر الدولة الأموية ، وكان عبد العزيز بن مروان ، وهو أمير مصر فى خلافة أخيه عبد الملك بن مروان قد بنى دارا عظيمة بالفسطاط سنة سبع وستين من الهجرة وسماها دار الذهب ، وجعل لها قبة مذهبة إذا طلعت عليها الشمس لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره ، وكانت تعرف بالمدينة لسعتها وعظمتها ، وكان عبد العزيز ينزلها ، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إلى مصر ، نزل هذه الدار فلما رجع القوم ، أمر بإحراقها ، فلامه فى ذلك بعض بنى عبد العزيز بن مروان فقال : إن أبى ، أنها لينة من ذهب ولينة من فضة ، وإلا فما تصاب به فى نفسك أعظم ، ولا يتمتع بها عدوك من بعدك . فلما غلب بنو العباس على بنى أمية وهرب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إلى الديار المصرية ، وتبعه على بن صالح بن على الهاشمى إلى أن أدركه بمصر وقتله واستقر أميرا على مصر فى خلافة السفاح أول خلفاء بنى العباس ، أبتنى دارا للإمارة ونزلها ، وصارت منزلة للأمراء بعده إلى أن ولي أحمد بن طولون الديار المصرية فقتل بها فى أول أمره ، ثم أخطأ بعد ذلك قصره المعروف بالميدان فيما بين قلعة الجبل الآن والمشهد النفيسى وما على ذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين ،

وكان له عدة أبواب : بعضها عند المشهد النبوي ، وبعضها عند جامعہ الآتي ذكره ،
وأختط الناس حوله ، وأقطع كل أحد قطعة أبني بها ، فكان يقال : قطعة
هارون بن ثمارويه ، وقطعة السودان ، وقطعة القراشين ، فعرف ذلك المكان
بالقطائع ، وتزايدت العمارة حتى اتصلت بالفسطاط ، وصار الكل يلدا واحدا ، ونزل
أحمد بن طولون بقصره المذكور ، وكذلك بنوه بعده ، وأهملت دار الإمارة التي
أبتناها على بن صالح بالفسطاط . واستقر الأمر على ذلك بعده أيام ابنه ثمارويه
وولديه جيش وهارون ، وزادت العمارة بالقطائع في أيامهما ، وكثرت الناس فيها
حتى قتل هارون بن ثمارويه بعد قتل أبيه وأخيه ، وسار محمد بن سليمان الكاتب
بالعساكر من العراق من قبل المستنفي بالله ، ووصل إلى مصر في سنة اثنتين
وقسمين ومائتين ، وقد ولي الطولونية عليهم ربيعة بن أحمد بن طولون ، فسلم البلد
منه ونزح القطائع وهدم القصر وقلع أساسه ، ونزح موضعه حتى لم يبق له أثر .
وكان بدر الخفيني غلام أحمد بن طولون قد بنى دارا عظيمة بالفسطاط عند
المصلى القديمة ، وقيل أشترها له أحمد بن طولون ، ثم يخط عليه أحمد فنيكه ،
وسكنها بعده طاهر بن ثمارويه ، ثم سكنها بعده الجمال غلام أحمد بن طولون .
فلما هدم محمد بن سليمان الكاتب قصر بني طولون بالقطائع ، سكن هذه الدار ،
ثم سكنها عيسى التوشري أمير مصر بعده ، واستقرت منزلة للأمرءاء إلى أن ولي
الإخشيد مصر فزاد فيها وعظمها ، وعمل لها ميّدانا وجعل له بابا من حديد ، وذلك
في سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، ولم تزل منزلة للأمرءاء إلى أن غلبت الخلفاء
الفاطميون الإخشيدية على مصر وبني القائد جوهر القاهرة والقصر ، فنقل باب
هذه الدار إلى القاهرة ، وصار القصر منزلة لهم على ما سيأتي ذكره في الكلام على
خطط القاهرة إن شاء الله تعالى .

- وصار القُسطَاطُ في كل وقت تزايد عمارته حتى صار في غاية العمارة ونهاية الحسن . به الأثر الأنيقة ، والمساجد القائمة ، والحمامات الباهية ، والقياسُ الزاهية ، والمستنزهات الرائقة ، ورحل الناس إليه من سائر الأقطار ، وقصدوه من جميع الجهات ، وغصَّ بسُكَّانِهِ ، وضاقَ فضاءُه الرحيب من قُطَّانِهِ . حتى حكى صاحب " إيقاظُ المتغفل " عن بعض سُكَّانِ القُسطَاطِ أنه دخل حمَّاماً من بناء الرُّومِ .
- في أيام تُحَارَوِيَه بن طولون في سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يجد فيها صانعا يتخدمه ، وكان فيها سبعون صانعا قَلَّ منهم من معه ثلاثة نفر يفسلهم ، وأنه دخل بعدها حمَّاماً ثم حمَّاماً فلم يجد من يتخدمه إلا في الحمام الرابعة ، وكان الذي خدمه معه ثان : وحكى في موضع آخر عن يثى به عن أبيه أنه شاهد من منسجد الزُكَّةِ
- بالقُسطَاطِ إلى جامع ابن طولون قسبة سوق متصلة ، فعذما بها من مقاعد الخِصص ١٠ المصلوق فكانت ثلثمائة وتسعين مقعداً غير الحوانيت وما بها .
- وحكى أيضاً عن أخيه أنه عدَّ الأسطال النحاس المؤبدة في البُكر للاستقاء الماء في الطاقات المِطْلَعة على النيل ، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة مقعد يُكْرَى عند البيارستان الطولوني بالقُسطَاطِ في كل يوم اثني عشر درهما .
- وذكر ابن حوقل أنه كان بالقُسطَاطِ في زمانه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز ١٠ بالموقف يُصَبُّ لمن فيها من السكان في كل يوم أربعائة راوية ماء ، وفيها خمسة مساجد ، وثمانان وقرنان .
- قلت : ولم يزل القُسطَاطُ زاهي البنيان ، باهي السُكَّانِ ، إلى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية ، وعمرت القاهرة على ما سيأتي ذكره فتقهقر حاله وتناقص ، وأخذ الناس في الانتقال عنه إلى القاهرة وما حولها ، فغلا من أكثر ٢٠
-
- (١) هذا الكتاب قاج الدين محمد عبد الوهاب المعروف بابن المتحج الزيري المتوفى سنة ٧٣٠ هـ ين فيه أحوال مصر وعطلها إلى سنة ٧٢٥ هـ (عن كشف الظنون) .
- (٢) الذي في الخط القريزي حين روى هذه الحكاية عن " إيقاظ المتغفل " أيضاً : " مسجد عبد الله " قلعه يسمى بذلك أيضاً . وفي ابن دقاق (ج ٥ ص ٤٢) : « مسجد الزُكَّة » .

سُكَّانَه ، ونتائج الخراب في بنيانه ، إلى أن غلب الفرنج على أطراف الديار المصرية في أيام الماضد ، آخر خلفاء الفاطميين ، ووزيره يومئذ شاور السعدى ، تخاف على القُسطاط أن يملكه الفرنج ويحصنوا به ، فأضرم في مساكنه النار فأحرقها فترأيد الخراب فيه وكثر الخلق .

ولم يزل الأمر على ذلك في تفهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس ، أحد ملوك التُرك بالديار المصرية ، فصرَف النَّاسَ همَّتهم إلى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنقضه بساحل النيل بالقُسطاط والقاهرة ، وتزايد الهدم فيه واستمر إلى الآن ، حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل ، وما جاوره إلى ما يلي الجامع العتيق وما داني ذلك ، ودرثت أكثر الخطط القديمة وعفا رسمها ، وأصَحَّحَ ما بقى منها وتغيرت معامله . وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشرىف القُسابَة ، عرفت ما كان القُسطاط عليه من المارة وما صار إليه الآن ، وإنما أجبنا ذكر بعض الخطط المتقدمة ، حفظا لأسمائها وتنبها على ما كانت عليه . إلا أن في ساحله المِطْلَ على النيل الآن وما جاور ذلك المباني الحسنَة ، والدور العظيمة ، والقصور العالية ، التي تبهج الناظر ، وتسر الخاطر .

وكان أكثر بنيانه بالأجر المحكوك والجبس والجسمر من أوثق بناء وأمكنه ، وآثاره الباقية تشهد له بذلك ، وقد صار ما خرب منه ودُثِّرَ كيانا كالجبال العظيمة ، وهجر غالبا وترك ، وسكن في بعضها رَعَّاعُ النَّاسِ ممن لا يعبأ به في جوانب منها لا تعد في العامر .

ومن كيانه المشهورة التي ذكرها القضاعى : كُوم الجارح ، وكوم دينار ، وكوم السمكة ، وكوم الزينة ، وكوم الترمس ، وزاد صاحب " إيقاظ المتفعل " كوم بنى وائل ، وكوم آبن غراب ، وكوم الشفاف ، وكوم المشايق .

ويقابل القُسطاط من الجهة البحرية جزيرة الصّناعة المعروفة الآن بالروضة ،
كانت صناعة العائر أولاً بها فنسبت إليها .

قال الكندي : وكان بناؤها في سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها أمم الروضة
لحسنها ونضارتها وإطافة الماء بها ، وما بها من البساتين والقصور ، وهي جزيرة
قديمة كانت موجودة في زمن الروم . وكان بها حصن عليه سور وأبراج ، وبين
القُسطاط وبينها جسر ممتد من المراكب على وجه النيل كما في جسر بغداد على الدجلة
ولم يزل قائماً إلى أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسراً من خشب تمر عليه المائة
وترجع ، وبعد خروج المأمون من مصر هبت ريح عاصفة في الليل فقطعت الجسر القديم ،
وصدمت بسفنه الجسر المحدث فذهبا جميعا ، ثم أعيد الجسر المحدث وبطل القديم .

وقد ذكر القضاى : أنه كان موجودا إلى زمنه ، وكان في الدولة الفاطمية ،
ثم حذره الحصن المذكور أحمد بن طولون أمير مصر في خلافة الممتد في سنة
ثلاث ومائتين ، ثم استهدم بعد ذلك بتأثير النيل في أبراجه ومرور الزمان عليه ،
ثم بنى الصالح نجم الدين أيوب قلعة مكانه في سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقيت
حتى هدمها المعز أيك التركاني أول ملوك الترك ، وعمر من نقضها مدرسته المعزية
برجبة الخروب ، وأخذ الناس مكانها أملاكا ، وهي على ذلك إلى زماننا ، ولم يبق
بها إلا بعض أبراج اتخذها الناس أملاكا وعمرها عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر
بيبرس ، ثم بإعادتها فلم يتفق له ذلك وبقيت على حالها .

قلت : وكانت أُرْفَةُ النيل التي بين جزيرة الصناعة وبين القُسطاط هي أقوى
الفرقتين والتي بين الجزيرة والبحيرة هي الضعيفة ، ثم انعكس الأمر إلى أن صار ما بين
الجزيرة والقُسطاط يجف ولا يملؤه الماء إلا في زيادة النيل ، ويسدوين آثر
(١) في الأصل «أُرْفَةُ» وهو تصحيف بالأرزة بالراء المهملة : الحد والمسطاة ، والمراد بها هنا التفرقة .

القُسْطَاط . وهذه الجزيرة على قُوَّة خليج القاهرة . [ويوجد في أول الخليج ^(١)] حيث السد الذي يفتح عند وفاء النيل مكان كالجزيرة ، يعرف بِمُنْشَاة المَهْرَانِي كان كوما يحرق فيه الأجر يعرف بالكوم الأحمر ، هذه القضاى فى جملة كيان القُسْطَاط . قال صاحب "إيقاظ المتغفل" : وأول من آبتدأ فيه الهارة بلبان المهراني

• فى الدولة الظاهرية ببيرس فلسبت المنشأة إليه .

وبل القُسْطَاط من غربيته بركة تعرف ببركة الحبش ^(٢) ، وهى أرض مزروعة . قال القضاى : كانت تعرف ببركة المعافر ومحير ، وكان فى شريقها جئات تعرف بالحبش فلسبت إليها . وذكر ابن يونس فى تاريخه : أن تلك الجئات تعرف بقتادة ابن قيس بن حبشى الصدفى ، وهو ممن شهد فتح مصر -

١٠ قلت : وهى الآن موقوفة على الأشراف من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقفها عليهم الصالح طلائع ابن رزيك وزير القائل والعاضد من الخلفاء الفاطميين .

ويليه من قبله حيث القرافة المكان المعروف بالحنسدى ، كان قد أحضره عبد الرحمن بن حنينة خندقا فى سنة خمس ومئتين من الهجرة عند مسير مروان بن الحكم إلى مصر ، فعرف بذلك . ١٥

(١) زيادة بمقتضى السياق . (٢) لما زار باقوت الحوى مصر سنة ٦١٠ هـ رأى بركة الحبش وقال عنها : « إنها ليست بركة بالتحريف المقصود وإنما هى علم لأرض زراعية تروى بماء النيل عند فيضانه السنوى فشبهت بالبركة أثناء غمرها بماء النيل . . . وقال : وهى من أجل منزهات مصر » . وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزام قرية دير الطين ، ومن عظم من الأراضى الزراعية التابعة لزام قرية البساتين . ونحو هذه المنطقة من الغرب بجسر النيل الموصل بين مصر القديمة ودير الطين . ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين . ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرق . ومن الشمال حصرا ، بجانية مصر ريجبل الرمد الذى يعرف اليوم بجبل امعطيل عتر ثم حدود أراضى ناحية أنزالى .

✱✱

وأما جوامعه فسنة :

الأول

الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو

- وذلك أن عمرا لما بنى داره الصخرى مكان قُسطاطِه على ما تقدّم ذكره ،
أختط الجامع المذكور فى خطّة أهل الراية المتقدمة الذكر .

- قال القضاعى : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز موضعه قيسبة بن كلثوم النجيبى أحد بنى سؤم ، فنزله فى حصار الحصن المعروف بقصر الشّمع ، فلما رجع عمرو من الإسكندرية ، سأل قيسبة فيه ليجعله مسجدا فسامه إليه ، وقال : تصدّقتُ به على المسلمين ، وأختط له خطّة مع قومه فى بنى سؤم فى نجيب ، فبنى فى سنة إحدى وعشرين ، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا ، ويقال : إنه وقّف على قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم الزبير بن العوّام ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن الصّاميت ، وأبو الدرداء ، وأبو ذرّ الغفارى ، وأبو بصرة الغفارى وغيرهم ، ولم يكن له يومئذ محراب مجوّف بل عمد قائمة بصدر الجدار ، وكان له بابان يقابلان دار عمرو :
١٥ ابن العاص ، وبابان فى بحريّه ، وبابان فى غربيّه ، وطوله من قبليّه إلى بحريّه مثل طول دار عمرو ، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه ، أخذ عمرو بن العاص له منبرا يخطب عليه ، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره ، ويقول : أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقيق ؟ فكسره . ويقال : لأنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين .
٢٠ عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا ملك النوبة أهدى لعبد الله بن أبي سرج العامري^(١) في إمارته على مصر منبرا فجعله في الجامع ؛ ثم زاد فيه مسلمة بن حنظل الأنصاري في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وهو يوشد أمير مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان زيادة من بحريه ، وزخرفته ؛ وهو أول من صلى على الموتى داخل الجامع ، وتوالت فيه الزبادات والتجديدات إلى زماننا . وأول من رتب فيه قراءة المصحف عبد العزيز بن مروان في إمارته في سنة ست وسبعين ، ورفع عبد الله بن عبد الملك مقفه في سنة تسع وثمانين بعد أن كان مطاطا ؛ ثم جعل فيه محراب المحضوف قرة ابن شريك العبسي أتباعا لعمر بن عبد العزيز في محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وأحدث فيه المفصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشام . وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصير النخعي^(٢) وهو أمير مصر بأخذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر . وأول من نصب اللوح الأخضر فيه عبد الله بن طاهر ، وهو أمير مصر في سنة اثنتي عشرة ومائتين ؛ ثم أحرق الرواق الذي فيه اللوح الأخضر في ولاية حماد بن أحمد بن طولون ، فعمره حماد بن أحمد في سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدد اللوح "الظاهر ببيرس" في سنة ست وستين وستمائة . ثم جدد اللوح الأخضر برهان الدين المحلل التاجر في سلطنة "الظاهر بقوق" في أواخرها .

وقد وصف صاحب "إيقاظ المتغفل" الجامع على ما كان في زمانه في حدود ثلاث عشرة وسبعائة فقال : إن ذرعه ثمانية وعشرون ألفا بذراع العمل ، مقدمه ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعا ، ومؤخره ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمسون ذراعا ، وصحنه خمسة آلاف ذراع ، جانبه الشرقي ألفا ذراع وخمسمائة ذراع وخمسون ذراعا ، وجانبه الغربي كذلك ؛ وأبوابه ثلاثة عشر بابا لكل

(١) في ابن دقاق المخطوط "ابن مرقى" .

(٢) كما في النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٣٥) وفي الأصل : « نصر » . وهو خطأ .

- باب منها آسم يضغه، في جانبه القبلى باب واحد، وبه أربعة وعشرون رواقا، سبعة في مقدمه، وسبعة في مؤخره، وخمسة في شرفه، وخمسة في غربيته، وفيه ثلثائة عمود وثمانية وستون عمودا، بعضها منفرد وبعضها مضاف مع غيره، وبصدره ثلاثة محاريب: المحراب الكبير المجاور للبر، والمحراب الأوسط، ومحراب النخس؛ وفيه خمس صوامع: إحداها في ركنه القبلى مما إلى الغربى، وهى الغرفة؛ والثانية في ركنه القبلى مما إلى الشرق، وهى المنارة الكبرى، والثالثة في ركنه البحرى مما إلى الشرق، وتعرف بالحديدة؛ والرابعة فيما بين هذه المنارة والمنسابة الآتى ذكرها، وتعرف بالسعيدة؛ والخامسة في الركن البحرى مما إلى الغربى مقابل باب السطح، وتعرف بالمستجدة.
- ١٠ وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد استهدم رواق اللوح الأخضر والرواقات التى داخله، فأمر السلطان الملك الظاهر ببنيانها، فعلمت جذره على الخشب، فأخترته المنية قبل الشروع فى البناء، وأخذ القاضي برهان الدين المحلى تاجر النحاس فى عمارة ذلك، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله، وجدد اللوح الذى كان قد نصبه الظاهر ببيرس، وعمر الرواقات المستهدمة أنفُسَ عمارة وأحسنها.
- ١٥ قلت: ومما يجب التنبيه عليه أنه قد تقدم أنه وقف على إقامة محراب هذا الجامع ثمانون رجلا من الصحابة، وحيث قد قلحنى بحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائرا إليه بعض أصحابنا الشافعية فى أنه لا يجتهد فى التيامن والتيامن فى محاريبهما كما نبه عليه الشيخ تقي الدين السبكي فى شرح مناهج النوى فى الفقه، لكن قد ذكر القضاعى فى خططه عن الليث بن سعد وآبن جعيمة أنهما كانا يتيامنان فى صلاتهما فيه، وأن محرابه كان مشرقا جدًّا، وأن قرة بن شريك حين هدمه وبناه، تيامن به قليلا.
- ٢٠

وقد حكى الشيخ تقي الدين السبكي في شرح المنهاج أيضا عن بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيه الآن انحرفا قليلا . قال : ولملح من تغيير البناء ، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن من ذلك ، فأخبرني عن الشيخ تقي الدين أبي الطاهر وأمس علماء الميقات في زماننا أنه كان يقول : من الدلالة على صحة عملنا في استخراج القبلة موافقته لخراب الجامع العتيق .

الثاني

الجامع الطولوني

بناه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يَشْكُرُ .

قال الفضاعي : وينسب إلى يَشْكُرَ بن جزيلة من نحم ، كان خطه لم .

قال ابن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .

١٠

قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إن ابن

طولون أنفق على هذا الجامع مائة ألف دينار وعشرين ألفا من كثر وجهه .

ويقال : إنه لما فرغ من بنائه أمر بتسميع ما يقوله الناس فيه من العيوب ،

فسمع رجل يقول : عرابه صغير ، وآخر يقول : ليس فيه عمود ، وآخر يقول :

ليس فيه مضاة ، فقال : أما المخراب ، فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد

١٥

خطه لي ، فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذي خطه لي . وأما العمدة ،

فإني بنيت من مال حلال ، وهو الكثر الذي وجدته لما كنت لأشوبه بغيره ،

والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فزهرته عن ذلك . وأما المضاة ، فأردت

تطهيره من النجاسات ، وما أنا أبنيها خلفه ، ثم أمر ببنائها على القرب .

٢٠

ويحكى أنه كان لا يعبت بشيء قط ، وأنه أخذ يوما درج ورق أبيض وأخرجه

ومده كالخازون ، ثم استيقظ لنفسه وظن أنه قطن له ، فأمر بجماعة المنارة على تلك

الهيئة ، وعلى نظير العشارى الذى على رأسها تحمل العشارى الذى على رأس قبة

- الإمام الشافعى رضى الله عنه . ولما فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأن نارا
نزلت من السماء فأحرقت الجامع دون ما حوله فقص رؤياه على عابر فقال له :
بُشْرَاكَ قبوله ، فإن الأمم الخالية كانوا إذا قاربوا قربانا فتقبل ، نزلت نار من السماء
فأكلته ، كما فى قصة هابيل وقايل ؛ ورأى مرة أخرى كأن الحق سبحانه وتعالى
تجلى على ما حول الجامع فعبره له عابرا أنه يخرب ما حول الجامع ويبقى هو ، بدليل
• قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وكان الأمر كذلك ، فهدمت
منازل بنى طولون فى تكثيرهم ولم يبق منها إلا الجامع .

الثالث

جامع راشدة

- بناء الحاكم بأمر الله الفاطمى جنوبي القسطنطية ، على القرب من الرصد ،
• وأدخله فى وقفه مع الجامع الأزهر وجامع المقيس .
قال فى "إيقاظ المتفعل" : ليس هو بجامع راشدة حقيقة ، وإنما جامع راشدة
كان بالقرب منه ، وهو جامع قديم بنته قبيلة يقال لها راشدة عند الفتح الإسلامى ،
فلما بنى الحاكم هذا سمي باسمه . قال : وقد أدركت بعضه وعمرابه ، وكان فيه شجر
كثير من شجر المقل .
١٥

الرابع

جامع الرصد

- بناء الأمير عز الدين أيتك الأفرم أمير جاندار الصالحى النجمى فى شهر سنة
ثلاث وستين وسقائة ، عمر منظرة المعروفة به هناك ، وعمر وباطا بجانبه قور فيه
عددا تتعقد به الجمعة مقيمين فيه ليلا ونهارا .
٢٠

الخامس

جامع الشمعية بظاهر مصر أيضا

بناه الأمير عز الدين الأفرم المذكور في سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وسكنه الشيخ شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعي الصوفي فعرف به الآن .

السادس

الجامع الجديد

بناه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مَوْدَةِ الحلفاء ، وبدأ بهارته في التاسع من المحرم في سنة إحدى عشر وسبعمائة ، وأتمت عمارته في ثامن صفر سنة أثني عشرة وسبعمائة ، وخطب به قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي ، وصل في الجمعة في التاسع من الشهر المذكور ، ورتب فيه صوفية يحضرونه بعد العصر كما في الخواص ، وهو من أحسن الجوامع وأزهرها بقعة خصوصا في أيام زيادة النيل .



وأما مساجد الخمس — فكانت على العدد الذي لا يحصى لكثرتها ، وخطط القضاة شاهدة بذلك .

وقد رأيت في بعض التواريخ أن القناء وقع في أيام كافور الإخشيدي حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة ، فأتوا بها إلى كافور فلم يقبلها ، وقال : أبنوا بها المساجد واتخذوا لها الأوقاف ، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها ، ولكنها الآن قد نعتت بخراب الفسطاط وذرت ولم يبق إلا آثار القليل منها .



وأما المدارس — فكان المتقدمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق ، وأول من أحدث المدارس بالفسطاط بنو أيوب ، فعمر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين .

إحداها — مدرسة المالكية، المعروفة بالقمحية في المحرم سنة ست وستين وخمسةائة، وسميت بالقمحية لأن معلومها يصرف للدرسين والطلبة قمحا .
قال العماد الكاتب : وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الغزل .

والثانية — المدرسة المعروفة بأبن زين التجار ، وكانت سمجا يسجن فيه فبناها السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها على الشافعية، ووقف عليها الصباغة المجاورة لها .
ثم تفر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل العز بالقرب من باب القنطرة قبل الفسطاط مدرسة ووقف عليها أوقافا من جعلتها جزيرة الصناعة المعروفة بالرؤضة .

ثم بنى السلطان الملك المعز أيبك التتركي أول ملوك الترك مدرسته المعزية برجة الخروب في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة .
وعمر صاحب شرف الدين بن الفاضل مدرسته الفاضلية قبل وزارته في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وعمر صاحب بهاء الدين بن حنا المدرسة الصاحبية بزقاق القناديل بعد ذلك .

وأما الخوانق والرُّبُط — فلم تعهد بالفسطاط ، غير أن صاحب بهاء الدين بن حنا عمر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبل الفسطاط وأشتري الآثار الشريفة وهي ميل من نحاس ، وملقط من حديد ، وقطعة من العترة ، وقطعة من القصعة بجملة مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة .

وأما البيارستان — فأول من أنشأه بالفسطاط أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين وأفق عليه ستين ألف دينار .

قال القاضي : ولم يكن قبله بيارستان بمصر ، بشرط ألا يبالغ فيه جندى ولا مملوك .

القاعدة الثانية

القاهرة

(بألف ولام لازمين في أولها وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء في الآخر) ويقال فيها القاهرة المِزِيَّة نسبة إلى المِزَّ الفاطمي الذي بنيت له ، وربما قيل المِزِيَّة القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا ، وهي المدينة المظلى التي ليس لها نظير في الآفاق ، ولا يسمع بمثلا في مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المِزِّي لمولاه المعز لدين الله أبي تميم معاذ بن المنصور أبي الطاهر إسماعيل بن القائم أبي القاسم محمد بن المهدي بالله أبي محمد حيد الله الفاطمي في سنة ثمان وتحسين وثلاثمائة ، عند وصوله إلى الديار المصرية من المغرب ، وبأسبيلائه عليها ، وموقعها شمالى التَّسطَّاط المتقدم ذكره على القرب منه .

قال في " الروض المعمار " : وبينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليه الحال في ابتداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور التَّسطَّاط وسور القاهرة .

أما الآن فقد انتشرت الأبنية واتصلت الهارة حتى كادت المدينتان تتصلان أو اتصلتا .

قال القاضي محي الدين بن عبد الله الظاهر في خِطَط القاهرة : والذي استقر عليه الحال أن حدَّ القاهرة من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رقية عرضا ، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال ابن سعيد : وكان مكانها قبل الهارة بستانا لبني طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفا كان ، فطولها وعرضها في معنى طول التَّسطَّاط وعرضه أو أكثر عرضا بقليل ، وكان ابتداء عمارتها أن أمر إفريقية وفيها من بلاد المغرب كان قد أنضى إلى المِزَّ المذكور ، وقوى طمعه في مصر بعد موت كافور الإخشيدي

وهي يومئذ والشام والحجاز بيد أحمد بن علي بن الإخشيد أستاذ كافور وهو صبي لم يبلغ الحلم، والمتكلم في المملكة أهل دولته، والحسين بن عبد الله في الشام كالنائب أو الشريك له، يدعى له بعده على المنابر.

- وكانت مصر قد ضُعت عسكرها لما دهمها من الفلاء والوباء، بفهم المعز فأنه جوهر المتقدم ذكره، فبرز جوهر إلى مدينة رقادة من بلاد إفريقية في أكثر من مائة ألف وما يزيد على ألف صندوق من المال، ونرج المعز لتشيعه، فقال للشايخ الذين معه: "والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، وليدخلها بالأردية من غير حرب، وليزِلن في نوابات ابن طولون، ويبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا" وكان للزعلام بركة اسمه أفلح، فكتب إليه المعز أن يترجل لجوهر إذا عبر عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار على أن يُعنى من ذلك، فأبى المعز إلا ذلك، فترجل من مكانه وقبل يديه؛ وسار جوهر حتى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ونزل في مُناخه من سفره موضع القاهرة الآن ليلا، وأخط القصر وأخذ في بنائه وعمارة القاهرة، وأخط الناس حوله.

١٥



فأما القصر—فإنه أخطه في الليلة التي أناخ فيها قبل أن يُصبح، فلما أصبح رأى فيه أزوارات غير معتدلة فلم يعجبه، ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة، ففكر على حاله وتمادى في بنيانه حتى أكمله.

٢٠

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رحبة الأيدمرى طولاً؛ ومن السبع حُوخ إلى رحبة باب العيد عَرَضاً، والحد الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضى إلى السبع حُوخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رحبة الأيدمرى، ثم إلى الركن الخلق، ثم إلى بين القصرين حتى تأتي إلى باب المدرسة

الصالحية من حيث ابتدأت ؛ فإكان على يسارك في جميع دَوْرَتِكَ فهو موضع القصر .

وكان له تسعة أبواب بعضها أصلي وبعضها مستحدث :

أحدها - باب الذهب ، ويقال إنه كان مكان المدرسة الظاهرية الآن .

الثاني - باب البحر ، ويقال إن مكانه باب قصر بشتاك^(١) . قال ابن عبد الظاهر وهو من بناء الحاكم .

الثالث - باب الزهومة ، ومكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحية ، وكانت الصاغة مطبخا للقصر ، وكانوا يدخلون بالطعام إلى القصر من ذلك الباب فسمى باب الزهومة لذلك ، والزُهومة : الذفر .

الرابع - باب التربة ، ويقال إن مكانه بين باب الزهومة المتقدم الذكر ومشهد الحسين .

الخامس - باب الديلم ، وهو باب مشهد الحسين .

السادس - باب قصر الشوك ، ومكانه بالموضع المعروف بقصر الشوك على القرب من رجة الأيدمرى .

السابع - باب العيد ، وهو باب البيارستان العتيق ، سمي بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد ، وإليه تنسب رجة باب العيد .

الثامن - باب الزمرد ، وهو إلى جانب باب العيد المتقدم ذكره .

التاسع - باب الریح ، وقد ذكر ابن الطوَّير أنه كان في ركن القصر الذي يقابل سور دار سعيد السعداء التي هي الخانقاه الآن .

ثم استجد المأمون بن البطائحي وزير الأمر تحت القوس الذي بين باب المذهب وباب البحر ثلاث مناظر ، وسمى أحداها الزاهرة ، والثانية الفاحرة ، والثالثة الناضرة .

(١) كذا في المقرئ وما سيذكره المؤلف قريبا (ص ٣٤٨) . وذكر المقرئ أنه نبال المدرسة الكاملة . وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضي نجباء جامع الملك الكامل بشوارع بين القصرين . وفي الأصل : « بشتاك » .

وكان "الآمر" يجلس فيها لعرض العساكر في عيد الفديري، والوزير واقف في قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفين الآن سلسلة ممتدة إلى ما يقابلها تلقى في كل يوم من وقت الظهر حتى لا يجوز تحت القصر راكب؛ ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة.

٥. وما هو داخل في حدود القصر "مشهد الحسين".
وسبب بنائه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بسقلا، فغشي الصالح طلائع بن رزيك عليها من الفرج في جامع خارج باب زويلة، وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائر على ذلك، وأمر بآب بناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه في ستة تسع وأربعين ونحسائة.

١٠. ومن غريب ما آتفق من بركة هذه الرأس الشريفة ما حكاه القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر: أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولى على هذا القصر بعد موت العاضد، آخر خلفاء الفاطميين بمصر، قبض على خادم من خدام القصر وعلق رأسه وشده عليها طاسا داخله خنافس فلم يتأثر بها، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السرفيه، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفة إلى المشهد حملها على رأسه، فغلب عنه السلطان وأحسن إليه.

١٥. وكان بجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافى من جهة السبع خوخ فيه عجائر الفاطميين.

- قلت: ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن الميصر أول خلفائهم بمصر وإلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، وكانت الوزراء يزلون بدار الوزارة التي أبناها أمير الجيوش بدر الجمالي داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية ببوس

الآن . فلما وَلَّى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد عمه أسد الدين شيركوه ، نزل بدار الوزارة المذكورة ، وبقي بها حتى مات العاضد فنحوّل إلى القصر وسكنه ؛ ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر . فلما ملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر أنتقل منه إلى قلعة الجبل على ما سيأتى ذكره في الكلام على القلعة إن شاء الله تعالى . وصارت دار الوزارة المتقدمة المذكورة للرسول الواردين من الممالك إلى أن عمّر مكانها السلطان الملك المنصور بيبرس الجاشنكير الخاقان المعروف به ، وخبّل القصر من حينئذ من ساكنيه ، وأهمل أمره فخر به .

قال القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر : قال لى بزّاب لباب الزهومة اسمه صرّيف في سنة ثلاثين وستمائة : كان لى على هذا الباب المدّة الطويلة ما رأيته دخل فيه حطب ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوفود أخشابه وتكوير تراه ؛ ثم أخذ الناس بعد ذلك في تملكه واستحكاره ، وعمرت فيه المدارس والأدور . فبنى السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرسته الصالحية ثم بنى "الظاهر بيبرس" فيه مدرسته الظاهرية ، وبنى فيه بستانك أحد أمراء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فيه قصره المعروف به ، وجعلت دار الضرب في وسطه ، ولم يبق من آثاره إلا البيارستان العتيق ، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله ابن الميمّز الفاطمي على ما سيأتى ذكره .

وكذلك القبة التي على رأس السالك من هذا البيارستان إلى رجة باب العيد ، وبعض جُدُر لا يستند بها قد دخلت في جملة الأملك .



٢٠ وأما (أبواب القاهرة وأسوارها) - فإن القائده جوهرا حين أخطأها جعل لها أربعة أبواب : بابين متقارنين ، وبابين متباعدين . فالمتقاربان (باب زويلة) نسبة إلى

- زَوَيْلَة : قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب ، ولذلك يقع في عبارة المؤرخين وغيرهم بابا زَوَيْلَة ، وأحد هذين البابين القوس الموجود الآن المجاور للسجد المعروف بإسم ابن نوح عليه السلام . والثاني كان موضع الحوانيت التي يباع فيها الجبن على بَسْرَة القوس المتقدم ذكره يدخل منه إلى المحمودية . وكان سبب إبطاله وسدّه أن المِعْرَ الذي بنيت له القاهرة لما دخلها عند وصوله من المغرب ، دخل من القوس الموجود الآن هناك فازدحم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر ، واشتهر بين الناس أن مَنْ دخل منه لم تقض له حاجة ، فرفض وسُدَّ ، وجعل زقاق جنوبيه يتوصل منه إلى المحمودية ، وزقاق شماليه يتوصل منه إلى الأعماطيين وما يليها .

- والبابان المتباعدان هما القوس الذي داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين وقوس آخر كان على حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن ، فهدم ١٠ ثم أبنتى أمير الجيوش بدر الجمالي المتقدم ذكره في سنة ثمانين وأربعمائة سورا من كِبَرٍ دائرا على القاهرة ، وبعضه باق إلى زماننا يحيط سوق الفم داخل الباب المحروق ، ثم أبنتى الأنضل بن أمير الجيوش باب زَوَيْلَة ، وباب النصر ، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في خطّطه ، إلا أنه ذكر في مواضع آخر منها أن باب زويلة بناء العزيز بالله وأكمله بدر الجمالي ، وهو ١٥ من أعظم الأبواب واشمخها ، وليس له باشورة على الأبواب ، وفيه يقول على بن محمد النيل :

- باصح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قسدر محله بُيَاناتا
باب تآزر بالهجرة وأرتدى الشد * عرى ولأت برأسه كحيواناتا
لو أن فرعوناً رآه لم يرد * صرحا ولا أوصى به هاماتا ٢٠

قال آبن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربما ينسب إلى سعادة بن حبان غلام الميزه، وكان قد ورد من عنده في جيش إلى جوهر وولى الرملة بعد ذلك .

قال : (وباب القنطرة) منسوب إلى القنطرة التي أمامه، وهى من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القرامطة ليجوز عليها إلى المقدس . والقوس الذى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة على رأس المنجية عند الطيور بين الآن كان بابا بناء الحاكم بأمر الله خارج القاهرة، وكان يعرف بالباب الجديد .

(وباب الخوخة) الذى على القرب من قنطرة الموسيقى أظنه من بناء الفاطميين أيضا . ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية آتتدب لمبارة أسوار القاهرة ومصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة الطواشى بهاء الدين قرقاوش الأسدى الرومى على كثرة من أسرى الفرنج عندهم يومئذ، فبنى سورا دائرا عليها وعلى قلعة الجبل والقُسطاط، ولم يزل البناء به حتى توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن؛ وجعل فيها عدة أبواب :

منها : باب البحر، وباب الشعرية، وباب البرقية، والباب المحروق، وأبنتى برجين عظيمين أحدهما بالمقدس على القرب من جامع باب البحر، وهو الذى هدمه الصاحب شمس الدين المقدسى وزير الأشرف شعبان بن حسين على رأس السبعين والسمسمائة، وأدخله فى حقوق الجامع المذكور حين جدد بناءه ؛ والثانى باب القنطرة جنوبى القُسطاط .

قال القاضى عبي الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوله إلى آخره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بالمباشى ؛ من ذلك من باب البحر إلى البرج بالكوم الأحمر ؛ يعنى رأس منشاة المهراتى المنتقمت ذكرها فى الكلام

على يخطط الفسطاط عند فوهة خليج القاهرة عشرة آلاف ذراع ؛ ومن الكوم الأحمر المذكور إلى قلعة الجبل من جهة مسجد مسعد الدولة مائة آلاف ذراع ومائتا ذراع ؛ ومن مسجد مسعد الدولة المذكور إلى باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة وأثنان وتسعون ذراعا ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع .

وأقتصر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه على ذرع السور من غير تفصيل ولم يتعرض للذراعين الزائدين .

قلت : وهذا السور قد ذكر أكثره ، وتغيرت معالم غالبه ، للصوق عمائر الأملاك به حتى إنه لا يتميز في غالب الأماكن من الأملاك ، وسقط ما بين باب البحر إلى الكوم الأحمر حتى لم يبق له أثر . على أن ما هو داخل سور القاهرة الأول من الأماكن أرضة سيخة وماء زقاق .

قال ابن عبد الظاهر : ولذلك عتب الميعز عند وصوله إلى الديار المصرية ودخوله القاهرة على جوهر لكونه لم يمسرها مكان المقدس على التقرب من باب البحر أو جنوبي الفسطاط على القرب من الرصد لتكون قريبة من النيل ، عذبة مياه الآبار .

وأعلم أن خطط القاهرة قد آتست وزادت العمارات حولها ، وصار ما هو خارج سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ما هو منسوب إلى دولة الفاطميين ومنها ما هو منسوب إلى من تقدمهم من الملوك ، إما لدروس أسمه الأول وغلبة أسمه الثاني عليه ، وإما لاستجدائه بعد أن لم يكن ، ومنها ما هو مجهول لانقطاع شهرته بطول الأيام ومرور الليالي . وإنما يقع التعرض هنا للأماكن الظاهرة الشهيرة ، الدائرة على الألسنة دون غيرها ؛ وأنا أذكرها على ترتيب الأماكن لا على ترتيب القدم والحدوث .

✧ ✧
أما خططها المشهورة داخل السور :

(فمنها) "حارة بهاء الدين" داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشى بهاء الدين قراقوش باني سور القاهرة المتقدم ذكره ، وكانت في دولة الفاطميين تعرف بين الحارين ، ثم أختطها قوم في الدولة الفاطمية يعرفون بالريحانية والعززية فعرفت بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور ، أشتهرت به ونُسِي ما قبل ذلك .

(ومنها) "حارة بَرْجَوَان" وتعرف ببرجوان الخادم ، كان خادماً القُصُور في أيام العزيز بالله بن المِيزَنَانِي خلفاء الفاطميين بمصر ، ووَصَّاه على ابنه الحاكم فعظُم شأنه ، ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف في تركته ألف سراويل بألف تكة حرير .
وبهذه الحارة كانت دار المظفر آبن أمير الجيوش بدر الجمالي .

(ومنها) "خط الكافوري" كان بستاناً لكافور الإخشيدى ، وبُنيت القاهرة وهو بستان ، وبقى إلى سنة إحدى وخمسين وستمائة ، فأختطه طائفة الحورية والعززية لإصطبلات ، وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلى كافور على ما كانت عليه .
(ومنها) "خُطُّ الخُرُنْشَف" ^(١) كان ميداناً للخلفاء الفاطميين ، وكان لهم سِرْدَاب تحت الأرض إليه من باب القصر يمرّون فيه إلى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفاً للساء لما بُنيت المدرسة الصالحية ، ثم بنى به القُرْبُ بعد الستمائة لإصطبلات بالخُرُنْشَف وسكنوها فسمي بذلك .

(ومنها) "درب شمس الدولة" على القرب من باب الزهومة ، وكان في الدولة الفاطمية يعرف بجارة الأمراء ، وبها كانت دار الوزير عباس وزير الظافر ، وبها المدرسة المسروورية بناها مسرور الخادم ، وكانت أحد خُدَام القصر في الدولة الفاطمية وبقى إلى الدولة الأيوبية ، وأختص بالسلطان صلاح الدين وتقدّم عنده ،
(١) في القريزي "الخُرُنْشَف" وفسره بأنه المتجدد من وفود الحمامات بعد إفرانها وهي تسمية عريقة

فم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف ،
وعمرها دربا فعرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زويلة" وتلصق إلى زويلة : قبيلة من البربر الواصلين بحجة القائد
جوهري على ما تقدم ذكره في الكلام على باب زويلة ، وهي حارة عظيمة متشعبة .

٥ (ومنها) "الجودرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودرية من الدولة الفاطمية
نسبة إلى جودر خادم حبيب الله المهدي أبي الخلفاء الفاطميين ، أخطوها وسكنوها
حين بنى جوهري القاهرة ، فم سكنها اليهود بعد ذلك إلى أن بلغ الحاكم الفاطمي
أنهم يتزعمون بالمسلمين ويقعون في حق الإسلام ، فسأ عليهم أيوبهم وأحرقهم ليلا ،
وسكنوا بعد ذلك حارة زويلة المتقدمة الذكر .

١٠ (ومنها) "الوزيرية" وتعرف بالوزير أبي الفرج يعقوب بن كلثوم وزير المعز
بالله الفاطمي ، وكان يهودى الأصل يخدم في الدولة الإخشيدية ، ثم هرب إلى المعز
الفاطمي بالمغرب لمال لزمه ، فلقى عسكر المعز مع جوهري فرجع معه ، وعظمت
مكانته عند المعز حتى استوزره ، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفى الدين
ابن شكر ، وزير العادل أبي بكر بن أيوب ، المعروفة بالصاحبية بسوق الصاحب ،
وكانت قبل ذلك تعرف بدار الديباج .

١٥ (ومنها) "المحمودية" قال القاضي عبي الدين بن عبد الظاهر : ولعلها منسوبة
إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة في أيام المعز بالله الفاطمي إلى مصر .

(ومنها) "حارة الروم" داخل باب زويلة ، أخطها الروم الواصلون بحجة جوهري
القائد حين بنائه القاهرة فعرفت بهم وتسميت إليهم إلى الآن

٢٠ (ومنها) "الباطنية" قال ابن عبد الظاهر : تعرف بقوم أتوا المعز بالله القاهرة
وقد قسم المعطاء في الناس فلم يعطهم شيئا ، فقالوا : نحن على باطل ؟ فسميت الباطنية .

(ومنها) "حارة الدليم" وتعرف بالدليم الواصلين محبة أُنْكَيْن المعزى غلام المعز آبن بُوَيْه الدليمي، وكان قد تغلب على الشام أيام المعز الفاطمي وقاتل القائد جوهرًا واستنصر بالقرامطة، وخرج إليهم العزيز بالله فأسره في الرملة وقدم به إلى القاهرة فأجزل له المطاء، وأنزله هو وأصحابه بهذه الحطة. وبها كانت دار الصالح طلائع آبن رُزَيْك بنى الجامع الصالحى خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبل الوزارة، وخوخته بها معروفة إلى الآن بخوخة الصالح.

(ومنها) "حارة كُتامة" على القرب من الجامع الأزهر بجوار الباطنية، وتعرف بقبيلة كُتامة من البربر الواصلين محبة جوهر من القرب.

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلًا للقصر، وبهذا الخط كانت دار الفطرة التي يعمل فيها فطرة الصيد، بناها المأمون بن البطائنى وزير الآمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القصر، وسيأتى الكلام على الفطرة مستوفى فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلى مشهد الحسين، كانت طائفة من غلمان الصالح طلائع بن رُزَيْك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليهم.

(ومنها) "البرقية" قال آبن عبد الظاهر: آخضطها قوم من أهل برقة قَدِمُوا محبة جوهر فعرفت بهم. ورأيت بخط بعض الفضلاء بحاشية يخطى آبن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رُزَيْك لما قتل عباسا وزير الظاهر وتقلد الوزارة عن الآمر، أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عونًا له وأسكنهم هذه الحطة فنسبت إليهم.

(ومنها) "قصر الشوك" على القرب من رجة الأيدمرى، قال آبن عبد الظاهر: كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبنى عُذرة تعرف بقصر الشوك.

(ومنها) ["خزانة البنود"] وكانت خزانة السلاح فى الدولة الفاطمية، ثم جعلت يمينًا فى الأيام المستنصرية، ثم أحتكرت بعد ذلك وجعلت أدرا.

(ومنها) "رَجَبَة باب العيد" تنسب إلى باب العيد : أحد أبواب القصر المسمى بباب العيد المتقدم ذكره .

(ومنها) "دَرْب مَلُوحِيَّة" ينسب لِلْمَلُوحِيَّة صاحب رَكَاب الحاكم، وبه مدرسة القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وبه كانت دَارُهُ .

- (ومنها) "المُطُوف" وأصل اسمها المُطُوفِيَّة : نسبة إلى عطوف خادم الحاكم .
(ومنها) "الجَوَانِيَّة" قال ابن عبد الظاهر : وهي صفة لمحدوف، وأصلها حارة الرُّوم الجَوَانِيَّة، وذلك أن الرُّوم الواصلين محبة جوهر آخذوا حارة الرُّوم المتقدمة الذكر وهذه الحارة، وكان الناس يقولون : حارة الرُّوم البرَّانيَّة وحارة الرُّوم الجَوَانِيَّة فنقل ذلك عليهم، فأطلقوا على هذه الجَوَانِيَّة وقصروا اسم حارة الرُّوم على تلك .

- قال : والوَرَّاقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الرُّوم السفلى، وحارة الرُّوم العُلْيَا .
المعروفة بالجَوَانِيَّة، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجَوَانِيَّين الذين منهم الشريف الجَوَانِي النَّسَابَة .

وأما خططها المشهورة خارج السور :-

- (فمنها) "الحُسْبِيَّة" كانت في الأيام الفاطمية ثمانى حارات خارج باب الفتح،
أولها : الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدم ذكرها، وهي حارة حامد، والمُنْشَأَة
الكبرى، والحارة الكبيرة، والمُنْشَأَة الصغيرة، وحارة عبيد الشراء، والحارة الوسطى،
وسوق الكبير بمصر، والوَزِيرِيَّة، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوَزِيرِيَّة
والرَّيْحَانِيَّة من الأرمن والمُجَانِّين وعبيد الشراء .

- قال ابن عبد الظاهر : وكان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس،
ثم سكنها جماعة من الأشراف الحُسْبِيَّين قَدِمُوا في أيام الكاسل محمد بن المائل
أبي بكر بن أيوب من الجواز إلى مصر، فتركوا بهذه الأمكنة وأستوطنوها فسميت بهم،
ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنوا بها الأبنية العظيمة والأدَّار الضخمة .

(١) ذكر المرفزي أنها عرفت طائفة من عبيد الشراء في أيام الحاكم يقال لهم الحسينية وأعرض على ابن عبد الظاهر في هذه النسبة بقوله : « هذا وهم فإنه تقدم أن من جملة الطوائف في الأيام الحاكية الطائفة الحسينية » .

قال ابن عبد الظاهر : هي أعظم حارات الأجناد .

قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه في زمانه ، ولكنها قد تحربت في زماننا هذا ، وانتقل الأجناد إلى الأماكن القريبة من القلعة بصليبة الجامع الطولوني ونحوها ، وبنى بهاء الدين قراقوش خاناً للسبيل منزله المأذبة وأبناء السبيل فعرف خطه به .
(ومنها) "الخندق" خارج الحسبية بالخندق ؛ كان عنده خندق أحفره العزيز بالله الفاطمي ، وكان المعز قد أسكن المغاربة هناك في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة حين تبسطوا في القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم ، وأمر متادياً ينادي لهم كل ليلة : من بات منهم في المدينة استحق العقوبة .

(ومنها) "أرض الطالبة"^(١) منسوبة لامرأة مغنية أسمها نَسَب ، وقيل طَرَب ، كانت مغنية للمستنصر الفاطمي وأسمه مَعَد .

قال القاضي عبي الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطِب له ببغداد في توبة البساسيري قريب السنة غشه نَسَب هذه :

يَا بَنِي الْعَبَّاسِ صَبُّوا * قَدْ وَلَّى الْأَمْرَ مَعَدُّ
مُلْكُكُمْ كَانَ مُعَارَا * وَالْعَوَارِي تُنْسَرَدُ

فوهبها هذه الأرض في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة لحُرُوت وبنيت أدراً فعرفت بها . قال : وكانت من مَلْع القاهرة وبهجتها ؛ وفيها يقول ابن سعيد المغربي جنانسا بين القُرط الذي ترعاه الدواب والقُرط الذي يكون في الأذن :

- (١) أرض الطالبة ، قال القرطبي في خطه (ج ٢ ص ١٢٥) : « هذه الأرض على جانب الخليج الغربي بجوار القصر (المقصود هنا خط القصر) قال : وكانت من أحسن منزهات القاهرة ، وهما الخليفة المستنصر بالله أبو تميم مَعَد الفاطمي إلى مغنيته الحبيبة نسب الطالبة فعرفت بها » . وهذه الأرض موقعها اليوم منطقة السكن التي تحده من الشمال والغرب شارع الظاهر ، ومن الجنوب شارع الفجالة وسكة الفجالة ، ومن الشرق شارع الخليج المصري ، ومنذ سنة ١٩٠٦ كان النصف الغربي من هذه المنطقة وما جاورها من القرب أرضاً زراعية تزرع فيها الخضراوات وعلى الأخص صنف الفجل فأشترت الأرض باسم خيط الفجالة نسبة للذين يزرعونها ، ولما هجرت تلك الجهة بالسكان سميت الطريق التي كانت مجاور هذا النبط من الجهة القبيلة باسم شارع الفجالة .
(٢) في القرطبي (ج ٢ ص ١٢٥) « نسب » بالسين المهملة . وهي امرأة مترجلة كانت تقف تحت قصر المستنصر في الخواص والأعياد وتسير أيام المركب وحولها طاقعتها وهي تضرب بالطليل .

سقى الله أرضاً كُتِّمَتْ زُرْتُ رَوْضَهَا ، * كَسَّاهَا وَحَلَّاهَا بِزَيْتَتِهِ الْقُرْطُ
تَجَلَّتْ عَرُوسًا وَالْمِيَاهُ حُقُودُهَا * وَكُلُّ قُطْرٍ مِنْ جَوَانِبِ قُرْطُ
(ومنها) "خط باب القنطرة" قال ابن عبد الظاهر : ذكر لى علم الدين بن تَمَّاتٍ
أنه فى كتب الأملاك القديمة يسمى بالمرتاحية .

- (ومنها) "المقس" قال القضاعى فى "خططه" : كانت ضيعة تعرف بأَمَّ دُئِينٍ ،
وكان العائثر الذى يأخذ المكس يقعد بها لاستخراج المال ، ففيل المكس بالكاف
ثم أبدلت الكاف فى الألبسة قافا .

- قال ابن عبد الظاهر : ومن الناس من يقول فيه المَقْسِمُ لأن قسمة الغنائم
فى الفتح كانت فيه . قال : ولم أر ذلك مسطوراً ، وكانت الدكة من نواحيه
بستاناً إذا ركب الخليفة من الخليج يوم الكس رأت إليه فى البر الغربى من الخليج ١٠
فى مركبة ويدخله بمفرده فيسقى منه فرسه ، ثم يخرج إلى قصره على ما سيأتى ذكره
فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية . إن شاء الله تعالى .
قال ابن عبد الظاهر : والدكة الآن أدُرُّ وحارات شهرتها تنهى عن وصفها
فسبحان من لا يتغير .

- قلت : وقد تحرب أكثر تلك الأدُر والحارات حتى لم يبق منها إلا الرسوم ،
وبعضها باق يسكنه آحاد الناس .

(ومنها) "ميدان القمح" كان قديماً بستاناً سلطانياً يسمى بالمَقْسَى يدخل الماء
إليه من الخليج المعروف بالخليج الذكى الذى بناه كافور الإخشيدي ، ثم أمر الظاهر
الفاطمي "بنقل أنشابه وحفره وجعله بركة قدَّام اللؤلؤة ، وأبقى الخليج المذكور

- (١) كان المقس فى عهد الدولة الفاطمية مقصراً على قرية المقس التى كانت راقية فى المنطقة التى
يقع فيها اليوم جامع أولاد عنان لغاية شارع قنطرة الدكة . ويدخل فيها مدخل شارع إبراهيم باشا (شارع
نوبار سابقاً) والمباني التى على جانبيه لغاية الدرب الإبراهيمي .

مسلمًا على البركة ليستنقع الماء فيها . فلما ضعف أمر الخلافة الفاطمية ، ومُجِرت رُسومها القديمة في التفرج في اللؤلؤة وغيرها ، بنت السودان المعروفون بالطائفة القَرْجِيَّة الساكنون بالمَقْص عند ضيقه عليهم قُبالة اللؤلؤة حارة سميت حارة اللصوص بسبب تمسكهم فيها مع غيرهم ، ثم شُقَّت بها الحال حتى صار على ما هو عليه الآن .

(ومنها) ”برآين التبان“ غربي خليج القاهرة ، وينسب إلى ابن التبان رئيس حِرَافَةِ الخلافة الفاطمية ، وكان الأمر الفاطمي قد أمر بالهارة قُبالة الخرق غربي الخليج ، فأقول من حمير به ابن التبان المذكور ، أنشأ به مسجدًا وبستانًا ودارًا فعرفت الخطوة به إلى الآن .

(ومنها) ”خط اللوق“ وهو خط قديم متسع ينتهي إلى الميدان المعد لركوب السلطان عند وفاء النيل ، قد عُمر بالأبنية وسكنه رَمَاع الناس وأوباشهم والمكان المعروف الآن بباب اللوق جزء منه .

(ومنها) ”بركة الفيل“ وهي بركة عظيمة متسعة جنوبي سور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها .

قال ابن عبد الظاهر : وتنسب إلى رجل من أصحاب ابن طولون يعرف بالفيل ، وما أحسن قول ابن سعيد المغربي :

أَنْفَرُ إِلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ الَّتِي أَكْتَنَنْتُ • بِهَا الْمَنَاطِرُ كَالْأَهْدَابِ لِلْبَعِيرِ
كَأَنَّهَا مِنِّي وَالْأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا • كَوَاكِبٌ قَدْ أَدَارُوهَا عَلَى الْقَمَرِ

(ومنها) ”خط الجامع الطولوني“ من الصليبية وما والاها ، وقد تقدّم في الكلام على خطط القُسطاط أن هذه الأرض كانت منازل لأحمد بن طولون وعسكره ، ولبطل الذي في جانبها البحري يعرف ببصل يسكر ، وعليه بناء الجامع الطولوني المذكور ، وأسندت الملك الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله عليه قصورًا جاءت في نهاية الحسن والإيمان ، وهي المعروفة بالكيش ، ولم يزل يسكنها أكابر الأمراء

إلى أن نحرَّبها العوام في وقعة الجلبان قبل السبعين والسبعائة، وهي على ذلك إلى الآن، وقد شرع الناس الآن في استحكار أماكنها للعمارة فيها في حدود سنة ثمانمائة .

(ومنها) "خط حارة المصامدة" وتنسب لعائفة المصامدة من البربر الذين قدموا مع المُرَّز من المغرب، وكان المقيم عليهم عبد الله المصمودي، وكان المأمون ابن البطائحي وزير الأمر قد قدمه وتوّه بذكره، وسلم إليه أبوابه للبيت عليها، وأضاف إليه جماعة من أصحابه .

(ومنها) "الحلالية" قال ابن عبد الظاهر : أظنها الحارة التي بناها المأمون بن البطائحي خارج الباب الحديد الذي بناه الحاكم بالشارع على يسرة الخارج منه للصدامة لما قدمهم وتوّه بذكرهم، وحذر أن يبنى بينها وبين بركة الفيل حتى صارت هذه الحارة مُمَشِرَةً على شاطئ بركة الفيل إلى بعض أيام الحافظ .

(ومنها) "المتَّجِية" قال ابن عبد الظاهر : بلغني أنها منسوبة لشخص في الدولة الفاطمية يعرف بمتَّجِب الدولة .

(ومنها) "البائِسيَّة" قال ابن عبد الظاهر : أظنها منسوبة لبائس وزير الحافظ، وكان يلقب بأمير الجيوش سيف الإسلام، ويعرف ببائس الفاصد لأنه قَصَدَ حَسَنَ ابن الحافظ، وتركه محلول الفَصَادَةِ حتى مات .

قال : وكان في الدولة من اسمه يانس العزيزي، والبائِسيَّة: جماعة كانوا في زمن العزيز بالله، ومنهم يانس الصقلِّي، ونسبة هذه الحارة محتملة لأن تكون لكل منهم، وقد ذكر ابن عبد الظاهر عدة حارات كانت للجند خارج باب زويلة غير ما لعله ذكره سردا، منها ما هو مشهور معروف، وهو حارة حلب، والحلبانية . ومنها ما ليس كذلك وهو الشوبك، والمأمونية، والجسارة الكبيرة، والمنصورة الصغيرة، وحارة أبي بكر :



- وأما جوامعها — فأقدمها "الجامع الأزهر" بناء القائم جوهري بعد دخول
هولاء الميز إلى القاهرة وإقامته بها ، وفرغ من بنائه وجمعت فيه الجمعة في شهر
رمضان لسبع خلون من سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، ثم جدد العزيزين المعز في
أشياء وعمر به أماكن وهو أقل جامع عمر بمصر بالقاهرة .
- ٥ قال صاحب "نهاية الأرب" : وجدده العزيزين المعز ، ولما عمر الحاكم
جامعه نقل الخطبة إليه وبقى الجامع الأزهر شاعرا ، ثم أعيدت إليه الخطبة وصلى
فيه الجمعة في ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة في سلطنة الظاهر
بيبرس ، وتزايد أمره حتى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قدرا .
- ١٠ قال ابن عبد الظاهر : وسمعت جماعة يقولون إن به طلسا لا يسكنه عصفور .

الجامع الثاني

الجامع الحاكمي

- بشاه الحاكم الفاطمي على القرب من باب الفتوح وباب النصر ، وفرغ من
بنائه في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه
قبل بناء باب الفتوح وباب النصر الموجودين الآن ، وكانت هو خارج القوسين
- ١٥ اللذين هما باب الفتوح وباب النصر الأولان .
- ثم قال : وفي سيرة العزيز أنه أخطأ أساسه في العاشر من رمضان سنة تسع
وسبعين وثلاثمائة ، وفي سيرة الحاكم أنه ابتدأه بعض الوزراء وأتمه الحاكم ، وعلى
البدنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت في زمن المستنصر في أيام أمير الجيوش سنة
ثمانين وأربعمائة ، ثم استولى عليها من ملكها والزيادة التي إلى جانبه بناها الظاهر
- ٢٠ ابن الحاكم ولم يكملها ، ثم ثبت في الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع

وأن بها عرابا ، فَأَثَرَتْ مِنْ هِيَ مَعَهُ وَأَضْيَقَتْ لِلْجَامِعِ ، وَبُنِيَ بِهَا مَا هُوَ موجود
الآن في الأيام المعزية أَيْك التُّرْكِيَّاتِ ولم تسقف .

الجامع الثالث

الجامع الأقرب

٩. بناء الأمير الفاطمي بوساطة وزيره المأمون بن البطاحي ؛ وكل بناؤه في سنة
تسع عشرة وخمسمائة ؛ ويذكر أن أسم الأمير والمأمون عليه .
قلت : ولم يكن به خطبة إلى أن جدد الأمير يلبغا السالمى ، أخذ أمراء
الظاهر برفوق عمارته في سنة إحدى وثمانمائة ورُتِبَ فِيهِ بِخُطْبَةٍ .

الجامع الرابع

١٠. الجامع بالقنس بباب البحر ، وهو المعروف بالجامع الأنور
بناء الحاكم الفاطمي أيضا في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

الجامع الخامس

الجامع الظافري^(١) ، وهو المعروف الآن بجامع الفُكَّاهين

١٥. بناء الظافر الفاطمي داخل بَابِ زُوَيْلَةَ في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .
وكان زُرِينَةَ للكباش ، وسبب بناءه جامعا أن خادما كان في مشرف على الزرنية
فراى ذُبَابًا وقد أخذ رأسين من النعم فذبح أحدهما ورعى سَكْبَتِهِ وذهب لفضاء
حاجة له ، فاقى رأس النعم الآخر فأخذ السكين بفمه ورمأها في البالوعة ، وجاء
الدَّبَّاحُ فلم يجد السكين ، فاستصرخ الخادم وخلصه منه ، فرفقت القصة إلى أهل
القصر فأمرُوا بِعِمَارَتِهِ .

(١) في غلط القريزي " الفاكهين "

الجامع السادس

الجامع الصالحى

بناء الصالح طلائع بن رزّيك وزير الفائر والعاضد من الفاطميين خارج باب زويلة، بقصد نقل رأس الحسين عليه السلام من حقلان إليه، عند خوف هجوم الفرنج عليها، فلما فرغ منه لم يمكّنه الفائر من ذلك، وأبقى له المشهد المعروف بمشهد الحسين بجوار القصر، ونقله إليه في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وبني به صهريجاً وجعل له ساقية تنقل الماء إليه من الخليج أيام النيل على القرب من باب الخرق، ولم يكن به خطبة، وأقول ما أقيمت الجمعة فيه في الأيام المعزّية أباك التركاني في سنة اثنتين وخمسين وستمائة، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الإسعديّ، ثم كثرت عمارة الجوامع بالقاهرة في الدولة التركية خصوصاً في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها، فعمربها من الجوامع ما لا يكاد يحصى كثرة: بجامع الماردى، وجامع قوصون خارج باب زويلة وغيرهما من الجوامع، وأقيمت الجمعة في كثير من المدارس والمساجد الصغار المتفرقة في الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم.



وأما مدارسها — فكانت في الدولة الفاطمية وما قبلها قليلة الوجود بل تكاد أن تكون معدومة، غير أنه كان بجوار القصر دار تعرف "بدار العلم" خلف خان مسرور، كان داعى الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم، وجعل الحاكم لما جزأ من أوقافه إلى وقفها على الجامع الأزهر وجامع المقس وجامع راشدة، ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لاجتماع الناس فيها وانحوض في المذاهب خوفاً من الاجتماع على المذهب التّارى، ثم أعادها لآمر بواسطة خدام القصر بشرط أن يكون متولّيها رجلاً ديناً والداعى هو الناظر فيها، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن.

وقد ذكر المسبحى في تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن بكس سأل العزيز بالله في حمله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ، وبني لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حلقوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا في الفقه ، وأبو يعقوب قاضى الخندق رئيس الحلقة والملقى عليهم إلى وقت العصر ، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا .

ثم جاءت الدولة الأيوبية فكانت الناصحة لباب الخير ، والغارسة لشجرة الفضل ، فأبى الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر (دار الحديث الكاملية) بين القصرين في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقدر بها مذاهب الأئمة الأربعة وخطة ، وبقي إلى جانبها خراب حتى بنى أدرا في الأيام المعزية أليك التركمانى في سنة خمس وستمائة ، ووقف على المدرسة المذكورة ، وبني من بى من أكابر دولتهم مدارس لم تبلغ شأوا هذه ، وشتان بين الملوك وغيرهم .

ثم جاءت الدولة التركية فأريت على ذلك وزادت عليه ، فأبى الظاهر بيبرس (المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية ، ثم أبى المنصور قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بيارسنانه الآتى ذكره وجعل قباتها تربة سنية .

ثم أبى الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيارسنات المذكور . ثم أبى الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (مدرسته العظمى) تحت القلعة ، وهى التى لم يسبق إلى مثلها ، ولا سمع في مصر من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها يزيد في القدر على إيوان كسرى بأندلس .

ثم أبى ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصوة تحت القلعة ومات ولم يكملها ، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على

القلعة في سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التي أنشأها بالحوش بقلعة الجبل ، ولم يمهّد مدرسة قصّدت بالهدم قبلها .

ثم أبنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملية بغفاه في نهاية الحسن والعظمة ، وجعل فيها خطبة ، وقرر فيها صوفية على مادة الخوانق ودروساً للأئمة ، وتعلّى في حضانة البناء ، ونظم الشعراء فيها ، فكان مما أتى به بعضهم من أبيات :

وَبَعْضُ خُدَايِهِ طَوْعًا لِحُدَيْتِهِ * يَذْهَبُ الصَّخُورَ فَتَأْتِيهِ عَلَى تَحْيَلٍ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى ، فأقترح على بعض الأكابر نظم شيء من هذا المعنى فنظمت أبياتاً جاء منها :

وَبِالْخَلِيلِي قَدْ رَاجَتْ عِمَارَاتُهَا • فِي سُرْعَةٍ بَيِّنَتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلٍ ١٠
كَمْ أَظْهَرْتُ عَجَبًا أَسْوَاطَ حِكْمَتِهِ • وَكَمْ فَدَتْ مَثَلًا تَأْهِيكَ مِنْ مَثَلٍ
وَكَمْ حَضُورَ تَحَالُ الْخِزِّ تَقْلَعُهَا • فَلَيْسَ بِالْوَحَا تَأْتِي وَبِالْتَّجَلِ

وفي خلال ذلك أبنى أكابر الأمراء وغيرهم من المدارس ما نلأ الأخطاط وشعبها .



وأما الخوانق والرُّبُط — لما لم يمهّد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ، وكان المشكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فأبني (الخانات الصلاحية) المعروفة بسعيد السعداء ، وسعيد السعداء لقب لخادم للاستنصر الفاطمي اسمه فبكر كانت الدار له ، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رُذَّيْكَ ، ولما ولي الوزارة فتج من دار الوزارة إليها ميردايا تحت الأرض ، وسكنها شاور

السعدى وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خانقاه ، ووقف عليها قيسارية الشرب داخل القاهرة ، وبستان الحبانية بزقاق البركة .



وأما مساجد الصلوات الخمس — فأكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى ، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلون .



وأما البيارستان — فقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : بلغنى أن البيارستان كان أولاً بالقشاشين ، يعنى المكان المعروف الآن بالخزاطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دار الضرب بناها المأمون بن البطائنى وزير الأمر قبالة البيارستان المذكور ، وقرر دور الضرب بالإسكندرية وقوص وصوهر وعسقلان ، ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية وأستولى على القصر ، كان فى القصر قاعة بناها العزيز بن المعز فى سنة أربع وثمانين وثمانئة ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيارستانا ، وهو البيارستان العتيق الذى داخل القصر ، وهو باقى على هيئته إلى الآن ، ويقال إن فيها طلسمًا لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيارستانا .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين [سنة ١٢١٥] فقالوا صحيح .

ثم أبغى السلطان الملك المنصور قلاوون رحمه الله دار ست الملك أخت الحاكم المعروفة بالدار القطبية ، بيارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمئة بمباشرة الأمير علم الدين

الشجاعة، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة المتقدم ذكرهما، فبقى معالم بعض الدار على ما هو عليه، وغير بعضها . وهو من المعروف العظيم الذى ليس له نظير في الدنيا . ونظرة رتبة سنية يتولاه الوزراء ومن في معناهم .

قال في "مسالك الأبصار": وهو الجليل المقدار، الجليل الآثار، الجميل الإشار، العظيم بنائه، وكثرة أوقافه، وسعة إنفاقه، وتنوع الأطباء والكهالين والجراحية فيه .



قلت : ولم تزل القاهرة في كل وقت تزايد عمارتها، وتجتهد معالمها، خصوصا بعد خراب القسطنطين، وانتقال أهله إليها على ما تقدم ذكره حتى صارت على ما هي عليه في زماننا : من القصور البلية، والدور الضخمة، والمنازل الرحبة، والأسواق الممتدة، والمناظر التزهة، والجوامع البهجة، والمدارس الرائقة، والخواصق الفاخرة، مما لم يُسمع بمثله في قُطر من الأقطار، ولا عُمِد نظيره في مصر من الأمصار . وغالب مبانيها بالأجر، وجوامعها ومدارسها وبيوت رؤسائها مبنية بالحجر المنحوت، مفروشة الأرض بالرخام، مؤزرة الحيطان به، وغالب أعاليها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة، وكلها أو أكثرها مبيضة الجُدُر بالكليس الناصع البياض، ولأهلها القوة العظيمة في تمليّة بعض المساكن على بعض حتى إن الدار تكون من طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض، في كل طبقة مساكن كاملة بتنافعها ومرافقها، وأسطحة مقطعة بأعلاها بهندسة محكمة، وصناعة عجبية .

قال في "مسالك الأبصار": لا يرى مثل صنّاع مصر في هذا الباب، وبظاھرها البساتين الحسان، والمناظر التزهة، والأدُر المِطْلُة على النيل، والخُلجان الممتدة منه ومن مده، وبها المستزھات المستطابة، خصوصا زمن الربيع لغدوانها الممتدة من مقطعات النيل وما حوّلها من الزروع المختلفة وأزهارها المائسة التي تسر الناظر وتبهج الخاطر.

قال ابن الأثير في "معجم الخلفاء": وأجمع المسافرون برا وبحرا أنه لم يكن أحسن منها منظرًا، ولا أكثر ناسا، وإليها يُجلب ما في سائر أقاليم الأرض من كل شيء عزيز وزيّ عجيب؛ وملكها ملكٌ عظيم، كثير الجيوش، حسن الرّى لا يمانه في زيّه ملك من ملوك الأرض؛ وأهلها في رفاة عيش وطيب مأكل، ومشرب؛ ونسائه في غاية الجمال والظرف.

قال في "مسالك الأبصار": أخبرني غير واحد ممن رأى المدين الجارة أنه لم ير مدينة أجمع فيها من الخلق ما أجمع في القاهرة.

قال: وسألت الصدر بمحمد الدين إسماعيل عن بغداد وتؤريز هل ييمان خلقا مثل مصر؟ فقال: في مصر خلق قدر من في جميع البلاد.

قال في "التعريف": (والقاهرة اليوم أم الممالك، وحاضرة البلاد، وهي ١٠ في وقتنا دار الخلافة، وكرسى الملك، ومنبع الحكاء، ومحط الرجال، ويتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نائى المكان، بعيد المدى، يقع لنا من أخباره ما نُكبره، ونسمع من حديثه ما لا نألفه.

قال: وكان يخلق لنا أن نجعل كل النطق بالقاهرة دائرة، وإنما نفرد بها ١٥ آشتلت عليه حدود الديار المصرية، ثم ندير بأمر كل مملكة نطاقها، ثم إليها مرجع الكل وإلى بحرها مصب تلك الخلق).

قال في "مسالك الأبصار": إلا أن أرضها سيخة، ولذلك يتجبل الفساد إلى مبانيها.

وذكر القاضي عبي الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن الميزلام القائد ٢٠ جوهر اعل بنائها في هذا الموضع، وترى جانب النيل عند المقس أو جنوبى القسطنط حيث الرصد الآن.

القاعدة الثالثة

القلعة

(بفتح القاف) ويبر عنها بقلة الجبل، وهي مَقَرَّةُ السلطان الآن ودار مملكته. بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش المتقدم ذكره للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفُسطاط، وما يليه من القرافة المتصلة بمارة القاهرة والقرافة، وطولها وعرضها على ما تقدم في الفُسطاط أيضا، وهي على تَشْرُ مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم، ترتفع في موضع وتخفض في آخر.

وكان موضعها قبل أن تبنى، مساجد من بناء الفاطميين : منها مسجد رديني الذي هو بين أدر الحريم السلطانية .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : قال لي والدي رحمه الله : عرض علي الملك الكامل إمامته ، فأمتنعت لكونه بين أدر الحريم . ولم يسكنها السلطان صلاح الدين رحمه الله ، ويقال : إن أبنة الملك العزيز سكنها مدة في حياة أبيه ، ثم أنتقل منها إلى دار الوزارة .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : قال لي والدي رحمه الله : سكا نطلُع إليها قبل أن تُسكن في ليالي الجمع نيت متفرجين كما نيت في جواسق الجبل والقرافة . وأول من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب أنتقل إليها من قصر الفاطميين سنة أربع ومائة ، وأستقرت بعده سكا للسلطين إلى الآن .

ومن غريب ما يحكى أن السلطان صلاح الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوه العادل أبو بكر ، فقال السلطان لأخيه العادل : هذه القلعة بُنيت لأولادك ، فنقل ذلك علي العادل وعرف السلطان صلاح الدين ذلك منه ؛ فقال : لم تفهم عني

إنما أردت أنى أنا نجيب فلا يكون لى أولاد نجباء ، وأنت غير نجيب فتكون أولادك نجباء فسرى عنه ، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين ، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام ، فاستناب ولده الملك الكامل محمدا فى الديار المصرية فسكنها .

- وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أول من سكنها العادل أبو بكر ، ولما سكنها الكامل المذكور ، احتفل بأمرها وأهتم بمراتها وحمربها أبراجا ، منها البرج الأحمر وبقعه . وفى أواخر سنة آتيتين وثمانين وستمائة حمربها السلطان الملك المنصور قلاوون برجا عظيما على جانب باب السر الكبير ، وبني عليه مشرفات حسنة البليان ، بهجة للرخام ، رائعة الزخرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

- ١٠ ثم حمربها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن ، بكت بها معاينها ، وأستحق بها القلعة على بانها :
أحدها — القصر الأبلق الذى يجلس به السلطان فى عامة أيامه ، ويدخل عليه فيه أسراؤه وخواصه ، وقد أستجده السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاء الإسطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة .

والثانى — الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان فى أيام المواكب لتقديم العامة وإقامة العدل فى الرحمة .

والثالث — جامع الخطبة الذى يصل فيه السلطان الجمعة ، وستاقى صفة هذه الأماكن كلها .

- ٢٠ وهذه القلعة ذات سور وأبراج ، فسيحة الأفنية ، كثيرة العائر ، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها إليها :

أحدها — من جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقل أبوابها سالكا وأعزها
استطرافا .

والثاني — باب السر ، ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخوَص
الدولة : كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوة ، وهى بقية النَّشْر
الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، بتعريج يمضى فيه مع جانب جدارها
البحرى حتى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس
فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يزال مُغْلَقًا حتى ينتهى إليه من يستحق
الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلَق .

والثالث — وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائر الناس ،

يتوصل إليه من أعلى الصوة المتقدم ذكرها ، يرقى إليه فى درج متناسبة حتى يكون
مدخله فى أول الجانب الشرقى من القلعة ، ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى
منها إلى دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفى قبل هذه
الدركاه (دار النيابة) وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان قَمَّ نائب ،
(وقاعة الصاحب) وهى التى يجلس بها الوزير وكتاب الدولة ، و(ديوان الإنشاء)
وهو الذى يجلس فيه كاتب السر وكتاب ديوانه ، وكذلك (ديوان الجيش) وسائر
الدواوين السلطانية .

وبصدر هذه الدركاه باب يقال له "باب القلعة" يدخل منه إلى دهايز فسيحة ،
على يَمْرُ الدناخل منها باب يتوصل منه إلى جامع الخطبة المتقدم ذكره ، وهو من
أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظرا ، وأكثرها زُخْرَفَةً ، متسع الأرجاء ، مرتفع
البناء ، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مُبْطَّنُ السَّقُوف بالذهب ، فى وسطه قبة
يلها مقصورة يصلى فيها السلطان الجمعة ، مستورة هى والرواقات المشتملة عليها

بشبابيك من حديد محكمة الصنعة ، يُحْفَ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة ، ودور الحرم السلطانية .

وبصدر الدهاليز المتقدمة الذكر مَصْطَبَةٌ يجلس عليها مقدم المالك ، وعندها مدخل باب السر المتقدم ذكره ، وفي مجنبه ذلك تمر يدخل منه إلى ساحة يواجهه ،

- الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدم ذكره ، وهو إيوان عظيم عديم النظير ، مرتفع الأبنية ، واسع الأفنية ، عظيم العمدة ، عليه شبابيك من حديد عظيمة الشأن محكمة الصنعة ، وبصدره سرير الملك ، وهو منبر من رخام مرتفع ، يجلس عليه السلطان في أيام المواعيد العظام لاقبوم رسل الملوك ونحو ذلك .

ويقيم من هذا الإيوان إلى ساحة لطيفة بها باب القصر الأبقى المتقدم

- ١٠ ذكره ، وبناحيها مصاطب يجلس عليها خواص الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة ؛ ويدخل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن ، نبيه القدر ، يتوصل منها إلى القصر المذكور ، وهو قصر عظيم البناء ، شاهق في الهواء ، به إيوانان في جهتي الشمال والجنوب ، أعظمهما الشمال ، يطل منهما على الإصطبلات السلطانية ، ويمتد النظر منهما إلى سوق الخيل والقاهرة والفسطاط وحواضرها ، إلى مجرى النيل ، وإلى ذلك من بلاد الجيزة والجبل وما إلى ذلك ، وبصدره منبر من رخام كالذي
- ١٥ في الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحيانا في وقت الخدمة على ما أتى ذكره .

والإيوان الثاني وهو القبل خاص بمخروج السلطان وخواصه منه ، من باب السر

إلى الإيوان الكبير خارج القصر للبلوس فيه أيام المواعيد العظام ، ويدخل من القصر المتقدم ذكره إلى ثلاثة قصور جَوَانِيَّة : واحد منها مسامت لأرض القصر

- ٢٠ الكبير ، وأثنان مرفوعان ، يُصعد إليهما بدرج ، في جميعها شبابيك من حديد تشرف على ما يُشرف عليه القصر ، ويدخل من القصور الجَوَانِيَّة إلى دور الحرم وأبواب

الستور السلطانية؛ وهذه القصور جميعها ظاهرها بالبحر الأسود والأصفر، ودخلها مؤزر بالرخام والقصص المذهب المشجر بالصدف وأنواع الملونات، والسقوف المبطنة بالذهب والألوان تشرق لضوء في جذراتها بطاقات من الزجاج القبري الملوّن كقطع الجوهر المولفة في العقود، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المقول من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله .

قال في "مسالك الأبصار"؛ فاما الأدر السلطانية فعل ماصح عندي خبره أنها ذوات بساين وأشجار ومناخات لمحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدواجن وخارج هذه القصور طباق واسعة للمالك السلطانية ، ودور عظام خواص الأمراء من مقعدى الألوف ، ومن عظم قدره من أمراء الطبقات والعشرات ، ومن خرج عن حكم الخاصكية إلى حكم البرانيين .

وبها بيوت ومساكن لكثير من الناس، وسوق للآكل ، وبيع بها النقيس من السلاح والتماش مع الدلالين يطوفون به .

وبهذه القلعة مع ارتفاع أرضها وكونها مبنية على جبل بئر ماء معين منقوبة في الحجر ، احتضرتها بهاء الدين قراقوش المتقدم ذكره حين بناء القلعة ، وهى من أعجب الآبار ، بأسفلها سواقي تدور فيها الأبقار، وتنقل الماء في وسطها ، وبوسطها سواقي تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل الماء إلى أعلاها ؛ ولها طريق إلى الماء يتزل البقر فيه إلى مئبها في مجاز ، وجميع ذلك تحت في الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : وسمعت من يحكى من المشايخ أنها لما فترت ، جاء ماؤها تنديا فأراد قراقوش أو توابه الزيادة في مائها فوسع نقرا في الجبل ، فخرجت منه عين مالحلة فبرت عذوبتها . ويقال : إن أرضها تسميت أرض

(١) في القرطبي هكذا : «وقد مزعت بالأزورد والنور وخرق في جذواتها الخ» .

بركة الفيل ؛ وهذه البئر ينتفع بها أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات . أما شربهم فن الماء العذب المنقول إليها من النيل بإروايا على ظهور الجمال والبغال مع ما ينساق إلى قصور السلطان ودور أكابر الأمراء المجاورين للسلطان من ماء النيل في المجارى ، بالسواقى النقالات والدواليب التى تديرها الأبقار وتقل الماء من مقر إلى آخر حتى ينتهى إلى القلعة ، ويدخل إلى القصور والأدور .
 ٥. فى ارتفاع نحو تسعمائة ذراع .

وقد استجده السلطان الملك الظاهر برقوق بهذه القلعة صهرىما عظيما يملأ فى كل سنة زمن النيل من الماء المنقول إلى القلعة من السواقى النقالات ، ورتب عليه سيلا بالدرج الذى بها دار النياحة يسقى فيه الماء وحصل به للناس رفق عظيم .
 ١٠. وتحت مشرف هذه القلعة مما إلى القصور السلطانية ميدان عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل ، مزجج بالجبلى الأخضر ، فسبح المدي ، يسافر النظر فى أرجائه ، به أنواع من الوحوش المستحسنة المنظر ، وتربط به الخواص من الخيول السلطانية للتفسيح ؛ وفيه يصل السلطان الميدى على ما سيأتى ذكره ؛ وفيه تعرض الخيول السلطانية فى أوقات الإطلاقات ووصول التقادم والمشتري ، وربما أطعم فيه الجوارح السلطانية ؛ وإذا أراد السلطان التزول إليه خرج من باب إيوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص ، ثم نزل إليه راجعا وخواص الأمراء فى خدمته مشاة ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضى محمى الدين بن عبد الظاهر فى "خططه" : وكان هذا الميدان وما حوله يعرف قديما بالميدان ، وبه قصر أحمد بن طولون وداره التى يسكنها ، والأماكن المعروفة بالقطاع حوله على ما تقدم ذكره فى خطط القسطنطين ، ولم يزل كذلك حتى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هذا الميدان تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرى السواقى القنالات من النيل إليه ، وتعمر إلى جانبه ثلاث برك تملأ لسقيه ، ثم تعطل في أيامه مدة ، ثم أهتم به الملك العادل ولده ، ثم أهتم به الصالح نجم الدين أيوب أهتماما عظيما ، وجدد له ساقية أخرى ، وغرس في جوانبه أشجارا فصارت في نهاية الحسن . فلما توفى الصالح تلاشى حاله إلى أن هُدم في سنة خمس وسبعمائة ، أو سنة إحدى وخمسين في الأيام المَعْرِية أيبك التركمانى ، وهُدمت السواقى والقناطر وعَفَّت آثارها ، وبقي كذلك حتى عمَّره السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمارته ورصَّفه أبدع تصريف ، وهو على ذلك إلى الآن .

أما المَيْدَانُ السلطانى الذى يَحُطُّ اللوق ، وهو الذى يركب إليه السلطان عند وفاء النيل لِلْعِبَةِ الكُورَةِ ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطوارق على بابها كما تُنصب على باب القلاع وغيرها ، ولم تزل الطوارق منصوبة عليه إلى ما بعد السبعمائة ؛ وسيأتى الكلام على كيفية الركوب إليه في المواكب في الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
والقلمة التى بالروضة تقدم الكلام عليها [في الكلام] على خطط القسطنطين .



ومما يتصل بهذه القواعد الثلاث ويتحقق بها "القرافة" التى هى مدفن أمواتها ، وهى تربة عظيمة تمتدة في سفح المَقْطَم ، موقعها بين المقطم والقُسْطَاط وبعض القاهرة ، تمتد من قلعة الجبل المتقدم ذكرها آخذة في جهة الجنوب إلى بركة الحبش وما حولها . وكان سبب جعلها مقبرة ما رواه ابن عبد الحَكَم عن الليث بن سعد :
أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك ،

- فكتب إليه عمر : أَن سَلَّ لَمْ أَعْطَاكَ بِهِ مَا أَعْطَاكَ وَهِيَ لَا تُزْرَع وَلَا يُسْتَبْطُ بِهَا ماء وَلَا يَنْتَفَعُ بِهَا ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : إِنَّا لَنَجِدُ يَسْقَتْهَا فِي الْكُتُبِ أَنَّ فِيهَا فِرَاسُ الْجَنَّةِ ، فَكُتِبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : "إِنِّي لَا أَرَى خَيْرَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا لِلْأُمِّيِّينَ فَأَقْبَرُ بِهَا مَنْ مَاتَ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَبْعُهَا بَنِي" فَقَالَ الْمُقَوْسُ لِعُمَرَ : مَا عَلِيٌّ ذَا عَاهِدَتَنَا ، فَقَطَعَ لَمْ قَطْعَةً تُدْفَنُ فِيهَا النَّصَارَى ، وَهِيَ الَّتِي عَلَى الْقَرْبِ مِنْ بَرَكَةِ الْحَبَشِ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قُبِرَ بِسَفْحِ الْمَقَطَمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُعَاوِيَةِ عَامِرٌ ، فَقِيلَ عَمَرْتُ .

- وَيُرْوَى أَنَّ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ عَلَى سَفْحِ الْمَقَطَمِ فِي سَبَاحَةِ وَمَعَهُ أُمُّهُ ، فَقَالَ : "يَا أُمَاهُ ! هَذِهِ مَقْبَرَةُ أُمَّةٍ عَدُوٍّ لِّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" . وَفِيهَا ضُرَائِحُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَخَاوَةَ يُوسُفَ وَغَيْرِهِمْ . وَبِهَا قَبْرُ أَسِيَّةَ أَمْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وَمَشَاهِدُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّائِمِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَالزُّهَّادِ وَالْأَوْلِيَاءِ .
- وَقَدْ بَنَى النَّاسُ بِهَا الْأَبْنِيَةَ الرَّائِقَةَ ، وَالْمَنَاظِرَ الْبَهِيَّةَ ، وَالْفُصُورَ الْبَدِيعَةَ ، يَسْرَحُ النَّاضِرُ فِي أَرْجَائِهَا ، وَيَتَنَجَّجُ الْخَاطِرُ بِرُؤْيَايَهَا ، وَبِهَا الْحَوَامِعُ وَالْمَسَاجِدُ وَالزُّوَايَا وَالرُّبُطُ وَالْخَوَانِقُ ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَّا أَنَّهَا قَلِيلَةٌ السَّاكِنُ .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

فِي ذِكْرِ كَوْنِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَهِيَ عَلَى ضَرِيحَيْنِ

الضرب الأول

فِي ذِكْرِ كَوْنِهَا الْقَدِيمَةِ

- وَقَدْ جَعَلَهَا الْقَضَائِيُّ فِي "خَطِّطِهِ" ثَلَاثَةَ أَحْيَازَ ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى نَحْمَسٍ وَنَحْمَسَيْنِ كَوْرَةٍ ، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَهَا سَرْدًا غَيْرَ مَبْيِّنَةٍ وَلَا مُرْتَبَةِ ، وَقَدْ أَوْرَدْتُهَا هُنَا مَبْيِّنَةً مُرْتَبَةً ،

ونبئت على ما هو مستقر منها على حكمة ، وما تنبئ حكمة بإضافته إلى غيره من الأعمال المستمرة مع بقاء أسمائه ، وما درس اسمه ونسبه ، أو تنبئ ولم تعلم له حقيقة .

الحيز الأول

أعلى الأرض ، وهو الصعيد

• والمراد ما هو من كورة جنوب القسطنطينية إلى نهايته في الجنوب ، وسمى صعيداً لأن أرضه كلها وبلت في الجنوب ، أخذت في الصعود والارتفاع .

وقد ذكر القضاة فيه عشرين كورة :

الأولى — (كورة القيوم) وهي كورة باقية مستمرة الحكم إلى الآن ، وسميت ذكرها في الكلام على الأعمال المستمرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

١٠ الثانية — (كورة منيف) ومنيف هي مدينة مصر القديمة المتقدمة الذكر ، التي بناها مصر بن بصير بن حام بن نوح عليه السلام . وقد تقدم أنها على أثنى عشر ميلاً من القسطنطينية في جنوبيه على القرب من البلدة المعروفة الآن بالبدريين .

الثالثة — (كورة ويسيم) ويسيم بفتح الواو وكسر السين المهملة وسكون الباء المشناة تحت وميم في الآخر . بلدة من عمل الجيزة معروفة ، والشابت في الدواوين أويسيم بزيادة ألف في أولها وسكون الواو .

الرابعة — (كورة الشرقية) وكان المراد بها عمل إطفح الآن إذ هو شرق النيل وليس بالوجه القبلي عمل مستقل شرق النيل سواه .

الخامسة — (كورة دلاص وبوصير) أما دلاص فبدال مهمة مفتوحة ولام ألف ثم صاد مهمة ، قال في "الروض المطار" : كانت مدينة عظيمة بها عجائب الأبنية وبها كان مجتمع شجرة مصر . وأما بوصير فالمراد هنا بوصير قورديس التي

قتل بها مروان الجمار، آخر خلفاء بني أمية، ودلاص وبوصير هذه كلاهما الآن من عمل البهنسي، وسيأتي ذكره في الأعمال المستقرة .

قال في "الروض المعطار" : قال الجاحظ : بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلى زمانه .

- قلت : والمعروف أن مولد عيسى عليه السلام كان بالقدس من أرض الشام .
على ما سيأتي ذكره في الكلام على الإيمان في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

السادسة — (كُورَةُ أَهْنَسَ) وأهْنَسُ بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة في الآخر، وتعرف بأهْنَسُ المدينة، كانت مدينة في القديم، وهي الآن من جملة عمل البهنسي الآتي ذكره في الأعمال المستقرة .

- السابعة — (كُورَةُ الْقَيْسِ) والقَيْسُ بفتح القاف وسكون الياء المشناة تحت وسين مهملة في الآخر، كانت مدينة في القديم، وهي الآن قرية معدودة من عمل البهنسي أيضا.
الثامنة — (كُورَةُ الْبَهْنَسِي) وهي ذات عمل مستقر، وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

التاسعة — (كُورَةُ طَحَا وَجِيرُ شَنُودَةَ) . أما طحا فبفتح الطاء والحاء المهملتين

- وألف في الآخر، كانت في القديم مدينة ذات عمل، ولذلك تعرف بطحَا المدينة، وهي الآن من عمل الأثمُونِيِّين الآتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة؛ وإليها ينسب أبو جعفر الطحاوي إمام الحنفية ومحدثهم .
وأما جِيرُ شَنُودَةَ^(١)، فمن الأسماء التي درّست ولم تعلم حقيقتها .

العاشرة — (كُورَةُ بُوَيْطَ) قال ابن خَلِّكَانَ : بُوَيْطَ بضم الباء الموحدة وفتح

- الواو وسكون الياء المشناة تحت وطاء مهملة في الآخر. وقال في "تقويم البلدان"^(٢) :

(١) كذا في ياقوت . وفي الأصل : « حير » بالحاء المهملة .

(٢) نص ياقوت على الضبطين وقال : أكثر ما يقال بغير همز .

بهمزة مفتوحة في أوله وباء ساكنة ، وهو أسم واقع على بلدين بالديار المصرية : أحدهما بعمل البهنسى في لحف الجبل على طريق المازة ، وإليها ينسب أبو يعقوب البَوَيْطُ : أحد رواة الجديد عن الإمام الشافعي رضي الله عنه . والثانية من عمل سُيُوط وتُعرف ببُويط البتينة ، وإليها ينسب شرق بويط والظاهر أنها المرادة هنا .

• الحادية عشرة — (كُورَةُ الأَشْمُوتَيْنِ وَأَنْصَنَا وَشُطْبُ) . أما مدينة الأَشْمُوتَيْنِ ، فذات عمل مستقر ، وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وَأما (أَنْصَنَا) فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد المهملة وفتح النون وألف في الآخر ، وهي مدينة قديمة خرابٌ في البر الشرقي من النيل قبالة الأَشْمُوتَيْنِ . ١٠

وقد ذكر ابن هشام في السيرة : أن ماريّة القبطية التي أهداها المُقَوْسُ النُجَـيَّ صَلَّى الله عليه وسلم من كُورَتِهَا من قرية يقال لها حَقْنُ ، وأنصنا الآن من جملة عمل الأَشْمُوتَيْنِ .

وَأما (شُطْبُ) فبضم الشين المعجمة وسكون الطاء المهملة وباء موحدة في الآخر ، وهي مدينة قديمة بنيت في زمن شَدَّاد بن عديم أحد ملوك مصر بعد الطوفان قد تحربت وغير عليها قرية صغيرة سميت باسمها ، وهي الآن من جملة عمل سُيُوط التي ذكره في الأعمال المستقرة . ١٥

الثانية عشرة — (كُورَةُ سَيُوط) وهي مستقر الحكم وسيأتي ذكرها في الأعمال المستقرة .

• الرابعة عشرة — (كُورَةُ قَهْقُوه) وهي من الأسماء التي درست ونُسيِت ، ولم أعلم بالصعيد بلدة تسمى الآن بهذا الأسم . ٢٠

الخامسة عشرة - (كورة إنعيم والدَّير وأُنْشَاة) . أما كورة إنعيم ، فن الكور المستنزة الحكم ، وسيأتى الكلام عليها فى الكُور المستنزة .

وأما (الدير) فيجوز أن يكون المراد به الدَّير والبَلَّاص ، وهى بلدة فى شرق النيل شمالي قنَّا ، هى الآن من عمل قُوص الآتية الذِكر .

• وأما (أُنْشَاة) فن الأسماء التى جهلت .

السادسة عشرة - (كورة هُوَ وَدَنْدَرَة وَقِنَّا) . أما هُوَ ، فبضم الهاء وسكون الواو ، وهى مدينة صغيرة على ساحل البر الغربى الجنوبى من النيل ، ويضاف إليها الدواوين الكوم الأحمر ، فيقال هُوَ والكوم الأحمر .

وأما (دَنْدَرَة) فيفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة

وهاء فى الآخر ، وهى مدينة قديمة تحراب على الساحل الغربى الجنوبى من النيل فى شرق هُوَ ، وبها كانت الرِّبَاة العظيمة المتقدِّم ذكرها فى عجائب الديار المصرية .

وأما (قِنَّا) فبكسر القاف وفتح النون وألف فى الآخر ، وهى مدينة شرق النيل ، وبها ضريح السيد الجليل عبد الرحيم القِنَّائى ، المعروف بالبرَّكة وإجابة الدعاء عنده . وهذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قُوص الآتى ذكره فى الكلام على الأعمال المستنزة .

السابعة عشرة - (كُورَة قِفْطُ والأَقْصِر) . أما قِفْطُ ، فبكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة فى الآخر ، كانت مدينة قديمة بالبر الشرقى من النيل جنوبى قِنَّا المتقدِّمة الذِكر ، بناها قِفْطُ بن قبطيم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام

(١) هذا لا ينفق مع الحقيقة . والصواب أن الدير وأُنْشَاة المذكورتين مع إنعيم هما بنا بلدتان من كورة إنعيم ، الأولى منهما وهى الدير لازالت تعرف باسم نجع الدير تحت سفح الجبل الغربى تجاه مدينة سوهاج . وبها الدير الأبيض وهو دير الأنبا بشاى بأراضى ناحية أولاد عزاز بمركز سوهاج . وأما أُنْشَاة فهى البلدة التى تعرف اليوم باسم المنشأة بمركز جرجا بجزيرة جرجا . ولا علاقة لهاتين البلدتين بالدير واليلاص القتين بمركز قنَّا . (٢) لا تزال قائمة إلى اليوم . (٣) فى ياقوت : قلف بن مصر ... ثم قال : وأصله فى كلامهم قلفيم بمصرىم ، ولكن الذى فى المقريزى محو ما فى الأصل .

أحد ملوك مصر بعد الطوفان، غربت وبقيت آثارها وعمرت على القرب منها مدينة صغيرة سميت بأسمها .

وأما (الأقصر) فبضم الهمزة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة في الآخر، وتسمى الأقصرين أيضا على التثنية، وهي مدينة خراب بالبر الشرق من النيل، قد عُمر على القرب منها قرية سميت بأسمها، وبها ضريح السيد الجليل أبو الحجاج الأقصري، وكانت بها برّاة عظيمة غربت. وأعلم أن بين قفط والأقصر مدينة قوص، وقد ذكر القضاعي كورتها في جملة الكُور، فكيف يستقيم أن تذكر قفط والأقصر كورة واحدة ! .

الثامنة عشرة — (كورة قوص) وهي مستنزة الحكم، وسيأتي الكلام عليها في جملة الأعمال المستنزة إن شاء الله تعالى .

التاسعة عشرة — (كورة أسنا وأرمنت) . أما أسنا، فبفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف في الآخر، وهي مدينة حسنة بالبر الغربي من النيل، ويقال : إنه لم يسلم من تخريب بُحَّتْ نَصْر من مدن الديار المصرية سواها، وذلك أن أهلها هربوا منه إلى الجبل بالقرب منها فقبهم وقتلهم هناك وترك البلد على حالها .

وأما (أرمنت) فبفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مشاة فوق في الآخر، وهي مدينة صغيرة بالبر الغربي الشّمال من النيل بينها وبين أسنا مرحلة، وكلاهما الآن من عمل قوص، وقد جرى على الألسنة الجمع بينهما في اللفظ فيقال : أسنا وأرمنت، وكان ذلك لكثرة اجتماعهما في إقطاع واحد .

العشرون — (كورة أسوان) . وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستنزة مع الأعمال القوصية إن شاء الله تعالى .

(١) لا تزال بقاياها قائمة إلى اليوم . (٢) ضبطه باقوت بكسر الهمزة .

(٣) المعروف أن بُحَّتْ نصر لم يدخل مصر .

الحيز الثاني

أَسفل الأرض

وقد ذكر القضاة : أنها ثلاث وثلاثون كورة في أربع نواحي .

الناحية الأولى

٥. كُور الحَوْف الشرقي، وبها ثمان كُور .
الأولى - (كورة عَيْن تَمِيم) وعين شمس مدينة قديمة خرابٌ على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة الآتي ذكرها في الأعمال المستقاة .
قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر: رأيت على حاشية بعض كتب التواريخ أن مَلِكها كان عظيم الشأن، وعاش إلى زمن يوسف عليه السلام وتزوج أبنته .
١٠. الثانية - (كورة أَثْرِب) وأثريب مدينة خرابٌ على القرب من بُها العَسَل من أعمال الشرقية الآتي ذكرها في الأعمال المستقاة ، بناها أَثْرِب بن قطيم بن مصر أبن بيمصر بن حام بن نوح عليه السلام .
الثالثة - (كورة نَتَّا وَثُمِّي) أما نَتَّا ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة اسمها نَتَّا، وإنما نَتَّا بعمل الغربية، وسيأتي ذكرها مع بُوصير هناك .
١٥. وأما (ثُمِّي) فبضم التاء المثناة فوق وفتح الميم وياء مثناة تحت في آخرها ، وهي مدينة خرابٌ بعمل المُرتاجية ، بها آثارٌ عظامٌ ، رأيت فيها أبواباً من حجر صوان قطعة واحدة ، أرتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة على قاعدة من صوان أيضاً .
- الرابعة - (كُورَةُ بَسْطَة) وبَسْطَة بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وهاء في الآخر، وهي مدينة خرابٌ تعرف الآن بَتَل بَسْطَة من عمل الشرقية .

- الخامسة — (كورة طَرَّابِيَّة) وهى من الأسماء التى دَرَسَتْ ولم تعرف .
- السادسة — (كورة قُرَيْبُط^(١)) وهى من المجهول أيضا .
- السابعة — (كورة صَانٍ وَأَبْلِيل^(٢)) وهى من المجهول .
- الثامنة — (كورة القَرَمَا والعَرِيش) . أما القَرَمَا، فقال فى "تقويم البُلْدَان":
- هى بقاء وراء مهملته ويم مفتوحات هم ألف ، وهى بلدة خرابٌ على شاطئ بحر الروم، على بُعْدِ يومٍ من قَطِيَّة . قال آبن حَوْقَل : وبها قَبْرُ جالينوس الحكيم .
- وأما (العَرِيش) فبفتح العين المهملته وكسر الراء المهملته وسكون الياء المثناة تحتُ وشين معجمة فى الآخر، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة ذات جامعين مفتقى البناء، وثمار وفواكه .
- ١٥ قال فى "تقويم البُلْدَان" : وهى الآن مَنَزِلَةٌ على شَطْطِ بحر الروم، وبها آثار قديمة من الرُّخَامِ وفيه .
- قال فى "الروض المعطار" : وكان بَلْبِنَا وبين قبرس طَرِيق مسلوكة فى البر .

الناحية الثانية

بطن الريف

- ١٥ وأصل الرِّيف فى لغة العرب موضع الزَّرع والشجر ، إلا أنه غلب بالديار المصرية على أسفل الأرض منها ؛ وفيها سَبْعُ كُورَ :
- الأولى — (كُورَةُ بَنَّا وَبُوصِيرَ) . أما بَنَّا، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف فى الآخر . وَبُوصِيرَ تقدم ضبطها فى الكلام على بوصير المعروفة بمصر يوسف بالجيزة عند ذكر قواعد مصر القديمة، وبنا وَبُوصِيرَ هذه كلاهما من عمل الغربية الآتى ذكره فى الأعمال المستقرة .
- ٢٠

(١) هذه الكورة تعرف اليوم باسم « هريبط » إحدى قرى مركز كفر صقر بمديرية الشرقية .
 وفى الأصل : « قريبط » باللفظ . (٢) صان هذه لا تزال موجودة باسم « صان الحجر » إحدى قرى مركز قانوس بمديرية الشرقية . وأما أبليل فقد خربت وكانت بالقرب منها .
 (٣) فى الأصل : « قدس » وهو خطأ .

الثانية - (كُورَة تَمْنُودُ) وسمندود بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشددة والواو ودال مهملة في الآخر، وهي مدينة صغيرة من الأعمال الغربية، كان لها عمل مستقر في أول الأمر ثم أضيفت إلى عمل الغربية.

الثالثة - (كُورَة تَوْسَا) ونوسا بفتح النون والواو والسين المهملة في الآخر، وهي الآن قرية من قُرى المُرتاحية.

الرابعة - (كورة الأوسية) وهي من الأسماء التي درّست وجُهِلت.

الخامسة - (كورة البُجُوم) بالباء الموحدة والجيم، وهي من الأسماء المندرجة أيضا، ولا يُعرف مكان بالذ يار المصرية أسمه البُجُوم إلا أرض بأسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للياه المنصرفه عن البحيرة.

السادسة - (كُورَة دَقَهْلَة) ودَقَهْلَة بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء في الآخر، وهي مدينة قديمة بالحزيرة بين فرقة النيل المازة إلى دياط والفرقة التي تصب ببحيرة بُنَيْس، وإليها ينسب عمل الدقهلية، وهي الآن قرية من عمل أشبوم الآتي ذكرها في الأعمال المستنقزة، وإن كان العمل في الأصل منسوباً إليها.

السابعة - (كورة بُنَيْس وِدْمِيَاط) . أما بُنَيْس، فقال في اللُّبَاب : هي بكسر

اللمنة فوق والنون المشددة وسكون الياء المشناة تحت وسين مهملة في الآخر، والبحارى على الألسنة فتح التاء، كانت مدينة عظيمة فطمى عليها الماء قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحَيْرَة، وسيأتي الكلام عليها في الكلام على بُحَيْرَتِهَا، وهي الآن قرية صغيرة بوسط البُحيرة والماء محيط بها.

قال في "الروض المعطار" : وكانت تُرْبَتُهَا من أطيب التُّرْب، وبها تُحَاك

الثياب النفيسة التي ليس لها نظير في الدنيا، وقد قيل : إن الجنتين اللتين أخبر الله

تعالى عنهما في سورة الكهف بقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا لِّرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية ، كانتا بِنَيْس .
وأما دِمْيَاطُ ، فسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

الناحية الثالثة

- الجزيرة بين فِرْقَتَيْ النيل الشرقية والغربية ، وفيها خمس كور :
الأولى - (كُورَةُ دَمِيسُوس وَمَنُوف) . أما دَمِيسُوسُ ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وسين مهملة في الآخر ، وهي الآن بلدة من عمل الغربية .
وأما مَنُوفٌ ^(١) فمن الأسماء التي نُسيبت وجهلت .
- ١٠ الثانية - (كُورَةُ طُوءَ مَنُوف) وهي من الأسماء التي جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة أممها طُوءَ غير بلدين بالوجه القبلي إحداها بالاشُّمُونيين ، والثانية بالبلساوية .
- الثالثة - (كُورَةُ سَخَا وَتَيْدَةَ وَالْفَرَّاجُون) . أما سَخَا ، فبفتح السين المهملة والهاء المعجمة وألف في آخرها ، وهي بلدة حسنة كانت ذات عمل ، ثم استغفرت من عمل الغربية الآن .
- ١٥ وأما تَيْدَةُ ، فبفتح التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وفتح الدال المهملة وهاء في آخرها ، وهي الآن قرية من قرى الغربية .
- وأما الفَرَّاجُونُ ، فبالألف واللام في أولها ، ثم فاء مفتوحة وراء مهملة مشددة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون في الآخر ، وهي بلدة مضافة إلى تَيْدَةَ ، فيقال : تَيْدَةُ وَالْفَرَّاجُون .
- ٢٠

(١) دسيس زالت ، وعملها يعرف اليوم باسم كفر شبرا اليمن من توابع شبرا اليمن بمركز بني مصرية الغربية . (٢) منوف هي التي تعرف اليوم باسم محلة منوف إحدى قرى مركز طاعلا مديرية الغربية .

- الرابعة - (كورة قَيْزَة وديصا) وهما من الأسماء التي نُسِيت وجهات .
الخامسة - (كُورَة البَشْرود) وهى من الأسماء التي جهلت .

الناحية الرابعة

الحَوَاف الغُربى، وفيها إحدى عشرة كورة :

- الأولى - (كورة صَا) وصَا بصاد مهملة مفتوحة وألف فى الآخر، وهى مدينة
نحرا ب شرق الفرقة الغربية من النيل، بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيسر بن حام
آ بن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد
عمرت بالقرب منها قرية سميت بأسمها، وكان عملها كان من البر الغربى .
- الثانية - (كورة شَبَّاس) وشَبَّاس بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف
ثم سين مهملة أسم ثلاث بلاد من عمل الغربية الآن، وهى شَبَّاس المَلْع، وشَبَّاس
أُنْبارة، وشَبَّاس سنقر، وتعرف بِشَبَّاس الشهداء، وكان المراد الثالثة لأنها أعظمها .
- الثالثة - (كُورَة البَذْقُون) وهى من الأسماء التي درست وجهت .
- الرابعة - (كورة الخَيْس والشَّرَاك) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة
تسمى الخيس، وإنما الخَيْسُ بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة
فى الآخر، بلدة من عمل الشرقية .
- وأما الشَّرَاك، فبكسر الشين المعجمة المشددة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف،
وهى بلدة من عمل البحيرة .
- الخامسة - (كورة خِرَيْتَا) بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر
الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهى قرية معروفة من عمل البحيرة، ومنها سار
من سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .
- (١) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وفى الأصل : « بقيرة » وهو بحر جف .

السادسة - (كورة قَوْطَسًا وَصَيْل) . أما قَوْطَسًا فيفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح الطاء والسين المهملتين وألف في الآخر؛ وهي قرية من عمل البحيرة الآن .
وأما صَيْل ، فمن الأسماء التي جهلت

السابعة - (كورة المَليدس) وهي من الأسماء التي جهلت .

الثامنة - (كورة إَجْنَا وَرَشِيدَ^(١) وَالبَحِيرَة) . أما إَجْنَا ، فمن الأسماء التي جهلت ولا يعرف بالبحيرة بلد أسمها إَجْنَا ، وإنما أخنوية من عمل الغربية، والعامة تقول إَجْنَا .
وأما رَشِيدٌ ، يفتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة في الآخر، فبَلَدَةٌ عند مَصَّبِ الفرقة الغربية التي يقع الاعتناء بحفظها .
وفي ذلك نظر لإعتباره الغربية ورشيد من سواحل البحيرة ، وبينهما بعدٌ يبعد معه أن يمتصفا في كورة واحدة .

وأما البَحِيرَة ، فالظاهر أنه يريد بحيرة بوقير المتقدم ذكرها في الكلام على الفوائد القديمة، ويأتي بقية الكلام عليها في الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

العاشرة - (كورة مَرْيُوطُ^(٢)) . ومربوط بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهملة في الآخر، وهي ناحية غربي الإسكندرية داخلية الآن في عملها، بها الأشجار والبساتين، وفواكهها تحمل للإسكندرية .

الحادية عشرة - (كورة لُؤْيِيَّةَ وَمَرَايَّةَ) . أما لُؤْيِيَّةَ ، فبلام وواو وباء موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال في "الروض المعطار" : وهي كورة

(١) قال باقوت في كلامه على «إخنا» : « ووجدته في غير نسخة من كتاب فنوح مصر بالجيم ، وأحقت في السؤال عنه بمصر فلم أجده من غيره إلا بإخنا ، وقال الفضاعي وهو يمتدح كروا الحوف الغربي : وكورة إخنا ورشيد والبحيرة وجميع ذلك قرب الإسكندرية » وفي الأصل : « إخنا » وقد أوردناها بالجيم في الأول لإثبات الرأيين والسياق يقتضيه .
(٢) سقطت التاسعة من قلم النسخ وهي «كورة البترون» وقد ذكرها ابن دقائ في كتاب "الانصار" .

- من كُور مصر الغربية، متصلة بالإسكندرية. قال: وقد قيل إن الإسكندر كان منها.
وأما مَرَاقِيَّةٌ، فبميم وراء مهمله وألف وقاف وباء مشاة تحت وهاء في الآن.
وقد ذكر القضاعى في تحديد الديار المصرية ما يقتضى أنهما بجوار بَرْقَة، فقال:
إن الذى يقع عليه اسم مصر من العريش إلى لُويْسَة ومَرَاقِيَّة، ثم قال: وفى آخر
أرض مَرَاقِيَّة تلى أرض أنطابُلس، وهى بَرْقَة، والظاهر أن لوبية غربى مربوط،
ومَرَاقِيَّة غربى لوبية، وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب.

الحَيَزُ الثالث

كُور القِبْلَة، وفيها خمس كور:

- الأولى — (كورة الطور وفاران). أما الطور فضبطه معروف. قال فى المشترك:
والطور فى اللغة العبرانية اسم لكل جَبَل، ثم صار عامًا لجبال بعينها، منها:
١٠ جبل طُورِزَيْتًا بلفظ الزيت، وهو اسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة، وجبل
بِالْقُدْس، وجبل مُعِزُّ على طَبْرِية؛ وطُور هرون بِالقُدْس، وطُور سينا، وهو المراد
هنا، وهو جبل داخل فى بحر القُلْزُم على رأسه دَبْرُ عَظِيم، وفى واديه بساتين وأشجار،
وهو على مَرَحَلَة من قُرْصَة الطور المتقدمة المذكور فى تحديد بحر القُلْزُم، وكأنها سميت
بأسمه لقربها منه. قال ابن الأنبارى فى "كتابه الزاهر": "وسمى الطور بطور بن
١٥ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.
وأما فاران، فبفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهمله بعدها ألف ثانية ثم نون،
قال فى "الروض المعطار": وهى مدينة صغيرة من بر الجحاز على جون على البحر.
قال: ولجبال فاران ذكر فى التوراة.
الثانية — (كورة رَايَة والقُلْزُم). أما راية فن الأسماء التى جهلت، وقد
٢٠ ذكرها ابن سعيد مقرونة بالقُلْزُم فقال: ورايَة والقُلْزُم من كور مصر.

وأما القُزُمُ ، فقال في المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي المعجمة ثم ميم في الآخر، وهي مدينة قديمة على ساحل بحر القُزُمُ وإليها ينسب البحر المذكور .

قال في "القانون" : وطولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة ، وعلى القرب منها غرق فرعون .

السائلة — (كورة أيلة وحيزها ، ومدين وحيزها ، والونيد وحيزها ، والخوراء وحيزها) .

أما أيلة ، فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر ، قال : وهي كانت مدينة صغيرة خراباً على ساحل بحر القُزُمُ . قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

قال في "تقويم البلدان" : وبها زرع يسير ، وهي مدينة اليهود الذين جعل منهم القردة والخنازير ، وعليها طريق حجاج مصر . قال : وهي في زماننا بريح وبه وآل من مصر وليس بها مزدرع ، وكان بها قلعة في البحر فبطلت ونقل الوالى إلى البرج .

وأما مدين ، فبسطها معروف ، وهي في الأصل اسم لقبيلة شعيب عليه السلام وكانوا مقيمين بها فسميت البلد بهم ، وهي مدينة خراب على بحر القُزُمُ محاذية لنبوك من بلاد الشام على نحو ست مراحل منها ، وعدها في "الروض المعطار" من بلاد الشام ، وبها البئر التي آستقى منها موسى عليه السلام لبنات شعيب وسقى غنمهم .

قال ابن سعيد : وسعة البحر عندها نحو بحرى .

وأما العونيد ، فبعين مهلة وواو وياء مثناة تحت ونون ودال ، قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة قريبة من نصف الطريق بين جدة والقُزُمُ . قال : وعلى

القرب منها مرسى صنا ، يחד الماء بها عن أثر قدم من أوسط الأقدام بينة
الكعب والأخص والأصابع لم يُعفها الزمان ، ولا تمنحى بمرور الماء عليها .

وأما الحوَّاء ، فبناه مهملة مفتوحة بـسـدها وأوساكنة وراء مهملة مفتوحة
ثم ألف في الآخر . قال في "الروض المطار" : وهى مدينة على ساحل وادى
القوى بها مسجد جامع ، وبها ثمانية آبار عذبة ، وبها ثمار ونخل وأهلها عرب
من جُهينة وبلي .

قلت : والمعروف فى زماننا أن الحوَّاء منزلة بطريق مُجَّاج مصر ، ولعلها على
القرب منها .

الرابعة — كورة بدأ يعقوب وشُعب ، ولم أطم حقيقة مكانهما .

قلت : ذكر القضاى أيلة ومدين وما والاها مما على ساحل بحر القلزم من
بر الحجاز فى أعمال مصر جريا على ما قدمه من إدخال ذلك فى تحديد الديار
المصرية ، على أنه قد أهل من جملة الديار المصرية حيزين آخرين .

الحيز الأول

بلاد الواح

١٥ إذ هى داخلية فى حدود الديار المصرية على ما حدده هو وغيره .
قال فى "اللباب" : وهى بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفى آخره حاء
مهملة ، وقال فى "المشترك" : واح بنير ألف ولام ويجمع على واحات ، وهى ناحية
غربى بلاد الصعيد منقطعة عنه خلف الجبل الغربى من جبل مصر المتقدم ذكرهما .
قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بين مصر والإسكندرية والصعيد والنوبة
والحبشة . قال فى "تقويم البلدان" : والبرارى محيطة بها من جميع جهاتها ، وهى
بينها كالجزيرة ، بين رمال ومفاوز .

قال البكري: وهو إقليم مستقل غير مفتقر إلى سواء. قال في "الروض المعطار":
وهي آخر بلاد الإسلام، وبينها وبين بلاد النوبة ست مراحل. قال: وفي هذه
الأرض شبيبة وزاجية وعيون حامضة الطعوم، ولكل نوع منها منفعة وخاصة، وبها
العيون الحارية، والبساتين، والثمار، والتمر الكثير، وبها مدن كثيرة مسورة
وغير مسورة.

قال في "المشارك": وهي ثلاث كور: واح الأولى، وواح الوسطى،
وواح القصوى.

قلت: والأولى منها — مقابل الأعمال البهساوية، وهي أعمرها وأكثرها
ثمرة، ومنها يجلب التروايزيب الكثير، وتعرف بواح البهسي وبالواح الخاص.
والثانية — مقابل شمالي الأعمال الأسبوطية، وتعرف بالواح الداخلة، وهي
تألف ألواح الأولى في العارة، بها مدن مشهورة، منها السامون والمنداو والقابون
والقصير وغيرها.

والثالثة — مقابل جنوبي ألواح الثانية، وتعرف بالواح الخارجة، وبين ريف
الصعيد وبين جميعها عرض جبل مصر الغربي، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها
بحسب اختلاف الأماكن والطرق.

قال في "التعريف": وهي جارية في إقطاع أمراء مصر، وهم يؤلون عليها
من يقيهم. قال: ومثلها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله أسوة بقية ديار
مصر، لوقومه منقطعا في البلاد النائية والفقار النازحة.

قال في "مسالك الأبحار": ولا تعد في الولايات ولا الأعمال، ولا يحكم
عليها من قبل السلطان.

الحَيِّزُ الثَّانِي بَرْقَةُ

- بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء في الانحر . قال
في "تقويم البلدان" : وهى من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" :
وطولها اثنتان وأربعون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون
درجة . وهى أرض مُتَبَسِّعة الأرجاء ، مديدة الفضاء ، وهى من أزكى الأراضى
دواب ، وأمرها مرعى .

- قال في "مسالك الأبصار" : أخبرنى بعض مَنْ رآها أنها شبيهة بأطراف الشام
وجبال نابلس في مَنَابَتِ أشجارها وكيفية أرضها وما هى عليه ، وأنها لو عمرت بالسكان
وتأهلت بالزراعى ، كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشام ، قال : وبها الماشية والسائمة
الكثيرة : من الإبل والغنم والخيل ، وخيلها من أقوى الخيل وأصلبها حوافر ، وصُورُها
بين العِصْرَابِ والبراذين ، وقد جمعت بين حسن العِصْرَابِ وكَمالِ تحاطيطها ، وصلابة
البراذين وثباتها على الوُحُور ؛ وهى إلى محاسن العِصْرَابِ أقرب ، ولكنها لا تبلغ شَأوَ
خيل البحرين والجماز ؛ وفحولها أنجبُ من لَمَانِها . قال : وكذلك بها المدن
المبجلة ، والقصور العلية ، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

- قال ابن سعيد : وهى سلطنة طويلة ، وإن لم يكن لها استقلال لأستلاء العرب
عليها ، وهى إلى إفريقية أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سريرها فى القديم بمدينة
(طَبْرَقَة) ، وذكَر صاحب "الروض المعطار" : أن قاعدتها كانت مدينة (أنطابلس) ،
وقد تقدّم من كلام القضاعى فى تحديد الديار المصرية فى آخر الحَدِّ الشَّامِلى ما يوافقُه .
قال فى "مسالك الأبصار" : ومن مدنها طَلَبِيَّتَا . قلت : والتَّحْقِيقُ أَنَّ بَرْقَةَ
قَنْهَان : قسم محسوب من الديار المصرية ، وهو ما دون العقبة الكبرى إلى الشرق .

وتسم محسوب من إفريقية، وهو مافوق العقبة المذكورة إلى الغرب، وهذه المدن الثلاث مائل على جهة المغرب، والقيمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحاب المشاة. قال في "مسالك الأبصار": وربما زرع بعضهم في بعض أرضها فأنجب، ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بمهارة ولا زرع. قال: وأمرها إلى صاحب مصر يقطعها بالمناشير تارة لبعض الأهرام وتارة للعرب يأخذون مدادها، وكأنه يريد القمم الذي هو من مصر.

الضرب الثاني

من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة، ولما وجهان :

الوجه الأول

القبلي

وهو المبر عنه بالصعيد؛ وقد تقدم بيانه في الكلام على الكور القديمة، وبه تسعة أعمال :

العمل الأول - الجيزة . وهو أقربها إلى القسطنطينية والقاهرة، ومقر ولايته مدينة الجيزة (بكسر الجيم وإسكان الياء المثناة تحت وفتح الزاي المعجمة وبعدها هاء) وموقعها في الإقليم موقع القسطنطينية، وطولها وعرضها واحد؛ وإليها ينسب الربيع الجيزي - راوى الأم عن الشافعي رضي الله عنه .

قال في "الروض المعطار": ويقال إن بها قبر سمب الأجبار، وهي مدينة لطيفة على ضفة النيل الغربية مقابل جزيرة المقياس المتقدمة الذكر والنيل بينهما، وبعض هذا العمل يأخذ في جهة الشمال إلى الوجه البحري الآتي ذكره .

قال في "الروض المعطار": والجيزة أخضعها عمرو بن العاص رضي الله عنه .

العمل الثاني — الإطيفيحية . وهو شرق النيل في جنوب القسقاط ، مصابقب
بركة الحبش وبساتين الوزير . ومقر ولايته مدينة "إطيفيح" (بكسر الهمزة وإسكان
الطاء المهملة و الفاء والياء والحاء المهملة) وربما قلبت الطاء تاءً مشناة فوقاً ، وهي
مدينة لطيفة في البر الشرقي ، وموقعها في الإقليم الثالث ، ولم يتحور لي طولها وعرضها ،
وعملها ما بين المقطم والنيل أخذاً عنها جنوباً وشمالاً ، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث — البهنساوية . وهو مما يلي عمل الجيزة من الجهة الجنوبية ،
ومقر ولايته مدينة البهنسي . قال في "المشترك" : (بفتح الباء وسكون الهاء وفتح
النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهي مدينة لطيفة قديمة بالصعيد
الأدنى بالبر الغربي من النيل تحت الجبل بطوق المزدرع مركبة على ضفة بحر
الفيوم . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .
قال في "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع — الفيومية . وهو مصابقب لعمل البهنسي من غربيه ، وبينهما
منقطع رحل . وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة ، كثير البساتين ، غزير الفواكه ،
دار الأرزاق . يقال إنه كان متصل بمياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه
السلام وجعله ثلثمائة وستين قرية لتغير كل قرية منها بلد مصريوما من أيام السنة .
قلت : وأما الآن فقد نقصت عدة قراه بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة
أنتي هي متصل بمياهه ، المتقدم ذكرها في جملة بحيرات الديار المصرية وركوب ماؤها
على أكثر القرى المجاورة لها ، ولولا ما هو شامل له من بركة الصديق عليه السلام ،

(١) كذا في الأصل بدون نقط ولعله مصحف عن مصلى أى مكان المصل والريح . وفي خطط القرى :
ولقد كان مفيض ماء النيل . وفي تفويم البلدان : كان في وهدة ولد سين إله نهر من رشح ماء النيل .
وفي المسعودي : وكان مصفاة .

لكانت قد غَطَّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفاً على ممر الدهور
وتعاقب الأيام ، وليس لها مُصْرِفٌ لتصرف منه ضرورةً إحاطةً الجبال بها من
الجهات التي هي بصدد أن تُصْرِفَ منها ، ولقد اجتهد بعض حُكَّام الزمان على أن
يتجمل في عمل مُصْرِفٍ يَقْطَعُ في الجبل لتصرف منه مياهها فلم يجد إلى ذلك سبيلاً .
ولو كان ذلك في حيز الإمكان ، لفعله يوسف عليه السلام .

قال ابن الأثير في "معجائب المخلوقات" : ويقال إنه على جميع الفيوم سورٌ دائرٌ ،
ومقر ولايته (مدينة الفيوم) وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "القانون" : وطولها أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها
تسع وعشرون درجة ، وهي مدينة حسنة على ضفة البحر المنهى حسنة الأبلية ،
زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّبُط والمدارس ، وهي راكبة على انخليج المنهى من
جانييه ، وهو مخترق وسطها . قال في "العزري" : وبين الفيوم والقُسطَاط
ثمانية وأربعون ميلاً .

١٥ العمل الخامس — عمل الأثُمُونيين والطحاوية . وهو مصاقب لعمل البهنسي
من جنوبه ، وهو عمل واسع كثير الزرع ، واسع الفضاء ، متقارب القرى . ومقر
الولاية به (مدينة الأثُمُونيين) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون
الواو وفي الآخر نون . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره
في "تقويم البلدان" والإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام المقر الشهابي بن فضل الله
في "معالم الأبهصار" حيث جعل آخر الإقليم الثاني دَهْرَوط من البهنساوية .

قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة، وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل، كانت في الأصل مدينة قديمة بناها أشتون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، ثم خربت ودمرت، وبُنيت هذه المدينة على القرب منها. وكان هذا العمل فيا تقدم عملين : أحدهما عمل الأشتونيين هذا، والثاني عمل طمّا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملةين وألف في الآخر) وقد تقدم ذكرها في الأعمال القديمة، ثم أضيفا وجعلا عملاً واحداً .

العمل السادس — المتقلّوطية . وهو مصّابٌ لعمل الأشتونيين من جنوبيه، وهو من أخصّ خاصّ السلطان الجارى في ديوان وزارته، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الإهراء السلطانية بالفسطاط . ومقر ولايته (مدينة متقلّوط) . قال في "تقويم البلدان" : (بفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء مهملة في الآخر) . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره في "تقسيم البلدان" . ومن أواخر الإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار" .

قال في "كتاب الأطوال" : وطولها اثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة، وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل بالقرب من شطّه .

العمل السابع — الأسيوطية . وهو مصابف لعمل متقلّوط من جنوبيه، وهو عمل جليل، ومقر الولاية به (مدينة أسيوط) بضم الألف وسكون السين وضم المشاة تحت وفي آخرها طاء مهملة . هكذا ضبطه السمعاني في "كتاب الأنساب" :

(١) ضبطها في القانون كذلك وخطها بالفتح بالفتح .

وذكرها في "الروض المطّار" في حرف الهمزة، ووقعت في شعر ابن الساعاتي
بغير ألف في قوله :

لِلَّهِ يَسُومُ فِي سُبُوطٍ وَلَيْلَهُ * عُمَرُ الزَّيْمَانِ يَمْتَلِئُهَا لَا يَبْقَطُ
يُنْتَابُهَا ، وَالْبُسْدُ فِي غُلُوتِهِ * وَلَهُ يَجْنِجُ اللَّيْلُ قَرَعُ أَشْمَطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ ، وَالزَّيْدُ يَصْحَفُهُ ، * وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ ، وَالْفَمَامُ يَنْقَطُ

وإثبات الألف فيها هو الجارى على السنة العائدة بالديار المصرية ، والثابت
في الدواوين حذفها . وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة ونحو وأربعون دقيقة ،
وعرضها اثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق ، وهى مدينة حسنة فى البر الغربى من
النيل على مرحلة من مَنَقْلُوطَ ، وبها مساجد ومدارس وأسواق وقياسر وحمّانات . ١٠
العمل الثامن — (الإنجيية) . وهو مصابف لعمل أسبوط من جنوبية ،
وهو عمل ليس بالكبير ، وبلاده أكثرها بالبر الغربى عن النيل ، وحاضرتة (مدينة
إنعيم) . قال فى "تقويم البلدان" : (بكسر الألف ومكون النحاء المعجمة والمثناة
تحت بين الميمين ، والأولى منهما مكسورة) : وموقعها فى أواخر الإقليم الثانى من
الأقاليم السبعة . ١٥

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ،
وعرضها ست وعشرون درجة . وهى مدينة لطيفة بالبر الشرقى عن النيل على
مرّحتين من أسبوط ، وبها كانت البرابى العظام المتقدمة الذكر ، ويقال إن ذّا الثون
المصرى العابد الزاهد منها ، وولايتها مضافّة إلى قوص .

العمل التاسع — القوصية . وهو مصابف لعمل أسبوط من جنوبية ، وهو
عمل متبع القضاء بعيد ما بين القرى ، ينتهى آخره إلى أسوان ، آخر الديار المصرية ٢٠

في البر الشرقية والغربية، وهي بلاد النمر، ومنها يجلب إلى سائر البلاد المصرية، ومقر ولايته (مدينة قوص). قال في "المشارك": (بضم القاف وسكون الواو، وفي الآخر صاد مهملة) وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة.

- قال ابن سعيد: طولها سبع ونمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة، وهي مدينة جبلية في البر الشرقية عن النيل، ذات ديار فائقة، ورياح أنيقة، ومدارس ورُبط وحمامات، يسكنها العلماء والتجار وذوو الأموال، وبها البساتين والحدائق المستحسنة إلا أنها شديدة الخو، كثيرة العقارب، حتى إنه يُقبض لها من يدور في الليل في شوارعها بالمسارج لقتلها، ويقاربها في الكثرة أيضا ساء أبرص.

- قال المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار": أخبرني عن الدين حسن بن أبي المجد الصقدي أنه عتد في يوم صائف على حائط الجامع بها سبعين ساء أبرص على صف واحد. ومما يدخل في عملها مما له ولاية مستقلة مدينة أسوان. قال السمعاني: (بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعدها ألف ونون) وخالف ابن خلكان في "تاريخه" فضبطه بضم الهمزة، وظن السمعاني في فتحها. وهي مدينة في أوائل الحدة الجنوبي من الديار المصرية، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة.

- قال في "الأطوال": طولها اثنتان ونمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة.

- قال في "القانون": طولها سبع ونمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة. وهي في البر الشرقية من النيل، ذات نخيل وحدائق، وهي من قوص على نحو خمس مراحل.

قال في "التعريف": واليها وإن كان من قبل السلطان فإنه نائب لوالي قوص.

قلت : أما الآن ، فقد صار لها وآل مستقل بنفسه لا حكم لوالى قُوص عليه ،
وسياتى الكلام عليها في مراكر البريد ، وياتى الكلام على ولايتها في جملة الولايات
بالديار المصرية إن شاء الله تعالى .

الوجه الثاني

البحرى

وهو كل ما سفل عن القاهرة إلى البحر الرومى حيث مَصَّب النيل . وإنما
سمى بَحْرِيًّا لأن منتهاه البحر الرومى ، ولا يلزم من ذلك تسمية الجانب الشرق من
الديار المصرية بَحْرِيًّا لأن نهايته إلى بحر القلزم ، لأن آتياه إليه ليس حقيقيا
لأنقطاع بحر القلزم عن بلاد الديار المصرية بالجبال والبرارى المَقْفِرَةِ ، بخلاف بحر
الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لها فناسب النسبة إليه ١٠

قلت : وقد وقع للقرن الشهابى بن فضل الله في " التعريف " في بلاده وأعماله
من الوهم ما لا يليق بمصرى على ما سياتى بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .
وهذا الوجه هو أَرْطَبُ الوجهين وأقلُّهما حرا ، وأكثرهما فاكهة وأحسنهما مذاقا
ويشتمل على ثلاث شُعب تحوى سبعة أعمال

الشعبة الأولى

شرق الفرقة الشرقية من النيل

وفيها أربعة أعمال :

العمل الأول - الضواحي : جمع ضاحية ، وهى فى أصل اللغة البازرة
للشمس ، وكأنها سميت بذلك لبروز قُرْأَهَا للشمس ، بخلاف المدينة لقَبْلَةِ اليكن بها ،
وهو ما يجاور القاهرة من جهة الشمال من القرى ، وولايتها مضافة إلى ولاية
القاهرة وداخلية فى حكمها ، وليست منفردة بمقتضى ولاية غيرها . ٢٠

العمل الثاني - القليوبية . وهو مُصَاقِبٌ للضواحي من شمالها مما يلي جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القُرى ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومقر الولاية به (مدينة قَلْيُوب) - بفتح القاف وإسكان اللام وضم المثناة تحت وسكون الواو وباء موحدة في آخرها - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتعذر لي طُولها وعَرْضُها ، غير أنها من القاهرة في جهة الشمال على نحو فسخ ونصف من القاهرة .

قلت : ومن بلادها بَلَدَتَا (قَلْقَشَنَدَة) وهى بلدة حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر ابن يونس في " تاريخه " : أنه وُلِدَ بها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، ولبس لما يقولونه ثَبَاتٌ عندنا .

١٠

قال ابن خَلِّكَان : (بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة) وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوتٌ فى " مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ " اللام راء ، وهو الجارى على السنة العاقبة ، وعليه جرى القُضَاعِي فيما رأيته مكتوباً فى " خُطَطُه " :

قال ابن خَلِّكَان : وهى على ثلاثة فرائخ من القاهرة [وهى بلدة حسنة المنظر ، كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال ابن يونس فى " تاريخه " : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثَبَاتٌ عندنا . وذكر] .

وقال القضاعى فى " خططه " فى الكلام على دار الليث بالفسطاط : وكان له دار بقرْقَشَنَدَة بالرَّيْف ، بناها فهدمها ابن رفاعة أمير مصر عناداً له ، وكان ابنُ عمه ،

٢٠

فبناها الليثُ ثانياً فهدمها ، فلما كانت الثالثة ، أتاه آتٌ في منامه فقال له ياليتُ :
 ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهمُ الْوَارِثِينَ ﴾
 فأصبح وقد أُفْلِحَ ابنُ رِفَاعَةَ فأوصى إليه ومات بعد ثلاث . وبقي الليثُ حتى توفي
 في منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ؛ وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي
 أميرُ مُصرَ للرشيـد .

وترجم له ابنُ خلكان بالأصبهاني ، ثم قال في آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلَقَشَنَدَةَ .
 قلت : وما قاله ابنُ يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليه لأمرين : أحدهما
 أنه مصري وأهل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم . الثاني أنه قريب من زمن
 الليث فهو به أدري ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصفهان ، ثم نزل أباه قَلَقَشَنَدَةَ
 المذكورة وولد بها وسكنها ، فنسب إليها كما وقع في كثير من النسب ؛ وإعادة داره
 بها بعد هدمها ثلاث مرات على ما تقدم ذكره في كلام القضاعي دليل اعتنائه
 بشأنها وميله إليها ، وحينئذ فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر في "الروض الماطر" أنه كان له ضيعة على القرب من رشيد من بلاد
 الديار المصرية ، يدخل عليه منها في كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .
 العمل الثالث - الشرقية . وهو مصائب للضواحي من شمالها مما على جهة
 المقطع ، والقلوبية من جهة الشمال أيضا ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها . إلا
 أن البسائين فيه قليلة بل تكاد أن تكون معدومة ، لارتباطه بالسباخ وبدأوة غالب
 أهله ، وآثر العمران فيها من جهة الشمال الصالحية ، وما وراء ذلك منقطع رمال
 على ما تقدم ذكره في المنقطع عنها من جهة الشرق ؛ ومقر ولايته مدينة بليست .
 قال في "تقويم البلدان" : (بكسر الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة^(١))
 (١) قال في القاموس : "ليس كفرئيق وله فتح أقله بلد بعصر" وضبطه باقوت بكسر الباء وسكون اللام .

وسكون المنشأة تحت ثم سين مهمله) . كذا ذكره ، والجارى على الألسنة ضم الباء في أولها ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

- قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها أربعاً وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعرضها ثلاثين درجة وعشر دقائق . وهي مدينة متوسطة بين المساجد والمدارس والأسواق ، وهي تحط رحال الدرب الشامى . وفي الزكن .
- الشمالى الجنوبي من هذا العمل (ينها) . قال النووى في شرح مسلم : بكسر الباء والمعروف فتحها ، وهي البلدة التي أهدى الموقوس إلى النبي صلى الله عليه وسلم من عسلها ، وفي آخره من جهة الشرق (قطياً) يفتح القاف وسكون الطاء . المهمله وفتح الياء المنشأة تحت وألف في الآخر . كذا وقع في "التعريف" .
- و "مسالك الأبصار" . وفي "تقويم البلدان" : إبدال الألف في آخره بهاء ، وهي قرية بالرمل المعروف بالحفار على طريق الشام على القرب من ساحل البحر الرومى .
- قال في "التعريف" : وقد جعلت لأخذ الموجبات ، وحفظ الطرقات ، وأمرها مهم ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

المعمل الرابع — (الدقهلية والمزناحية) . وهو مصابف لعمل الشرقية من

- جهة الشمال ، وأواخره تنهى إلى السباخ وإلى بحيرة تنهى إلى المتصلة بالطينة من طريق الشام ، ومقر الولاية به (مدينة أشموم) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعدها ميم ثم واو وميم ثانية ، كما ضبطه في "تقويم البلدان" ونقله عن خط ياقوت في "المشترك" والذي في "اللباب" إبدال الميم في آخرها بنون ، وعزاه في "تقويم البلدان" للعامة .

- قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهي مدينة صغيرة على ضفة الفرقة .

التي تذهب إلى بُحيرة تَنيس من فرقة النيل الشرقية من الجهة^(١)؛ وبآخر هذا العمل (مدينة دِمياط) بكسر الدال المهملة وسكون الميم وياء مثناة من تحت وألف وطاء، قال في "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون وعشرون دقيقة .

وقال ابن سعيد : طولها أربع وخمسون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهي واقعة في الإقليم الثالث ؛ وهي مدينة حسنة عند مصب الفرقة الشرقية من النيل في بحر الروم ، ذات أسواق وحمامات ، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل : أحد خلفاء بني العباس ، فلما تبسلطت عليها الفرنج وملكتها مرة بعد مرة ، تعربت المسلمون أسوارها في سنة ثمان وأربعين وسمّائة خوفا من استيلائهم عليها، وهي على ذلك إلى الآن، ولها ولاية خاصة بها .

الشعبة الثانية

غربي فرقة النيل الغربية؛ وفيها عملان :

العمل الأول — عمل البحيرة . وهو مما يلي عمل البحيرة المقدم ذكره من الجهة البحرية ، وهو عمل واسع ، كثير القرى ، فسيح الأرضين . ومقر ولايته (مدينة دَمَنُور) — بفتح الدال المهملة والميم وسكون النون وضم الهاء وسكون الواو . وفي آخرها راء مهملة — وتعرف بدَمَنُور الوَحْش . وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق وحمامات . وموقعها في الإقليم الثالث ؛ ولم يتحز إلى طولها وعرضها، غير أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فليعتبر طولها وعرضها منها بالتقريب .

قلت : ويدخل في هذا العمل حَوْف رسيس والكُفُور الشاسعة

(١) لعله من الجهة الشرقية .

- ١٠ - العمل الثانى - عمل المزارعين ، وهو ما جاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومى ، وبعضه بالبر الشرق من النيل ، وحاضرتة (مدينة قوة) . قال فى "تقويم البلدان" : يضم الغاء وتشديد الواو ، وهى مدينة متوسطة بالبر الشرق من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذات بساتين وأشجار ومنظر رائق ، وليس بها ولاية . وإنما يكون بها شادٌ لخاص ، يتحدث فى كثير من أمور الولاية ، وهى فى الحقيقة كلانيم مع قوص
- ويلى هذين العملين غرباً بشلال (مدينة الإسكندرية) - بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء المهملة وتشديد الباء المشناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الثالث .
- ١١ - قال فى كتاب "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وثمناً وخمسون دقيقة ، وقد تقدم القول على أصل عمارتها فى الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .
- وهى الآن بالنسبة إلى ما تشهد به التواريخ من بنائها القديم جزء من كل ، وهى مع ذلك مدينة رائعة المنظر ، حسنة الترتيب ، مبلية بالحجر والكلى ، مميّزة ألبوت ظاهراً وباطناً كأنها حمامة بيضاء ، ذات شوارع مُشرعة ، كل خط قائم بذاته كأنها رقعة الشطرنج ، يستدير بها سوران منيعان ، يدور عليهما من خارجهما مخندق فى جوانب البلد المتصلة بالبر ، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربى مما يلى الشمال إلى المشرق حيث دار النياحة ؛ وبهما أبراج حصينة عليها السنائر المسترة والمجانيق المنصوبة .
- ٢٠ - قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال إن منارها كان فى وسط البلد وإن المدينة كانت سبع محجّات ، وإنما أكلها البحر ، ولم يبق إلا محجة واحدة ،

- وهي المدينة الباقية الآن وصار مكان النار منها على مسيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أُحصيت في وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد ، وبها الجوامع والمساجد ، والمدارس ، والخوانق ، والربط ، والزوايا ، والخمائم ، والديار الخلية ، والأمناء الممتدة . وفيها يُتسج القماش الفاخر الذي ليس له نظير في الدنيا ، وإليها تنوي ركائب التجار في البر والبحر ، وتيمر من قسائنها جميع أقطار الأرض ، وهي قُرصة بلاد المغرب ، والأندلس ، وجزائر الفريج ، وبلاد الروم ، والشام .
- وشرّب أهلها من ماء النيل ، من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلى داخل دورها ، وأستعمل الماء لعامة الأحرار من آبارها ، ويحلب تلك الآبار والصحاري بالوعاء تصرف منها مياه الأمطار ونحوها ، وبها البساتين الأنيقة ، والمستنزهات الفاخرة ،
- وهم بها القصور والجواسق الدقيقة البناء ، المحكة الحُدر والأبواب ، وبها من الفواكه والثمار ما يفوق قواكه غيرها من الديار المصرية حسنا مع رخص الثمن ، وليس بها مزارع ولا لها عمل واسع ، وإن كان متحصلا يمدل أعمالا : من أصل البحر وغيره ، وهي أجل ثغور الديار المصرية ، لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر والاكتراز من العدو الطارق ، وبها عسكر مستخدم لحفظها .
- قال في "مسالك الأبصار" : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بنبابة السلطنة سواها .
- قلت : وهذا فيما تقدم حين كانت النيابة بها صغيرة في معنى ولاية . أما من حين طرقها العدو المخدول من الفريج في سنة سبع وستين وسبعمائة وأجتاح أهلها وقتل وسي ، فإنها استنوت من حيلئذ نبابة كبرى تضاهي نبابة طرابلس وحمّة وما في معناها ، وهي على ذلك إلى الآن ، وسيأتي الكلام على نيابتها في الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ

ما بين فِرْقَتَيْ النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان :

الجزيرة الأولى — جانبها الشرق يمتد في طول فرقة النيل الشرقية إلى مصبه في البحر المِلْح حيث دِمَياط بالقرب منها ، وجانبها الغربى يمتد في طول فرقة النيل الغربية إلى مُجَاه أبى نُشَابَة من عمل البحيرة فيلشاً بَحْرَ أبيار المتقدِّم ذكره ، ويمتد في طولها إلى قرية القَرَسْتَق خارج الجزيرة من الغرب فيتصل بفرقة النيل التي تفرع منها على ما تقدّم ، ويمتد في طولها إلى مصبه في البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة على عمليتين :

العمل الأول — المُنُوفِيَّة . وأقله من الجنوب من القرية المعروفة بِسُطُونُف

- ١٠ على أول الفرقة الغربية من النيل ، ومقر ولايته (مدينة مُنُوف) — بضم الميم ^(١) والنون وسكون الواو وفاء في الآخر — وهى مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت هناك قد خربت الآن وبقيت آثارها كيانا ، ولايتها من أنفص الولايات ، وقد أضيف إليها عمل أبيار ، وهو جزيرة بنى نصر الآتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، وهى مدينة حسنة ذات أسواق ومساجد ، ومسجد جليل للخطبة ، وحمام ، وخانات .

١٥

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظن أنها مَنُف المتقدمة الذكر في الكلام على قواعد مصر القديمة ، وبينهما بُعد كثير ، إذ مَنُف المتقدمة الذكر جنوبى ، المُسَطَّاط على أثنى عشر ميلا منه كما تقدّم ذكره ، وهذه شِمَانِي المُسَطَّاط والقاهرة في أسفل الأرض .

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعاهما في كثير من المواضع .

العمل الثاني — القرية. وهو مصائب للنفوس من جهة الشمال، ويمتد إلى البحر الملح بين مصبي النيل إلا ما هو من عمل المزارعين على فرقة النيل الغربية من الشرق وهو عمل جليل القدر، عظيم الخطر؛ به البلاد الحسنة، والقرى الزاهية، والبساتين المتراكبة وغير ذلك؛ وفي آخره مما يلي بحر الروم موقع قُفر البرّس .

ويندرج فيه ثلاث أعمال أحر كانت قديمة، وهي القويينية، والسمنودية، والنجاوية، ومقر ولايته (مدينة المحلة) . قال في "المشارك" : — بفتح الميم والهاء المهمله وتشديد اللام ثم هاء في الآخر — وتعرف بالمحلة الكبرى، وقد غلب عليها اسم المحلة حتى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هي .

قلت : ووقع في "التعريف" : التمييز بينها بمحلة المرحوم وهو وهم، وإنما هي قرية من قرأها .

قال في "المشارك" : ويقال لها محلة الدقلا (بفتح الدال المهمله والقاف) وهي مدينة عظيمة الشأن، جليلة المقدار، رائقة المنظر، حسنة البناء، كثيرة المساكن، ذات جوامع، ومدارس، وأسواق، وعمارات؛ وهي تعادل قُوص من الوجهة القبلية في جلالة قدرها، ورئاسة أهلها، ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجهة القبلية والوجهة البحرية من الرطوبة واليبوسة .

الجزيرة الثانية — ما بين بحر أبيار المتقدم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل، وتعرف بجزيرة بنى نصر، وهي عمل واحد، وحاضرتها (مدينة أبيار) — بفتح الهمزة كما قاله في "الروض المطار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المنشة تحتم وبعد ما ألف ثم راء مهمله — وهي مدينة لطيفة حسنة المنظر يعمل فيها القماش القاني من المخرات وغيرها؛ وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة؛ ولم يتحوز لى طولها ولا عرضها، وهي مضافة إلى ولاية مُتوف، وليس بها الآن ولاية مستقلة.

الفصل الثالث

فيمن ملك الديار المصرية ، جاهلية وإسلاما .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : وكانت أهل مصر

أهل مُلك عظيم في الدهور الخالصة والأزمان السالفة ، ما بين قبلى وبوناني

وعلى ، وأكثرهم القبط . قال : وأكثر من تملك مصر الغرباء .

وهم على ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى

من ملكها قبل الطوفان ، وقُل من تعرض له من المؤرخين

قد تقدم في الكلام على ابتداء عمارة مصر أن أول من عمرها قبل الطوفان

١٠ نقرأوس بن مصرم بن راجيل بن رزائيل بن غراب بن آدم عليه السلام ، ومعنى

نقرأوس بالسريانية مُلك قومه ، وهو الذى عمر مدينة أمسوس أول قواعد مصر

المتقدم ذكرها ، ثم ملكها بعده أبوه نقرأوس الثانى مائة وسبع سنين ، ثم ملكها

بعده أخوه مصرام بن نقرأوس الأول ، ثم ملكها بعده عتقاه الكاهن ولم تطل

مئة ملكه ، ويقال إن إدريس عليه السلام رُفع في زمانه ، ثم ملكها بعده أبوه

١٥ غرناق ، ثم ملك بعده رجل من بنى نقرأوس اسمه لوجيم ، ثم ملك بعده رجل اسمه

خصليم ، وهو أول من عمل المقياس للنيل على ما تقدم ذكره ، ثم ملك بعده أبوه

هرصال ، ومعناه بالسريانية خادم الزهرة ، وهى مدينة شرق النيل ، وعمل سربا

تحت النيل إليها ، وهو أول من عمل ذلك وأقام فى الملك مائة وأربعمائة وثلاثين سنة

ويقال إن نوحا عليه السلام ولد فى زمانه ، ثم ملك بعده أبوه بُدُرسان ، ثم ملك بعده

٢٠ أخوه شمرود ، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعا ، ثم ملك بعده فرسيدون بن

بُدُرسان المتقدم ذكره مائة وستين سنة ، ثم ملك بعده أبوه شبرناق مائة وثلاث سنين

ثم ملك بعده أبنته سبلوق مائة وتسع سنين ؛ ثم ملك بعده أبنته سور يدين ، وهو الذى بنى الأهرام العظام بمصر على ما تقدم ذكره فى الكلام على عجائب مصر وخواصها ؛ ثم ملك بعده أبنته هرجيب نيفاً وسبعين سنة ، وهو الذى بنى الهرم الأول من أهرام دهشور ؛ ثم ملك بعده أبنته متاوش ثلاثاً وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنته أفروس أربعاً وستين سنة ؛ وفى أيامه حصل القحط العظيم ، وسلطت الوحوش والتماسيح على الناس ، وأعقمت الأرحام حتى يقال إن الملك تزوج ثلثائة امرأة ؛ بنى الولد فلم يولد له ، وذلك مقدمة الطوفان ؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك اسمه أرمالينوس ؛ ثم ملك بعده أبن عمه فرعان ، وهو أول من لعب بلعب الفراعنة ، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام ، وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبة الثانية

من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامى
واللذين فى ذلك خلف كثير ، وقد جمعت بيت كلام التواريخ التى وقفت عليها فى ذلك ، وهم على طبقات :

الطبقة الأولى

ملوكها من القبط

قد تقدم فى الكلام على ابتداء عمارتها أن أول من عمرها بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وكان بيصر قد كبر سنه وضعف ، فأقام يسيراً ثم مات ، فدفن فى موضع دير أبى هرميس غربى الأهرام . قال القضاة : ويقال إنها أول مقبرة دفن فيها بأرض مصر ؛ وملك بعده أبنته مصر فعمر وطالت مدة ملكه ،

- وعمرت البلاد في أيامه وكثر خيرها، ثم مات؛ وملك بعده أبنته (قبطيم)، وإليه ينسب القبط، ويقال إنه أدرك بليلة الألسن التي كانت بعد نوح عليه السلام، وهي ربيع. خرجت عليهم ففرقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، وخرج منها باللغة القبطية؛ ثم ملك بعده أبنته (قبط)، وهو الذي بنى مدينة قبط بالصعيد الأعلى وسماها بأسمه، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أخوه (أشمن)، وهو الذي بنى مدينة الأشمونين المتقدم ذكرها بالوجه القبلي، وطالت مدته حتى قيل أنه بقى ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين؛ ثم ملك بعده أخوه (أثريب)، وهو الذي بنى مدينة أثريب المتقدم ذكرها بالوجه البحري من الديار المصرية؛ ثم ملك بعده أخوه (صا)، وهو الذي بنى مدينة صا المتقدم ذكرها بالوجه البحري؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن قبط، ويقال: إنه الذي وضع أساس الأهرام الدهشورية غير المهوم الأول الذي بناه هرجيب المتقدم ذكره قبل الطوفان، وهو الذي بنى مدينة دندري بالصعيد الأعلى، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أبنته (بودشير)، وهو الذي أصلح جنتي النيل بهندسته؛ ثم ملك بعده أبنته (عديم) ثم ملك بعده أبنته (شدات)، وهو الذي تم الأهرام الدهشورية التي وضع أسامها قفطريم المتقدم ذكره. ويقال: إن مدينة شطب التي بالقرب من مدينة أسوط بنيت في أيامه، وآثارها باقية إلى الآن، وهو أول من ولع بالصيد وأخذ الجوارح والكلاب السلوقية، وعمل البيطرة من ملوك مصر، ومات عن أربعين سنة؛ ثم ملك بعده أبنته (مقاوش)، ويقال: إنه أول من عمل له الحمام بمصر؛ ثم ملك بعده أبنته (مناوش) وطالت مدته في الملك حتى بقى فيما يقال ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده (مقاوش) بن أشمن نيفا وأربعين سنة، وقيل ستين سنة، وهو أول من عمل له الميدان بمصر، وأول من بنى البيارستان لعلاج المرضى، وفي أيامه بنيت مدينة ميتريه.

- بالتواحيات، ثم ملك بعده أبنه (مرقوده) نيفاً وثلاثين سنة، وفي كتب القبط أنه أول من ذلّل السباع وركبها، ثم ملك بعده (بلاطس) ثعباناً وعشرين سنة، ثم ملكت بعده بنت من بنات أثريب خمسا وثلاثين سنة، وهي أول من ملك مصر من النساء، ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة، وفي أيامه بنيت مدينة ديمياط على اسم غلام له كانت أمه ساحرة له، وفي أيامه بنيت أيضاً مدينة تينيس، ثم ملك بعده أبنه (فرسون) مائتين وستين سنة، ثم ملك بعده ثلاثة ملوك أو أربعة لم يعين أنفسهم، ثم ملك بعدهم (مرقونس) الكاهن ثلاثاً وسبعين سنة، ثم ملك بعده أبنه (ألساد) خمسا وسبعين سنة، ثم ملك بعده أبنه (صا) وأكثر القبط تزعم أنه أخوه، نيفاً وثلاثين سنة، ثم ملك بعده أبنه (تدراص)، وهو الذي حفر خليج صخا المتقدم ذكره في خلجان مصر القديمة، ثم ملك بعده أبنه (ماليق)، ويقال: إنه خالف دين آباءه في عبادة الأصنام، ودان بدين التوحيد. ولما أحس بالموت، صنع له نائوساً وكثّمه كنوزاً عظيمة، وكتب عليها أنه لا يستخرجها إلا أمة النبي الذي يبعث في آخر الزمان، ثم ملك بعده أبنه (حريا)، وفي بعض التواريخ حرايا خمسا وسبعين سنة، ثم ملك بعده أبنه (كلكن)، وفي بعض التواريخ كلكن نحواً من مائة سنة، وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر، وكان قبل ذلك مكتوماً، وفي زمنه كان القروذ بأرض نابل من العراق، ثم ملك بعده أخوه (ماليا)، ثم ملك بعده (حربا) بن ماليق، ثم ملك بعده (طوطيس) بن ماليا، وفي بعض التواريخ طوطيس سبعين سنة، وفي بعض التواريخ أنه ملك بعد أبيه ماليا، والقبط تزعم أن القراعة سبعة هو أولهم، وهو الذي أهدى هاجر لإبراهيم عليه السلام، ثم ملكت بعده أخته (حوريا)، وهي التي بنى لها جيرون المؤتفكي صاحب الشام مدينة الإسكندرية حين خطبها على أحد الأقوال في عمارتها لجعلها مهراً لها، ثم احتالت عليه فبستته هو وجميع عسكره

في خلع فئاتوا، ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلي) ويقال دلفه بنت مأموم، ثم ملك بعدها (أيمن) الأثري، وهو آخر ملوك القبط من هذه الطبقة . والذي ذكره القضاة وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر أبته مصر، ثم قبط بن مصر، ثم أخوه أشبن، ثم أخوه أثريث، ثم أخوه صا، ثم أبته تدراس، ثم أبته مالمق، ثم أبته حريه، ثم أبته كلكن، ثم أخوه مالميا، ثم حربيا، ثم طوطيس بن مالميا، ثم أبته محوريا، وهي أول من ملكها من النساء، ثم أبنة عمها زلي، ومنها أترعتها العالقة الآتي ذكرهم .

الطبقة الثانية

ملوكها من العالقة ملوك الشام

- ١٠ أول من ملكها منهم (الوليد) بن دوع اليمليقي، وقال السجستاني: الوليد بن عمرو ابن أراشة، اقلعها من أيمن : آخر ملوك القبط المتقدم ذكره، وهو الفرعون الثاني عند القبط، وقيل هو أول من سمي بفرعون، وقام في الملك مائة وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده أبته (الريان) مائة وعشرين سنة، والقبط تسميه نهراوس، وهو الفرعون الثالث عند القبط، ونزل مدينة صين شميس، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة منيف، وفي أيامه وصل يوسف عليه السلام إلى مصر، وكان من أمره ما قصه الله تعالى
- ١٥ في كتابه . ويقال : إنه آمن بيوسف عليه السلام، ثم ملك بعده أبته (دارم) ويقال دريوس، وهو الفرعون الرابع عند القبط، وفي أيامه توفي يوسف عليه السلام، وفي أيامه ظهر بمصر معدن فضة على ثلاثة أيام في النيل، ثم ملك بعده أبته (معدان) ويقال معادريوس، وهو الفرعون الخامس عند القبط، إحدى وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده أبته (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القبط، وبعضهم يزعم أن منارة الإسكندرية بنيت في زمنه، واجتلب الأثر يسمونه كاسم، وربما قالوا كاسم .

ثم ملك بعده أبنة (لاطس) ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه (ظلمنا) كان من عماله نفخج عليه فقتله وملك مكانه ، وهو الفرعون السابع عند القبط ، وهو فرعون موسى .

قال المسعودي : وهو الوليد بن مصعب الموجود في كتب الأثر ، والوليد بن مصعب هو فرعون موسى ، وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة ،
يضمع مع الوليد بن دوع في أراشة ، وهو آخر من ملك مصر من المماثلة ، وبعضهم
يقول ظلمنا بن قومس من ولد أشمون أحد ملوك القبط المتقدم ذكرهم ، وعلى هذا
فيكون فرعون موسى من القبط ، وهو أحد الأقوال فيه ، وهو الذي يعول عليه
القبط ، ويوردونه في كتبهم ، وآخرون يعملونه من نغم من الشام ، والظاهر الأول ،
وهو أول من عرّف العرفاء على الناس ، وفي زمنه حفر خليج سَرَدوس المتقدم ذكره
في خُطبان النيل ، ويقال : إنه عاش دهرًا طويلا لم يمرض ولم يشك وجعا إلى أن
أهلكه الله تعالى بالفرق^(١) .

الطبقة الثالثة

ملوكها من القبط بعد المماثلة

أول من ملكها منهم بعد فرعون (دُلوكة) وطالت مدتها في الملك حتى حُرِفَتْ
بالتجوز ، وإليها ينسب حائط المجوز المبني بالطوب اللبن المستدير على بلاد مصر
في لحف الجبلين : الشرق والغرب ؛ وأثره باق بالوجه القبلي إلى الآن ، ويدل أنها التي
بنت البرابي بمصر ، ثم ملك بعدها رجل من أبناء أكابر القبط اسمه (دركون) بن
بطلوس ، ويقال دركوس بن ملوطس ، ثم ملك بعده رجل اسمه (تودس) ثم ملك بعده
أبنة (لقاش) نحو من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده (مربنا) بن لقاش نحو من عشرين
سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة (بطلوس) ويقال بطولس بن مياكل أربعين سنة ؛ ثم ملك

(١) تنبيه : وتعم اختلاف في أبايدنا من الكتب في أسماء الملوك وترتيبهم في هذا الذي بعده نعتنا على الأصل .

بعده (مالوس) ويقال فالوس بن توطيس عشر سنين ؛ ثم ملك بعده ميا كل .
قال المسعودي : وهو فرعون الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وتربّ بيت المقدس ؛
ثم ملك بعده (نوله) وهو الذي غزا رُحيم بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن
الذي غزا رُحيم كان اسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حِصاة :
وهو الأعمح . قال : ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو
الذي غزاه بُحْتَنَصْر وصلبه ، والذي ذكره المسعودي أنه ملك بعد ميا كل المتقدم
ذكره (مرنيوس) ؛ ثم ملك بعده أبنة (بفاش) ثمانين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة
(قوس) عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة كاييل .

قال المسعودي : وهو الذي غزاه بُحْتَنَصْر وصلبه ونرب مصر ، وبقيت مصر

أربعين سنة خراباً .

١٩

الطبقة الرابعة

ملوكها من الفُرس

أول من ملكها في جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن بُحْتَنَصْر كان
نائباً له ومن حين آستولى عليها بُحْتَنَصْر ، توالت عليها الولاة من جهته ، وهو بابل .
سبعا وخمسين سنة وشهراً كما ذكر صاحب حِصاة إلى أن مات ، فولى بعده أبنة
(أولات) سنة واحدة ؛ ثم أولياها بعده أخوه (بلطشاش) بن بُحْتَنَصْر ، ثم آسفرت
مصر والشام بأيدي تواب الفُرس عن ملوكهم .

٢٠

فلما مات بهراسف ، ملك بعده (كيبستاسف) ؛ ثم ملك بعده أبنة (أرتشير)
بِئَمَّن بن آسفيدار بن كيبستاسف ، وأنسطت يده حتى ملك الأقاليم السبعة ؛
ثم ملك بعده أبنة (دارا) ، وفي زمنه ملك الإسكندر بن فيليس على اليونان فقصده ،

٢٠

فلما قرب منه قتله جماعة من قومه ، ولحقوا بالإسكندر ، وهو آثر من ملك مصر من الفُرس ، ولم أوقف على تفصيل نواب الفُرس بمصر إلا أنه كان منهم (كرجوس) الفارسي ، وهو الذي بنى قصر الشمع بالفسطاط على ما تقدم ذكره ، وبعده (طحارست) الطويل ، وفي أيامه كان بقراط الحكيم .

الطبقة الخامسة

ملوكها من اليونان

أول من ملكها منهم (الإسكندر بن فيلبس) حين غلب دارا ملك الفُرس على ملكه وأستولى على ما كان بيده ، وكان مقر ملكه مقدونية من بلاد الروم القديمة ، وانحاز له ملك العراق ، والشام ، ومصر ، وبلاد العرب . فلما مات تفزقت ممالكه بين الملوك ، فلك مصر ونواحي الغرب البطالسة من ملوك اليونان ، كان كل منهم بقلب بطليموس .

فأول من ملكها منهم (بطليموس المنطقي) عشرين سنة ، ويقال : إنه أول من لعب بالبراة وضراها ؛ ثم ملك بعده (بطليموس محب أخيه) أربعين سنة ، وقيل ثمانين سنة ، وهو الذي نقل التوراة من العبرانية إلى اليونانية ؛ وفي أيامه ظهرت عبادة التماثيل والأصنام . ثم ملك بعده (بطليموس الصانع) خمساً ، وقيل ستاً وعشرين سنة ؛ ثم ملك بعده (بطليموس محب أبيه) سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (بطليموس صاحب علم الفلك) أربعاً وعشرين سنة ، وهو الذي ألف كتاب المجسطي ؛ ثم ملك بعده (بطليموس محب أمه) سبعاً وعشرين سنة ؛ ثم ملك بعده (بطليموس الصانع الثاني) ثم ملك بعده (بطليموس المخلص) ست عشرة سنة ، وقيل سبع عشرة ؛ ثم ملك بعده (بطليموس الإسكندراي) تسع سنين ، وقيل اثنتي عشرة سنة ؛

ثم ملك بعده (بَطْلِيمُوسُ اسكندروس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (بَطْلِيمُوسُ مُحِبُّ أَخِيهِ) الثاني ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده (بَطْلِيمُوسُ دوتيسوس) ؛ ثم ملكت بعده أخته (قلوبطرا) اثنتين وعشرين سنة ، و بزوالها انقرض ملك اليونان عن مصر وزال ،

الطبقة السادسة

ملوكها من الروم

أول من ملكها منهم (أغسطس) . يقال بشيئين معجمتين ومهمتين ، ولقبه قَيْصَرٌ ، وهو أول من تلقب به ، ثم صار علما على ملوك الروم .

قصده قلوبطرا المتقدم ذكرها ، فلما أَحَسَّتْ بقربه منها ، عمدت إلى مجلسها بفعلت فيه الرياحين والمشعوم ، وأعملت الفكر في تحصيل حبة إذا نهشت الإنسان مات لحينه ولم يتغير حاله ، فغربت يدها منها حتى ألقت سمها في يدها ، وأكسأته الحية في الرياحين ، وجاء أغسطس فوضع يده في الرياحين فنهشته الحية ، فبقى يوما ومات بعد أن ملك الروم ثلاثا وأربعين سنة . وفي أيامه ولد المسيح عليه السلام ؛ ثم ملك بعده الروم ومصر (طباريوس) ويقال طبريوس ، ويقال طبريوس اثنتين وعشرين سنة . قال المسعودي : وفي زمنه رفع المسيح عليه السلام

قال : ولما مات أغسطس ، اختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا في الملك ما بين ثمانيا وتسعين سنة ، لا نظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ؛ ثم ملكهم (عانيوس) . قال صاحب حماة : وكان رفع المسيح في زمنه ، وهو مخالف لما تقدم من كلام المسعودي ؛ ثم ملك بعده (قلديوس) أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (نارون) ثلاث عشرة سنة ، وهو الذي قتل بطرس وبولص الخواريين برومية وصلبهما ؛ ثم ملك

(١) في المسعودي «قلديوس» . وبالجملة فين ما بإديشا من الكتب اختلاف في هذه الأسماء فعزلنا على المخطوط والله أعلم .

- بعده (ساسانوس) عشر سنين ؛ ثم ملك بعده (طيطوس) سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (دوميطيوس) ويقال اديطانش خمس عشرة سنة ، وكان على عبادة الأصنام فنتبع اليهود والنصارى وقتلهم ؛ ثم ملك بعده (ادريانوس) ستا وثلاثين سنة فأصابته علة الجذام فسار إلى مصر يطلب طباً لذلك فلم يظفر به ومات بعلة ؛ ثم ملك بعده (ابيطيوس) ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين سنة ، وهو الذي بنى بيت المقدس بعد تخريبه الثانية وسماه إيليا ، ومعناه بيت الرب ، وهو أول من سماه بذلك ؛ ثم ملك بعده (مرقوس) ويقال قومودوس سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (قومودوس) ثلاث عشرة سنة ، وكان دين النصارى قد ظهر في أيامه ؛ وفي زمنه كان جالينوس الحكيم ؛ ثم ملك بعده (قوطنجوس) ستة أشهر ؛ ثم ملك بعده (سيوارس) ثمان عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (ابيطيوس الثاني) أربع سنين ؛ ثم ملك بعده (اسكندروس) ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (يكسمينوس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (خوردانوس) ست سنين ؛ ثم ملك بعده (دقيانوس) وقيل دقيوس سنة واحدة ، فقتل النصارى وأعاد عبادة الأصنام ، ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف ، وكان من أمرهم ما قص الله تعالى في كتابه العزيز ؛ ثم ملك بعده (فاليوس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (علينوس) و(ولديانوس) أشتركا في الملك ، وقيل إن ولديانوس آفرد بالملك بعد ذلك ؛ وأقام فيه ثمتم عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (قلودبوس) سنة واحدة ؛ ثم ملك بعده (ارديامس) ويقال اردليانوس ست سنين ؛ ثم ملك بعده (فروقوس) سبع سنين ؛ ثم ملك بعده (ياروس) وشركته ستين ؛ ثم ملك بعده (دقلطيانوس) إحدى وعشرين سنة ، وهو آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم ، وبمهلكه تفرخ النصارى إلى اليوم ، وعصى عليه أهل مصر ، فسار إليهم من رومية ، وقتل منهم خلقا عظيما ، وهم الذين يعبر عنهم بالنصارى الآن بالشهداء .

- ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رومية إلى قُسْطَنْطِينِيَّةَ
وبنى سورها وأستقرت دار ملكهم ، وأظهر دين النصرانية وحل الناس عليه ؛
ثم ملك بعده أبْنُهُ قُسْطَنْطِينُ فشيّد دين النصرانية وبني الكائس الكثيرة ؛ ثم ملك
بعده إليانوس ، ويقال إليانس سنة واحدة ، وهو أبْنُ أُنَى قُسْطَنْطِينِ المُنْقَدِم ذكره ،
فرفض دين النصرانية ورجع إلى عبادة الأصنام ، وبموته خرج المُلْكُ عن
بني قُسْطَنْطِينِ ؛ ثم ملك بعده بِطْرِيْق من بَقَارِقَة الروم اسمه بوثيانوس ، ويقال
سيوتيانوس سنة واحدة فأعاد دين النصرانية ، ومنع عبادة الأصنام ؛ ثم ملك بعده
قالتيانوس أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده خرطيانوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك
بعده باردوسوس الكبير تسعا وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده ادقادوس بَقُسْطَنْطِينِيَّةَ
وشريكه أويوريوس بَرُومِيَّةَ ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعدهما مرقيانوس سبع
سنين ، وهو الذي بنى دير مارون بِمَحْصَ ؛ ثم ملك بعده واليطيس سنة واحدة ؛
ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده زيتون ثمان عشرة سنة ؛
ثم ملك بعده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة ، وهو الذي حَمَّرَ أسوار مدينة حَمَّاءَ ؛
ثم ملك بعده بوسيطينوس تسع سنين ؛ ثم ملك بعده بوسيطينوس الثاني ثمانية
وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده طبريوس الثاني
أربع سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثاني ،
ويقال مرقوس أنثى عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده قوقاس ثمان سنين ؛ ثم ملك
بعده هرقل وأسمه بالرومية أوقليس ، وهو الذي كتب إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
يدعوه إلى الإسلام ، وكانت الهجرة النبوية في السنة الثانية عشرة من ملكه .
- ٢٠ قال المسعودي : وفي تواريخ أصحاب الميراث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
هاجر وملك الروم قيصر بن قوق^(١) ؛ (ثم ملك الروم بعده) قيصر بن قَبْصَر ،
(١) وإليه نسب النفاير القوقية (فأصبح مادة ق زرق) .

وذلك في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وهو الذى حاربه أمراء الإسلام بالشام وأقتلوا الشام منه .

والذى ذكره في " التعريف " في مكتبة الأذفونش صاحب طليطلة من ملوك الفرنج بالآندلس أن هِرَقْل الذى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه وكتب إليه لم يكن الملك نفسه ، وإنما كان متسلم الشام لقيصر ، وقبصر بالقسطنطينية لم يرم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كتب لهِرَقْل لأنه كان مجاورا لجزيرة العرب من الشام ، وعظيم بصرى كان عاملا له ، ويظهر أن قبصر الأخير الذى ذكره هو الذى كان المَقْوِسُ عاملا له على مصر . ويقال : إن المَقْوِسَ تقبل مصر من هِرَقْل بتسعة عشر ألف دينار .

وأعلم أنه كان الحال يقتضى أن نذكر ثواب من تقدم من ملوك الروم واليونان والفرس على مصر ، ولكن أصحاب التواريخ لم تعتن بأمر ذلك ، فتعذر العلم به . وإذا ذكر الأصل ، استغنى به عن الفرع .

وذكر القضاعى : أنه بعد عمارة مصر من خراب مُحْتَصِر ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك التى وسط الأرض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين إلى أن صالحوهم على شيء فى كل عام ، على أن يكونوا فى ذمتهم ويمنعوهم من ملوك فارس ، ثم ظهرت فارس على الروم وغلّبوهم على الشام وألحوا على مصر بالقتال ، ثم استفتى الحال على خراج مصر أن يكون بين فارس والروم فى كل عام ، وأقاموا على ذلك تسع سنين ، ثم غلبت الروم فارس وأخرجوهم من الشام وصار ما صولحت عليه أهل مصر كله خالصا للروم ، وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

المرتبة الثالثة

من وليها في الإسلام : من بداية الأمر إلى زماننا ، وهم على ضربين :

الضرب الأول

بمس وليها نيابةً ، وهو الصدر الأول ، وهم على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى

عَمَّال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم

- ١٠ قد تقدم أنها لم تزل بيد الروم والمقوقس عامل عليها إلى خلافة عمر رضى الله عنه ، ولم تزل كذلك إلى أن فتحها عمرو بن العاصي والزبير بن العوام في سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛
- ١٠ ووليها (عمر بن العاص) من قبل عمر ، وهو أول من وليها في الإسلام ، وبقى عليها إلى سنة خمس وعشرين ؛ وبقى الجامع العتيق بالقسطنطينية ، ثم وليها من عثمان بن عفان رضى الله عنه (أبو يحيى العاصري) فمكث فيها إحدى عشرة سنة ، وتوفي سنة ست وثلاثين ؛ ثم وليها من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (قيس بن سعد) الخزرجي في أول سنة سبع وثلاثين ؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحارث النخعي) المعروف بالأشتر في وسط سنة سبع وثلاثين ، وكتب له عنه عهدا يأتي ذكره في الكلام على
- ١٥ المهود إن شاء الله تعالى ، فمُتَّ ومات قبل دخوله إلى مصر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبي بكر الصديق) رضى الله عنه في آخر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة ؛ ثم وليها من معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه (عمر بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين ، وتوفي بها سنة ثلاث وأربعين ؛ ثم وليها عنه (عقبة بن عامر الجهني) في سنة أربع وأربعين فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا ، ثم وليها عنه (مسلمة بن مخلد الخزرجي) سنة سبع وأربعين فمكث فيها خمس عشرة سنة .

(١) كذا في فروع معروا غيارها لابن عبد الحكم والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٤ و ٨) وتاريخ أبي الفداء وكان على رأس جيش مقداره اثنا عشر ألفا ، وهو أول من أدتق سور المدينة وبه الناس .
 وفي الأصل : « عهد الله بن الزبير » وهو أيضا من عهدنا فضع مصر .

الطبقة الثانية

عُمال خلفاء بنى أمية بالشام

- ١ لما أفضت الخلافة بعد معاوية إلى أبنه يزيد، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن
 حلقة الأزدي) في سنة اثنتين وستين، فحك فيها سنتين وكسراً، ثم وليها عنه
 (عبد الرحمن الفهري) في سنة أربع وستين، وأقره على الولاية بعد يزيد أبنه معاوية.
 ٢ ثم مروان بن الحكم، فحك فيها اثنتين وعشرين سنة، ثم وليها عن عبد الملك بن
 مروان (عبد الله بن عبد الملك بن مروان) في أول سنة ست وثمانين، فحك فيها
 خمس سنين، ثم وليها عنه (قرة بن شريك) في سنة تسعين، وأقره عليها الوليد بن
 عبد الملك بعده، فحك فيها سبع سنين، ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبد الملك
 ابن رفاعه) في سنة سبع وتسعين، فحك فيها ثلاث سنين وكسراً، ثم وليها عن
 ٣ عمر بن عبد العزيز (أيوب بن شرحبيل الأصبغي) آخر سنة تسع وتسعين،
 فحك فيها سنتين وستة أشهر، ثم كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فوليا عنه
 (بشر بن صفوان الكلبي) سنة إحدى ومائة، فحك فيها سنتين وستة أشهر
 ٤ أيضاً، ثم وليها عن هشام بن عبد الملك (محمد بن عبد الملك) أخو هشام في سنة
 خمس ومائة، فحك فيها أشهراً، ثم وليها عنه (عبد الله بن يوسف الثقفي)
 ٥ في ذي الحجة سنة خمس ومائة، فحك فيها أربع سنين وستة أشهر، ثم وليها عنه
 (عبد الملك [بن رفاعه] ثانياً) في سنة تسع ومائة وعزل فيها، ثم وليها عنه (الوليد)
 أخو عبد الملك [بن رفاعه] في سنة تسع المذكورة، فحك فيها عشر سنين وكسراً،
 وتوفي سنة تسع عشرة ومائة، ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفهري) ثانياً في آخر سنة
 ٦ تسع عشرة ومائة، فأقام بها سبعة أشهر، ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) الزيادة عن تاريخ مصر لابن عبد الحكم وتاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٤٤ طبع دار الكتب المصرية) وخطط المقرئ.

(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٦٤) وخطط المقرئ.

- ثانياً^(١) في سنة عشرين ومائة، فلكث فيها ثلاث سنين وكسرا وعزل؛ ثم وليها عن مَرْوَانَ بن محمد الجعدي؛ فوليا عنه^(٢) ([حسان بن] عتاب التميمي) سنة سبع وعشرين ومائة، فلكث فيها خمس سنين أو دونها؛ ثم وليها عنه (حفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة، فلكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (الفزاري) سنة إحدى وثلاثين ومائة، فلكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مَرْوَانَ) مولى نعيم سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو آخر من وليها عن بني أمية.

الطبقة الثالثة

عُمَال خلفاء بني العبّاس بالعراق

- أول من وليها في الدولة العباسية عن أبي العبّاس السَّعَاح: أول خلفائهم، (صالح آبن حلّ) بن عبد الله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فلكث فيها أشهراً قليلاً؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولى بني أسد آخر سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فلكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (صالح بن حلّ) ثانياً في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة. ثم وليها عن أبي جعفر المنصور (عبد الملك) سنة تسع وثلاثين ومائة، فلكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (القيّيب التميمي) سنة إحدى وأربعين ومائة، فلكث فيها ستين؛ ثم وليها عنه (حميد الطائي) سنة ثلاث وأربعين ومائة، فلكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (يزيد المهدي) سنة أربع وأربعين ومائة، فلكث فيها تسع سنين؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة اثنتين وخمسين ومائة، فلكث فيها ستين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين ومائة، فلكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (موسى بن حلّ النخعي) في سنة خمس وخمسين ومائة، فلكث فيها ستين وستة أشهر.

(١) لم يذكر أن حفظة كان أميراً على مصر فيها سبق، ولكن في المقرئى أن يشر بن صفوان استخلف أخاه حفظة على مصر حينئذ ولا يرد على إفريقية في سنة اثنتين ومائة فتكون ولاية هذه المرة ثانية.

(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها الكندي والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٠٠) وخطط المقرئى.

ثم وليها عن المهدي (عيسى الجيحي^(١)) سنة إحدى وستين ومائة، لكت فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (واضح^(٢)) مولى المنصور في سنة اثنتين وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (زيد بن منصور) الحميري في وسط سنة اثنتين وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (يحيى أبو صالح) في ذى الحجة من السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (سالم بن سوادة التميمي) سنة أربع وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (إبراهيم العباسي) في سنة خمس وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (معيّن الدين ختمهم) في سنة ست وستين ومائة .

ثم وليها عن الهادي (أسامة بن عمرو العاصري) في سنة ثمان وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (الفضل بن صالح العباسي) في سنة سبع وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (علي بن سليمان العباسي) آخر السنة المذكورة .

١٠ . ثم وليها عن الرشيد (موسى العباسي) في سنة اثنتين وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (محمد بن زهير) الأزدي سنة ثلاث وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه داود بن يزيد المهلب سنة أربع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى العباسي) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن المسيب الضبي) في أول سنة سبع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (هزيمة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الملك العباسي) في سلع ذى الحجة من السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدي العباسي) في سنة تسع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى) التتوني في آخر سنة ثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدي) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن صالح) في آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن عيسى ابن موسى^(٤)) سنة اثنتين وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (الليث البيروني) في آخر السنة

٢٠ (١) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧) وخط المقرئ .
وفي الأصل : « القس » . (٢) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٤٠) وخط المقرئ . وفي الأصل : « أصبح » . (٣) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٠٩) وخط المقرئ . وفي الأصل : « سمية » .
(٤) كذا في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والنجوم الزاهرة . وفي الأصل : « إسماعيل »

المذكورة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن إسماعيل) في آخر سنة تسع وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن محمد العباسي) المعروف بأبن زَيْنَب في سنة تسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (مالك بن دَهَم الكوفي) سنة اثنتين وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن الأمين (الحسين بن الجهاج) سنة ثلاث وتسعين ومائة .

- ثم وليها عن الأمين (حاتم بن هَرَمَة بن أَعْيَن) سنة خمس وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (عباد أبو نصر) مولى كِنْدَةَ سنة ست وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن المأمون (المطلب بن عبد الله الخزاعي) سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم وليها عن المأمون (العباس بن موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (المطلب بن عبد الله) ثانيا في سنة تسع وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (السري بن الحكم)

- في سنة مائتين؛ ثم وليها عنه (سليمان بن غالب) في سنة إحدى ومائتين؛ ثم وليها عنه ١٠ (أبو نصر محمد بن السري) في سنة خمس ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبيد الله) في سنة ست ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن طاهر) مولى نُزَاعَةَ في سنة عشر ومائتين؛ وهو أول من جَلَب البَطِيخ الخُرَاساني المعروف بِالْعَبْدَلِّ من خُرَاسَان إلى مصر فَنُسِبَ إليه؛ ثم وليها عنه (عيسى الجلودي) في سنة ثلاث عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عمرو بن الوليد التميمي) في سنة أربع عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى الجلودي) ثانيا في آخر ١٥ السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (عَبْدَوَيْه بن جَبَلَة) في سنة خمس عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى بن منصور) مولى بني نصر في سنة ست عشرة ومائتين .

وفي هذه السنة دخل المأمون مصر وفتح الهرم .

ثم وليها عن المعتصم بالله ^(١) السعدي في أول سنة سبع عشرة ومائتين؛

- ثم وليها عنه (المظفر بن كيدر) في وسط السنة المذكورة أشهراً قليلاً؛ ثم وليها عنه ٢٠

(١) يباين في الأصل، والذي في السعدي أن خلافة المعتصم كانت في سنة تسع عشرة ومائتين، وفي المقرئ أنه ولي على مصر في هذا التاريخ (هكيدر) ومات كيدر في ربيع الآخر من السنة المذكورة، فولي أباه (المظفر) باستخلاف أبيه .

- (موسى بن أبي العباس^(١)) في آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (مالك بن كيدر) في سنة أربع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عنه (علي بن يحيى) في سنة ست وعشرين ومائتين.
- ثم وليها عن الواثق بالله (عيسى بن منصور الجلولي^(٢)) ثانيا في سنة تسع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عن المتوكل^(٣) (علي بن يحيى) ثانيا في سنة أربع وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (إسحاق الخثلي^(٤)) في سنة خمس وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (نُزاعة) في سنة ست وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (عَنْسَةَ الْقُضَيْي^(٥)) في سنة ثمان وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) في سنة أثنين وأربعين ومائتين. وأقره عليها بعده المنتصر بالله؛ ثم المستعين بالله.
- ثم وليها عن المستعين بالله (مُزَارِم بن خاقان) في سنة ثلاث وخمسين ومائتين؛ ثم وليها عنه (أحمد بن مُزَارِم) في سنة أربع وخمسين ومائتين وأقره عليها المهتدي بالله.

الضرب الثاني

من وليها ملكا، وهم كل أربع طبقات :

الطبقة الأولى

من وليها عن بني العباس قبل دولة الفاطميين

- وأولهم: (أحمد بن طولون) وليها عن المعتمد في سنة ست وستين ومائتين، وعمرها ١٥
- جامعته المتقدم ذكره في خطط القسطنطينية، وفي أيامه عظمت نياؤه مصر وشمخت إلى الملك؛ وهو أول من جلب الماليك الترك إلى الديار المصرية وأستخدمهم في عسكها.
- (١) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣١) وخطط المقرئ في الأصل؛ «أبو العباس الحنق» (٢) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣٩) وخطط المقرئ في الأصل؛ «مبارك» (٣) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقرئ في الأصل؛ «ثالث مرة» (٤) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقرئ في الأصل؛ «عنه» ومقتضاه أن المذكور ولي عن الواثق في هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت في سنة أثنين وثلاثين ومائتين. (٥) كذا في النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٨٣) وذكر أن أصله من قرية نخلان؛ بلدة عند سمرقند. وفي الأصل؛ «الجليل» وهو نصحيح (٦) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٩٣) وفي الأصل؛ «عقبه» وهو محريف.

وأقره المعتضد بالله بمسد المعتضد، وبقى بها حتى مات، فوليها عن المعتضد (نُحَارَوِيَه بن أحمد بن طولون) في أول سنة أثنين وثمانين ومائتين، وقتله جُنْدُه في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جَيْش بن نَحَارَوِيَه) في سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقتله جنده في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (هارون بن نَحَارَوِيَه) في آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل في سنة أثنين وتسعين .

ثم وليها عن المكتفى بالله (شَيْبَانُ بن أحمد بن طولون) في سنة أثنين وتسعين ومائتين فبقي أكثر من عشر يوما وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (مجد بن سليمان الوائلي) في آخر سنة أثنين وتسعين ومائتين، ثم وليها عنه أو عن المقتدر بالله (عيسى النُوشَرِي) في سنة خمس وتسعين ومائتين .

ثم وليها عن المقتدر بالله (أبو منصور تَيْكِيْن) في سنة سبع وتسعين ومائتين وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (أبو الحسن) في سنة ثلاث وثلثمائة وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تَيْكِيْن) ثانيا سنة سبع وثلثمائة وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (هلال) سنة تسع وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كَيْقُلُج) في سنة إحدى عشرة وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تَيْكِيْن) ثالث مرة في السنة المذكورة .

ثم وليها عن الفاهر بالله (مجدد بن طُفَيْج) في سنة إحدى وعشرين وثلثمائة .
ثم وليها عنه (أحمد بن كَيْقُلُج) ثانيا في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . وأقره عليها المكتفى ثم المستكفى بالله بعده .

ثم وليها عن المطيع لله (أبو القاسم الإخشيد) في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (علي بن الإخشيد) سنة تسع وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (كافور

(١) في تاريخ مصر وولاتها للكندي وتاريخ ابن الأثير (ج ٧ ص ٢٨٧ طبع أوروبا) والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٤٩) وخطط المقرئى : أن ولاية نَحَارَوِيَه على مصر كانت في دى القعدة سنة سبعين ومائتين إلى سنة أثنين وثمانين ومائتين . فكانت مدة ملكه على مصر والنام اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما . (٢) كانت ولاية عيسى النُوشَرِي على مصر في سنة اثنين وتسعين ومائتين وبقى إلى سنة سبع وتسعين ومائتين كما ورد في المصادر المذكورة . (٣) كانت ولاية علي بن الإخشيد على مصر في سنة تسع وأربعين وثلثمائة كما ورد في المصادر المذكورة .

الإخشيدي) الخادم في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وكان يحب العلماء والفقهاء، ويكرمهم، ويتعاهدهم بالفتقات، ويكثر الصدقات حتى استغنى الناس في أيامه، ولم يجد أرباب الأموال من يقبل منهم الزكاة فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبتئوا بها المساجد ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا، ثم وليها عنه (أحمد بن علي الإخشيدي) في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وهو آخر من وليها من العمال عن خلفاء بني العباس بالعراق.

الطبعة الثانية

من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعباسيين

أول من وليها منهم (المعز لدين الله أبو تميم ممد بن تميم بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي) وإليه ينسبون، جهز إليها قائدة جوهرًا، من بلاد المغرب إلى الديار المصرية ففتحها في شبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة على ما تقدم في الكلام على قواعد الديار المصرية وأتقطعت الخطبة العباسية منها، ورحل المعز من المغرب إلى مصر فوصل إليها ودخل قصره بالقاهرة في سابع رمضان سنة أئنتين وستين وثلاثمائة وصارت مصر والمغرب مملكة واحدة، وبلاد المغرب نيابة من مصر. وتوفي ثالث ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة.

ثم ولي بعده أبنته (العزیز بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه، وإليه ينسب الجامع العزیزى بمدينة بلبيس، وتوفي بالحمّام في بلبيس ثامن رمضان المعظم قدره سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

ثم ولي بعده أبنته (الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور) ليلة وفاة أبيه، وبني الجامع الحاكمي في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وهو يومئذ خارج سور القاهرة، وفارق مصر وخرج إلى الجبل المقطم فوجدت ثيابه مزررة الأطواق وفيها آثار السكاكين ولا جثة فيها، وذلك في سلخ شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ولم يسك

- في قتله . والدرزية من المبتدعة يعتقدون أنه حي وأنه سيرجع ويعود على ما سيأتي
في الكلام على أيمانهم وتحليفهم إن شاء الله تعالى .
- ثم ولى بعده أبنيه (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن عليّ) وبقي حتى توفي
في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .
- ثم ولى بعده أبنيه (المستنصر بالله أبو تميم معدّ) بعد وفاة أبيه . وفي أيامه جُدد
سُور القاهرة الكبير في سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفي في ذي الحجة سنة سبع وثمانين
وأربعمائة . وفي أيامه كان الغلاء الذي لم يمهّد مثله ، مكث سبع سنين حتى تعربت
مصر ، ولم يبق بها إلا صُباة من الناس على ما تقدّم في سياقة الكلام على زيادة النيل .
- ثم ولى بعده أبنيه (المستعلّى بالله) أبو القاسم أحمد يوم وفاة أبيه . وتوفي
لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .
- ١٠ ثم ولى بعده (الآمر بأحكام الله أبو عليّ المنصور) في يوم وفاة المستعلّى ، وقتل
بجزيرة مصر في الثالث من ذي القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة .
- ثم ولى بعده ابن عمه (الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد الحميد بن الأمر
أبي القاسم حميد) يوم وفاة الأمر . وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة .
- ١٥ ثم ولى بعده (الظافر بأمر الله إسماعيل) رابع جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة .
- ثم ولى بعده أبنيه (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى) صبيحة وفاة أبيه . وتوفي
في سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .
- ثم ولى بعده (أبنيه العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف) يوم وفاة
الفائز . وتوفي يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطان
صلاح الدين خطبته بالديار المصرية وخطب للخلفاء العبّاسيين ببغداد قبل موته ،
- ٢٠ وهو آخر من ولى منهم .

الطبقة الثالثة

ملوك بني أيوب

وهم وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بني التماس فهم ملوك مستقلون، وفي دولتهم زاد ارتفاع قدر مصر وملكيها .

- أول من ملك مصر منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام رحمه الله قد جهزه بحصنة عمه : أسيد الدين شيركوه إلى الديار المصرية حين استغاث به أهل مصر في زمن العاضد الفاطمي المتقدم ذكره لقلعة الفرنج طهيم ثلاث مرّات آتته إلى آخرها إلى أن السلطان صلاح الدين وثب على شاور وزير العاضد المذكور فقتله وتقلد عمه أسد الدين شيركوه الوزارة مكانه عن العاضد؛ وكتب له بذلك عهد من إنشاء القاضي الفاضل ، فأقام فيها مدة قريبة ومات ، ففوض العاضد الوزارة مكانه للسلطان صلاح الدين، وكتب له عهد من إنشاء القاضي الفاضل أيضاً، وبقى في الوزارة حتى ضعف العاضد وطال ضعفه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبة للعاضد، وخطب للخليفة العباسي ببغداد بأمر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب فاستقل السلطان صلاح الدين بالسلطنة بمصر وقوى جأشه ، وثبتت في الدولة قدمه . وتوفي يدمشق في سنة تسع وثمانين وخمسمائة؛ وكانت مدة ملكه بالديار المصرية أربعاً وعشرين سنة وملكه الشام تسع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده مصر آتته (الملك العزيز) وملك معها دمشق وسلمها إلى عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وتفرقت بقية الممالك الشامية بيد بني عمه من بني أيوب .
- ملك مصر والشام جميعاً في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ؛ وتوفي بدمشق سنة خمس وخمسمائة .

- ثم ملك بعده أبْنُه (الملك الكامل) عقيب وفاة أبيه المذكور ، وهو أول من سكن قلعة الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة على ما تقدّم ذكره في الكلام على القلعة ، واستمر في ذلك عشرين سنة ، وفتح حرّان وديار بكر ، وكان الفرينج قد استعادوا بعض ما فتحه السلطان صلاح الدين من ساحل الشام ، وكتب الهدنة بينه وبين الفرينج في سنة ست وعشرين وسمائة على أن يكون بأيدي الفرينج الفلاح والنواحي التي ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين ، وهي جبلة ، وبيروت ، وصيدا ، وقلعة الشقيف ، وقلعة تينين ، وقلعة هوائن ، وإسكندرونة ، وقلعة صقّد ، وقلعة الطور والجون ، وقلعة كوكب ، ومجدل يافا ، ولُدّة ، والزملة ، وعسقلان ، وبيت جبّيل ، والقُدس وأعمال ذلك ومضافاته . وبني مدرسته الكاملة بين القصرين المعروفة بدار الحديث ، وتوفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وسمائة .
- ثم ملك بعده أبْنُه (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وسمائة .
- ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل في أوائل سنة ثمان وثلاثين وسمائة .
- ثم ملك بعده أبْنُه الملك المعظم (توران شاه) وهو الذي كسر الفرينج على المنصورة في المحرم سنة ثمان وأربعين وسمائة ، وقتل في الثامن والعشرين من المحرم المذكور . ثم ملكت بعده أم خليل (شجرة الدر) في صفر سنة ثمان وأربعين وسمائة ، فأقامت ثمانية أشهر ، ولم يملك مصر في الإسلام امرأة غيرها .
- ثم ملك بعدها الملك الأشرف (موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل ابن العادل أبي بكر بن أيوب) في شوال سنة ثمان وأربعين وسمائة وخلع نفسه وهو آخر الملوك الأيوبيين بالديار المصرية
- (١) سيذكر في الجزء الرابع هكذا : « مجداليا » .

الطبقة الرابعة

ملوك التُّرك حَلَّدَ اللهُ تعالى دولتهم

- أول من ملكها منهم (الملك المِعْزُ أَيْك التُّركاني) بعد خلع الأشرف موسى، آخر
ملوك الأيوبية في شَوال سنة ثمان وأربعين وستمائة؛ وجميع له بين مصر والشام،
وأستمر الجمع بينهما إلى الآن، وبنى المدرسة المِعْزِيَّة بِرحبة الخُزُوب بِالْمُغْسَطات،
وتَرْقِج بِأَمْ خَلِيل المَقْدَم ذكرها، وقتل بِجَمَام القلعة في سنة أربع وخمسين وستمائة.
ثم ملك بعده أبْنُه (الملك المنصور على) عَقِيبَ وفاة والده المذكور. وقُتِلَتْ أُمُ خَلِيل
المذكورة، ورميت من سُور القلعة، وقُبِضَ على المظْفَر سنة سبع وخمسين وستمائة.
ثم ملك بعده الملك (المظفر قُطُز) وَكَانَ المَصَافُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّارِ على عَيْنِ
جالوتَ بعد أن أَسْتَوَلُوا على جميع الشام في رمضان ثمانية وخمسين وستمائة،
وكسروهم أَشدَّ كَسْرًا وَأَسْتَفْلَعَ الشام منهم، وبقى حَتَّى قُتِلَ في مُنْصَرَفِهِ بِطَرِيقِ الشام
وهو عائد منه بالقرب من قَصِيرِ الصَّاحِلِيَّةِ على أَمْرِ ذَلِكَ في السنة المذكورة.
ثم ملك بعده الملك (الظاهر بيبرس) البَيْدَقْدَارِي في ذِي القعدة سنة ثمان
وخمسين وستمائة، وأخذ في جهاد الفرنج واستعادة ما أَرْتَجَمُوهُ من فُتُوح السُلْطَانِ
صَلاح الدِّين يوسُف بن أيوب وغير ذلك ففتح البيرة في سنة تسع وخمسين وستمائة
والكرك في سنة إحدى وستين، وحصن في آخر سنة اثنتين وستين وستمائة، وقَبَسَارِيَّةَ
وَأَرْسُوفَ في سنة ثلاث وستين، وصَدَفَ في سنة أربع وستين، وبَافَا والشَّقِيفَ،
وأنطاكية في سنة ست وستين، وحصن الأكراد وعَمَّا وصَافِيَّتَا في سنة تسع وستين،
وكَسَرَ التَّارَ على البيرة بعد أن عُدِّيَ الفُراتُ خَوْضًا بِمَسَاكِرِهِ في سنة إحدى وسبعين؛
وفتح قَلاعا من بلاد سِيس في سنة ثلاث وسبعين، ودخل بلاد الروم، وجلس على
(١) لعل مراده الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر رُبَيْك المَعزِيَّةِ السُلْطَانِ. وأَنْظَرَ المَقَامَ في خُطُوطِ
الْمَقْرِزِيِّ (ج ٢ ص ٢٣٧).

كرسى بنى سَلْجُوقَ بَقْسَارِيَّةَ الرُّومَ ، وَرَجِعَ إِلَى دِمَشْقَ فِي آخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ .
وَتُوفِيَ بِدِمَشْقَ فِي الْمَحْزَمِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَبَنَى مَدْرَسَتَهُ الظَّاهِرِيَّةَ
بَيْنَ الْقَصْرِينِ .

وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنُهُ (الْمَلِكُ السَّعِيدُ بَرَكَةُ) فِي صَفَرِ سَنَةِ مِئَةٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ ،
وُخْلِيعَ وَسُيِّرَ إِلَى الْكَرْكِ .

وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (الْمَلِكُ الْعَادِلُ سَلَامِيشُ) فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ
وَسِتِّمِائَةَ ، وَبَقِيَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرَ ثُمَّ خَلَعَ .

وَمَلَكَ بَعْدَهُ (الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيُّ) الشَّيْرُ بِالْأَلْفَى فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ
وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَسَمِيَ الْأَلْفَى لِأَنَّهُ أَفْسَقَ الْكَامِلُ كَانَ قَدْ اشْتَرَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَنَحَعَ
حَصْنَ الْمَرْقَبِ بِالشَّامِ فِي تَامِسِ عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَنَحَعَ
طَرَابُلُسَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْبِيَارِستانَ
الْمَنْصُورِيَّ وَالْمَدْرَسَةَ الْمَنْصُورِيَّةَ وَالْقُبَّةَ الثَّلَاثِينَ دَاخِلَ الْبِيَارِستانَ بَيْنَ الْقَصْرِينِ . وَتُوفِيَ
بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَهُوَ قَاصِدُ الْغَزْوِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةَ
وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ بِالْقُبَّةِ الْمَنْصُورِيَّةِ دَاخِلَ الْبِيَارِستانَ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ .

وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنُهُ (الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ) صَبِيحَةَ وَفَاةَ أَبِيهِ وَأَخَذَ فِي الْغَزْوِ فَفَتَحَ عَمَّا
وَصُورَ ، وَصَيْدَا ، وَيَبْرُوتَ ، وَعَثْلَيْثَ ، وَالسَّاحِلَ جَمِيعَهُ ، وَأَقْتَلَهُ مِنَ الْفَرَنْجِ فِي رَجَبِ
سَنَةِ تِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ . وَقُتِلَ فِي مَتَصِيدِهِ بِالْبَحِيرَةِ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْمَحْزَمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ
وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَهُوَ الَّذِي عَمَّرَ الْمَدْرَسَةَ الْأَشْرَفِيَّةَ بِالْقَرْبِ مِنَ الْمَشْهَدِ النَّفِيسِيِّ .

فَمَلَكَ بَعْدَهُ (الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ بَيْدَرُ) وَخَلَعَ مِنْ يَوْمِهِ .

وَمَلَكَ بَعْدَهُ (الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ) فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
وَسِتِّمِائَةَ ، وَهِيَ سُلْطَتُهُ الْأُولَى . وَخُلِعَ بَعْدَ ذَلِكَ وَبُعِثَ بِهِ إِلَى الْكَرْكِ لِحُجْسِهَا .

وملك بعده (الملك العادل كُتِبَتْ) عقب خلعها، ووقع في أيامه غلاء شديد وفناء عظيم، ثم خلع في صفر سنة ست وتسعين وسبعمائة، وتوفي بعد ذلك نيابة صرّخد ثم حماة، وبقي حتى توفي بعد ذلك، وهو الذي أبتدأ عمارة المدرسة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصر محمد بن قلاوون فلهست إليه .

٥ . وملك بعده (الملك المنصور حسام الدين لاجين) في الخامس والعشرين من صفر المذكور، فجدد الجامع الطولوني وعمل الروك الحسامي في رجب الفرد سنة سبع وتسعين وسبعمائة، وقتل في الحادي عشر من شوال من السنة المذكورة، وبقي الأمر شورى مدة يسيرة، ثم حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة في حادي عشر شوال من السنة المذكورة .

١٥ . وملك بعده (الملك المظفر بيبرس الجاشنكير) في الثالث والعشرين من شوال المذكور وخلع في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة، وهو الذي عمر الخانقاه الركنية بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وجدّد الجامع الحاكمي .

١٥ . وملك بعده (الملك الناصر محمد بن قلاوون) في مستهل شوال من السنة المذكورة، وهي سلطنته الثالثة، وفيها طالت مدته وقوى ملكه، وعمل الروك الناصري في سنة ست عشرة وسبعمائة، وبني مدرسته الناصرية بين القصرين، وبقي حتى توفي في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ودفن بترية والده .

ثم ملك بعده أبنته الملك المنصور أبو بكر عقب وفاة والده، وخلع تاسع عشر صفر سنة اثنين وأربعين وسبعمائة .

٢٠ . (١) أي سنة ست وتسعين وسبعمائة . (٢) الروك : مسح الأرض الزراعية وهو المبرمه الآن بفك الزمام . (راجع المقرئ ج ١ ص ٨٧) .

(٣) في المقرئ "من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة" وأن تولية ابن قلاوون المرة الثانية في السادس من جمادى الأولى من السنة المذكورة وبقي إلى الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعمائة ثم ولي المظفر في التاريخ المذكور . وبملاحظة ذلك يستقيم الكلام ويبلغ ما في الأصل .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الأشرف بك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه المنصور المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .

ثم ملك بعد أخوه (الملك الناصر أحمد) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أخضر من الكرك، واستمر في السلطنة حتى خلع نفسه في أوائل المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل) بن الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من المحرم المذكور، وبقي حتى توفي في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك المظفر حاجي) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الكامل شعبان، وبقي حتى خلع في ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) بن الناصر محمد بن قلاوون في رابع عشر شهر رمضان المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من جمادى الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح صالح) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الناصر حسن، وبقي حتى خلع في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح، وبقي حتى خلع وقتل في عاشر جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وبني مدرسته المعظمة تحت القلعة التي ليس لها نظير في الدنيا، وفي أيامه ضربت الفلوس الجسود على ما سيأتي ذكره، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصلبه .

(١) سقط من لفظ الناصح الكامل شعبان فإنه قول بعد أخيه الصالح إسماعيل وركب سنة واحدة وثمانية وخمسين يوما ثم خلع كما تشير إليه بقية العبارة .

وملك بعده ابن أخيه (الملك المنصور محمد) بن المظفر حاجي بن الناصر محمد ابن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن ، وبقى حتى خلع في خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة .

وملك بعده ابن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع المنصور المتقدم ذكره وهو طفل ، وبقى حتى كمل سلطانه وبني مدرسته بأهل الصوة تحت القلعة ولم يتنمها ، وجمع نفج عليه ماله في عقبة أرسله ففر منهم وعاد إلى القاهرة فقيض عليه وقتل في ثالث ذى القعدة الحرام سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وفي أيامه فتحت مدينة سيس وأقتلعت من الأرمن على ما سيأتي ذكره في الكلام على أعمال حلب .

وملك بعده ابنه (الملك المنصور علي) يوم خلع أبيه وهو طفل ، فبقى حتى توفي في الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجي) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه ، وبقى حتى خلع في العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظم أمره ، وأرتفع صيته ، وشاع ذكره في الممالك وهابته الملوك وهادته ، وساس الملك أحسن سياسة ، وبقى حتى خلع وبُعث به إلى السجن بالكرك في شهر رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجي) بن شعبان ، وهو الملقب أولاً بالصالح حاجي وهي سلطنة الثانية ، وبقى حتى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدم ذكره في سنة [اثنتين ^(١) وتسعين وسبعمائة ، فزاد في التيه وضخامة الملك ، وبلغ شأوا لم يبلغه غيره من غالب متقدمي الملوك ، وبقى حتى توفي في منتصف شوال المبارك سنة إحدى وثمانمائة .

(١) الزيادة عن المقرئ .

وملك بعده أبنه (الناصر فرج) وسنة إحدى عشرة سنة بعهد من أبيه، وقام بتدبير أمره أمراء دولته، فبقى حتى تغير عليه بعض مماليكه وبعض أمرائه، وحضر المالِك بالقلعة، فنزل منها مخفياً على حين غفلة في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لأبتداء أمره أين توجه .

- ٥ . ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) في التاريخ المذكور .
- ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجاً كان مخفياً في بعض أماكن القاهرة ، فركب في ليلة السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة ، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه ، ونخرج الأمراء للقيام بثورة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرجاً ومن معه ، فوَلَّوْا هاربين ، وطلع السلطان الملك الناصر القلعة في صبيحة النهار المذكور واستقر على عادته ، وبقى في السلطنة حتى توجه إلى الشام لقتال الأمير شيخ والأمر نوروز نايجي دِمَشْقَ وحلب ، ومعه الإمام (المستعين بالله أبو الفضل العباس) بن المتوكل محمد خليفة العصر ، ودخل دِمَشْقَ وحُصِرَ بقلعتها حتى قبض عليه في ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وأستبد الإمام المستعين بالله بالأمر من غير سلطان ، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العلامات على المكاتبات والتقاليد والنواقيع والمناشير وغيرها ، وأفرد اسمه في السكة على الدنانير والدراهم ، وأفرد بالدعاء في الخطبة على المنابر ، ثم حاد إلى الديار المصرية في أوائل ربيع الآخر من السنة المذكورة ، وسكن الأدر السلطانية بالقلعة ، وقام بتدبير دولته الأمير شيخ المقدم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وفوض إليه الإمام المستعين بالله ما وراء سائر الخلافة ، وكتب له تفويض بذلك في قطع كبير ، عرضة ذراع ونصف بزيادة نصف ذراع عما يكتب به للسلطين . إلا أنه لم يصرح له فيه بسلطنة ولا إمارة ، بل كتب له بدل الأميرى الأمرى بإسقاط الياء على ما سياتى ذكره في الكلام على عهود الملوك إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

من الباب الثالث من المقالة الثانية

في ذكر ترتيب أخوال الديار المصرية، وفيه ثلاثة أطراف

الطرف الأول

في ذكر معاملتها، وفيه ثلاثة أركان

الركن الأول

الأثمان، وهي على ثلاثة أنواع

النوع الأول

الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية، أو ياتي إليها من المسكوك

في غيرها من الممالك، وهي ضربان

الضرب الأول

ما يتعامل به وزنا كالذهب المصري وما في معناه

والعبرة في وزنها بالمتأقيل، وضابطها أن كل سبعة متأقيل زنتها عشرة دراهم من

الدراهم الآتي ذكرها، والمتقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدر بنتين وسبعين

حبة شعير من الشعير الوسط بأنفاق العلماء، خلافا لأبن حزم فإنه قدره بأربع وعشرين

حبة، على أن المتقال لم يتغير وزنه في جاهلية ولا إسلام .

قلت : وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرام في الدولة الأشرفية شعبان بن

حسين بعد السبعين والسبعائة ضرب بالإسكندرية، وهو نائب السلطنة بها يومئذ،

دنانير زينة كل دينار منها مثقال، على أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلى الوجه

الآخر "ضرب بالإسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نصره"، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تستهر، ثم ضرب الأمير بلغا السالمى - أستاذ دار العالية في الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانير زنة كل واحد منها مثقال، في وسط سكنه دائرة فيها مكتوب "فرج" وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف أو مثقالان، وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال. إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها، وكانهم جعلوا نقصها في نظير كلفة ضربها.

الضرب الثاني

ما يتعامل به معادة

- وهي دنانير يؤتى بها من البلاد الإفريقية والروم، معلومة الأوزان، كل دينار منها معتبر بتسعة عشر قيراطا ونصف قيراط من المصرى، وأعتبره بصنع الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتي تحروب يربح قليلا، وهذه الدنانير مشحونة على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورة بطرس وبوليس الحواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية، ويعبر عنها بالإفريقية جمع إفريقى، وأصله إفريقسى بسين مهملة بدل التاء المشناة فوق نسبة إلى إفريقية : مدينة من مدنها، وربما قيل فيها إفريقية، وإليها تنسب طائفة الفيرنج، وهي مقرة الفرنسيين ملكهم، ويعبر عنه أيضا بالدوكات. وهذا الاسم في الحقيقة لا يطلق عليه إلا إذا كان ضرب البندقية من الفرنجة، وذلك أن الملك أسمه عندهم دوك، وكان الألف والتاء في الآخر قائمان مقام ياء النسب.

- قلت : ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنانير على زنة الدنانير الإفريقية المتقدمة الذكر، في أحد الوجهين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وفي الآخر أسم السلطان، وفي وسطه سقطة مستطيل بين خطين، وعرفت بالناصرية وكثر وجودها،

وصار بها أكثر المعاملات . إلا أنهم يتقصونها في الأثمان من الدنانير الإفريقية عشرة دراهم .

ثم ضرب على نظيرها "الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس" ^(١) حين أسنده بالأمر بعد الناصر فرج ، ولم يتغير فيها غير السكة ، باعتبار انتقالها من اسم السلطان إلى اسم أمير المؤمنين .

ثم صرف الذهب بالدينار المصرية لا يثبت على حالة بل يعلو تارة ويهبط أخرى بحسب ما تقتضيه الحال ، وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصري فيها أدركاه في التسعين والسبعائة وما حولها عشرون درهما ، والإفريقي سبعة عشر درهما وما قارب ذلك . أما الآن فقد زاد ونرجع عن الحد خصوصا في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وإن كان في الدولة الظاهرية ببيرس قد بلغ المصري ثمانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيته في بعض التواريخ .

أما الدينار الجشي ، فسمى لا حقيقة ، وإنما يستعمله أهل ديوان الجيش في عبء الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبء دنانير معينة من قليل أو كثير ، وربما أخلت بعض الإقطاعات من العبء . على أنه لا طائل تحتها ولا فائدة في تعيينها ، فربما كان متحصلا مائة دينار في إقطاع أكثر من متحصل مائتي دينار فأكثر في إقطاع آخر ، على أن صاحب "قوانين الدواوين" قد ذكر الدينار الجشي في إقطاعات على طبقات مختلفة في عبء الإقطاعات ، فالأجناد من الترك والأكراد والتركمان دینارهم دینار کامل ، والسكانية والعساقلة ومن يجرى مجراهم دینارهم نصف دينار ، والعربان في الغالب دینارهم ثمن دينار ، وفي عرف الناس ثلاثة عشر درهما وثلاث ، وكأنه على ما كان عليه الحال من قبة الذهب عند ترتيب الجيش في الزمن

(١) كذا في المقرئ (ج ٢ ص ٢٤٢) والنجوم الزاهرة في حوادث سنة ٨١٤ هـ وجبة الحيران أيضا . وفي مروج الذهب : «أبو العباس» كما سبق للزلف في الخلفاء العباسيين .

القديم، فإن صرف الذهب في الزمن الأول كان قريبا من هذا المعنى، ولذلك جعلت الدية عند مَنْ قَدَرَهَا بالنقد من الفقهاء ألف دينار وأثنى عشر ألف درهم، فيكون عن كل دينار اثنا عشر درهما، وهو صرْفه يومئذ .

النوع الثاني

الدراهم النقرة

- وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتُطعم بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير، ويكون منها دراهم صحاح وقرضات مكسرة على ما ساقى ذكره في الكلام على دار الضرب فيما بعد إن شاء الله تعالى .
- والعبارة في وزنها بالدرهم، وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدر بست حشرة حبة من حب الخروب، فتكون كل تحوَّتين ثمن درهم، وهي أربع حبات من حب البرّ المعتدل، والدرهم من الدينار نصفه ونحوه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .
- أما الدراهم السوداء، فاسمها على غير مسمايات كالدينار الجعشبية، وكل درهم منها معتبر في العرف بثلاث درهم نقرة، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتي الكلام عليها في معاملة الإسكندرية إن شاء الله تعالى .

النوع الثالث

النُّلُس، وهي صفنان : مطبوع بالسكة، وغير مطبوع

- فأما المطبوع فكان في الزمن الأول إلى أواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن فلاوون فلوس لطاف، يعتبر كل ثمانية وأربعين قلّسا منها بدرهم من النقرة على اختلاف السكة فيها، ثم أُحْدِث في سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة حسن أيضا

فلوس شهرت بالجُدُّ جمع جَدِيد، زينة كل قَلَس منها مثقال، وكل فلس منها قيراطٌ من الدرهم، مطبوعةٌ بالسكة السلطانية على ما سيأتى ذكره في الكلام على دار الضرب إن شاء الله تعالى، بخات في نهاية الحُسْن، وبطل ما عداه من القُلُوس، وهى أكثر ما يتعامل به أهل زماننا. إلا أنها فسد قانونها في تنقيصها في الوزن عن المثقال حتى صار فيها ما هو دون الدرهم، وصار تكوينها غير مستدير، وكانت توزن بالقَبان كلُّ مائة وثمانية عشر رطلا بالمصري بمبلغ نَحْمِيَّانة درهم، ثم أخذت في التناقص لصغر الفلوس ونقص أوزانها حتى صار كل مائة واحد عشر رطلا بمبلغ نَحْمِيَّانة.

قلت : ثم استغز الحمال فيها [على ذلك]^(١) على أنه لوجعل كل أوقية فما دونها بدرهم، لكان حسنا باعتبار غلو النحاس وقلة الواصل منه إلى الديار المصرية، وحمل التجار القُلُوس المضروبة من الديار المصرية إلى الجحاز واليمن وغيرهما من الأقاليم متجرا، ويوشك إن دام هذا أن تنفد القُلُوس من الديار المصرية، ولا يوجد ما يتعامل به الناس.

وأما غير المطبوعة فنحاس مكرر من الأحمر والأصفر، ويعبر عنها بالعنق، وكانت في الزمن الأول كل زينة رطل منها بالمصري بدرهمين من الثقرة، فلما عُمِلت الفلوس الجُدُّ المتقدمة الذكر، استغز كل رطل منها بدرهم ونصف، وهى على ذلك إلى الآن.

قلت : ثم ينفدت هذه القُلُوس من الديار المصرية لفلو النحاس، وصار مهما من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجُدُّ وراج معها على مثل وزنها.

(١) زيادة يقتضها السياق.

الركن الثاني

في الثمنات، وهي على ثلاثة أنواع

النوع الأول

الموزونات

- ورطلها الذي يعتبر بوزنه في حاضرتها من القاهرة والقسطنطينية وما قاربهما الرطل المصري، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما، وأوقيته اثنا عشر درهما، وعنه يتفرع الفينطار المصري، وهو مائة رطل، وتنتشر أوزان الطيب بها بالمتى، وهو مائتان وستون درهما، وأوقيته ست وعشرون أوقية، فتكون أوقيته عشرة دراهم.

النوع الثاني

الكيكلات من الحبوب ونحوها

- ١٠. واعلم أن بمصر أقداحا مختلفة المقادير أيضا كالأرطال بحسبه، ولكل ناحية منها قَدَحٌ مخصوص بحسب إردبها، والمستعمل منها بالحاضرة القَدَحُ المصري، وهو قَدَحٌ صغير تقديره بالوزن من الحب المعتدل مائتان وأثنان وثلاثون درهما، وقدره الشيخ تقي الدين بن رزين في الكلام على صاع الفِطْرَةِ بأثنين وثلاثين ألف حبة وسبعائة. وأثنان وستين حبة، وكل ستة عشر قدحا تسمى وبة، وكل ستة وتسعين قدحا تسمى إردبا، وبنواحيها بالوجهين القبل والبحري أرادب متفاوته يبلغ مقدار الإردب في بعضها إحدى عشرة وبة بالمصري فأكثر.

(١) له بحسب إردبها - أوهي زائدة من قلم الناصح.

النوع الثالث

المقيسات، وهى الأراضى والأشعة

فأما الأراضى فصنفان :

الصنف الأول

أرض الزراعة

- وقد أصطلح أهلها على قياسها بقصبة تعرف بالحكمة، كأنها حُررت في زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى فسميت إليه ، وطولها ستة أذرع بالمناشئ كما ذكره أبو القاسم الزجاجى في "شرح مقدمة أدب الكاتب" ونحسة أذرع بالنجارى كما ذكره ابن مائق في "قوانين الدواوين" وثمانية أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرها .
- 10 وذراع اليد ست قبضات بقبضة إنسان معتدل ، كل قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبصر والوسطى والسبابة ، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهرًا لبطن على ما تقدم في الكلام على الأميال . وقد تقدر القصبة بباعين من رجل معتدل ، وربما وقع القياس في بعض بلاد الوجه البحرى منها بقصبة تعرف بالسندقاوية أطول من الحكمة بقليل ، نسبة إلى بلد تسمى سندقا بالقرب من مدينة المحلة ، ثم كل أربعمائة قصبة في التكبير يعبر عنها بقدان ، وهو أربعة وعشرون قيراطا ، كل قيراط ست عشرة قصبة في التكبير .

الصنف الثانى

أرض البنيان من الدور وغيرها

- وقد أصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثة أشبار يشبر رجل معتدل ، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السواد بالعراق ، فقد ذكر الزجاجى
- ٢٠

- أنه ذراع وثلاث بذراع اليد ، وكان ابتداء وضع الذراع لقياس الأرضين أن زياد
 ابن أبيه حين ولّاه معاوية العراق وأراد قياس السواد ، جمع ثلاثة رجال : رجلا
 من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطا بين ذلك ؛ وأخذ طول ذراع
 كل منهم ، فجمع ذلك وأخذ ثلثه ، فعمله ذراعا لقياس الأرضين ، وهو المعروف
 بالذراع الزبائدي لوقوع تقديره بأمر زياد ، ولم يزل ذلك حتى صارت الاختلافه
 لبني العباس فأخذوا ذراعا مخالفا لذلك كأنه أطول منه ، فسعى بالهاشمي لوقوعه
 في خلافة بني العباس ، ضرورة كونهم من بني هاشم .

- وأما الأقدشة — فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع
 أصابع مطبوقه ، ويزيد عليه ذراع القماش بالقسطاط بعض الشيء ، وربما زاد
 في بعض نواحي الديار المصرية أيضا نحو ذلك . وغير القماش من الأصناف أيضا
 كالحصر وغيرها ذراع يخصصه .

الركن الثالث

في الأسعار

- وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" جملة من الأسعار
 في زمانه فقال : وأوسط أعارها في غالب الأوقات أن يكون الإردب القمح بقمحة
 عشر درهما ، والشعير بعشرة^(١) ، وبقية الحبوب على هذا النموذج ؛ والأرز يبلغ فوق
 ذلك ؛ والحم أقل سعره الرطل بنصف درهم ، وفي الغالب أكثر من ذلك ؛ والدجاج
 يختلف سعره بحسب حاله ، فبيته الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة ، والدون منه بدرهم
 واحد ؛ والسكر الرطل بدرهم ونصف ؛ وربما زاد ، والمكز منه بدرهمين ونصف .

(١) في الأصل : « يسره » والسياق يقتضي ما أثبتناه .

قلت : وهذه الأسعار التي ذكرها قد أدركنا غالبا وبقيت إلى ما بعد الثمانين والسبعائة فقلت الأسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك وغيره ، وصار المثل إلى ثلاثة أمثاله وأربعة أمثاله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ذي المنن الجسيمة القادر على إعادة ذلك كل ما كان عليه أو دونه (وَهُوَ الَّذِي يُثَقِّلُ الْقَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) .

الطرف الثاني

في ذكر جسورها الحابسة لمياه النيل على أرض بلادها إلى حين استحقاق الزراعة ، وأصناف أرضها ، وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة بين نكاتها ، ومزارعها ، وبيان أصناف مزروعاتها وأحوال زرعها

فأما جسورها فعلى صنفين :

الصنف الأول

الجسور السلطانية

وهي الجسور العامة الجامعة للبلاد الكثيرة التي تُعمر في كل سنة من الديوان السلطاني بالوجهين : القبلي والبحري ، ولها جرافيت ومجاريث وأبقار مرتبة على غالب البلدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهز لكل عمل في كل سنة أمير بسبب عمارة جسوره ، ويعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل القلائي ، ويعرف بذلك في تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة ، وربما أضيف كَشَفُ جسور عمَل من الأعمال إلى مُتَوَلَّى جريه ، ويقال في تعريفه : وآلي فلانة وكاشف الجسور بها ، إذا كانت المكاتبه بسبب شيء يتعلق بالجسور ، وهذه الجسور كاتب منفرد بها مقر في ديوانه ما على كل بلد من الجرافيت والأبقار ، وتكتب التذاكير

السلطانية لكاشف كل عمل في الورق الشامي المربع، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالاسم الشريف، ولجسور خولة ومهندسون لكل عمل يقومون في خدمة الكاشف في عمارة الجسور إلى أن تنتهي عمارتها .

الصنف الثاني

الجسور البلدية

وهي انحصار ببلد دون بلد، ويتولى عمارتها المقطعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية في إقطاعهم ، ولها ضرائب مقررة في كل سنة .

- قال ابن تيمّاني في "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانية والبلدية أن السلطانية جارية بحرى سور المدينة الذى يجب على السلطان الاهتمام بعمارة والنظر في مصلحته وكفاية العامة أمر الفكرة فيه، والبلدية جارية بحرى الأدير والمسكن التى داخل السور، كل صاحب دار منها ينظر في مصلحتها ويلتم تدبير أمره فيها . قال : وقد جرت عادة الديوان أن المقطع المنفصل إذا أنفق شيئاً من إقطاعه في إقامة جسر لمارة السنة التى أنتقل الخير عنه لها ، استعيد له نظير منتهقه من المقطع الثانى ، وكذلك كل ما أنفقه من مال سنته في عمارة سنة غيره كان له استعادة نظيره .

- قلت : وقد أهمل الاهتمام بأمر الجسور في زماننا، وترك عمارة أكثر الجسور البلدية، واقتصرت عمارة الجسور السلطانية على الشيء اليسير الذى لا يحصل به كبير نفع، ولو لا ما من الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة في النسل من حيث إنه صابر يجاوز تسعة عشر ذراعاً فما فوقها إلى ما جاوز العشرين ، لفات رى أكثر

البلاد وتمطلت زراعتها ﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً ﴾ وإلا فقد كان النيل في الغالب يقف على سبع عشرة ذراعا فما حولها، بل قد تقدم من كلام المسعودي أنه إذا جاء النيل ثمانى عشرة ذراعا، آسبحر من أراضيها الثلث .



٥ وأما أنواع أرضها — وما يختص بكل نوع من الأسماء ، فإنها تختلف باختلاف الزراعة وعدمها ، وبسبب ذلك تتفاوت الرغبة فيها وتختلف قيمتها باختلاف قيمة ما يُزرع فيها ، وقد عد منها ابن ممتّاني ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأول — الباقي ، قال ابن ممتّاني : وهو أثر القرط والقطن والمقاني .

قال : وهو خير الأرضين وأغلاها قيمة وأوفاهما سعرا وقطبعة ، لأنها تصلح لزراعة القمح والكتّان . ١٠

قلت : والمعروف في زماننا أن الباقي أثر القرط والفول خاصة . أما المقاني فإن أثرها يسمى البرش ، وسيأتي ذكره فيما بعد .

النوع الثاني — رى الشراق ، قال ابن ممتّاني : وهو يتبع الباقي في الجودة ، ويُحقّق به في القطبعة ، لأن الأرض قد ظلمت في السنة الماضية وأشتدت حاجتها إلى الماء . فلما رويت حصل لها من الرى بمقدار ما حصل لها من الظلم ، ١٥ وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُحبّ .

النوع الثالث — البروبية ، وأهل زماننا يقولون البرايب ، قال ابن ممتّاني : وهو أثر القمح والشمر ، قال : وهو دون الباقي لأن الأرض تضمف بزراعة هذين الصنفين . فمضى زرع أحدهما على الآخر لم تحب كسبابه الباقي وسعرها دون سعره ، ويجب أن تزرع قرطاً وقطناً ومقانيّ لتستريح الأرض وتصير باقا ٢٠ في السنة الآتية .

- النوع الرابع - البُقاعة، بضم الباء الموحدة وسكون القاف - وهو أثر السَّكَن .
قال ابن ممتى : ومتى زُرِع فيه القمح لم يُجَبِّب ، وجاء رقيق الحب أسود اللون .
- النوع الخامس - الشتونية ، وأهل زماننا يقولون الشتاني ، وهو أثر ما روى
وبار في السنة الماضية ؛ قال ابن ممتى : وقطيعته دون قطعة الشراق .
- النوع السادس - شوشمس السلاج^(١) ، قال ابن ممتى : وهو عبارة عما روى
وبار خُرَّت وعُطِّل ، وهو يجرى مجرى الباقي وروى الشراق ، ويهيئ ناحب الزرع .
- النوع السابع - البرش النقاء ؛ قال : وهو عبارة عن كل أرض خَلَّت من أثر
ما زرع فيها للسنة الماضية ، لا شاغل لها عن قبول ما تُودعه من أصناف المزروعات^(٢) .
- النوع الثامن - الوُتَيْخ المزروع ؛ قال : وهو عبارة عن كل أرض لم
يستحکم وخصها ، ولم يُقَدِّر المزارعون على استكمال إزالته منها فخرئوها وزرعوها وطلع
زرعها غنطلا بوجئها .
- النوع التاسع - الوُتَيْخ الغالب ، وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من
النبات الذي شغلها عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها ، ومنهمم بكثرته عن
الزراعة فيها ، وهي تباع صرايحي للبهائم .
- النوع العاشر - انخرس ، وهو عبارة عن فساد الأرض بما استحکم فيها من موانع
قبول الزرع ، وهو أشد من الوُتَيْخ الغالب في التثنية والإصلاح ، وهي صرايحي الدواب .
- الزراع الحادى عشر - الشراق ، وهو عبارة عما لم يصل إليه الماء للقصور
التيل وعلق الأرض ، أو سد طريق الماء عنه .

(١) كذا في قوانين الدواوين (ص ٣٣ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٦٣٠١ أدب) وفي الأصل : « شسق شمس » . (٢) في قوانين الدواوين المطبوع (ص ٣٨) هما نوعان مختلفان فذكر « البرش » وقال : « هو حث الأرض على ما تقدم حثها بعد ما كان فيها زراعة أيضا ، ويعبر به عن أثر المقات » وبالجملة فإنه عبارة عن الأرض المحروقة وهو من أجودها للزراعة ثم ذكر « المقات » وعبره بما نقله عنه الفلشندي هنا . (٣) كذا في قوانين الدواوين . وفي الأصل : « نوع » . (٤) كذا في قوانين الدواوين . وفي الأصل : « المزدوعات » .

النوع الثاني عشر - المستنجر، وهو عبارة عن أرض واطئة إذا حصل الماء فيها لا يجد مصرفا له عنها فيمضي زمن المزارعة قبل زواله بالضُوب . قال ابن مَمَاتِي : وربما انتفع به من أزدرع الأرض بالاستقاء منه بالسواقي لما زرمه في المَلُوق .

النوع الثالث عشر - السباغ ، وهو أرض غلب عليها الملح فَمَلَحَتْ حتى لم يُنتفع بها في زراعة الحبوب ، وهي أَرْدَى الأَرْضِينَ . قال ابن مَمَاتِي : وربما زرع فيما لم يستحكم منها الهِلْيُونُ والبَازِجَانُ ، وربما قطع منها ما يسيخ به الكُكَّانُ ، ويزرع فيها القصب الفارسي فيُنَجِّبُ .

الطرف الثالث

في وجوه أموالها الديوانية ، وهي على ضربين : شرعي وغير شرعي

الضرب الأول الشرعي

وهو على سبعة أنواع

النوع الأول

المال الخراجي ، وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين ، وله حالان

الحال الأول - ما كان عليه الأمر في الزمن المتقدم ، وقد أورد ابن مَمَاتِي في "قوانين الدواوين" ما يقتضي أنه كان على كُلِّ صِنْفٍ من أصناف المزرعات قطعة مقررة في الديوان السلطاني لا يختلف أمرها ، فذكر أن قطعة القمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فدان ثلاثة أَرَادَبٍ ، ثم إنه تقرر عند المساحة في سنة آئتين وسبعين وخمسمائة إردبان ونصف إردب . ثم قال : ومن

(١) كذا في قوانين الدواوين : وفي الأصل : « المزدوعات » .

- ذلك ما يباع بين ، ومنه يُزرع مُشاطرة . قال : وقطية الشعير كذلك ؛ وقطية
 المُول عن كل فدان من ثلاثة أَرادب إلى أردبين ونصف ؛ وقطية الجلبان والجِصص
 والمَدَس من كل فدان إردبان ونصف ؛ وقطية الكَن تَخْتَلِف باختلاف البلاد .
 ثم قال : وهى على آخر ما تقزر فى الديوان من كل فدان ثلاثة دنانير إلى ما دونها ؛
 وقطية القُرط بالديوان عن كل فدان دينار واحد ، وفيما بين الناس مختلف ؛ وقطية
 الثوم والبَصَل عن كل فدان ديناران ؛ وقطية التُّرْس عن كل فدان دينار واحد
 وربع ؛ وقطية الكَوْن والكراويا والسَّانِجِم الصفى عن كل فدان دينار واحد .
 قال : وكان قبل ذلك دينارين ؛ وقطية البَطِيخ الأخضر والأصفر واللُّوبِيَاء عن
 كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية السَّمِيم عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطية الطُّن
 كذلك ؛ وقطية قَصَب السُّكَّر عن كل فدان إن كان رأساً خمسة دنانير ، وإن كان
 خِلقاً ديناران وخمسة قرايط ؛ وقطية الفُلُقاس عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية
 النِّيلة عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية الفُجَل عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطية
 اللِّبْت كذلك ؛ وقطية الخَس عن كل فدان ديناران ؛ وقطية الكُرْب كذلك .
 قال : والقطية المستقرة عن خراج الشَّجَر والكُرْم تختلف باختلاف سنته . ثم قال :
 وهو يدرك فى السنة الرابعة ويترتب على كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية القَصَب
 الفارسى عن كل فدان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى — ما الأمر عليه فى زماننا ، والحال فيه مختلف باختلاف البلاد .

- فالوجه القليل الذى هو الصعيد أكثر خراجه خلالاً من قمح وشعير وحبّ وفول
 ومَدَس وبسلة وجلبان ، ويعبر فى عُرف الدواوين عما عدا القمح والشعير والحبّ
 بالحبوب ، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدان من الأصناف المذكورة ما بين
 إردبين إلى ثلاثة بكيل تلك الناحية ، وربما زاد أو نقص عن ذلك ، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها في الزيادة والنقص في الأردب والدرهم؛ وربما كان الخراج في بعض هذه البلاد دراهم؛ وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المرعى متاجزة، وربما أخذ فيه العِداد^(١) على حسب عرف البلاد.

والوجه البحري غالب خراج بلاده دراهم، وليس فيه ما خراج بلاده غلة إلا القليل على العكس من الوجه القبلي^(٢).

ثم الذي كان عليه الحال إلى نحو التسعين والسبعائة في غالب البلاد أن يؤجر أثر الباقي كل فدان بأربعين درهما فما حولها، والبرأيب كل فدان بثلاثين درهما فما حولها، ثم غلا السعر بعد ذلك حتى جاوز الباقي المائة والبرأيب الثمانين، وبلغ البرش نحو المائتين، وذلك عند غلز الحلال وارتفاع سعرها.

قلت: ثم تزايد الحال في ذلك بعد الثمانمائة إلى ما بعد العشرين والثمانمائة حتى صار يؤخذ في الباقي عن كل فدان نحو الأربعمائة درهم، وربما زادت الأرض الطيبة حتى بلغت ستمائة درهم، وفي الهباب ونحوه دون ذلك بالنسبة؛ ثم إنه إذا كان المقترض في خراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صنف من الأصناف أن يؤخذ البديل عنها من صنف آخر من الغلة.

وقد ذكر في "قوانين الدواوين" أن قاعدة البديل أن يؤخذ عن القمح بديل كل إردب، من الشعير إردبان، ومن القول إردب واحد ونصف، ومن الحنظل إردب، ومن الجلبان إردب ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

(١) مراده بالعداد المواشي الراعية؛ من الإبل والبقر والغنم.

(٢) في التركيب ركابة والمضى مفهوم.

- القمح أو ثلثا إردب من الفول أو نصف إردب من الخبز أو ثلثا إردب من الجلبان؛
 وفي الفول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو [إردب^(١) و] نصف
 إردب من الشعير أو ثلثي إردب من الخبز أو إردب من الجلبان؛ وفي الخبز
 يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف
 من الفول أو إردب ونصف من الجلبان؛ وفي الجلبان يؤخذ عن كل إردب منه ثلثي
 إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلثي إردب
 من الخبز . ثم قال : والسَّمِيمُ والسَّكَنُ ما رأيت لما بدلا ، والاحتياط
 في جميع ذلك الرجوع إلى سعره الحاضر ، فإنه أسلم طريقة وأحسن عاقبة .
- وأعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين : القبلي والبحري بجلتها جارية في الدواوين
 السلطانية وإقطاعات الأسراء وغيرهم من سائر الجند إلا التزّ اليسير مما يجري
 في وقف من سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والمنشآت
 ونحوها مما لا يُمتدّ به لقلته .

والجاري في الدواوين على ضربين :

الضرب الأول

- ١٥ ما هو داخل في الدواوين السلطانية ، وهو الآن على أربعة أصناف :

الصنف الأول

ما هو جار في ديوان الوزارة ، وأعظمه خطرا وأرفعه قدرا جهتان :
 أحدهما — عمل الخيرية المتقدم ذكره في أعمال الديار المصرية ، ولها مباشرين
 بمفردهما من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومستوف وشهود وصيّف وغيرهم ، وغالب

(١) الزيادة عن قوانين الدواوين .

(٢) كذا في قوانين الدواوين . وفي الأصل : « ثلث » .

نحاجه مبلغ دراهم تحمل إلى بيت المال فتثبت فيه وتصرف منه في حملة مصارف بيت المال، وربما حمل من بعضها الغلة اليسيرة من القمح وغيره للأهراء السلطانية بالقسْطَاط، ومن أرضها تفرد الإطلاقات؛ ويبذر فيها البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأمراء والمماليك السلطانية.

الثانية - عمل منقُوط، وله مباشرون كما تقدم في الجزية بل هي أرفع قدرا وأكثر منحصلا، وغالب نحاجه فلال : من قمع وقول وبشمير، وغلاها تحمل إلى الأهراء السلطانية بالقسْطَاط، ويصرف منها في حملة مصارف الأهراء على الطواحين السلطانية والمنآخات وغير ذلك، وربما حمل منها المبلغ اليسير إلى بيت المال فيثبت فيه ويصرف منه على ما تقدم في الأعمال الجزية، وما عدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية في ديوان الوزارة مفترقة في الأعمال بالوجهين : القبلى والبحرى، وهى في الوجه القبلى أكثر، ولكنها قد تناقصت في هذا الزمن حتى لم يبق فيها إلا بعض بلاد بالوجه القبلى.

الصنف الثانى

ما هو جار في ديوان الخصاص

وهو الديوان الذى أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة على ما سبأى ذكره؛ وأعظم بلاده وأرفعها قدرا مدينة الإسكندرية فإنها في الغالب مضافة إليه؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشاذين وغيرهم. وربما أنخرت عنه في جهات أخرى جارية فيه، ويلبها تروجة وقوة وتستره، ومال جميعها يحمل إلى خزانة الخصاص الآتى ذكرها تحت نظر ناظر الخصاص الآتى ذكره.

(١) الأهراء : جمع «هرى» بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الهاء، وهى بيت كبير تجمع فيه الفلال التى للسلطان، قال الأزهري : لا أدري أعربى هو أم دحيل.

الصنف الثالث

ما هو جار في الديوان المفرد

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" في سلطته، وأفرد له بلادا، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير، ورتب عليه نفقة مما ليكه من جامكيات وعلقي وكسوة وغير ذلك .

قلت : وليس هو المختار لهذا الاسم بل رأيت في ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان لل خليفة ديوان يسمى : الديوان المفرد .

الصنف الرابع

ما هو جار في ديوان الأملاك

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" المتقدم ذكره، وأفرد له بلادا سماها أملاكا، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها ، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كلفة .

الضرب الثاني

ما هو جار في الإقطاعات

وهو جل البلاد بالوجهين القبلي والبحري، والبلاد النفيسة الكثيرة المتحصلة في الغالب تقطع للأمراء على قدر درجاتهم ، فمنهم من يتمتع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة ، وما دون ذلك من البلدان يقطع للأماليك السلطانية ، يشترك الاثنان فيا فوقهما في البلدة الواحدة في الغالب ، وربما أفرد الواحد منهم بالبلد الواحد .

وما دون ذلك يكون لأجناد الحلقة تجتمع الجماعة منهم في البلد الواحد بحسب مقداره وحال مُقْطِيعه، وفي معنى أجناد الحلقة المُقْطِعون من العُربان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملتزى خيل البريد وغيرهم .

ثم أعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين :

الحال الأول - أن تعجز إجارة طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص، وطلب الخراج على حكمها .

الحال الثاني - أن تكون البلاد مما جرت العادة بمساحة أرضها لِسعة طينها واختلاف الري فيه بالكثرة والقلية في السنين ؛ وقد جرت العادة في ذلك أن كاتب نراج الناحية يطلب خَوَلة القانون بذلك البلد وتورخ الأحواض على المزارعين بفقدن مقدرة، وتكتب بها أوراق تسمى أوراق المسجل، ويحمل نسختها إلى ديوان صاحب الإقطاع فتخالف فيه ؛ فإذا طلع الزرع نرجح من باب صاحب الإقطاع مباشرين، فيمسحون أرض تلك البلد في كل قبالة بأسماء المزارعين، ويكتب أصل ذلك في أوراق تسمى القُنداق^(١)، ثم يجمع القبائل بأوراق تسمى تاريخ القبائل^(٢)، ثم يجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمى تاريخ الأسماء^(٣)، ويقابل بين ما أشتملت عليه أوراق المسجل وما أشتملت عليه مساحته، وفي الغالب يزيد عن أوراق المسجل، ويجمع ذلك وتنظم به أوراق تسمى المكلفة، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمل، ويحمل لديوان المُقْطِيع نسخا .

(١) القنداق، هو الذي تكتب فيه المساحات حال قيامها . (٢) القبائل : جمع قبالة يفتح القاف، وهي الأرض التي يقيها أصحابها، أي يضمونها ببلغ من المال يؤدونه عنها في كل سنة . (٣) التاريخ، هو الأوراق التي يسطها مباشر المساحة بما في السجلات ويضمها بما انتهت إليه المساحة كما في نهاية الأرب للوزير (ج ٨ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية) وفي الأصل : « تاريخ » وهو محرف .

النوع الثاني

ما يتحصل مما يُستخرج من المعادن

وقد تقدم في الكلام على خواص الديار المصرية أن الموجود الآن بها ثلاثة

معادن :

- ١٠ الأول — "معدن الزمرد" على القرب من مدينة قوص ، ولم يزل مستمر الاستخراج إلى أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" ، ثم أهمل لقلة ما يتحصل منه مع كثرة الكلف وبقي مهجلاً إلى الآن . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان له مباشرون وأمناء من جهة السلطان يتولون استخراجهم وتحصيله ، ولهم جوامك على ذلك . ومهما تحصل منه يُحيل إلى الخزان السلطانية ليباع ما يباع ، ويبقى ما يصلح للخزان المملوكية .

الثاني — "معدن الشَّبَّ" (بالباء الموحدة في آخره) . قال في "قوانين الدواوين" : ويحتاج إليه في أشياء كثيرة ، أهمها صبغ الأحمر ، وللرُّوم فيه من الرغبة بمقدار ما يحدون من الفائدة ، وهو عندهم مما لا يَدُّ منه ولا مندوحة عنه ؛ ومعادنه بأماكن من بلاد الصعيد والواحات على ما تقدم في الكلام على خواص الديار المصرية .

- ١٥ قال ؛ وعادة الديوان أن يُنْفَق في تحصيل كل قَنْطَارٍ منه بالبنّي ثلاثين درهماً ، وربما كان دون ذلك . وتُنْفَق به العرب [من معدنه] ^(١) إلى ساحل قوص ، وساحل إنعيم ، وساحل أسبوط ، وإلى البهنسي إن كان الإتيان به من الواحات ، ثم يحمل من هذه السواحل إلى الإسكندرية ، ولا يعتد للباشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الاعتبار . قال ابن ماضي : وأكثر ما يباع منه في المنجَر بالإسكندرية خمسة آلاف قَنْطَارٍ بالجرّوى ، وبيع منه في بعض السنين ثلاثة عشر ألف قَنْطَار . وسعره من

بخمسة دنانير إلى خمسة دنانير وربع وسدس كل قنطار . قال : أما القاهرة ، فأكثر ما يباع فيها منه في كل سنة ثمانون قنطارا كل قنطار بسبعة دنانير ونصف ؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه ، ولا يشتريه سوى الديوان السلطاني ، ومتى وجد مع أحد شيء من صنفه آستهلك . قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

الثالث — ” معدن النطرون ” وقد تقدم في الكلام على خواص الديار المصرية أن النطرون يوجد في معدنين : أحدهما بعزل البحيرة مقابل بلدة تسمى الطزانة على مسيرة يوم منها ، وتقدم في كلام صاحب ” التعريف ” أنه لا يعلم في الدنيا بقعة صغرية يستغل منها أكثر مما يستغل منها ، فإنها نحو مائة فدان تُغل نحو مائة ألف دينار في كل سنة . والمعدن الثاني بالقافوسية على القرب من الخطارة ، ويعرف بالخطارية ، وهو خير لاحق في الجلود الأول .

قال في ” نهاية الأرب ” : وأول من أحضر النطرون أحمد بن محمد بن مذهب بنائب مصر قبل أحمد بن طولون ، وكان قبل ذلك مباحا . قال في ” قوانين الدواوين ” : وهو في طور محدود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان ، والنفقة على كل قنطار منه درهما ، وثمن كل قنطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه سبعون درهما . قال : والعادة المستقرة أنه متى أُنق من الديوان في العربان عن أجرة حاملة عشرة آلاف قنطار ، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قنطار ، حسابا عن كل قنطار قنطار ونصف ؛ ثم قال : وأكثره مصروف في نفقة الزكاة .

قلت : أما في زماننا فقد تضاعفت قيمة النطرون وغلا سعره لأحجار السلطان له ، وأفرط حتى خرج عن الحد ، حتى إنه ربما بلغ القنطار منه مبلغ ثمانية درهم أو نحوها . وقد كان على النطرون مرتبون من مكاتب دس و مكاتب درج وأطباء وكالين وغيرهم وجماعة من أرباب الصدقات يستأدون ذلك ، وينفقون على حملته

إلى ساحل النيل بالبلدة المعروفة بالطّرانة المتقدمة الذكر ، ويدعونه على مَنْ يرغب فيه ليتوجه به في المراكب إلى الوجه القبلى ، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحرى - جملةً ، ثم بطل ذلك في أواخر الدولة الظاهرية برقوق ، وصار النطرون بمجنته خالصا للسلطان جاريا في الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار ، يحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيُخزَن في سُوْن ثم يباع منها ، وعليه مباشرون يحضرون ٥ الواصل والمبيع ، ويعملون الحسابات بذلك ، وتميّز بذلك متحصّله للغاية القصوى .

النوع الثالث

الزكاة

قد تقرّر في كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليه زكاة كان غنيا بين أن يدفعها إلى الإمام أو نائبه ، وبين أن يفرقها بنفسه . والذي عليه العمل في زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤذنين لها يفرقونها بأنفسهم ، ولم يبق بها ما يؤخذ على صورة الزكاة إلا شيئين :

أحدهما - ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب أو فضة ، فإنهم يأخذون على كل مائتى درهم خمسة دراهم ، ثم إذا اشترى بها شيئا ونخرج به وعاد بنظير المبلغ الأول لا يؤخذ منه شىء عليه حتى يجاوز سنة . إلا أنهم ٥ آنفهم سنة ذلك بفعلوها عشرة أشهر ، وخَصُّوه بما إذا لم يزد في المدة المذكورة على أربع مرار . فإن زاد عليها آسأفوا له المدة ، ثم إنه إذا كان بالبلد متجرا لأحد من تجار الكارم من بهار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد ، أخذوا عليه الزكاة أيضا .

ومجرى ذلك جميعه مجرى سائر متحصّلات الإسكندرية في المباشرة وغيرها .

١. الثاني — ما يؤخذ من العداد من مواشى أهل بركة من الغنم والإبل عند وصولهم إلى عمسل البحيرة بسبب المرعى ، وفي الغالب يُقَطَّع لبعض الأمراء ، ويخرج قُصَادُهُمْ لآخِذِهِ .

النوع الرابع الجَوَالِي

وهي ما يؤخذ من أهل الدَّيْمَة عن الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة ، وهي على قسمين : ما في حاضرة الديار المصرية من المُسَطَّاط والقاهرة ، وما هو خارج من ذلك . فأما ما بمحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة بها ناظرانجوي من جهة السلطان بتوقيع شريف ، ويتبعه مباشرون من شاذ وعامل وشهود ، وتحت يده حاشير لليهود وحاشير للنصارى يعرف أرباب الأسماء الواردة في الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ في كل عام من الصَّيَّان ، ويعبر عنهم باللشو ، ومن يقدّم إلى الحاضرة من البلاد الخارجة عنها ، ويعبر عنهم بالطرائى ، ومن يهدى أو يموت من اسمه وارد الديوان . ويُمْلَى على كُتَّاب الديوان ما يتجدد من ذلك .

١٥ قال في "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت في زمانه على ثلاث طبقات : حلياً ، وهي أربعة دنانير وسدس عن كل رأس في كل سنة ، ومُسْطَى وهي ديناران وقبراطان ، ومُسْطَى وهي دينار واحد وثلاث دنانير وحبان من دينار ، وإنه أضيف إلى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشاذ والمباشرين . ثم قال : وقد كانت العادة جارية باستخراجها في أول المحرم من كل سنة ، ثم صارت تُستخرج في أيام من ذى الحجة ، قلت : أما الآن ، فقد نقصت حتى صار أعلاها خمسة وعشرين درهماً ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُستأدى معجلة في شهر رمضان ، ثم ما يتحصّل منها يحمل منه قدر معين في كل سنة لبيت المال ، وباقى ذلك عليه مرتبون من القضاة وأهل العلم والديانة يوزع عليهم على قدر المتحصّل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلدانها فإن جزية أهل
الذمة في كل بلد تكون لمُقطَع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرى مال ذلك
الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية في بعض الدواوين السلطانية ، كان
ما يتحصّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا في ذلك الديوان .

النوع الخامس

- ما يؤخذ من تجّار الكفّار الواصلين في البحر إلى الديار المصرية
- وأعلم أن المقرّر في الشرع أخذ العشر من بضائعهم التي تقدّمون بها من دار
الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شُرط ذلك عليهم . والمُتفق به في مذهب الشافعيّ
رضي الله عنه أن للإمام أن يزيد في المأخوذ عن العشر وأن ينقص عنه إلى نصف
العشر للحاجة إلى الأزداد من جلب البضاعة إلى بلاد المسلمين ، وأن يرفع ذلك عنهم
رأسا إذا رأى فيه المصلحة . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه على مرّة من كل قادم
بالتجارة في كل سنة ، حتّى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة في سنته لا يؤخذ
منه شيء إلا أن يقع التراضي على ذلك ، ثم الذي ترد إليه تجّار الكفار من بلاد الديار
المصرية تُفرّ الإسكندرية ، وتفرّد مياط المحروستين ، تأتي إليهما مراكب الفرنج
والرّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تبتاع منهما ما تحتاج إليه من البضائع ، وقد تقرر الحال
على أن يؤخذ منهم الخمس وهو ضعف العُشر عن كل ما يصل لهم في كل مرة ،
وربما زاد ما يؤخذ منهم على الخمس أيضا .

- قال ابن ماتي في "قوانين الدواوين" : وربما بلغ قيمة ما يُستخرج عما قيمته
مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين دينارا ، وربما انحط عن العشرين دينارا . قال :
- ويعطى على كليهما الخمس ، قال : ومن الروم من يُستأدى منه العُشر ، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستفزة في الدواوين وأوضاع معروفة .

النوع السادس

الموارث الحشرية

وهي مال من يموت وليس له وارث خاص : بقرابة أو نكاح أو ولّاء، أو الباقي بعد الفرض من مال مرتب يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا حاصبه له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : مافى حضرة الديار المصرية ، وما هو خارج عنها .

فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة ناظرا يورث من قبل السلطان يشوق شرعية وجهه . مبشرين من شاذ وكاتب ومُشارف وشهود ، وهي مضافة إلى ما تحت نظر الوزارة من هائر المباشرات ، وتُحصّلها يحمل إلى بيت المال ، وربما كان عليها مرتبون من أرباب جوامك وغيرهم . وقد جرت عادة هذا الديوان أن يكتبه في كل يوم يكتب تعريفاً بمن يموت بمصر والقاهرة من حشري أو أهلي وتفصيله من رجال وفساء وصنفار ويهود ونصارى ، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة ، ولنظر الدواوين ومستوفى الدولة ، ويُستد من وقت العصر . لمن أطاق بعد العصر ، أضيف إلى النهار القابل .

وأما ما هو خارج عن حضرة الديار المصرية ، فلها مباشرين يُحصّلونها ويحملون ما يُحصّل منها إلى الديوان السلطاني .

النوع السابع

ما يتحصل من باب الضرب بالقاهرة
والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف :

الصف الأول

الذهب

- وأصله مما يجلب إلى الديار المصرية من التبر من بلاد التكرور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب . قال في "قوانين الدواوين" : وطريق العمل فيها أن يُسبك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتى يصير ماء واحدا ، ثم يقلب قُضباناً ويقطع من أطرافها قطع بمباشرة النائب في الحكم ، ويحوز بالوزن ويسبك سبيكة واحدة ، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الخائف المسبوك بدار ١٠ الضرب أربعة مثاقيل ، ويعمل كل منها أربع ورقات ويجمع الثمان ورقات في قَدَح نِغار بعد تحرير وزنها . ويوقد عليها في الأتون ليلة ، ثم تخرج الورقات وتمسح ويُعَرَّ الفرع على الأصل^(١) ، فإن تساوى الوزن وأجازة النائب في الحكم ، ضُرب دنانير . وإن نقص أعيد إلى أن يتساوى ويصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير .

- قال ابن الطَّوْبَر في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية في مياقه ١٥ الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حكي أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له الماسم بمدينة عين شمس انخراب على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة ، حيث ينبت البَلَسَانُ ، وأن يدفره ساخت بها يوما في أرض صَلْدَة ، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسة تَوَاوِيس فكتشفها فوجد في الأوسط منها ميتا مُصَبِّرا في عسل ، وعلى صدره لوحٌ لطيف من ذهب فيه ٢٠ كتابة لا تعرف ، والتواويس الأربعة مملوءة بسبائك الذهب ، فتقل ذلك الذهب

(١) كذا في قوانين الدواوين . وفي الأصل : « القَدَح » وهو محرف .

- ولم يجد من يقرأ ما في اللوح ، فدلَّ على رهاب شيخ بدير العربَّة بالصعيد له معرفة بخط الأولين ، فأمر بإحضاره فأخبره بضعفه عن الحركة ، فوجه باللوح إليه ، فلما وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك ، وذَهَبِي أخلص الذهب .
- فلما بلغ ذلك أحمد بن طولون ، قال : قبح الله من يكون هذا الكافر أكبر منه أو ذبه أخلص من ذبه ، فشدد في العيار في دور الضرب ، وكان يحضّر ما يملأ من الذهب ويختم بنفسه فبقى الأمر على ما قتره في ذلك من التشديد في العيار . وكانت دار الضرب في الدولة الفاطمية لا يتولاها إلا قاضى القضاة تعظيماً لسانها ، وتكتب في عهده في جملة ما يضاف إلى وظيفة القضاء ، ويقم لمباشرة ذلك من يشأه من نواب الحكم ، وبقي الأمر على ذلك زمناً بعد الدولة الفاطمية أيضاً .
- أما في زماننا ، فنظرها موكول لناظر الخالص الذي استحدثه الملك الناصر محمد بن قلاوون عند تعطيله الوزارة على ما سأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .
- والسكة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب على أحد الوجهين : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) وعلى الوجه الآخر اسم السلطان الذي ضرب في زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصف الثاني

الفئة الثقرة

- وقد ذكر ابن مماتي في "قوانين الدواوين" في عيارها أنه يؤخذ ثلثائة درهم فضة تضاف إلى سبعمائة درهم من النحاس الأحمر ، ويسبك ذلك حتى يصير ماء واحدا فيقلب قصبانا ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهما ، ثم تسبك ، فإن خلص
- (١) ليست هذه العبارة نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حساباً عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت إلى أن نصبح . وكأن هذا ما كان الأمر عليه في زمانه، والذي ذكره المقرئ الشهابي: **أ**بن فضل الله في "مسالك الأبصار": أن عيارها الثلاثان من فضة والثالث من نحاس، وهذا هو الذي عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان في أيام الظاهر بيبرس وما والاها، وربما زاد عيار النحاس في زماننا على الثالث شيئاً يسيراً بحيث يظهره النقد، ولكنه يروج في جملة الفضة، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده .

قلت: أما بعد الثمانمائة فقد قلّت الفضة، وبطل ضرب الدرام بالديار المصرية إلا في القليل النادر لاستهلاكها في السروج والآنية ومحوها، وانقطاع أصلها إلى الديار المصرية من بلاد الفرنج وغيرها . ومن ثم عَزَّ وجود الدرام في المعاملة بل لم تكد توجد . ثم حدث بالشام ضرب دراهم رديئة فيها الثلث لما دونه فضة **ج**و والباقى نحاس أحمر، وطريقة ضربها أن تقطع القضبان قطعاً صغاراً كما تقدم في الدنانير، ثم تُرصع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صمغاً مستديرة، والفضة ربما كان فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله، وصورة السكة على الفضة كما في الذهب من غير فرق .

الصفحة الثالث

١٥

الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر

وقد تقدم أنه كان في الزمن الأول فلوس صغار كل ثمانية وأربعين قلّساً منها معتبرة بدرهم من النقرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الثانية، فأحدثت فلوسٌ صُبر عنها بالجُدْدِ زَنَّهُ كل قلّس منها مثقال، وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطاً من الدرهم، ثم تناقص مقدارها حتى كادت **د**

تفسد وهي على ذلك. وطريق عملها: أن يُسبك النحاس الأحمر حتى يصير كالماء؛ ثم يخرج فيضرب قضباناً، ثم يقطع قطعاً صغيراً، ثم تُرصع وتسلق بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب على أحد الوجهين اسم السلطان ولقبه ونسبه، وعلى الآخر اسم بلد ضربيه وتاريخ السنة التي ضرب فيها.

الضرب النبطي

من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعية،

وهو المكروس، وهي على نوعين

النوع الأول

ما يختص بالديوان السلطاني وهو صنفان

الصنف الأول

ما يؤخذ على الواصل المحبوب، وأكثره مُتَحَصِّلاً جِهَتَانِ

الجهة الأولى

ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع في بحر القلزم

من جهة الجحاز واليمن وما والاها، وذلك بأربعة

سواحل بالبحر المذكور

الساحل الأول — "عَيْدَابُ" وقد كان أكثر السواحل واصلًا لرغبة رؤساء

المراكب في التعدية من جُدَّة إليه، وإن كانت باحثه متسعة لغزارة الماء وأمن الخفاق بالشعب الذي ينبت في قعر هذا البحر، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قُوصَ بالبضائع ومن قُوصَ إلى فُنْدُقِ الكارم بالفسطاط في بحر النيل.

الساحل الثانى — "القَصِير" وهو فى جهة الشمال عن عِيَذَابَ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوصَ و بُعِدَ عِيَذَابَ منها؛ وتُحمل البضائع منه إلى قُوصَ، ثم من قُوصَ إلى قُنْدُقِ الكارم بالفُسْطَاطِ على ما تقدّم، وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حدَّ عِيَذَابَ.

الساحل الثالث — "الطُّور" وهو ساحل فى جانب الرأس الداخل فى بحر القلزم

- بين عَقَبَةِ أَيْلَةَ وبين بر الديار المصرية؛ وقد كان هذا الساحل كثير الواصل فى الزمن المتقدّم؛ لرغبة بعض رؤساء المراكب فى السير إليه، لقرب المراكب فيه من برّ الحجاز حتى لا يغيب البر عن المسافرين فيه وكثرة المراسى فى برّه، متى تغير البحر على صاحب المراكب وجد مرساة يدخل إليها، ثم ترك قصدُ هذا الساحل والسفرُ منه بعد انقراض بنى بدير العبّاسية التجار، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذى يُخشى على المراكب بسببه، ولذلك لا يُسافر فيه إلا نهاراً، ويبقى على ذلك إلى حدود سنة ثمانين وسبعائة، فعمّر فيه الأمير صلاح الدين بن عِزَام رحمه الله، وهو يومئذ حاجب الجُحَاب بالديار المصرية مَرَجًا وسَقَرها، ثم أتبعها بمركب آخر بَحَسر الناس على السفر فيه وتمحروا المراكب فيه، ووصلت إليه مراكبُ الْبَنِّ بالبضائع، ورُفِضَت عِيَذَابُ والقَصِيرُ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلى الحجاز، وغُرِدت فَوَائِدُ التجار فى حمل الحنطة إليه.

الساحل الرابع — "السُّوَيْسُ" على القرب من مدينة القلزم الخراب بساحل الديار المصرية. وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والفُسْطَاطِ إلا أن الدخول إليه نادر، والعمدة على ساحل الطُّور كما تقدّم.

- (١) هو الأمير صلاح الدين خليل بن عِزَام، كانت واسع الاطلاع فى التاريخ والأدب، وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير معروفه نامة بالأمور السياسية. تولى نيابة الاسكندرية غير مرة ونُقل فى عدة وظائف. قتل وهو مسربسوق الخيل بالرملة بالقاهرة سنة ٧٨٢ هـ ورائه الأديب شهاب الدين أحمد بن الطاهر بقوله:

أيا آئين عِزَام قد سمعت مشتمرا * وصار ذلك مَكْرًا يا عِصْمَا

ما زلت تمجد فى التاريخ كتبه * حتى رأيتك فى التاريخ مَكْتُومَا

(راجع التَّجْوِمَ الزاهرة فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ)

قلت : وهذه السواحل على حد واحد في أخذ المرتب السلطاني ، وقد ذكر في "قوانين الدواوين" : أن واصل عيذاب كان استقر فيه الزكاة . أما الذي عليه الحال في زماننا ، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العثمانيين مع لواحق أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطاني أيضا .

وأعلم أنه قد تصل البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدم ذكرهما ، فيؤخذ منها المرتب السلطاني على ما توجه الضرائب .

الجهة الثانية

ما يؤخذ على واصل التجار بقطيا في طريق الشام إلى الديار المصرية عليها يرد سائر التجار الواصلين في البر من الشام والعراق وما والاها ، وهي أكثر الجهات متحصلا وأشدّها على التجار تضيقا وعندهم ضرائب مفزرة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصنف الثاني

ما يؤخذ بمحاضرة الديار المصرية : بالفسطاط والقاهرة

وهو جهات كثيرة ، يقال إنها تبلغ آئتين وسبعين جهة ، منها ما يكثر متحصله ومنها ما يقل ، ثم بعضها بحسب ما يتحصل من قليل وكثير ، وبعضها له صئمان بمقدار معين لكل جهة ، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوى بهذه المكوس ، ونجرت في التريث عن الحد ، ودخلت الشبهة في أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله في سلطته قد رفع هذه المكوس وعما آثارها ،

وعرضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتح من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلغام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خطراً وأرفعه أجراً ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بطلان مكوس الملاحى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النوع الثانى

ما لا اختصاص له بالديوان السلطاني

- وهى المكوس المنفردة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فتحصلها لذلك الديوان ، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ويحوم فتحصلها لصاحب الإقطاع ، ويسمى ١٠ عنها فى الدواوين بالهلالي كما يعبر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجى .

المقصد الثالث^(١)

فى ترتيب المملكة، ولها ثلاث حالات :

- الحالة الأولى — ما كانت عليه فى زمن عمال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية ، ولم يتحدر لى ترتيبها، والظاهر أنه لم يزل نوابها وأمرائها ١٥ حيلند على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبثوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان ، حتى يقال إنه كان فى عسكره اثنا عشر ألف أسود، وتبعهم الدولة الإخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

(١) لم يسبق له التصير بالمقصد الأول والثانى ولم يجعل كمادته غلغل هذا من بعض النسخ . وقد وقع

فى هذا الجزء شئ من هذا القيل فاقضى التنبه .

الحالة الثانية — من أحوال الديار المصرية ما كانت عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ؛ ويختصر المقصود من ترتيب ملكتهم في سبع جمل^(١) .

الجملة الأولى

في الآلات الملوكية المختصة بالموالك العظام

وهي على أصناف متعددة :

منها "التاج" . وكان يُنعت عندهم بالتاج الشريف ، ويعرف بشدة الوقار . وهو تاج يركب به الخليفة في الموالك العظام ، وفيه جوهرة عظيمة تُعرف بالتيمة زتها سبعة دراهم ولا يقوم عليها لتفاسها ؛ وحولها جواهر أخرى دونها ؛ يلبس الخليفة هذا التاج في الموالك العظام مكان العمامة .

ومنها "قضيب الملك" . وهو عُود طول شبر ونصف ، ملبس بالذهب المرصع بالدر والجواهر ، يكون بيد الخليفة في الموالك العظام .

ومنها "السيف الخاص" . الذي يحمل مع الخليفة في الموالك . يقال إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الظفر بها فعمل منها هذا السيف ، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر ، وهو في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة في الموالك .

ومنها "الدواة" . وهي دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المَرَجَان على صلابته ومناحته ، تلف في منديل شرب أبيض^(٢) [مذهب]^(٣) ، ويحملها شخص من الأستاذين في الموالك أمام الخليفة تكون بينه وبين السرج ، ثم جعل يحملها لعدل من العدول المعبرين .

(١) في الأصل : « ثلاث » وقد أثبت سبع جمل . (٢) الشرب : نوع مخصوص من الحرير كان يستعمل في ذلك الزمن . (٣) الزيادة عن المقرئ (ج ١ ص ١٤٩) والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٧) .

ومنها "الريح" . وهو ريح لطيف في غلاف منظوم باللؤلؤ ، وله سِتَانٌ مختصر بحلية الذهب ، وله شخص مختص بمحله .

ومنها "الدَّرَقَةُ" . وهى دَرَقَةٌ كبيرة بكواجٍ^(١) من ذهب ، يقولون إنها دَرَقَةٌ حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليها غِشَاءٌ من حرير ، ويمثلها في الموكب أمير من أكابر الأمراء ، له عندهم جلالة .

ومنها "الخافر" . وهى قطعة ياقوت أحمر في شكل الحلال ، زنتها أحد عشر مثقالا ، ليس لها نظير في الدنيا ، تحاط بخياطة حسنة على خرقة من حرير ، وبدائها قضب زمرد ذبابي^(٢) عظيم الشأن ، تجعل في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في المواكب .

ومنها "المِظْلَةُ" التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه . وهى قُبَّةٌ على هيئة خيمة على رأس عمود كالْمِظْلَةِ التى يركب بها السلطان الآن ، وكانت أثنى عشر شوزكا ١٠ عرض سَفْل كل شوزك شبر ، وطوله ثلاثة أذرع وثلاث ، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الأثنا عشر شوزكا في رأس عمود بدائرة ، وعمودها قطارية من الزَّيْنِ مَبْنِيَّةٌ بآنايب الذهب ، وفي آخر أنبوبة ثلثي رأس العمود فلكة بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشوازيك في حَلَقَةٍ من ذهب ، وتنزل في رأس الريح . ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وحاملها من أكابر الأمراء .

قال ابن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التى يلبسها الخليفة في ذلك الموكب ، لا تخالف ذلك .

ومنها "الأعلام" . وأعلامها اللوامان المعروفان بلوامي الحمد ، وهما رحان طويلا مَبْنِيَّانِ بآنايب من ذهب إلى حدٍّ استتهما ، وبأعلامهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين ، يُجَرَّجَانِ لخروج المِظْلَةِ إلى أميرين معيّنين لحملها ، ودونها رحان برؤوسهما أهلة من ذهب صامت ،

(١) في النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٠) والمقرئى : « بكواخ » .

(٢) مسمى بالذبابي لقرب لونه من لون الدباب الكبير المائل الى الخضرة .

(٣) كذا في النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٤) . وفي الأصل : « ملكة » وهو محريف .

في كل واحد منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فيفتحان فيظهر شكلهما، يحملهما فارسان من صبيان الخصاص، ووراءهما رايات لطاف ملونة من الحرير المرقوم ومكتوب عليها: «تَضَرُّنَ اللَّهَ وَتَفْتَحُ قَرِيبٌ» طول كل راية منها ذراعان في عرض ذراع ونصف، في كل واحدة ثلاث طرازات على رماح من الفئأ، ملتها أبدا إحدى وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة، وحاملها أبدا راكب بقلعة.

ومنها «المذبذبان» وهما مذبذبان عظيمتان كالتختين ملويتان محمولتان عند رأس فرس الخليفة في الركوب.

- ومنها «السلاح» الذي يحمل الركابة حول الخليفة. وهو صميص مصقولة، ودبابيس ملبسة بالكيمخت^(١) الأحمر والأسود، ورءوسها مدورة، ولتوت^(٢) حديد كذلك ورءوسها [مستطيلة وآلات يقال لها المستويات] وهي عمود حديد طول ذراعين، مربعات الأشكال بمقايض مدورة بعثة معلومة من كل صنف، وستائة حربة بأسنة مصقولة، تحتها جلب الفضة، وثلاثمائة درقة بكرايج فضة، يحمل ذلك في الموكب ثلاثمائة عبد أسود كل عبد حريتان ودرقة واحدة، وستون رجلا طول كل واحد منها سبع أذرع، برأسها طلعة وعقبها من حديد، يحملها قوم يقال لهم «السريرية» يفتلونهم بأيديهم اليمنى قتلا متدارك الدوران، ومائة درقة لطيفة، ومائة سيف بيد مائة رجل، كل رجل درقة وسيف يسعون رجالة في الموكب، وعشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراب يقال لها سيوف الدم، تكون في أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتل أحد. وذلك كله خارج عما يخرج من خزنة التجميل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزمنة السلاكر لتجميلهم في الموكب، وهي نحو أربعمائة راية مرقومة الأطراف، وأعلىها رمايين الفضة المذهبة، وعدة

(١) الكيمخت : ضرب من الجلود المدبوغة . (٢) ثوت : كلمة فارسية معربة، جمع ثوت

والث : القندوم والفاص العظيمة . (٣) الزيادة من النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٧٩) .

(٤) الجلب، جمع جلبية، وهي القطعة من الفضة وضربها تضم نصاب الحربة بستانها .

من التَّعَارِيَات^(١) ، وهى شبه الكنجاوات ملبسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزى وغير ذلك ، وعليها كَوَاجِحُ^(٢) الفضة المذهبة ، لكل أمير من أصحاب الفُضْب منها عَمَّارِيَّةٌ ، ويختص لواءه على رعين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه فى المركب إلى غير ذلك من الآلات التى يطول ذكرها ، ويسمى أَسْتِعَابُهَا .

- ومنها "النَّقَّارَات" . وكانت على عشرين بسلا ، على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغركوسات ، تسير فى المركب اثنتين اثنتين ولها حسن حسن .

ومنها "الْخِيَامُ وَالْفَسَاطِيطُ" وكان من أعظم خيمهم خِيَمَةٌ تعرف بالقانول ، طول عمودها سبعون ذراعاً ، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء ، وسعتها ما يزيد على فدانين فى التدوير ، وسميت بالقانول لأن قَرَأَاشًا سقط من أعلاها فأت ،

- قلت : ولعمري إن هذه لأثرة عظيمة تدل على عظيم مملكة وقوة قدرة ، وأنى يتأتى مثل هذه الخيمة الملك من الملوك وإن جلَّ قدره وعظم شأنه .

الجملة الثانية

فى حواصل الخليفة ، وهى على خمسة أنواع

النوع الأول

- الخزائن ، وهى ثمان خزان : ١٥

الأولى — "خِزَانَةُ الْكُتُبِ" . وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنًا عندهم ، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة للقائمة مدَّةٌ كثيرة ، ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد ، مشتملة على أنواع العلوم مما يُدْهِشُ الناظر ويحيره ، وربما اجتمع من المصنِّف الواحد فيها عشرُ نسخ

(١) الباريات ، جمع عمارية ، وهى المودج يجلس فيه . ٢٠

(٢) فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٠) والقرمزي «كواخ» .

فما دونها^(١)، وكان فيها من الدُرُوج المكتبة بالخطوط المنسوبة بخط ابن مقلة وابن
البواب، ومن جرى مجراها^(٢).

الثانية — "خزانة الكسوة" وهي في الحقيقة خزانتان. إحداهما — الخزانة
الظاهرية، وهي المعبر عنها في زماننا بالخزانة الكبرى على ما كانت عليه أولاً، والمعبر
عنها بخزانة الخصاص على ما استقر عليه الحال آخرًا، وكان فيها من الخواص من
الديباج الملون على اختلاف ضروبها، والشرب الخصاص الدقيق^(٣) والسقلاطون^(٤)، وغير
ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عظم المملكة، وإليها يحمل ما يُعمل بدار
الطرار بِنَيْسَ وديمياط والإسكندرية من مستعملات الخصاص، وفيها يفصل
ما يؤمر به من لباس الخليفة، وما يحتاج إليه من الخيل والتشريف وغير ذلك.
الثانية — معدة للباس الخليفة خاصة، وهي المعبر عنها في زماننا بالطلشت خاناه،
وإليها ينقل القماش المفصل بالخزانة الأولى من قماش الخليفة وغيره.

الثالثة — "خزانة الشراب". وهي المعبر عنها في زماننا بالشراب خاناه، وكان
فيها من أنواع الأشربة والمُعَاجِين النخيسة والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية
والعِطَرِيَّات الفاخرة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النخيسة والآنية الصنيعة
من الزبادى والصُّحُون والبُرَاقِي والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك.

الرابعة — "خزانة الطَّعْم". وهي المعبر عنها في زماننا بالخواجج خاناه، وكانت
تحتوى على مئة أصناف من جميع أصناف القلويات من الفستق وغيره والسكر والقند^(٥)
والأعسال على أصنافها والزيت والشَّمْع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصًا

(١) لعل الأنسب لما فوقها. (٢) لعل تمامه [ما يدل على عظم المملكة] كما سبق في نظيره.

(٣) الدقيق: نوع من الألفسة الحورية المركبة التي كانت تصنع في ديق، وهي بلدة بمصر قديمة
زالت، وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من نيس، وموضعها اليوم كل ديق في الشمال الشرقى لقرية
صان اخبروت على بعد ٥٥٠٠ مترًا بمركة قفوس. (٤) السقلاطون: نوع من الملابس الحريرية
الفاخرة الملوثة بالألوان القرمزية وغيرها. وهو أعم بلد بالروم تصنع فيه تلك الملابس وتُنسب إليه. وكانت
تصنع أيضًا ببغداد ونهر ز (راجع قاموس دوزي والقاموس الإنجليزي الفارسي ومعجم البلدان) لا قوت في كلامه
على تبرج. (٥) القند: صل قصب السكر إذا جمد معزب كند وهو قصب السكر وسمه الكردى قند.

وعاماً، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقعات في كل شهر، ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر.

الخامسة - "خزانة السروج". وهي المعبر عنها في زماننا بالركاب خاناه، وكانت قاعة كبيرة بالقصر، بها السروج والخيل من الذهب والفضة، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة، ثم منها ما هو قريب من الخاص، ومنها ما هو وسط برسم من هو من أرباب الرتب العالية، ومنها ما هو دونه برسم من هو برسم العواري أيام المواكب لأرباب الخدم.

السادسة - "خزانة الفرش". وهي المعبر عنها في زماننا بالفرش خاناه، وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك، وكان الخليفة يحضر إليها من غير جلوس ويطوف فيها، ويسأل عن أحوالها، ويأمر بإدانة عمل الاحتياجات وحملها إليها.

السابعة - "خزانة السلاح". وهي المعبر عنها في زماننا بالسلاح خاناه، فيها من أنواع السلاح المختلفة ما لا نظيره: من الزرديات المنقشة بالديباج المحكية الصنعة المحلاة بالفضة، والجواشن المذهبة، وألحود المحلاة بالذهب والفضة، والسيوف العربيات والفلاجورية، والزجاج الفنا والقطاريات المدهونة والمذهبة، والأيسنة المنظمة والقيبي المنسوبة إلى أفاضل الصناعات، وقسي الرجل والركاب، وقسي اللولب التي تبلغ زنة نصله خمسة أرباط بالمهرى، والتبيل الذي يرى به عن القسي العربية في المهارى المصنوعة لذلك.

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر: كان يصرف فيها في كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار.

(١) الجواشن: جمع جوشن، وهو مثل الزرد يلبس على الظهر، والفرق بينه وبين الزرد أن الزرد يكون من حلقة واحدة فقط، والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة من التلك.

الثامنة — "خزانة التَّجَمُّل". وهى خزانة فيها أنواع من السلاح يُخرج منها للوزير والأمرءاء فى المواكب الأولى والقُصْبُ الفضة والعُمَارِيَّات وغيرها. قال ابن الطوير: هى من حقوق خزائن السلاح.

وأما "خزائن المال" فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر العظيمة، والأقشمة الفاخرة ما لا تحصره الأقلام.

وناهيك أن المستنصر لما وقع الغلاء العظيم بمصر، أخرج من خزانته فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة ذخائر تسمُّها للإعانة على قيام أمر المملكة والحند، فكان مما أخرجها ثمانون ألف قطعة بلوَرٍ كَبار، وسبعون ألف قطعة من الدِّيَّابَج، وعشرون ألف سيف مُحَلٍّ. ولما استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على القصر بعد وفاة المعاضد، آخر خلفائهم، وجد فيه من الأعلاق الثمينة والتحف ما يخرج عن حدِّ الإحصاء، من جملة الحافز الياقوت المقدم ذكره. ويقال إنه وجد فيه قضيب زُمرَّدٍ يزيد على قامة الرجل على ما تقدّم ذكره فى الكلام على الأسرار المملوكية فى أثناء المقالة الأولى، ووجد فيه أيضا الهرم العنبر الذى عمله الأمين زينته ألف رطل بالمصرى.

النوع الثانى

حواصل المواشى المعبر عنها عند مكَّاب زماننا بالكُرَاع؛ وهى حاصلان:

الأول — "الإصطبلات". وهى حواصل الخيول والبقال وما يمتاعها، قال ابن الطوير: وكان لهم إصطبلان. قال: وكان للخليفة ^(١) برسم الخاص فى كل إصطبل ما يُقرب من الألف رأس، النصف من ذلك برسم الخاص، والنصف برسم العواري فى المواكب لأرباب الرُّتب والمستخدمين، وكانت لكل ثلاثة أرؤس منها سائس

(١) عبارة المقرئ (ج ١ ص ٤٤٤) نقلا عن ابن الطوير: «وكان لهم إصطبلان: أحدهما يعرف بالطائفة، يقابل قصر الشوك، والآخر بمحارة زوالة يعرف بالجزيرة، وكان للخليفة الحاضر ما يقرب الخ وهو أربع».

واحد؛ لكل واحد منها شتاد برسم تسييرها ، وبكل من الإصطبلين رائض كامير آخر . ومن غريب ما يحكى أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حصاناً أدم قط ، ولا يروّن إضافته إلى دوابهم بالإصطبلات .

الثانى — ”المناخات“ . وهى حواصل الجبال ، وكان لهم من الجبال الكثيرة بالمناخات وعددها الفائقة ما يقصر عنه الحد .

النوع الثالث

حواصل الغلال وثون الأتبان

أما الغلال — فكانت لهم الأمراء فى عدة أماكن : بالقاهرة ، والقسطنطينية ، ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب الطوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتى تقطع بالمساحى .

وأما ثون الأتبان — فكان بطريق القسطنطينية ثونتان عظيمتان مملوءتان بالثين معبأتان تعبئة المراكب كالجبلين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشى الدبوانية وهو آمل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثلثائة وستين رطلا .

النوع الرابع

حواصل البضاعة

قال ابن الطوير : وكان فيها ما لا يحصره إلا العلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القنب والكتان ، والمنجنقات والصناعات الكثيرة من الفرنج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أولاً بالجزيرة المعروفة الآن بالروضة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصناعة قاله القاضي .

النوع الخامس

ما في معنى الحواصل، لوقوع الصرف والتفرقة منه،

وهو الطواحين، والمطبخ، ودار الفطرة^(١)

فأما الطواحين - فإنها كانت معلقة، مداراتها أسفل وطواحينها فوق. كما في السواقى حتى لا يقارب الدقيق زبل الدواب الدائرة لأختصاصه بالخليفة.

وأما المطبخ - فقد تقدم في الكلام على خطط القاهرة، وكان يدخل بالطعام منه إلى القصر من باب الزهومة مكان قاعة الخاتبة من المدرسة الصالحية الآن على ما تقدم في خطط القاهرة. قال ابن الطوير: ولم يكن لهم أسطحة عامة في سوى العيدين وشهر رمضان.

الجملة الثالثة

في ذكر جيوش الدولة الفاطمية، وبيان مراتب أرباب السيوف وهم على ثلاثة أصناف :

الصف الأول الأمراء

وهم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة الأمراء المطوقين، وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم، وكانهم بمثابة الأمراء مقدّمى الألوف في زماننا.

المرتبة الثانية - مرتبة أرباب القُضْب، وهم الذين يركبون في المراكب بالقُضْب الفضة التي يخرجها لهم الخليفة من خزانة التجميل تكون بأيديهم، وهم بمثابة العلخاناء في زماننا.

المرتبة الثالثة - أدوان الأمراء ممن لم يؤهل لحمل القُضْب. وهم بمثابة أمراء العشرات والخمسات في زماننا.

(١) أغفل المؤلف الكلام على دار الفطرة . وكانت خارج القصر قبالة الدار ومشهد الحسين ، بناها العزيز بالله وقرنها ما يعمل عما يحمل من الفطرة (وهي الحوز واللوز والبندق والفسق والرب) إلى الناس في عيد شوال . وكان مصروفها في كل سنة عشرة آلاف دينار . وعملها اليوم الدور الواقعة في أول شارع فر يد على يمين الدخانل فيه من جهة الميدان للقبيل بلجام سيدنا الحسين تجاه بوابة شارع الباب الأخضر (راجع الكلام عليها في شملت المقرري ج ١ ص ٤٢٥ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٢ طبع دار الكتب المصرية) .

الصفحة الثاني

خواص الخليفة ، وهم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

الأساتذون

- وهم المعروفون الآن بالخدام والطواشي ، وكان لهم في دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كانت أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وأجلهم المَحْكُون ، وهم الذين يُدَوِّرون عمامتهم على أكتافهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصمهم به ، وكانت عدتهم تزيد على ألف . قال ابن الطوير : وكان من طريقهم أنه متى ترشح أستاذ منهم لفتحك وحتك ، حمل إليه كل أستاذ من المحكين بذلة كاملة من ثيابه وسيفه وفرسا فيصبح لاحقا بهم ، وفي يده مثل ما في أيديهم .

النوع الثاني

صبيان الخصاص

وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية في زماننا .

النوع الثالث

صبيان الجحر

- وهم جماعة من الشباب يتاهزون خمسة آلاف نفر مقيمون في مجر منفردة لكل شجرة منها اسم يخصها ، يضاهون ممالك الطباق السلطانية الآن المعبر عنهم بالكناية إلا أن عدتهم كاملة وعلاهم مزاحاة ، ومتى طُلبوا لِمِهِمْ لم يجدوا عائقا ، وللصبيان منهم حجرة منفردة يتسلمها بعض الأساتذين ، وكانت حُجرتهم بمحل عن القصر داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية ببيرس الآن .

(١) لله : لفتحك وحتك ، لأن المرحود في اللغة : تفتحك الرجل إذا أدار العامة من تحت حنك .

الصنف الثالث

طوائف الأجناد

وكانوا عدة كثيرة، تنسب كل طائفة منهم إلى مَنْ بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم، كالحافطية والأميرية من بقايا الحافظ والآخر، أو إلى مَنْ بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجُوشية والإفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالي وولده الأفضل، أو إلى مَنْ هي منتسبة إليه في الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والديلم والمصامدة، أو من المستعصمين كالروم والفرنج والصقالبة، أو من السودان من عبيد الشراء، أو المتقاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قُود ومقدمون يحكمون طيهم.

الجملة الرابعة

في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية، وهم على قسمين :

القسم الأول

ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف

الصنف الأول

أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوعان :

النوع الأول

وظائف عامة الجند، وهي تسع وظائف :

الوظيفة الأولى - "الوزارة" وهي أرفع وظائفهم وأعلىها رتبة . وأعلم أن الوزارة في الدولة الفاطمية كانت تارة تكون في أرباب السيوف، وتارة في أرباب الأقاليم، وفي كلا الجانبين تارة تملو فتكون وزارة تقويض تضاهاى السلطنة الآن

أوقربا منها ، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة ؛ وتارة تنحط فتكون دون ذلك ، ويعبر عنها حينئذ بالوساطة .

قال في "نهاية الأرب" : وأول مَنْ خُوِّطَ منهم بالوزارة يعقوبُ بنِ كَلَّس وزير العزيز ، وأول وزارتهم من عظماء أرباب السيوف بدر الجمالي وزير المستنصر ، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ومنها استقل بالسلطنة على ما تقدم

٥

الوظيفة الثانية — وظيفة "صاحب الباب" وهي ثاني رتبة الوزارة . قال ابن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرى ، وصاحبها في المعنى يقرب من النائب الكافل في زماننا ، وهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن وزيراً صاحب سيف ، فإن كان ثم وزيراً صاحب سيف ، كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه ، وصاحب الباب من جملة مَنْ يقف في خدمته .

١٠

الوظيفة الثالثة — "الاسفهلارية" . قال ابن الطوير : وصاحبها زمام كل زمام ، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم ، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف المحجَّب على اختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة — "حمل المِظْلَة" في المواسم العظام : كركوب رأس العام ونحوه . وهي من الوظائف العظام ، وصاحبها يسمى حامل المِظْلَة ، وهو أمير جليل ، وله عندهم التقدم والرفعة ، لحمل ما يعلو رأس الخليفة .

١٥

الوظيفة الخامسة — "حمل سيف الخليفة" في المواكب التي تحمل فيها المِظْلَة ، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادسة — "حمل رُحَى الخليفة" في المواكب التي تحمل فيها المِظْلَة .

٢٠

وهو رُحَى صغير يحمل مع الخليفة في المواكب ، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرُحَى .

الوظيفة السابعة - "حمل السلاح" حول الخليفة في المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيمهم بالركابية ويصبيان الركاب الخاص أيضا، وهم الذين يعبر عنهم في زماننا بالسلاح دارية والطبّدارية ، وكانت عدتهم تزيد على ألف رجل ، ولم تنشأ عشر مقدما، وهم أصحاب ركاب الخليفة ، ولم يُقبأه موكلون بمعرفتهم ، والأكابر من هؤلاء الركابية تندب في الأشغال السلطانية ، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصبب المرتفع .

الوظيفة الثامنة - "ولاية القاهرة" . وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحُرمة الوافرة، وله مكان في الموكب يسير فيه .

الوظيفة التاسعة - "ولاية مصر" . وهي دون ولاية القاهرة في الرتبة كما هي الآن، إلا أن مصر كانت إذ ذاك حاضرة أهلة، فكان مقدارها أرفع مما هي عليه في زماننا .

النوع الثاني

وظائف خواص الخليفة من الأستاذين؛ وهي عدة وظائف؛ وهي على ضربين :

الضرب الأول

ما يختص بالأستاذين المحكيين، وهي تسع وظائف:

الأولى - "شُدّ التاج" . وموضوعها أن صاحبها يتولّى شدّ تاج الخليفة الذي يلبسه في المواكب العظيمة بمثابة اللّفاف في زماننا ، وله ميزة على غيره بلبسه التاج الذي يعلو رأس الخليفة، وكان لشده عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد، يأتي به في هيئة مستطيلة ، ويكون شده بمنديل من لون لبس الخليفة، ويعبر عن هذه الشدة بشدة الوقار كما تقدم .

الثانية - وظيفة "صاحب المجلس" . وهو الذى يتولى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوس العام فى المواعيد ، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يعلمهم بذلك ، وينعت (بأمين الملك) ، وهو بمثابة أمير خازن دار فى زماننا .

الثالثة - وظيفة "صاحب الرسالة" . وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره .

الرابعة - وظيفة "زمام القصور" . وهو بمثابة زمام الدور فى زماننا .

الخامسة - وظيفة "صاحب بيت المال" . وهو بمثابة الخازن دار فى زماننا .

السادسة - وظيفة "صاحب الدفتر" المعروف بدفتر المجلس . وهو

المتحدث على الدواوين الجامعة لأموال الخلافة .

السابعة - وظيفة "حامل الدواة" . وهى دواة الخليفة المتقدم ذكرها ، وصاحب

هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدامه على السرج ويسير بها فى المواعيد .

الثامنة - وظيفة "زعم الأقارب" . وصاحبها يحكم على طائفة الأشراف

الذين هم أقارب الخليفة وكلبته نافذة فيهم .

التاسعة - "زعم الرجال" . وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة كاستادار الصحبة .

الضرب الثانى

ما يكون من غير المحنكين ، ومن مشهوره وظيفتان :

الأولى - "نقابة الطالبيين" . وهى بمثابة نقابة الأشراف الآن ، ولا يكون

إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجلهم قدراً ، وله النظر فى أمورهم ، ومنع من يدخل

فيهم من الأعداء؛ وإذا أرتاب بأحد أخذه بإثبات نَسَبه . وعليه أن يعود مَرْضاهم ، ويمشَى في جنازهم ، ويسعى في حوائجهم ، يأخذ على يد المتعدى منهم ، ويمنعه من الاعتداء ، ولا يَقْطَعُ أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك .

الوظيفة الثانية — ”زَم الرجال“ . وصاحبها يتحدث على طوائف الرجال والإجناد كزَم صِهْيَان الحِجْر ، وزَم الطائفة الأمرية والطائفة الحافظية ، وزَم السودان وغير ذلك ؛ وهو بمثابة مقدم الممالك في زماننا .

الصنف الثاني

من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أرباب الأقاليم ، وهم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

أرباب الوظائف الدينية ، والمشهور منهم ستة :

الأول — ”قاضى القضاة“ . وهو عندهم من أجل أرباب الوظائف وأعلام شأن وأرفعهم قدرا ، قال ابن الطوير : ولا يتقدم عليه أحد أو يحنى عليه ، وله النظر في الأحكام الشرعية ودور الضرب وضبط عيارها ، ورسم جمع قضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهد واحد كما سيأتى في الكلام على الولايات إن شاء الله تعالى .

ثم إن كان الوزير صاحب سيف ، كان تقليده من قبله نيابة عنه ، وإن لم يكن ، كان تقليده من الخليفة .

وبقدم له من اصطبلات الخليفة بقلعة شهباء يركبها دائما ، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة ، ويخرج له من خزانة المروج مركب ثقيل وسرج برادتين من الفضة ، وفي المواسم الأطواق ، وتُخلَع عليه الخلع المذهبة ؛ وكان من

مصطلحهم أنه لا يمثل شاهدا إلا بأمر الخليفة ، ولا يحضر إماما ولا جنازة إلا بإذن ، وإذا كان تمّ وزير لا يخاطب بقاضى القضاة لأن ذلك من نعوت الوزير ، ويجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أفل النهار لاسلام على الخليفة ، ويوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع المتقى بمصر ، وله طرحة ومسند للجلوس وكُرسيّ توضع عليه دوائه . وإذا جلس بالمجلس ، جلس الشهود حوالَيْه بِمَنَّةٍ وَبَتَرَةٍ على مراتبهم في تقدّم تعديلهم . قال ابن الطوير : حقّ يجلس الشاب المتقدمُ التعديل أهل من الشيخ المتأخر التعديل ، وبين يديه أربعة موقعون : آثنان مقابل آثنين ، وبها به خمسة مُحجَّاب : آثنان بين يديه وآثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الحضور . ولا يقوم لأحد وهو في مجلس الحكم البتّة .

الثانى - "داعى الدعاة" . وكان عندهم بلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتربّيا بزيه فى اللباس وغيره . وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم ، ويأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبه .

الثالث - "المحتسب" . وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم ، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرى مجلّه بمصر والقاهرة على المنبر ، ويده مُطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة ؛ ولا يُحال بينه وبين مصلحة أربابها ؛ ويتقدّم إلى الولاة بالشدة منه ، ويقيم التواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال ككتّاب الحكم ، ويجلس بجمامى القاهرة ومصر يوما بيوم ، وباقي أمره على ما الحال عليه الآن .

قلت : ورأيت فى بعض مجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطية بهما أحيانا .

الرابع - "وكالة بيت المال" . وكانت هذه الوكالة لا تُسند إلا للزوى الهيبة من شيوخ العدول ، ويفوض إليه عن الخليفة بيع ما يرى بيعه من كل

صنف يملك ويجوز التصرف فيه شرعاً، وعقُ الممالك، وتزويجُ الإمام، وتضمين ما يقتضى الضمان، وأُتباعُ ما يرى أُنشأه، وإنشاء ما يرى لإنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه في التصرف عن الخليفة .

الخامس — ”النائب“ . والمراد نائب صاحب الباب المتقدم ذكره المعرّنه في زماننا بالمهمندار . قال ابن الطوير : ويعبر عن هذه النيابة بالنيابة الشريفة . قال وهي رتبة جليلة ، يتولاها أعيان العدول وأرباب الأفلام ، وصاحبها ينوب عن صاحب الباب في تلقّي الرُّسل الواردين على الخليفة على مسافة وقفة نُواب الباب في خدمته ، ويُذلُّ كلاً منهم في المكان اللائق به ، ويرتّب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم ، ويتولّى أُنقادهم ، ويُذكر صاحب الباب بهم ، ويسعى في تجّاز أمرهم ، وهو الذي يسلمّ بهم على الخليفة أو الوزير ويتقدّمهم ويستأذن عليهم ، ويدخل الرسول وصاحبُ الباب قابضاً على يده اليمنى ، والنائب قابض على يده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويجتهد في إفصاحهم على أحسن الوجوه ، وإذا غاب أقام عنه نائباً إلى أن يعود . ومن شريطة أنه لا يتناول من أحد من الرسل تقدمةً ولا طُرقة إلا بإذن .

قال ابن الطوير : وهو المسمّى الآن بالمهمندار ، وسيأتي في الكلام على ترتيب المملكة المستقر أن المهمندار الآن من أصحاب السيوف ، وكان ذلك لمواقفة الدولة في اللسان والهيئة .

السادس — ”القراء“ . وكان لهم قراء يقرءون بمحضرة الخليفة في مجالسه وركوبه في المواكب وغير ذلك ، وكان يقال لهم ”قراء الحضرة“ يزيدون في العدة على عشرة فقير ، وكانوا يأتون في قراءتهم في المجالس ومواكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنى ملائسة ، قد ألفوا ذلك وصار سهل الاستحضار عليهم ، وكان ذلك يقع منهم موقع

الاستحسان عند الخليفة والحاشرين، حتى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غضب على أمير فامر بأعقاله؛ فقرأ قارئ الحاضرة: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما أتوا بآيات إذا روى قصدهم فيها، أخرجت القراءان عن معناه: كما يحكى أنه لما استنوزر المستنصر بدر الجمالي قرأ قارئهم: (وَلَقَدْ نَعَرْنَاكَ اللَّهُ يَدْرِ وَأَتَمَّ أَذْلَهُ) ولما استنوزر الحافظ رضوان قرأ قارئهم: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ) إلى غير ذلك من الوقائع.

النوع الثانى

من أرباب الأعلام أصحاب الوظائف الديوانية، وهى على أربعة^(١) أضرب:

الضرب الأول

- ١٠ الوزارة إما كان الوزير صاحب قلم أعلم أن أكثر وزرائهم فى ابتداء دولتهم إلى إنشاء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأعلام: تارة وزارة تامة وتارة وساطة، وهى رتبة دون الوزارة؛ ومن اشتهر من وزرائهم أرباب الأعلام فيما ذكره ابن الطوير: يعقوب بن يكلس وزير العزيز، والحسن بن عبد الله البازورى وزير المستنصر، وأبو سعيد التستري، والبحر بجرانى^(٢)، وأمين أبى كديشة، وأبو الطاهر أحمد بن أبى شاذ صاحب المقدمة فى النحو، ووزير الوزراء على بن فلاح، والمغربى وزير المستنصر، وهو آخر من وُزِّر لهم من أصحاب الأعلام، وعليه تقدم أمير الجيوش بدر الجمالى فوزر للمستنصر على ما تقدم ذكره، وربما تخلل تلك المدة الأولى فى الوساطة أرباب السبوف، ككبرجوان الخادم، وقائد القواد الحسين بن جوهر، وثقة ثقات السبف والقلم على^{١٨}
- ٢٠ (١) فى الأصل: «ثلاثة» وقد أثبتنا الممدود. (٢) كذا فى كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفى المصرى ومجمع البلدان لياقوت. نسبة إلى جرجانيات: بلد من أعمال البربران الأسفل بين واسط وهنقاد من الجانب الشرقى. وفى الأصل: «الجرجاني» وهو تحريف.

ابن صالح كلهم في أيام الحاكم . وربما ولى الوساطة بعضُ النصارى ، كميمسى بن نسطورس في أيام العزيز، ومنصور بن عبدون الملقب بالكافي، وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافي كلاهما في أيام الحاكم . وربما كانت الأضر شُورى في أهل مروادى^(١)، وكان من زى وزرائهم أصحاب الأقاليم أنهم يَلْتَمِسُون المناذيل الطبعيات بالأحتال تحت حلوْفهم كالعدُول ، وينفردون بُلُوس الدرايع مشقوقة من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرَى ، وهذه علامة الوزارة؛ ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ، ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ، وعادته أن تحمل له الدواة المحلاة بالذهب من خزانة الخليفة ويقف بين يديه المُجَّاب، وأمره نافذ في أرباب السيوف من الأجناد، وفي أرباب الأقاليم .

الضرب الثاني

ج .

ديوان الإنشاء، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف :

- ١ . الأولى - "صَحَابَة ديوان الإنشاء والمكاتبات" وكان لا يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة ، ويخاطب بالأجل ، وكان يقال له عندهم كاتب الدست الشريف ، وإليه تسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة من يده، وهو الذى يأمر بتزليلها والإجابة عنها، ويستشير الخليفة في أكثر أموره؛ ولا يحجب عنه متى قصد
- ١٥ المتول بين يديه ، وربما بات عنده الليل، ولا سبيل إلى أن يدخل إلى ديوانه ولا يجتمع بكتابه أحد إلا خواص الخليفة . وله حاجب من أمراء الشيوخ ، وله مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالتحاد والمسد، ودواته من أخص الدوى وأحسنها إلا أنه ليس لها كرسى توضع عليه كدواة قاضى القضاة، ويعملها له أسنان من
- ٢٠ الأسنان المختصين بالخليفة إذا أتى إلى حضرته .

(١) كذا في الأصل مضباً عليه إشارة التوقف ولله المروءات .

- الثانية - "التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم" وهي رتبة جليلة تلي رتبة صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات ، يكون صاحبها جليسا للخليفة في أكثر أيام الأسبوع في خلوته ، يذكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالى أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين ، ويقرأ عليه مُلَحَّ السَّيَر ، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق ، ويقوى يده في تجويد الخط وغير ذلك ، وصحبته للجلوس دواة مُحَلَّاة ، فإذا فرغ من المجالسة ألقى في الدواة كَأَغْدَةً فيها عشرة دنانير ، وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل نَدَمٌ مثلث خاص ليتبرقه به عند دخوله على الخليفة ثانياً دَفْعَةً . وإذا جلس الوزير صاحب السيف للظالم ، كان إلى جانبه يوقِّع بما يأمر به في المظالم . وله موضعٌ من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن ، وتزاح لتقديم القصص ، ويرفع إليه هنالك قصص المظالم يوقِّع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن .

١٠

- الثالثة - "التوقيع بالقلم الجليل" وكان يسمى عندهم الخدمة الصغيرة لجلالتهما ، ولصاحبها الطراحة والمسند في مجلسه بنير حاجب . وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقع به صاحب القلم الدقيق ، وبسطه . وصاحب القلم الدقيق في المعنى ككاتب السر أو كاتب الدست في زماننا ، وصاحب القلم الجليل ككاتب الدرج . فإذا رفعت قصص المظالم ، حملت إلى صاحب القلم الدقيق فيوقع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من نفسه ، ثم تحمل إلى الموقِّع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق ، ثم تحمل في خريطة إلى الخليفة فيوقع عليها ، ثم تُخَرَّج في خريطة إلى الحاجب فيقف على باب القصر ، ويسلم كل توقيع لعاجبه . أما توقيع الخليفة بيده على القصص ، فإنه إن كان ثم وزيرٌ صاحب سيف وقَّع الخليفة على القصة بخطه : "وزيرنا السيد الأجل (ونعته بالمعروف به) أمتنا الله تعالى ببقائه يتقدم بكذا وكذا إن شاء الله تعالى" ويحمل إلى الوزير فإن كان يحسن الكتابة ،

١٥

٢٠

كتب تحت خط الخليفة : "أمتل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه"
 وإن كان لا يحسن الكتابة، كتب أمتل فقط؛ وإن لم يكن وزيراً صاحب سيف :
 فإن أراد الخليفة إنجاز الأمر لوقته، وقع في الجانب الأيمن من القصة "وقع بذلك"
 فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها بالقلم الجليل ويحل موضع العلامة،
 ثم تعاد إلى الخليفة فيكتب في موضع العلامة (يعتمد) وثبت في الدواوين بعد ذلك .
 وإن كان يوقع في مساحة أو تسويغ أو تحسيس، كتب (رافعها بذلك) "وقد أمضينا
 ذلك" وإن أراد علم حقيقة القصة، وقع على جانب القصة "ليخرج الحال
 في ذلك" ويحمل إلى الكاتب فيكتب الحال وتعاد إلى الخليفة فيفعل فيها ما أراد
 من توقيع ومنع، والله أعلم .

الضرب الثالث

ديوان الجيش والرواتب، وهو على ثلاثة أقسام :

- الأول - "ديوان الجيش"، ولا يكون صاحبه إلا مسلماً، وله الرتبة الجليلة
 والمكانة الرفيعة؛ وبين يديه حاجب، وإليه عرض الأجناد وخبولهم، وذكري حلالهم
 وشيأت خبولهم . وكان من شرط هذا الديوان عندهم ألا يثبت لأحد من الأجناد
 إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البغال والراذين، ولبس له تفير أحد
 من الأجناد ولا شيء من إنطاعهم إلا مرسوم . وبين يدي صاحب هذا الديوان
 ثقباء الأمراء، يعرفونه أحوال الأجناد من الحياة والموت والنفية والحضور وغير
 ذلك، على ما الحال عليه الآن . وكان قد فسخ للأجناد في المقايضة الإقطاعات لما
 لهم في ذلك من المصالح كما هو اليوم، بتوقيعات من صاحب ديوان المجلس من غير
 علامة، ولم يكن لأمر من أمراءهم بلد كاملة، وإن علا قدره إلا في النادر . ومن
 هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الجرايات، وله خازنان رسم رفع الشواهد .

- الثانى - "ديوان الرواتب" . وكان يشتمل على أسم كل مرتزق فى الدولة وجار وجرابة ؛ وفيه كاتب أصيل بطزاحة ونحو عشرة مُعينين ، والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستقرار مَنْ هو مستمر ومباشرة مَنْ أَسْتَجَدَ وموت مَنْ مات ، وفيه عدّة عروض يأتى ذكرها فى الكلام على إجراء الأرزاق والعتاء .
- الثالث - "ديوان الإقطاع" . وكان يختصا عندهم بما هو مُقَطَّع للأجناد ، وليس للبائشرين فيه تزييل حليّة جُنْدِيّ ولا شبة دابته ، وكانت يقال لإقطاعات العربان فى أطراف البلاد وغيرها الاعتداد ، وهى دون عبدة الأجناد .

الضرب الرابع

نظر الدواوين

- ١٠ وصاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل ، وله الولاية والعزل ، وإليه عرض الأرزاق فى أوقات معروفة على الخليفة والوزير ، وله الجلوس بالمرتبة والسند ، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ، وتُخْرَجُ له الدواة من خزانة الخليفة بفسير كرسى ، وإليه طلب الأموال واستخراجها والمحاسبة عليها ، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . قال ابن الطوير : ولم يُرَفِّ هذه الوظيفة نصرانيّ إلا الأحرم .
- ١٥ الثانية^(١) - "ديوان التحقيق" . وموضوعه المراقبة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ، وله الخُلْعُ ومرتبة يجلس عليها وحاجب بين يديه ، ويُتَقَرَّ إليه فى كثير من الأوقات ، وبلحق برأس الدواوين المتقدم ذكره .
- الثالثة - "ديوان المجلس" . قال ابن الطوير : وهو أصل الدواوين قديما ، وفيه معالم الدولة بأجمعها ، وفيه عدّة مُكْتَاب ، وعنده مُعين أو معينان ، وصاحب هذا الديوان
- (١) لم يتقدم له تقسيم ولم يذكر أن تكون هذه ثانيها والذى يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أول ونظر ديوان التحقيق ثانية وهكذا تأمل .

هو المتحدث في الإقطاعات، ويُتخَّل عليه وينشأ له سجلٌ بذلك لاحقٌ بديوان النظر، وله دواةٌ تُخرج له من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولاه عندهم أحد كتّاب الدولة ممن يكون مترشحاً لأن يكون رأس الدواوين، ويسمى أَسْتِيَارُهُ دفتر المجلس، وهو متضمن للعطاء والظاهر من الرسوم التي تقدر في عُمرِ السنة والضحايا، وما ينفق في دار الفطرة في عيد الفطر، وفي فتح الخليج والسيطة المستعملة في رمضان وغيره، وسائر المآكل والمشارب والتشريفات، وما ينفق من الأهرام من القلّات، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على اختلاف الطبقات من المُرتب، وما يريد من الملوك من الهدايا والتحف، وما يُبعث به إليهم من الملاطفات، ومقادير صلوات الرسل الواردين بالمكاتب، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحرمين، وضبط ما يُنفق في الدولة من المهمات ليُعلم ما بين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة. وهذا الديوان في زماننا قد تفرّق إلى عدة دواوين كالوزارة ونظر الخالص والجيش وغيرها.

الرابعة - "ديوان خزانة الكسوة". وكان لها عندهم رتبة عظيمة في المباشرات. وقد تقدّم ذكر حواصلها في جملة الخزائن فيما سبق.

الخامسة - "الطرّاز". وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين، من أرباب الأقلام، وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومقامه بدمياط وتنبس وغيرهما من مواضع الاستعمالات، ومن عنده تحمل المستعملات إلى خزانة الكسوة المقدمة الذكر.

السادسة - "الخدمة في ديوان الأحياس". قال ابن الطوير: وهي أوكدا الدواوين مباشرة ولا يخدم فيها إلا أعيان كتّاب المسلمين من الشهود المعدلين، وفيها عدة مدراء بسبب أرباب الرواتب، وكان فيه كاتبان ومُعِينان لنظم الاستيارات، ويؤرد في أَسْتِيَارِهِ كل ما في الرقاق والرواتب، وما يُجبي له من جهات كل من الوجهين القبلي والبحري.

(١) تقدّم له مثل هذا الجمع في الجزء الأول وثبتها عليه.

السابعة — "الخدمة بدويان الرواتب". وفيه مرتبتان الوزير فن دونه إلى الضوى قال ابن الطوير: بلغ في بعض السنين ما يزيد على مائة ألف دينار ونحوها من مائتي ألف، ومن القمح والشعير عشرة آلاف أردب، وكان آسنيار الرواتب يعرض في كل سنة على الخليفة فيزيد من يزيد، وينقص من ينقص، وإنه عرض سنة على المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتبين بنقص، ووقع على ظاهر الاستيثار بخطه "الفقرم المذاق، والحاجة تبدل الأعناق، وحراسة النعم بإذرار الأرزاق، فليجروا على رسومهم في الإطلاق، ما عندكم يتقد، وما عند الله باقي" وأمر ولي الدولة ابن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك.

الثامنة — "الخدمة في ديوان الصعيد" من الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى. وكان فيه عدة كُتاب فروع، والاستيفاء مقسوم بينهم، وعليهم عمل التذاكر بطلب ما تأخر من الحساب. وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه، ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقع عليها بالاسترفاع، ويندب لها من المجتاب أو غيره من يراه، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدة بقائه عندهم ويحضرها تسعا للدواوين الأصول. التاسعة — "الخدمة في ديوان أسفل الأرض". وهو الوجه البحري خلا الثغور، وحكمه فيما تقدم من الكُتاب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصعيد المتقدم الذكر من غير فرق.

العاشرة — "الخدمة في ديوان الثغور". وهي الإسكندرية وديناط ونسرتوه وأبرس والفرما، وحكمه حكم ما تقدم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض. الحادية عشرة — "الخدمة في الجوالى والمواريث الحشرية". قال ابن الطوير: كان لا يتولاه إلا هاهنا، وفيه جماعة من الكُتاب على ما تقدم في غيره من الدواوين أيضا.

الثانية عشرة - "الخدمة في ديوانى الجراحى والهلالي" وتجرى فيه
الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتزقين .

الثالثة عشرة - "الخدمة في ديوان الكراع" . وفيه معاملة الإصطبلات ،
وما فيها من الدواب الخاص وغيرها والبغال والجمال ودواب المرمّة المُرصدة للحمائر وباع
الديوان ، وعُدّد ذلك وآلاته ، وعلوفات ذلك مع ما ينضم إليه من علوفة الفيلة والزراف^(١)
والوحوش وراتب من يخدمها . وكان في هذا الديوان كاتباً أصل ومستوفى ومُعِينان .

الرابعة عشرة - "الخدمة في ديوان الجهاد" . ويقال له ديوان العماز ،
وكان محله بالصّناعة بمصر ، وفيه إنشاء المراكب للأسطول وحمل الغلال السلطانية
والأحطاب وغيرها ، ومنه يُنْفَق على رؤساء المراكب ورجالها ، وإذا لم يف
أرفاقه بما يحتاج إليه أَسْتَدْعَى له من بيت المال بما يكفيه .

الصف الثالث من أرباب الوظائف

أصحاب الوظائف الصناعية

وأعظمها وظائف الأطباء ، وكان للخليفة طبيب يُعرَف بطبيب الخاص يجلس
على باب دار الخليفة كل يوم ، ويجلس على الدك التي بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب
بالقصر دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يجدونه
للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتب لهم رقاعاً على خزانة
الشراب فيأخذون ما فيها ، وتبقى الرقاع عند مباشرها شاهداً لهم . ولكل منهم
الجارى والراتب على قدره .

(١) لم نثر على هذا الجع في كتب اللغة ولعله جارى العامة في تعبيراتهم . (٢) المراد بها

دار الصناعة التي كانت تنشأ بها المراكب الحربية والأساطيل بمصر القديمة بالساحل القديم .

الصفن الرابع

الشعراء

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سنة لا يقولون في المديح؛ وشيعة يقولون فيه . فمن أحسن مدح فيهم لُسْنِيَّ قول عمارة الجني رحمه الله :
أَفَاعِيْلُهُمْ فِي الْجُودِ أَفْعَالُ سُنَّةٍ * وَإِنْ خَالِقُونِي فِي اعْتِقَادِ الشَّيْعِ
ومن الذي وقعت فيه المغالاة قول بعضهم :

هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجْلِسُ * أَبْصَرْتُ فِيهِ الْوَحْيَ وَالتَّزْيِيلَ
وَإِذَا تَحَمَّلَ رَايَجًا فِي مُوَكِّبٍ * حَايَنْتُ تَحْتَ رِكَابِهِ جَبْرِيلَ

قلت : وهذه المغالاة من المغالاة الفاحشة التي لا يجوز الإقدام عليها لُسْنِيَّ ولا منشيئ، وإنما هي من اقتحام الشعراء البوائق .

القسم الثاني

من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج من حضرة الخلافة، وهو صنفان :

الصفن الأول

النواب والسؤلة

وأعلم أن مملكتهم كانت قد [انحصرت^(١)] في ثلاث ممالك فيها نوابهم وولّاهم : المملكة الأولى "الديار المصرية" وهي التي كانت قد استقرت قاعدة ملكهم، وعطّ رحا لهم، وكان بها أربع ولايات :

الأولى — "ولاية قوص" وكانت هي أعظم ولايات الديار المصرية، واليها يحكم على جميع بلاد الصعيد، وربما وُلّي بالأشْمُونَيْنِ ونحوها من يكون دونه .

(٢) هذان البيتان من قصيدة لآلن هاني

(١) في الأصل «التي» وهو تحريف

(٣) زيادة يقتضها السياق

الأندلسي مدح بها المعز لما في صلاحه وعلما به

الثانية - "ولاية الشرقية" وكانت دون ولاية قوص في الرتبة، وكان متوليها يحكم على عمل بلبّيس وعمل قليوب وعمل أثنوم .

الثالثة - "ولاية الغربية" وكانت دون ولاية الشرقية في المرتبة، وكان متوليها يحكم على عمل المحلة، وعمل متوف، وعمل أبيار .

الرابعة - "ولاية الاسكندرية" وهي دون الغربية في الرتبة، وكان متوليها يحكم على أعمال البحيرة بأجمعها .

قال ابن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُخلع عليهم من خزانة الكسوة بالبدنة، وهو النوع الذي يلبسه الخليفة في يوم فتح الخليج .

قلت : لعل هذه الولايات الأربع ولايات الولاة التي تدخل تحت حكمها الولايات الصغار، أو تكون هي التي آسستز عليه الحال في آخر دولتهم، وإلا فقد رأيت في تذكرة أبي الفضل الصوري، أحد كتّاب الإنشاء في أيام القاضي الفاضل بعبلايت كثيرة لولاة الوجهين القبلي والبحري .

الجملة الخامسة

من ترتيب مملكتهم، في هيئة الخليفة في مواكبه وقصوره؛ وهي على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول

جلوسه في المواكب، وله ثلاثة جلوسات :

الجلوس الأول

جلوسه في المجلس العام أيام المواكب

وأعلم أن جلوس الخليفة أولاً كان بالإيوان الكبير الذي كان بالقصر على سرير الملك الذي كان يصدره إلى آخر أيام المستعلي . فلما ولي ابنه الأمر الخلافة بعده،

(١) إنذكره في المسالك الثلاث أقصارا على المقصود وسأني ذكر البقية في الجزء الرابع .

- تقل الجُلوس من الإيوان الكبير إلى الفسحة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر أيضا ،
 وصار يجلس من مجالسها على سرير المُلْك به ، وجعل الإيوان الكبير خزانة للسلاح ،
 ولم يتعزز لإزالة سرير المُلْك منه حتى جاءت الدولة الأيوبية ، وهو باق ، وكان
 جلوس الخليفة في هذه الحالة لا يتعدى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك على
 الدوام بل على التقرير بحسب ما يقتضيه الحال . فإذا أراد الجلوس فإن كان في الشتاء
 عُلق المجلس الذى يجلس فيه بستر الديباج ، وفرش بالبُسْط الحرير ، وإن كان
 في الصيف ، علق بالستور الديبكية وفرش بطبرى طَبْرِتَان المذهب القافى ، وهبت
 المرتبة المعدة لجلوسه على سرير المُلْك بصدر المجلس ، وعُشى السرير بالقرقوشى ،
 ثم يستدعى الوزير من داره بصاحب الرسالة على حصان رهوان فى أسرع حركة على
 خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ،
 فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء ، وهو راكب إلى أول باب من الدُهايز
 الطُول عند دِهْلِيز يعرف بدِهْلِيز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلى مَقْطَع
 الوزارة بقاعة الذهب ، فإذا تمها جلوس الخليفة ، استدعى الوزير من مَقْطَع الوزارة
 إلى باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مُعْتَق ، وعلى بابه سِتْر مُعْتَق ، فيقف زِمَام القصر
 عن يمين باب المجلس وزِمَام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس
 وحواليه الأمراء المطوقون وأرباب الخليفة ، وفى خلال القوم قُرْأُ الحُضرة ؛
 ويضع صاحب المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أحكامه
 يعرف بفرد الكم ويشير إلى زِمَام القصر وزِمَام بيت المال الواقفين بباب المجلس ،
 فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا على سرير المُلْك مستقبِل القول
 بوجهه ، ويستفتح القراء القرآن ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ،
 ثم يُقْبَلُ بدى الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم تُخْرِجُ لَهُ يَحْدَةً عَنِ الْجَانِبِ الْيَمِينِ مِنَ الْخَلِيفَةِ وَيُؤْمَرُ بِالْجُلُوسِ إِلَيْهَا، وَيَقِفُ
 الْأَمْرَاءُ فِي أَمَاكِنِهِمْ الْمُقَرَّرَةِ لَمْ، فَصَاحِبُ الْبَابِ وَأَسْفَهْسَلَارُ مِنْ جَانِبِ الْبَابِ
 يَمِينًا وَيَسَارًا، وَيَلِيهِمْ مَنْ خَارَجَهُ مَلَاصِقًا لِلْمَتْنَةِ زِيَامَ الْأَمْرِيَةِ وَالْحَافِظِيَّةِ وَبَاقِي الْأَمْرَاءِ
 عَلَى مَرَاتِبِهِمْ إِلَى آتَرِ الرِّوَاقِ، وَهُوَ إِفْرِيزٌ عَالٍ عَنْ أَرْضِ الْقَاعَةِ، ثُمَّ أَرَبَابُ الْقَصَبِ
 وَالتَّهَارِيَّاتِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً كَذَلِكَ، ثُمَّ الْأُمَاثِلُ وَالْأَعْيَانُ مِنَ الْأَجْنَادِ الْمُتَرَشِّحِينَ لِلتَّقَدُّمَةِ،
 وَيَقِفُ مُسْتَنَدًا بِالْقَدْرِ الَّذِي يُقَابِلُ بَابَ الْمَجْلِسِ تَوَابُ الْبَابِ وَالْمَجْهَابِ، فَإِذَا أُنْتَظِمَ
 الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَقُولُ مَائِلًا لِلتَّقَدُّمَةِ بِالسَّلَامِ قَاضِي الْقَضَاةِ وَالشُّهُودُ الْمَعْرُوفُونَ
 بِالِاسْتِخْدَامِ فَيُجِيزُ صَاحِبُ الْبَابِ الْقَاضِي دُونَ مَنْ مَعَهُ فَيَسْلَمُ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِأَدَبِ
 الْخِلَافَةِ، بَأَن يَرْفَعُ يَدَهُ إِيمْنًا وَيُشِيرُ بِالسَّبِيحَةِ، وَيَقُولُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ: "السَّلَامُ
 عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ" يَقْتَصِرُ بِهَذَا الْكَلَامُ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ
 السَّلَامِ، ثُمَّ يَسْلَمُ بِالأَشْرَافِ الْأَقَارِبِ زَمَانُهُمْ، وَبِالأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ نَقِيبِهِمْ، قَتْمُضَى
 عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ سَاحَتَانِ زَمَانَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ، ثُمَّ يَسْلَمُ عَلَيْهِ مَنْ خُلِيعَ عَلَيْهِ بِقُوصٍ
 أَوْ الشَّرْقِيَّةِ أَوْ الْغُرْبِيَّةِ أَوْ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَيَشْرَفُونَ بِتَقْبِيلِ الْعَتَبَةِ، وَإِذَا دَعَتْ حَاجَةً
 الْوَزِيرَ إِلَى مَخَاطَبَةِ الْخَلِيفَةِ فِي أَمْرٍ، قَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَقَرَّبَ مِنْهُ مُنَحْنِيًا عَلَى سَيْفِهِ،
 وَيَخَاطَبُهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَأْمُرُ الْحَاضِرُونَ بِالْانْصِرَافِ فَيَنْصَرِفُونَ،
 وَيَكُونُ آخِرُهُمْ خُرُوجُ الْوَزِيرِ بَعْدَ تَقْبِيلِ يَدِ الْخَلِيفَةِ وَرَجْلِهِ. فَإِذَا نَزَحَ إِلَى الدَّهْلِيزِ
 الَّذِي تَرْجُلُ قِيهِ، رَكِبَ مِنْهُ إِلَى دَارِهِ، وَفِي خِدْمَتِهِ مَنْ حَضَرَ فِي خِدْمَتِهِ إِلَى الْقَصْرِ،
 وَيَدْخُلُ الْخَلِيفَةُ إِلَى سَكْنَتِهِ مَعَ خَوَاصِّ الْأَسْتَاذِينَ، ثُمَّ يُتَلَقَّى بِبَابِ الْمَجْلِسِ وَيَرْنِي السِّتْرَ
 إِلَى أَن يَحْتَاجَ إِلَى حَضُورِ مَوْكَبِ آتَرٍ فَيَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

الجلوس الثانى

جلوسه للقاضى والشهود فى لىالى الوقود الأربع من كل سنة

وهى : ليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه .

إذا مضى النصف من جمادى الآخرة حمل إلى القاضى من حواصل الخليفة

- ٥ ستون شمعة ، زنة كل شمعة منها سُدس قَنْطَار بالمصرى ليركب بها فى أول ليلة من شهر رجب ، فإذا كان أول ليلة منه جلس الخليفة فى مَنْظَرَة عالية كانت عند باب الزُّمُرْد من أبواب القصر المتقدم ذكره ، وبين يديه تَمَع يوقد فى العلُو يَتَبَيَّن شخصه على ارتفاعه . ويركب القاضى من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشَّعْمُ المحمول إليه من خزانة الخليفة موقودا ، من كل جانب ثلاثون شمعة ، وبين الصَّغِيرَيْن مؤذنين الحوائج ، يملنون بذكر الله تعالى ، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقرر محفوظ .
- ١٠ ويحجبه ثلاثة من نواب الباب ، وعشرة من حُجَّاب الخليفة ، خارجا عن حُجَّاب الحكم المستقرين وهم خمسة فى زى الأمراء ، وفى ركابه القُزَاء يقرءون القرآن ، والشهود وراءه على ترتيب جلوسهم يحلِس الحكم الأقدم فالأقدم ، وحول كل منهم ثلاث شَمَعَات أو شَمَعَتَان أو شمعة واحدة إلى بين القصرين فى جمع عظيم حتى يأتى باب الزُّمُرْد من أبواب القصر ، فيجلسون فى رَجَبَة تحت المَنْظَرَة التى فيها الخليفة ،
- ١٥ ويحضرين يديه بَسْمِيَّت ووقار وتشوِّف لانتظار ظهور الخليفة ، فيفتح الخليفة إحدى طاقات المَنْظَرَة فيظهر منها رأسه ووجهه ، وعلى رأسه عدة من خواص الأستاذين من الحنكيين وغيرهم ، فيفتح بعض الأستاذين طاقةً أخرى فيُخْرِجُ منها رأسه ويده اليمنى ، ويشير بكفه قائلا : " أمير المؤمنين يرّد عليكم السلام " فيسم بقاضى القضاة أولا بنعوته ، وبصاحب الباب بعده كذلك ، وبالجماعة الباقية جملة .
- ٢٠ من غير تعيين أحد ، ويستفتح قُزَاء الحضرة بالقراءة وهم قيام فى الصُّدْر ، ظهورهم

إلى حائط المنظرة ووجوههم للماضين. ثم يتقدم خطيب الجامع الأنور (وهو الذي بباب البحر) فيخطب كما يخطب فوق المنيّر، ويذنه على فضيلة ذلك الشهر، وأن ذلك الركوب علامته ثم يختم كلامه بالدعاء لل خليفة، ثم يتقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك؛ ثم يتقدم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك، والقراء في خلال تلك الخطب يقرءون، فإذا انتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان وينفض الناس، ثم يركب القاضي والشهود إلى دار الوزير فيجلس لهم ليسأوا عليه، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخف من مقام الخليفة ويدعون له، ثم ينصرفون ويذهب القاضي والشهود صحبته إلى مصر، وإلى القاهرة في خدمته، ويمزج بجامع ابن طولون فيصل فيه ويخرج منه فيجد وإلى مصر في تلقية فيمضي في خدمته، ويمزج على المشاهد فيترك بها، ويمضي إلى الجامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التي يحكم فيها فيصل في الجامع ركعتين، ويوقد له الثور الفضة الذي بالجامع، وهو ثور عظيم حسن التكوين، فيه نحو ألف وخمسمائة براقة، وبسفله نحو مائة قنديل، ثم يخرج من الجامع فإن كان ساكنا بمصر أستمقر بها، وإن كان ساكنا بالقاهرة أنتظره إلى القاهرة في مكانه حتى يعود من مصر فيذهب في خدمته إلى داره.

وكذلك يركب في ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعد صلاته في جامع مصر ينوجه إلى القرافة فيصل في جامعها، ثم يركب في أول شعبان كذلك، ثم في نصفه كذلك.

الجلسوس الثالث

جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف، وتُبنى في ثلثمائة صبيلة نحاس. فإذا كان ليلة ذلك المولد،

- تفترق في أرباب الرسوم : كقاضى القضاة ، وداعى الدعاة ، وقراء الحضرة ، والخطباء ،
والمتصترين بالجوامع بالقاهرة ومصر ، وقوامة المشاهد وغيرهم ممن له أسم ثابت
بالديوان ، ويجلس الخليفة في منطرة قريبة من الأرض مقابل الدار القطيعة المتقدمة
الذكر (وهى البيارستان المنصورية الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه
الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوائى المتقدمة الذكر ، فيجلسون
في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة ، وتُسَدُّ الطريق تحت القصر من جهة السُوفيين
وسُويقة أمير الجيوش ، ويكنس ما بين ذلك ويرش بالماء رشا ، ويرش تحت
المنطرة بالزمل الأصفر ، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطريق
لمنع المازة ، ثم يستدعى القاضى ومن معه فيحصرُون ويتجولون على القرب من
المنطرة ويمتصون تحتها وهم متشوقون لانتظار ظهور الخليفة ، فيفتح إحدى طاقات
المنطرة فيظهر منها وجهه ، ثم يخرج إحدى الأستاذين المحتكين يده ويشير بكمه بأن
الخليفة رَدَّ عليكم السلام ، و يقرأ القراء ويخطب الخطباء كما تقدم فى لىالى الوقود
فإذا آتته خطابة الخطباء ، أخرج الأستاذ يده مشيا برد السلام كما تقدم ، ثم تطلق
الطاقات وينصرف الناس إلى بيوتهم ، وكذلك شأنهم فى مولد علي بن أبى طالب
كرم الله وجهه الخاص فى أوقات معلومة عندهم من السنة .

الضرب الثانى

ركوبه فى المواكب ، وهو على نوعين

النوع الأول

ركوبه فى المواكب العظام ، وهى ستة مواكب

المركب الأول

ركوب أول العام

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة ، وقع

الاهتمام بانخراج ما يُحتاج إليه في المواكب من حواصل الخليفة، فيُخرج من خزانة
 السلاح ما يجعله الرّكّابية وغيرهم حول الخليفة كالقباصم، والدّبابيس، والثّوت،
 وعمد الحديد، والسيوف، والدّزق، والرماح، والألوية، والأعلام. ومن خزّانة
 التّجمل برسم الوزير والأمرء وأرباب الخدم الأتوية والقُصْب، والعماريات،
 وغير ذلك مما تقدّم ذكره. ومن الإصطبلات مائة فرس مسومة برسم ركوب الخليفة
 وما يجنبه. ويُخرج من خزّانة السروج مائة سرج بالذهب والفضة مرصّع بعضها
 بالجواهر بمراكب من ذهب، وفي أعتاق الخيل أطواق الذهب وقلائد النّبر،
 وفي أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة، قيمة كل فرس وما عليها من
 العدة ألف دينار، يُدفع للوزير منها عشرة بعثتها برسم ركوبه وركوب أخصّائه،
 وتسلم إلى المآخات أغشية العماريات لتحمل على الجمال، إلى غير ذلك من الآلات
 المستعملة في المواكب مما تقدّم ذكره في الكلام على الخزان، ويُبعث إلى أرباب
 الخدم من الإصطبلات بخيول عادية ليركبوها في الموكب. فإذا كان يوم التاسع
 والعشرين من ذي الحجة، استدعى الخليفة الوزير من داره على الرسم المعتاد
 في الإمبراع، فإذا عاد صاحب الرسالة من استدعاء الوزير، خرج الخليفة من مكانه
 راجعا في القصر، فينزل في السدي، بدلهيز باب الملك الذي فيه الشباك، وعليه ستر
 من ظاهره، فيقف من جانبه الأيمن زمام القصر، ومن جانبه الأيسر صاحب بيت
 المال، ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمرء، فإذا وصل إلى باب القصر
 ترجل الأمرء وهو راكب، ويدخل من باب العيد، ولا يزال راجعا إلى أول باب
 من الدهاليز الطّوال، فينزل ويمشي فيها وحواليه حاشية ومن يراه من أولاده
 وأقاربه. فإذا وصل إلى الشباك، وجد تحته كرسيّا كبيرا من حديد فيجلس عليه
 ورجلاه تطا الأرض، فإذا جلس، رفع كلّ من زمام القصر وصاحب بيت المال

- الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة، فيقف ويسلم ويخدم بيده في الأرض ثلاث مرّات، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس . ويستفتح القراء بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدار نصف ساعة ، ثم يسلم الأمراء، ويُشرع في عرض خيول الخاص المقدم ذكرها واحدة واحدة إلى آخرها ، فإذا تكمل عرضها، قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس . فإذا فرغوا أُرِنى الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الأمراء معه إلى خارج يَمُصُّون معه إلى دأره رُكباناً ومُشاة على حسب مراتبهم . فإذا صلى الخليفة الظهر، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعيين ما يُلبَسُ في ذلك الموكب ولباسه فيه ، فيعين مِنْدِيلًا لشدة التاج، وبَدَلَةً من هذا النوع، والجوهرة الثمينة وما معها من الجواهر المتقدمة الذكر لشدة التاج وتشدّ مِظْلَةٌ تشبه تلك البهلة، وتلف في مِنْدِيل دَبِيْقٍ فلا يكتشفها إلا حاملها عند ركوب الخليفة، ثم يشدّ إوادي الحمد المتقدّمي الذكور . فإذا كان أوّل يوم من العام ، بَكَرَ أَرْبَابُ الرّتِب من ذوى السيوف والأقلام فلا يُصْبِحُ الصبح إلا وهم بين القصرين متظرّين ركوب الخليفة (وهو يومئذ نفضاء واسع خال من البناء) ويكرّ الأمراء إلى دار الوزير ليركبوا معه ، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير استدعاء وأمامه ماسرّفه به الخليفة من الألوية والأعلام، والأمراء بين يديه رُكباناً ومُشاة، وأولاده وإخوته قدامه، وكل منهم مرتضى الذؤابة بلا حنك، وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمندبل والحنك متقلدا بالسيف الذهب . فإذا وصل إلى باب القصر، ترَجَّل الأمراء ودخل هو راكبا إلى محل نزوله يدهليز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجل هناك ويمشي في بقية الدهاليز حتّى يصل إلى مقطع الوزارة بقاعة الذهب هو وأولاده وإخوته وخواص حاشيته، ويجلس الأمراء بالقاعة على دِكْك معدّة لهم ،

وَيُدْخَلُ فَرَسُ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَعَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ كَرْسِيٌّ يَرْكَبُ
 مِنْ عَلَيْهِ، فَإِذَا اسْتَوَتْ الدَّابَّةُ إِلَى ذَلِكَ الْكَرْسِيِّ، أُخْرِجَتِ الْمِظْلَةُ إِلَى حَامِلِهَا فَيَكْشِفُهَا
 بِمَا هِيَ مَلْفُوفَةٌ فِيهِ وَيَتَسَلَّمُهَا بِإِعَانَةِ أَرْبَعَةِ مَعْدِنٍ لَخْدَمَتِهَا فَيَرْكُزُهَا فِي آلَةٍ مِنْ حَدِيدٍ
 تَشَبَّهُ الْقُرْنَ الْمَصْطَلَحَ مَشْدُودَةً فِي رِكَابِ حَامِلِهَا الْإِيْمَنَ بِقُوَّةٍ، وَيَمْسِكُ الْعُمُودَ
 بِحَاجِزٍ فَوْقَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُخْرِجُ السَّيْفَ فَيَتَسَلَّمُ حَامِلَهُ، فَإِذَا تَسَلَّمَهُ أَرْنَى ذَوَابَّتَهُ
 فَلَا تَزَالُ مَرْحَاةً مَا دَامَ حَامِلًا لَهُ، ثُمَّ تُخْرِجُ الدَّوَاةَ فَيَتَسَلَّمُهَا حَامِلُهَا وَيَجْعَلُهَا قَدَامَهُ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّرَجِ، ثُمَّ يُخْرِجُ الْوَزِيرَ عَنِ الْمَقْطَعِ وَيَنْضِمُ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءَ وَيَقْفُونَ إِلَى
 جَانِبِ فَرَسِ الْخَلِيفَةِ، وَيَرْفَعُ صَاحِبُ الْمَجْلِسِ السِّتْرَ فَيُخْرِجُ مَنْ كَانَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ لَخْدَمَةِ
 مِنَ الْأَسْتَازِينَ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةَ فِي أَثَرِهِمْ فِي ثِيَابِهِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَلَى رَأْسِهِ
 التَّاجَ الشَّرِيفَ وَالْذَرَّةَ الْيَتِيمَةَ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَهُوَ مُحَنَّكٌ مَرْنَحٌ الدَّوَابَّةَ مِمَّا يَلِي جَانِبَهُ
 الْأَيْسَرَ مُتَقَلِّدٌ بِالسَّيْفِ الْعَرَبِيِّ وَقَضِيبُ الْمُلْكِ بِيَدِهِ، وَيَسْلُمُ عَلَى الْوَزِيرِ قَوْمَ مَرْتَبَتِهِ
 لِذَلِكَ، ثُمَّ هَلِ الْقَاضِي وَعَلَى الْأُمَرَاءَ بَعْدَهُمَا، ثُمَّ يُخْرِجُ الْأُمَرَاءَ وَبَعْدَهُمُ الْوَزِيرَ فَيَرْكَبُ
 وَيَقِفُ قُبَالَةَ بَابِ الْقَصْرِ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةَ رَاكِبًا وَفَرَسَهُ مَاشِيَةً عَلَى بُسْطٍ خَشْيَةٍ
 أَنْ تَزَلَّ عَلَى الرِّخَامِ وَالْأَسْتَازُونَ حَوْلَهُ، فَإِذَا قَارَبَ الْبَابَ وَظَهَرَ وَجْهَهُ، ضَرَبَ
 رَجُلٌ بِبُوقٍ لَطِيفٍ مُعَوَّجٍ الرَّاسَ مَتَّعِذٍ مِنَ الذَّهَبِ يَقَالُ لَهُ الْفَرِيَّةُ مُخَالَفٌ لَصُوتِ
 الْأَبْوَابِ، فَتَضْرِبُ الْبُوقَاتُ فِي الْمَوَاقِبِ، وَتُنْشَرُ الْمِظْلَةُ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَابِ
 الْقَصْرِ فَيَقِفُ وَقْفَةً يُسِيرُ بِمَقْدَارِ رُكُوبِ الْأَسْتَازِينَ الْمُحَنِّكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَرْبَابِ
 الرِّتَبِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْخِدْمَةِ بِالْقَاعَةِ، ثُمَّ يُسِيرُ الْخَلِيفَةُ فِي الْمَوْكِبِ وَصَاحِبُ الْمِظْلَةِ
 عَلَى يَسَارِهِ، وَهُوَ يُخْرِصُ الْآلَ يَزُولُ ظِلُّهَا عَنِ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ يَكْتَنِفُ الْخَلِيفَةَ مُقَدِّمُو
 صِيْدَانِ الرِّكَابِ، أَشْشَانُ مِنْهُمْ فِي شِكْمَتَيْ جِلَامِ فَرَسِهِ، وَأَشْشَانُ فِي عُنُقِ الْفَرَسِ مِنْ
 الْجَانِبَيْنِ، وَأَشْشَانُ فِي رِكَابِهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَيْضًا، وَالْإِيْمَنُ مِنْهُمَا هُوَ صَاحِبُ الْمِقْرَعَةِ

- الذى يناولها الخليفة ويتناولها منه، وهو الذى يؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الأوامر والنواهي، والاوران المعروفان بلوائى الحمد عن جانبيه، والمِدْبَتَانِ عند رأس فرس الخليفة، والركابية يمينه وشماله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودو الأوساط بالمناديل والسلاح، وهم من جانبي الخليفة كالجناحين الماذين، بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد، وبالقرب من رأسها الصقليان الحاملان للذبتين، وهما مرفوعتان كالنخنتين. (و يترتب الموكب): أجناد الأمراء وأولادهم وأخلاط العسكر أمام الموكب وأدوان الأمراء بلونهم، و بعدهم أرباب القُصْبِ الفضة من الأمراء، ثم أرباب الأطواق منهم، ثم الأستاذون المحنكون، ثم أهل الوزير المتقدم ذكرهم، ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين، ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده، وهما من الجانب الأيسر، وكل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، ثم الخليفة بين الركابية، وهو سائر على نُؤْدَةٍ ورقية، وفي أوائل العسكر ومتقدميه وإلى القاهرة ذاهبا وعائدا لفسح الطرقات وتيسير مَنْ يقف، وفي وسط العسكر أسفهلار يَحْتِ الأجناد على الحركة ويُرْجِ المتراحمين والمعترضين في العسكر ذاهبا وعائدا، وفي زمرة الخليفة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراسة طرقات الخليفة ذاهبا وعائدا، يلي صاحب الباب أسفهلار، وأسفهلار يلي إلى القاهرة، وفي يد كل منهم دُبُوس، وخلف الخليفة جماعة من الركابية لحفظ أعقابها، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خراط ديباج أحمر وأصفر يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الأتراك، و بعدهم الحاملون للسلاح الضغير المتقدم الذكر، و وراء الوزير في هيئة عظيمة، وفي ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه، وقوم يقال لهم صبيان الزيد من أقوى الأجناد من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة مجتهدا ألا يغيب الخليفة عن نظره، وخلفه الطبول والصنوج والصفاير في عدة

كثيرة تدوى من أصواتها الدنيا، ووراء ذلك حامل الرمح المقدم ذكره والدرقة المنسوبة إلى حمزة، ثم رجال الأساطيل مشاة ومعهم القيسى العربية، وتسمى قسي الرجل والركاب، ما يزيد على خمسمائة رجل، ثم طوائف الرجال من المصامدة، ثم الرمحانية والجيوشية، ثم الفرنجية، ثم الوزيرية: زُمرَة بعد زُمرَة في عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف، ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف العساكر: من الآمرية والحافظية والمجربة الكبار والمجربة الصغار والأفضلية والجوشية، ثم الأتراك المصطنعون، ثم المذلي، ثم الأكراد، ثم الغز المصطنعة وغيرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس.

قال ابن الطوير: وهذا كله بعض من كل. وإذا ترتب الموكب على ذلك، سار من باب القصر الذى نخرج منه بين القصرين، يسير بموكبة حتى يخرج من باب النصر ويصل إلى حوض كان هناك يعرف بمز الملك على التقرب من باب النصر، ثم ينطفئ على يساره طالبا باب الفتوح، وربما عطف عند خروجه من باب النصر على يساره، وسار بجانب السور حتى يأتي باب الفتوح فيدخل منه، وكيفما كان فإنه يدخل منه، ويسير الموكب حتى ينتهي بين القصرين فيقف العسكر هناك على ما كان عليه عند الركاب وترجل الأمراء، فإذا انتهى الخليفة إلى الجائع الأحمر، وقف هناك في جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة. فإذا مر بالخليفة، سلك له سكة ظاهرة، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة، وهذه أعظم كرامة تصدر من الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف. فإذا جاوز الوزير الخليفة، سبقه إلى باب القصر ودخل راجعا على عادته والأمراء أمامه مشاة إلى الموضع الذى ركب منه يدهليز العمود المقدم ذكره، فيترجل هناك ويقف هو والأمراء لانتظار الخليفة. فإذا انتهى الخليفة إلى باب القصر، ترجل الأستاذون المحنكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والأستاذون محمقون به.

(١) سلك (كنع وفرج) : مشى مشيا متسلا لا يدهى أين يأخذ طريقه.

فإذا انتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فرسه إلى الكرسي الذي ركب من عليه فيخدمه الوزير والأمرء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى دُوره . فإذا خرج الوزير إلى مكان تَرجله ركب، والأمرء بين يديه، وأقاربه حوالبه إلى خارج باب القصر، فيركب منهم مَنْ يستحق الركوب، ويمشي من يستحق المشي، ويسيرون في خدمته إلى داره، فيدخل راكبا ويُنزل على كرسي فيخدمه الجماعة وينصرفون، وقد رأى الناس من حسن الموكب ما بهيجهم وراق خواطرهم، وينفزع الناس إلى أماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم القزة : وهي دنانير رباعية ودرهم خفاف مدقورة، ويكون الخليفة قد أمر بضر بها في العشر الأخير من ذي الحجة برسم التفرقة في هذا اليوم، لكل واحد من الوزير والأمرء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام قدرٌ مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد والأعمال مخلفات بالبشائر بركوب أول العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب الميئان الآن.

الموكب الثاني

ركوب أول شهر رمضان

وهو قائم عند الشيعة مقام رؤية الهلال، والأمر في العرض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ما تقدم في أول العام من غير فرق، ويكتب فيه المخلفات بالبشائر كما يكتب في أول العام.

الموكب الثالث

ركوبه في أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان

وهي الجمعة الثانية [والثالثة^(١)] والرابعة، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكَر صاحب بيت المال إلى الجامع بالفرش المختص بالخليفة تحولا

(١) زيادة يقتضها السياق .

على أبدي أكابر الفرائسين ملفوفا في العراضى الدبقية، فُفَرُش في المحراب ثلاث طُرَاحَات إما شامبات، وإما دَبِيقُ أبيض، منقوشة بالحجرة، وتُفَرَّش واحدة فوق واحدة، ويعلق ستران يَمَنَّةً وَيَسْرَةً، في الستر الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سورة الفاتحة وسورة الجمعة، وفي الستر الأيسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين كتابة واضحة مضبوطة، ويصعد قاضى القضاة المنبر، وفي يده مدخنة لطيفة خَيْرُزَّان يُحَضِّرُهَا إليه صاحبُ بيت المال وفيها نَدٌّ مِثْلُ لا يَشُمُ مِثْلُهُ إِلَّا هُنَاكَ، فيخبر ذُرَّةَ المنبر التى عليها القنَّ كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث دَفْعَات، ويركب الخليفة في هيئة ما تقدم في أوَّلِ العام وأوَّلِ رمضان: من المِظَلَّة والآلات، ولباسه فيه الثياب البياض غير المذهَّبة توقيرا للصلاة، والمنديل والطيلسان المقفورة. وحول ركابه خارج الركابية قراء الحضرة من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة تَوْبَةً بعد تَوْبَةٍ من حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها، وإن احتاج إلى تجديد وضوء فعل، وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب وأسفهلار وصبيان الخاص، وغيرهم ممن يجرى مجراهم من أوقفا إلى آخرها، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلى المنبر. فإذا أَدَّانَ الجمعة دخل إليه قاضى القضاة، فقال: "السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى الخليفة ورحمة الله وبركاته، الصلاة برحمته الله" فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنَّكون والوزيرواؤه، ومن يليهم من الأمراء من صِبيان الخاص، وبأيديهم الأسلحة حتى ينتهى إلى المنبر فيصعد حتى يصل إلى الدُرَّة تحت القبة المبخرة، والوزير على باب المنبر ووجهه إليه. فإذا أَسْتَوَى جالسا أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد إلى أن يصل إليه، فيُقَبِّلُ يديه ورجله بحيث يراه الناس، ثم يَزُرُّ عليه تلك القبة وتصير كالمهودج، ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للمنبر فإن لم يكن وزير صاحب

- سيف، كان الذى يزُرُّ عليه قاضى القضاة، ويقف صاحب الباب ضابطاً للنبر، فيخطب خطبة قصيرة من سَفَط يأتى إليه من ديوان الإنشاء، ويقرأ فيها آية من القرآن الكريم، ثم يصلى فيها على أبيه وجده بمعنى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ابن أبي طالب كرم الله وجهه، ويَعِظُ النَّاسَ وَغَطًّا بليغا قليل اللفظ، ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه فيقول: "اللهم وأنا عبدك وابن عبدك • لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعا" ويتوسل بدعوات نعمة تليق به، ويدعو للوزير إن كان ثم وزيرٌ ولجَبِيوش بالنصر والتآلف، وللعاكر بالظفر، وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والتهم، ثم يختم بقوله (أَذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ) ^(١) فيطلع إليه من زرع عليه فيُكِّثُ ذلك الترو برعته، وينزل القَهْقَرى، فيدخل المهراب ويقف على تلك الطراحات
- ١٠ إماما والوزير وقاضى القضاة صفاً، ومن ورائهما الأساذون المحكون والأمراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام والمؤذنون وقوفٌ وظهورهم لحائط المقصورة، والجامع مشحون بالعلم للصلاة ورائه فيركم الأولى ما هو مكتوب فى الستر الأيمن، وفى الثانية ما فى الستر الأيسر. فإذا سمع الخليفة، سمع القاضى المؤذنين، فيسمع المؤذنون الناس. فإذا فرغ نرج الناس وركبوا أؤلا فأؤلا وعاد إلى القصر والوزير ورائه حتى يأتى إلى القصر، والطبول والبوقات تضرب دحاًبا وإيايا •

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلى الجامع الأزهر كذلك ونعل كما فعل فى الجمعة الأولى، لا يختلف فى ذلك غير الجامع •

- فإذا كانت الجمعة الرابعة منه، ركب إلى الجامع العتيق بمصر ويُرِّى له أهل القاهرة من باب القصر إلى الجامع الطولونى، ويُرِّى له أهل مصر من الجامع
- ٢٠

(١) لله فينزل (أى الخليفة) فيدخل الخ • (٢) لله خرج نرج الناس الخ •

الطولوني إلى الجامع العتيق ، وقد تَدَبَّ الواليان بالبلدين مَنْ يحفظ الناس والزينة ويركب من باب القصر ويسير في الشارع الأعظم بمصر، يمشي في شارع واحد بين العجزة إلى الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل في الجامعين الأولين من غير مخالفة . فإذا فُضِيَ الصلاة ، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلى أن يصل إلى قصره ، وفي خلال ذلك كله لا يمز بمسجد إلا أعطى أهله ديناراً على كثرة المساجد في طريقه .

الموكب الرابع

ركوبه لصلاة عيدى الفطر والأضحى

أما بعيد الفطر — فيقع الاهتمام بركوبه في العشر الأخير من رمضان ، وتعيُّ أهبة الموكب على ما تقدّم في أوّل العام وغيره ، وكان خارج باب النصر مصلياً على رُبُوعٍ وجميعها مبنيٌّ بالبحر ، ولها سوراٌ عليها وقلة على بابها ، وفي صدرها قبةٌ كبيرة في صدرها محراب ، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلّى مكشوفاً تحت السماء ، ارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة أذرع ، وفي أعلاه مصطبةٌ . فإذا اكمل رمضان ، وهو عندهم ثلاثون يوماً من غير نقص ، فإذا كان اليوم الأوّل من شوال ، سار صاحب بيت المال إلى المصلّى خارج باب النصر ، وفرش الطراجات بمحراب المصلّى ، كما تقدّم في الجوامع في أيام الجمع ، ويلقى سترين يمتّعة ويُسَرَّة ، في الأيمن الفاتحة وسَبَّحِ أَمَّ رَبَّكَ الْأَعْلَى ، وفي الأيسر الفاتحة ، وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ، ويركز في جانبي المصلّى لوازم مشدودين على رحلين ملبسين بأنايب الفضة ، وهما منشوران مرخيان ، ويوضع على ذروة المنبر طراحة من شاميات أو ديبق ، ويفرش بأقيسه بستر من بياض ، على مقداره في تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشى وغيره ، ويجعل في أعلاه لوانان مرقومان بالذهب يمتّعة ويُسَرَّة ، ثم سار الوزير من داره إلى

١٠

١٥

٢٠

- قصر الخليفة على عادته المتقدمة الذكر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة على ما تقدم في أول العام : من المظلة والتاج وغير ذلك من الآلات، ويكون لباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة المجومة، وهي أجل لباسه ومطلته كذلك، ويخرج من باب العيد على عادته في ركوب المواكب إلا أن العساكر في هذا اليوم من الأمراء والأجناد والريكان والمشاة تكون أكثر من غيره، وينتظم القوم له صفين من باب القصر إلى المصل، ويركب الخليفة إلى المصل فيدخل من شرقها إلى مكان يستريح فيه دقيقة، ثم يخرج محفوظا بمحاشيته كما في صلاة الجمع المتقدمة الذكر فيصير إلى المحراب، والوزير والقاضي وراءه كما تقدم، فيصلي صلاة العيد بالتكبيرات المستنونة، وبقراءة الركة الأولى ما في السترا الذي على يمينه، وفي الثانية ما في السترا الذي على يساره. فإذا فرغ وسلم، صعد المنبر لخطابة العيد. فإذا انتهى إلى ذروة المنبر، جلس على تلك الطراحة بحيث يراه الناس، ويقف أسفل المنبر الوزير، وقاضي القضاة، وصاحب الباب وأسفهلار، وصاحب النسيب، وصاحب الرسالة، وزمأم القصر، وصاحب دفتر المجلس، وصاحب المظلة، وزمأم الأشراف الأتقارب، وصاحب بيت المال، وحامل الرح، وقيب الأشراف الطالبيين.
- ووجه الوزير إليه [فيشير إليه فيصعد ويقرب توقفه منه ويكون وجهه موازيا وجهه] فيقبلهما بحيث يراه الناس، ثم يقوم فيقف على يمين الخليفة. فإذا وقف أشار إلى قاضي القضاة بالصعود فيصعد إلى سابع درجة، ثم يتطلع إليه منتظرا ما يقول، فيشير إليه فيخرج من مكة درباً قد أحضر إليه في أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضته على الخليفة والوزير، فيعلن بقراءة مضمونه [ويقول] بعد البسملة :
- [بكت بمن] شرف بصمود [هـ] المنبر الشريف في يوم كذا، وهو عيد الفطر من سنة

(١) زمأم القصر: هو الذي يتولى إدارة أمور خدام القصر والإشراف على أعمالهم.

(٢) الزيادة عن المقرئ (ج ١ ص ٤٥٥).

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آلبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين
بعد صعود السيد الأجل ... » (بذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من
يُسَرِّفُه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضي ولكنه يكون هو القارئ
للتبث فلا يسهه ذكر نعوته فيقول : الملوكة فلان بن فلان ونحو ذلك ، ثم الواقفين
على باب المنبر ممن تقدم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا ، وكلما ذكر واحدا استداهه وطلع
المنبر، كل منهم يعرف مقامه في المنبر بمئة وسيرة . فإذا لم يبق أحد ممن أطلع إلى
المنبر، أشار الوزير إليهم فأخذ كل من هو في جانب يده نصيبا من اللواء الذي بجانبه
فيستر الخليفة ويستترون ، وينادي في الناس بالإنصات ، فيخطب الخليفة خطبة
بليغة مناسبة لذلك المقام ، يقرؤها من السقيط الذي يُحَضِّرُ إليه مسطرا من ديوان
الإنشاء كما في جمع رمضان المتقدمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبة ، ألقى كل من
في يده شيء من اللواء خارج المنبر ، فينكشفون ويزلون القهقري أولا بأول الأقرب
فالأقرب . فإذا خلا المنبر للخليفة ، هبط ودخل المكان الذي نرج منه ، فلبث
قليلًا ثم ركب في هيئته التي أتى فيها إلى المصل ، ويعود في طريقه التي أتى منها .
فإذا قرب من القصر، تقدمه الوزير على العادة، ثم يدخل من باب العيد الذي نرج
منه ، فيجلس في الشباك الذي في الإيوان الكبير ، وقد مد منه إلى فسقية في وسط
الإيوان مقدار عشرين قصبة سيماط فيه من الخشكان^(١) والبستندود^(٢) ، وغير ذلك
مما يعمل في العيد مثل الجليل الشاهق ، كل قطعة ما بين ربع قنطار إلى رطل
واحد ، فإكل من يأكل وينقل من ينقل لا تنجر عليه ولا مانع دونه ، ثم يقوم
من الإيوان فيركب إلى قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِبَ ، ووضع له مائدة
من فضة ، ومدة السباط تحت السرير فيترجل عن السرير ، ويجلس على المائدة ،
ويستدعي الوزير فيجلس معه ، ويجلس الأمراء على السباط ولا يزال كذلك حتى

(١) الخشكان ويعرف في مصر بالخشكان ، وهو نوع من الخلى مصنوع من الزقاق على شكل حلقة
مجزأة يملأ وسطها بالور أو بالفتق . (٢) البستندود ، أصله بالفارسية (بشندة) : طعام فارسي
مصنوع من دقيق دبلج . وفي الأصل : « البستندود » .

يستهدم السَّماط قريب صلاة الظهر ؛ ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمراء في خدمته فيمده لهم سباطا يأكلون منه وينصرفون .

- وأما عيد الأضحى — فإنه إذا دخل ذوالحجة وقع الاهتمام بركوبه . فإذا كان يوم العيد ، ركب الخليفة على ما تقدم في عيد الفطر من الزى والترتيب والركوب إلى المصلى ، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشح ، ويقلته كذلك ، ويخرج إلى المصلى خارج باب النصر ويخطب ، ثم يعود إلى القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص ؛ ثم بعد دخوله إلى القصر يخرج من باب الفرج ، وهو باب القصر الذى كان مساكننا لدار سعيد السعداء التى هى الخاتمة الآن ، فيجد الوزيراً راجعاً على الباب المذكور ، فيترجل الوزير ، ويمشى في خدمته إلى المنحصر^(١) ، وهو خارج الباب المذكور . وكان إذ ذاك القضاء واسعا لابناء فيه ، وهناك مصطبة مفروشة عليها الخليفة والوزير وقاضى القضاة والأستاذون المحنكون وأكابر الدولة ، ويكون قد سبق إلى المنحصر أحد وثلاثون فصيلاً وناقصة للأخصية ، ويده حربة ، وقاضى القضاة ممسك بأصل سيانها ، وتقدم إليه الأخصية رأساً رأساً فيجعل القاضى السنان في نحر النخيرة ويطعن به الخليفة في لبتها ، فتخز بين يديه حتى يأتى على الجميع ، ثم يُسَيَّر رسوم الأخصية إلى أربعين الرسم المقررة ، وفى اليوم الثانى يساق إلى المنحصر سبعة وعشرون رأساً ، ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك ، وفى اليوم الثالث يساق إليه ثلاث وعشرون رأساً فيفعل بها كذلك . فإذا أنفضى ذلك فى اليوم الثالث وعاد الخليفة إلى القصر ؛ يقطع على الوزير ثيابه الحمراء التى كانت عليه يوم العيد ، ومنديلاً بغير التهمة والمقد المنظوم بالجوهر ، ويركب الوزير بالخيلة من القصر ، ويشق القاهرة بالشارع سالكا إلى الخليج فيسبى عليه حتى يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة ، وبذلك أنفصال العيد . ثم أقر نخيرة تهر تقعد وتُسَيَّر إلى داعى اليمن فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم

(١) المنحصر : الموضع الذى اتخذ الخلفاء لنحر الأضاحى فى عيد الأضحي وعيد النذر . وكان موضع المنحصر أرض فضاء بالدرج الأصفر . وعمله اليوم مجموعة المأوى الواقعة غرب جامع سعيد السعداء بين شارعى الدرب الأصفر والتبكيشية بقسم الجمالية .

إلى وزن ربع درهم، وباقى ذلك يفتق على أرباب الرسوم فى أطباق للبركة، وأكثرهم
يفرقه قاضى القضاة وداعى الدعاة على الطلبة بدار العدل والمتصددين بمجامع القاهرة،
وفى اليوم الأول يمد الممياط بقاعة الذهب على ما تقدم فى عيد الفطر من غير فرق .

الموكب الخامس

موكبه لتخليق المقياس عند وفاة النيل

- ٥ قد تقدم عند ذكر النيل فى الكلام على الديار المصرية ابتداءً زيادة النيل ووفائه
وأنتهائه، وذكر المناداة عليه على ما الأمر مستقر عليه . إلا أنه فى زمن هؤلاء
الخلفاء لم يكن ينادى عليه قبل الوفاء، وإنما يؤخذ قامه وتكتب به رُقعةٌ لخليفة
والوزير، ثم يتزل بديوان الرسائل فى مسير معه له فى الديوان، ويستمر الحال على
١٠ ذلك فى كل يوم ترفع رُقعة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة لا يطلع عليها غير الخليفة
والوزير، وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (وهو السادس عشر) أصبح
أو أصبحان، فيؤمر بأن يبيت فى جامع المقياس تلك الليلة قرأ الحضره والمتصدرون
بالمجامع بالقاهرة ومهرون ويمر من يجرى مجراهم نلهم القرآن الكريم فى تلك الليلة هناك،
ويمد لهم السباط بالأطعمة الفاخرة، وتوقد عليهم الشموع إلى الصبح . فإذا أصبح
١٥ الصبح وأذن الله تعالى بوفاء النيل فى تلك الليلة، طلعت رُقعة ابن أبى الرقاد إلى
الخليفة، فتحضّر إليه بالقصر، فيركب الخليفة فى هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة
والموكب العظيم، إلا أنه يلبس التاج الذى فيه اليتيمة، ولا يخلّى المظلة على رأسه
فى ذلك اليوم، ويركب الوزير وراءه فى الجمع العظيم على ترتيب الموكب، ويخرج
من القصر شافا القاهرة إلى باب زويلة فيخرج منه، ويسلك الشارع إلى أن
٢٠ يجاوز البستان المعروف بعباس عند رأس الصليبة بالقرب من الخاناته الشيخونية

- الآن، فيعطف سالكا على الجامع الطولوني والجسر الأعظم حتى يأتي مصر، ويدخل من الصناعة، وهي يومئذ في غاية العمار، وبها دِهْلِيزٌ ممتد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني مؤزر بها، ويخرج من بابها شاقاً مصر حتى يأتي المنطرة المعروفة برواق الملك على القرب من باب القنطرة، فيدخلها من الباب المواجه له والوزير معه ماشياً إلى المكان المعد له، ويكون العشاري الخاص المبرع عنه الآن بالحفاقة واقفا هناك بشاطئ النيل، وقد حمل إليه من القصر بيت من من العاج والأبنوس كل جانب منه ثلاثة أذرع، وطوله قائمة رجل تام، فيركب في العشاري المذكور وعليه قبة من خشب محكم الصنعة، وهو وقته ملبس صفائح الفضة المذهبة، ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكور ومعه من الأساتذيين المحنكون من يختاره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يطلع خواص الخليفة إلى العشاري والوزير معه من خواصه اثنا عشر أو ثلاثة لا غير، فيجلس الوزير في رواق بظاهر البيت المذكور، بفوايس من خشب مخروط مدهونة مذهبة، يستور مسدلة عليه، ويسير العشاري من باب المنطرة إلى باب المقياس العالي على الدرج، فيطلع من العشاري، ويدخل إلى الفسقية التي فيها المقياس، والوزير والأساتذون المحنكون بين يديه، فيصلي هو والوزير كل منهما ركعتين بمعهده، ثم يؤتى بالزعفران والمسك فيديفه في إناء بيده بألة معه، ويتناولها صاحب بيت المال فيتناوله لأن أبي الرقاد، فيلقى نفسه في الفسقية بثيابه فيتملق في العمود برجليه ويده اليسرى ويحلقه بيده اليمنى، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرءون القرآن، ثم يخرج على فوره راجعاً إلى العشاري المذكور، ثم يعود إلى دار الملك، ويركب منها عائداً إلى القاهرة، وتارة ينحدر في العشاري إلى المقياس، ويتبعه الموكب فيسير من هناك إلى القاهرة. ويكون في البحر ذلك اليوم نحو ألف مركب مشحونة بالناس للتفرج وإظهار الفرح. فإذا كان اليوم الثاني من التخليق أتى ابن أبي الرقاد

إلى الإيوان الكبير الذى فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة مذهبة بطيآن مقورة،
ويُدْفَعُ إليه خمسة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له ، فيلبس الخلعة،
ويخرج من باب العيد المتقدم ذكره فى أبواب القصر، وقد هيء له خمس بقال على
ظهورها الأحمال المزينة بالحلى ، على ظهر كل منها راكب ويده أحد الأكياس
الخمسة المتقدمة الذكر ظاهر في يده ، وأقاربه وبنو عمه يحجبونه وأصدقاؤه حوله ،
وأمامه جملان من الثقارات السلطانية ، والأبواق تضرب أمامه ، والطبل وراءه مثل
الأمرء ، فيشق بين القصرين ، وكلاهما على باب من أبواب القصر يدخل منه
الخليفة أو يخرج ، نزل فقبله ، ويخرج من باب زويلة فى الشارع الأعظم حتى يأتى
مصر فيشق وسطها ويمر بالجامع المتين ، ويمجاوزه إلى شاطئ النيل فيعتمد إلى المقياس
يخلعته ويأمنه من الأكياس ، فيأخذ من الأكياس قدرا مقزرا له ، ويفرق باقى ذلك
على أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم .

الموكب السادس

ركوبه لفتح الخليج

وهو فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدم ذكره ، وليس كما فى زماننا
من فتحه فى يوم التخليق ، وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين
يأخذ النيل فى الزيادة ، وتعمل فى بيت المال موائد من التماثيل المختلفة : من
الغزلان ، والسباع ، والفيالة ، والزرافة ، ورافرة ، منها ماهو ملبس بالعبر ،
وماهو ملبس بالصندل ، مفسرة الأهين والأعضاء بالذهب ، وكذلك يعمل أشكال
الثقاج والأترج وغير ذلك ، وتخرج الخيمة العظيمة المعروفة بالقاتول المتقدمة الذكر
فتنصب للخليفة فى بر الخليج الغربى على حافته عند منقطة يقال لها السكرة على

- القرب من فم الخليج ، ويُتفَّ عسودُ الخيمة بدساج أحمر أو أبيض أو أصفر من أعلاه إلى أسفله ، وينصب فيها سرير الملك مستندا إليه ويفشى بقرقوبى ، وعراً أنيسه ذهبٌ ظاهرة ، ويوضع عليه مَرْتَبَةٌ عظيمة من الفرس للخليفة ؛ وبضرب لأرباب الرُتَب من الأمراء بحِرى هذه الخيمة نعيمٌ كثيرة على قدر مراتبهم فى المقدار والقرب من خيمة الخليفة ؛ ثم يركب الخليفة على عادته فى المواكب العظيمة بالمظلة وتوابها من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات ، ويزاد فيه أربعون بوقاً ؛ عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ، يكون المنفرون بها ركبانا ، والمنفرون بالأبواق الثعاس مشاة ، ومن الطبول العظام عشرة طبول . فإذا كان يومُ الركوب ، حضر الوزير من دار الوزارة راكباً فى هيئة عظيمة ، ويركب حينئذ إلى باب القصر الذى يخرج منه الخليفة ، ويخرج الخليفة من باب القصر راكباً والأساذون المحنكون مشاة حولهُ ، وعليه ثوب يسمى البدنة حريراً مرقومٌ بذهب ، لا يليسه غير ذلك اليوم ، والمظلة ينسبته ، فيركب الأساذون المحنكون ويسير الموكب على الترتيب المتقدم فى ركوب أوّل العام سائراً فى الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتى يأتى الجامع الطولونى ؛ ويكون قاضى القضاة وأعيانُ الشهود جلوساً ببابه من هذه الجهة ، فيقف لهم الخليفة وقفةً لطيفةً ، ويسلم على القاضى ، فيتقدّم القاضى ويُقبلُ رجله التى من جانبه ، ويأتى الشهود أمام وجه فرس الخليفة ، ويقفون بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم ، ثم يركبون ويسير الموكب حتى يأتى ساحل الخليج ، فيسير حتى يقارب الخليفة الخيمة ، فيتقدّمه الوزير على العادة ، فيترجل على باب الخيمة ، ويجلس على المرتبة الموضوعة له فوقه ^(١) ويحيط به الأساذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم ؛ ويوضع للوزير كرسيه الجسارى به العادة على ما تقدّم فى جلوسه فى القصر ، فيجلس

(١) أى فوق السرير المتقدم وصفه قريبا .

ووجلاه يُحْكَن الأرض ، ويقف أرباب الرُّبِّ صفين من سرير المُلك إلى باب
 الخيمة ، وقراء الحضرة يقرءون القرآن ساعة زمانية . فإذا فرغوا من القراءة ،
 أستاذن صاحبُ الباب على حضور الشعراء للخدمة ، فيؤذن لهم فيتقدمون واحدا بعد
 واحد على مقدار منازلهم المقررة لهم ، ويُشَدُّ كلُّ منهم ما وقع له نظمه مما يناسب
 الحال . فإذا فرغ أى فيه وأنشد ما نظمته إلى أن يفرغ إنشادهم ، والحاضرون
 ينتقدون كل كل شاعر ما يقوله ، ويحسُّون منه ما حسن ويوهَّون منه ما وهى .
 فإذا آنقضى هذا المجلس ، قام الخليفة عن السرير فركب إلى المنطرة المعروفة بالسكرة
 بقرب الخيمة والوزيرين يديه ، وقد فرشت بالفرش المعدة لها ، فيجلس الخليفة
 بمكان معد له منها ، ويجلس الوزير بمكان منها بمفرده ، ويجلس القاضى والشهود
 في الخيمة البيضاء الدبقية ، فيطُلُّ منها أستاذ من الأستاذين المختكين فيشير بفتح الستة
 فيفتح بالمآول ، وتضرب الطبول والأبواق من البرين ، وفي أثناء ذلك يصل السباط
 من القصر صحبة صاحب المساندة القائم مقام أستاذ دار الصحبة الآن ، وعدتها
 مائة شدة في الطباير الواسعة في القواير الحرة ، وفوقها الطراحات النفيسة ، وريح
 المسك والأفاويه تنفوح منها ، فتوضع في خيمة وسيعة معدة لذلك ، ويحمل منها
 للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم ، ثم لقاضى القضاة والشهود ، ثم إلى الأمراء على
 قدر مراتبهم : على أنواع الموائد من التماثيل المقدمة الذكر خلا القاضى والشهود ،
 فإنه لا يكون في موائدهم تماثيل . فإذا اعتدل الماء في الخليج دخلت فيه العشاريات
 اللطاف ووراءها العشاريات الكبار ، وهى سبعة : الذهبي المختص بالخليفة ،
 وهو الذى يركب فيه يوم التخليق ، والفضي ، والأحمر ، والأصفر ، والأخضر ،
 والألأزردى ، والصقلى ، وهو عشارى أنشاء تجار من صقلية على الإنشاء المعتاد
 فليسب إليه ، وعليها الستور الدبقى الملوثة ، وفي أعناقها الأهلة وقلائد العنبر والخرز

الأزرق، وتسير حتى ترسو على بر المنطرة التي فيها الخليفة . فإذا صُلِّي الخليفةُ العصر، ركب لا يسا غير الثياب التي كانت عليه في أوّل النهار، ومِظَلُّته مناسبة لثيابه التي لبسها، وباقي الموكب على حاله، ويسير في البر الغربي من الخليج شاقاً للبهاتين حتى يصل إلى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير إلى القصر، والوزير تابعه على الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمرّ الوزير إلى داره على عادته في مثل ذلك اليوم .

وذكر القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنطرة المعروفة بالسكرة ، سار في بر الخليج الغربي على ما تقدّم ذكره حتى يأتي بستان الدكة ، وقد علّقت دهااليزه بالريشة فيدخله وحده ويسبق منه فرسه ، ثم يخرج حتى يقف على الرعنة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلى قصره .

النوع الثاني

من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة

- وهي أربعة أيام أو خمسة فيما بين أوّل العام ورمضان ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء، فإذا عزم على الركوب في يوم من هذه الأيام، قدّم نفرقة السلاح على الركابية على ما تقدّم ذكره في أوّل العام، وأكثر ما يكون ركوبه إلى مصر، فيركب والوزير وراءه على أخصر من النظام المتقدّم له في المواكب العظام وأقلّ ١٥ جمعا، ويلبسه في هذه الأيام الثياب المذهبّة من البياض والمألون ومنديل من نسبة ذلك مشدودة بشدّة غير شدّات غيره ، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربي المجوهر بشير حنك ولا مظلة، ويخرج شاقا القاهرة في الشارع الأعظم حتى يجاوز الجامع الطولوني على المشاهد^(١) إلى الجامع العتيق .
- فإذا وصل إلى بابه، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة يجانبه فيها محراب، مفروشة ٢٠

(١) يريد بالمشاهد الأماكن التي كان الناس ولا يزالون يتركون بزيارتها كشهد زين العابدين ومشهد السيدة فقيسة ومشهد السيدة أم كلثوم رضوان الله عليهم .

بمحصر وعليها سجادة معلقة، وفي يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، فينأله المصحف من يده فيقبله ويتبرك به ويأمر له بمطاء يفرق على أهل الجامع.

الضرب الثالث

من هيئة الخليفة هيته في قُسنوره

- ٥ قال آبن الطوير: كان له ثياب يلبسها في الدور أكامها على النصف من أكام ثيابه التي يلبسها في المواكب، وكان من شأنه أنه لا ينصرف من مكان إلى مكان في القصر في ليل أو نهار إلا وهو راكب، ولا يقتصر في القصر على ركوب الخيل بل يركب البغال والخيول الإناث لما تدعوه الضرورة إليه من الجواز في السرايب القصيرة والطلوع على الزلاقات إلى أهل المناظر والمسكن، وله في الليل نسوة يرسم شدة ما يحتاج إلى ركوبه من البغال والخيول، وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خفيفة من حدوث حريق في الليل، ويبين خارج القصر في كل ليلة نحسون فارسا للحراسة، فإذا أذن بالعشاء الآخرة داخل قاعة الذهب وصلى الإمام الراتب فيها بالمقيمين من الأساتذيين وغيرهم، وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة - مقام أمير جانداز الآن - فإذا علم بفراغ الصلاة تضرب البوقية من الطبول والبوقات وتوابعها على طريق مستحسنة ساعة زمانية، ثم يخرج أستاذ يسم هذه الخدمة فيقول: "أمير المؤمنين يرّد على مسنان الدولة السلام" فيعز سنان الدولة حربة على الباب ثم يرفعها بيده، فإذا رفعها أغلق الباب، ودار حول القصر سبع دورات. فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البوابين والفواشين وأوى المؤذنون إلى خزائن لهم هناك وتزى السلسلة عند المضيق، آخر بين القصرين عند السيوفيين
- ١٠
- ١٥
- ٢٠

فينقطع الماز من ذلك المكان إلى أن تضرب البوقية سمحاً قرب الفجر فترفع السلسلة ويجوز الناس من هناك .

الجملة السادسة

في اهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور واعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم

في رعاياهم، وأستالة قلوب مخالفينهم

- ٥ أما اهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور— واعتنائهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من أهم أمورهم، وأجل ما وقع الاعتناء به عندهم . وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسكندرية وديبائط من الديار المصرية، وعسقلان وعكا ومصر وغيرها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن يغلهم عليها الفرنج، وكانت جريدة قوادهم تزيد على خمسة آلاف مقاتل مدونة، وجوامعهم في كل شهر من عشرين ديناراً إلى خمسة عشر ديناراً إلى عشرة إلى ثمانية إلى دينارين، وعلى الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقوام جاشا، وكان أسطولهم يومئذ يزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر حمالات، وعمارة المراكب متواصلة بالصناعة لا تنقطع . فإذا أراد الخليفة تجهيزها للفرز، جلس للنفقة بنفسه حتى يكملها، ثم يخرج مع الوزير إلى ساحل النيل بالقيس، فيجلس في منظره كانت
- ١٥ بجامع باب البحر والوزير معه للوادة، ويأتي القواد بالمراكب إلى تحت المنطرة، وهي مزينة بالأسلحة والمتجنيقات واللعب منصوبة في بعضها، فتسير بالمجاديف ذهاباً وعوداً كما يفعل حالة القتال، ثم يحضر إلى يمين الخليفة المقدم والريس فيوصيهما ويدعو لهم بالسلامة، وتتحدر المراكب إلى ديبائط وتخرج إلى البحر الملح فيكون لها في بلاد العدو الضيبت والسمنة . فإذا غنموا مراكباً أصطفى الخليفة
- ٢٠

(١) أي التوديع . وقد جرى فيه وفي كثير غيره على اصطلاحات العامة .

لنفسه السيِّ الذي فيه من رجال أو نساء أو أطفال، وكذلك السلاح، وما عدا ذلك يكون للغائبين لا يُساهمون فيه . وكان لهم أيضا أسطول ببيّذاب يتلقّى به الكارم فيما بين عبيذاب وسواكن ، وما حولها خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا يجزأثر ببحر القلزم هناك يعترضون المراكب، فيحجمهم الأسطول منهم، وكان عدة هذا الأسطول خمسة مراكب، ثم صارت إلى ثلاث، وكان والي قوص هو المتوثى لأمر هذا الأسطول، وزبما تولاه أمير من الباب، ويحمل إليه من نوائن السلاح ما يكفيه .



وأما سيرهم في رعيّتهم— وأسئلة قلوب مخالفيهم، فكان لهم الإقبال على من ينفذ عليهم من أهل الأقاليم جلّ أو دقّ، ويقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام، ويعوضون أرباب الهدايا بأضعافها . وكانوا يتألّفون أهل السنّة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ، ولا يمتنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك (١) بذكر الصعابة رضوان الله عليهم ، ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم، بخلاف مذهب أبي حنيفة، ورأعون مذهب مالك، ومن سألهم الحكم به أجابوه، وكان من شأن الخليفة أنه لا يكتب في علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا من مكاتبته إلا بالكاف حتى الوزير صاحب السيف، وإنما المكاتبات عن الوزير هي التي تتفاوت مراتبها ؛ ولا يخاطب عنهم أحد إلا بنعت مقزّرة ودعاء معروف به ؛ ويراعون من يموت في خدمتهم في عقبه، وإن كان له مرتب نقولوه إلى ذريّته من رجال أو نساء .

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

الجملة السابعة

في إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم
وما يتصل بذلك من الطعمة

أما إجراء الأرزاق والعطاء — فقد تقدم أن ديوان الجيوش كان
عندهم على ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحلية الأجناد وشيآت دوابهم ،
وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق
في الدولة من راتب وجار وجرية ، ولكل من الثلاثة مكاتب يختصون بخدمته .
والقسم الثالث هو المقصود هنا ، وكان راتبهم فيه بالدنانير الجليشية ، وكان يشتمل
على ثمانية أقسام :

- ١٠ الأول — فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته .
فراتب الوزير في كل شهر خمسة آلاف دينار، ومن يليه من ولد أو أخ من ثلثائة
دينار إلى مائتي دينار، ولم يقتر لولد وزير خمسمائة دينار سوى الكامل بن شاور،
ثم حواشيه من خمسمائة دينار، إلى أر بمائة دينار، إلى ثلثائة دينار خارجا عن الإقطاعات
الثاني — فيه حواشي الخليفة .
فأولم الاستاذون المحنكون على رتبهم . فزمام القصر، وصاحب بيت المال،
وحامل الرسالة، وصاحب الدقتر، وشاد التاج، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب
المجلس، لكل واحد منهم في الشهر مائة دينار، ثم من دونهم من تسعين دينارا إلى
عشرة دنانير على تفاوت الرتب . وفي هذا طبيا الخالص، ولكل واحد منهما في الشهر
خمسون دينارا، ولمن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير.
- ٢٠ الثالث — فيه أرباب الرتب بمحضرة الخليفة .

فأولى مسطور فيه كاتبُ الدَّست — وهو المعبر عنه الآن بكاتب السرّ؛ وله في الشهر مائة وخمسون ديناراً ، ولكل واحد من ثُكَّابه ثلاثون ديناراً ؛ ثم الموقع بالقلم الدقيق ، وله مائة دينار ؛ ثم صاحب الباب ، وله مائة وعشرون ديناراً ؛ ثم حامل السيف وحامل الرمح ، ولكل منهما سبعون ديناراً ؛ وبقية الأئمة على المساك والسودان من خمسين ديناراً ، إلى أربعين ديناراً ، إلى ثلاثين .

الرابع — فيه قاضى القضاة ، وله في الشهر مائة دينار؛ وداعى الدعاة وله مثله ؛ وقراء الحضرة ، ولكل منهم عشرون ديناراً ، إلى خمسة عشر ديناراً ، إلى عشرة .
الخامس — فيه أرباب الدواوين ومن يجرى تجارهم .

فاوّلهم متولى ديوان النظر، وله في الشهر سبعون ديناراً ؛ ثم متولى ديوان التحقيق ، وله خمسون ديناراً ؛ ثم متولى ديوان المجلس ، وله أربعون ديناراً ؛ ثم متولى ديوان الجيوش ، وله أربعون ديناراً ؛ ثم صاحب دفتر المجلس ، وله خمسة وثلاثون ديناراً ؛ ثم الموقع بالقلم الجليل القائم مقام كاتب الدَّرج الآن ، وله ثلاثون ديناراً . ولكل مُعين عشرة دنانير ، إلى سبعة ، إلى خمسة .

السادس — فيه المستخدمون بالقاهرة ومصر في خدمة واليها ، ولكل واحد منهما خمسون ديناراً ؛ وللمُعاة بالأهراء والمناجات والجوالى والبساتين والأملال وغيرها لكل منهم ما يقوم به من عشرين ديناراً ، إلى خمسة عشر ، إلى عشرة ، إلى خمسة .

السابع — فيه عدة الفزاشين برسم خِدمة الخليفة والقصور وتنظيفها خارجاً وداخلاً ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر ، ولكل منهم في الشهر ثلاثون ديناراً لما حولها ؛ ثم من يليهم من الرُشاشين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلاثمائة رجل ، ولكل منهم من عشر دنانير إلى خمسة .

الثامن — فيه الركابية ومفدة موهم ، ولكل من مقدّمهم في الشهر نحسون دينارا ، والركابية من خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .
وأما الطعمة — فعل ضريرين :

الضرب الأول

- الأسمطة التي تمتد في شهر رمضان والعيدين .
- أما شهر رمضان — فإن الخليفة كان يرتب بقاعة الذهب بالقصر سيمًا في كل ليلة من استقبال الرابع منه ، وإلى آخر السادس والعشرين منه ، ويستدعى الأمراء لحضوره في كل ليلة بالنوبة ، يحضر منهم في كل ليلة قومٌ كُلا يحيرهم الإفطار في بيوتهم طول الشهر ، ولا يكلف قاضي القضاة الحضور سوى ليالي الجمع توقيرا له ، ولا يحضر الخليفة هذا السّماط ، ويحضر الوزير فيجلس على رأس السّماط .
- فإن غاب قام ولده أو أخوه مقامه . فإن لم يحضر أحد منهم ، كان صاحبُ الباب عوّضه . وكان هذا السّماط من أعظم الأسمطة وأحسنها ، يمتد من صدر القاعة إلى مقدار ثلثها بأصناف المأكولات والأطعمة الفاخرة ، ويخرجون من هنالك بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين ، ويفرز فضل السّماط كلّ ليلة ، ويتهداه أرباب الرسوم حتى يصل إلى أكثر الناس . وإذا حضر الوزير بمث الخليفة إليه من طعامه الذي يأكل منه تشريفا له ، وربما خصه بشيء من تتخّره .



- وأما سّماط العيدين — فإنه يمتد في عيد الفطر وعيد الأضنى تحت سرير الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذي يجلس فيه الخليفة الجلوس العام أيام المواكب ، وتنصب على الكرسي مائدة من فضة تعرف بالمدقورة ، وعليها من الأواني الذهبيات والصينيّ الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك ، وينصب السّماط العام تحت السرير من خشب مدهون في طول القاعة في عرض عشرة أذرع ، وتفرش

فوقه الأزهار المشحومة ، وُرضَ الخبز على جوانبه كل شايورة ثلاثة أرتال من نَيِّقٍ الدقيق ، ويعمر داخل السماط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، في كل طبق أحد وعشرون خروفا من الشَّوَّى ، وفي كل واحد منها ثمانية وخمسون طيرا من الدجاج والفرايح وأفراخ الحمام ، ويعبئ مستطيلا في العلو حتى يكون كقامة الرجل الطويل ، ويسود بشاريح الحلواء اليابسة على اختلاف ألوانها ، ويُسدَّ خلل تلك الأطباق على السماط نحو من خمسمائة صحن من الصحن الخزفية المترعة بالألوان الفاتحة ، وفي كل منها سبع دجاجات من الحلواء المائنة والأطعمة الفاخرة ، ويعمل بدار الفطرة الآتي ذكرها قصران من حلوى زنة كل منها سبعة عشر قطارا في أحسن شكل ، عليها صور الحيوان المختلفة ، ويحملان إلى القاعة فيوضعان في طرفي السماط .
ويأتي الخليفة راجا فيترجل على السرير الذي قد نصبت عليه المائدة الفضة ، ويمسك على المائدة وعلى رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين ، ثم يستدعي الوزير وحده فيطلع ويمسك على يمينه بالقرب من باب السرير ، ويشير إلى الأمراء المطوقين فن دونهم من الأمراء ، فيجلسون على السماط على قدر مراتبهم فإ كلون وقراء الحضرة في خلال ذلك يقرءون القرآن ، ويبقى السماط ممدودا إلى قريب من صلاة الظهر حتى يستهلك جميع ما عليه أكلا وحلا ، وتفرقة على أبواب الرسوم .

الضرب الثاني

فيما كان يعمل بدار الفطرة^(٢) في عيد الفطر

وكان لهم بها الأهتمام العظيم . وقد ذكر ابن عبد الظاهر أصفانها فقال : كانت ألف حملة دقيق ، وأربعمائة قطار سُكَّر^(٣) ، وستة قناطير فُسْتُق ، وأربعمائة وتلاتين

(١) عبارة المقرئ "من الصحن الخزفية" التي في كل منها سبع دجاجات وهي مرتبة الخ .

(٢) رابع الحاشية رقم ١ صفحة ٤٧٦ من هذا الجزء .

(٣) في المقرئ والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ١٢٢) : « سبعمائة » .

- إردب زبيب، وخمسة عشر قطارا عسل نحل، وثلاثة قناطير خل وإردبين سمس وإردبين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، ونحس نواج مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهما، وزيت برسم الوقود ثلاثون قطارا، في أصناف أخرى بطول ذكرها. قال ابن الطوير: ويتدب لها مائة صانع من الحلاوين، ومائة فرّاش برسم تفرقة الطوافير على أصحاب الرسوم خارجا عن هو مرتّب فيها؛ ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة على سريره فيها، ويجلس الوزير على كرسي له؛ في النصف الأخير من رمضان، وقد صار ما لها من المستعملات كاجلبال الرواسي، فتفرق الحلوى من رُبّع قطار إلى عشرة أوطال إلى رطل واحد، والخشكان من مائة حبة إلى خمس وسبعين حبة، إلى ثلاث وثلاثين، إلى خمس وعشرين، إلى عشرين، ويفرق على السودان على يد مقدمهم بالأفراد من تسعة أفراد إلى سبعة، إلى خمسة، إلى ثلاثة، كل طائفة على مقدارها (٢)
- بسماط يوم الفطر ما يمدّ في الإيوان الكبير قبل مدّ سباط الطعام بقاعة الذهب. وقد وقع في كلام ابن الطوير خُلف في وقته، فذكر في موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد، وذكر في موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة.

الطرف الثامن^(٣)

- في جلوس الوزير للظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه يجلس الوزير في صدر المكان، وقاضي القضاة مقابله، وعن جانبه شاهدان من المعتبرين، وكاتب الوزير بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المال؛ وبين يديه
- (١) النواج: جمع نايقة، والنايقة: وعاء المسك وهي الجلبة التي يجتمع فيها (٢) بياض بالأصل. ولعله وقد كان سباط يوم الفطر مد... الخ (٣) لم يتقدم في هذا الفصل تقسيم الأطراف.

صاحب الباب وأسفهلار، وبين أيديهما الزباب والمجباب على طبقاتهم . وذلك
يومان في الأسبوع .

وقد رثاهم عمارة اليمنى بعد أنقراضهم واستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب
على المملكة بقصيدة وصف فيها مملكتهم ، وعدة مواكبتهم ، وحكى مكارمهم ، وجل
محاسنهم ، وهى :

رَمَيْتْ بِأَدْمُرْ كَفَّ الْجَبِدَ بِالشَّلَلِ * وَجَبَدَهُ بِسَدِّ حُسْنِ الْحَلَى بِالْمَطْلِ
سَمِعْتَ فِي مَنَهِجِ الرُّبَى الْعُشُورَ فَإِنْ * قَدَّرْتَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ فَاسْتَقِلْ
جَدَعْتَ مَارِيكَ الْأَنْفَى فَانْفُكْ لَا * يَنْفُكُ مَا بَيْنَ أَمْرِ الشَّيْنِ وَالْمَجْهِلِ
قَدَسَتْ قَاعِدَةُ الْمَعْرُوفِ عَنْ عَجَلِ * شَقِيتَ ، مَهْلًا أَمَا تَمُتُّ عَلَى مَهَلِ
لَمَنِي وَقَفَ بَنَى الْأَمَالِ قَاطِبَةً * عَلَى لِحْيَتَيْهَا فِي أَكْرمِ الدُّوَلِ
قَدَمْتُ مَصْرًا وَلَتَنِي خَلَايِفُهَا * مِنْ الْمَكَارِمِ مَا أَرَبَى عَلَى أَمَلِ
قَوْمٌ عَرَفْتُ لَهُمْ كَسْبَ الْأُلُوفِ ، وَمِنْ * كَالِهَا أَنُهَا جَاءَتْ وَلَمْ أَسْلِ
وَكُنْتُ مِنْ وَزَرَاءِ الدُّنْيَا حَيْثُ سَمَا * رَأْسَ الْحِصَانِ يَهَادِيهِ عَلَى الْكَفْلِ
وَلَيْتَ مَنْ عَظَاهُ الْجَيْشُ تَكْرِمَةً * وَخُلَّةَ حُرَيْتٍ مِنْ عَارِضِ الْخَلِيلِ
يَا عَاذِلِي فِي هَوَى ابْنَاءِ قَاطِبَةٍ * لَكَ الْمَلَامَةُ إِنْ قَصُرَتْ فِي عَذَلِي
بِاللهِ ! زُرْ سَاحَةَ الْقُصْرَيْنِ وَأَبْكَ مَعِي * عَلَيْهِمَا لَا عَلَى صِفَتِ الْجَحْلِ !
وَقُلْ لِأَهْلِيهِمَا : وَاللهِ مَا أَكْتَحَمْتُ * فِيكُمْ جُرُوحِي وَلَا قَرْحِي بُمُسَدِّيلِ
مَاذَا تَمَرَى كَانَتْ الْإِنْرِيخُ قَاعِلَةً * فِي تَنْسِلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
[هَلْ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرِ قِسْمَةٍ مَا * مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّيِّ وَالْقَلِيلِ]

٢٠ (١) فى الخطوط للقرنيزى "فرع السن" . (٢) الزيادة من القرنيزى . والتكت المصرية
فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى (ص ١١٣ طبع أودا) .

- وَقَدْ حَصَرْتُمْ عَلَيْهَا ، وَأَسْمُ جَدِّكُمْ * عِدُّ وَأَبُوكُمْ خَيْرٌ مُتَعَمِّلٍ
 مررت بالقصر والأركان خالية * من الوفود ، وكانت قبلة القبيل
 فملت عنها بوجه خوف متقيد * من الأعادي ، ووجه الود لم يميل
 أسبلت من أسنى ذمى فداة خلت * رجاكم وغدت مهجورة السبل
 أبكى على مآثرنا من مكاريكم * حال الزمان عليها وهي لم تحمل
 (دار الضيافة) كانت أنس وأفدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
 و(فطرة الصوم) إذ امتحت مكاريكم ، * تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
 و(كسوة الناس) في الفضلين قد درست * ورث منها جديدهم وبلي
 وموسم كان في (يوم الخليج) لكم * يأتي بكم فيكم فيه على الجميل
 ١٠ و (أول العام) و (البيد) لكم لكم * فيون من وبلى جود ليس بالوسيل
 والأرض تهتز في يوم الفيدر) كما * يستمر بين فقريكم من الأسل
 وأنجيل ترض في وفي شية * مثل العرائس في حل وفي حليل
 وما حملتم فري الأضباب من سعة الأط * باقي إلا على الأكايف والمعجل
 وما خصم بئر أممل ملكية * حتى غمتم به الألقى من المثل
 ١٥ كانت روايتكم للوادين وللض * نيف المقيم والطاري من الرسل
 ثم (الطراز) يتيس الذي عظم * منه الصلات لأهل الأرض والدول
 ولجوامع من أنمايتكم نعم * ممن تصد في علم وفي عمل
 ورُبما عادت الدنيا لعلها * منكم وأمت بكم محمولة الثقل
 والله ! لا فاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجا من عذاب النار غير ولي
 ٢٠ ولا سقي الماء من حر ومن ظم * من تكف خير البرايا خاتم الرسل

(١) في القرزي والكت المصرية : "من إسانكم" وهي أوضح .

[وَلَا رَأَىٰ جَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خُلِقَتْ ۖ مَنْ خَانَ عَهْدَ الْإِمَامِ الْعَاصِدِ بْنِ عَلِيٍّ^(١) أُنْمِيتِي وَوَسَّاتِي وَالذَّخِيرَةَ لِي ۖ إِذَا أَرْتَيْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ وَاللَّهِ لَمْ نُؤْفِقْهُمْ فِي الْمَدْحِ حَقَّهُمْ ۚ لَا نَفْضَلُهُمْ كَالْوَايِلِ الْهَاطِلِ وَلَوْ تَضَاعَفَتِ الْأَقْصَالُ وَأَسْبَقَتْ ۖ مَا مَحْنَتُ فِيهِمْ بِحَمْدِ اللَّهِ بِالْجَحِيلِ ۖ

بَابُ النَّجَاةِ ، هُمْ ذُنُوبًا وَآخِرَةً ۖ وَحُبُّهُمْ فَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَالْعَمَلِ نُورُ الدِّجِ وَمَصَابِيحُ الْهُدَى وَهُمْ ۖ مِنْ نُورِ خَالِصِ نُورِ اللَّهِ لَمْ يَنْتَهِ وَاللَّهُ لَا زُلَّتْ عَنْ حُبِّي لَمْ أَبْدَأْ ۖ مَا أَخَّرَ اللَّهُ لِي فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ

قلت : وعجازه هذا لم يكن على معتقدي الشيعة بل فقيها شافعيًا ، قديم مصر رسالة عن القاسم بن هاشم بن أبي نائلة أمير مكة إلى الفاضل أحد خلفائهم في سنة خمسين ونعمانية في وزارة الصالح طلائع بن رزك ، فأحسنوا له وبالفوا في به ، فأقام عندهم وتألف بهم ، وأتى فيهم من المدح بما بهر العقول ، ولم يزل مواليا لهم حتى زالت دولتهم وأستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فرثاهم بهذه القصيدة ، فكانت آخر أسباب حنقه ، فصبب فيمن صلب بين القصرين من أتباع الدولة الفاطمية .

تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع ، وأقوله " الحالة الثالثة من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا "

(١) الزيادة عن المقرئ والكاتب المصرية في أخبار الوزراء المصرية لهارة ابنى .

(٢) أصل هذا البيت في خط المقرئ والكاتب المصرية بيتان وهما :

نور الدجى ومصابيح الهدى ومحل النبث إن وثت الأنواء في المحل
أتممة خلقوا نورا ننورهم ۖ من نور خالص نور الله لم ينل

تراثنا

صنعة الإنشء

في
صناعة الإنشء

تأليف
أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشندي

٨٤١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الرابع

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومبذلة

يتصوبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة واقية

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع کوستاتوناس وشركاه

• شارع وقف النهر برطل بالظاهر - ١١٨-١٠٠
القاهرة

فهرست

الجزء الرابع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- النوع الثاني — رزق أرباب الأقاليم ... ٥١
- الضرب الثاني — الإناعام وما يجري مجراه ، مما يقع في وقت دون وقت ؟
- ٥٢ وهو على خمسة أنواع ...
- النوع الأول — الخلق والتشريف ... ٥٢
- النوع الثاني — الخيول ... ٥٤
- النوع الثالث — الكسوة والحوائص ... ٥٥
- النوع الرابع — الإنعام والأوقاف ... ٥٥
- النوع الخامس — المأكول والمشروب ... ٥٦
- المقصد السابع — في اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية في نطاق مملكته يتنازها على ملوك الأرض من المسلمين ، وغيرهم ٥٧
- المقصد الثامن — في انتهاء الأخبار إليه ، وهو على ثلاثة أنواع ... ٥٨
- النوع الأول — أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم ... ٥٨
- النوع الثاني — الأخبار التي ترد عليه من جهة نوابه ... ٥٩
- النوع الثالث — أخبار حاضرتة ... ٦٠
- المقصد التاسع — في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم ... ٦١
- المقصد العاشر — في ولاية الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية ؛ وهم على أربع طبقات ... ٦٣
- الطبقة الأول — النواب ... ٦٣
- الطبقة الثانية — الكشاف ... ٦٥
- الطبقة الثالثة — الولاة بالوجهين : القبلي والبحري ... ٦٦
- الطبقة الرابعة — أمراء العربان بنواحي الديار المصرية ... ٦٧

صفحة

- الفصل الثاني - من المقالة الثانية في المملكة الشامية، وما يتصل بها من بلاد
الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين الفرات والدجلة مما هو
مضاف الى هذه المملكة؛ وفيه أربعة أطراف... ٧٢ ...
- الطرف الأول - في فضل الشام وخواصه وعجائبه، وفيه مقصدان ... ٧٢ ...
- المقصد الأول - في فضل الشام... ٧٢ ...
- المقصد الثاني - في خواصه وعجائبه ... ٧٣ ...
- الطرف الثاني - في حدوده، وأبداً عمارته، وتسميته شاماً؛ وفيه مقصدان ... ٧٥ ...
- المقصد الأول - في حدوده... ٧٥ ...
- المقصد الثاني - في ابتداء عمارته، وتسميته شاماً، وما يلحق بذلك ... ٧٨ ...
- الطرف الثالث - في أنهاره، وبحيراته، وجباله المشهورة، وزروعه
وفواكهه، ورياحينه، ومواشيه، ووحوشه، وطيوره؛
وفيه ستة مقاصد... ٧٩ ...
- المقصد الأول - في ذكر الأنهار العظام بالشام... ٧٩ ...
- المقصد الثاني - في ذكر بحيراته... ٨٣ ...
- المقصد الثالث - في ذكر جباله المشهورة... ٨٥ ...
- المقصد الرابع - في ذكر زروعه وفواكهه ورياحينه ... ٨٦ ...
- المقصد الخامس - في ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره ... ٨٨ ...
- المقصد السادس - في ذكر النفوس من معلوماته ... ٨٨ ...
- الطرف الرابع - في ذكر جهاته وكوره القديعة وقواعده المستقرة وأعمالها؛
وفيه مقصدان ... ٨٨ ...

صفحة

- المقصود الأول — في ذكر جهاته وكوره القديمة ٨٨
- المقصود الثاني — في ذكر قواعده المستقرة وأعمالها ؛ وهي ست قواعد ٩١
- القاعدة الأولى — دمشق ؛ وفيها جملتان ٩١
- الجزء الأول — في حاضرتها ٩١
- الجزء الثاني — في نواحيها وأعمالها وتشتمل على بر وأربع صفحات ٩٧
- الصفحة الأولى — الساحلية والجبلية ؛ ولها جهتان ٩٨
- الجهة الأولى — الساحلية ؛ وهي التي بساحل بحر الروم ٩٨
- الجهة الثانية — الجبلية ١٠٠
- الصفحة الثانية — القبلية ١٠٣
- الصفحة الثالثة — الشمالية ١٠٨
- الصفحة الرابعة — الشرقية ؛ وهي على ضريين ١١٢
- الضرب الأول — ما هو داخل في حدود الشام ١١٢
- الضرب الثاني — ما هو من بلاد الجزيرة ١١٥
- القاعدة الثانية — حلب ؛ وفيها جملتان ١١٦
- الجزء الأول — في حاضرتها ١١٦
- الجزء الثاني — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي على ثلاثة أقسام ١١٨
- القسم الأول — ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ١١٩
- القسم الثاني — البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها من الشمال ؛
وهي المعروفة ببلاد الأرمن ؛ وهو على ضريين ١٣٠
- الضرب الأول — الأعمال الجبلية ؛ وهي ساحلية وجبلية ١٣١
- الضرب الثاني — الأعمال الصغار ١٣٥

صفحة

- القسم الثالث - البلاد المجاورة للفرات من شرقيه ... ١٣٧
- القاعدة الثالثة - من قواعد المملكة الشامية حماة؛ وفيها جملتان ... ١٣٩
- الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٣٩
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها... ١٤١
- القاعدة الرابعة - من قواعد المملكة الشامية أطرابلس؛ وفيها جملتان... ١٤٢
- الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٤٢
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها؛ وهي على قسمين... ١٤٤
- القسم الأول - الأعمال الكبار؛ وهي على ضربين... ١٤٤
- الغرب الأول - مضافاتها نفسها ... ١٤٤
- الغرب الثاني - قلاع الدعوة... ١٤٦
- القسم الثاني - الأعمال الصغار ... ١٤٧
- القاعدة الخامسة - من قواعد المملكة الشامية صفد؛ وفيها جملتان ... ١٤٩
- الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٤٩
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها ... ١٥٠
- القاعدة السادسة - من قواعد المملكة الشامية الكرك؛ وفيها جملتان ... ١٥٥
- الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٥٥
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها... ١٥٦
- الطرف الثاني - من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية فيمن
- ملك البلاد الشامية؛ وملوكها على قسمين ... ١٥٨
- القسم الأول - ملوكها قبل الإسلام؛ وهم على أربع (خمسة) طبقات ... ١٥٨
- الطبقة الأولى - ملوكها من الكنعانيين... ١٥٨

صف	
٥٩ ...	الطبقة الثانية — ملوكها من بني إسرائيل
٦١ ...	الطبقة الثالثة — ملوكها من الفرس
٦١ ...	الطبقة الرابعة — ملوكها من اليونان
٦١ ...	الطبقة الخامسة — ملوكها من الروم
١٦٢ ...	القسم الثاني — من ملوك الشام ملوكه في الإسلام، وهم على ضربين ...
	الضرب الأول — عمال الصعابة فمن بعدهم من نواب الخلفاء الى حين
١٦٢ ...	استيلاء الملوك عليها
١٦٣ ...	الضرب الثاني — من وليها ملكا
	الطرف الثالث — من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية
١٨٠ ...	في ذكر أحوال المملكة الشامية؛ وفيه مقصدان ...
١٨٠ ...	المقصد الأول — في ترتيب نياباتها
١٨٠ ...	النيابة الأولى — نيابة دمشق؛ وفيها جملتان (ثلاث جمل)
١٨٠ ...	الجملة الأولى — في ذكر أحوالها
١٨٣ ...	الجملة الثانية — في ترتيب مملكتها؛ وهو ضريان
١٨٣ ...	الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها
	الضرب الثاني — في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تباين
١٨٤ ...	مراتبهم؛ والوظائف على خمسة أصناف ...
١٨٤ ...	الصف الأول — وظائف أرباب السيوف
١٨٨ ...	الصف الثاني — الوظائف الديوانية
١٩٢ ...	الصف الثالث — الوظائف الدينية
١٩٤ ...	الصف الرابع — وظائف أرباب الصناعات

صفحة

الصف الخامس — وظائف زعماء أهل الذمة بها ١٩٤

الجلد الثالثة — في ترتيب النيابة بها ١٩٤

المفصل الثاني — في ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو

على ضريين ١٩٧

العرب الأول — ماهو خارج عن حاضرتها من الولايات والولايات ... ١٩٧

العرب الثاني — من الخارج عن حاضرة دمشق العربان، والإمرة بها

في بطون من العرب ٢٠٣

البن الأول — آل ربعة من طي من كهلان من القحطانية ... ٢٠٣

البن الثانية — حرم ٢١١

البن الثالثة — ثعلبة ٢١٢

البن الرابعة — بنو مهدي ٢١٢

البن الخامسة — زبيدة ٢١٣

النيابة الثانية — من نيابات السلطنة بالممالك الشامية نيابة حلب ؛

وفيها جملتان ٢١٥

الجلد الأول — في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها ٢١٥

الجلد الثانية — في ترتيب مملكتها، وهي على ضريين ٢١٦

الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها ؛ ووظائفها على أربعة

(ثلاثة) أصناف ٢١٦

الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ٢١٧

الصف الثاني — الوظائف الدينية ٢٢١

الصف الثالث — وظائف أرباب الصناعات ٢٢٢

صفحة

- الجملة الثانية — (الثالثة) في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛
 وهو ثلاثة أنواع (نونان) ٢٢٦
- النوع الأول — ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهم
 ثلاثة أصناف ٢٢٦
- الصف الأول — النواب ؛ وهم على ضربين ٢٢٦
- الضرب الأول — ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ... ٢٢٦
- الضرب الثاني — النيابات المتفرجة عن حدود البلاد الشامية ؛
 وهي على قسمين ٢٢٨
- القسم الأول — بلاد الثغور والعواصم وما والاها ... ٢٢٨
- القسم الثاني — ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات ... ٢٢٩
- الصف الثاني — من أرباب السيوف بخارج حلب الولاية ... ٢٣٠
- النوع الثاني — مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ... ٢٣١
- النيابة الثالثة — نيابة أطرابلس ، وفيها جملتان ٢٣٣
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٣
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ؛ وهو على ضربين ... ٢٣٣
- الضرب الأول — النواب ؛ وهم على قسمين ٢٣٥
- القسم الأول — النيابات بمضافات نفس أطرابلس ... ٢٣٥
- القسم الثاني — نيابات قلاع الدعوة ٢٣٥
- الضرب الثاني — الولاية ٢٣٦
- النيابة الرابعة — نيابة حماه ؛ وفيها جملتان ٢٣٦
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٦
- الجملة الثانية — في ترتيب نيابتها ؛ وهي على ضربين ... ٢٣٧

صفحة	
الضرب الأول — ما بمحاضرتها	٢٣٧
الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرتها	٢٣٩
النيابة الخامسة — نيابة صفد؛ وفيها جملتان	٢٤٠
الجملة الأولى — فيما هو بمحاضرتها	٢٤٠
الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها	٢٤٠
النيابة السادسة — نيابة الكرك؛ وفيها جملتان	٢٤١
الجملة الأولى — فيما هو بمحاضرتها	٢٤١
الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها؛ وهو على ضربين	٢٤٢
الضرب الأول — الولايات	٢٤٢
الضرب الثاني — العرب	٢٤٢
الفصل الثالث — من الباب الثالث من المقالة الثانية في المملكة الحجازية؛	
وفيه سبعة أطراف	٢٤٣
الطرف الأول — في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه	٢٤٣
الطرف الثاني — في ذكر حدوده، وأبتهاء عمارته، وتسميته حجازا	٢٤٤
الطرف الثالث — في أبتهاء عمارته وتسميته حجازا	٢٤٥
الطرف الرابع — في ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة	٢٤٦
الطرف الخامس — في زروعه وقواكه ورياحيته ومواشيه ووحوشه وطيوره	٢٤٧
الطرف السادس — في قواعده وأعماله؛ وفيه ثلاث قواعد	٢٤٨
القاعدة الأولى — مكة المشرفة؛ وفيها جملتان	٢٤٨
الجملة الأولى — في حاضرتها	٢٤٨
الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها؛ وهي على ضربين	٢٥٥

صفحة

- الضرب الأول — الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة ... ٢٥٥
- الضرب الثاني — قراها ومخالفها ... ٢٥٧
- الطرف السابع — في ذكر ملوك مكة؛ وهم على ضربين ... ٢٦١
- الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام ... ٢٦١
- الضرب الثاني — ملوكها في الإسلام؛ وهم على طبقات ... ٢٦٥
- الطبقة الثالثة — (مكنذا) عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ... ٢٦٥
- الطبقة الرابعة — عمال بني أمية ... ٢٦٥
- الطبقة الخامسة — عمال بني العباس ... ٢٦٦
- الطبقة السادسة — السليمانيون من بني الحسن ... ٢٦٧
- الطبقة السابعة — الهواشم ... ٢٧٠
- الطبقة الثامنة — بنو قتادة ... ٢٧٥
- الطرف السابع — (الثامن) في ترتيب مكة المشرفة؛ وفيه جملتان ... ٢٧٥
- الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها ... ٢٧٥
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ... ٢٨٤
- القاعدة الثانية — المدينة الشريفة النبوية؛ وفيها ثلاث جمل (أربع) ... ٢٨٥
- الجملة الأولى — في حاضرتها ... ٢٨٥
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها؛ وهي على ضربين ... ٢٨٩
- الضرب الأول — حماها ومراقفها ... ٢٨٩
- الضرب الثاني — في مخالفها وقراها ... ٢٩٠
- الجملة الثالثة — في ذكر ملوك المدينة وأصرائها؛ وهم على ضربين ... ٢٩٣

صفحة

العرب الأول — من قبل الإسلام ، وهم ثلاث طبقات ... ٢٩٣

الضعة الأول — التبابعة ... ٢٩٣

الطبقة الثانية — العاقلة من ملوك الشام ... ٢٩٣

الطبقة الثالثة — ملوكها من بني اسرائيل ، ومن انضم اليهم من

الأوس والخزرج ... ٢٩٤

العرب الثاني — من في زمن الإسلام ، وهم أربع طبقات ... ٢٩٥

الطبقة الأول — من كان بها في صدر الإسلام ... ٢٩٥

الطبقة الثانية — عمال الخلفاء من بني أمية ... ٢٩٥

الطبقة الثالثة — عمالها في زمن خلفاء بني العباس ... ٢٩٧

الطبقة الرابعة — أمراء الأشراف من بني حسين ... ٢٩٨

الجملة الثالثة — (الرابعة) في ترتيب المدينة المنورة ... ٣٠٢

'الباب الرابع — من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة

الديار المصرية ، وفيه أربعة فصول ... ٣٠٥

الفصل الأول — في الممالك والبلدان الشرقية عنها ، وما يخروط في سلكها

من شمال أو جنوب ، وفيه أربعة مقاصد ... ٣٠٥

المقصد الأول — في المسالك الصائرة إلى بيت جنكرخان ، وفيه جملتان ... ٣٠٥

الجملة الأول — في التعريف باسم جنكرخان ومبصر الملك اليه ... ٣٠٥

الجملة الثانية — في عقيدة جنكرخان وأتباعه في الديانة إلى أن أسلم من

أسلم منهم ... ٣١٠

— (لهذه المقصد الثاني) في ذكر ممالك بني جنكرخان على

التفصيل ، وهي مملكتان ... ٣١٣

صفحه

المملكة الأولى — مملكة إيران ولها جانبان : جنوبي وشمالى ... ٣١٣

الجانب الأول — الجنوبي، ويشتمل على ستة أقاليم ... ٣١٤

الإقليم الأول — الجزيرة الفراتية ... ٣١٤

الإقليم الثانى — العراق، وله قواعد ومدن ... ٣٢٧

القاعدة الأولى — بابل ... ٣٢٨

لقاعدة الثانية — المدائن ... ٣٢٩

القاعدة الثالثة — بغداد ... ٣٣٠

القاعدة الرابعة — سر من رأى ... ٣٣٢

الإقليم الثالث — خوزستان والأهواز ... ٣٣٨

الإقليم الرابع — فارس ... ٣٤٣

الإقليم الخامس — كرمان ... ٣٤٨

الإقليم السادس — سجستان والرخج ... ٣٥٠

الجانب الثانى — من مملكة إيران — الشمال، ويشتمل على عدة أقاليم ... ٣٥٢

الإقليم الأول — أرمينية ... ٣٥٣

الإقليم الثانى — أذربيجان، وبها ثلاث قواعد ... ٣٥٦

القاعدة الأولى — أوردبيل ... ٣٥٦

القاعدة الثانية — تبريز ... ٣٥٧

القاعدة الثالثة — السلطانية، وأسمها قنغرلان ... ٣٥٨

الإقليم الثالث — أذربان، ولها قاعدتان ... ٣٦٠

القاعدة الأولى — بردعة ... ٣٦١

٣٦١	القاعدة الثانية — تفليس
٣٦٥	الإقليم الرابع — بلاد الجبل
٣٧٩	الإقليم الخامس — بلاد الديلم
٣٨٠	الإقليم السادس — الجبل ٤ وفيه قواعد
٣٨٢	القاعدة الأولى — بومن
٣٨٢	القاعدة الثانية — تلم
٣٨٣	القاعدة الثالثة — كسكر
٣٨٤	الإقليم السابع — طبرستان
٣٨٦	الإقليم الثامن — مازندران
٣٨٨	الإقليم التاسع — قومس
٣٨٩	الإقليم العاشر — خراسان
٣٩٦	الإقليم الحادي عشر — زابلستان
٣٩٨	الإقليم الثاني عشر — الغور
٣٩٩	الجملة الثالثة — في الأتجار المشهورة
٤٠٢	الجملة الرابعة — في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة
٤٠٥	الجملة الخامسة — في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة
	الجملة السادسة — فيما بهذه المملكة من النفاس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر، والمنتزهات المرتفعة
٤٠٨	الصيت
	الجملة السابعة — في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاماء
٤١١	وهم على ضربين

صفحة

الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام؛ وهم على أربع طبقات ٤١١

الطبقة الأولى — القيشداذية ٤١١

الطبقة الثانية بن الكيانية ٤١٢

الطبقة الثالثة — الاشغانية ٤١٣

الطبقة الرابعة — الأكاسرة ٤١٤

الضرب الثاني — ملوكها بعد الإسلام؛ وهم على ثلاث طبقات ٤١٦

الطبقة الأولى — عمال الخلفاء ٤١٦

الطبقة الثانية — خلفاء بني العباس ٤١٧

الطبقة الثالثة — ملوكها من بني جنكركان ٤١٩

الجملة الثامنة — في معاملاتها وأسعارها ٤٢٢

الجملة التاسعة — في ترتيب هذه المملكة؛ على ما كانت عليه، في زمن

بني هولاكو ٤٢٣

الجملة العاشرة — فيما لأرباب المناصب والجند، من الرزق على

السلطان ٤٢٥

الجملة الحادية عشرة — في ترتيب أمور السلطان، بهذه المملكة ٤٢٦

الجملة الثانية عشرة — فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة ٤٢٨

المملكة الثانية — مما بيد بني جنكركان، مملكة توران؛ وفيها سبع جمل ٤٢٩

الجملة الأولى — في ذكر حدودها وطولها؛ وعرضها وموقعها من الأقاليم

السبعة ٤٣٠

الجملة الثانية — فيما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية؛ وهي

سبعة ٤٣١

صفحة	
الإقليم الأول — ماوراء النهر	٤٣١
الإقليم الثاني — تركستان	٤٣٩
الإقليم الثالث — طخارستان	٤٤٢
الإقليم الرابع — بدخشان	٤٤٣
الجملة الثالثة — في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها	٤٤٤
الجملة الرابعة — في عظام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة توران	٤٤٤
الجملة الخامسة — في معاملاتها وأسعارها	٤٤٥
الجملة السادسة — في من ملك هذا القسم من مملكة توران، وملوكها في الإسلام على طريقتين	٤٤٥
الطبقة الأولى — ماهو عقيب الفتح	٤٤٦
الطبقة الثانية — ملوكها من بني جنكركخان	٤٤٩
الجملة السابعة — في ترتيب هذه المملكة، وحال عساكرها	٤٥٠
القسم الثاني — من مملكة توران خوارزم والقيجاق، وفيه ثمان جمل	٤٥١
الجملة الأولى — في ذكر حدود هذه المملكة ومساقطها	٤٥٢
الجملة الثانية — فيما اشتملت عليه من الأقاليم	٤٥٣
الجملة الثالثة — في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة	٤٦٧
الجملة الرابعة — في الطرق الموصلة الى هذه المملكة	٤٦٩
الجملة الخامسة — في الموجود بها	٤٧٠
الجملة السادسة — في المعاملات والأسعار بها	٤٧٠

صفحة

الجملة السابعة — في ذكر ملوك هذه المملكة...	٤٧١
الجملة الثامنة — في مقدار عسكر هذه المملكة	٤٧٥
القسم الثالث — من مملكة توران مملكة القان الكبير؛ وفيها خمس	
(ست) جمل	٤٧٧
الجملة الأولى — فيها اشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم	٤٧٨
الإقليم الأول — الصين...	٤٧٩
الإقليم الثاني — بلاد الخطا...	٤٨٣
الجملة الثانية — في معاملة هذه المملكة وأسعارها	٤٨٤
الجملة الثالثة — في الطريق الموصول إلى هذه المملكة	٤٨٤
الجملة الرابعة — في ذكر ملوكها	٤٨٥
الجملة الخامسة — في عسكره	٤٨٦
الجملة السادسة — في ترتيب هذه المملكة...	٤٨٦

(تم فهرست الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى)

وليه الجزء الخامس

وأوله المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحالة الثالثة

من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة
(من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا)

وأعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها في الديار المصرية ، خالفتها في كثير من ترتيب المملكة ، وغيّرت غالب معالمها ، وجرّت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكي بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه ؛ وكان من شأنهم أنهم يلبسون الكلوات الصفر على رؤوسهم مكشوفةً بغير عمام ، وذوائب شعورهم مُرخاةً تحتها سواء في ذلك أماليك والأمراء وغيرهم . حتى يحكى عن الملك المعظم عيسى بن البادل أبي بكر صاحب دِمَشَق في أطراح التكلف : أنه كان يلبس الكلوية الصفراء بلا شاش ، ويضترق الأسواق من غير أن يُطَرَّق بين يديه كغيره من الملوك ، وكان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي حين ملك الموصل بعد أبيه أحدث حمل السِّنَجق على رأسه ، فتبعه الملوك على ذلك ؛ وألزم الأجناد أن يشتوا السيوف في أوساطهم ، ويعملوا الدبابيس تحت رُكبتهم عند الركوب كما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه .

فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الديار المصرية ، جرى على هذا المنهج أو ما قاربته ، وجاءت الدولة التركية ، وقد تنقعت المملكة وترتبت ، فأخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتنضيد الملك وقيام أبيته ، وهلت عن كل مملكة أحسن ما فيها ، فسلكت سبيله وتنجت على منواله حتى نهضت وترتبت أحسن ترتيب ، وفاقت سائر الممالك ، وفخر ملكها على سائر الملوك . ولم يزل السلطان والجند يلبسون الكلوة الصفراء بغير عمامة إلى أن ولي السلطان " الملك الأشرف خليل " بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنة ، فأحدث الشاش عليها بلحات في نهاية من الحسن ، وصاروا يلبسونها فوق الدواب الشعر المخراة على ما كان عليه الأمر أولا إلى أن حج السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سلطته الثالثة ، فخلق رأسه وخلق الناس رؤوسهم ، وأستدماوا خلق رؤوسهم وتركوا ذواشب الشعر إلى الآن .

ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد .

المقصود الأول

(في ذكر رسوم الملك وآلاته ، وهو أنواع كثيرة ، بعضها عام في الملوك ، أو أكثرهم ، وبعضها خاص بهذه المملكة)

منها - (سرير الملك) ويقال له تحت الملك . وهو من الأمور العامة للملوك ، وقد تقدم أن أول من اتخذ مرتبة للجلوس عليها في الإسلام معاوية رضي الله عنه حين بدن ، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في الإسلام في ذلك حتى اتخذوا الأسرة ، وكانت أسرة خلفاء بني العباس يبلغ طولها نحو سبعة أذرع . وهو في هذه المملكة منبر من رخام يصعد إخوان السلطان الذي يجلس فيه ، وهو على هيئة منابر

الجامع إلا أنه مستند إلى الحائط ، وهذا المنبر يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رُسُل عليه ونحو ذلك ، وفي سائر الأيام يجلس على كرسى من خشب مغشى بالحرير ، إذا أرحى رجله كاد أن تلحق الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس .

ومنها - (المقصورة) للصلاة في الجامع . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الخلافة أن أول من اتخذها في الإسلام معاوية ، وقد صارت سنة الملوك الإسلام بعد ذلك تميزا للسلطان عن غيره من الرعية ، وهي في هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر متخذة من شبّاك حديد بحكمة الصنعة ، يصلّي فيها السلطان ومن معه من أخصاء خاصيته يوم الجمعة .

ومنها - (هش اسم السلطان) على ما يتّسج ويترقم من الكسوة والطرّ المتخذة من الحرير أو الذهب بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصير الثياب والطرّ السلطانية مميزة عن غيرها ، تنويها بقدر لا يسها : من السلطان أو من بشرقه بلبسها عند ولاية وظيفة أو إنعام أو غير ذلك . ولذلك دار مفردة بعمله بالإسكندرية تعرف بدار الطراز ، وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين : بنى أمية وبنى العباس حين كانت الخلافة قائمة .

ومنها - (الناشية) . وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يتألف الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه عند الركوب في المراكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركاب دارية ، واقفا لها على يديه يلتفتا يمينا وشمالا ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (المظلة) . وبعبّر عنها بالحقير (بجيم مكسورة) ، قد تبدل شيئا معجما ، وتاء منثاة فوقه ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة

مَطْلِيَّةٌ بالذهب ، تحمل على رأسه في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية ، وقد تقدم الكلام عليها مبسوطا في الكلام على ترتيب مملكتهم .

ومنها - (الرَّقِبة) . وهي رقبة من أطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الأطلس لتراكم الذهب عليها ، تجعل على رقبة الفرس في العيدين والميادين من تحت أذنى الفرس إلى نهاية عنقه ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الجففة) . وهما آستان من أوشاقية اصطبله قريبان في السن ، عليهما قباءان أصفران من حرير بطراز من زركش ، وعلى رأسيهما قُبَعَتَانِ من زركش ، وتحتهما فرسان أشبهان بريقيتين ومُدَّة ، نظير ما للسلطان راكب به كأنهما معدان لأن يركبهما ، يركبان أمامه في أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك ، وهما من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الأعلام) . وهي عدة رايات ، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب ، عليها ألقاب السلطان وأسمه ، وتسمى المصابة ، وراية عظيمة في رأسها خُصْلَةٌ من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صُفْرٌ صغير تسمى السُناجق .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : وأول من حَمَلَ السُجْقِ على رأسه من الملوك في ركوبه غازي بن زنكي ، وهو أخو السلطان نور الدين محمود ابن زنكي صاحب الشام .

ومنها - (الطبلخاناه) . وهي طبول متعددة معها أبواق وزمر^(١) تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ، تَبْدُؤُ في كل ليلة بالقلمة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب ، وهي من الآلات العائمة لجميع الملوك . ويقال إن الإسكندر

(١) له وزمارات .

كان معه أربعون رجلاً طلبخانا، وقد كتب أرسطو في "كتاب السياسة" الذي كتبه للإسكندر أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب. والذي ذهب إليه بعض المحققين أن السر في ذلك أن في أصواتها تهيجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تفعل الإبل بالجداء ونحو ذلك.

ومنها - (الكوسات) . وهي صنوجات من نحاس شبه الثرس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ومع ذلك طبول وشبابة، يدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة، ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة، ومرة قبل التسبيح على الموادن^(١)، وتسمى الدّورة بذلك في القلعة، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه.

ومنها - (الخيام والقساطيط) في الأسفار. ولهذا السلطان من ذلك المدد الكبير، فخذ له الخيام العظيمة الشأن المختلفة المقادير والصنعة من القطن الشامي المثلث بالأبيض والأحمر والأزرق وغيرها، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يدهش بحسنه العقول: لينوب مناب قصورهم في الإقامة، وسيأتي ذكر أمور أخرى من آلات الملك سوى ما تقدم منفردة في أماكنها إن شاء الله تعالى.

المقصود الثاني

(في خواصل السلطان، وهي على أربعة أنواع)^(٢)

النوع الأول

(الخواصل المعبر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناء كالطشت خاناء، والشراب خاناء

(١) صوابه المآذن وكثيراً ما يجارى لغة العامة.

(٢) يظهر أن هذا التوزيع من الناحية فإنه في الضوء لم يذكر التوزيع وإنما قسم الخواصل إلى البيوت الثمانية فقط ثم أتبعها بالمقصود الثالث.

ونحوهما ، وخانه لفظ فارسيّ معناه البيت ، والمعنى بيت كذا إلا أنهم يؤخرون
المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك ، وهي ثمانية بيوت .

الأول - (الشَّرَابْ خَانَاه) . ومعناها بيت الشراب ، وتشتمل على أنواع الأُشربة
المُرَصَّدة لخاصّ السلطان ، والمشروب الخاص من السكر والأقشيا وغير ذلك ، وفيها
يكون السكر المخصوص بالمشروب ، وبها الأواني النفيسة من الصّينيّ الفاخر من
الآلَازُورْدِي وغيره مما تساوى السُّكَّرُجَّة الواحدة اللطيفة منه ألف درهم فاحوله .
ووظيفة الشاذ بها تكون لأمر من أكابر أمراء المئين الخاصكية المؤمنين ، وطا
يمتاز يعرف بمهتار الشراب خاناه متسلّم لحواصلها ، له مكانة عليّة ، وتحت يده غلمان
عنده برسم الخدمة ، يُطلق على كل منهم شراب دار ، وسيأتي في الكلام على الألقاب
في المقالة الثالثة معنى الإضافة إلى الدار في ذلك ونحوه .

الثاني - (الطَّشْتْ خَانَاه) . ومعناه بيت الطشت ، سميت بذلك لأنّ فيها يكون
الطَّشْت الذي تفعل فيه الأيدي والطَّشْت الذي يُفعل فيه القماش ، وقد غلب
عليهم استعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء ، وصوابه بالسين المهملة مع
فتح الطاء ، وأصله طُسْ بسين مشددة فأبدلت من إحدى السينين تاء للاستتقال .
فإذا جمّع أو صُغِّر ، ردت السين إلى أصلها ، فيقال في الجمع طَسَّاسٌ و « طُسُوس » ،
وفي التصغير طُسَيْس . قال الجوهري : ويقال فيه أيضا طَسَّة ، ويجمع على طَسَّات ،
والناس الآن يقولون طاساة ويجمعونه على طاسات ، ويعملون الطَّشْت أسماء لنوع
خاص ، والطاساة أسماء لنوع خاص .

وفي الطَّشْتْ خَانَاه يكون ما يلبسه السلطان من الكلوة والأقيية وسائر الثياب
والسيف والخفّ والسرْموزة وغير ذلك .

وفيه يكون ما يجلس عليه السلطان من المقاعد والمخاض والسجادات التي يصلي عليها وما شاكل ذلك، ولها أيضاً مهتارٌ من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطشت خاناه، وتحت يديه عدة غلمان بعضهم يعرفون بالطشت دارية، وبعضهم يعرف بالرخوانية. وله التحدث في تفرقة اللحم على المالك السلطانية من الخوانج خاناه وإقامة قباض اللحم، ويطلق على كل من غلمان الطشت خاناه وقباض اللحم باباً، وهي لفظة رومية بمعنى الأب، أطلقوها على مهتار الطشت خاناه تعظيماً له، ثم غلبت على من عداه، ولعلسانها دُرْبَةٌ بترتيب الأحوال التي تحمل على ظهور البغال للزينة في المواكب العظيمة ونحوها، يأتون فيها من بدیع الصنعة والتعاليق الغريبة بكل عجيب، وهم يتباهون بذلك، ويسامى بعضهم بعضاً فيه.

الثالث - (الفراش خاناه). ومعناها بيت الفراش، وتشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام؛ ولها مهتار يعرف بمهتار الفراش خاناه، وتحت يده جماعة من الغلمان مستكثرون مرصدون للخدمة فيها في السفر والحضر يعبر عنهم بالفراشين، وهم من أمهر الغلمان وأنهمهم، ولهم دُرْبَةٌ عظيمة في نصب الخيام حتى إن الواحد منهم ربما أقام الخيمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له في ذلك، ولهم معرفة تامة بشدة الأحوال التي تحمل في المواكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحو خمسة عشرة ذراعاً.

الرابع - (السلاح خاناه). ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزرد خاناه ومعناها بيت الزرد لما فيها من الدروع الزرد؛ وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف، والقصبي العربية، والنشاب، والرماح، والدروع المتخذة من الزرد الماتع، والفرقات المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباغ الأحمر والأصفر. وغير ذلك

من الأطبار وسائر أنواع السلاح ، ويقطع بها قسي الرجل والركاب لعدم معاناتها بالديار المصرية ، وإنما تكثر بالثغور كالإسكندرية وغيرها ، وفي كل سنة يعمل إليها ما يعمل بخزان السلاح من الأسلحة ، يعمل على رؤوس الحمالين ويؤف إلى القلعة ويكون يوما مشهودا ، وفي هذه السلاح خاناه من الصنائع المقيمين بها لإصلاح العدد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ، ويسمى صانع ذلك الزردكاش ، وهي لفظة عجمية وكان معناها صانع الزرد ، ولما غلبان أخرى وفراشون بسبب خدمة القماش وأتقاده .

الخامس - (الركاب خاناه) . ومعناها بيت الركاب ، وتشتمل على عدد الخيل من السروج ، والجم ، والكنايش ، وعصى المراكيب ، والعصى الإصطليات ، والأجلال ، والمخالي وغير ذلك من الأصناف التي يطول ذكرها ، وفيها من السروج المغشاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنايش المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش ، وغير المزهرة ، والعصى المتخذة من الحرير ووصوف السبك ، وغير ذلك من نفائس العدد والمراكيب ما يحير العقول ويذهش البصر ، مما لا يقدر على مثله إلا عظماء الملوك . ولما مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الركاب خاناه ، وتحت يده رجال لمعاذته على ذلك .

السادس - (الخواجه خاناه) . ومعناها بيت الخواجه ، وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، وإنما لها جهة تحت يد الوزير منها يصرف الخدم الراتب للطبخ السلطاني والدور السلطانية ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند والمتعممين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ

(١) لم نشر على حيوان بهذا الاسم ولعله مصنف عن السند .

أسمائهم الدفاتر، وكذلك تَوَابِلُ الطعام للطبخ السلطاني والدور السلطانية، ومن له تَوَابِلُ مرتبة من الأمراء وغيرهم، والزيت للوقود، والحبوب، وغير ذلك من الأصناف المتعددة، ولها مباشرون منفردون بها يضيئون أسماء أرباب المستحقات ومقادير استحقاقهم، وهي من أوسع جهات الصرف حتى إن ثمن اللحم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل يوم خارجا عما عداه من الأصناف، وربما زاد على ذلك.

السابع - (المطبخ). وهو الذي يُطَبِّخ فيه طعام السلطان الراتب في الغداء والعشاء والطائري في الليل والنهار والأسمطة التي تمتد بالإيوان الكبير بدار الصندل في أيام المواسم، ويحمل إليه اللحم والتوابل وسائر الأصناف من الحواشيخ فانه المنقّمة الذكر بقدر معلوم مرتب، يُستهلك فيه في كل يوم قناطير مقلّطة من اللحم والدجاج والإوز والأطعمة الفاخرة، وله أمير من الأمراء يحكم عليه يسمى أستاذ الصلحة وتحت يده آثر يعبر عنه بالمشرف، وله طبّاخ كبير معتبر يعبر عنه بأسباسلار.

الثامن - (الطبخانة). ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمر علم، يقف عليها عند ضربها في كل ليلة، ويتولى أمرها في السّفر، ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبخانة، وله رجال تحت يده ما بين دبندار: وهو الذي يضرب على الطبل، ومُنْفَر وهو الذي يضرب بالبوق، وكُورِي، وهو الذي يصرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصنّاع.

المقصود الثالث

(في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب الذين بهم انتظام المملكة
وقيام الملك ، وهم على أربعة أصرب)

الضرب الأول

(أرباب السيوف ، والنظر فيهم من وجهين)

الوجه الأول

(مراتبهم على سبيل الإجمال ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(الأمراء ، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى - أمراء المئين مقدمو الألوف ، وعدة كل منهم مائة فارس .
قال في " مسالك الأبصار " : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ؛
وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هي أعلى مراتب
الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والتواب .
ثم الذي كان يستقر عليه قاعدة المملكة في الروك الناصري محمد بن قلاوون ،
وما بعده إلى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، أن يكون بالديار المصرية أربعة
وعشرون مقدما ، ولما استجدة في المولة الظاهرية الديوان المفرد لخاص السلطان
وأفرد له عدة كثيرة من المسالك السلطانية والمستخدمين ، قصت عدة المقدمين
عما كانت عليه ، وصارت دائرة بين الثمانية عشر والعشرين مقدما بما في ذلك من
نائب الإسكندرية ونائحي الوجهين : القبلي والبحري .

الطبقة الثانية - أمراء الطبلخانة ، وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارسا . قال في "مسالك الأبصار" : وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارسا ، بل ذكر في "التعريف" في أواخر المكاتبات أنه يكون للواحد منهم ثمانون فارسا . قال في "مسالك الأبصار" : ولا تكون الطبلخانة لأقل من أربعين ، وهذه الطبقة لاضباط لعدة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فرقت إمرة الطبلخانة بفعلت إمرة عشرين أو أربع عشرات ، أوضم بعض عشرات ونحوها إلى بعض وجعلت طبلخانة ، ومن أمراء الطبلخانة تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال ، وأكابر الولاة .

الطبقة الثالثة - أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فارس . قال في "مسالك الأبصار" : وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يبعد إلا في أمراء العشرات ، وهذه الطبقة أيضا لاضباط لعدد أمرائها بل تزيد وتنقص كما تقدم في الكلام على أمراء الطبلخانة ، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف .

الطبقة الرابعة - أمراء الخيالات . وهم أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية ، وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم ، وهم في الحقيقة أكابر الأجناد .

النوع الثاني

(الأجناد ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى - المماليك السلطانية . وهم أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعهم قدرا ، وأشدهم إلى السلطان قربا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تفرع الأمراء رتبة بعد رتبة ،

وهم في العدة بحسب ما يؤثّرهُ السلطان من الكثرة والقلة ، وقد كان لهم في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم في أيام السلطان الملك الظاهر بريق العَدَد الجَمُّ والمُدَدُ الوافر لطول مُدَّة ملكهما وأعتائهما يجلب الممالك ومشتراها .

الطبقة الثانية - أجناد الحَلَقَة . وهم عدد جَمٍّ وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم ، بواسطة النزول عن الإقطاعات ، وقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كي لا يُحاط بعتته ويطلع إليه . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل أربعين نفساً منهم مقدّم منهم ، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت موافقهم معه ، وترتيبهم في موقفهم إليه . ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهايز السلطان في السفر كالحرس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب .

الوجه الثاني

(في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم ذكرهم ؛ وهم على نوعين)

النوع الأول

(من هو بمحضرة السلطان ، وهي خمسة وعشرون وظيفة)

الأول - النيابة . ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل المالك الإسلامية . قال في "التعريف" : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير ، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ؛ وسائر التواقيع لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بمخاصة نيابته . قال : وهذه رتبة

لا ينفى ما فيها من التمييز . قال في "مسالك الأبصار" : وجميع نواب المسالك
تكتبه فيما تكتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يُراجع السلطان ، ويستخدم الجند
من غير مشاورة السلطان ، ويعين أرباب الوظائف الجلبلة كالوزارة وكتابة السر ،
وقل أن لا يجاب فيمن يُعينه ؛ وهو سلطانٌ مختصر بل هو السلطان الثاني . وعادته
أن يركب بالسكر في أيام المراكب وينزل الجميع في خدمته . فإذا مثل في حضرة
السلطان ، وقف في ركن الإيوان . فإذا انقضت الخدمة ، خرج إلى دار النيابة بالقلعة
والأمراء معه ويجلس جلوسا عاما للناس ، ويحضره أرباب الوظائف ، ويقف قدامه
الجباب ، وتقرأ عليه القصص ، ثم يمد السباط للأمراء كما يمد لهم السلطان فيأكلون
وينصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصورة ، لم يكن السلطان يتصدى
لقراءة القصص ، وسماع الشكاوى بنفسه ، ويأمر في ذلك بما يرى من كتابة مثال
ونحوه ، ولكنه لا يستبد بما يكتب من الأبواب السلطانية بنفسه بل يكتب بإشارته
وينبه على ذلك ، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك .

أما ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمة إلا عنده ولا اجتماع إلا به . ولا اجتماع
لهم بالسلطان في أمر من الأمور ، وما كان من الأمور المعضلة التي لا بد من إحاطة
علم السلطان بها فإنه يعلمها بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه . هذا آخر كلامه
في "المسالك" ، غير أن هذا النائب تارة يتصّب وتارة يعطّل جيد المملكة منه ؛ وعلى
هذا كان الحال في الأيام الناصرية أين قلاوون تارة وتارة وكذا الحال في زماننا .
وإذا كان متصبّا ، اختصّ بإخراج بعض الإقطاعات دون بعض ، ويكون صاحب
ديوان الجيش هو الملازم له وناظر الجيش ملازم السلطان .

قال في "التعريف" : أما نائب القيسية : وهو الذي يترك إذا غاب السلطان^(١)

(١) كذا في الضوء أيضا ومراده يترك رشاقته في الحكم .

والنائب الكافل، وليس إلا لإيجاد التوازن وخلّص الحقوق، فحكه في رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء .

الثانية - الأتابكية . ويعبر عن صاحبها بآتابك المسافر . قال السلطان عماد الدين في "تاريخه" : وأصله أطابك ومعناه الولد الأمير، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة، ولقبه باللقاب منها هذا، وقيل أطابك معناه أمير ألب، والمراد أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى، وغايته رقعة المهلّ وعلقو المقام .

الثالثة - وظيفة رأس نوبة . وموضوعها الحكم على المهالك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحد مقدّم ألف وثلاثة مبلغاناه .

الرابعة - إمرة مجلس . وموضوعها ^(١) وهو يتحدث على الأطباء والكهّالين، ومن شاكلهم، ولا يكون إلا واحدا .

الخامسة - إمرة سلاح . وأصل موضوعها حمل السلاح للسلطان في المراجع الجامعة، وصاحبها هو المقدم على السلاح دارية من المهالك السلطانية والمتحدث في السلاح خانا السلطانية ، وما يُستعمل لها ويقدم إليها ، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المقدمين ؛

السادسة - إمرة أخورية . وموضوعها التحدث على إصطبل السلطان وخيوله، وعادتها مقدّم ألف يكون متحدثا فيها حديثا عاما، وهو الذي يكون ساكنا

(١) يبايع بالأصل ولقبه وموضوعها تولّى أمور مجلس السلطان .

بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخانة . أما أمراء العشرات والجند، فغير محصورين .

السابعة - النوادرية . قال في "مسالك الأبصار" : وهو وضعها تبليغ الرسائل من السلطان وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة حل من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد، هو وأمير جاندار وكاتب السر، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتوقييع والكتب . وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء مرسوم، حل رسالته وعينت فيما يكتب ، وسأى بيان ذلك فيما يكتب بالرسائل في الكلام على قوانين ديوان الإنشاء إن شاء الله تعالى .

وفي هذه الوظيفة عدة من الأمراء والجند ، وقد كانت في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما تلاها ليس فيها أمير مقدم ألف ، ثم آل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم مقدم ألف ، ونائبه طبلخانة . وأول من استقر في وظيفة النوادرية من الأمراء الألف طغتمر النجمي في الدولة الناصرية حسن ، ثم صار غالب من يليها ألف ، وربما كان طبلخانة أحياناً .

الثامنة - الجوبية . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها أن صاحبها ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم من يعرض ومن يرد، وعرض الجند وما ناسب ذلك، والذي جرت به العادة خمسة محجّاب ، آثنان من مقدمي الألف : وهما حاجب المحجّاب هو المشار إليه من الباب الشريف ، والقائم مقام النائب في كثير من الأمور . وأعلم أن هذا الاسم أول ما حدث في الدولة الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان موضوعها إذ ذاك تحجب السلطان عن العامة، ويُنقَلُ بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في موافقته،

(١) في الكلام سقط ظاهر ولعل الأصل "حاجب المحجّاب ونائبه وحاجب المحجّاب نوايح" تأمل .

ثم تيممهم بنو العبّاس على ذلك . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أنه كان لـلقنـدر سبـمئة حاجب . هذا وكانت الخلافة قد أخذت في الضعف ، وهو خلاف موضوعها الآن ، وفيها بملك المغرب معانٍ أخرى يأتي ذكرها عند الكلام على ممالكها إن شاء الله تعالى .

التاسعة - إمرة جندار . وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان . قال في "مسالك الأبصار" : ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر . قال : وصاحبها كالمتسلم للباب ، وله به البرددارية وطوائف الركابية والخازندارية . وإذا أراد السلطان تعزير أحد أوقته كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة ، وهو المتسلم للزردخانة التي هي أرفع قدرا في الاعتقالات ، ولا تطول مدة المعتقل بها ، بل إنما يعجل بخلية سبيله أو إتلاف نفسه ، وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره ، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران : مقدم ألف ، وطلبخانة ، والمشار إليه هو المقدم .

العاشر - الاستدارية . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخانة والحاشية والغلمان ، وهو الذي يمشي بطلب السلطان ، ويحكم في غلبانه وباب داره ، وإليه أمر الجاشنكيرية ، وإن كان كبيرهم نظيرة في الإمرة من ذوي المئين ، وله حديث مطلق وتعرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك للمالك وغيرهم . وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة : واحد مقدم ألف وثلاثة طلبخانة ، وربما نقصوا عن ذلك .

(١) جمع الكسوة ككاريكته . فما في الأصل جار على اصطلاح العامة .

الحادية عشرة - الجاشنكيرية . وموضوعها التحدث في أمر السباط مع الاستادار على ما تقدمت الإشارة إليه ، ويقف على السباط مع أستاذار الصحة ، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدسين .

الثانية عشرة - الخازندارية . وموضوعها التحدث في نزائن الأموال السلطانية من نقد ونمساك وغير ذلك ، وكانت غادتها طبلخاناه ، ثم استقرت مقدمة ألف ، ويطلبه في حساب ذلك ناظر الخاوص إلا في ذكره .

الثالثة عشرة - شدّ الشراب خاناه . وموضوعها التحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية وما عمل إليها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدما ، وتارة يكون طبلخاناه .

الرابعة عشرة - أستاذارية الصحة . وموضوعها التحدث على المطبخ السلطاني والإشراف على الطعام والمشى أمامه والوقوف على السباط ، والعادة أن يكون صاحبها أمير عشرة .

الخامسة عشرة - مقدمة المالك . وموضوعها التحدث على المالك السلطانية والحكم فيهم ، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام ، والعادة أن تكون إمرة طبلخاناه ، وله نائب أمير عشرة .

السادسة عشرة - زمامية الدور السلطانية . وصاحبها من أكبر الخدام ، وهو المعبر عنه بالزمام ، وعادته أن يكون أمير طبلخاناه .

السابعة عشرة - رقابة الحيوش . قال في "مسالك الأبصار" : وهي موضوعة لتحلية الجند في عرضهم ، ومعه يمشى النقباء . وإذا طلب السلطان أو النائب

أو الحاجب أميرا أو ضيفه، أحضره . قال : وهو كأحد التجّاب الصغار، وله التّطلب بالحراسة في الموكب والسفر .

الثامنة عشرة - المهتدّارية . وموضوعها تلقى الرّسل الواردين وأمراء الرّهبان وغيرهم ممن يرث من أهل المملكة وغيرها .

التاسعة عشرة - شدة الدواوين . وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدثا في استخلاص الأموال ، وما في معنى ذلك ، وعادتها إمرة عشرة .

العشرون - إمرة طبر . وموضوعها أن يكون صاحبها حاملا الطبر في المواكب ، ويحكم على من دونه من الطبردارية ، وعادتها إمرة عشرة أيضا .

الحادية والعشرون - إمرة علم . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على الطبعاناه السلطانية وأهلها ، متصرفا في أمرها ، وعادتها إمرة عشرة .

الثانية والعشرون - إمرة شكار . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا في الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها ، وهي إمرة عشرة .

الثالثة والعشرون - حراسة الطير . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على حراسة الطيور من الكراكي التي هي بصد أن يصيدها السلطان في الأماكن التي تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها ، وهي إمرة عشرة .

الرابعة والعشرون - شدة الهائر . وموضوعها أن يكون صاحبها متكلما في الهائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تهديده من القصور والمنازل والأسوار ، وهي إمرة عشرة .

الخامسة والعشرون - الولاية . والولاية بالحااضرة على صنفين .

الصنف الأول

(وَلَاةُ الشَّرْطَةِ، المعروفون في الديار المصرية بولاة الحرب ؛ وهم ثلاثة،
بالقاهرة، والقُسْطَاطُ المعروف بمصر، والقَرَافَة)

فأما وإلى القاهرة، فيحكم في القاهرة وضواحيها، وهو أكبر الثلاثة وأعلام
رتبة، وعادته إمرة طبلخاناه .

وأما وإلى القُسْطَاط، فيحكم في خاصّة مصر على نظير ما يحكم وإلى القاهرة
في بلده، وعادته إمرة عشرة .

وأما وإلى القَرَافَة، فيحكم في القَرَافَة التي هي تَرْبَة هاتين المدينتين بمراجعة وإلى
مصر، وعادته إمرة عشرة . وقد أضيفت الآن القَرَافَة إلى مصر، وصارت ولاية
واحدة وجعلت إمرة طبلخاناه ولكنها لا تبلغ شأوَ القاهرة .

الصنف الثاني

(وَلَاةُ الْقَلْعَةِ، وهم اثْنان)

أحدهما - وإلى القلعة، وهو أمير طبلخاناه، وله التحدث على باب القلعة الكبير
الذي منه طلوع عامة العسكر وزولهم في الفتح والغلق ونحو ذلك .

الثاني - وإلى باب القلعة، وهو أمير عشرة، وله التحدث على الباب المذكور
وأهله كما لو إلى القلعة التحدث على الباب الكبير المتقدم ذكره .

النوع الثاني

(ما هو خارج عن الحضرة السلطانية، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(قُواب السلطنة)

والذي بمصر الآن ثلاث نيايات ، جميعها مستعانة عن قُرب .

الأولى - نيابة الإسكندرية . وهي نيابة جليسة تُضاهي نيابة طرابلس وحماة وصَفَد من المملكة الشامية الآتى ذكرها ، وبها كرسى سلطنة ونجاء سلطانية توضع على الكرسي ، ونائبها من الأمراء المقربين يركب في المواكب بالشَّابَّة السلطانية ، وبمعه أجناد الحلقة المرتبون بها ، ويخرج في موكبه إلى ظاهر الإسكندرية خارج باب البحر، ويجتمع إليه الأمراء المسيرون بها هناك، ثم يعود وهم معه إلى دار النياية، ويمتد السباط السلطاني، ويأكل عليه الأمراء والأجناد، ويحضره القضاة، وتقرأ القصص على عادة النيايات ثم يتصرفون .

وكان ابتداء ترتيب هذه النياية في سنة سبع وستين وسبعمائة في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرَّق العدو المخذول من الفرنج الإسكندرية وقتكوا بأهلها وقتلوا منهم المطلق العظيم ونهبوا الأموال الجمة، وكانت قبل ذلك ولاية تمتد في جملة الولايات، وكان لوالها الرتبة الجليلة والمكانة العلية من أكابر أمراء الطليخاناه .

الثانية - نيابة الوجه القبلى . وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برفوق، وهو في رتبة نيابة الوجه البحرى بل أعظم حُكْمًا منه، ومقر نيايته مدينة أسيوط المتقدم ذكرها ، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلى بأسرها ، وهي في الترتيب على

ما تقدم من نيابة الوجه البحرى ، وكانت قبل ذلك كاشفا يطلق عليه والى الولاية كما كان فى الوجه البحرى .

الثالثة - نيابة الوجه البحرى . وهى مما أستحدث فى الدولة الظاهرية أيضا ، ونائبها من الأمراء المتقدمين ، وهو فى رتبة مقدم العسكرية الآتى ذكرها ، ومقر نائبها دمنهور مدينة البحيرة المتقدم ذكرها ، وليست على قاعدة النيابة بل هى فى الحقيقة ولاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشفا يطلق عليه والى الولاية ولم يكن له مقررة خاصة .

الطبقة الثانية

(الكشاف)

قد تقدم أنه قبل النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كاشفان ، ولما استغوت النيابة بهما جعل للوجه البحرى كاشف من أمراء الطليخانة على العادة المتقدمة ، يتحدث فى بلاده ماعدا عمل البحيرة لقربه من نائب الوجه البحرى ، وجعل كاشف آخر من رتبته لعمل الفيوم وعطل من والى ، وأضيف إليه عمل البهنسى أيضا ، وسائر الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه المتقدم ذكره .

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين : القبلى والبحرى،

وقد تقدم ذكر أعمالها . ومراتب الولاية بهما لا تخرج عن مرتبتين .

المرتبة الأولى

(أصراء الطبلخاناه، ^(١) وهى سبع ولايات بالوجهين : القبلى والبحرى)

فأما الوجه القبلى فيه أربع ولاة من هذه الرتبة .

الأول - والى البهنسى، وهى أقرب ولاية الطبلخاناه بهذا الوجه الآن إلى القاهرة .

الثانى - والى الأشتونين .

الثالث - والى قوص وإحميم، وهى أعظم ولاية الوجه القبلى حتى إنه يركب فى المواكب بالشبابة السلطانية أسوة بالنواب بالممالك .

الرابع - والى أسوان، وهى محدث فى الدولة الظاهرية برفوق . وكانت قبل ذلك مضافة إلى والى قوص ، وكانت ولاية القيوم طبلخاناه استقرت كشفا على ما تقدم .

أما أشبوط ، فلم يكن بها ولاية لكونها كانت مستقر والى الولاية بالوجه القبلى، ثم صارت مستقر النائب به ، وسياق بيان ما كان ولاية طبلخاناه ، ثم نقل إلى العشرات .

وأما الوجه البحرى فيه أربعة ولاية من هذه الرتبة .

(١) لعله محسن ولايات كما يظهر من عد الولاية بالوجهين .

الأول - والى الشرقية وهو والى بلبس .

الثانى - والى منوف .

الثالث - والى الغربية ، وهو والى المحلة ، ورتبته فى الوجه البحرى - فى رفعة القدر تضاهى رتبة والى قوص فى الوجه القبلى .

الرابع - والى البحيرة ، وهو والى دمنهور .

وقد تقدم أن الإسكندرية قبل أن تستقر نيابة كانت بها وال من أمراء الطبلخاناة .

المرتبة الثانية

(من الولاة أمراء العشرات ، وهى سبعة ولاة بالوجهين)

فأما الوجه القبلى ففيه ثلاثة ولاة .

الأول - والى الجيزة ، وقد كان قبل ذلك طبلخاناة ، ثم نقل إلى العشرات .

الثانى - والى إطفيح ، ولم يزل عشرة .

الثالث - والى مفلوط ، وهو وإن كان الآن أمير عشرين فقد تقدم أن من دون الأربعين معدود فى العشرات . على أنها كانت قبل ذلك ولاية طبلخاناة وحطت عن ذلك .

وقد كانت بميناب فى الايام الناصرية والى أمير عشرة يولى من قبل السلطان . يراجع والى قوص فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرى ، ففيه أربعة ولاة من هذه الرتبة .

- الأول - والى قَلْيُوبَ، ولم تزل ولايتها إمرة عشرة .
 الثانى - والى أُمُومَ، ولم تزل عشرة أيضا .
 الثالث - والى دِمِّيَاطَ .
 الرابع - والى قَطِيَا، وكان قبل ذلك طبلخاناه .

الضرب الثانى

(من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملة الأعلام، وهم على نوعين)

النوع الأول

(أرباب الوظائف الديوانية، وهى كثيرة للغاية لايسع أستيفؤها
 والمعتبر منها مما يجب الاقتصاد عليه تسع وظائف)

الأولى - الوزارة . وهى أجل الوظائف وأرفعها رتبة فى الحقيقة لو لم تخرج
 عن موضوعها ويُعَدَّل بها عن قاعدتها . قال فى "مسالك الأبصار" : ورُبها ثانى
 السلطان لو أنصف وعُرف حقه، لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقَعَدَ بها
 مكانها حتى صار المتحدث فيها كناظر المسال لا يتعدى الحديث فيه، ولا يتسع له
 فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل تَطْلُعُ السلطان إلى الإحاطة بجزئيات
 الأحوال . قال : وقد صار يليها أناس من أرباب السيوف والأعلام بأرزاق على
 قدر الإنفاق، وقطيعتها أشهر من أن تذكر .

قال : وكان هذا السلطان (يعنى الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله) قد أبطلها ،
 وصار ما كان يتحدث فيه الوزير منقسما إلى ثلاثة : ناظر المال، ومعه شاذ الدواوين

(١) أرسلها فى البدن إلى ست وعشرين ومراوده أن المهم منها تسع وإن كان قد ذكر أكثر .

لتحصيل المال وصرف النفقات، وناظر الخاوص لتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين، وكتب السر للتوقيع في دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاوراً وأستقللاً . قلت : ولما عادت الوزارة بعد ذلك، صارت إلى ما كانت عليه من الاختصار على التحدث في المال ، و بقيت كتابة السر على ما صارت إليه من التوقيع على القصص بدار العدل وغيرها . ثم إن كان الوزير صاحب قلم، فهو المستقل بمباشرة الوظيفة نظراً وتنفيذاً ومحاسبة على الأموال، وإن كان صاحب سيف، كان مقتصر على النظر والتنفيذ، وكان أمر الحساب في الأموال راجعاً إلى ناظر الدولة معه .

ثم لوظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجعلها نظر الدولة وأستيفاء الصُحبة وأستيفاء الدولة . فأما نظر الدولة : وهو المعبر عنه في مصطلح الدواوين المعمورة بالصُحبة الشريفة فوضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشترك في الكتابة في كل ما يكتب فيه ، ويوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له . وإن كان الوزير صاحب سيف ، كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات ، وما يتعلق بها والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ .

وأما أستيفاء الصُحبة - فهي وظيفة جليلة رفيعة القدر . قال في "مسالك الأبصار" : وصاحبها يتحدث في جميع المملكة مصرًا وشامًا ، ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان، تارة تكون بما يُعمل في البلاد، وتارة بإطلاقات، وتارة بأستخدامات كبار في صفار الأعمال ، وما يجري مجراه .

قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال ، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية ، وكل من دواوين الأموال فهو فرعٌ هذا الديوان وإليه يرجع حسابه وينتهي أسبابه .

وأما استيفاء الدولة - فهي وظيفة رئيسية، وعلى متوليها مدار أمور الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مضارفيها، ويكون فيها مستوفيان فأكثر .

الوظيفة الثانية - كتابة السر . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتفسيرها، وتصريف المراسيم ورودا وصّدا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها . وقد تقدم في الكلام على الوزارة أنه صار يوقع فيها كاتب يوقع عليه بقلم الوزارة مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلى المراجعة فيه، في أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والقضاة، ومشاركة الدوا دار في أكثر الأمور السلطانية مما تقدم ذكره مفصلا . وبدوياته كُتاب الدست : وهم الذين يجلسون معه في دار العدل ويقرؤون القصص على السلطان ويوقعون عليها بأمر السلطان . وكُتاب الدُرج : وهم الذين يكتبون الولايات والمكاتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة ، وربما شاركهم كُتاب الدست في ذلك .

الوظيفة الثالثة - نظر الخصاص . وهي وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله حين أبطل الوزارة على ما تقدم ذكره ، وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص ببال السلطان . قال في "مسالك الأبصار" : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه ، وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين يعني في زمن تعطيل الوزارة . قال : وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان . ولناظر الخصاص أتباع من كُتاب ديوان الخصاص كمستوفي الخصاص ، وناظر نحرانة الخصاص ونحو ذلك مما لا يسع استيعابه .

الوظيفة الرابعة - نظر الجيش . وموضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاوره السلطان عليها وأخذ خطه ، وهي وظيفة

جليلة رفيعة المقدار ، وديوانها أول ديوان وُضِعَ في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عمر . قال الزُّهري : قال سعيد بن المسيب : وفلك في سنة عشرين من الهجرة ، وسيأتي الكلام على ما يتعلق بها في الكلام على كتابة المناشير في المقالة السادسة إن شاء الله تعالى . ولناظر الجيش أتباع بديوانه يُؤلَّون عن السلطان ، كصاحب ديوان الجيش وكتّابه وشهوده ، وكذلك صاحب ديوان الممالك ، وكتّاب الممالك وشهود الممالك . فإن الممالك السلطانية فرع من الجيش ونظرم راجع إلى ناظر الجيش .

الوظيفة الخامسة - نظر الدواوين المعمورة والصعبة الشريفة . وهو المعبر عنه بناظر الدولة . وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير . وكل ما كتَبَ فيه الوزير كَتَبَ فيه هو . يكتب فيه بمثل ما رسم به .

الوظيفة السادسة - نظر الخزانة . قال في "مسالك الأبصار" : وكانت أولا كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة . فلما استُحدثت وظيفة الخالص : صُغِرَ أمر الخزانة ، وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو أسم فوق مسماه . قال : ولم يكن بها الآن إلا خَلْعٌ تخلع منها أو ما يحضر إليها وبصرف أولا فأولا ، وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة أو من يلحق بهم ، ولناظر الخزانة أتباع يُؤلَّون عن السلطان كصاحب ديوان الخزانة .

الوظيفة السابعة - نظر البيوت والحاشية . وهو نظر جليل ، وكل ما يتحدث فيه الأستاذار له فيه مشاركة في التحدث فيه ، وقد تقدم تفصيل حال وظيفة الأستاذارية .

الوظيفة الثامنة - نظريت المال . وموضوعها حملُ حمول المملكة إلى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويق محضرا وصرفا ، قال في "مسالك الأبصار" : ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة .

الوظيفة التاسعة - نظر الإصطبلات السلطانية . وموضوعها مباشرة إصطبلات السلطان والتحدث في أنواع الخيول والبغال والدواب والجمال السلطانية ؛ وعليها وعُنتها ، وما لها من الاستعمالات والإطلاقات ، وكل ما يتناع لها أو يتناع منها ، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك .

الوظيفة العاشرة - نظر دار الضيافة والأسواق . وموضوعها التحدث في أمر ما يتحصّل من سوق الخليل والرقيق ونحوهما ، وصرف ذلك في كلفة من يرد إلى الأبواب السلطانية من رُسل الملوك ونحوهم ، وصرف مرتبات مقررة لأناس في كل شهر ، والتحدث فيها ولايةً وعزلاً وتنفيذاً راجعاً إلى الدُوادار ؛ وللوزير المشاركة معه في المتحصّل في شيء مخصوص .

الوظيفة الحادية عشرة - نظر خزائن السلاح . وموضوعها التحدث على كل ما يستعمل من السلاح السلطاني ، وعادته أن يجمع ما يتحصّل من عمل كل سنة ويجهز في يوم معين ، ويجعل على رؤوس الحاملين إلى خزائن السلاح بالقلعة المحروسة ، ويطلع عليه وعلى رُفقته من المباشرين .

الوظيفة الثانية عشرة - نظر الأملاك السلطانية . وموضوعها التحدث على الأملاك الخاصة بالسلطان من ضياع ورباع وغير ذلك .

الوظيفة الثالثة عشرة - نظر البهار والكارمي^(١) . وموضوعها التحدث على واصل التجار الكارميّة من اليمن من أصناف البهار وأنواع المتجر ، وهي وظيفة جليلة تارة تضاف إلى الوزارة وتجعل تبعاً لها ، وتارة تضاف إلى الخصاص وتجعل تبعاً لها ، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان .

(١) رجع في الضم الكارمي بالنون وقال انه نسبة الى الكارم فرقة من السودا كان منهم طائفة مقيمة بمصر بجرّون في البهار من القفل والقرنفل ونحوها مما يجلب من الهند واليمن فرف ذلك بهم هم أنتم اقال فراجعه .

الوظيفة الرابعة عشرة - نظر الأمراء بمصر بالصناعة . وهى شؤنة الغلال السلطانية التى يتكلم عليها الوزير ، وموضوعها التحدث فيما يصل إليها من النواحى من الغلال وغيرها ، وما يُصرف منها على الإضطرابات الشريفة والمُنَاخَات السلطانية وغير ذلك .

الوظيفة الخامسة عشرة - نظر الموارث الحشرية . وموضوعها التحدث على ديوان الموارث الحشرية ممن يموت ولا وارث له ، أو وله وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث فى إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

الوظيفة السادسة عشرة - نظر الطواحين السلطانية بمصر بالصناعة أيضا . وهو مغلق عظيم فيه عشرة حجارة يخرج منها فى كل يوم نحو خمسين تليسا .

الوظيفة السابعة عشرة - نظر الحاصلات . وهو المعبر عنه بنظر الجهات ، وموضوعه التحدث فى أموال جهات الوزارة من متحصل ومصروف أو حمل لبيت المال وغيره .

الوظيفة الثامنة عشرة - نظر المرتجعات . وموضوعها التحدث على ما يرجع من يموت من الأمراء ونحو ذلك ؛ وقد رُفِضت هذه الوظيفة وتمطلت ولايتها فى الغالب وصار أمر المرتجع موقوفا على مستوى المرتجع ، وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية ويفصلها على مصطلح الديوان ، وهو المعبر عنه بديوان السلطان .

الوظيفة التاسعة عشرة - نظر الجيزة . وموضوعها التحدث على ما يتحصل من عمل الجيزة التى هى خاص السلطان ، وهى فرع من فروع الدواوين .

الوظيفة العشرون - نظر الوجه القبلى . وموضوعها التحدث على بلاد الصعيد بأسرها مما يتحصل فيها من ميراث وغيره .

الوظيفة الحادية والعشرون - نظر الوجه البحري . وموضوعها كموضوع نظر الوجه القبلي المتقدم ذكره .

الوظيفة الثانية والعشرون - صحابة ديوان الجيش . وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه ناظر الجيش من أمر الإقطاعات .

الوظيفة الثالثة والعشرون - صحابة ديوان البهارستان . وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه ناظر البهارستان .

الوظيفة الرابعة والعشرون - صحابة ديوان الأحباس . وصاحبها يكتب في كل ما يكتب فيه ناظر الأحباس إلا أنها بطلت .

الوظيفة الخامسة والعشرون - استيفاء الصعبة .

استيفاء الدولة (١)

النوع الثاني

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ،

وهو منحصر في خمس وظائف)

الوظيفة الأولى - قضاء القضاة . وموضوعها التحدث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضايها ، والقيام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونصيب التواب

(١) تقدم الكلام عليهما في الكلام على توابع الوظيفة الأولى من هذا النوع وهي الوزارة فرأى أنه لا داعي إلى الإعادة فلا سقط كما قد يتوهم .

للتحدث فيما عسر عليه مباشرته بنفسه ، وهى أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدرا وأجلها رتبة .

وأعلم أن الأمر فى الزمن الأول كان قاصرا على قاض واحد بالديار المصرية من أىّ مذهب كان ، بل كان فى الدولة الفاطمية قاض واحد بالديار المصرية ، وأجناد الشام ، وبلاد المغرب ، مضاف إليه اتحدث فى أمر الصلاة ودور الضرب وغير ذلك على ماستقف عليه فى تقاليد بعض قضاتهم فى الكلام على تقاليد القضاة إن شاء الله تعالى ، ثم استقر الحال فى الأيام الظاهرية ببيرس فى سنة ثلاث وستين وستمائة على أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة : الشافى ومالك وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم ، وكان السبب فى ذلك فيما ذكره صاحب "نهاية الأرب" أن قضاء القضاة بالديار المصرية كان يومئذ بيد القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأمر بمفرده ، وكان الأمير جمال الدين ايدغدى أحد أمراء السلطان الملك الظاهر المتقدم ذكره يعانده فى أموره ، ويُنص من عند السلطان ، لتثبته فى الأمور وتوقفه فى الأحكام . فبينما السلطان ذات يوم جالس بدار العدل إذ رفعت إليه قصة بسبب مكان باعه القاضى بدر الدين السنجارى ، ثم آذى ذريته بعد وفاته أنه موقوف ، فأخذ الأمير ايدغدى يَفْص من القضاء بحضرة السلطان ، فسكت السلطان لذلك ، ثم قال للقاضى تاج الدين : ما الحكم فى ذلك ؟ قال : إذا ثبتت الوقفية يستعاد الثمن من تركة البائع ، قال : فإن عجزت التركة عن ذلك ، قال : يوقف على حاله ، فامتنع لها السلطان وسكت ، ثم جرى فى المجلس ذكر أمور أخرى توقف القاضى فى تشييتها ، وكان آخر الأمر أن الأمير ايدغدى حسن للسلطان نصب أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ففعل ، وأقر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرن فى قضاء الشافية ، وولى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح

السبكي - قضاة المالكية ، والقاضي بدر الدين بن سلمان قضاة الحنفية ، والقاضي شمس الدين محمد ابن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسي - قضاة الحنابلة ، وجعل لهم الأربعة أن يؤلوا التواب بأعمال الديار المصرية ، وأفرد القاضي تاج الدين بالنظر في مال الأيتام والأوقاف ، وكُتِبَ له بذلك تقليدٌ من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر أوله " الحمد لله مجرد سيف الحق على مَنْ أعتدى " . ثم كل من الأربعة له التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والقُسْطَاط ، ونصب التواب ، وإجلاس الشهود ، ويستقل الشافعي منهم بتولية التواب بنواحي الوجهين القبلي والبحري - لا يشاركه فيه غيره .

الوظيفة الثانية - قضاء المسكر . وهي وظيفة جليلة قديمة كانت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان قاضي عسكره بهاء الدين بن ^(١) وموضوعها أن صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة المتقدم ذكرهم ، ويسافر مع السلطان إذا سافر ، وهم ثلاثة نفر : شافعي ، وحنفي ، ومالكي ، وليس للحنابلة منهم حظ ، وجلسهم في دار العدل دون القضاة الأربعة المتقدم ذكر على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة - إفتاء دار العدل . وموضوعها على نحو ما تقدم في قضاء المسكر ، وبها أربعة نفر ، من كل مذهب واحد ، وجلسهم دون قضاة المسكر على ما يأتي ذكره .

الوظيفة الرابعة - وكالة بيت المال . وهي وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ، وموضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراض وأدب وغير ذلك ، والمعاقدة على ذلك وما يجري هذا المجرى . قال في "مسالك الأبصار" :

ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل : تارة يكون دون المحتسب ، وتارة فوقه بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه .

الوظيفة الخامسة - الحسبة . وهي وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدث في الأمر والنهي ، والتحدث على المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وبالحضرة السلطانية محتسبان : أحدهما بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرا وأرفعهما شأنا ؛ وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحري بكماله خلا الإسكندرية ، فإن لما محتسبا يخصما ، والثاني بالقسطنطينية ومرتبته منحلة عن الأول ؛ وله التحدث والتولية بالوجه القبلي بكماله ، والذي يجلس منهما بدار العدل في أيام المواكب محتسب القاهرة فقط دون محتسب مصر ؛ وعمل جالوسه دون وكيل بيت المال ، وربما جلس أعلى منه إذا كان أرفع منه بعلم أو نحوه .

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف الدينية من لا يجلس له بالحضرة السلطانية)

وهذه الوظائف لأخصر لعددتها على التفصيل ، ولا سبيل إلى استيفاء ذكرها على تفاوت المراتب فوجب الاختصار على ذكر المهم منها .

ثم هذه الوظائف منها ما هو مختص بشخص واحد ، ومنها ما هو عام في أشخاص .

فأما التي هي مختصة بشخص واحد .

فمنها (رقابة الأشراف) وهي وظيفة شريفة ، ومرتبته نفيسة ؛ موضوعها التحدث على ولد علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم المراد بالأشراف ، في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقدارهم

والأخذ على يد المعتدى منهم ونحو ذلك ، وكان يعبر عنها في زمن الخلفاء المتقدمين بنقابة الطالبين .

ومنها (مشيخة الشيوخ) والمراد بها مشيخة الخانقاه التي أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسرياقوس من ضواحي القاهرة .

أما مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء ، فإنها وإن قدم زمنها وعظم قدرها دون تلك في المشيخة .

ومنها (نظار الأجاس المبرورة) وهي وظيفة عالية المقدر ، وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة ، وما هو من ذلك على سبيل البر والصدقة لأناس معينين ، وأصل هذه الوظيفة أن الليث بن سعد رحمه الله اشترى أراضى من بيت المال في نواحي من البلدان وحسبها على وجوه البر ، وهي المسماة بديوان الأجاس بوجوه العين ، ثم أضيف إلى ذلك الرباع والدور المعروفة بالقسطاط وغيره ، ثم أضيف إليها رزق الخطابات ، ثم كثرت الرزق من الأرضين في الدولة الظاهرية ببيرس بواسطة الصاحب بهاء الدين بن حنا وأخذت في الزيادة إلى زماننا ، وهي تارة يتحدث فيها السلطان بنفسه ، وتارة النائب ، وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدوادار الكبير على ما استقر عليه الحال آنرا .

ومنها (نظار البيارستان) والمراد البيارستان المنصوى الذي أنشأه المنصور قلاوون بين القصرين ، وكان داراً ليست الملك أخت الحاكم القاطن فغير معاملته وزاد فيه ، وليس له نظير في الدنيا في برّه ومعروفه ، وهي من أجل الوظائف وأعلاها ، وعادة النظر فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية .

وأما التي هي عامة في أشخاص .

فمنها (الخطأية) وهي في الحقيقة أجل الوظائف وأعلها رتبة ، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها بنفسه ، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم ، وهي على كثرة الجوامع بالديار المصرية بحيث إنها لا تحصى كثرة - لا يتعلق منها بولاية السلطان إلا القليل النادر : بكجام القلعة إلا إذا كان مفردا عن القضاء ونحو ذلك مما لا ناظر له خاص .

ومنهم (التداريس) وهي على اختلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك لا يولى السلطان فيها إلا فيما يعظم خطره ويرتفع شأنه مما لا ناظر له خاص كالمدرسة الصلاحية بجوار تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والزاوية الصلاحية بالجامع العتيق بالقسطنطين ، وهي المعروفة بالخشابية ، والمدرسة المنصورية بالبيارستان المنصورية المتقدم ذكره بين القصرين ، ودرس الجامع الطولوني ونحو ذلك .

المقصود الرابع

(في زى أعيان المملكة من أرباب المناصب السلطانية بالديار المصرية

في ليسهم وركوبهم ، وهم أربع طوائف)

الطائفة الأولى

(أرباب السيوف ، وزعيم راجع إلى امرين)

الأمر الأول (لبسهم) . ويختلف الحال فيه باعتبار مواضع اللبس من البدن . فاما ما به تغطية رؤوسهم ، فقد تقدم أنهم كانوا في الدولة الأيوبية يلبسون كؤوتات صفر بغير عمام ، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم . فلما كانت الدولة

الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه الله، غير لونها من الصفرة إلى الحمرة وأمر بالعلم من فوقها، وبقيت كذلك حتى حجَّ الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله في أواخر دولته فخلق رأسه فخلق الجميع رؤسهم، واستمروا على الخلق إلى الآن، وكانت عمامتهم صغيرة فزيد في قدرها في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فحسنت هيئتها وجادت، وهي على ذلك إلى زماننا.

وأما ثياب أبدانهم فيلبسون الأقبية التريّة والتكلاوات فوقها ثم القباء الإسلامي فوق ذلك، يشدّ عليه السيف من جهة اليسار والصولق والكرلك من جهة اليمين.

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه": وأول من أمر بذلك غازي بن زنكي أخو العادل نور الدين الشهيد حين ملك الموصل بعد أبيه، ثم الأمراء والمقدمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقبية قصيرة الأكم أقصر من القباء الصحناني بلا تفاوت كبير في قصر الكم وطوله، مع سعة الكم القصير وضيق الأكم الطويلة.

ثم إن كان زمن الصيف كان جميع القماش من فوقاني وغيره أبيض من النصارى ونحوه، وتشدّ فوق القباء الإسلامي المنطق، وهي الحياصة، ومعظم مناطقهم من الفضة المطلية بالذهب، وربما جُمِلت من الذهب، وقد تُرَصّع باليشم. قال في "مسالك الأبصار": ولا تُرَصّع بالجوهر إلا في خلع السلطان لأكابر أمراء الميمنية.

وإن كان زمن الشتاء كانت فوقانياتهم ملونة من الصوف النفيس والحرير الفاخر، تحتها فرء السنجاب النض. ويلبس أكابر الأمراء السُمُور، والوشق، والقاقم والفنك، ويجعل في المنطق منديلا لطيفا مُسدلا على الصولق، ومعظمهم يلبس

المطوّز على الكُئِينِ من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم . قال في "المسالك" : ولا يَلْبَسُ الْمُطَوِّزَ إِلَّا مَنْ لَهُ إِقْطَاعٌ فِي الْحَلَقَةِ ، أَمَّا مَنْ هُوَ بَعْدُ بِالْحَاكِمِيَّةِ ، فَلَا يَتَعَاطَى ذَلِكَ .
وأما ما يجعل في أرجلهم ، فإن كان في الصيف لَبَسُوا الخفاف البيض العَلَوِيَّةَ ، وإن كان في الشتاء لبسوا الخفاف الصفر من الأديم الطائفي ، ويشدون المهاميز المسقطة بالفضة في القدم على الخف . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يَكْمُتُ مِهْمَازَهُ بِالذَّهَبِ إِلَّا مَنْ لَهُ إِقْطَاعٌ فِي الْحَلَقَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي لِبْسِ الْمُطَوِّزِ .

الأمر الثاني (ركوبهم) . أما ما يركبون ، فأنجيل المسومة النفيسة الأثمان خصوصا الأمراء ومن يُلْحَقُ بِشَأْوِهِمْ ، ولا يركبون البغال بحال بل تركبها غلمانهم خلفهم بالقاش النفيس والهيئة الحسنة والقوالب المحلاة بالفضة ، وربما عُشِّيَ جميعها بالفضة بل ربما عُشِّيَ جميعها بالذهب للسلطان وأعيان الأمراء ، ومعها العِيَّ السابلة الملوّنة من الصوف القاتق ، وربما جعلت من الحرير لأعيانهم ، وقد يتخذ بذلك الكتابيش بالحواشي الخائش . وربما كانت زركشا للسلطان والأمراء ، وتُحَلُّ بِجَمْعِهِمْ وَتُسَقِّطُ بِالْفُضَّةِ بِحَسَبِ اخْتِيَارِ صَاحِبِهَا ، وَيَجْعَلُ الدُّبُّوسَ فِي حَلَقَةٍ مُتَّصِلَةٍ بِالسَّرِجِ تَحْتَ رُكْبَتِهِ الْيَمْنَى . قال صانح حاة : وأول من أمرهم بذلك غازي بن زنكي حين أمرهم بشد السيوف في أوساطهم على ما تقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : وعلى الجملة فزيهم ظريف وعددهم فاقية نفيسة .

الطائفة الثانية

(أرباب الوظائف الدينية من القضاة وسائر العلماء ؛

وزيهم راجع أيضا إلى أمرين)

الأمر الأول (ملبوسهم) . ويختلف ذلك باختلاف مراتبهم ، فالقضاة والعلماء

منهم يلبسون العائم من الشاشات الكبار للغاية ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذؤابة تلحق قَرَبُوسَ سرجه إذا ركب ، ومنهم من يجعل عَوْضَ الذُّوَابَةِ الطليسانَ الغائق ، ويلبَسُ فوق ثيابه دلقا متسع الأكام طويلاً مفتوحاً فوق كتفيه بغير تفرج ، سابلًا على قدميه . ويتخيز قُضَاةُ القضاة الشافعي والحنفي يلبَسُ طرحة تستر عمامته وتتسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك مختصاً بالشافعي ؛ ومن دون هذه منهم تكون عمامته ألطف ، ويلبس بدل الدلق فَرَجِيَّةً مفرجة من قدامه من أعلاها إلى أسفلها مززرة بالأزرار ، وليس فيهم من يلبس الحرير ، ولا ما غلب فيه الحرير ؛ وإن كان شتاء كان القوقاني من ملبوسهم من الصوف الأبيض الملعلي ، ولا يلبسون الملوّن إلا في بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف في الطرقات ، ويلبسون الخفاف من الأديم الطائفي بغير مهاييز .

الأمر الثاني (مركوبهم) . أما أعيان هذه الطائفة من القضاة ونحوهم فيركبون الِغَالِ النفيسة المساوية في الأثمان لِمَسَوِّمَاتِ الخيول ، بلُجْمٍ يُقَالُ وسروج مدهونة غير محلاة بشيء من الفضة ، ويعملون حول السرج قرقيشينا من جوخ . قال في "مسالك الأبصار" : وهو شبه بنوب السرج مختصر منه ، ويعملون بدل العبي الككايش من الصوف المرقوم محاذية لكفل البغلة ، ويمتاز قضاة القضاة بأن يعمل بدل ذلك الزناري من الجوخ ، وهو شبه بالعباءة مستدير من وراء الكفّل ولا يعلوه بردنب ولا قوش ، وربما ركبوا بالككايش . وأما من دون هؤلاء من هذه الطائفة فربما ركبوا الخيول بالككايش والعبي .

الطائفة الثالثة

(مشايخ الصوفية)

وهم مُضَاهُونَ لطائفة العلماء في لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل، ولا طويل
الْكُمُ ، وَيُرْخُونَ ذُوَابَةَ لطيفة على الأذن اليسرى لا تكاد تلحق الكتف ، ويركبون
البغال بالكنايش على نحو ما تقدم .

الطائفة الرابعة

(أرباب الوظائف الديوانية)

أما أعيانهم كالوزراء وَمَنْ ضَاهَاهُمْ ، فيلبسون القراصى المضاهية لقراصى العلماء
المتقدمة الذكر، وربما لَبَسُوا الحِجَابَ المفرجة من ورائها . وقد ذكر في "مسالك
الأبصار" : أن أكابرهم كانوا يعملون في أحكامهم بادهنجات مفتوحة ، وقد صار
ذلك الآن قاصرا على ما يلبسونه من التشاريف . وَمَنْ دُونَ هؤلاء يلبسون القرجيات
المفرجة من ورائها على ما تقدم .

وأما ركبهم فيضاهى ركب الجند أو يقاربه . قال في "مسالك الأبصار" :
وتجمل هذه الطائفة بمصر أكل مآهم بالشام في زِيَّهم وملبوسهم ، إلا ما يحكى عن قبْط
مصر في بيوتهم من اتساع الأحوال والتفقات ، حتى إن الواحد منهم يكون في ديوانه
بأدنى اللباس ويأكل أدنى المأكول ، ويركب الجمار ، حتى إذا صار في بيته أنتقل
من حال إلى حال وخرج من عدم إلى وجود . قال : ولقد تبألف الناس فيما تحكى
من ذلك عنهم .

المقصود الخامس

(في هيئة السلطان في ترتيب الملك ، وله ثلاث^(١) هيئات)

الهيئة الأولى

(هيئته في جلوسه بدار العدل لخلاص المظالم)

عادةً هذا السلطان إذا كان بالقلعة في غير شهر رمضان أن يجلس بكرة يوم الاثنين ببايوانه الكبير المسمى بدار العدل المنتقم ذكره مع ذكر القلعة في الكلام على حاضرة الديار المصرية ؛ ويكون جلوسه على الكرسي الذي هو موضوع تحت سرير الملك . قال في "مسالك الأبصار" : ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، ثم ويكل بيت المال ، ثم الناظر في الحسبة . ويجلس على يساره كاتب السر ، وقذامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين بكلمة حلقه دائية . قال : وإن كان الوزير من أرباب الأتلام ، كان بينه وبين كاتب السر ، وإن كان من أرباب السيوف ، كان واقفا على بُعد مع بقية أرباب الوظائف . وكذلك إن كان ثم نائب وقف مع أرباب الوظائف ، ويقف من وراء السلطان ممالك صغار عن يمينه ويساره من السلاح دارية والحمدارية والخاصكية ؛ ويجلس على بُعد بقدر خمسة عشر ذراعا من يمينه ويساره ذوو السن من أكابر أمراء الميكن ، وهم أمراء المشورة ؛ وليهم من أسفل منهم أكابر الأمراء ، وأرباب الوظائف وقوف ، وباقي الأمراء وقوف من وراء المشورة ؛ ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الجباب والدوا دارية لإحضار قصص أرباب الضرورات وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه القصص في احتاج فيه إلى مراجعة القضاة واجمعهم فيه ، وما كان متعلقا بالمسكر تحدث فيه مع الحاجب وناظر الجيش ، ويأمر في البقية بما يراه .

(١) الصواب سبع كما عبر به في الضم وهو في العدد أيضا سبع كما ستره .

قلت : وقد أستقر الحال عا' أن يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة :
 وهما الشافعي والمالكي، وعن يساره قاضيان وهما الحنفي ثم الحنبلي؛ وعلى القاضي
 المالكي من الجانب الأيمن قضاة العسكر الثلاثة المتقدم ذكرهم الشافعي ثم الحنفي
 ثم المالكي؛ ولهم مَقْتُو دار العدل على هذا الترتيب؛ ولهم ويكل بيت المال إذا علا
 قدره عليه يعلم أو رياسة . كل هؤلاء صف واحد عن يمين السلطان مستعدين
 جدار صدر الإيوان مستقبلين بابه، والقاضيان الحنفي والحنبل كذلك من الجانب
 الأيسر، والوزير إن كان من أرباب الأقلام إلى جانب الكرسي من الجانب الأيسر
 بالخراف، وكتاب السر إليه، وتستدير الحلقة حتى يصير الحائس بها مستدبرا باب
 الإيوان على ما تقدمت الإشارة إليه في كلام "مسالك الأبصار".

الهيئة الثانية

(هيئة في بقية الأيام)

عادته فيما عدا الاثنين والخميس من الأيام أن يخرج من قصوره الجوانية المتقدم
 ذكرها إلى قصره الكبير المشرف على اصطبلاته، ثم تارة يجلس على تحت الملك الذي
 يصدره، وتارة يجلس على الأرض، ويقف الأمراء حوله على ما تقدم في الجلوس
 في الإيوان، خلا أمراء المشورة والغرباء منه فليس لهم عادة بحضور هذا المجلس
 إلا من دعت الحاجة إلى حضوره، ثم يقوم في الثالثة من النهار فيدخل إلى قصره
 الجوانية لمصالح ملكه، ويصبر عليه خاصته من أرباب الوظائف كالوزير، وكتاب
 السر، وناظر الخصاص، وناظر الجيش في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه.

الهيئة الثالثة

(هيئة في صلاة الجمعة والعيدين)

أما صلاة الجمعة فإن عادته أن يخرج إلى الجامع المجاور لقصره المتقدم ذكره من القصر، ومعه خاصة امرأته، فيدخل من أقرب أبواب الجامع للقصر، ويصل في مقصورة في الجامع عن يمين المحراب خاصة، ويصل عنده فيها أكابر خاصته، ويحيى بقية الأمراء : خاصتهم وعائتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها ويسارها على مرئيتهم ، فإذا فرغ من الصلاة دخل إلى دور حريمه وذهب الأمراء كل أحد إلى مكانه .

وأما صلاة العيدين ، فعادته أن يركب من باب قصره ويتل من منقذ من الإصطبل إلى الميدان الملاصق له ، وقد ضرب له فيه دهليز على أكل ما يكون من الهيئة ، ويحضر خطيب جامع القلعة إلى الميدان فيصل به العيد ويخطب ، فإذا فرغ من سماع الخطبة ركب ونرج من باب الميدان والأمراء والمسالك يمشون حوله ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، والفاشية محمولة أمامه ، والحق وهو المظلة محمول على رأسه مع أحد أكابر الأمراء المتقدمين وهو راكب فرسا إلى جانبه ، والأوشاقيان الحفنة المتقدم ذكرهما راكبان أمامه ، وخلفه الخناثب ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، وأرباب الوظائف من السلاحدارية كلهم خلفه ، والعطردارية أمامه مشاة بأيديهم الأظبار ، ويطلع من باب الإصطبل ويطلع إلى الإيوان الكبير المقدم ذكره ، ويمد السباط ويطلع على حامل الحق ، وأمر سلاح ، والأستادار ، والباشتكير ، وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة في مهم العيد كنواب أستاذار ، وصغار الباشتكيرية ، وناظر البيوت ونحوهم .

(١) لم يذكر هذه الجملة في الفهرست لعدم ذكرها أولاً لأنها سبقت .

الهيئة الرابعة

(هيئة اللعب الكرة بالميدان الأكبر)

عادته أن يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية في كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل، وهو راكب على الهيئة المذكورة في العيد ماعدا الجتر فإنه لا يجمل على رأسه، وتحمل الفاشية أمامه في أول الطريق وآخره، ويصير إلى الميدان فينزل في قصوره، وينزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم، ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه، ثم ينزل فيستريح، ويستمر الأمراء في لعب الكرة إلى أذان العصر، فيصلى العصر ويركب على الهيئة التي كان عليها في أول النهار ويطلع إلى قصره .

الهيئة الخامسة

(هيئة في الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل)

واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج، ولم تجر العادة بركوبه فيه بمظلة ولا رقية فرس . ولا غاشية، ولا ما في معنى ذلك مما تقدم ذكره في ركوب الميدان والعبدین . بل يقتصر على السناجق، والطبردارية، والجاو يشية ونحو ذلك، ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء في أي وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمتد هناك سماعا يأكل منه من معه من الأمراء والمالِك، ثم يذآب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويتسبّع في فسقية المقياس حتى يأتي العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود، ثم يعود ويتحقّ جوانب الفسقية وتكون حترقة السلطان قد زينت بأنواع الزينة، وكذلك حراريق الأمراء، وقد فتح شبك المقياس المثل على النيل من جهة القسطنطين وعلق عليه ستر، فيؤتى بحترقة

السلطان إلى ذلك الشباك فينزل منه ويتسبح وحراريق الأمراء حوله وقد سخن البحر بمراكب المتفرجين ، يسرون خلف الحاريق حتى يدخل إلى فم الخليج ، وحرافة السلطان العظمى المعروفة بالذهبية وحراريق الأمراء يلعب بها في وسط امتدادها ، ويرمي بمدافع النقط على مقدمها ، ويسير السلطان في حرافته الصغيرة حتى يأتي السد فيقطع بمضوره ، ويركب وينصرف إلى القلعة .

الهيئة السادسة

(هيئة في أسفاره)

ولم تخرج العادة فيها باظهار ما تقدم من الزينة في موكب العيد والميدان ، بل يركب في عدة كبيرة من الأمراء : الأكابر والأصاغر ، والخواص ، والغرباء ، وخواص ممالكهم . ولا يركب في السيوف رقيقة ولا عصائب ، ولا تتبعه جنائب ، ويقصد في الغالب تأخير النزول إلى الليل . فإذا دخل الليل حُمِلت أمامه فوانيس كثيرة ومشاعل ، فإذا غارب مُحِيته ، تلى بالشموع المركبة في الشمعدانات المكشوفة ، وصاحت الحاويشية بين يديه ، وترجل الناس كافة إلا حملة السلاح والأوشاقية وراءه ، ومشيت الطبردارية حوله حتى يدخل الدهليز الأول من مُحِيته فينزل ويدخل إلى الشقة ، وهي خيمة مستديرة متسعة ، ثم منها إلى شقة مختصرة ، ثم إلى لاجوق . وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور حركاه من خشب ، وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب ينصب للبيت فيه ، وينصب بإزاء الشقة سماءً بقدر من رصاص وحوض على هيئة الحمامات بالمدن إلا أنه مختصر . فإذا نام طافت به المالك دائرة وطاف بالجميع الحرس ، وتدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة مرتين : عند نومه وعند استيقاظه من النوم ، ويطوف مع الزفة أمير من أكابر الأمراء وحوله

القوانين والمشاعل، ويبعث على باب الدهليز أبواب الوظائف من النقباء وغيرهم .
فإذا دخل إلى المدينة، ركب على هيئة ركوبه لصلاة العيد بالمظلة وغيرها، هذا
ما يتعلق بخاصته .

أما موكله الذى يسير فيه جمهور ممالكه، فشماره أن يكون معهم مقدم الممالك
والاستادار، وأمامهم الخزان والجنايب والمجن، ويكون بصحبته فى السفر من كل
ما تدعو الحاجة إليه من الأطباء والكهالين والجراحية وأنواع الأدوية والأشربة
والمقايير وما يجرى مجرى ذلك، يُصَرَّف ذلك لمن يعرض له مريض بالطريق .

الهيئة السابعة

(النوم)

وقد جرت العادة أنه يبيت عنده خواص ممالكه من الأمراء وأرباب الوظائف
من الجمدارية وغيرهم، يَسْهَرُونَ بالنَّوْبَةِ بقسمة بينهم على بناكيم الرمل، كلما انقضت
نَوْبَةُ قوم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم، ويتعاقب كل منهم ما يشاغله عن
النوم فقوم يقرءون فى المصاحف، وقوم يلعبون بالشطرنج والأكل وغير ذلك .
(١)

(١) أى يقوم يتناولون بالأكل الخ .

المقصود السادس

(في عاداته في إجراء الأرزاق ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الجارى المستمر ؛ وهو على نوعين)

النوع الأول

(الإقطاعات)

والإقطاعات في هذه المملكة تجرى على الأمراء والجنود ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأراض يستغلها مقلعها ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كانت فيها نقد يتناولها من جهات وهو القليل ، وتختلف باختلاف حال أربابها .

فأما الأمراء بالديار المصرية فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن أكابر الأمراء يبلغ إقطاع الواحد منهم مائتي ألف دينار جيشية . وربما زاد على ذلك . ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة إلى ثمانين ألف دينار وما حولها ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطلحانة ثلاثين ألف دينار فأكثره وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار . ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلى مادون ذلك ؛ ويبلغ إقطاع الواحد من مقدمي الحلقة إلى ألف وخمسمائة دينار ، وكذلك أعيان جند الحلقة إلى مائتين وخمسين ديناراً .

وأما إقطاعات الشام فلا تقارب هذا المقدار بل تكون بقدر الثلثين في جميع ما تقدم . حلا أكابر الأمراء المقدسين بالديار المصرية ، فليس بالشام من يبلغ شأوهم إلا نائب الشام فإنه يفار بهم في ذلك . قال في "مسالك الأبصار" : وليس للتواب في المسانئ مدخل في تأمير أمير عوض أمير بل إذا مات أمير صغير أو كبير طولع به

السلطان فأمر مكانه من أراد من في خدمته، ويخرجه إلى مكان الخدمة، وأما من كان في مكان الخدمة أو ينقل إليه من بلد آخر فعلى ما يراه في ذلك .

أما جُند الحلقة، فمن مات منهم أستخدم النائب عوضه . وكتب بذلك رُقعة في ديوان جهش تلك المملكة، ويُجهز مع بریدی إلى الأبواب السلطانية فيُقابل عليها من ديوان الجهش بالحضرة، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجهش، ويكتب عليها منشور .

ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتب الجارية في كل يوم: من اللحم، والتوابل، والخبز، والعليق، والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشَّمع، وكذلك المالِك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقرابهم إليه . قال في "مسالك الأبصار": وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دناير وخبر ولحم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة، ثم منهم من ينقل إلى العشرة أو الطلخانة على حسب الحفظ والأرزاق .

النوع الثاني

(رزق أرباب الأقسام)

وهو مبلغ يصرف إليهم مُشاهرة . قال في "مسالك الأبصار": وأكبرهم كالوزير له في الشهر مائتان وخمسون ديناراً جيشية، ومن الرواتب والقلّة ما إذا بسط وثنى كان نظير ذلك . ثم دون ذلك ودون دونه، ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشَّمع، والسكر، والكسوة ونحو ذلك . إن غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأراضي المؤبدة، وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد بمملكة من الممالك . ولا مصر من الأمصار .

الضرب الثاني

(الإنعام وما يجري مجراه : مما يقع في وقت دون وقت ؛ وهو على خمسة أنواع)

النوع الأول

(الطلع والتشريف)

قال في "المسالك" : وإصاحب مصر في ذلك اليد الطولى حتى بقي بابه سوقاً يتفق فيه كل مجلوب ، ويحضر الناس إليه من كل قطر حتى كاد ذلك ينهك الملكة ويودى بمخصلاتها عن آخرها . قال : وغالب هذا مما قززه هذا السلطان ، ولقد أتعب من يبيء بعده من كثرة الإحسان ،
وهي على ثلاثة أصناف .

الصنف الأول

(تشريف أرباب السيوف)

وهي على طبقات ، أعلاها ما هو مختص بالأمرء المقدمين من التواب وغيرهم فوقاني أطلس أحمر بطرز زركش ، مقري بسنجاب ، بدائره يحفف من ظاهره مع غشاء قدس ، وتحت قباء أطلس أصفر ، وكلوتة زركش بكلايب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بالقباب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ، ومنطقة ذهب مرصعة على حاشية حرير تشد في وسطه ، ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عمدتها [بواكير^(١)] وسطاً ومحسين ، مرصعة بالبخيش والرُمْدِ واللؤلؤ ، ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان بيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مُقْعَمَةٍ ، زيد سيقاً محلى بذهب وفرساً مُسَرَّجاً ملججاً بكنبوش زركش ؛ وربما زيد أكابر التواب ككاتب الشام

(١) الزيادة عن ضو. الصبح .

تركية زركش على' الفوقاني . وشاش حرير سكندري مموج بالذهب . ويعرف ذلك بالتمر . وعلى' ذلك كان شاش صاحب حماة ، ويكون عوض كنبوشه زناري' أطلس أحمر ، ودون ذلك من التشاريف أقبية طرد وحش من عمل الإسكندرية ومصر والشام ، ممجوخ : جاحات' مكتوبة بالقاب السلطان ، وجاهات' صور' وحوش أو طيور صفار ، وجاهات' ملونة مموجة بقصب مذهب ، يفصل بين جاحاته نقوش' ، يركب على' القباء طراز زركش ، وعليه السجاب والقدس كما تقدم ، وتحت قباء من الطرح السكندري' المفرج ، وكلوته زركش بكلايب' وشاش كما تقدم ، وحياصة ذهب تارة تكون بيكارية وتارة لا تكون ، وهذه لأصاغر أمراء المئين' ومن' يلحق بهم . وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاة ومن يجري مجراهم . ثم للتشاريف أماكن .

منها إذا ولي أمير أو صاحب منصب وظيفة فإنه يلبس تشريفا يناسب ولايته التي وليها على' حسب ما تقتضيه الرتبة علوا وهبوطا .

ومنما عيد الفطر ، يتخلع فيه على' جميع أرباب الوظائف : من الأمراء وأرباب الأعلام كالأستادار والذوادار وأمير سلاح والوزير وكاتب السر وناظر الخاوص وناظر الجيش ونحوهم ، كلٌ منهم بما يناسبه .

قال في "مسالك الأنصار" : ومن عادة السلطان أن يُعَدَّ لكل عيد خلعة على' أنها للمبوسه من نسبة خلع' أكابر المئين' فلم يلبسها ، ولكن يختص بها بعض' أكابر المئين' يخلعها عليه

ومنما الميادين ، يتخلع فيها على' أكابر الأمراء كل ميدان يختص بإمير أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرج المذهب .

(١) لم يذكر في الأصل الصف الثاني والثالث وهما تشاريف الوزراء والتخاب وتشاريف القضاة والعلماء . وقد تكلم عليهما في الضوء ، فأنظره .

ومنها دَوْران المحمل في شَوَّال ، يخلع فيه على أرباب الوظائف بالمحمل كالقاضي والناظر والمحاسب والشاهد والمقدمين والأئمة وناظر الكسوة ومباشرها ومن في معانهم .

النسوع الثاني

(الخيول)

قد جرت عادة صاحب مصر أن ينعم على أمراءه بالخيول مرتين في كل سنة : المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القُرط في أواخر ربيعها ، فينعم على الأخصياء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم ، وتكون خيول المقدمين منهم مُسَرَّجة ملجعة بكايش من زركش ، وخيول أمراء الطبلخانات عُرباً من غير قَمَاش ، المرة الثانية عند لَعْمِه الكُرَّة بالميدان ، وتكون خيول المقدمين والطبلخانات مُسَرَّجة ملجعة بفضة بسيرة بلا كاييش ، وكذلك يرسل إلى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه ، وليس لأمرء العشرات في ذلك حفظ إلا ما يتفقدهم به على سبيل الإنعام .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : ونخاصة المقرئين من الأمراء المقدمين والطبلخانات زيادات كثيرة في ذلك بحيث يصل بعضهم إلى مائة فرس في كل سنة ؛ وله أوقات أخرى يفرق فيها الخيل على ممالكه وربما أعطى بعض مقدمي الخلفة ؛ وكل من مات له فرس من ممالكه دفع إليه عوضه ، وربما أنعم بالخيول على ذوي السن من أكابر الأمراء عند الخروج إلى الصيد ونحوه .

ونخيول الأمراء في كل سنة إطلاقاً أراضي بالأعمال الجيزية لزراع القُرط لحيولهم من غير نَحْرَاج ، ولإمالك السلطانية البرسيم المزدرع على قدر مراتبهم ، وما يدفع

إليهم من القرط يكون بدلا من علق الشعير المرتب لهم في غير زمن الربيع عوضا عن كل عقيقة نصف فدان من القرط القائم على أصله في مدة ثلاثة أشهر .

النوع الثالث

(الكسوة والحوائض)

قد جرت عادة السلطان أنه ينعم على مماليكه وخواص أهل المناصب من حملة الأقاليم في كل سنة بكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم ، ومن عاداته أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المتقدمين ، يفزق في كل موكب ميدان على أميرين بالنوبة حتى يأتى على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع توبته في ذلك . قال في "المسالك" : أما أمراء الشام فلا حفظ لهم من الإنعام في أكثر من قباء واحد يلبس في وقت الشتاء إلا من تعرض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما يقتضيه حاله .

النوع الرابع

(الإنعام والأوقاف^(١))

وأكثر الأوقات لا ضابط لمعطائه إنما يكون بحسب منزلة المنعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في "مسالك الأبصار" : ونخاصة الأمراء المتقدمين أنواع من الإنعامات كاللقار والأبنية الضخمة التي ربما أشق على بعضها فوق مائة ألف دينار ، وكساوى القماش المتنوع ، وفي أسفارهم في وقت خروجهم إلى الصيد وغيره العلوقات والأموال .

(١) في الضوء "والإدراك" .

النوع الخامس

(المأكول والمشروب)

أعظم أسمطة هذا السلطان تكون بالإيوان الكبير أيام المواب . إذا خرجت القضاة وسائر أرباب الأقلام من الخدمة . مُدَّ السهاط بالإيوان الكبير من أوله إلى آخره بأنواع الأطعمة المنوعة الفاحرة . ويجلس السلطان على رأس الخيوان والأمراء يَمَنَّةً ويسرة على قدر مراتبهم في القرب من السلطان . فإيا كان أكل خفيفا ثم يقومون . ويجلس من دونهم طائفة بعد طائفة . ثم يُرَقَّع الخيوان . وأما في بقية الأيام فيمده الخيوان في طرفي النهار لعامة الأمراء خلا البرانيين فإنه لا يحضره منهم إلا القليل النادر .

ففي أول النهار يمد سهاط أول لا يأكل منه السلطان شيئا ، ثم سهاط ثانٍ بعده قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل . ثم سهاط ثالث بعده يسمى الطارئ ، ومنه مأكول السلطان .

وفي آخريات النهار يمد سهاطان الأول والثاني المسمى بالخاص . ثم إن استدعى بقرائ حضره وإلا فيحسب ما يؤمر به . وفي كل هذه الأسمطة يسقى بعدها المشروب من الأقمما السكرية عقب الأكل . وأما في الليل فيبيت بالقرب من مبيته أطباق من أنواع المأكول المختلفة والمشروب الفائق ليتشاغل أصحاب النوب بالمأكول والمشروب عن النوم . قال في "مسالك الأبحار" : ولكل ذي إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والجُلُوى في شهر رمضان ، والصُّحبة على مقادير رتبهم .

المقصود السابع

(في اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية في نطاق مملكته . يتنازها

على ملوك الأرض من المسابين وغيرهم)

منها الكعبة المعظمة داخلية في نطاق هذه المملكة ، واختصاصه بكسوتها ودوران الحمل في كل سنة .

أما كسوة الكعبة ، فإنها كانت في الزمن الأول مختصة بالخلفاء ، وكانت خلفاء بني العباس يجهزونها من بغداد في كل سنة ، ثم صارت إلى ملوك الديار المصرية يجهزونها في كل سنة ، وأستقرت على ذلك إلى الآن . ولا عيرة بما وقع من استبداد بعض ملوك اليمن في بعض الأعصار بذلك في بعض السنين ، وهذه الكسوة تُنسج بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين من الحرير الأسود مطرزة بكاتبه بيضاء في نفس النسيج ، فيها : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ الآية . ثم في آخر الدولة الظاهرية برفق أستقرت الكتابة صفراء مشعرة بالذهب . ولهذه الكسوة ناظر مستقل بها . ولها وقف أرض بيسوس من ضواحي القاهرة يُصرف منها على استعمالها .

وأما دوران الحمل ، فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين : المرة الأولى في شهر رجب بعد النصف منه ، يحمل وينادي لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بترتين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس لا يتعداهما ، ويحمل الحمل على حمل وهو في هيئة لطيفة من نركاه وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر ، وبأعلاه قبة من فضة مطلية وبيت في ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، ويحمل بعد الصبح على الجمل المذكور

ويسير إلى تحت القلعة، فيركب أمامه الوزير والقضاة الأربعة والمحاسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من الممالك السلطانية الرماحة ملبسين المصنّات الحديد المفضّة بالحريّر الملّون، وخبوطهم ملبسة البركستونات والوجوه الفولاذ كما في القتال، وبأيديهم الرماح، عليها الشطّفات السلطانية فيلمبون تحت القلعة كما في حالة الحرب، ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رمان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس، وربما كان وقوفه في نعل من خشب على دُباب سيفين من كل جهة. وهو يفعل كذلك ويبعثوا من أزار النقط وغيرها جملة مستكثرة، ويطلق تحت القلعة في خلال ذلك، ثم يذهب إلى القُسطاط فيتمّ في وسطه، ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما في الأوّل إلا أنه أقلّ من ذلك؛ ثم يحمل من جامع الحاكم ويوضع في مكان هناك إلى سؤال؛ وفي خلال ذلك كله الطلبات والكوسات السلطانية تضرب خلفه، ويغلّغ فيه على جماعة مستكثرة. وكذلك يفعل في نصف سؤال إلا أنه يرجع من تحت القلعة إلى باب النصر ويخرج إلى الرّيدانية للسفر ولا يتوجه إلى القُسطاط.

المقصود الثامن

(في انتهاء الأخبار إليه، وهو على ثلاثة أنواع)

النوع الأوّل

(أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم)

وقد جرت العادة أنه إذا وصل رسول من ملك من الملوك إلى أطراف مملكته كاتّب نائب تلك الجهة السلطان عزفه بوقوده، وأستأذنه في إخصاصه إليه، فتبرز المراسيم السلطانية بحضوره فيحضّر. فإذا وقع الشّعور بحضوره فإن كان مرسله

ذا مكانة عظيمة من الملوك : كأحد القانات من ملوك الشرق ، خرج بعض أكابر
الأمراء كالكاتب وحاجب الحجاب ونحوهما للقاءه . وأُتِلَ بقصور السلطان بالميدان
الذى يلعب فيه بالكرة . وهو أعلى منازل الرسل . وإن كان دور ذلك تلقاه
المهمندار وأستاذن عليه الدوادار وأزله دار الضيافة أو ببعض الأماكن على قدر
رتبته . ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بإيوانه ، وتحضر أعيان المملكة الذين
شأنهم الحضور من أرباب السيوف والأقلام ، ويحضر ذلك الرسول ومحبيه
الكاتب الوارد معه . فيقبل الأرض ويتناول الدوادار الكاتب منه فيمسحه بوجه
الرسول . ثم يدفعه إلى السلطان فيفضّه ويدفعه إلى كاتب السر فيقرؤه على السلطان
ويأمر فيه أمره .

النوع الثاني

(الأخبار التي تردّ عليه من جهة نوابه)

عادة هذا السلطان أن يطالعه نوابه في مملكته بكل ما يتجدّد عندهم من مهمات
الأمر أو ما قاربها . وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الإنشاء بما
يراه في ذلك . أو يتدشّم هو بما يقتضيه رأيه . وينفذ على البرد أو أجنحة الحمام
الرسائل على ما يأتي ذكره في المقالة الثالثة من الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد جرت العادة أنه إذا ورد برید من بلد من بلاد المملكة أو عاد المجهز من
الأبواب الشريفة بجواب . أحضره أمير جانداز والدوادار وكاتب السرين يدي
السلطان فيقبل الأرض . ثم يأخذ الدوادار الكاتب فيمسحه بوجه البريدي ، ثم
يناوله للسلطان فيفضّه ويجلس كاتب السر فيقرؤه عليه ويأمر فيه بأمره .

وأما بطائق الحمام ، فإنه إذا وقع طائر من الحمام الراسي ببطاقة أخذها البراح وأنى بها الدوادار ، فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمام بيده ، ثم يحملها إلى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرأها كما تقدم .

النوع الثالث

(أخبار حاضره)

جرت العادة أن والى الشرطة يستعلم متجددات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك في كل يوم من توابه ، ثم تكتب مطالعة جامعةً بذلك ويحمل إلى السلطان صبيحة كل يوم فيقرب عليها . قال في "مسالك الأبصار" : وأما مايقع للناس في أحوال أنفسهم فلا .

المقصد التاسع

(في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم)

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الْمُتَعِينِ أَوْ الطَّبْلَخَانَاتِ سُلْطَانٌ مُخْتَصَرٌ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ بَيْوتٌ خَدَمَةٌ كَبِيرَةٌ خَدَمَةُ السُّلْطَانِ مِنَ الطُّشْتِ خَانَاهُ ، وَالْفِرَاشِ خَانَاهُ ، وَالرُّكَّابِ خَانَاهُ . وَالزُّرْدِ خَانَاهُ ، وَالْمَطْبُخِ ، وَالطَّبْلَخَانَاهُ ، خِلاَ الْخَوَاصِجِ خَانَاهُ فَإِنَّهَا مُخْتَصِمَةٌ بِالسُّلْطَانِ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ مَهْتَارٌ مُقْسَمٌ حَاصِلُهُ ، وَتَحْتَ يَدِهِ رِجَالٌ وَغُلَامَانُ لِكُلِّ مِنْهُمْ وَظِيفَةٌ مُخْتَصِمَةٌ ، وَكَذَلِكَ لِكُلِّ مِنْهُمْ الْخَوَاصِلُ مِنْ إِصْطِبَلَاتِ الْخَيُْولِ وَمُنَازَحَاتِ الْجِمَالِ وَشُؤْنِ الْغُلَّالِ ، وَهَلْ مِنْ أَجْنَادِهِ أَسْتَادَارُ ، وَرَأْسُ تَوْبَةٍ ، وَدَوَادَارُ ، وَأَمِيرٌ بِمَجْلِسٍ ، وَجَمْدَارِيَّةٌ ، وَأَمِيرَاخُورُ ، وَأَسْتَادَارُ حَمِيَّةٍ ، وَمَشْرَفُ . وَتُوصَفُ الْبُيُوتُ فِي دَوَاوِينِ الْأَمْرَاءِ بِالْكَرِيمَةِ ، فَيُقَالُ الْبُيُوتُ الْكَرِيمَةُ كَمَا يُقَالُ فِي بَيْوتِ السُّلْطَانِ الْبُيُوتُ الشَّرِيفَةُ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا يُقَالُ : الطُّشْتِ خَانَاهُ الْكَرِيمَةُ وَالْفِرَاشِ خَانَاهُ

الكريمة ، وكذا في الباقي ، ويوصف الإصطبل بالسعيد فيقال : الإصطبل السعيد . وكذلك المناخ ، وتوصف الشون بالمعمورة فيقال : للشونة المعمورة . قال في "مسالك الأبصار" : ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مُسَرَّجٌ مُلَمَّحٌ ، وربما ركب الأمير من أكابرهم بجنبيين سواء في ذلك الحاضرة والبَرِّ . قال : ويكون لكل منهم طلب مشتمل على أكثر مما يليك ، وقذاهم خزانة محمولة للطلبخانة على جمل واحد ، يميزه راكب على جمل آخر ، والألف على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك ، وأمام الخزانة عدة جنائب تُجَرَّجُ على أيدي ممالك رُكَّاب خيل ويُهَجَّن ، ورُكَّابة من العرب على هجن ، وأمامهم الهجن بأكوارها مجنوبة . للطلبخانة قطار واحد وهو أربعة ، ومركوب الهجان والألف قطاران وربما زاد بعضهم . قال : وعدد الجنائب في كثرتها وقتلها إلى رأى الأمير وسعة نفسه ، والجنائب المذكورة منها ماهو مُسَرَّجٌ مُلَمَّحٌ ، ومنها ماهو بعباءة لا غير . انتهى كلامه .

ومن عاداتهم أيضا أن الأمير إذا ركب يكون أكابر أجناده من أرباب الوظائف : كراس توبة والدوادار ، وأمير مجلس ، ومشاة الخدمة أمامه ؛ وكل من كان منهم أكبر كان إليه أقرب ؛ وتكون الجندارية من ممالك الصغار خلفه وأمير اخوره خلف الجميع ، ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان في ذلك .

ومن عادة أكابر مجالس بيوتهم أنه ينصب للأمير بشتميخ خلف ظهره من الجوخ الأحمر المزهر بالجوخ الملون . يرك ذلك الأمير وطراز فيه ألقابه ، ويجلس على مقعد مُسْتَنِدًا ظهره إلى البشتميخ ، وربما جلس أكابرهم على مدورة من جلد ورجلاه على الأرض ، وتكون الناس في مجلسه في القرب إليه على حسب مراتبهم .

ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه ما بين هتاب أو دواة أو بقجة أو فرنسيسية ونحو ذلك ، بشطقة واحدة أو شطفتين ، بألوان مختلفة ، كل

أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك ، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كطابخ السكر ، وشون الفلال ، والأملك والمراكب وغير ذلك ، وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص ، ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها ، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركسطوانات الخيل وغيرها .

ومن عوائد أمراء العسكرية بالحضرة السلطانية أنهم يركبون في يومى الاثنين والخميس فى الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل إن كان ، وإلا فعلى حاجب الجباب ، ويسرون تحت القلعة مرآت ، ثم يقفون بسوق الخيل وتعرض عليهم خيول المنادة ، وربما تؤدى على كثير من آلات الخيل والخيول والخركاوات والأسلحة . قال فى "مسالك الأبحار" : وقد ينادى على كثير من المقارات ، ثم يطلعون إلى الخدمة السلطانية على ما تقدم .

ومن قاعدة هذه المملكة أن أجناد الأمراء كافة تعرض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أسمائهم مفصلة فيه ، وكانوا فيما تقدم يحملون بالديوان . أما الآن ، فقد ترك ما هنالك وأكثرى بأوراق نكتب من دواوين الأمراء بأسماء أجناده وتثبت بديوان الجيوش . ثم كلما مات واحد منهم أو فصل من الخدمة ، عرض بديوان الجيوش واحد مكانه يعبر فيه عرض من ديوان ذلك الأمير .

ومن عاداتهم أن من مات من الأمراء والجند قبل استكمال سنة خدمته حوسب فى مستحق إقطاعه على مقدار مدته ، وكتب له بذلك محاسبة من ديوان الجيوش ، ويكون ما يتحصل من المنفل شركة بين المستقر وبين الميت أو المتفصل على حسب استحقاق القراريط ، كل شهر من السنة بتمراطين .

ومن عادة الأمراء أنه إذا مر السلطان في متصدياته بإقطاع أمير كبير، قدم له من الإوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو إليه همة مثله فيقبله منه، ثم ينعم عليه بخمسة كاملة يلبسها، وربما أمر لبعضهم بشيء من المال فيقبضه.

المقصود العاشر

(في ولاة الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية.

وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(الثواب، والمستقر بها ثلاث نيات)

الأولى - نيابة الإسكندرية : وهي نيابة جلييلة، نائما من الأمراء المتقدمين يضاها في الرتبة نيابة طرابلس وماوا معناها أو يقاربها، وبها حاجب أمير عشرة . وحاجب جندي، ووال للدينة، وأجناد حلقية عتتهم مائتا نفر، يعبر عنهم بأجناد الماسئين، وبها قاضي قضاة مالكي، وقاض حنفي مستحدث. وربما كان بها قاض شافعي، والمالكي أكبر الكل بها، وهو المتحدث في أموال الأيتام والأوقاف. على أنه ربما ولي قضاء قضائيا في الزمن الماضي شافعي، وبها موقع يعبر عنه في البلد بكتاب السر، وناظر متحدث في الأموال الديوانية، ومعه مستوف، وتحت يده كتاب وشهود، وبها محتسب، وليس بها قضاة عسكر ولا مفتو دار عدل، ويكيل بيت المال بها نائب عن نائب بيت المال بالقاهرة، وترتكبها أمراء المتقدمين والطبلخانات في غير الزمن الذي يتمتع سير المراكب الحربية والبحر بشدة الريح منها. ووال للتركيز يسمى الحاجب. وقد مر القول على معاملتها. وذكر أحوالها في الكلام على قواعد الديار المصرية المنسقة فغنى عن إعادته هنا.

وهذه النيابة مع جلالة قدرها ورقعة محلها ليس لها عمل يحكم فيه نائبها ولا قاضيا ومحسبها بل حكمهم قاصر على المدينة وظواهرها لا يتعدى ذلك، بخلاف غيرها من سائر نيابات المملكة وبها كرسى سلطنة بدار النيابة، وعادة الخدمة السلطانية بها في أيام المواكب أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفي خدمته مماليكه وأجناد المائتين المتقدم ذكرهم، ويخرج من دار النيابة عند طلوع الشمس، ويسير في مركبه والشباب السلطانية بين يديه حتى يخرج من باب البحر، ويخرج الأمراء المرؤوسون على حديثهم أيضا، ويحتمسون في المركب ويسبرون خارج باب البحر ساعة ثم يعودون، ويتوجه النائب إلى دار النيابة في مماليكه وأجناد المائتين. وقد فارقه الأمراء المرؤوسون وتوجه كل منهم إلى منزله. فإذا صار إلى دار النيابة: فإن كان في ذلك المركب سباط، وضع الكرسى في صدر الإيوان مغشى بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف نجاة سلطانية ومدة السباط تحته وأكل مماليك النائب وأجناد المائتين وجلس النائب بجنبه من الإيوان والشباك مطل على مينا البلد، ويجلس القاضي المالكي عن يمينه، والقاضي الحنفي عن يساره، والناظر تحته، والموقع بين يديه، ورؤوس البلد على قدر منازلهم، وترفع القصص فيقرؤها الموقع على النائب فيفصلها بمحضرة القضاة ثم ينصرف المركب.

قلت: وهذه النيابة مستحدثة، وكان ابتداء ترتيبها في سنة سبع وستين وسبعمائة في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرقتها الفريخ فتكوا بأهلها وقتلوا ونهبوا وأسرروا، وكانت قبل ذلك ولاية تعد في جملة الولايات الطبلخانة، وكان لواليتها الرتبة الجليلة والمكانة العلية.

الثانية - نيابة الوجه البحري. وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق. ونائبها من الأمراء المتقدمين، وهو في رتبة مقدم السكر بقرعة الآتي ذكره في المسالك

الشامية، ومقر نيابتها مدينة دمنهور بالبحيرة، وحكه على جميع بلاد الوجه البحرى المتقدم ذكرها فى الكلام على أعمال الديار المصرية المستقرة خلا الإسكندرية، وليس على قاعدة النيابات فى ركوب المواكب وما فى معناها، بل نائبها فى الحقيقة كاشف كبير، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس التشرىف وكتابة التقليد والمكتابة بما يكتب به مثل نائبها من التواب، وقد كان القائم بها فى الزمن الأول قبل استقرارها نيابة يعبر عنه بوالى الولاية.

الثالثة - نيابة الوجه القبلى. وهى مما استحدثت فى الدولة الظاهرية برقوق أيضا، وكان مقر نائبها مدينة أسيوط، وحكه على جميع بلاد الوجه القبلى، وهى فى الترتيب والرتبة على ما تقدم من نيابة الوجه البحرى، غير أنها أعظم خطرا فى النفوس وكان القائم بها قبل ذلك يسمى والى الولاية كما تقدم فى الوجه البحرى.

الطبقة الثانية

(الكشاف)

قد تقدم أنه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كاشفان يعبر عن كل منهما بوالى الولاية، ولما استقرتا نيابتين جعل للوجه البحرى كاشف من أمراء الطبليخاناه على العادة المتقدمة، وهو فى الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرى، ومقرته منية غمر من الشرقية، وجعل كاشف آخر للبنسواية والقيوم، وعُطل القيوم من الوالى، وباقى الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه، ولجيزية كاشف يتحدث فى جسورها وسائر متعلقاتها، ولا يتعدى أمره إلى غيرها من النواحى.

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين القبلي والبحري)

وقد تقدم ذكر أعمالها؛ ومراتب الولاية بهما لاتخرج عن مرتبتين :
 'المرتبة الأولى' - الولاية من أمراء الطليخاناه. وهي سبع ولايات بالوجهين القبلي والبحري - على ما استقر عليه الحال .

فأما الوجه القبلي - ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة: وهي ولاية الهنسي، وولاية الأشمونين، وولاية قوص، وهي أعظمها حتى إن واليها كان يركب بالشبابه أسوة الثواب بالمالك، وولاية أسوان: وهي مستحدثة في الدولة الظاهرية برفوق، وكانت قبل ذلك مضافة إلى والي قوص يجعل فيها نائباً من تحت يده، وكانت ولاية القيوم طليخاناه، ثم استقرت كشفاً على ما تقدم .

أما أسيوط، فلم يكن بها والي لكونها مقر نائب الوجه القبلي - ومقر والي الولاية من قبله، وسيأتي ما كان ولاية طليخاناه من الوجه القبلي - ثم نقل .

وأما الوجه البحري - ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة، وهي ولاية الشرقية، ومقر واليها ببلبيس؛ وولاية المنوفية ومقر واليها مدينة منوف؛ وولاية الغربية، ومقر واليها المحلة الكبرى، وهي تضاهي ولاية قوص من الوجه القبلي - إلا أن واليها لم يركب بالشبابه قط؛ وولاية البحيرة، ومقر واليها مدينة دمهور، وربما عطلت ولايتها لكونها مقرة النائب، وقد تقدم أن ولاية النائب قبل أن تستقر نيابة كانت ولاية طليخاناه.

المرتبة الثانية - من الولاية أمراء العشرات . وهي سبع ولايات بالوجهين :

فأما القبلي - ففيه من هذه الرتبة ثلاث ولايات : ولاية الجيزة، وكانت قبل ذلك طليخاناه؛ وولاية لمخفيح ولم تزل عشرة؛ وولاية منقلوط ولايتها عشرون، وكانت

قبل ذلك ولاية طبلخانا، وقد كان بعبدآب في الأيام الناصرية ابن قلاوون وما بعدها
وال أمير عشرة يوثى من قبل السلطان ويراجع وإلى قُوص في الأمور المهمة .
وأما الوجه البحرى ، ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة ، ولاية منوف ، وولاية
أشمون ، وولاية دميّاط ، وولاية قطيا ، وكانت قبل ذلك طبلخانا .

الطبقة الرابعة

(أمراء العربان بنواحي الديار المصرية)

قد تقدم في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى ذكر أصول أنساب
العرب ، وأنقسامهم إلى قحطانيّة وهم العاربة ، وإلى عدنانيّة وهم المستعربة ، وبيان
رجوع كلّ بطن من بطون العرب الموجودين الآن بالديار المصرية وغيرها إلى قبيلتهم
التي إليها ينتسبون ، وبيان من يوجهى الديار المصرية القبلى والبحرى من القبائل ،
وأخذ كل قبيلة المتشعبة منها . والمقصود هنا بيان أمراء العربان بالوجهين
المذكورين في القديم والحديث .

فأما الوجه القبلى ، فقد ذكر الحمداني أن الإمرة كانت بالوجه القبلى في ثلاثة أعمال :
العمل الأول - عمل قُوص ، وكانت الإمرة به في بيتين من بني من قضاعة بن
حيدر بن سيلم من القحطانيّة .

الأول - بنو شاذي المعروفون ببني شاذي . وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف
بقصر بني شاذي بالأعمال القُوصيّة ، وتقدم هناك أنه قيل إنهم من بني أميّة بن
عبد شمس من قرّيش .

الثاني - العجالة . وهم بنو العجيل بن الذئب منهم أيضا ، وكانوا معهم هناك .

العمل الثاني - عمل الأئمة، وكانت الإمارة به في بني تغلب من السلطنة، وهم أولاد أبي جحيش من الحيادة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، من عقب الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكانت منازلهم بدروت سرّام، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن تغلب فعرفت بدروت الشريف من يومئذ - وأستولى عليها وعلى بلاد الصعيد - وقد تقدم أنه كان في آخر الدولة الأيوبية - فلما ولي المعز أيك التتائي: أول ملوك الترك بالديار المصرية السلطنة، أئف من سلطته وسمت نفسه إلى السلطنة بفهم إليه المعز جيوشا، بغرت بينهم حروب لم يظفروا به فيها، وبقي على ذلك إلى أن كانت دولة الظاهر بيسبرس، فنصب له حبال الحيل وصاده بها وشقه بالإسكندرية .

العمل الثالث - الهلبي، وكانت الإمارة فيه في بيتين .

الأول - أولاد زعازع^(١) (بضم الزاي) من بني جديدي من بني بلار من لوائه^(٢) من الربر أو من فيس عيّن على الخلاف السابق عند ذكر نسبهم في المقالة الأولى . قال الحمداي : وهم أشهر من في الصعيد .

الثاني - أولاد قرّيش . قال الحمداي : وهم أمراء بني زيد، ومساكنهم نورة دلاص .

قال : وكان قرّيش هذا عبدا صالحا كثير الصدقة ، ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك .

وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " : أن الإمارة بالوجه القبلي في زمانه (وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وما وليها) كانت لناصر الدين عمر بن فضل ، ولم يذكر مقرّنه ولا من أمّ العرب هو، وذكر أيضا أن الإمارة فيا فوق

(١) تقدم لنا في الجزء الأول (ص ٣٦٥) ضبطها بالفتح والصراب ما هنا .

(٢) ضبطها المؤلف فيا تقدم بالهاء المثناة ولكن المجد ذكرها في باب التاء المثناة .

أسوان كانت في عرب يقال لهم الحِدَارِيَّة في سَمِيَّة بن مالك . قال : وهو ذو عَدَد جَمَّ وشوكة مُنِيكَة ، يغزو الحبشة وأُمَّ السودان ، ويأتي بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود وقُضِلُ مَانُور ، وقد على السلطان فأكرم منواء ، وعقد له لواء وشُرف بالتشريف ، وقُدَّ ، وكُتِبَ إلى ولاية الوجه القبلي عن آحرم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغزو معه متى أراد ، وكتب له منشور بما يفتح من البلاد ، وتقليدُ بامرأة عربان القبلة مما على قُوص إلى حيث تصل غايته ، وتُرَكُّ رأيته .

قلت : أما في زماننا هذ وجهت عرب هَوَارة وجوهها من عمل البحيرة إلى الوجه القبلي ونزلت به أنتشرت في أرجائه أنتشار الجراد ، وبسطت يدها من الأعمال البهناوية إلى متناه حيث أسوان وما والاها ، وأذعنتم لهم سائر العربان بالوجه القبلي قاطبة ، وأحازوا إليهم وصاروا طُوعَ قيادهم .
والإمرة الآن فيهم في بيتين .

الأول - بنو عمر : محمد وإخوته . ومنازلهم بخرجا ومنشأة إسماعيل ، وأمرهم نافذ إلى أسوان من القبلة وإلى آخر بلاد الأشمونين من بحري .
الثاني - أولاد غريب . ويدهم بلاد البهنسي ، ومنازلهم دهروط وما حولها .



وأما الوجه البحري ، فقد ذكر الحمداني أن الإمرة فيهم في خمسة أعمال .
العمل الأول - الشرقية . قال : والإمرة فيها في فيلئين .
الأولى - ثعلبة ، وذكر أن الإمرة كانت فيهم في شُقَيْر بن جريح من المصافحة من بني زُرَيْق ، وفي عمر بن نفيلة من العَلَمِيِّين .
الثانية - جُدَام : وقد ذكر أن الإمرة كانت فيهم في خمسة بيوت .
الأول - بيت أبي رُشد بن حبشي ، بن نَجْم ، بن إبراهيم من العُقَيْلِيِّين : بن عَقْبَل

ابن قُزَّة ، بن مَوْهوب ، بن عُبيد ، بن مالك ، بن سُويد ، من بنى زيد بن حَرَام ،
ابن جُدَام ، أُمَرُ بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .

الثاني - طَرِيف بن مَكْنُون^(١) ، من بنى الوليد ، بن سُويد المقدم ذكره ، وإلى
طَرِيف هذا يُنسَبُ بنو طَرِيف من بلاد الشرقية . قال الحمداني : وكان من
أكرم العرب ، كان في مَضِيَّتِهِ أَيَّامَ الْغَلَاءِ أَشْنَأُ عَشْرَ أَلْفَا تَأْكُلُ عَنْده ، وكان يَهْتِمُ
الثرِيدُ في المراكب . قال : ومن بنيه فَضْلُ بن سَمْعِ بن كُثُونة ، وإبراهيم بن عَالِي ،
أُمَرُ كُلِّ مِنْهُمَا بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .

الثالث - بيت أولاد منازل من ولد الوليد المذکور، كان منهم مَعْبِدُ بن مُبَارَك ،
أُمَرُ بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .

الرابع - بيت نَمِي بن خَنَمِ من بنى مالك ، بن هَلْبَا بن مالك بن سُويد ، أَقْطَعَ خَنَمِ
أَبْنِ نَمِي المذکور وأُمَرُ ، وَأَقْنَى عِدْدَا مِنَ الْمَالِكِ الْأَثَرَاكِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ ، وَبَلَغَ
من الملك الصالح أَيُوبَ مَنَزَلَةً ، ثُمَّ حَصَلَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمَعَزِ أَيْبَكُ التُّرْكُمَانِي عَلَى الدَّرَجَةِ
الرَّفِيعَةِ ، وَقَدَّمَهُ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ غَلْمَانُهُ ، فَجَعَلَ
الْمَعَزُ أَبْنِيَهُ : سَلْمَى وَدَغْشَ عَوْضَهُ ، فَكَانَا لَهُ نَعَمٌ ائْتَلَفَ ، ثُمَّ قَدِمَ دَغْشُ دِمَشْقَ فَأَمَرَهُ
الملك الناصر صاحب دِمَشْقَ يَوْمئِذٍ من بنى أَيُوبَ بِبُوقِ وَعَلَمٍ ، وَأَمَرَهُ الْمَلِكُ أَيْبَكُ
أَخَاهُ سَلْمَى كَذَلِكَ .

الخامس - بيت مُقَرَّجِ بن سالم بن راضِي من هَلْبَا بَعَجَةَ ، ابن زيد ، بن سُويد ،
ابن بَعَجَةَ ، من بنى زيد بن حَرَام بن جُدَام ، أَمَرَهُ الْمَعَزُ أَيْبَكُ التُّرْكُمَانِي بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .
وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْمَعَزُ تَأْمِيرَ سَلْمَى بن خَنَمِ المقدم ذكره أَمْتَنَعَ أَنْ يُؤْمَرُ حَتَّى
يُؤْمَرُ مُقَرَّجُ بن طَائِمِ^(٢) .

(١) تقدم في الجزء الأول (ص ٣٣٢) ابن يَكُوت . (٢) له سالم .

العمل الثاني - المتوفية . والإمارة فيها لأولاد نصير الدين من لواتة ، ولكن إمرته في معنى مشيخة العرب .

العمل الثالث - الغربية . والإمارة فيه في أولاد يوسف من الخراطة من سنيس من طي من كهلان من القحطانية ، ومقرتهم مدينة تنغا من الغربية .

العمل الرابع - البحيرة . وقد ذكر في " التعريف " : أن الإمارة في الدولة الناصرية ابن قلاوون كانت لخالد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم . قال في " مسالك الأبصار " : وكانا أميرين سيدين جليلين ذوي كرم وإفضال وتجاعة وثبات رأى وإقدام .

العمل الخامس - برقة . قال في " التعريف " : ولم يبق من أمراء العرب ببرقة يعني في زمانه إلا جعفر بن عمر ، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ، وبخاشنة وليان ، والجيوش في كل وقت تمتد إليه ، وقيل أن تغفر منه طائل أو رجعت منه بمنم ، وإن أصابته نوبة من الدهر . قال : وآخر أمره أن ركب طريق الواح حتى خرج من القيوم وطرق باب السلطان لاثنا بالعفو ، ووصل ولم يسبق به خبر ، ولم يعلم السلطان به حتى استأذن المستأذن له عليه وهو في جملة الوقوف بالباب ، فأكرمهم الكرامة وشرفت بأجل التشريف ، وأقام مدة في قري الإحسان وإحسان القري وأهله لا يعلمون ماجري ، ولا يعلمون أين يم ولا أي جهة نحا ، حتى أتهم وافدات البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لم لا أعلمت أهلك بقصدك إلينا؟ قال : خفت أن يقولوا : يفتك بك السلطان فأتنبط ، فاستحسن قوله ، وأفاض عليه طوله ، ثم أعيد إلى أهله ، فأنقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء ولا رأى له صاحب ولا شئت به عدو .

قلت : والإمرة اليوم في بَرَقَة في عمر بن عريف ، وهو رجل دينٌ وكان أبوه [عريف ذا دين متين رأيته ^(١)] في الإسكندرية بعد الثمانين والسبعائة ، واجتمعت به فوجدت آثار الخير ظاهرة عليه .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

(في المملكة الشامية ، وما يتصل بها : من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين القُرَاتِ والدَّجَلَةِ مما هو مضاف إلى هذه المملكة ؛ وفيه أربعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضل الشام وخواصه وعجائبه ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في فضل الشام)

أعظم شاهد لذلك ما أخرجه الترمذي من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال : ” مَكَّنَا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طُوبَى لِأَهْلِ الشَّامِ . فَقُلْتُ : لِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَاسِطَةً أَجْنَحَتَهَا عَلَيْهِ “ . هذا وقد بُعِثَ به الكثير من الأنبياء عليهم السلام ، وفيه ضرائعهم الشريفة ، والمسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد الثلاثة التي بُنِيَتْ لَهَا الرُّحَالُ ، وهو أول القبلتين ؛ وبه ينزل المسيح عليه السلام بمنازة جامع دمشق ؛ وبه يقتل الدجال بمدينة لُدَّ . وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ” إِنْ اللَّهُ بَارَكَ فِيمَا بَيْنَ الْغُرَيْشِ إِلَى الْقُرَاتِ وَخَصَّ فِلَسْطِينَ بِالْقُدْسِ “ .

(١) ترك له في الأصل بياضا وأخذناه عن الضوء للأولف .

المقصود الثانى

(فى خواصه وعجائبه)

أما خواصه فإن به الأماكن التى تعظمها الأمم على اختلاف عقائدهم كالصخرة التى هى قبلة اليهود، والقائمة التى يحجها النصارى من سائر أقطار الأرض، وطور نابلس الذى تحجبه السامرة، وبمدينة صور كنيسة تعتقد طائفة من النصارى أنه لا يصح تملك ملوكهم إلا منها، على ما سأتى ذكره فى الكلام على أعمال صفد إن شاء الله تعالى، وغير ذلك مما تنقاد به الأمم إلى صاحب هذه المملكة وتدعى لمساكنه .
وأما عجائبه فكثيرة .

منها - (حمة طبرية) المشهورة : وهى عين تنبع ماء شديد الحرارة يكاد يساقط البَيضة، يقصدها المترددون للاستشفاء بالغتسال فيها . قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : "وليس فيها حمام يوقد فيه النار إلا احتلجتم الصغير .

ومنها - (قبة المقارب) بمدينة حمص . وهى قبة بالقرب من مسجد جامع، إذا اخذ شيء من تراب حمص وجبل بالماء وألصق بداخل تلك القبة وترك حتى يجف ويسقط بنفسه من غير أن يلقيها أحد ثم أخذت ووضع منها شيء فى بيت لم يدخله عقرب، أو فى قماش لم يقر به، وإن دُر على عقرب منه شيء أخذها مثل السكر فرما زاد عليها فقتلها، بل قيل إن ذلك لا يختص بالقبة بل عاتمة أرض البلد كذلك حتى لا يدخلها عقرب إلا مات، بل لا يقرب ثيابا ولا أمتعة عليها غبارها، وإلى ذلك أشار القاضى الفاضل فى البشرى بفتحها بقوله : "ودبت إليها عقارب المجانيق فخالفت عادة حمص فى المقارب، ورُميت الحجارة بالحجارة فوقعت العداوة المعروفة بين الأفرار" .

ومنها - (عَيْنُ قَوَارَةٍ) داخل البحر الملح على القُرب من ساحل مدينة طَرَابُلُسْ على قدر رَمية حجر عن البر، تَنبُوع ماء عذبا يطفو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر يتبين عند سكون الريح .

ومنها - (وادي القَوَار) وهو وادي بالقرب من حصن الأكراد من عمل طَرَابُلُسْ غربا عنه بِشمال على الطريق السالكة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي صفة بُر قائمة في الأرض، وفي سُفْلِ الأرض سِرْدَابٌ ممتد إلى الشمال يَفُور في كل أسبوع يوما واحدا لا غير، فتسقى به أرض ومُزْدِرَعَاتٌ ، ويتزل عليه التُرْكُمان ويَرِدُونَهُ ، ويُسمَع له قبل قَوَارَانِه دَوِيٌّ كالرعد، وهو في بقية الأيام يابس لا ماء فيه . قال : وذكر لي مَنْ دخل السرداب أن في نهايته نهرا كبيرا آخذا من الغرب إلى الشرق تحت الأرض، له جريان قَوِيٌّ ، وبه موج وريح عاصف ، لا يُعرَف إلى أين يجري ولا من أي جهة يأتي .

ومنها - (حَمَامُ القُدُمُوس) من قِلاع الدعوة من عمل طَرَابُلُسْ يخرج منها أنواع كثيرة من الحيات تظهر من أنابيب مائها وتدخل في شياخ داخلها ، ولم يشتهر أنها أَصْرَتْ أحدا قَطُّ على مَرِّ الدهور وتطاول الأزمنة، حكاه في "مسالك الأبصار" . ومنها - (صَدْعُ) في سور الخَوَاصِي من قِلاع الدعوة من عمل طَرَابُلُسْ أيضا . إذا لُدِغ أحد بحية فأتى إلى ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده . سلم من تلك اللدغة ، ولم يضره السم . إلى غير ذلك من العجائب الظاهرة والمندرسة بمرور الزمان عليها .

قال ابن الأثير : ويقرأ حَلَبَ قرية تُسمى بَرَّاق ، يقال إن بها مَعْبَدا يقصده أصحاب الأمراض وَيَبْتَغُونَ به . فلما أن رأى المريض في منامه مَنْ يقول له أستعمل كذا وكذا

فيراً ، أو يمسح عليه بيده فيراً . قال في تاريخه : وبقريّة مبرون من قرى صَفَد مغارة يظهر فيها الماء في يوم من السنة تجتمع إليه اليهود في ذلك اليوم ، ويحلبون منه الماء إلى البلاد البعيدة ، وبادى دلسه من عملها عين تعرف بعين الجن تفور لحظة كالنهر ثم تفور حتى لا يبقى فيها ماء ، ثم تفور كذلك ليلاً ونهاراً ، وبقريّة بكوزا من قرى صَفَد عَيْن داخل العنبة عنبّة أخرى ، وبقريّة عد شيب من قراها بلوط يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حضنها حجر ، وبقريّة عياض تراب الخير إذا عمل منه كوز وسقي فيه الكثير من آدمى أو غيره ، جبر عظمه ، وبالناصره من أعمالها كنيسة بها عمود إذا اجتمع عنده جماعة وعملوا سماعاً عرق العمود حتى يظهر عرقه .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في حدوده ، وأبتداء عمارته ، وتسميته شاماً وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في حدوده)

وقد اختلف في تحديده ، فذكر في " التعريف " أن حده من القبلة إلى البرّ المفقّر :
 يسه بنى إسرائيل وبرّ الجحاز والسّاوة إلى مرعى القرات بالعراق . قال : وهذه
 المحاذات كلّها من جزيرة العرب .
 وحده من الشرق طَرَف السّاوة والقّرات .
 وحده من الشمال البحر الرومى .

وحده من الغرب حد مصر المتقدم ذكره ، وذكر في " تقويم البلدان " :
 أن حده من الجنوب من أول رَفَح التي في أول الحفّارين بِصَر والشام إلى حدود
 يسه بنى إسرائيل إلى ما بين الشّوبك وأيلة من البلقاء وحده من الشرق من البلقاء

إلى مشارق صَرْخَدَ، أَخْذًا عَلَى أَطْرَافِ الْغُوطَةِ، إِلَى سَامِيَّةَ، إِلَى مَشَارِيقِ حَلَبَ، إِلَى بَالِسَ، وَحَدَّهُ مِنَ الشِّمَالِ مِنَ الْبَلَدِ مَعَ الْفُرَاتِ إِلَى قَلْعَةِ نَجْمَ، إِلَى الْبَيْرَةِ، إِلَى سُمَيْسَاطَ، إِلَى حَصْنِ مَنْصُورَ، إِلَى بَهْسَى، إِلَى مَرْعَشَ، إِلَى بِلَادِ سَيْسَ، إِلَى طَرَسُوسَ، إِلَى بَحْرِ الرُّومِ؛ وَحَدَّهُ مِنَ الْغَرْبِ مِنَ طَرَسُوسَ الْمَذْكُورَةِ أَخْذًا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى وَقْعِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ حَيْثُ وَقَعَ الْإِبْتِدَاءُ .

قلت : وَاتَّخَلَفُ بَيْنَهُمَا فِي شَيْئَيْنِ .

أحدهما - أنه في " التعريف " جعل حَدَّهُ الشِّمَالِيَّ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ، وَحَدَّهُ الْغَرْبِيَّ حَدَّ مَصْرَ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ ، وَفِي " تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ " جَعَلَ حَدَّهُ الشِّمَالِيَّ الْبِلَادَ الَّتِي بَيْنَ الْفُرَاتِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ، وَحَدَّهُ الْغَرْبِيَّ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ مِنْ طَرَسُوسَ إِلَى رَجَعٍ فَيَدْخُلُ حَدَّ مَصْرَ الَّذِي حَدَّهُ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ فِي " التَّعْرِيفِ " فِي هَذَا الْحَدِّ، وَكَأَنَّ الْمَوْفِعَ لَهَا فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ عَنِ الشَّامِ غَرْبًا بِشِمَالٍ، فَجَنَعَ كُلَّ مِنْهُمَا إِلَى جِهَةٍ .

الثاني - أنه في " تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ " أَدْخَلَ بِلَادَ الْأَرَمَنِ الْمُتَّصِلَةَ بِأَنْحَرِ بِلَادِ حَلَبَ مِنَ الشِّمَالِ فِي حُدُودِ الشَّامِ، وَفِي " التَّعْرِيفِ " أَنْحَرَجَهَا وَهُوَ التَّحْقِيقُ . وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي " التَّعْرِيفِ " فِيمَا بَعْدُ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ الْفَتْوحَاتِ الْجَاهَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ بِلَادِ الْأَرَمَنِ مِنْ جِهَةِ حَلَبَ بِالذِّكْرِ : وَأَثْبَتُ بِهَا هَهُنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَعَلُّقٌ بِمَمْلَكَةِ تَزَكُرَ فِيهَا، وَلَيْسَتْ مِنَ الشَّامَاتِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ بِلَادِ الْأَرَمَنِ الْمَسْمُومَةِ قَدِيمًا بِبِلَادِ الْعَوَاصِمِ وَالنُّغُورِ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى بِلَادِ الْأَرَمَنِ بِفَرْدِهَا فِي جُمْلَةِ أَعْمَالِ حَلَبَ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ الشَّامِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

على أن ما ذكره من التحديد في " التعريف " و " تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ " لَا يَخْلُو عَنْ تَسَاهُلٍ . فَقَدْ قَالَ فِي " التَّعْرِيفِ " : بَعْدَ ذِكْرِ الْحُدُودِ الَّتِي أَوْرَدَهَا : وَهَذِهِ الْحُدُودُ هِيَ الْجَامِعَةُ عَلَى مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَإِذَا قُصِّلَتْ تَحْتَجُّجٌ إِلَى زِيَادَةِ إِبْضَاحٍ . وَقَالَ

في "تقويم البلدان" : بعد ذكر الحدود التي أوردها أيضا : وبعض هذه الحدود قد تقع شرقية عن بعض الشام وهي بينها جنوبية عن بعض آخر، مثل البلقاء فإنها جنوبية عن حلب وما على سمتها، وشرقية عن مثل غزّة وما على سمتها فليعلم العذر في ذلك . قال ابن حوقل : وطول الشام من ملطية إلى رّفع خمس وعشرون مرحلة . فمن ملطية إلى منبج أربع مراحل ، ومن منبج إلى حلب مرحلتان ، ومن حلب إلى حمص خمس مراحل ، ومن حمص إلى دِمَشق خمس مراحل ، ومن دِمَشق إلى طَبَرِيَّة أربع مراحل ، ومن طَبَرِيَّة إلى الرملة ثلاث مراحل ، ومن الرملة إلى رّفع مرحلتان .

قال التيفاشي في "سرور النفس" : وطوله أكثر من شهر . قال ابن حوقل : وأعرض ما فيه طوله . فأحد طرفيه من الفرات من جسر منبج على منبج على قُورُس في حدّ قُتَيْسَرِينَ ، ثم على العواصم في حدّ انطاكية ، ثم يقع على جبل اللّكّام ، ثم على المصيبة ، ثم على أدّنة ، ثم على طَرَسُوس ، وذلك نحو عشر مراحل وهذا هو السّمت المستقيم . والطرف الآخر يأخذ في البحر من حدّ ياقا من جُندِ فلسطين حتى ينتهي إلى الرملة إلى بيت المقدس ، ثم إلى أريحا ، ثم إلى زُغَر ، ثم إلى جبل الشّراة إلى أن يأتي إلى معانَ ، وتقدير ذلك ست مراحل . ثم قال : أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد بين الأردنّ ودِمَشق وخمّس يزيد على أكثر من ثلاثة أيام ، لأن من دِمَشق إلى طَرَابُلُس على بحر الروم غربا يوما وإلى أقصى القوطة شرقا حتى يتصل بالبادية يوما ، ومن حمص إلى أنطوكوس على بحر الروم غربا يومين ، ومن حمص إلى سَلَمِيَّة على البادية شرقا يوما ، ومن طَبَرِيَّة من جُندِ الأردنّ إلى صُور على البحر الزمّي غربا يوما ، ومنها إلى أريحا على حدود بني فزارة شرقا يوما .

المقصود الثاني

(في ابتداء عمارته وتسميته شاما وما يتحقق بذلك)

أما ابتداء عمارته . فقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخ الشام عن هشام بن محمد عن أبيه : أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بني كنعان^(١) ابن حام بن نوح عليه السلام بالشام فسميت الشام . حين نشأوا إليها ، يعني من أرض بابل كما جاء في الرواية الأخرى . قال : فكانت الشام يقال لها لذلك أرض كنعان . وجاء بنو سرائيل فأجلوهم عنها ، وبقيت الشام لبني إسرائيل إلى أن غلب عليه الروم وأتزعوه منهم فأجلوهم إلى العراق إلا قليلا منهم ، ثم جاء العرب فغلبوا على الشام (يعني في الفتح الإسلامي) ثم الشام مهموز مقصور . قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات " وضمه : ويجوز فيه فتح الشين والمذ . قال : وهي ضعيفة وإن كانت مشهورة قال الجوهري : ويجوز فيه التذكير والتأنيث . قال النووي : والمشهور التذكير . وقد اختلف في سبب تسميته شاما ف قيل لتشاؤم بني كنعان إليه كما تقدم في كلام ابن عساكر ، وقيل سمى بسام بن نوح لأنه نزل به ، وأسمه بالسريانية شام بشين معجمة ، والعرب تنقلها إلى السين المهملة . وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحرمة والسواد والياض فسمى شاماً لذلك كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة . وقيل سميت شاما لأنها عن شمال الكعبة ، والشام لغة في الشمال . قال أبو بكر بن محمد : ويجوز فيه وجهان . أحدهما أن يكون من اليد الشؤمي وهي اليسرى . والثاني أن يكون قعلا من الشؤم .

(١) كذا في معجم البلدان أيضا وفي القاموس في مادة (ك ن ع) كنعان بن سام .

الطَّرَف الثالث

(في أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه، ووَحُوشه وطيوره؛ وفيه ستة مقاصد)

المقصود الأول .

(في ذكر الأنهار المقام بالشام وماهو مضاف إليه مما يتكرر ذكره بذكر البلدان، وهي أربعة أنهار^(١))

الأول - نهر الفُرات وهو أعظمها، وقد تقدّم في الكلام على النيل أنه شقيقه في الخروج من الجنة . وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ! قال : " لا تقوم الساعة حتى يخسر الفُرات عن جبل من ذهب فيقتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم لعلّ أنا الذي أنجوه " وأول ابتدائه من شمالي مدينة (أَرَزِن الروم) وشرقيها، وهي آخر بلاد الروم من جهة الشرق حيث الطول أربع وستون درجة والعرض اثنتان وأربعون درجة ونصف، ثم يأخذ إلى قُرب (مَلطِيّة) ثم يأخذ إلى (سُمُلساط) ثم يأخذ مشرقا ويتجاوز (قلعة الروم) من شماليها وشرقيها، ثم يسير إلى (البيرة) من جنوبيها، ثم يمر مشرقا حتى يجاوز بَاس، ثم قلعة جَعْبَر ويتجاوزها إلى الرُّقّة، ثم يسير مُشرقا ويتجاوز الرُّجبة من شماليها ويسير إلى عُنّة، ثم يمتد إلى هَيْت، ويمتد حتى يجاوز حَرَج (نهر كَوْف) الآتي ذكره، فينقسم قسمين ويمر أحدهما : وهو الجنوبي إلى (الكوفة) ويتجاوزها، ويصب في بطائح العراق، ويمر الآخر : وهو أعظمها بإزاء (قصر ابن هُبَيْرَة) ويعرف هذا القسم بنهر سُورًا (يضم السين المهملة وآخره ألف يمد ويقصر) وهي قرية على النهر تُنسب إليها،

(١) الصواب ستة أنهار كما يتضح مما سبق .

ويتجاوز قصر آبن هُيَّرة ويسير جنوبا إلى (مدينة بابل) القديمة ، ويتفرع منه بعد أن يجاوز بابل عدّة أنهر ، ويمتد عموده إلى (مدينة النيل) ويجاوزها حتى يصب في دجلة . ويسمى من بعد مجاوزة النيل (نهر الصّراة) . وعلى الفرات أنهار تصب فيه وأنهار تخرج منه ليس بنا حاجة إلى تفصيلها .

الثاني - نهر حَمّة . ويسمى العاصي لأن غالب الأنهر تسقى الأرض بنهر دواليب ولا نواعير بل ترْكَبُ البلاد بأنفسها ، ونهر حماة لا يسقى إلا بنواعير تترع الماء منه ، ويسمى أيضا النهر المقلوب : لجره من الجنوب إلى الشمال ، وغالب الأنهر إنما تجري من الشمال إلى الجنوب ، وأسمه القديم نهر الأرْنَط ، وأوله نهر صغير من ضبعة قريبة من بعلبك في الشمال عنها على نحو مرحلة ، تسمى الرأس ، ويمتد من الرأس شمالا حتى يصل إلى مكان يسمى قائم الهرمل بين قرية جُوسية والرأس ، ويمتد في واد هناك ويتبع من هناك أكثر ماء النهر من موضع يسمى مقارة الراهب ، ويمتد شمالا حتى يتجاوز (جُوسية) ويمتد حتى يصب في (بحيرة قدس) غربى حصص ، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حصص إلى الرستن ، ويمتد إلى حماة ، ثم إلى شير ، ثم إلى بحيرة أفامية ، ثم يخرج من بحيرة أفامية ، ويمتد على دركوش ، ويمتد إلى جسر الحديد ، وذلك جميعه شرق جبل اللكّام . فإذا وصل إلى جسر الحديد أقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوبا بفرب ويمتد على سورا أظاكية ، ويسير كذلك مغربا بجنوب حتى يصب في بحر الروم عند السويدية ويصب في العاصي عدّة أنهر :

منها - نهر منبج من تحت أفامية يسير مغربا حتى يصل إلى بحيرة أفامية ويختلط بالعاصي .

ومنها - نهر في شمال أفامية على نحو ميلين يُعرف بالنهر الكبير يسير مدى قريبا
ويصب في بحيرة أفامية، ويخرج منها مع العاصي .

ومنها - النهر الأسود، يجري من الشمال ويمر تحت دريساك ويمتد حتى يصب
في بحيرة أنطاكية ويخرج منها ويصب في العاصي .

ومنها - نهر يفر - بفتح الياء المثناة تحت وسكون العين المعجمة وفتح الراء المهملة
ثم ألف مقصورة - بلدة هناك يمر عليها ويصب في النهر الأسود المذكور .

ومنها - يفرين - بكسر العين المهملة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة
تحت ونون في الآخر - وهو نهر يأتي من بلاد الروم ويمر على الرأوثان إلى الجومة
ويمر في الجومة إلى العمق ويختلط بالنهر الأسود .

الثالث - نهر الأردن . والأردن بضم الحزنة وسكون الراء المهملة وضم الدال
المهملة أيضا وتشديد النون . كذا ضبطه السمعاني في "اللباب" قال : وهي بلدة
من بلاد القوز من الشام نسب إليها النهر ويسمى الشريعة أيضا ، وأصله من أنهار
تصب من جبل التلج إلى بحيرة باتياس ، ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب
في بحيرة طبرية ، ويمتد جنوبا ، وهناك يصب في نهر الترموك بين بحيرة طبرية
المذكورة وبين القصير ، ويمتد في وسط القوز جنوبا حتى يجاوز بيسان ، ويمتد
في الجنوب كذلك إلى أريحا ، ولا يزال يمتد في الجنوب حتى يصب في بحيرة زفر
وهي البحيرة المنيئة المعروفة ببخيرة كوط .

الرابع - نهر العوجاء - بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الجيم وبعدها
ألف - ويسمى نهر أبي فطرس (بضم ألفاء وبالطاء والراء والسين المهملات) وهو نهر
شمالى مدينة الرملة من فلسطين باثني عشر ميلا ، ومنتهى من تحت جبل الخليل

عليه السلام مقابل قلعة خراب هناك تسمى مجد اليابا، ويمر هذا النهر من الشرق إلى الغرب، ويصب في بحر الروم جنوب غابة أرسوف، ومن منبعه إلى مصبه دون مسافة يوم. قال في "المزني": وما التقى عليه جيشان إلا غلب الغربي وأنهم الشرق؛ وسيأتي الكلام على أنهار دمشق في الكلام على حاضرتها إن شاء الله تعالى إذ لا يتعداها إلى غيرها من البلاد.

الخامس - نهر جيمحان. بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعد الألف نون - وتسميه العامة جهان - بفتح وهاء مفتوحة وألف ثم نون، وربما زادوا ألفا بعد الجيم فقالوا جاهان، وإليه تنسب الفتوحات الجاهانية الآتية ذكرها. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول ستين درجة وعرض أربعين درجة، وهو نهري يقارب الفرات في الكبر، ويمتد بيس، ويسير من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم حتى يبلغ المصبصة من شمالها حيث الطول تسع ونحسون وكسر والعرض ست وثلاثون درجة، وعرض خمس عشرة، وجرانته عندها من المشرق إلى المغرب، ويتجاوز المصبصة ويصب بالقرب منها في بحر الروم.

السادس - نهر سيمحان. بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول سمان وخمسين، وعرض أربع وأربعين، ويمتد ببلاد الروم إلى الجنوب عند مجرى جيمحان المتقادم ذكره، ويسير حتى يمتد ببلاد الأرمن، ويمتد على سور أذنة من شرقها حيث الطول تسع ونحسون بكسر، والعرض ست وثلاثون درجة ونحسون دقيقة،

(١) أوردتها في المصم هكذا "مجد يابا".

(٢) في تنوير أيد الفداء "وخمسة عشرة دقيقة".

ويجاوز أذنة ويتقى مع جيحان المتقدم ذكره ويصيران نهرا واحدا ، ويصنبان
في بحر الروم بين آيأس وطرسوس على ما تقدم ذكره

المقصود الثاني

(في ذكر بحيراته ، وهي ثمان بحيرات)

الأولى - بحيرة طبرية . قال الزجاجي : سميت طبرية بطباري ملك من ملوك
الروم . وهي في أول القور ، يدخل إليها نهر الشريعة المنصب من بحيرة بانياس التي
ذكرها ، ودورها نحو مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول ثمان وخمسون درجة .
والعرض اثنتان وثلاثون ، وهي قرعاه ، ليس بها قصب ثابت . وطبرية مدينة تراب
على شاطئ البحيرة المذكورة من جانبها الغربي الجنوبي ، قال العناني في " تاريخ
صفد " : ويقال إن قبر سليمان بن داود عليهما السلام بهذه البحيرة .

الثانية - بحيرة زغر وتعرف بحيرة سدوم وبحيرة لوط ، وهي بحيرة منتنة ليس
لها سمك ولا يأوى إليها طير ، وفيها مصب نهر الأردن المسمى بالشريعة عند
نهايته ، ويفيض الماء فيها ولا يخرج منها شيء من الأنهار ، وهي في آخر القور من
جهة الجنوب ، ودورها فوق مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول تسع وخمسون
درجة والعرض إحدى وثلاثون .

الثالثة - بحيرة بانياس . وهي بحيرة بالقرب من بانياس من مقابلة دمشق
قصب فيها عدة أنهار من جبل هناك ، ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة
البرية المتقدم ذكرها ، وبها غابة قصب .

الرابعة - بحيرة القاع . وهي مستنقع ماء في جهة الغرب عن بعلبك على مسيرة
يوم منها . بها هيش وغابات قصب .

الخامسة - بحيرة دِمَشْق . . . وهي بحيرة في شرق غُوطَةِ دِمَشْق بِمِيلَةٍ يسيرة إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بَرْدَى وغيره، وتنتسج في أيام الشتاء وتضيق في أيام الصيف، وبها غابات قَصَب، وفيها أماكن تَحْمِي من المدق .

السادسة - بحيرة قَدَس . بفتح القاف والدال وفي آخرها سين مهملة .

وهي بحيرة في أرض مستوية، عن حِصَص في جهة الغرب على بعض يوم منها، وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفي طرفها الشمال سد ممتد في طولها مبنى بالحجر من بناء الأوائل ينسب بناؤه إلى الإسكندر طوله شرقا وغربا ألف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا، وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف ذراع، وعلى وسط السد بُرْجان من حجر أسود .

السابعة - بحيرة أَفَامِيَّة . وهي مَدَنَةٌ بطائغ في الغرب بِمِيلَةٍ إلى الشمال عن أَفَامِيَّة بين غابات من القَصَب، يصب فيها النهر العاصي من جهة الجنوب . وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك، فالجنوبية منهما بِحِيرَةُ أَفَامِيَّة المذكورة، وسُغْتَهَا بالتقريب نحو نصف فرسخ، وقعرها قريب قامة، وأرضها مَوْحَلَةٌ لا يقدر الإنسان على الوقوف فيها، وبوسطها جُمُ قَصَب وبرْدَى وحولها القصب والصُفْصُف، وبها من أنواع الطير ما لا يحصى كثرة، وينبت بها في زمن الربيع اللَّيْتُونُفُورُ الأصفر حتى يستر الماء عن آخره بَوَرَقِهِ وزُغَرِهِ . والبحيرة الشمالية من عمل حصن بَرْدَوِيَّة بقدر بحيرة أَفَامِيَّة أربع مرات، ووسطها مكشوف، وينبت اللَّيْتُونُفُورُ بجانبها الجنوبية والشمالية وبينها وبين بحيرة أَفَامِيَّة المذكورة زُقَاقٌ تسير فيه المراكب من إحداهما إلى الأخرى . قال في "تقويم البلدان" : ويعتبر طول هذه البطائغ وعرضها بأفامية .

الثامنة - بحيرة أَنْطَاكِة . وهي بحيرة بين أَنْطَاكِة وبَغْرَاس وخازم في أرض تعرف بِالْعَمَقِ (بفتح العين المهملة وسكون الميم) من معاملة حَلَب شمالي أَنْطَاكِة على

مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ مِنْ حَلَبَ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ عَنْهَا ، وَفِيهَا مَصَّبُ نَهْرِ عَفْرَيْنَ وَالنَّهْرِ الْأَسْوَدِ وَنَهْرُ بَغْرَا الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا ، وَدَوْرُهَا نَحْوَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ ، وَاجْتِمَاعُ الْقَصَبِ مُحِيطَةً بِهَا وَفِيهَا مِنَ الطَّيْرِ وَالسَّمَكِ نَحْوَ مَا تَقْتُمْ ذِكْرَهُ فِي بَحِيرَةِ أَقَامِيَّةٍ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" :
وَطَوَّلَهَا طَوْلَ أَنْطَاكِةٍ تَقْرِيبًا ، وَعَرَضَهَا أَكْثَرَ مِنْ عَرَضِهَا بِدَقَائِقٍ .

المقصود الثالث

(فِي ذِكْرِ جِبَالِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَقَاصِدِ ، وَهِيَ عَدَّةُ أَجْبَلٍ)
مِنْهَا - (جِبَلُ الثَّلَاجِ) بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَالْجِيمِ ، وَمَا يَتَصَلُّ بِهِ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" :
وَالطَّرَفُ الْجَنُوبِيُّ لِهَذَا الْجَبَلِ بِالْقَرَبِ مِنْ صَفَدٍ . قَالَ فِي "رَسْمِ الْمَعْمُورِ" حَيْثُ
الطُّوْلُ تَسْعَ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَخَمْسَ أَرْبَعُونَ دَقِيقَةً ، وَالْعَرْضُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ
دَرَجَةً . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : ثُمَّ يَمْتَدُّ إِلَى الشَّامِ وَيَتَجَاوَزُ دِمَشْقَ . فَإِذَا صَارَ
فِي شَمَالِهَا ، سَمِيَ جَبَلُ (سَيْرٍ) وَيُسَمَّى جَانِبُهُ الْمُطْلُ عَلَى دِمَشْقَ جَبَلُ (قَامِيُونٍ) وَيَتَجَاوَزُ
دِمَشْقَ وَيَمُزَّ غَرْبِيًّا بِعَلْبَكٍ ، وَيُسَمَّى الْجَبَلُ الْمُقَابِلُ لِبَعْلَبَكٍ جَبَلُ (لَبْنَانٍ) بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ
وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ سَاكِنَةٍ وَنُونٍ مُفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا أَلْفٌ وَنُونٌ ثَانِيَةٌ - وَإِذَا تَجَاوَزَ بِعَلْبَكٍ
وَصَارَ شَرْقِيًّا طَرَأَيْتَ سَمِيَّ جَبَلِ (عَكَّارٍ) بَعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ مُفْتُوحَةٍ وَكَافٍ مُشَدَّدَةٍ وَرَاءَ مُهْمَلَةٍ
فِي الْآخِرِ - إِضَافَةً إِلَى حَصْنِيْنٍ بِأَعْلَاهُ يُسَمَّى عَكَّارًا ، ثُمَّ يَمُزَّ شَمَالًا وَيَتَجَاوَزُ طَرَأَيْتَ
إِلَى حَصْنِيْنِ الْأَكْرَادِ مِنْ عَمَلِ طَرَأَيْتَ ، وَبَسَامَتِ حِمَصٍ مِنْ غَرْبِهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ
وَيَمْتَدُّ حَتَّى يَتَجَاوَزَ تَمَّتْ حِمَاةً ، ثُمَّ سَمَتْ شَيْزَرَ ، ثُمَّ سَمَتْ أَقَامِيَّةً ، وَيُسَمَّى قِبَالَةَ هَذِهِ
الْبِلَادِ جَبَلُ (الْأَكَّامِ) بِضَمِّ الْأَلَامِ . قَالَ فِي "رَسْمِ الْمَعْمُورِ" : وَجِبَلُ الْأَكَّامِ يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ
يَصِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلِ تَحْشَبُو ، آتِسَاعُهُ نِصْفُ يَوْمٍ حَتَّى يَتَجَاوَزَ صَبْوْنَ وَالشُّغْرَ
وَبَكَّاسَ وَالْقَصِيرَ ، وَيَنْتَهِي إِلَى أَنْطَاكِةٍ فَيَنْقَطِعُ هُنَاكَ وَيَصِيرُ قِبَالَةَ جِبَالِ الْأَرَمَنِ .

قال في "تقويم البلدان" : ويقابل جبل اللكام المذكور عند مسامته لأقامية المتقدمة الذكر جبل آخر من شرقه - يسمى جبل (تخشبو) بشين معجمة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وشين ثانية مفتوحة بعدها باء موحدة مضمومة ثم واو - إضافة إلى قرية هناك تسمى بذلك، ويبر من الجنوب إلى الشمال على غربى المقررة وسمرمين وحلب - ثم يأخذ غربا ويتصل بجبال الروم .

ومنها - (جبل عاملة) وهو جبل ممتد في شرق ساحل بحر الروم وجنوبيه . حتى يقرب من مدينة صور - وعليه شقيف أزنون ، نزله بنو عاملة بن سبيل من عرب اليمن عند فترقتهم بسيل القريم فعرف بهم .

ومنها - (جبل عوف) وهو جبل بالقرب من تجلؤل - كان ينزله قوم من بني عوف من حرم قضاة فعرف بهم ، وكانوا عصاة لا يدخلون تحت طاعة حتى بنى عليهم أسامة أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة تجلؤل فدخلوا تحت الطاعة عما ماسيا في ذكره .

ومنها - (جبل الصلت) إضافة إلى مدينة الصلت الآتي ذكرها في أعمال دمشق . وهو جبل في شرق جبل عوف وشماله ، كان أهله عصاة حتى بنى عليهم المقم عيسى ابن العادل حصن الصلت فدخلوا في الطاعة .

المقصود الرابع

(في ذكر زروعه وفواكهه ورياحينه)

أما زروعه فغالبا على المطر . قال في "مسالك الأبصار" : ومنها ماهو على سقى الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل ما يوجد في مصر من البر والشعير والذرة والأرز والباقلات والبسلة والجلبان ، واللوزياء والحلبة ، والسمسم والقرطم ، ولا يوجد فيه

الكَلَنْ والبَرْسيمُ، وبه من أنواع الطَّبِيخِ والقَنَاءِ ما يُسْتَطَابُ ويستَحْسَنُ، وكذلك غيرها من المزدروعات كالشَّعْبَقِيسِ والمُلُوحِيَا والبَذَائِجِ والقَفِيتِ والجَزَرِ والهِلْيُونِ والفَنِيْطِ والرَّجَلَةِ والبُقْلَةِ الخِثْيَانَةِ. وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة، وقصبُ السكر. في أغواره إلا أنه لم يبلغ في الكثرة حد مصر.

وأما فواكهه، ففيه من كل ما يوجد في مصر كالنَّيْبِ والعِنَبِ والرُّمَانِ وَالْقَرَاصِيَا والْبَرْبُوقِ والمِشْمِشِ والنَّخْلِ - وهو المسَمِيُّ بالدَّرَاقِنِ - والتُّوتِ والفِرْصَادِ ويكثر بها التفاحُ والكُثْمَرُ والسَّفَرَجَلُ مع كونها أكثر أنواعا وأبَّهَجَ منظرًا. ويزيد عليه فواكه أخرى لا توجد بمصر، وربما وجد بعضها في مصر على الندور الذي لا يعتد به كالجَوْزِ والبُنْدُقِ والإِجَاصِ والعُنَابِ والزُّعْثُورِ. والزَّيْتُونُ فيه الغاية في الكثرة. ومنه ينصر الزيتُ وينقل إلى أكثر البلدان وغير ذلك. وبأغوارها أنواع المُتَمَضِّاتِ كالْأَرْنَجِ وَاللِّيمُونِ والكَّادِ والتَّارَنَجِ ولكنه لا يبلغ في ذلك حد مصر، وكذلك المَوْزُ ولا يوجد البَلَّحُ والرَّطَبُ فيه أصلاً. قال في "مسالك الأبصار": وفيه فواكه تأتي في الخريف وتبقى إلى الربيع كالسَّفَرَجَلِ والتَّفَاحِ والعِنَبِ.

وأما رِياحيته، ففيه كل ما في مصر من الأيسِ والوَرْدِ والتَّرْبِيسِ والبَنْسَجِ والياسمينِ والنَّسْرِينِ. ويزيد على مصر في ذلك خصوصاً الوَرْدُ حتى إنه يستقطر منه ماء الوَرْدِ وينقل منه إلى سائر البلدان. قال في "مسالك الأبصار": وقد يُسَمَّى به ما كان يذكر من ماء ورد جَوْرَ وَصِيْبِينَ.

(١) في الشام رأيت بأبصار القنعة أو البلاد وقوله ويزيد عليه أى على مصر.

المقصد الخامس

(في ذكر مواشيه ووحوشه وطوره)

أما مواشيه ففيه جميع ما تقدم من مواشى مصر من الإبل والبقر والغنم والخيل واليغال والحُمير، إلا أن أبقاره لا تبلى في العظم مبلغ أبقار مصر، وأغنامه لا تبلى في طيبة اللهم مبلغ أغنامها، وحبره لم تبلى في القراة مبلغ حبرها .
وأما وحوشه ، ففيه الفزلاء والأرانب والأسود وكثير من أنواع الوحوش المختلفة مما لا يوجد مثله في مصر .

وأما طوره، ففيه الإوز والدجاج والحمام وأنواع طيور الماء المختلفة الأنواع .
قال في "مسالك الأبصار" : ولا تكون الفرائج فيها إلا بحضارة ولا تقع فيها المعامل التي تُعمل لإخراج الفرائج في مصر، قال : ويذكر أن رجلا من أهل مصر عمل فيها مملا في حاضرة العقبة فصعد له العمل فيه في الصيف دون الخريف .

المقصد السادس

(في ذكر النفوس من مطوماتها)

فيها السَّلُّ بقدر متوسط ، ويعمل فيها السكر الوسط والمكر ، والشراب موجود فيها دون مصر، وأكثر حلاؤها من السَّلِّ والمن .

الطَّرَف الرابع

(في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستقرة وأعمالها . وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ذكر جهاته وكوره القديمة)

قد قسم المتقدمون الشام إلى خمسة أجناد - جمع جند بضم الجيم وإسكان النون ودال مهملة في الآخر كما ضبطه الجوهري - وغيره .

الأول - (جُنْدُ فِلَسْطِينَ) وفِلَسْطِينُ بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وكسر
الطاء المهملتين وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر . قال الزجاجي : سميت
فِلَسْطِينَ بن كُثُوم من ولد فلان بن نوح ، بلدة كانت قديماً نسبت الكورة إليها .
قال ابن حوقل : وهو أول الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رَجُلٍ إلى حدِّ الْفُجُونِ ،
وعَرْضُهُ من يافا إلى أَرِيحَا نحو يومين . قال ابن الأثير : هي كُورَةٌ كبيرة تشتمل على
بلاد المقدس وغَزَّة وعَسْقلان . قال ابن حوقل : وهي أرنؤ بلاد الشام .

الثاني - (جُنْدُ الْأُرْدُنِّ) والأُرْدُنُّ بلدة قديمة من بلاد القَوْرِ نسبت الكُورَةُ
إليها ، وقد مرَّ ضبطها في الكلام على نهر الأُرْدُنِّ عند ذكر الأنهار ، وقد نسبت
الكُورَةُ إليها كما نسب إليها النهر المتقدم ذكره . قال ابن حوقل : وديار قوم لُوطٍ
والبعية المُنْتَنَةِ وَرُغَيْرُ إِلَى بَيْسَانَ وإلى طَبْرِيَّة تسمى القَوْرُ : لأنه بين جبلين ، وسائر
بلاد الشام مرتفعة عليه . قال : وبعضها من الأُرْدُنِّ وبعضها من فِلَسْطِينَ .

الثالث - (جُنْدُ دِمَشْقَ) وسيأتي الكلام عليها في قواعد الشام المستقرة .
الرابع - (جندِ حِمَصَ) وسيأتي الكلام عليها في الصفة الشرقية من صَفَقَاتِ
دِمَشْقَ .

الخامس - (جُنْدُ قَلْسَرِينَ) . قال في "اللباب" : بكسر القاف وفتح النون
المشددة وسكون السين وكسر الراء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ونون
في الآخر . قال الزجاجي : وقد روى أنها سميت برجل من قَلْسَرٍ يقال له ميسرة ، نزلما
فمر به رجل فقال له : ما أشبه هذا الموضع بقَلْسَرٍ أفيئ منه أسم لكان فليل :
قَلْسَرِينَ . وقيل : دعا أبو عبيدة ميسرة بن مسروق القيسوي فوجهه في ألف فارس
(١) في سيم البلدان لياقوت : برجل من ميس .

في أثر العدو فتر على قنسرين فجعل ينظر إليها فقال : ماهذه ؟ فسميت له بالرومية . فقال : والله كأنها قنسرين . قال : وهذا يدل على أن قنسرين اسم مكان آخر عرفه ميسرة فشبّه به هذا فسميت به .

قال ابن الأثير : وفي إعرابها قولان .

أحدهما - أنها تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو فيقول هذه قنسررون وفي الخفض والنصب بالياء فتقول مررت بقنسرين ودخلت قنسرين .

القول الثاني - أن تجعلها بالياء على كل حال وتجعل الإعراب في النون ولا تصرفها .

وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة على القرب من حلب ؛ كان الجند ينزلها في ابتداء الإسلام ، ثم ضُمَّت بحلب وتغيرت وصارت قرية على ما سياتي ذكره في الكلام على حلب إن شاء الله تعالى .

قال ابن الأثير : وكل جند منها عرّضه من ناحية القُرَات إلى ناحية فلسطين . وطوله من الشرق إلى البحر ، وحكاة في "التعريف" على وجه آخر فقال : للناس في الشام أقوال ، فمنهم من لا يجعله إلا شاما واحدا [ومنهم من يجعله شامات ، فيجعلون بلاد فلسطين والأرض المقدسة إلى الأردن^(١) شاماً] ويقولون الشام الأولى ؛ ويعملون دمشق وبلادها من الأردن إلى الجبال المعروفة بالطوال شاما ، ويقع على قرية النبك وما هو على خطها ؛ ويعملون سوريا ؛ وهي حص وبلادها إلى رجة مالك بن حاتق شاما ، ويعملون حماة وشيّر من مضافاتها . وتم من يعمل منها حماة دون شيّر ؛ ويعملون قنسرين وبلادها وحلب مما يدخل في هذا إلى جبال الروم وبلاد المواسم والثغور ؛ وهي بلاد سيبس شاماً . ثم قال : أما عكا وطرابلس وكل

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للزلف ليستقيم الكلام .

ما هو على ساحل البحر فكل ما قايَل منه شيئا من الشامات حَسِب منه . قال :
ونبينا على ذلك كله ليعرف . ثم قال : أما ماهو في زماننا وعليه قانون ديواننا فإنه إذا
قال سلطاننا بلاد الشام ونائب الشام لا يريد به إلا دِمَشق ونائبها . وسيأتى الكلام
على حدود ولايته في الكلام على نيابة دِمَشق إن شاء الله تعالى .

المقصود الثاني

(في ذكر قواعده المستقاة وأعمالها ، وهي سب قواعده ، كل قاعدة منها تعد مملكة
، بل كانت كل قاعدة منها مملكة مستقلة بسلطان في زمن بنى أيوب)

القاعدة الأولى

(دِمَشق ؛ وفيها جلتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بكسر الدال المهملة وتفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف في الآخر . وتسمى
أيضا جَلَّتْ - بجمع مكسورة ولام مشددة مفتوحة وقاف في الآخر . وبذلك ذكرها
حَسَّانُ بْنُ تَائِبٍ رضي الله عنه في مدحه لبنى حَسَّانَ : ملوك العرب بالشام بقوله :

لِللَّهِ دَرَّ عَصَابِيَّةٌ تَأْتُمُّهُمْ ۖ يَوْمًا يَجَلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وحكى في "الروض المعطار" تسميتها جَيْرُونَ - بفتح الجيم وسكون الياء المشاة تحت
وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر - وسماها في موضع آخر العَلْدَرَاء - بفتح
العين المهملة وسكون الدال المعجمة وتفتح الراء المهملة وألف بعدها - وموقعها
في أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : وطولها ستون درجة
وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد اختلف في بانيتها : فقيل بناها

نُوحٌ عليه السلام، وذلك أنه لما نزل من السفينة أشرف فأرأى ثلَّ حرافٍ بين نهري حرافٍ وديصاف، فأناه فبى حراف، ثم سار فبى دِمَشْقَ، ثم رجع إلى بابل فبناها . وقيل بناها جِيْرُونُ بن سعد بن عاد، وبه سميت جِيْرُون . ويقال إن جِيْرُون وبَرِيدَا كانا أَخَوَيْنِ وهما أبنا سعد بن لقمان بن عاد، وبهما يعرف باب جيون وباب البريد من أبوابها . وقيل بناها العازر : غلام إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان حَيثِيًّا وبه له مُرُوذُ بن كَثْمَان حين نرج إبراهيم من النار، وكان اسمه دِمَشْقُ فسماها بأسمه .

وفى "كتاب فضائل القُرَيْش" لأبى عُبَيْد أن بيوراسب ملك القُرَيْش بناها . وقيل إن الذى بناها ذو القُرَيْنين عند فراغه من السدِّ وَكَلَّ بعارتها غلاما له اسمه دِمَشْقُ وسكنها دِمَشْقُ ومات فيها فسميت به . وهى مدينة عظيمة البناء ذات سور شاهق ولها سبعة أبواب : باب كَيْسَانَ، وبابُ شرقى، وباب ثُوما، وباب الصغير، وباب الجابية، وباب الفَراديس، والباب المسدود .

وروى الحافظ بن عساكر عن أبى القاسم تَمَّام بن محمد : أن بانيها جعل كل باب من هذه لِكُوكِبٍ من الكواكب السبعة ، وصوَّر عليه صُورته ، لجعل باب كَيْسَانَ لِرُحَلٍ ، وباب شرقى للشمس ، وباب ثُوما للزُّهرة ، وباب الصغير لَشَتْرِى ، وباب الجابية لِلْمَرْحِ ، وباب الفَراديس لِعُطَارِدَ ، والباب المسدود للقمر . وعلى كل حال فهى مدينة حسنة الترتيب ، جليلة الأبنية ، ذات حواجز بنيت من جهاتها الأربع ، وغُوطتها أحد مستنزهات الدنيا العجيبة المفضلة على سائر مستنزهات الأرض ، وكذلك الرُّبوة وهى كَهْفٌ فى قم واديها الغربى . عنده تنقسم مياهها ، يقال إن به مَهْدَ هَيْسَى عليه السلام . وبها الجوانح والمدارس ، والخُواق والزُّبْدُ - بالزوايا والأسواق المرتبة

(١) كذا فى الفهرست أيضا ولم نشر على هذين الاسمين .

والديار الجلييلة المذهبة السقف المفروشة بالرخام المتع ، ذات البرك والماء الجاري .
 وربما جرى الماء في الدار الواحدة في أماكن منها والماء مُحْكَم عليها من جميع نواحيها
 باتقان بحكم ، وهي في وطأة مستوية من الأرض بارزة عن الوادي المنحط من متبني
 ذيل الجبل ، مكشوفة الجوانب لمرطواء إلا من الشمال فإنه محجوب بجبل قاسيون ،
 وبذلك تُعَاب وتنسب إلى الوخامة . قال في "مسالك الأبصار" : ولولا جبلها
 الغربي الملبس باللوح صيفا وشتاء ، لكان أمرها في ذلك أشد ، وحال سكانها أشق ،
 ولكنه درياق ذلك السم ، ودواء ذلك الداء . وهي مستديرة به من جميع نواحيه .
 قال في "مسالك الأبصار" : وغالب بناتها بالبحر ودورها أصغر مقادير من دور
 مصر لكنها أكثر زخرفة منها وإن كان الرخام بها أقل . وإنما هو أحسن أنواعا .
 قال : وعناية أهلها بالمباني كثيرة ، ولم في بساطينهم منها ما تفوق به وتحسن
 بأوضاعه ، وإن كانت حلب أجمل بناء لعنايتهم بالبحر ، فدمشق أزین وأكثر رونقا
 لتحكم الماء على مدينتها وتسيطه على جميع نواحيها ، ويستعمل في عماراتها خشب
 الخور - بالحاء والراء المهملتين - بدلا من خشب النخل إلا أنه لا يُعْشَى بالبياض
 ويكتفى بحسن ظاهره . وأشرف دورها ما قرب ، وأجل حاضرتها ما هو في جانبيها :
 الغربي والشمالي .

فأما جانبها الغربي ففيه قلعتها ، وهي قلعة حسنة مبرجة على الأرض ، تحيط بها
 وبالمدينة جميعها أسوار عالية ، يحيط بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة . وإذا دعت
 الحاجة إليه أطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيجمعها ، وتحت القلعة ساحة
 فسحة بها سوق الخيل ، على جانب وادي ينتهي فيه بما على القلعة إلى شرفين محيطين
 به في جهتي القبلة والشمال في ذيل كل منهما ميدان متّج بالنجيل الأخضر ، والزادي
 يشق بينهما . وفي الميدان القليل منهما القصر الأماقي - وهو قصر عظيم مبني من أسفل

إلى أعلاه بالجمر الأسود والأصفر بتأليف غريب، وإحكام عجيب، بناء الظاهر ببيرس
البُنْدُقْدَارِي في سلطته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبقى بقلعة
الجليل بمصر، وأمام هذا القصر دركاه يُدْخَلُ منها إلى دِهْلِيزِ القصر، وهو دِهْلِيز
فَسِيحٌ يشتمل على قاعات ملوكة مفروشة بالرُخَامِ الملون البديع الحُسن، مؤزَّر بالرُخَامِ
المفصل بالصُّدْفِ والقَصَصِ المُكْهَبِ إلى تُجُفِ السَّقُوفِ، وبالدار الكبرى به
إيوانان متقابلان تُطلُ شبابيك شرقهما على الميدان الأخضر، وغربهما على شاطئ
وادي أخضر يجري فيه نهر، وله رُقَارِفُ عالية تناغى السُحُبُ. تُشْرِفُ من جهاتها الأربع
على جميع المدينة والقوطة.

والوادي كامل المنافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية والحمام وغير ذلك
من سائر ما يُحتاج إليه، وبالدكاره التي أمام القصر المتقدم ذكرها جَسْرٌ معقود على
جانب الوادي يتوصَّلُ منه إلى إيوان برآني يُطلُّ منه على الميدان القبلي، استجده
اقوش الأقرم في نيابته في الأيام الناصرية ابن قلاوون، ونجاة باب القصر بابٌ
يتوصَّلُ من رحبته إلى الميدان الشمالي، وعلى الشرفين المتقدم ذكرهما أبنيةٌ جليلةٌ
من بيوت ومناظر ومساجد ومدارس ورُبط وخَوَانِقَ وزَوَايَا وحمامات ممتدة على
جانين ممتدين طول الوادي.

ولهذه القلعة نائبٌ بمفردها غير نائب دِمَشْقَ يحفظها للسلطان ولا يُمكنُ أحدا من
طلوعها من النائب أو غيره. وإذا دخل السلطان دِمَشْقَ نزل بها. وبها تمحَّتْ مُلْكُ
لغيرها من ديار الملك.

وأما جانبها الشمالي ويسمى العُقْبِيَّةُ، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذات أبنية جليلة
عمائر عظيمة، يسكنها كثير من الأمراء والجند. وبازاء المدينة في سفح جبل قَاسِيُون
مدينة الصالحية: وهي مدينة ممتدة في سفح الجبل بازاء المدينة في طول مدى تُشْرِفُ

على دِمَشْقَ وعُوطِهَا، ذَاتُ بَيْوتٍ ومدَارِسَ وربطَ وأسواقَ وبيوتَ جَلِيلَةٍ، وبِأَعَالِيهَا
 مع ذَيْلِ الْجَبَلِ مَقَابِرَ دِمَشْقَ الْعَامَّةِ . ولكل من دِمَشْقَ والصالحية البساتينُ الْإَيْقِفَةُ
 بِتَسْلِيلِ جَدَاوِلِهَا وَتَفْنِي دَوَحَاتِهَا، وبِخَائِلِ أَغْصَانِهَا وَتَفْرُدُ أَطْيَارَهَا، وفي بساتينِ الثَّرَةِ
 بها الْعَائِرُ الضَّخْمَةُ ، والجَوَاسِقُ الْعَلِيَّةُ ، والبركُ الْعَمِيقَةُ، والبحيراتُ الْمُتَدَّةُ، تتقابل
 بها الْأَوَاوينَ والمَجَالِسُ . وَتَحْفُ بِهَا الْفِرَاسُ والنصوبُ الْمُطْرَزَةُ بِالسُّرُ وَالْمُتَفِّ ،
 وَالْحُورُ الْمُشْدِي . أَنْتَدَ وَالرَّيْحِينِ الْمُتَازِجَةُ الطَّيْبُ ، بِالقَوَاكِ الْخَيْصِيَّةِ ، والثمارُ
 الشَّيْبِيَّةِ . وَالْأَشْيَاءُ الْبَدِيعَةُ، الَّتِي تُفْنِي شَهْرَتَهَا عَنْ الْوَصْفِ . وَيَقُومُ الْإِيْمَازُ فِيهَا
 مَقَامُ الْإِطْنَابِ .

وَمَسْقِي دِمَشْقَ وَبساتينها من نهر يسمى بَرْدَى . بفتح الباء الموحدة والراء والدال
 المهملتين وبَآخِرِهِ أَلْفٌ . أَصْلُ مَخْرَجِهِ مِنْ عَيْنَيْنِ: الْبَعِيدَةُ مِنْهَا دُونَ قَرْيَةٍ تَسْمَى
 الرَّبْدَانِي . ودونها عَيْنٌ بِقَرْيَةٍ تَسْمَى السَّيْحَةُ . بِذَيْلِ جَبَلٍ يُخْرِجُ الْمَاءَ مِنْ صَدْعِ
 فِي نَهَائِهِ سَفْلُهُ قَدْ عَقِدَ عَلَى مَخْرَجِ الْمَاءِ مِنْهُ عَقْدٌ رَوْمِيٌّ الْبِنَاءُ، ثُمَّ تَرْفَعُهُ مَنَاجِيْعُ فِي مَجْرَى
 النَّهْرِ، ثُمَّ يَقْسِمُ النَّهْرُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْهَارٍ: أَرْبَعَةٌ غَرْبِيَّةٌ: وَهِيَ نَهْرُ دَارِيَا، وَنَهْرُ الْحَزَّةِ، وَنَهْرُ
 الْقَنْوَاتِ، وَنَهْرُ بَانَسَ . وَأَثْنَانِ شَرْقِيَّةٌ وَهُمَا نَهْرُ يَزِيدَ، وَنَهْرُ ثَوْرَا، وَنَهْرُ بَرْدَى مُمْتَدَّ بَيْنَهُمَا .
 فَأَمَّا نَهْرُ بَانَسَ وَنَهْرُ الْقَنْوَاتِ ، فَهُمَا نَهْرَا الْمَدِينَةِ حَاصِلَتَا عَلِيَّهَا وَمُسْلَطَانِ عَلَى
 دِيَارِهَا، يَدْخُلُ نَهْرُ بَانَسَ الْقَلْعَةَ، ثُمَّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ لِلْجَامِعِ وَقِسْمٌ لِلْقَلْعَةِ، ثُمَّ يَنْقَسِمُ
 كُلُّ قِسْمٍ مِنْهُمَا عَلَى أَقْسَامٍ كَثِيرَةٍ وَيَتَفَرَّقُ فِي الْمَدِينَةِ بِأَصَابِعٍ مَقْدَرَةٌ مَعْلُومَةٌ ، وَكَذَلِكَ
 يَنْقَسِمُ نَهْرُ الْقَنْوَاتِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ لَهُ فِي الْقَلْعَةَ وَلَا الْجَامِعَ ، وَيَجْرِي فِي قُوَّةٍ
 مَدْفُونَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى مُسْتَحَقَاتِهَا بِالْأُورِ وَالْأَمَاكِنِ عَلَى حَسَبِ

التقسيم، ثم تنصب فضلات الماء والبرك وبجاري الميضات إلى قُني معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع وتتهر وتخرج إلى ظاهر المدينة لسقي البساتين .
وأما نهر يَزِيد، فإنه يجري في ذيل الصالحية المتقدم ذكرها ويشق في بعض عمارتها .
وأما بقية الأنهار، فإنها تنصرف إلى البساتين والغيطان لسقيها، وعليها القصور والبنان خصوصاً فإنها نيل دِمَشق، عليه جبل مبانيها وبه أكثر تزهات أهلها، مَنْ يخاله يراه زُرْدَةً خضراء، لاختلاف الأشجار عليه من الجانبين .

وبها (جامع بن أمية) وهو جامع عظيم، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ثمان وثمانين من الهجرة، وأنفق فيه أموالاً جمة حتى يقال إنه أنفق فيه أربعائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وإنه أجمع في ترخيمه اثنا عشر ألف مَرَحْم، قال في "الروض المعطار" : وذُرْعُه في الطول من المشرق إلى المغرب مائتا خُطوة وهي ثلثائة ذراع، وعرضه من القبلة إلى الشمال مائة خُطوة ونمسين وفلاتون خُطوة وهي مائتا ذراع. وقد زُخِرَفَ بأنواع الزخرفة من القُصُوص المذهبية والمرص المصقول، وتحت نُسُره عمودان مجزعان بالحجرة لم يرَ مثلهما، يقال إن الوليد اشتراهما بألف وخمسمائة دينار، وفي المحراب عمودان صغيران يقال إنهما كانا في عرش يَلْقِيس، وعند مبآرته الشرقية حجرٌ يقال إنه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام فاهبطت منه اثنتا عشرة حينا .

وقد ورد أن المسيح عليه السلام ينزل على المنارة الشرقية منه، ويقال إن القبة التي فيها المحراب لم تزل مَعْبَدًا لابتداء عمارتها وإلى آخر وقت . بناها الصابئة متعبداً لهم، ثم صارت إلى اليونانيين فكانوا يُعظمون فيها دينهم، ثم انتقل إلى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام، ونصب رأسه على باب جبرؤن من أبوابه فأصابته بركته، ثم صار إلى النصارى فجعلتها كنيسة، ثم افتتح المسلمون دِمَشق فالتخذوه

جامعها، وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا إلى أن جتده الوليد، ويقال إن رأس يحيى عليه السلام، مدفون به، وبه مصحف عثمان الذي وجه به إلى الشام.

قال في "الروض المعطار": ويقال إن أول من وضع جداره الأول هوذ عليه السلام. وقد ورد في أثر أنه يُعبد الله تعالى فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها وما يدخل تحت حكم الولايات)

وقد ذكر في "التعريف" أن ولايتها من لادن العريش: حد مصر إلى آخر سامة مما هو شرق بشمال وإلى الرحبة مما هو شرق بجنوب. قال: وقد أضيف إليها في زمن سلطاننا بلاد جعبر، وكان من حقها أن تكون مع حلب. وحينئذ فتكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المتقدم ذكره وما يليه وما يلي ما يليه، وبعض الشام الأدنى، وليس يخرج عنه من ذلك إلا حماة وما خرج مع صفد وطرابلس والكرك. قال: ويكون في نيابة نائبه غزوة ونيابة حمص وبعض شيء مما يقتضي الحق أن يكون مع حلب. وتشتمل على بر وأربع صفقات.

فأما البر فالمراد به ضواحيها. قال في "التعريف": وحتما من القبلية قرية الحيازة المجاورة للشمسة وما هو على سمتها طولا، ومن الشرق الجبال الطوال إلى التبك وما على سمتها من القرى آخذاً على عسان^(١) وما حولها من القرى إلى الزبداني، ومن الغرب ما هو من الزبداني إلى قرى القران المسامنة للحيازة المتقدم ذكرها. قال: ويدخل في ذلك مرج دمشق وغوطتها.

(١) في الأصل والضوء، باللام [والصحيح عن باقرت].

وأما صَفَقَاتُهَا، فأربع صَفَقَات .

الصفقة الأولى

(الساحلية والجليلية)

وهي الصَّفَقَةُ الغربية عن دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي عبارة عن بلاد غَزَّة وما جاورها سهلاً ووعراً .

قال في "التعريف" : وهذه الصفقة هي الشام الأعلى ، ينقص منه ما هو من نهر الأردن إلى حد قاقون . ثم هذه الصفقة لها جهتان .

الجهة الأولى

(الساحلية) وهي التي بساحل بحر الروم المتقدم ذكره ،

وتشتمل على أربعة أعمال

الأول - (عمل غَزَّة) - بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة أيضا
 وهي آخرها هاء - وهي مدينة من جُنْدِ فِلِسْطِينَ ، في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
 قال في "الأطوال" : طولها ست وثمانون درجة وعشر دقائق ، وعرضها
 اثنتان وثلاثون درجة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وثمانون درجة ، وعرضها
 اثنتان وثلاثون درجة ، وهي على طَرَفِ الرمل بين مصر والشام ؛ أخذةً بين البر والبحر
 بجانبيها ؛ مبنيةً على تَنْزَعَالٍ على نحو ميل من البحر الرومي ، متوسطة في العِظَم ،
 ذات جوامع ، ومدارس ، وزوايا ، وبيمارستان ، وأسواق ؛ صحبةً الهواء ؛ وشرب
 أهلها من الآبار ؛ وبها أمكنة يجتمع بها المطر إلا أنه يُسْتَقَلُّ في الشرب فيعدل منه
 إلى الآبار لِحَقَّةِ مائها ؛ وبساحلها البساتين الكثيرة . وأجل فاكهتها العنب والتين ؛
 وبها بعض النخيل ، وبرها تمتد إلى تيه بني إسرائيل من قبلها ، وهو موضع ذريع

وماشية إلا أن أهل برها عُسْرَانُ^(١) بعضهم أعداء بعض . ولولا خوف سطوة السلطنة لما أُحْمِدَ سيفُ الفتنة بينهم ولا جتاحوا المدينة ومن فيها .

قلت : والحال فيها مختلف : فأكثر الأحيان هي مقدمة عسكر مضافة إلى دِمَشْقَ ، ياتر مقدم العسكر فيها بأمر نائب السلطنة القائم بِدِمَشْقَ ، ولا يُعْضَى أمرًا دون مراجعته وإن كانت ولايته من الأبواب السلطانية ، وتارة تكون نيابةً مستقلةً وتضاف إليها الصنفة الساحلية بكاملها فيكون لها حكم النيابات .

الثاني - (عمل الرِّمْلَةِ) . يفتح الراء المهملة وسكون الميم وفتح اللام وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جند الأُرْدُنِّ ، موقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وست وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

وهي مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة أبيه عبد الملك . قال في "الروض المعطار" : وسُميت الرِّمْلَةُ لغالبة الرمل عليها . وقال في "مسالك الأبصار" : سميت بأمرأة أسماها رَمْلَةٌ ، وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيت شَرَحِين نزل مكانها يرتاد بناءها ، فأكرمه وأحسن نُزْلَهُ ، فأسأله عن اسمها فقالت رَمْلَةٌ ، فبنى البلد وسماها بِاسْمِهَا . قال في "العزيزي" : وهي قَصَبَةُ فِلَسْطِينَ ، وهي في سهل من الأرض ، وبينها وبين القدس مسيرة يوم . قال في "الروض المعطار" : وبينها وبين نابلس يوم ، وبينها وبين قَيْسَارِيَّةَ مرحلة ، وكان عبدُ الملك قد أجرى إليها قناة

ضعيفة للشرب منها، وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجتمع فيها ماء المطر، وهي مَقَرَّة الكاشف بتلك الناحية .

ومينائها مدينة يَافَا - بفتح المثناة من تحت وألف وفاء ثم أَلِف في الآخر - وهي مدينة صغيرة بالساحل، وهي في الغرب عن الرملة وبينهما ستة أميال .

الثالث - (عمل لُدْ) - بضم اللام وتسديد الدال المهملة - وهي بلدة من جُنْدِ فِلَسْطِينَ واقعة في الإقليم الثالث شرقاً بشمال عن الرملة، وبينهما ثلاثة فراسخ، ولم تحز على طولها وعَرْضها . غير أنها نحو الرملة في ذلك: لقربها منها أو أطول وأعرض بقليل . وهي مدينة قديمة كانت هي قصبة فِلَسْطِينَ في الزمن الأول إلى أن بنيت الرملة فتحوّل الناس إليها وتركوا لُدَا، وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببابها .

الرابع - (عمل قَاقُونْ) - بفتح القاف وبعدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة - وهي مدينة لطيفة غير مَسُورَة، بها جامعٌ وحمّام وقلة لطيفة، وشربها من ماء الآبار، ولم تحز على طولها وعرضها، إلا أن بينها وبين لُدْ مسيرة يوم فلتعتبر بها بالتقريب .

الجهة الثانية

(الجَلِيلَة، وبها ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل القُدُس) . والقُدُس بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المقدس - بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة - وهو المسجد الأقصى، وأصل التقديس التطهير، والمراد المطهر من الأدناس . وهي مدينة من جُنْدِ فِلَسْطِينَ واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال": طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة . وعرضها ثلاثون درجة .

وهي مبنية على جبل مستدير، وصرّة المسلك، وبنائها بالحجر والكس، وغالب حجرها أسود، وشرب أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الأقصى وعين تجري إليها عن بُعد، وكذلك عين سلوان وليس مأواها بالكثير، وكان بها آثار قلعة قديمة تحربت فغندها الناصر محمد بن قلاوون في سنة ست عشرة وسبعائة، وليس بها حصانة، وكانت المدينة كلها قد غلب عليها الخراب من حين استيلاء الفرنج عليها، ثم تراجع أمرها للعمارة، وصارت في نهاية الحسن، بها المدارس والربط والحمامات والأسواق وغيرها. والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وهو القبلة الأولى.

قال في "الروض المعمار": وأول من بنى بيت المقدس وأرى موضعه يعقوب عليه السلام، وقيل داود. والذي ذكره في "تقويم البلدان" أن الذي بناه سليمان ابن داود عليهما السلام وبنى حتى تحربه يختصر، فبناه بعض ملوك الفرس وبنى حتى تحربه طيطوس ملك الروم، ثم بنى ورثته وبنى حتى تنصر قسطنطين ملك الروم وأمه هيلانة وبنّت أمه قمامة على القبر الذي يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام دُفن فيه، وتحربت البناء الذي كان على الصخرة وجعلتها مطرحة لقمامات البلد عتادا لليهود، وبنى الأمر على ذلك حتى فتح أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس فدل على الصخرة فنظف مكانها وبنى عليها مسجدا، وبنى حتى ولي الوليد ابن عبد الملك الخلافة فبناه على ما هو عليه الآن. على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ما هو داخل السور، وعلى القرب من المسجد الصخرة التي ربط النبي صلى الله عليه وسلم بها البراق ليلة الإبراء، وهي حجر مرتفع مثل الذكة أرتفاعها من الأرض نحو قامة، وتحتها بيت طوله بسطة في مثلها، يزل إليها بسلم وعليها قبة عالية، بناها الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد الأقصى.

قال المهلب في كتابه "العزري": ولما بناها الوليد بنى هناك عتة قباب وسمى كل واحدة منها بأسم: وهى قبة المعراج، وقبة الميزان، وقبة السلسلة، وقبة المحشر. قال في "مسالك الأبصار": وإلى الصخرة المتقدمة الذكر قبلة اليهود الآن، وإليها يجتمعون. وبه القامة التى تجمعها النصارى من أقطار الأرض، وبیت لحم الذى هو من أجل أما كن الزيارة عندهم، وكان به كنيسة للروم يقال إن بها قبر حنة أم مريم بنت عمران عليها السلام ثم صارت فى الإسلام دار علم. فلما ملك الفريخ القدس فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة، فلما فتح السلطان صلاح الدين القدس بنى بها مدرسة. وكان أسمها فى الزمن الأول إيليا. والأرض المقدسة مشتملة على بيت المقدس وما حوله، إلى نهر الأردن المسخى بالشرية، إلى مدينة الرملة طولاً، ومن البحر الشامى إلى مدائن لوط عليه السلام، وغلبها جبال وأودية إلا ما هو فى جنباتها.

الثانى - (عمل بلد الخليل عليه السلام). وأسمها بيت حبرون بإضافة بيت واحد البيوت إلى حبرون (بحاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة وراء مهملة مضمومة بسدھا واو ساكنة ونون) كذا ضبطه فى "تقويم البلدان": وفى كلام صاحب "الروض الماطر": ما يدل على إبدال الحاء بيمين والباء الموحدة بمثناة تحت، فإنه ذكرها فى حرف الجيم فى سياقة الكلام على تسمية دمشق جبرون. وهى بلدة من جند فلسطين فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، طولها فى بعض الأزياج ست ونعمسون درجة وثلاثون دقيقة، وبها قبر إبراهيم وإسماعيل ويعقوب عليهم السلام ونسائهم، وهى إحدى القرى التى أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم لتقيم الدارى كما سأتى ذكره فى الكلام على المناشير إن شاء الله تعالى.

الثالث - (عمل نابلس) - بفتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة في آخرها - مدينة من جُنْدِ الْأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طُولُها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة يُحتاج إليها ولا تحتاج إلى غيرها . قال ابن حوقل : وليس بِنِلسْطِينَ بلدةٌ فيها ماءٌ جارٍ سواها ، وباقى ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه . وبها البئر التي حفروها يعقوبُ عليه السلام ؛ وهي مدينة السامرة ، وكانت السامرة في الزمن المتقدم لا توجد إلا بها ؛ وبها الجبل الذي يحج إليه السامرة ، وسيأتي الكلام على الموجب لتعظيمه عندهم عند الكلام على تخليفهم في باب الإيمان إن شاء الله تعالى .

الصفقة الثانية

(القبليسة)

سميت بذلك لأنها قَبْلُ دِمَشْقَ . قال في "مسالك الأبصار" : وتشتمل على بلاد حورانَ والقَوْرِ وما مع ذلك . قال في "التعريف" : وحدها من القبلة جبال القَوْرِ القبليسة المجاورة لمرج بنى عامر ، ومن الشرق البرية ؛ ومن الشمال حدود ولاية بَرَدِمَشْقَ القِبْلِيَّةَ ، ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشَّيْفِ . قال : والأغوار كلها داخلة في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك .

وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال .

الأول - (عمل بيسان) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة وألف ونون - مدينة من جُنْدِ الْأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال

في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسبع وعشرون دقيقة . وهي مدينة صغيرة بلا سور، ذات بساتين وأشجار وأنهار وأعين، كثيرة الحصب واسعة الرزق، وطأ عين تشق المدينة، وهي على الجانب الغربي من النور .

قال في "التعريف" : وهي مدينة النور، وبها مقر الولاية . قال في "مسالك الأبصار" : وطأ قُلَيْعَة من بناء الفرج . قال في "الروض المعمار" : ويقال إن طألوت قتل جالوت هناك .

الثاني - (عمل بانياس) - بياض موحدة وألف ونون وياه مشاة تحت وألف ثمسين مهملة - مدينة من جند دِمَشَق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" : طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . قال : وهي على مرحلة ونصف من دِمَشَق من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب . قال في "العريزي" : وهي في لحف جبل الثلج ، وهو مطل عليها والثلج على رأسه كالعمامة لا يُعَدُّ منه شاة ولا صيفاً . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة الحولان ، وبها قلعة الصَّبِيَّة (بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المشناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر) . قال في "التعريف" : وهي من أجل القلاع وأمنها .

الثالث - (عمل الشعرا) - بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة وبعدها ألف - وهي عن بانياس المتقدم ذكره شرق بجنوب ، وطوله ما بين بانياس إلى جبل الثلج . قال في "التعريف" : والولاية بها تكون تارة بقرية حان (بالحاء المهملة) وتارة بقرية القنيطرة تدسفير قنطرة ، ولم يحز رلى طولها ، وعرضها فلتعتبرا بما قاربهما من الأعمال .

الرابع - (عمل نوى) - بفتح النون والواو وألف في الآخر - وهي بلدة صغيرة، عن دِمَشْقَ في جهة الغرب إلى الجنوب على نحو مرحلة ، وهي مدينة قديمة من أعمال دِمَشْقَ ، بها قبر أيوب النبي عليه السلام ، وإليها ينسب الشيخ محيي الدين النووي الشافعي رحمه الله، ولم يتجزر لى طولها وعرضها فلتعتبر بما قاربها أيضا، وهي عن يمين الشُعْرَا المتقدم ذكرها شرق بجنوب أيضا .

الخامس - (عمل أذْرَعَاتَ) - بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح الزاء والعين المهملتين وألف ثم تاء مثناة من فوق في الآخر - قال في "الروض المعطار": ويجوز فيها الصرف وعدمه . قال : والتاء في الحالين مكسورة . وقال الخليل بن أحمد : مَنْ كَسَرَ الألف لم يصرف؛ وهذا صريح في حكاية كسر الألف في أولها . ويقال لها يَذْرَعَاتُ بياء مثناة تحت بدل الألف - وهي مدينة من أعمال دِمَشْقَ من الإقليم الثالث . قال في "مكتاب الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة - وهي مدينة البَيْثِيَّةُ ، وبينها وبين الصَّنَمِينَ ثمانية عشر ميلا . قال في "التعريف" : وبها ولاية الحاكم على مجموع الصَّفَقَةِ ، وقد كان قديما بغيرها .

السادس - (عمل عَجْلُون) - بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون في آخره - قلعة من جُند الأُرْدُنَّ في الإقليم الثالث ، طولها ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق . مبنية على جبل يعرف بجبل عَوْفَ المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة تُشْرِف على القَوْرِ . وهي محدثة البناء بناها عز الدين أسامة بن منقذ : أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب في سنة ثمانين وخمسمائة . قال في "مسالك الأبصار" : وكان مكانها [دير به]

(١) كذا في القويم أيضا وفي المعجم [وكرر الزاء] وفي القاموس [بكر الزاء وتفتح] .

راهب اسمه عَجْلُونُ فسميت به . قال في "التعريف" : وهو حصن جليل على صِفَرِهِ ، وله حصانةٌ ومنعةٌ منيعة . ومدينة هذه القلعة الباعونة (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ما كنة ونون مفتوحة وفي آخرها هاء) وهي على شوط فرس من عَجْلُون . قال في "المسالك" : وكان مكانها ديرًا أيضًا به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به ، وهما شرقي بيسان المتقدم ذكرها

السابع - (عمل البقاء) . قال في "الروض المعطار" : سميت بالبقاء بن سورية من بني عَمَّان بن لوط ، وهو الذي بناها . قال في "تقويم البلدان" : وهي إحدى كُورِ الشَّراءِ ، وهي عن أريحا في جهة الشرق على مرحلة ، ومدينة هذا العمل حُصْبَانُ (بضم الحاء وإسكان السين المهملتين وفتح الباء وبعدها ألف ونون) وهي بلدة صغيرة ولها واد وأشجارٌ وأرجحةٌ وبساتين وزروع .

قال في "مسالك الأبصار" : ومن هذا العمل (الصُّلْتُ) . . وهي بألف ولام لازمين في أوّله وفتح الصاد المهملة المشددة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة - بلدة لطيفة من جُنْدِ الأُرْدُنِّ في جبل الفُورِ الشرقي في جنوب عَجْلُونِ على مرحلة منها ، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وتحت القلعة عينٌ واسعة يجري ماؤها حتى يدخل البلد ، وهي بلدة عامرة أهلة ذات بساتين وفواكه . قلت : وكلامه في "التعريف" قد يخالف كلامه في "مسالك الأبصار" في جعل الصُّلْتُ من عمل حُصْبَانٍ ، فإنه قال : وأولها من جهة القبلة البقاء ومدينتها حُصْبَانُ ، ثم الصُّلْتُ ، ثم عَجْلُونُ ، وعَجْلُونُ عمل مستقل كما تقدم ، ومقتضاه أن يكون الصُّلْتُ أيضًا عملاً مستقلاً . وكذا رأيت في "التذكرة الآمدية" نقلًا عن شهاب الدين ابن الفاروق أحد كتّاب الإنشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ، وأخبرني بعض

(١) في الأصل "عيد" والنصح والضبط عن ياقوت في معجم البلدان .

كُتِبَ الإنشاء أن المستقر الصلّت فقط والبقاء مضافة إليها، وعليه يدل كلام القاضي تقي الدين بن ناطر الجليش في "التتيف" فإنه قال: وممن كُتِبَ إليه من الولاة بالمالك الشامية في قديم الزمان - ولعله في الأيام الشيدية - وإلى الصلّت والبقاء فيما نقل عن خط المرحوم نصر الدين بن النشائي كاتب الدست الشريف .

الثامن - (عمل صرخد) - بفتح الصاد وإسكان الراء المهملتين وفتح الحاء المعجمة ودال مهمله في آخره - بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم وليس بها ماء سوى ما يجتمع من ماء المطر في الصهاريج والبرك . قال ابن سعيد : وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق إلا البرية، ومنها تسلك طريق تُعرَف بالرصيف إلى العراق يصل المسافرون منها إلى بغداد في نحو عشرة أيام . قال في "التعريف" : وبها قلعة وكان بها ملك من الممالك المعظمية . قال في "مسالك الأبصار" : وهي محذمة البناء بُدِثَتْ قبل نور الدين الشهيد بقليل، ولما وصلت عساكر هولاكو ملك التار إلى الشام هدموا شُرُفاتها وبعض جدرانها بفقدتها الظاهر بيبس، وهي على ذلك إلى الآن .

التاسع - (عمل بصرى) - بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهمله وألف في الآخر - هكذا هو مقيد بالشكل في كتب اللغة والحديث والمسالك والممالك وجاز على الألسنة، ووقع في "تقويم البلدان" ضبطه بفتح أوله فلا أدري أهو سبق قلم أو غلط من النسخة أو أخذه من كلام غيره، وهي مدينة بمحوران من أعمال دمشق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" و"القانون" : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة .

(١) الذي في "تقويم البلدان" طبع باريس سنة ١٨٤٠ م ضبطه بضم الباء الموحدة كما هو المشهور، فلي نسخة التقويم كانت كذلك فأصلها الصحيح ولم يبه .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة حَوْرَانَ السفلى ، بل حَوْرَانَ كلها ، بل الصفقة جميعها ؛ وكلامه في "التعريف" يوافق ، وهي مدينة أَزَلِيَّة مبنية بالحجارة السود ، ولها قلعة ذات بناء مَتِين شبيه ببناء قلعة دِمَشْق . قال في "التعريف" : وكانت دار مُلك لبني أيوب ، وقد ثبت في الصحيح من حديث الخنْدَق أَنَّهُ (صلى الله عليه وسلم) ، قال "ثم ضربتُ الضربة الثالثة فلاحَتْ لِي مِنْهَا قُصُور بُصْرَى كأنها أنيابُ الكَلَابِ" وهي التي وجد النبي صلى الله عليه وسلم بها يَجِيرُ الراهب وآمن به حين قدم تاجراً لخديجة بنت خُوَيْلِد قبل البُعْثَةِ ، وقبر يَجِيرُ هناك مشهور زار ، وقد تقدم الكلام عليها فاغْنَى عن إعادته هنا .

العاشر - (عمل زُرْع) - بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة وعين مهملة في الآخر - وهي بلدة من بلاد حَوْرَانَ لها عملٌ مستقلٌ ، ولم يتحرر لي طولها وعرضها . قال في "التعريف" : وقد يتصل عمل بُصْرَى بأَذْرَعَاتٍ لوقوع زُرْع متشاملة .

الصفقة الثالثة

(الشمالية)

سميت بذلك لأنها عرب شَمَال دِمَشْق ، قال في "مسالك الأبصار" : وهي ساحليَّة وجبليَّة . قال في "التعريف" : وحدَّها من القبلة حدَّ ولاية دِمَشْق الشمالي وبعضُ الغربي ؛ وحدَّها من الشرق قرية جُوسِيَّة التي بين القرية المعروفة بالقَصَب من عمل حصص وبين القرية المعروفة بالفيجة من عمل بَعْلَبَك ؛ وحدَّها من الشمال مرج الأمل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمتد العاصي بطَرَابُلس ، وكل ما تشامل عن جبل لُبْنَانَ إلى البحر ؛ وحدَّها من المغرب ما هو على سَمْت البحر منحدرًا عن صور إلى حدَّ ولاية بَرْدِ دِمَشْق القبلي والغربي .

وتشمل هذه الصفة على خمسة أعمال .

الأول - (عمل بعلبك) - بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف - هكذا ضبطه في "تقويم البلدان" والبحارى على السنة الناس فتح العين وإسكان اللام . قال في "الروض المعطار" : وكان لأهلها صنم يدعى بعلًا ، فالبل أسم للصنم ، وبك أسم الموضع فسميت بعلبك لذلك . قال : وإلهم بعث النبي إليّ أس عليه السلام ، وكأنه يشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في سورة الصافات بقوله : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) وكان فتحها في سنة أربع عشرة من الهجرة ، وهى مدينة من أعمال دمشق واقعة في الإقليم الرابع طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونحسون دقيقة ، وهى مدينة شمالى دمشق ، جليلة البناء ، نبيه الشان ، قديمة البنيان ، يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في "مسالك الأبصار" : وهى مختصرة من دمشق في كمال محاسنها وحسن بنائها وترتيبها ، بها المساجد والمدارس والرُّط والخوانق والزوايا والبيادرستان والأسواق الحسنة ، والماء جار في ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق من الماعون وغيره ويحمل منها إلى غالب البلدان مع كونها واسعة الرزق رخيصة السعر ، وكانت دار مُلك قديم ، ومن عُشبا درج "نجم الدين أيوب" ، والد الملوك الأيوبية رحمه الله ، وبها قلعة حصينة جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه ، وهى مرحلة على وجه الأرض كقلعة دمشق . قال في "التعريف" : بل إنما بنيت قلعة دمشق على مثالها ، وهيات لا تمتد من أمثالها ! وأين قلعة دمشق منها ومجاورتها تلك لبلال الثواب ، وعمدها تلك الصخور النوايت .

قَدِّعِدُ الشَّيْءَ مِنْ شَيْءٍ يُشَابِهُهُ ۝ إِنَّ السَّمَاءَ نَظِيرُ الْمَاءِ فِي الزَّرْقِ

وبهذه القلعة من عمارة من نزل بها من الملوك الأيوبية آثارٌ ملوكية جلية ، ويستدير بالمدينة والقلعة جميعاً سورٌ عظيم البناء مبنيّ بالحجارة العظيمة المقدار الشديدة الصلابة ، ويحُفّ بذلك غُولة عظيمة أَيْقَةُ ذاتِ بساتين مشبكة الأشجار بها الثمار الفاخرة ، والفواكه المختلفة . وبظاهرها عين ماء متسعة الدائر ماؤها في غاية الصفاء بين مروج وبساتين ، يمتدّ منها نهر يتكسر على الحصباء في خلال تلك المروج إلى أن يدخل المدينة ، وينقسم في بيوتها وجهاًتها . وعلى البعد منها عينٌ أخرى تُعرف بعين المروج (؟) في طَرَفِ بساتينها ، منها فرع إلى الجانب الشمالي من المدينة ، ويصب في قناة هناك ويدخل منه إلى القلعة ، ويُنْزَاجها جبل بُنَّانَ المعروف بِعُشِّ الأولياء .

الثاني - (عَمَلُ الْبِقَاعِ الْبَلْبَكِيِّ) - بوصف البقاع - بكسر الباء الموحدة وفتح القاف وبعدها ألف ثم عين مهملة - بالبلبيكي ، نسبة إلى بعلبك لقربه منها . قال في "التعريف" : وليس له مقر ولاية .

الثالث - (عمل البقاع العزيزي) - بوصف البقاع بالعزيزي نسبة إلى العزيز عكس الذليل ، وكأنه نسبة إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . قال في "التعريف" : ومقرّ الولاية به كَرَكُ نوح عليه السلام . قال : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَلْبَك ، وهما مجموعتان لوالٍ جليل مفرد بذاته .

الرابع - (عمل يَرْوَت) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وواو واء مثناة من فوق في آخرها - وهي مدينة من الإقليم الثالث بساحل دِمَشْقَ . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ثمان وثمانون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعَرْضُها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهي مدينة جليلة على صَفَةِ البحر الرُمِّي ، عليها سُورَان من حجارة ، وفيه كَلْبٌ يَزل الأوزاعى الفقهي

المشهور، وبها جبل فيه معدن حديد، ولها غيضة من أشجار الصنوبر سعتها اثنا عشر ميلاً في التكسير، نتصل إلى تحت بُنَّانٍ المقتم ذكره . قال في "تقويم البلدان" : وشرب أهلها من قناة تجري إليها . وقال في "مسالك الأبصار" : شرب أهلها من الآبار . قال ابن سعيد : وهي فُوزة دِمَشَقَ ولها مينا جلييلة ، وفي شمالها على الساحل مدينة جُبَيْل تصغير جبل . قال في "الروض المعطار" : بينهما ثمانية عشر ميلاً . قال في "العزري" : " وبينها وبين بعلبك على عَقَبَةِ الْمُغِيثَةِ ستة وثلاثون ميلاً .

الخامس - (عمل صيداً) - بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة في الآخر - وهي مدينة بساحل البحر الرومي ، واقعة في الإقليم الثالث ، ذات حصن حصين ، قال ابن القَطَامِي سميت بصَيْدُون بن صدقا بن كَنْمَان ابن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أول من عمَّرها وسكنها . وقال في "الروض المعطار" : سميت بامرأة . وشرب أهلها من ماء يجري إليهم من قناة . قال في "العزري" : " وبينها وبين دِمَشَقَ ستة وثلاثون ميلاً . قال في "مسالك الأبصار" : وكَوْرَتُهَا كثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار . قال في "الروض المعطار" : وبها سَمَك صغار له أَيْدٍ وأرجل صغار إذا جُفِّفَ وُثِّقَ وشرب بالماء ، أنعط إعاضا شديدا . قال في "المسالك" : وهي ولاية جلييلة واسعة العمل ممتدة القري ، تشمل على نيف وستائة ضيعة ،

الصفحة الرابعة

(الشرقية؛ وهي على ضرين)

الضرب الأول

(ماهو داخل في حدود الشام، وهو غربي القُرَات)

قال في "التعريف" : وحدتها من القبلة قرية القَصَب المجاورة لقرية جُوسِيَّة المتقدم ذكرها، أخذاً على التَّبَك إلى القَرَيَتَيْن ؛ وحدتها من الشرق السَّاوَة إلى القُرَات وينتهي إلى مدينة سَبَّابِيَّة إلى الرَّسْتَنِ ؛ وحدتها من الغرب نهر الأُرَنْط وهو العاصي، وتشتمل على خمسة أعمال أيضا .

الأول - (عمل حصص) - بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وصاد المهملة في الآخر . قال في "الروض المطار" : ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هِنْدٍ لأن هذا اسم أعجمي . قال : وسُميت برجل من الهالقي اسمه حِمَص هو أول من بناها . قال الزجاجي : هو حص بن المَهْر بن حاف بن مكثف، وقيل برجل من عاملة هو أول من نزلها، وأسمها القديم سُورِيَا (يسين مهمل مضمومة وواو ساكنة وراء مهمل مكسورة وياء مثناة تحت مفتوحة وألف في الآخر) . وبه كانت تسميها الروم، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي مدينة جليلة، وقاعدة من قواعد الشام العظام . قال في "التعريف" : وكانت دارَ مُلْكٍ للبيت الأَسَدِيّ يعني أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . قال : ولم يزل يملكها في الدولة الأيوبية سطوةً تُخاف وبأس يخشى، وهي في وطءاء من الأرض ممتدة على القرب من النهر العاصي، ومنه شرب أهلها، ولها منه

(١) كذا في الضرب، أيضا وفي "تسمي البلدان" ابن جان .

ماء مرفوعٌ يجرى إلى دار النياحة بها وبعض مواضع بها . قال في "مسالك الأبصار" :
وبها القلعة المصفحة وليست بالنيحة ، ويحيط بها وبالبلد سورٌ حصين هو أمتع
من القلعة . قال في "العزى" : وهى من أمتع بلاد الشام هواءً ، وبوسطها
بُحيرةٌ صافية الماء ، ينقل السمك إليها من الفرات حتى يتولد فيها ، والطير مبنوث
في نواحيها . قال ابن حوقل : وليس بها عقارب ولا حيات . وقد تقدّم في الكلام
على خواص الشام وعجايبها أن بها قبةً بالقرب من جامعها إذا الصق بها طين من طينها
وترك حتى يسقط بنفسه ووضع في بيت أو ثياب لم يقربها عقرب . وإن دُثر منه على
العقرب شئ أخذ مثل السكر بما قتله ، ولما من بر بملك أنواع الفواكه وغيرها ،
ومأشها يقارب قماش الإسكندرية في الجودة والحسن ، وإن لم يبلغ شأوه في ذلك .
قال في "الروض المعطار" : ويقال إن بقراط الحكيم منها . وإن أهلها أول من أبدع
الحساب ، وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ومقامه مشهور بها يزار .

الثانى - (عمل مصياف) بكسر الميم وسكون الصاد - وهى بلدة جلييلة ، ولها
قلعة حصينة في لحف جبل اللكام الشرقى عن حماة وطرابلس ، في جهة الشمال عن
بازين على مسافة فرسخ ، وفي جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم ، وبها أنهر صفار
من أعين ، وبها البساتين والأشجار . وهى قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها في أعمال
طرابلس ودار ملكها ، وكانت أولاً مضافة إلى طرابلس ثم أفردت عنها وأضيفت
إلى دمشق .

الثالث - (عمل قاراً) - بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة وألف ثانية .
هكذا هو مكتوب في "التعريف" وغيره وهو الجارى على الألسنة . ورايتها
مكتوبة في "تقويم البلدان" بهاء فى الآخر بدل الألف الأخيرة . وهى قرية كبيرة
قبل حصن ، بينها وبين دمشق على نحو منتصف الطريق ، تزورها فوافل السفارة ، وبينها
وبين حصن مرحلة ونصف ، وبينها وبين دمشق مرحلتان ، وغالب أهلها نصارى .

الرابع - (عمل سَابِئَة) - بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وباء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهى بلدة من عمل حصص من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون العرض أربعاً وثلاثين ونصفاً . قال أحمد الكاتب : بناها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب وأسكن بها ولده . وهى بلدة على طرف البادية زِيَهَة خضبة كثيرة المياه والشجر، ومياها من قُني . قال في "الروض المعطار" : وبينها وبين حصص مرحلة .

الخامس - (عمل تَدْمُر) - بفتح التاء المثناة فوق وسكون الدال المهملة وضم الميم وراء مهملة في الآخر - كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" : والجارى على ألسنة الناس ضم أولها . قال في "التعريف" : وهى بين القَرْيَتَيْنِ والرَّجَّة ، وهى معدودة من جزيرة العرب واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : وهى من أعمال حصص من شرقها ، وغالب أرضها سَبَاخ ، وبها نخيل وزيتون ، وبها آثار عظيمة أَرْلِيَّة من الأعمدة والصخور، ولها سور وقلعة .

قال في "الروض المعطار" : وهى فى الأصل مدينة قديمة بنتها الجن لسليلان عليه السلام ، ولها حصون لأثرهم . قال : وسُميت تَدْمُر بتدْمُر بنت حَسَّان ابن أَذْيَنَة ، وفيها قبرها . وإنما سكنها سليلان عليه السلام بعدها . قال في "العزيرى" : وبينها وبين دِمَشْق تسعة ونمسون ميلاً ، وبينها وبين الرَّجَّة مائة ميل وميلان . قال صاحب حماة : وهى عن حصص على ثلاث مراحل .

(١) في القاموس وياقوت "وسكون الميم" أى وتخفيف الياء

الضرب الثاني

(من هذه الصنفقة مأهون من بلاد الجزيرة ، بين الفرات والدجلة

على القرب من الفرات)

وهو مدينة الرّحبة . قال في "اللباب" : بفتح الراء والحاء المهملتين والباء الموحدة وهاء في الآخر . وهي مدينة على الفرات بين الرّقة وعانة ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وتعرف برّحة مالك بن طوق ، وهو قائد من قواد هارون الرشيد ، قيل إنه أقول من حمّرها فنسبت إليه . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد تحربت الرّحبة المذكورة وصارت قرية ، وبها آثار المدينة من المآذن الشواحي وغيرها ، وأستحدث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى صاحب حصص من جنوبها الرحبة الجديدة على نحو قرص من الفرات ، وهي بلدة صغيرة ولها قلعة على تل تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الجارح من الفرات . قال : وهي اليوم محط القوافل من الفرات والشام ، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا .

قال في "التعريف" : وبها قلعة نياية ، وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين ، ولم تزل إمرتها طليخاناه ، بمرسوم شريف من الأبواب الشريفة من الأيام الناصرية ابن قلاوون إلى الآن .

تنبيه - قال في "التعريف" : ومما أضيف إلى دمشق في زمن سلطاننا يعنى الناصر بن قلاوون بلاد جعبر . قال : وحققا أن تكون مع حلب ، وهي مستمرة على ذلك إلى زماننا ، وسيأتى الكلام عليها في الأعمال الخلية إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطها في المعجم بإسكان الحاء وهو مقتضى إطلاق القاموس .

وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجبش في كتابه "التصنيف" : أنه كان قد استقر بتدبر وسليمة والسحنة والقريتين نواب، واستقر الحال على أن مكتبة كل منهم إن كان مقبداً نظير النائب بالرجحة، يعني "صدرت" و"العالي" وإن كان طبعاً طبعاً فالاسم "والساحي" بالياء .

القاعدة الثانية

(من قواعد البلاد الشامية حلب، وفيها جنتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

قال في "اللباب" : هي بفتح الحاء المهمللة واللام وباء موحدة في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها اثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

وأختلف في سبب تسميتها حلب على قولين حكاهما صاحب "الروض المعطار" : أحدهما أنه كان مكان قلعتها ربوة ، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يأوي إليها ويحلب غنمه ويتصدق بلبنها فسميت حلب بذلك . الثاني أنها سميت برجل من العالقي اسمه حلب . قال الزجاجي : حلب بن المهر من ولد جان بن مكتف .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة ، وهي في واطاء حمراء ممتدة بمبداً بالبحر الأصفر الذي ليس له نظير في الآفاق وبها المساكن الفاتحة ، والمنازل الأنيقة ، والأسواق الواسعة ، والقياسر الحسنة ، والحمامات البهجة . ذات جوامع ومساجد ومدارس وخوانق وزوايا وغير ذلك من سائر وجوه البر ،

(١) في الأصل "حان" وفي النص "حان" والتصحيح من المخرت .

وبها يمارستان حسنٌ للعلاج المرضي . قال في "مسالك الأبصار" : ولها نهيران : أحدهما يعرف بنهر قُوقٍ ، وهو نهرها القديم . والثاني يعرف بنهر الساجور ، وهو نهر مستحدث ، ساقه إليها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" في سلطنته وحكمة عليها . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أن الملك الظاهر غازي بن النابلس "أبي بكر بن أيوب" ساق إليها نهرا في سنة خمس وستمئة ، ولعله نهر قُوقٍ المذكور . قال في "مسالك الأبصار" : ويمر إلى داخلها فرع ماء يتشعب في دورها ومساكنها ولكنه لا يُبَلِّغُ صَدَاها ولا يُسْفِي غُلَّتْها ، وبها الصباريح الملوثة من ماء المطر ، ومنها شُرْبُ أهلها ، ويدخل إليها الثلج من بلادها ، وليس لأهلها إليه كثير ألقاب لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم ، وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب إليها من نواحيها لِقَلَّةِ البساتين بها ، وبظاهرها التُّرُوجُ الفَيْحُ والبرّ الممتدة حاضرة وبادية ، وبها عسكر كثير وأمم من طوائف العرب والأكراد والتُّرْكَان .

قال في "اللباب" : وكان المُنْدُ في ابتداء الإسلام ينزلون قَلْسِرِينَ ، وهي المدينة التي تُنسب الكورة إليها على ما تقدم ذكره ولم يكن لحلب معها ذكر . قال ابن سعيد : ثم ضَعُفَتْ بقوة حلب عليها ، وهي الآن قرية صغيرة .

قال في "مسالك الأبصار" : وكانت حَلَبٌ قد عَظُمَتْ في أيام بني حَمْدَانَ ، وتاهت بهم شرقاً على كَيَوَان . جاءت الدولة الأتابكية فزادت قَهَّاراً ، واتخذت لها من بروج السماء منطقةً وأسواراً ، ولم تزل على هذا يُسَارُّ إليها بالتمظيم ، ورأى أهلها في الفضل عليها لِدَسْخِ السَّليم ، حتى تزل هولاكواً بحوافر خيله فهُدِمَتْ أسوارها ونحرت حواضرها ، ولم تزل خالية من الأسوار ، عَرِيَّةً من الأبواب ، إلى أن كانت فتنة منطاش في سلطنة الظاهر بَرْقُوقٍ والنائب بها من قبيلة الأمير كشغبا ، فهدم أسوارها ، ورَبَّ أبوابها ، وهي

سبعة أبواب: باب قنسرين من القبلة، وباب المقام من القبلة أيضا، وباب التبرّ من الشرق، وباب الأربعين من الشرق أيضا، وباب النصر من بحريها، وباب الحنان من غربيها، وباب أنطاكية من غربيها أيضا، وهي الآن في غاية ما يكون من العماره وحسن الروق والبهجة، ولعلها قد فاقت أيام بني حمدان، ولم يزل نائمها من أكابر الأمراء المتقدمين من الدولة الناصرية فما قبلها إلى الآن، وقد زادت رتبته عما كان عليه في الأيام الناصرية، وهي ثانية دمشق في الرتبة، ومعاملاتها على ما تقدم في دمشق من الدراهم والدنانير والفلّوس وصنجة الذهب والفضة. غير أن الفلّوس الجدد لم ترج بها بعد، ووطئها سبعمائة وعشرون درهما بالصنجة الشامية، كل أوقية^(١) ستون درهما، ومعاملاتها معتبرة بالمكوك، ولا تعرف فيها الغرارة، ولا في شيء من أعمالها، وتختلف بلادها في المكوك اختلافا متباينا في الزيادة والنقص. قال في "مسالك الأبصار": والمعدل فيها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة ومابين ذلك وكل ذلك تقريبا.

قلت: وأخبرني بعض أهلها أن المكوك بنفس مدينة حلب معتبر بسبع وبنات بالكيل المصري، والذراع القماش ذراعٌ وسدسٌ بذراع القماش القاهري، ويزيد على ذراع دمشق بقراطين، وقياس دُور أرضها بذراع العمل المعروف بالديار المصرية.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "مسالك الأبصار": هي أوسع الشام بلادا، متصلة ببلاد سبّس والروم وديار بكر وبرية العراق. قال في "التعريف": ويحدها من القبلة المعرة وما وقع

(١) وأرائه اثنا عشرة أوقية [كما سيأتى له في حلب في موضع آخر].

على شتمها إلى الدمنة الخراب والسلسلة ارمسية وبحرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحيار (يعنى بكسر الحاء المهملة والياء المشناة تحت وألف وراء مهملة) والقرية المعروفة بقبة ملاعب ، ويحدها من الشرق [البر] حيث يحدها بردي أخذنا على جبل التلج ، ثم الجلاب على أطراف باليس إلى الفرات دائرة يحدها . قال : وبهذا التقسيم تكون بلاد جعتر داخلية في حدودها ، ويحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء هسنى وبلاد الأرمن على البحر الشامي :
ثم أعمالها على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ، ولها بر وأعمال)
فأما برها فهو ضواحيها على ما تقدم في دمشق ، وهو كالعمل المنفرد بنفسه .
وأما أعمالها ، فقد ذكر المَقَرُّ الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " و " مسالك الأبصار " بها ستة عشر عملا على أكثرها ، وربما انفرد أحد الكاتين عن الآخر ببعض دون البعض .

الأول - (عمل قلعة المسلمين) - المسماة في القديم بقلعة الروم وهي قلعة من جند قنشرين في البر الغربي الجنوبي من الفرات ، في جهة الغرب الشمالي عن حلب على نحو خمس مراحل منها ، وفي الغرب عن البيرة على نحو مرحلة ، والفرات بذيلها . وموقعها في الإقليم الرابع . قال بعض أصحاب الأزياج : وطولها اثنتان وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام ولا تدرك ، ولها ربض وبساتين ، ويمر بها نهر يعرف بمزبان يصب في الفرات . قال في " التعريف " : وكان بها خليفة الأرمن

(١) المدة ستة وعشرون وفي الضم " ستة وعشرون " - (٢) لعله أفتقا على أكثرها .

ولا يزال بها طاعوت الكُفْر، فقصدتها الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون
فقتل عليها، ولم يزل بها حتى فتحها، وسمّاها قلعة المسلمين . قال : وهي من
جلائل القلاع .

الثاني - (عمل الكَحْنَا) - بفتح الكاف وسكون الحاء المسجومة وفتح التاء المشددة فوق
ثم ألف في الآخر، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة في أقصى الشام من
جهة الشمال بشرق من حلب، على نحو خمس مراحل منها، وموقعها في الإقليم الرابع .
قال بعض أصحاب الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها
ست وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . وهي قلعة عالية البناء لأثرهم حصانة، ولها
بساتين ونهر، ومطبخة عنها في جهة الغرب على مسيرة يومين، وركز منها في جهة
الشرق، وكانت أحد نفور الإسلام في وجوه التتار عند قيامهم . قال في "التعريف" :
وهي ذات عمل منيع، وعسكر تقطوع مجتمع .

الثالث - (عمل كَرْكُر) بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف مفتوحة ثانية
بعدها راء مهملة ثانية أيضا - وهي قلعة من أقصى الشام في الشمال عن حلب
على نحو خمس مراحل أيضا، وفي الغرب من الكَحْنَا المتقدمة الذكر على نحو يوم
منها، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون
درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة ونحسون دقيقة .

قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة شاهقة في الهواء يرى
الفرات منها كالجدول الصغير، وهو منها في جهة الشرق، وكانت من أعظم النفور
في زمان التتار .

الرابع - (عمل بَهْسَنِي) - بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون السين المهملة ثم نون
وآلف - وهي قلعة في شمالي حلب على نحو أربع مراحل منها، وموقعها في الإقليم

الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة مرتفعة لأترام حصانة ، بها بساتين ونهر صغير وأسواق ورستاق متسع ، وبها مسجد جامع . ثم قال : وهي بلدة واسعة ، كثيرة الخير والخصب ، وهي في الغرب والشمال عن عتبات ، وبينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سييس نحو ستة أيام . قال في "التعريف" : وهي النهر المتأخيم لبلاد الدروب ، والمشتعل في حجرة الحروب ، وبها عسكر من التركمان والأكراد . ولا يزال لهم آثار في الجهاد . قال : ولنا بها مكانة جليلة ، وإن كان لا يلحق بنائب البيرة .

الخامس - (عمل عتبات) - بفتح العين وسكون الياء المثناة تحت والنون وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف وباء موحدة - وهي مدينة من جند قلنسيرن شمال حلب على نحو مرحلتين منها ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة حسنة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المياه والبساتين ، ذات أسواق جليلة مقصودة للتجار والمسافرين ، وبها قلعة حصينة متقوية في الصخر . وهي عن حلب في الشمال على نحو ثلاث مراحل منها ، وعن قلعة الروم في الجنوب على نحو ثلاث مراحل أيضا ، وعن بهسنى في جهة الشرق والجنوب على نحو ثلاث مراحل .

السادس - (عمل الروتدان) - بالف ولام لازمتين وراء هملة بعدها ألف ثم واو مفتوحة ونون ساكنة ودال هملة ثم ألف ونون - وهي قلعة من جند قلنسيرن واقعة في الإقليم الرابع طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة على جبل مرتفع أبيض ، ذات أعين وبساتين وفواكه ، وواد

حسن ؛ ونهرها من تحتها نهر عفرين المتقدم ذكره أخذنا من الشمال إلى الجنوب ،
وهي في الغرب والشمال عن حلب ، وبينهما نحو مرحلتين ، وفي الشمال عن حارم .
السابع - (عمل الدربسالك) - بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء
الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف ، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة
من جُند قيسرين واقعة في الإقليم الرابع شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع
منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها إحدى وستين درجة ،
وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة ذات أعين وبساتين ، وبها مسجد
جامع ، ولها من شريقها مروج منسعة ، حسنة المنظر ، كثيرة العشب ، يمر بها النهر
الأسود المتقدم ذكره .

الثامن - (عمل بفراس) - بفتح الباء الموحدة وسكون الفين المعجمة وراء مهملة
وألف ثم سين مهملة - كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" ووقع في "التعريف"
و"مسالك الأبيصار" بالصاد المهملة بدل السين . والجاري على ألسنة الناس
ضم أقله ؛ وهي قلعة من جُند قيسرين ، واقعة في الإقليم الرابع شمالي حلب على نحو
أربع مراحل منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة
ونخمس ونخسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث ونخسون دقيقة ،
وهي في الجبل المطل على عثم حارم . قال ابن حوقل : وكان بها دارضيافة
لرئيسة . قال في "تقويم البلدان" : وهي ذات أعين وبساتين وأشجار ، وبينها
وبين الدربسالك نحو بعض مرحلة ، وهي في جهة الجنوب عن الدربسالك . قال
في "العززي" : وبينها وبين أنطاكية اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين إسكندرونة
كذلك ، وبينها وبين حارم نحو مرحلتين . وبفراس في الجنوب عن دربسالك
وبينهما بعض مرحلة ، وحارم في جهة الشرق عنها . قال في "التعريف" : وكانت

هى الثغر فى بحر الأرمن حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية . قال : وبها رُصص
وهى عضو من أعضائها وجزء من أجزائها . ورُصص المذكورة براء مهملة مضمومة
وصادين مهملتين الصاد الأولى مفتوحة ، وهى بلدة على الساحل ، وقد مر ذكرها
فى الكلام على بحر الروم على سواحل الأرمن .

التاسع - (عمل القصير) تصغير قصر . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى قلعة
غربى حَلَب على نحو أربع مراحل منها . قال فى "التعريف" : وهى لأَنطاكِيَّة
ولم يتحور لى طولها وعرضها .

العاشر - (عمل الشجر وبكاس) - آسمان لقلعتين بينهما رَمِيَّة سَهم .
فالشجر - بضم الشين وسكون الفين المعجمتين ثم راء مهمله .

وبكاس - بفتح الباء الموحدة والكاف ثم ألف وسين مهمله فى الآخر . وهما من
جُند قَلْبَيْرَين ، وموقعهما فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولهما إحدى
وستون درجة ، وعرضهما خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهما مبنيان على
جبل مستطيل ، وتحتهما نهر يجرى ، وبهما بساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، ولهما
رُستاق ومسجد جامع . قال فى "تقويم البلدان" : وهما فى الجنوب عن أنطاكيَّة
وبينهما الجبال .

الحادى عشر - (عمل شيزد) - بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح
الزاي المعجمة وفى آخرها راء مهمله . وهى مدينة من جُند حص غربى حَلَب
على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البلدان" :
القياس أن طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها أربع وثلاثون درجة
وخمسون دقيقة . وهى مدينة ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة وأكثرها الرمان ،
ولها ذكر فى شعر أمراء القيس مع حماة . قال فى "المريزى" : وبينها وبين حماة

تسعة أميال ، وبينها وبين رَحَصَ ثلاثة وثلاثون ميلا ، وبينها وبين أُنْطَاكِية ستة وثلاثون ميلا .

الثاني عشر - (عمل جَجْرِ شُغْلَانْ) بلفظ جَجْر واحد الحجارة وإضافته إلى شُغْلَانْ (بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم لام ألف ونون) ، وهي قلعة شمالي حَلَبَ على نحو ثلاث مراحل منها . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بالقرب من بَقْرَاسَ في جهة الشمال على مسافة قريبة جدًا ، ولم يتحزولي طولها وعرضها ولكنها تعتبر ببَقْرَاسَ المتقدمة للذكر القربا منها - وهي الآن خراب .

الثالث عشر - (عمل قلعة أَرِي قُبَيْسَ) - بهزمة مفتوحة وباء موحدة مكسورة بعدها ياء ساكنة ثم قاف مضمومة وباء موحدة مفتوحة وياء مثناة تَحْتُ ساكنة ثم سين مهملة في الآخر . وهي قلعة حصينة غربي حَلَبَ مما على الساحل ، على نحو ثلاث مراحل قصيرة من حَلَبَ ، كما أخبرني به بعض أهل البلاد ، ولم يتحزور لي طولها وعرضها ، وسيأتي في الكلام على ترتيب المملكة أنها استقرت ولاية ، وربما أضيفت إلى غيرها .

الرابع عشر - (عمل قلعة حَارِمَ) - بحاء مهملة مفتوحة وألف . ثم راء مهملة مكسورة وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي قلعة حصينة في جهة القُرب من حَلَبَ على نحو مرحلتين منها ، ذاتُ بساتين وأشجار ، وبها نهر صغير . وبينها وبين أُنْطَاكِية مرحلة ، ورضها بلد صغير . قال ابن سعيد : وقد خُصِّصَتْ للرُتَّان الذي يرى باطنه من ظاهره مع عدم التَّجَمُّ وكثرة الماء .

الخامس عشر - (عمل كُفْرِ طَابَ) - بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف وباء موحدة - على إضافة كُفْرِ إلى طَابَ . هذا هو الجارى على

الألسنة وهو الصواب ، وأصله من الكَفَر بمعنى التغطية ، والمراد مكان الزرع والحَرْث لتغطية الحبِّ بالزراعة كما في قوله تعالى: ﴿ كَتَلِ ثَلَاثَ خَنَازِيرَ ﴾ (١) .
يريد الزَّرَاع ، ووقع في كلام صاحب حماة بفتح الفاء وهو وهم .

وظاهر كلام صاحب "الروض المطار" أن طاب في معنى الصفة لكفر فإنه قال : وسمى بذلك لأن حوله أرض كريمة . قال : وأرضه صحبة الهواء ومن سكنها لا يكاد يمرض ، وقيل إنه منسوب إلى رجل اسمه طاب - وهي بلدة صغيرة من جُندِ مَخَصْ غربي حَلَب ، على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة في الإقليم الرابع .
قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة - وهي على الطريق بين المَعَرَّة وشَيْرَز . قال في "العزى" : وبينها وبين المَعَرَّة وشَيْرَز اثنا عشر ميلا .

السادس عشر - (عمل فامية) - بفتح الفاء وألف بعدها ثم ميم مكسورة وياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال في "المشتراك" : ويقال لها أفاية بهمزة في أولها يعنى مفتوحة . وهي مدينة من أعمال شَيْرَز ، غربي حَلَب ، على نحو أربع مراحل منها واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وثلاث دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . قال في "العزى" : وكثرة فامية لها مدينة كانت عظيمة قديمة ، على أنحر من الأرض ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب .

السابع عشر - (عمل سَرْمِين) - بفتح السين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ثم باء مثناة تحت ساكنة ونون بعدها . وهي مدينة في الغرب من حَلَب على نحو مرحلتين صغيرتين منها ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة ونحسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسة ونحسون دقيقة . وهي مدينة غير مسورة ؛ وبها أسواق ومسجد جامع ؛ وشرب أهلها من الماء المجتمع في الصارمخ من الأمطار ، وهي كثرة الحصب ، وبها الكثير من شجر التين والزيتون ، وهي في جهة الجنوب عن حَلَب على مسيرة يوم منها وعملها متسع .

ومن مضافاتها مدينة القُوعة (بضم الفاء وفتح العين المهملية) . وهي مدينة على الغرب من سَرْمِين في الغرب منها ، وتسمى هذه الولاية القُرَيَّات (بفتح العين المعجمة وسكون الراء المهملية وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وألف ثم تاء مثناة فوق في الآخر) . قال في "التعريف" : وهي أجل ولايات حَلَب .

الثامن عشر - (عمل الجَبُول) - بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ثم واو ساكنة ولام في الآخر . وهي بلدة شرقي حَلَب على نحو مرحلة كبيرة منها ، وهي بالقرب من القُرَّات ، ولم يتحزّر لي طولها وعرضها . قال في "تقويم البلدان" : ومنها ينقل الملح إلى سائر أعمال حَلَب ؛ وقد أخبرني بعض أهلها أن أصل هذا الملح نهرٌ يصل إليها يعرف بنهر الذهب فيبقى ماءً فيما يمر عليه من البلدان حتى ينتهي إليها فينقذ ملحا لوقته .

التاسع عشر - (عمل جَبَلِ سَمْعَانَ) - وضبطه معروف . وهي في جهة الشمال من حَلَب على [يوم] منها ، ولم يتحزّر لي طولها وعرضها .

(١) في الأصل ساعة وأبدل في المأثور بـ "يوم" .

العشرون - (عمل عَزَاز) - بفتح العين المهملة والزاي المعجمة وألف ثم زاي ثانية مكسورة - كذا ضبطه في "اللباب" وإلجأى على الألسنة عَزَازُ بهززة مفتوحة في أولها وسكون العين والزاي الأخيرة في الوقف؛ وهي بلدة شمالي حلب بشرق على نحو مرحلة منها. قال في "كتاب الأطوال": وطولها إحدى وستون درجة وخمس وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة. وهي في شمالي حلب بميلة إلى الغرب. قال ابن سعيد: ولأعزاز جهات في نهاية الحسن والطيبة والحصب، وهي من أئمة الأماكن.

الحادي والعشرون - (عمل تَلَّ بِاشِر) - بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة وراء مهملة في الآخر - وهي حصن شمالي حَلَبَ على مرحلتين منها بالقرب من حَيْتَاب المتقدم ذكرها. قال ابن سعيد: وهي ذات مياه وبساتين.

الثاني والعشرون - (عمل مَنَبَج) - بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها جيم - كذا ضبطه ابن الأثير في "اللباب": وهي بلدة من جُندِ قَلْسِرِينَ شرقي حَلَبَ على نحو مرحلتين منها واقعة في الإقليم الرابع. قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. قال ابن سعيد: بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام وسمّاها مَنَبَج فعرّبت مَنَبَج، وكان بها بيت نازي للفُرس، وهي كثيرة الفُهي السارحة والبساتين، وغالب شجرها التوت، وأكثرها خراب.

(١) ضبطه في القاموس كبلس [أى بكسر اللام] وكذلك ضبطه صاحب "تقويم البلدان" عن اللباب

خللها - بق ظم.

الثالث والعشرون - (عمل تيزين) - بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وكسر الزاى المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر - وهى بلدة صغيرة من أعمال حلب فى جهة الغرب على نحو مرحلة منها .

الرابع والعشرون - (عمل الباب وبزاعا) . وضبط الباب معروف ، وبزاعا بضم الباء الموحدة وفتح الزاى المعجمة وألف بعدها عين مهملة وألف مقصورة فى الآخر . كذا ضبطه فى "تقويم البلدان" : . وبالجارى على الألسنة إبدال الألف فى آخره بهاء . وهما بلدان متقاربتان ، من جنس قيسرين على مرحلة من حلب فى الجهة الشمالية الشرقية فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولاً اثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض خمس وثلاثون درجة ونحسون دقيقة .

أما الباب : فبلدة صغيرة . قال فى "تقويم البلدان" : بها مشهد به قبر عليل ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وبها أسواق وحمام ومسجد جامع ، وبها البساتين الكثيرة والنزه .

وأما بزاعا - فضيعة من أعمال الباب .

الخامس والعشرون - (عمل دركوش) - بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وضم الكاف وسكون الواو وشين معجمة فى الآخر - وهى بلدة على النهر العاصى غربى حلب على نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر زرع أرضها العنب . أخبرنى بعض أهل تلك البلاد أن حبة العنب بها ربما بلغت فى الوزن عشرة دراهم ، وبها قلعة عاصية استولى هؤلاء على قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها .

السادس والعشرون - (عمل أنطاكية) . قال فى "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة . قال فى "تقويم البلدان" : ثم ألف وكاف

مكسورة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال ابن الجوالقي في "المعرب" :
وياؤها مشددة . وخالف في "الروض المطار" : فذكر أنها مخففة الياء . وهي
مدينة عظيمة غربي حلب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . قال في "تقويم
البلدان" : وهي قاعدة بلاد العواصم . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن
طولها ستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي مدينة
عظيمة قديمة على ساحل بحر الروم ، بناها بطليموس الثاني من ملوك اليونان ، وقيل
بناها ملك يقال له أنطاكين فمرت به ، ولها سور عظيم من تحضر ليس له نظير
في الدنيا . قال في "العزى" : مساحة دونه اثنا عشر ميلاً . قال في "الروض
المطار" : عدد شرفاته أربع وعشرون ألفاً ، وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً .
قال ابن حوقل : وهي أنزه بلاد الشام بعد دمشق ، ويمتز بظاهرها العاصي والنهر
الأسود مجموعين ، وتجري مياههما في دورها ومساكنها ومسجدها الجامع ، وماؤها
يستحجر في مجاريه حتى لا يؤثر فيه الحديد ، وشربه يحدث رياح القولنج ، والسلاح
بها يسرع إليه الصداً ويذهب ريح الطيب بالمكث فيها ، وهي أحد كراسي بطارقة
النصارى ، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى
الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ! إنها أنطاكية وإن ذلك الرجل
"حبيب التجار" وقبره بها مشهور بزار . قلت : وحينئذ فتصير ولايتها المذكورة
في "التعريف" و"مسالك الأبصار" : اثنتي عشرة ولاية .

وميناً أنطاكية المذكورة (السويدية) بضم السين المشددة وفتح الواو وسكون الياء
المثناة تحت وكسر الدال المهمللة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وهاء في الآخر .
قال في "تقويم البلدان" : وموضعها حيث الطول ستون درجة وخمسة وأربعون

(١) لعله ولاياتها . على أن هذه الفلزكة تحتاج إلى تأمل .

دقيقة . وعندها مصبُ النهر العاصي ، وهناك ينعطف البحر الرومي ويأخذ غربا
بشمال على سواحل بلاد الأرمن .

القسم الثاني

(من الأعمال الحليّة البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها)

في الأعمال الحليّة من الشمال ، وهي المعروفة ببلاد الأرمن)

قال في " التعريف " في مكتبة ممتلك سيس : وهذه البلاد منها بلاد تسمى
العواصم ، ومنها بلاد كانت تسمى قديما بالتغور ، سميت بذلك لمناغرتها الروم ، وإلى
مثل ذلك أشار في "تقويم البلدان" أيضا .

فالعواصمُ (بفتح العين المهملّة والواو وكسر الصاد المهملّة وميم في الآخر) . قال ابن
حوقل : وهي أسم للناحية وليست موضعا بعينه يسمى العواصم . قال : وقصبتها
أنطاكية . قال : وعدّ ابن خرداذبه العواصم فكثرتها وجعل منها كورة منبج ،
وكورة تيزين وبالس ورصافة هشام ، وكورة جومة وكذا شير وأفامية ، وإقليم معزة
النعمان ، وإقليم صوران ، وإقليم تل باشر وكفر طاب ، وإقليم سلمية ، وإقليم جوسية ،
 وإقليم لبتان إلى أن بلغ إقليم قسطل بين حمص ودمشق .

قلت : وأول من سماها بذلك الرشيد هارون حين بنى بها مدينة طرسوس الآتي
ذكرها في سنة سبعين ومائة ، والذي يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها مازونها من
بلاد الإسلام من المدوّ ، إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر ، واقعة في بحر العدو ، وعساكرُ
المسلمين حافظة لها .

والثغور جمع ثغر (بفتح التاء المثناة وسكون الفين المعجمة وفي آخره راء مهملّة) .

قال في "المشترك" وهو أسم لكل موضع يكون في وجه العدو ، قال : وثغور الشام
كانت أذنّة وطرسوس وما معها فاستولى عليها الأرمن .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : أن الرشيد في سنة سبعين ومائة عزل الثغور كلها من الجزيرة وقَسْرين وجعلها حِمْيًا واحدًا وسماها المواسم . قلت : ومقتضى ذلك أن تكون الثغور والمواسم أسماء على مسمى واحد ، وعليه ينطبق كلام المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" . وقد حُدِّد في "التعريف" هذه البلاد بجمعتها فقال : وحُدِّدَها من القبلة وأحْراف الجنوب بلاد بَغْرَاس وما يليها ؛ وحُدِّدَها من الشرق جبال الدَّرَبْنَدَات ؛ وحُدِّدَها من الشمال بلاد آبن قمران ؛ وحُدِّدَها من الغرب سواحل الروم المفضية إلى اللَّائِيَا وأنطاليا . وسبق في الكلام على أصل استيلاء الأرمن على هذه البلاد وأتباعها منهم وعودها إلى الإسلام في الكلام على مكتبة ممثلك سِيس ، على ما كان عليه الأمر قبل عودتها إلى الإسلام في مكاتبات ملوك الكفر إن شاء الله تعالى .

ويشتمل على مَدَّة نِيَابَات ، بعضها ذكره في "التعريف" وبعضها استجدَّ بعد ذلك ، وهي على ضربين أيضا .

الضرب الأول

(الأعمال الجبار؛ وهي صفتان : ساحلية وجبلية)

فأما الجبلية ، فتلاثة أعمال .

الأول - (عمل مَلِيطَة) - بفتح الميم واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة شمالية حلب بمِيلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال ابن سعيد : وهي قاعدة بلاد الثغور ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة ،

(١) ضبطها ياقوت والمجد بفصحتين ثم سكوت وقال ياقوت : كسر الطاء . ويشديد الياء من قول العامة .

وعرضها سبع وثلاثون درجة ، ووافقه في "القانون" على الطول وجعل العرض ثمانيا وثلاثين درجة؛ وقد عدّها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قرى بلاد الروم على مرحلة . قال صاحب حماة : والأليق عدّها من بلاد الروم . ثم قال : وعدّها بعضهم من الثغور الجزرية . قال في "الروض المعطار" : وكانت قديمة فغربتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور يعني ثانی خلفاء بني العبّاس في سنة تسع وثمانين^(١) ومائة، وجعل عليها سورا محكما - وهي بلدة ذات أشجار وفواكه وأنهار، وهي مسوّرة، في بسيط من الأرض والجبال محتفة بها من بُعد، ولها نهر صغير يمر بسورها، ولها قنّ تدخلها وتجري في دُورها إلا أنها شديدة البرد - وهي في شمالي الجبل الدائر الذي ببیس في غربيه، في الجنوب عن سیواس، وبينهما نحو ثلاث مراحل، وفي الغرب عن تَخَمّا وبينهما نحو مرحلتين . وقد ذكر في "تقويم البلدان" : أنها فتحت في سنة خمس عشرة وسبعمائة .

الثاني - (عمل دَرَنْدَة) - بفتح الدال والراء المهملتين وسكون النون وفتح الدال الثانية وهاء في الآخر - وهي مدينة في جهة الغرب عن مَلَطِيَّة على نحو مرحلة، ذاتُ بساتين وأنهار وعيون ماء تجري، وبينها وبين حَلَب نحو عشرة ايام .

الثالث - (عمل دَبْرَكِي) - بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وشر الكاف وياء مثناة تحت في الآخر، وقد يقال دَوْرَكِي بإبدال الباء واوا . وهي مدينة في جهة الشمال والغرب من حَلَب، على نحو عشر مراحل منها، بها بساتين وأشجار، وبينها وبين حَلَب نحو آثني عشر يوما .

(١) لعله مصحف عن ثلاثين فإن المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة ، وقيل بالغرت أنه أرسل من بني ملطية سنة أربعين ومائة .

وأما الساحلية، فإن بها خمسة أعمال .

الأول - (آياس) - بفتح الحمة الممدودة والياء المثناة تحت ثم ألف وسين مبهلة في الآخر . وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وهي فُرْضة تلك البلاد، وبينها وبين بفراس المتقدم ذكرها مرحلتان . قال في "التعريف" : وقد جعلت نيابة جليظة نحو حصّ، وجعل أمرها إلى نائب الشام، ثم جعلت إلى نائب حلب، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها، وهو جيحان المتقدم ذكره، وكانت استعادتُها من الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعائة، ولذلك قال في "التعريف" : والعهد بفتحها قريب .

الثاني - (عمل مَكْرُسُوس) - بفتح الطاء والراء المهملتين جميعاً وضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية - هكذا ضبطه في "اللباب" والجاري على الألسنة سكوناً رأياً، وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم شمالاً بغرب عن حلب، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثمان وخمسون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "الروض المطار" : وهي مدينة مسورة، بناها الرشيد في سنة سبعين ومائة وأكملها في سنة اثنتين وسبعين، ولها خمسة أبواب : باب الجهاد، وباب الصنّاصف، وباب الشام، وباب البحر، وباب المسدود . والنهر يشق في وسطها وعليه قنطريتان داخل البلد . قال ابن حوقل : وهي في غاية الخصب، وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاجز بين الروم والمسلمين، وبها دُفِن المأمون بن الرشيد، وكانت استعادتُها من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد بن قلاوون .

الثالث - (عمل أدنة) - بهزة ودال مهملة ونون مفتوحات وهاء في الآخر .
وهي مدينة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في بغض الأرياح : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أحمد ابن يعقوب الكاتب في كتابه "المسالك والممالك" : وهي من بناء الرشيد . قال ابن حوقل : وهي مدينة حصينة عاصرة ، وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا .
الرابع - (عمل سرفندكار) - بكسر السين وسكون الراء المهملة وفتح الفاء وسكون النون وفتح الدال المهملة والكاف ثم ألف وراء مهملة - هكذا ضبطه صاحب حماة ، ثم قال : وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سِرُونْدَكَارَ والموجود في الدساتير إسْفَنْدَكَارُ بهزة في الأول وسقوط الراء الأولى ؛ وهي قلعة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة في واد على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر ، وهي على القرب من نهر جيحان من البر الجنوبي ، في الشرق عن تل حمدون على نحو أربعة أميال .

الخامس - (عمل سيس) - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم سين مهملة ثانية - هذا هو المعروف في زماننا ، ووقع في كلام صاحب كمال الدين ابن العديم أن اسمها سِهسة باثبات هاء في آخرها ، وكلامه في "العززي" يوافقه .
وهي قاعدة بلاد الأرمن وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهي بلدة كبيرة ذات بساتين وأشجار ، ولها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل ، بناها بعض خدام الرشيد وهو الذي سماها . قال ابن سعيد : وكانت قاعدة القنور الشمالية . قال في "العززي" : وبينها

(١) التي في "تقويم البلدان" و"معجم البلدان" و"القاموس" أنها بالدال المعجمة .

وبين المصيبة أربعة وعشرون ميلاً، وكانت آسعادتها من الأرمن في الدولة الأشرافية شعبان بن حسين. قلت : وقد كانت سيس في أعقاب الفتح نيابة مستقلة، ثم صارت مقدمة عسكر مضافة إلى حلب كما يقع في غزاة في كونها تارة تكون نيابة مستقلة، وتارة مقدمة عسكر مضافة إلى دمشق على ما تقدم ذكره .

الضرب الثاني

(من الأعمال الصغار بلاد الأرمن)^(١)

وهي ثلاثة عشر عملاً لثلاث عشرة قلعة، لم تجر العادة بمكاتبة أحد من نوابها عن الأبواب السلطانية، ذكر بعضها في "التعريف" وبعضها في "التثقيف" وبعضها في غيرها من الدساتير .

الأول - (عمل قلعة بأري كروك) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم كاف مفتوحة وراء مهملة وواو ساكنة ثم كاف في الآخر . وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس في الشمال، على نحو نصف مرحلة قال في "التثقيف" : استجذت في سنة ستين سبعمائة . قلت : أفتتحها بيدمر الخوارزمي نائب سيس في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون .

الثاني - (عمل كاوراً) بفتح الكاف وبعدها ألف وواو وراء مفتوحة مشددة وألف في الآخر . وهي قلعة في الشمال عن آياس على جبل مطّل على البحر الرومي على نحو ساعة . قال في "التثقيف" : استجذت سنة تسع وستين وسبعمائة .

الثالث - (عمل كوكلاك) بفتح الكاف وسكون الواو ولام ألف بعدها كاف ثانية . وهي قلعة مدوّرة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة، يسكنها طائفة من التركمان .

الرابع - (عمل كَرْزَال) بكاف مكسورة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وبعدها ألف ثم لام . وهى قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كَوْلَاكَ المتقدم ذكرها على نحو مرحلة . قال فى "التخفيف" : استجلت فى سنة نَيْف وسبعين وسبعائة

الخامس - (عمل كُوي) بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وباء مشناة تحت فى الآخر .

السادس - (عمل تَلَّ حُدُون) بفتح التاء المشناة فوق وتشديد اللام وفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر . وهى قلعة ببلاد الأرمن ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : طولها تسع ونحسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : كانت قبل أن يخرّبها المسلمون قلعةً حصينة حسنة البناء على تَلَّ عال ، ولها سور مانع ورَبَض وبساتين ونهر يجرى ، وعلى القرب من جِيحان فى جهة الجنوب على نصف مرحلة ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة ، وبينها وبين سِيس نحو مرحلتين .

السابع - (عمل الهَارُورِيَّتَيْن) - بفتح الهاء وألف بعدها ثم راء مهملة مضمومة ونون مكسورة بعدها ياء مشناة تحت مشددة مفتوحة ثم تاء مشناة فوق بعدها أَلَفٌ وون . قال فى "التخريف" : وهما حصنان بناهما هارون الرشيد . وقال فى "المشارك" : الهارونية مدينة صغيرة آخضتها هارون الرشيد بالثغور فى طَرْف جبل الكَّام . وقال فى "العزيزى" : الهارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية ، وبينها وبين الكنيسة السوداء أشأ عشر ميلًا .

قال في "كتاب الأطوال" : وطولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

الثامن - (عمل قلعة تَجَمَّة) بفتح النون وسكون الجيم وفتح الميم وهاء في الآخر.^(١١) وهي قلعة على القرب من القُرَاتِ بينها وبين جَسْر مَنِيح خمسة وعشرون ميلاً . قال في "تقويم البلدان" : وهذه القلعة في السحاب . قال : وكان يقال لذلك المكان حصن مَنِيح فصارت تعرف بقلعة تَجَمَّة . ثم قال : وهي من بناء السلطان محمود بن زنكي . قلت : وفي "التعريف" ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون .

التاسع - (عمل قلعة حميص) . وهي قلعة خراب صغيرة بالقرب من نهر جِيحَان .
العاشر - (عمل قلعة لُؤْلُؤَة) - وهي قلعة شمالي كَوَّلَاكْ أستعادها آبن عثمان .
الحادى عشر - (عمل قلعة تَامَرُون) شمالي طَرَسُوسَ، بيد عيسى بن الألاس البرسقى التركمانى .

الثانى عشر - (عمل سِنِاطِ كَلَا) شمالي طَرَسُوسَ . كانت داخل المملكة آستولى عليها آبن قورمان في أيام المنصور بن الأشرف شعبان .

الثالث عشر - (عمل بسلوص) غربى طَرَسُوسَ على ساحل البحر، بيد حسن ابن قويسى البرسقى التركمانى .

القسم الثالث

(من الأعمال الحلية البلاد المجاورة للفرات من شرقية من بلاد الجزيرة

الواقعة بين القرات ودجلة، وهي ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل البيرة) بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملة وألف في الآخر.^(١٢) وهي قلعة في البر الشرقى في الشمال عن القُرَاتِ، في الشرق

(١) في المسم بدون هاء وقال "بلفظ النجم من الكواكب" (٢) لهه رها . في الآخر، وهي غير البيرة التي ببلاد الأندلس فان تلك الهيزة فيها أصلية على وزن لمريضة وكبرية فليثية .

عن قلعة الروم المتقدم ذكرها على نحو مرحلة والفُرَات بينهما . وقد عدها في "تقويم البلدان" : من جُند قنْصِرِينَ من أعمال الشام ، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي قلعة ذات ارتفاع وحصينة لا ترام ؛ قال في "تقويم البلدان" : ولها سوق وعمل . قال ابن سعيد : وقلعتها على صخرة ، قال في "التعريف" : ولها منعة وعسكر .

الثاني - (عمل قلعة جَبَر) - بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة وراء مهملته في الآخر . وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي من الفُرَات أيضا ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال القاضي جمال الدين ابن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف قديما بالوَيْسَرِيَّة نسبة إلى دَوَسَر : عبد النعمان ابن المنذر ، وهو الذي بناها أولا لما جعله النعمان على أفواه الشام ، ثم تملكها سابق الدين جعفر القشيري في أيام الملوك السَلْجُوقِيَّة فعرفت به ، ثم أترعها منه السلطان ملكشاه السَلْجُوقِي . قال صاحب حماة : وهي في زماننا خراب ليس بها ديار . قلت : وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية أو بعدها بقليل ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التعريف" : حين تعرض لذكرها في آخر مضافات الشام قبل ذكر حَلَبَ بقوله : وهي مجتدة البنيان ، مستحجة الآن ، لأنها جُتِدَتْ منذسوت ، بعد أن طال عليها الأمد ، وأُخِي عليها الذي أُخِي على بُدْ . وكأن قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة إلى دِمَشْق ثم قال : وحققا أن تكون مع حَلَب ، وقد صارت الآن من مضافات حَلَب .

الثالث - (عمل الرها) - بضم الراء المهملة وفتح الهاء وألف في الآخر . وهي مدينة من ديار مُصَرَّ في البر الشرقي الشمالي عن الفُرَات ، وموقعها في الإقليم الرابع بالقرب

من قلعة الروم . قال في "الأطوال" : طولها آنتان وستون درجة ونمسون دقيقة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . قال في "العزى" : وهى مدينة عظيمة رومية ، فيها آثار عجيبة . قال في "الروض المعمار" : وهى مدينة ذات عيون كثيرة تجرى منها الأنهار ، وبها البساتين والأشجار الكثيرة ، وعليها سور من حجارة ، ولها أربعة أبواب باب حران ، والباب الكبير ، وباب سبع ، وباب الماء . قال : وليس فى بلاد الجزيرة أحسن متراعات منها ولا أكثر فواكه ، والفراة منها فى ناحية الغرب على مسيرة يومين ، وفى ناحية الشمال على مسيرة يوم . قال فى "تقويم البلدان" : وكان بها كنيسة عظيمة ، وفيها أكثر من ثلثائة دير للنصارى . قال : وهى اليوم خراب يعنى فى أشاء الدولة الناصرية ، ثم عمرت بعد ذلك . قلت : وهى اليوم حاضرة أهلة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

القاعدة الثالثة

(من قواعد المملكة الشامية حبة)

وقد ذكرها فى "مسالك الأبصار" بعد دمشق ، وهو أليق لقربها منها ، ولكنه قد ذكرها فى "التعريف" بعد حلب فتبعته على ذلك ، وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الحاء المهملة والميم وألف ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع بين حصص وتفسيرين . قال فى "تقويم البلدان" : وطولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، وهى مدينة قديمة أثرية . قال فى "تقويم البلدان" : ولها ذكر فى التوراة ، وهى على ضفة

العاصي مَكِينَةُ البناء، ولها سُورٌ جليل، وبيوت ملوكها وشُرُفاتها مطلة على النهر العاصي، وبها القصور الملوكية، والدور الأنيقة والجوامع والمساجد والمدارس والأربط والزوايا والأسواق التي لا تَقْدَمُ نوعاً من الأنواع، وبها قلعة مبنية بالبحجارة الملوّنة، وغالب مبانيها العلية، وآثار الخير والبرِّ الباقية فيها من فواضل نِعم الدولة الأيوبية، وبها نواصيرٌ مرَكَّبَةٌ على العاصي، تدور بمرَّيان الماء، وترفع الماء إلى الدُّور السلطانية ودُور الأمراء والأكابر والبسائين، وفي بسائنها الغُرَّاسُ الفائق والثمار الغريبة، ولم يكن لها في القديم نَبَاحَةٌ ذِكْرٌ، وكان الصَّبَبُ لِحَصِّ دُونِها، ثم تنبه ذكرها في الدولة الأتابكية زَنَكٌ، فلما آلت إلى ملوك بني أيوب مَصْرُوها بالأبنية العظيمة، والقصور الفاخرة، والمسكن الفاخرة، وتأمير الأمراء، وتجنيد الأجناد فيها، وعَظَمُوا أسواقها وزادوا في غِرَّاسِها، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كُلِّ من فاق في فنِّه إلى أن كُنت محاسنها، وصارت معدودة من أمهات البلاد وأحسن الممالك، وهي في غاية رَفَاهة العيش إلا أنها شديدة الحرِّ محبوبة الهواء، ويعرَّضُ لها في الخريف تغير تنسب به إلى الوَحامة، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى في بقية الشام، وإنما يجلب إليها مما يجاورها، وحوّلها مروج فيجَّ ممتدَّة يكثر فيها مصايد الطير والوحش، وليس بالممالك الشامية بعد دِمَشْقُها نظير، ولا يدانيها في لُطْف ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد. قال في "الروض المِعْطَار": وبينها وبين حِمَصَ أربعون ميلاً، ولم تزل بأيدي بقايا الملوك الأيوبية من جهة صاحب مصر، يقيم ملوكهم فيها ملكاً بعد ملك إلى أن كان بها منهم آخر الأيام الناصرية محمد بن قلاوون المتقدم ذكره، واستقر فيها بالأمير طغتمش الجموي: أحد مقدّمي الألوف بالديار المصرية ثانياً، وأستمرت بأيدي التتار عليها مقدّم ألف بعد مقدّم ألف إلى الآن.

(١) لعل الباء من زيادة الناصح أي كان بها منهم في تلك الأيام واستقر فيها الأمير النخ.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدها من القبلة مدينة الرستن وماساتها أخذنا بين سَلَمِيَّة وقيّة ملاعب ، إلى حيث سجر النهر والآثار القديمة ؛ وحدها من الشرق البرأخذنا على سَلَمِيَّة إلى ما استغل عن قُبّة ملاعب ؛ وحدها من الشمال آخر حدّ المعزة من العراء ، وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة ؛ وليس بها تواب قلاع البتّة ، ولها ثلاثة أعمال .

الأول - (عمل برّها) - وهو ظاهرها وما حولها كما تهدّم في دمشق وحلب .
الثاني - (عمل بَارِين) - بفتح الباء الموحدة وألف بعدها وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر - وهي بلدة على مرحلة من حمّة في الغرب عنها بمِيلة سيرة إلى الجنوب ؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة .

الثالث - (عمل المعرّة) - بفتح الميم والعين المهملة ثم راء مهملة مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي مدينة من جُند حصّ واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وتعرف بمعرّة التُعمان . قال : البلاذري إضافة إلى التُمان بن بَشِير الأنصاري رضى

(١) كذا في الأصل بإهمال القط وفي الضوء "من الغرب" .

(٢) لم يتكلم على الرض كعادته ولعله سقط من قلم النسخ . ويستفاد من "التقويم" أن عرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة .

الله عنه . قال في "العزري" : وهي مدينة جليلة عاصرة كثيرة الفواكه والثمار والخصيب ، وشرب أهلها من الآبار . قال في "الروض المعطار" : ولها سبعة أبواب : باب حلب ، والباب الكبير ، وباب شيث ، وباب الجنان ، وباب حصص ، وباب كذا^(١) . قال : ويُذكر أن قبر شهيد بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب إليه فيها ، وداخلها قبر يوشع بن نون عليه السلام ، وعلى ميل منها دير سمعان الذي به قبر عمر بن عبدالعزيز . قال السمعاني : والنسبة إليها معرّتي . قال : وبالشام بلدة أخرى تسمى معرة كسرين بالنون والسين المهملة ، والنسبة إليها معرّتي . قال صاحب حاة : والمشهور في الثانية أنها معرة مصرين بيم وصاد مهملة .

القاعدة الرابعة

(من قواعد الملكة الشامية أطراً بلّس؛ وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الهززة وسكون الطاء وفتح الزاء المهملتين ثم ألف وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة في الآخر . قال السمعاني : وقد تسقط الألف منها فوقاً بينها وبين أطراً بلّس التي في الغرب ، وأتكريأقوت في "المشترك" : سقوطها وعاب على المتلبي حذفها منها في بعض شعره . قال في "الروض المعطار" : ومعنى أطراً بلّس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهي مدينة من سواحل حصص واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها تسع ونحسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ، وكانت في الأصل من بناء الروم فلما فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستمائة في الأيام الأشرفية "خليل بن فلاوون" رحمه

(١) هذا هو السادس وكفى عنه ولم يحله ولم يذكر السابع فليعلم .

الله، تَرَبَّوْهَا وَعَمَّرُوا مَدِينَةً عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنْهَا وَسَمَّوْهَا بِاسْمِهَا ، وَهِيَ الْمَوْجُودَةُ الْآنَ ؛ وَلَمَّا بَنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْجَدِيدَةُ كَانَتْ وَخِيمَةً الْبَقْعَةُ ، ذَمِيمَةً السَّكَنِ . فَلَمَّا طَالَتْ مَدَّةَ سَكْنِهَا وَكَثُرَ بِهَا النَّاسُ وَالِدَوَابُّ وَصُرِفَتِ الْمِيَاهُ الْأَسَنَى الَّتِي كَانَتْ حَوْلَهَا وَعَمِلَتْ بَسَاتِينٌ ، فَنُصِبَتْ بِهَا النُّصُوبُ وَالْفُرُوسُ ، خَفَّ ثِقَلُهَا وَقَلَّ وَثَمُهَا .

قَالَ فِي " مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ " : وَلَمَّا وَلَّى نِيَابَتَهَا أَسْتَدْرَمَ الْكَرْبَى كَانَ لَا يَنْفِكَ عَنْ كَوْنِهِ وَنَحْنَا فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى سُلَيْبَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمُتَطَبِّبِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فِيهَا مِنَ الْإِبِلِ وَسَائِرِ الدَّوَابِّ فَفَعَلَ نَخَفٌ وَثَمُهَا . قَالَ : وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَطْبَاءِ فَلَمْ يَجِيبُوا فِيهِ بِشَيْءٍ .

قُلْتُ : لَا خِافَ أَنْ الْمَعْنَى فِي الْإِبِلِ مَا أَشَارَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِ الْغُرَبِيِّينَ حِينَ اسْتَوْتَحَمُوا الْمَدِينَةَ " أَنَّهُمْ يُقِيمُونَ فِي إِبِلِ الصَّنَدَقَةِ وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَصَحُّوْا " فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ خَاصَّةِ الْإِبِلِ . وَلَعَلَّ التَّأثيرَ فِي ذَلِكَ لِلْإِبِلِ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ الدَّوَابِّ . وَهِيَ الْآنَ مَدِينَةٌ مَتَمَدَّنَةٌ كَثِيرَةُ الزَّحَامِ ، وَبِهَا مَسَاجِدُ ، وَمَدَارِسُ ، وَزَوَايَا ، وَبِجَارِسْتَانٍ ، وَأَسْوَاقٌ جَلِيلَةٌ ، وَحَمَامَاتُ حَسَنَانٍ ، وَبِجَمِيعِ بَنَاتِهَا بِالْخَمْرِ وَالِكَلْبِ مَبِيضًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَغَوَظُوتُهَا مَحِيطَةٌ بِهَا ، وَتَحِيطُ بِغَوَظُوتِهَا مَزْدَرَطَاتُهَا ؛ وَهِيَ بِدِيعةِ الْمُشْتَرَفِ ؛ وَلَهَا نَهْرٌ يَحْكُمُ عَلَى دِيَارِهَا وَطَبَاقِهَا يَنْفَرِقُ الْمَاءَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ أَعَالَى بَيْتِهَا الَّتِي لَا يُرَى إِلَيْهَا إِلَّا بِالدرَجِ الْعُلْيَا ، وَحَوْلَهَا جِبَالٌ شَاهِقَةٌ ، مَحْجِيحَةُ الْهَوَاءِ ، خَفِيفَةُ الْمَاءِ ، ذَابَتْ أَشْجَارُ وَكُرُومٌ وَمَرْجُوحٌ وَمَوَاشٍ ، وَمِنْهَا مَيَا مِينَا جَلِيلَةٌ ، تَهْوِي إِلَيْهَا وَفُودُ الْبَحْرِ الرُّوحَى وَتَرْسُو بِهَا مَرَاكِبُهُمْ ، وَتُبَاعُ بِهَا بِضَاعَتُهُمْ . وَهِيَ بَلَدَةٌ مَتَجَرُّوزَرَعٌ ، كَثِيرَةُ الْفَائِمَةِ . وَقَدْ تَهْدَمُ فِي الْكَلَامِ عَلَى عِجَائِفِ الشَّامِ أَنْ دَاخِلَ الْبَحْرِ بِالْقَرَبِ مِنْهَا عَلَى نَحْوِ رَمِيَّةٍ حَجَرٍ عَنِ الْبَرِّ عَيْنًا فَوَارَةً عَذْبَةُ الْمَاءِ تَطْفُو عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ قَدْرَ ذِرَاعٍ أَوْ أَكْثَرَ ، يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ عِنْدَ سَكُونِ الرِّيحِ .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدتها من القبلية جبل لُبْنَانُ ممتداً على ما يليه من مَرَج الأسد، حيث يمتد النهر العاصي، وحدتها من الشمال قَلَاع الدَّوْعَة، وحدتها من الغرب البحر الرومي . وأعمالها على قسمين :

القسم الأول

(الأعمال الجِكَار التي يَكْتَبُ نوابها عن الأبواب السلطانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(مضافاتها نفسها ، وهي ست ثيابات)

الأول - (عمل حصن الأكراد) - بإضافة حصن واحد الحصون إلى الأكراد الطائفة المشهورة ؛ وهي قلعة من جُنْدِ حِمَص ، موقعها في الاقليم الرابع . قال في "تقويم البُلْدَان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي قلعة حصينة مقابل حصن من غربيها، على الجبل المتصل بجبل لُبْنَان نحو مرحلة من حمص . قال في "التعريف" : وهي حصن جليل وقلعة تسمى، لا تبعد منها السماء . قال : وكانت محل النيابة ومقرّ العسكر قبل فتح طَرَّا بُلُس .

الثاني - (عمل حصن عَكَار) - بإضافة حصن إلى عَكَار - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهي قلعة على مرحلة من طَرَّا بُلُس في جهة الشرق بوسط جبل لُبْنَان في وادٍ والجبل محيط بها ، وشرب أهلها من عين تجري إليها من ذيل لُبْنَان المذكور، ولها رَبعٌ ليس بالكبير .

الثالث - (عمل بلاطس) - بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهملة ونون مضمومتان وسين مهملة في الآخر - وهي قلعة بالقرب من مدينة مصياف في جهة الغرب منها على نصف مرحلة ، وفي جهة الشمال من طرا بلس على نحو مرحلتين .

الرابع - (عمل صبيون) - بفتح الصاد المهملة وسكون اطاء وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ثم نون في الآخر - وهي قلعة من جند قيسرين في الإقليم الرابع . قال في "الريح" : طولها ستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي من القلاع المشهورة ، ذات حصانة وسعة ، مبنية على حضر أصم ، في ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة ، وهي في الشرق عن اللاذقية بميلة إلى الجنوب ، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الأمطار .

الخامس - (عمل الأذقية) - بالف ولام لازمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في آخرها . وهي مدينة من سواحل الشام واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وعلاها في "العزري" من أعمال حمص ثم قال : وهي مدينة جليلة بل هي أجل مدينة بالساحل متعة وعمارة ، ولها مينا حسنة ، ومنها إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ، وقد عدها في "التصريف" : في جملة ولايات طرا بلس على ما كانت عليه إذ ذاك ، ثم استغوت بعد ذلك نيابة ، وهي الآن أعظم نيابات طرا بلس .

السادس - (عمل المرقب) - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وياء موحدة في الآخر . وهي قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومي ، وموقعها في الإقليم

(١) ضبطها ياقوت والمجد بكسر الصاد وفتح الياء المثناة من تحت .

الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، وهي قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وعلى نحو فرسخ منها مدينة (يَلِينْيَاس) بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وياء مثناة تحت وألف وسين مهملـة . وفي الغالب تضاف إليها فيقال المَرْقَبُ وَيَلِينْيَاسُ ، وهي مدينة حسنة على الساحل ، ذات مياه وأعين تجري وفواكه كثيرة . قال في "العزري" : وبينها وبين أَنْطَرُطُوسَ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا ؛ ولم يتعرض لذكر المَرْقَبِ في "التعريف" : ولا في "مسالك الأبصار" .

الضرب الثاني

(قِلَاعُ الدَّعْوَةِ ، بفتح الدال)

سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديّة ، وهؤلاء هم المعروفون في ديوان الإنشاء بالقُصَّاد ، وبين العامة بالفداوية ؛ وسيأتي الكلام على معتقدهم في الكلام على القُصَّاد ، ثم في الكلام على تخليف أهل البدع في باب الأيمان إن شاء الله تعالى . وهي سبع قلاع ، عظيمة الشأن ، رفيعة المقدار ؛ لأنّاساً مَنَعَةً ولا تُرام حصانته ، وكانت أولاً كلها مضافة إلى طَرَا بُلُسَ ثم نقلت مِصْيَافَ منها إلى دِمَشْقَ على ما تقدم ذكره ، والبقية على ما كانت عليه من إضافتها إلى طَرَا بُلُسَ . وهي ستة أعمال .

الأول - (عمل الرصافة) - بألف ولام لازمتين في أولها وراء مهملة مضمومة وصاد مفتوحة بعدها ألف ثم فاء وهاء - وهي قلعة بالقرب من مِصْيَافَ ، وبالشام

(١) في المعجم بضم الباء واللام .

بلدة أخرى يقال لها الرصافة أيضا وتعرف برصافة هشام، على أقل من مسافة يوم من الجانب الغربي من الفرات .

الثاني - عمل (الطَوَّابِي) - بفتح الطاء المعجمة والواو ثم ألف وباء موحدة مكسورة وياء في الآخر - وهي قلعة في جهة الشمال من طَرَّا بُلُس على نحو مرحلين، وقد تقدم في الكلام على خواص الشام أن بسورها مكانا لا ينظره ملسوع أو رسوله إلا برأ ذلك الملسوع ولم يضره السم .

الثالث - (عمل القَدْمُوسِ) - بفتح القاف والدال المعجمة وضم الميم وسكون الواو وسين مهمل في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الطَوَّابِي المقدمة الذكر، وقد تقدم في الكلام على خواص الشام أن بها حماما يظهر منه أنواع من الحيات وتمشى بين الناس ولا تضر أحدا البتة .

الرابع - (عمل الكَهْفِ) - بفتح الكاف وسكون الهاء وفاء في الآخر - وهي قلعة بالقرب من القَدْمُوسِ على نحو ساعة على شَرْجِ جبل مرتفع عال يرى على بعد .

الخامس - (عمل المَيْنَةِ) - بفتح الميم وسكون الياء المشناة تحت وفتح النون والقاف وهاء في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الكَهْفِ على نحو ساعة على جبل مرتفع أيضا .

السادس - (عمل المَلِيْقَةِ) - بضم العين المعجمة وفتح اللام المشددة وسكون الياء المشناة تحت وفتح القاف وهاء في الآخر - وهي قلعة على الجبل المذكور على نحو ساعة من المَيْنَةِ .

القسم الثاني

(من أعمال طَرَّا بُلُس الأعمال الصغار، وهي ستة أعمال)

قال في "التعريف" : سوى ما نقل في تلك القلاع مما له ولاية .

الأول - (عمل أَنْطَرُطُوسَ) . قال في "اللباب" : بفتح المعزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملّة وسكون الواو وسين مهملّة في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : ومؤضمها حيث الطول ستون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق ، وهي بلدة بالساحل . قال في "تقويم البلدان" : وهي تُفَرُّ لأهل حمص فتحملها المسلمون ونَحَرُّوا أسوارها ، وهي الآن أهلة . قال : وكان بها مُصَحِّفُ عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

الثاني - عمل جُبَيْةِ الْمُتَنَظَّرَةِ بإضافة جُبَيْة (بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وناء التانيث) إلى الْمُتَنَظَّرَةِ (بضم الميم وفتح النون وسكون الياء المثناة تحت وفتح الطاء المعجمة والراء المهملّة وهاء في الآخر) .

الثالث - (عمل الظَّنَّيْنِ) - بالف ولام لازمتين وطاء معجمة مفتوحة مشددة ونون مشددة مكسورة وياء مثناة تحت مكسورة بعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون - وهي كُورَة بين مصياف وقامية ، وليس بها مقر ولاية .

الرابع - (عمل بُشْرِيَّه) - بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملّة المشددة وسكون الياء المثناة تحت وهاء في الآخر - هكذا مكتوب في "التعريف" : وبالجارى على الألسنة بشراى بابدال الهاء ياء مثناة تحت .

الخامس - (عمل جَبَلَّةَ) - بفتح الجيم والياء الموحدة واللام ثم هاء في الآخر - وهي بلدة صغية بساحل البحر الرومي من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزري" : ولها أهمال واسعة ،

(١) أوردتها في "تجريد البلدان" ونص على أهمال الطاء وأنها بصيغة التصغير .

وبنها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلا ، وبنها وبين أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ،
وبها مقام إبراهيم بن آدم رحمه الله .

السادس - (عمل أنفة) - بفتح المعزة المقصورة والنون والفاء وبهاء في الآخر -
وهي بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقلة .

القاعدة الخامسة

(من قواعد الملكة الشامية صفد، وفيها جثتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الصاد المهمل والمفاء وتاء مثناة فوق في آخرها . هكذا ضبطه
في "تقويم البلدان" . ثم قال : والمشهور على ألسنة الناس أن مكان البناء دالا
مهمل ، وهي مدينة من جند الأردن ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال في "الزيج" . طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها
أثنان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة متوسطة
بين الكبر والصغر ، وذكر العثافي في "تاريخ صفد" : أنه كان مكانها أولا قرية
وأصل الصفد في لغتهم العطية ، سميت بذلك لأن الفرج أعطتها للطائفة الدموية منهم
لا يشاركون فيها أحد . قال : وقد تكون سميت بذلك أخذًا من الصفد ، وهو النخل
لأن صاحب النخل يتمتع من الحركة ويلزم موضعه ، وكذلك هذا البلد لأنها في جبل
عال لا يتمكن ساكنه من الحركة في كل وقت ، إن ركب تعب وإن مشى على قدمه
أختلط لحمه بدمه لصعود الرطوبة وهبوط الوهدة ، فاستقر في مكانها ويقنع بالنظر ،
وربما منتشر العارة على ثلاثة أجيال ، وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادي بقلة

الماء بها وسوء بناء جَمَامَتِهَا، وبساتينها تحتها في الوادي إلى جهة بحيرة طَبْرِيَّةَ، وكل ما يوجد في دِمَشْقَ يوجد فيها: إمام من بلادها، وإمام جلوب إليها من دِمَشْقَ، ونيابتها نيابة جليسة ونائبها من أكبر الأمراء المقدمين؛ ولها قلعة حصينة ذات إسائين تُشْرِفُ على بحيرة طَبْرِيَّةَ، يُحْفَ بها جبال وأودية. قال ابن الواسطي: بنتها الفريخ سنة خمس وتسعين وأربعمائة. ولما فتحها الظاهر بيبرس رحمه الله عظم شأنها ورفع مقدارها. قال في "مسالك الأبصار": وهي جذيرة بالتعظيم فقل أن يوجد لها شبهة. ولا يعلم لها نظير. وهذه القلعة نائب مستقل من قِبَلِ السلطان يولّي من الأبواب الشريفة بمرسوم شريف، وعادته أن يكون من أمراء الطبلخاناه، ولا حكم لنائب السلطنة بالبلد عليه بل هو مستقل بنفسه كما في نائب قلعتي دِمَشْقَ وحلب.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف": وحدتها من القبلية الفُورُ حيث جسر الصَّبْرَةِ من وراء طَبْرِيَّةَ، وحدتها من المشرق المَلَّاحَةُ الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حَوْلَةِ بانياس، وحدتها من الشمال نهر ليطا، وحدتها من الغرب البحر. وليس في أعمالها نيابة أصلا. وقد ذكرها في "مسالك الأبصار": أحد عشر عملا.

الأول - (عمل برّها) - كما في دِمَشْقَ وحلب وغيرها من القواعد المتقدمة.

الثاني - (عمل النَّاصِرَةِ) - بالآلف واللام اللازمين ونون مفتوحة بعدها ألف

ثم صاد مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر. وهي بلدة صغيرة.

قال في "الروص المعطار": على ثلاثة عشر ميلا من طَبْرِيَّةَ. قال: ويقال:

إن المسيح عليه السلام ولد بها، وأهل القُدُس يتكرون ذلك ويذكرون أنها ولدت له

بالقدس ، والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر إلى الشام وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة نزلت به القرية المذكورة ، وهي اليوم منبع الطاقة النصرية . والذي ذكره العثاني في "تاريخ صفد" : أن أهل هذه البلاد منسوبون إلى الدين .

الثالث - (عمل طبرية) - يفتح للعاء المهجلة والباء الموحدة وكسر الراء المهجلة وفتح الياء المثناة تحت وتشديدها وهاء في الآخر - وهي مدينة من جند الأردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فُعُرِفَتْ به ثم عرِبت طبرية ، والنسبة إليها طبراني للفرق بينها وبين طبرستان من نواحي بلاد الشرق حيث ينسب إليها طبري ، وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ، وتبعه ابن سعيد على ذلك . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي في القور في سفح جبل على بحيرتها المتقدمة الذكر في بحيرات الشام . قال في "مسالك الأبصار" : ومن عملها قدس . قال : وكان معها قديما السواد ويسان ثم خرجا عنها . قال العثاني في "تاريخ صفد" : ومن ولايتها البطيحة وكفر عاقب .

الرابع - (عمل تبتين وهونين) - يعطف الثاني على الأول .

فأما تبتين ، فبناء مشاة فوق مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مكسورة وياء مشاة تحت ساكنة ونون في الآخر .

وأما هُونَيْنٌ ، فهنا مضمومة وووا ساكنة ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت ساكنة ونون في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهما حصنان يُبْنَى بعد الخمسةة بين صُورَ وبانياس بجبل عاملة المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة ، وجعل العثاني في "تاريخ صَفَد" قلعة هُونَيْن من عمل الشَّيْف ، وأهل هذا العمل شِيعَةٌ رافضة .

الخامس - (عمل عَثَلَيْت) - بفتح العين المهملة وإسكان التاء المثناة وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وتاء مثناة في الآخر - وهي كورة بين قاقُون وَعَكَا ، فيها قَرْيٌ تسعة وليس بها مقر ولاية معلوم . قال العثاني في "تاريخ صَفَد" : وفي آخر هذا العمل بلاد قاقُون وهو آخر الأعمال الصَفْدِيَّة .

السادس - (عمل عَكَا) - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف في الآخر - وهي مدينة من سواحل الشام . قال العثاني في "تاريخ صَفَد" : بنّاها عبد الملك بن مروان ، ثم غلبت عليها الفريخ ، ثم أقرعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانية ، ثم أسترجمت . وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وقيل غير ذلك ، وقد خربت بعد أن أسترجمها المسلمون من الفريخ في سنة تسعين وستائة في البوالة الأشرفية "خليل بن قلاوون" ، وبها مسجد ينسب لصلاح عليه السلام ، وبينها وبين طَبْرِيَّة أربعة وعشرون ميلاً ، وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صَفَد . فلما خربت أقيمت صَفَدُ مقامها وصارت هي ولاية .

السابع - (عمل صور) - بضم الصاد المهمله وسكون الواو وراء مهمله في الآخر -
وهي مدينة قديمة بساحل دِمَشْقَ ، واقعة في الإقليم الثالث ، قال في "الأحوال" :
طولها ثمان وخمسون درجة ونحس وثلاثون دقيقة ، وعرضها آتسان وثلاثون
درجة وثنتان وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها
سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونحس دقائق . وبنائها
من أعظم أبنية الدنيا ، وكانت من أحصن الحصون التي على ساحل البحر ، فلما
فتحها المسلمون في سنة تسعين وسقائة مع عكا ثربوها خوفا أن تحصن بها العدو ،
وهي خراب إلى الآن . ويقال إنها أقدم بلد بالساحل ، وإن عامة حكام اليونان
منها ، قال الشريف الإدريسي : وكان بها مرسى ، يدخل إليه من تحت قنطرة عليها
سلسلة تمنع المراكب من الدخول ، قال في "التعريف" : وبصور كنيسة يقصدها
ملوك من البحر عند تملكهم فيملكون ملوكهم بها ، إذ لا يصح تملكهم إلا منها .
قال : وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرقبة ، ومع ذلك يأتونها
مباغطة فيقبضون أربهم منها ثم ينصرفون ، وسكان هذا العمل رافضة لا يشهدون
جمعة ولا جماعة .

الثامن - (عمل الشاغور) - بالف ولام لازمتين وشين معجمة مشددة مفتوحة
بعدها ألف ثم غين معجمة مضمومة بعدها واو ساكنة وراء مهمله في الآخر - وهي
كورة بين عكا وصفد والناصره ، بها قرى مئسعة ، وليس بها مقر ولاية معروف ،
وعملها العثماني في "تاريخ صفد" شاغورين .

أحدها - شاغور البعة . وهو جبل به قرى عامرة . قال : وبالبعة ديزبه^(٢)
مصطبة إذا بات عليها من به جنون شفي بإذن الله .

(١) في الضوء "وبسطها" وهي أرمض .

(٢) كذا في الأصل بأعمال حروفها - ر في الضوء "النبه" ولم نجد لها بعد البحث .

والثاني - شاغور غرابية، وفيه عدة قرى، وبه مقام أولاد يعقوب عليه السلام، وهو من المزارات المشهورة .

التاسع - (عمل الإقليم) - بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وميم في الآخر - وهي كورة بين دِمَشْقَ والشَّغَرِ والخُرْبَةِ، بها قرى متسعة وليس بها مقر ولاية .

العاشر - (عمل الشَّيْفِ) - بفتح الشين المعجمة وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحت ثم فاء - ويُعرف بِشَيْفِ أَرْزُون (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو ثم نون في الآخر) . قال في "المشتبك" : وهو آسم رجل أضيف الشَّيْفُ إليه ، ويُعرف أيضاً بِالشَّيْفِ الكبير . وهو حصن بين دِمَشْقَ والساحل، بعضه مَقَارَة منحوتة في الصخر، وبعضه له سُور . وهو في غاية الحَصَانَةِ وعلى القرب منه شَيْفٌ آخر يُعرف بِشَيْفِ يَرْوَنَ (بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر) وهي قلعة حصينة من جُند الأُرْدُنِّ على مسيرة يوم من صَفَدَ في سَمْتِ الشمال . قال في "مسالك الأبصار" : وليست من بلاد صَفَدَ، وأهل هذا العمل رافضة .

الحادى عشر - (عمل جَبِينِ) - بجمع مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة ونون مكسورة ومثناة تحت ثانية ساكنة ونون في الآخر - وهي بلدة قديمة مقسمة، وهي مُرَجَّة على كَتَفِ وادٍ لطيف به نهر ماء يجرى؛ وهي في الشمال عن قَاقُونٍ على نحو مرحلة، في رأس مَرَجِ بنى طاهر، وبها مقام دِحْيَةَ الكلبي : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ومن أعمالها (البُؤُونُ) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح اللام المشددة وضم الجيم المشددة . وهي قرية قديمة في جهة الغرب عن بَيْسَانَ، على نصف مرحلة منها .

قال في "تخاب الأطوال" : موضعها حيث الطول سبع ونحسون درجة ونحس وأربعون دقيقة، والعرش اثنتان وثلاثون درجة، وبالقون مقام الخليل عليه السلام، وبها ينزل الملوك على مصطبة هناك معدة لذلك . قال في "مسالك الأبصار" : ومن عملها (قدس). وكان معها قديماً (السواد ويسان) ونرجا عنها ، ثم قال : ومما يذكر فيها (حيفا). وهي خراب على الساحل، و (قلعة كوكب). وهي التي يقول فيها الهاد الأصفهانى : راسية راسخة، شماء شائعة . وقلمة (الطور) وهي مفردة على جبل الطور، بناها العادل أبو بكر بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها .

قلت : واقتصر في "التعريف" : على ولاية برصند وولاية الشقيف، وولاية جيزين، وولاية عكا، وولاية الناصرة، وولاية صور، من غير زيادة على ذلك .

القاعدة السادسة

(من قواعد المملكة الشامية الكرك، وفيها جتان)

المجلة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الكاف والراء المهملة ثم كاف ثانية، والألف واللام في أولها غير لازمتين . وتعرف برك الشوبك لمقاربتها لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي من البلقاء وهما، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سفيث : وطولها سبع ونحسون درجة ونحسون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع ونحسون درجة ونحسون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة ونحس دقائق . وهي مدينة محدثة البناء كانت ديراً يتدبره رهبان، ثم كثروا فكبروا بناءه وأوى إليهم من يحاورهم من النصارى، فقامت

لم يه أسواق ودرت لم فيه معاش، وأوت إليه الفريج فاداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة، ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعاقل وأحصنها، وبقى الفريج مستولين عليه حتى فتحه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" رحمه الله على يد أخيه العادل أبي بكر.

قال في "التعريف" : وكانوا قد عملوا فيه مراكب ونقلوها إلى بحر القلزم لقصد الجهاز الشريف لأمر سؤلها لم أنفسهم ، فأوقع الله تعالى بهم العزائم الضالحية ، وألهم العادلية ، فأخذوا ، وأمر بهم السلطان صلاح الدين فحملوا إلى منى ويحروا بها على بحرة العقبة حيث تفر البلدان بها ، وأستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ وأخذها ملوك الإسلام حرزا ، ولأموالهم كثرا ، ولم يزل الملوك يستغلون بها أولادهم ويعتونها لحافهم ، وهو بلد خصب ، وبواديه حمام وبساتين كثيرة وفواكه مفضلة . قال البلاذري في "فتوح البلدان" : وكانت مدينة هذه الكورة في القديم القريظة .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدتها من القبلة عقبة الصوان ، وحدتها من الشرق بلاد البلقاء ، وحدتها من الشمال بحيرة سنوم المتقدم ذكرها ، وحدتها من الغرب ية بني إسرائيل . ولها أربعة أعمال .

الأول - (عمل برها) المختص ببلادها كما في غيرها من القواعد المتقدمة .
الثاني - (عمل الشوبك) - بالف ولام لازمتين وفتح الشين المعجمة المشددة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وكاف في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي من جبل الشراة ، وموقعها في الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : طولها ست ونمسون

درجة، وعَرْضُهَا إحدى وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثماناً ونمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة . وهي بلدة صغيرة أكثر دخولاً في البر من الكرك، ذات عيون وجداول تجرى ، وبساتين وأشجار . ولولا كه مختلفة . قال في "العزري" : ولها قلعة مبنية بالجمر الأبيض على تل مرتفع أبيض مطلق على الغور من شرقه . قال في "تقويم البلدان" : ويبلغ من تحت قلعتها عينان : إحداهما عن يمينها والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه يجران للبلد ، ومنها شرب أهلها وبساتينها . قال : وكانت بأيدى الفرنج مع الكرك وقحت بفتحها ، وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكرك لأخيه العادل فأعطاهما لابنه المعظم عيسى ، فأعشى بأمرهما وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار حتى تركها نضاهي دمشق في بساتينها وتدفق أنهارها وتزيد بطيب ماها .

قلت : وذكر في "مسالك الأبصار" : لها عملين آخرين .

الثالث - (عمل زُغَر) - بضم الزاي وفتح العين المعجمتين وفي آخرها راء مهملة - وهي مدينة قديمة متصلة بالبادية سميت زُغَر بنت لوط عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : وهي حيث الطول سبع ونمسون درجة وعشر دقائق والعرض ثلاثون درجة وكسر .

الرابع - (عمل مَعَان) بضم الميم وفتح العين المهملة وألف هم نون . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة كان يسكنها بنو أمية ومواليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وقد خربت هي وعملها ولم يبق بها أحد ، وتعرف بمَعَان بن لوط عليه السلام . قال في "كتاب الأطوال" : وهي حيث الطول سبع ونمسون درجة والعرض ثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وبينها وبين الشوبك مرحلة .

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم قال "والحدوثان يروونه بالضم" .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(من الفصل الثاني ، من الباب الثالث ، من المقالة الثانية ، فيمن ملك البلاد الشامية ؛ وملوكها على قسمين)

القسم الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

ولم يزل مجموعا قبل الإسلام لملك واحد : إما بمفرده وإما مع غيره .
وملوكه في الجاهلية على أربع طبقات .^(١)

الطبقة الأولى

(ملوكها من الكِنَازِيِّينَ)

وهم بنو كِنَازَ بن مازيع بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل هم من ولد ساء ابن نوح . وكان كِنَازُ قد نزل الشام بجهة فلسطين عند تبليد الأكنسة بعد الطوفان ، وتوارثها بنوه بعد ذلك ، وكان كل من ملك منهم يقب بجالوت إلى أن انتهى الملك إلى رجل منهم اسمه كلباذ ، وهو جالوت الذي قتله داود عليه السلام ، وبقتله تفوق نوكنان وباده ملكهم وزال . وكان في خلال ذلك بقياه من أطراف الشام ملوك بن العلفاء ، وهم بنو علفيق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، أنتقلوا إليه من لحجاز ، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام ، وكان آخر من ملك منهم الشام والحجاز لأرقم بن الأرقم الذي قتله بنو إسرائيل حين وجههم موسى عليه السلام في آخر عمره إلى الحجاز على ما ساقى ذكره في الكلام على ملوك المدينة إن شاء الله تعالى .

(١) المحدود خمس .

(٢) في القاموس "لاوذ بن آدم بن سام" .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني إسرائيل)

وأولهم (طالوت) الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) ^(١) وأسمه شاول بن قيس، ولم يكن لهم قبل ذلك ملك بل حُكَّام وقُضَاة يحكمون؛ وبقى حتى قتل في قتال الفلسطينيين .

وملك بعده (داود عليه السلام) وكانت دارُ ملكه بالقدس؛ وتقع فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وعمَّان ومأرب وحلب ونصيبين وغير ذلك، فأقام في الملك أربعين سنة .

وتولَّى ذلك بعده ابنه (سليمان عليه السلام) وعمره اثنتا عشرة سنة، وعمرَ بيت المقدس وقرَّع منه في سبع سنين، وتوفَّى لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه (رحبعم) على سبطين من بني إسرائيل خاصة، ونرج عنه عشرة أسباط فلُكوا عليهم غيره، وبقى في الملك سبع عشرة سنة .

[وملك بعده ابنه (أبيا) وهلك لثلاث سنين] ^(٢)

وملك بعده ابنه (أسا) إحدى وأربعين سنة وتوفَّى .

فلُك بعده ابنه (بئوشافط) خمساً وعشرين سنة وتوفَّى .

فلُك بعده ابنه (بهورام) ثمان سنين وتوفَّى .

فلُك بعده ابنه (أحزياهو) ستين سنة، وتوفَّى في الملك شاغراً لم يَكُنْ فيه امرأة ساحرة أسمها عتليا فأقامت في الملك سبع سنين .

(١) كذا في حاشية الجبل أيضاً في "مروج الذهب" "ساول بن بشر" وهو تصحيف .

(٢) الزيادة عن ابن خلدون في العبر (ج ٢ ص ١٠١) .

(٣) أقاد في العبر أنها أم أحزياهو .

ثم ملك بعدها (بُؤَاش) فأقام في الملك أربعين سنة ومات .
 فللك بعده أبنه (أَمْصِيَاهُو) تسعا وعشرين سنة وتوفى .
 فللك بعده (عُزِّيَاهُو) اثنتين وخمسين سنة وتوفى .
 فللك بعده أبنه (يُؤْم) ست عشرة سنة ؛ ويقال إن يونس عليه السلام كان في زمنه .
 ثم ملك بعده أبنه (أَحَاز) ست عشرة سنة أيضا ، وكانت الحرب بينه وبين ملك
 دِمَشْق ؛ وفي زمنه كان شُعَيْب عليه السلام ، وتوفى .
 فللك بعده أبنه (هُوَرِيَا) وأتقاده له بنة الأسباط فللك جميعهم ، وأقام في الملك
 تسعا وعشرين سنة ثم توفى .
 فللك بعده أبنه (مِثْشَا) نحسا وخمسين سنة ثم توفى .
 فللك بعده أبنه (أُمُون) ستين [وقيل ثلث عشرة] سنة وتوفى .
 فللك بعده أبنه (يُوشِيَا) إحدى وثلاثين سنة ، وجدّد عمارة بيت المقدس ، ثم توفى .
 فللك بعده أبنه (يهوياحور) ثلاثة أشهر ، وغزاه فرعون مصر فأخذه أسيرا .
 وملك بعده أخوه (يهوياقيم) إحدى عشرة سنة ودخل تحت طاعة بُحْتَنَصَر ،
 ثم استخلف بُحْتَنَصَر مكانه أبنه (يَحْيِي) بن يهوياقيم فأقام مائة يوم .
 ثم استخلف مكانه عمه صِدْقِيَا إحدى عشرة سنة ، فأقام على طاعة بُحْتَنَصَر
 تسع سنين ، ثم عصى عليه فجهر إليه جيشا ففتح المقدس بالسيف وحرّقه وهدم بيت
 المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام وأخذ صديقيا المذكور أسيرا ، وهو آخر من
 ملك منهم . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
 عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية .

(١) في البر "باب" . (٢) الزيادة عن ابن خلدون في "البر" .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من الفُرس)

قد تقدم في الكلام على ملوك مصر أن بُحَّتْ نَصْرَكَانَ نَابَا لِهَراسف ملك الفُرس إلى حين غلبته على الشام فأستقر الشام في مملكة الفُرس مع مصر من لدن هراسف المذكور إلى غلبة الإسكندر على دارا ملك الفُرس على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر، وفي خلال ذلك عُمر بيت المقدس بعد أن بقى سبعين سنة خرابا من تخريب بُحَّتْ نَصْر . وأختلف فيمن عمّره، فقيل أردشير، وقيل آبنه دارا، واليهود تسمى الذي عمّره من الفُرس كيرش ويقال كُورش .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من اليونان)

وأول من ملك الشام منهم الإسكندر بن فيليس حين ظهر على ملوك الفُرس مضافا إلى مصر، وبقى على ذلك حتى مات، فملك بعض الشام مع العراق انطياخس، وملك بعضه مع مصر البطالسة من ملوك اليونان من ولد بطليموس المنطيق إلى حين أنقراضهم بقتل أغشطش ملك الروم قلوبطرا آخر ملوكهم بمصر على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية .

الطبقة الخامسة

(ملوكها من الروم)

وأول من ملكها منهم أغشطش المقدم ذكره حين غلب على قلوبطرا آخر ملوكهم، وبقى بأيدي الروم إلى حين الفتح الإسلامي، يتداولونه مع مصر ملكا بعد ملك على ما تقدم في الكلام على ملوك الديار المصرية .

القسم الثاني

(من ملوك الشام ملوكه في الإسلام، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(عمال الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من نواب الخلفاء)

إلى حين استيلاء الملوك عليه

وأول من وليه في الإسلام (أبو عبيدة بن الجراح) رضي الله عنه، عند فتحه في خلافة أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم صُرف عنه ووليه (معاوية بن أبي سفيان) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً، فبقى إلى أن سلم الحسن إلى الأُمّ و نزل له عن الخلافة في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وتولّت عليه خلفاء بني أمية، واختاروه داراً لخلافتهم من لدن معاوية وإلى أنقراض دولتهم بقتل (مروان بن محمد) آخر خلفائهم على ما تقدّم ذكره في الكلام على من ولي الخلافة.

ثم كانت دولة بني العباس فولّيتها في خلافة السفّاح عمّه (عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس) في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فبقى أيام السفّاح وبعض أيام المنصور بعده، ثم صرفه المنصور بولاية (أبي مسلم الخراساني) الشّام ومصر في سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور بعد ذلك في السنة المذكورة، وتوالى عليه بعد ذلك عمال خلفاء بني العباس إلى أن وليها (عبد الصمد) بن علي، ثم عزله الرشيد ووّلّى مكانه (إبراهيم بن صالح بن علي) ثم توالى عليه العمال إلى أن غلب عليه (أحمد بن طولون) مع مصر على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

(١) سلك في التعبير عن الشّام سبيل التّأنيث والتّذكير، والأمر واضح.

الضرب الثاني

(مَنْ وَلِيَهَا مُلْكًا)

قد تقدم أن القواعد العظام بالشام ست قواعد : وهي دِمَشْقُ، وَحَلَبُ، وَحَمَّاءُ، وَأَطْرَافُ بَيْلُوسَ، وَصَفَدُ، وَالكَرْكُ . وكل قاعدة من القواعد الست تشمل على مملكة .

فأما (دِمَشْقُ) فأول ملوكها (أحمد بن طُولُون) صاحب مصر بعد موت مُقَطَّمِهَا أُمَاجُور في سنة أربع وستين ومائتين ؛ وذلك أول اجتماع مصر والشام للملك واحد في الإسلام ؛ ثم ملكها بعده مع مصر أبْنُهُ (نُحَارَوِيَّةُ) ؛ ثم (هارون بن نُحَارَوِيَّةُ) ؛ وكان طُفُج بن جُف نائباً عنهما بها ، وفي أيام هَارُون تَغَلَّبَتِ القرامطة على دِمَشْقُ ؛ ثم أترعها منهم (المكتفي بالله) خَلِيفَةُ بَغْدَادَ في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وأقام عليها (أحمد بن كَيْفَلُج) أميراً ، فبقي بها بقية أيام المكتفي ، ثم أيام المُقْتَدِر ، ثم أيام الظاهر . فلما وَلِيَ الرَّاغِي الخِلافةَ ، عزله عنها في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وولَّى عليها (الأخشيدي) وهو محمد بن طُفُج بن جُف ، وذلك قبل أن يلى مصر في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فاستناب على دِمَشْقَ بدر الأُخشيدي ، فأتزعها منه (محمد بن رائق) في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وأستخلف عليها (أبا الحسين أحمد بن علي بن مقاتل) في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، ثم أترعها منه (الأخشيدي) المقدم ذكره بعد ذلك وبقيت معه حتى مات في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، فوليا بعده أبْنُهُ (أَبُو جُور) وهو صغير ، وقام بتدبير دولته كافور الأُخشيدي الخادم ، ثم أترعها منه (سيف الدولة بن حَمْدَان) صاحبُ حَلَبِ الآتِي ذكره ، ثم أترعها منه (كافور الأُخشيدي) المقدم ذكره وولَّى عليها بدر الأُخشيدي الذي كان بها أولاً ، فأقام بها سنة ؛ ثم ولها (أبو المظفر

(١) لعله سقط قبله "جيش بن نحاريه" فان ابن طنج كان نائباً عن جيش هارون كما يؤخذ مما سيق له في الكلام على حلب .

أَبْنِ طَنْج)؛ ثم لما مات أنوجور بن طنج، ملكها مع مصر أخوه (علّ بن طنج) ثم (كافور) بعده، ثم (أحمد بن علّ بن الأخشيد) بعده، وهو آخر مَنْ ملك منهم على ما تقدّم في الكلام على ملوك مصر .



ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فللكها (جوهر) قائد المُعزّ الفاطميّ وخطب بها لمولاه المُعزّ وأذن بحجّ على خير العمل في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وقطعت الخطبة العباسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائباً، ثم تغلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلاثمائة، ثم أقتلها منهم (المُعزّ) وولّى عليها رِيَّان الخادم، ثم غلب عليها (الفتكين) مولى معز الدولة بن بويه الديلمي، وقطع الخطبة منها للمُعزّ الفاطميّ، وخطب الخليفة بنفاد في سنة أربع وستين وثلاثمائة؛ ثم أترعها (المعز الفاطميّ) بعد ذلك وقبض عليه. وأحضره معه إلى مصر؛ ثم بعد موت المعز وولاية أبنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه (قسام) إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز، ثم أترعها منه (العزيز) وقرر فيها (بكتكين) في سنة آثنتين وسبعين وثلاثمائة؛ ثم أترعها منه (بكجور) مولى قرعويه صاحب حَلَبَ بأمر العزيز الفاطميّ صاحب مصر في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة؛ ثم أترعها منه وقرر فيها (منيرا الخادم) في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة؛ ثم أستعمل الحاكم بن العزيز الفاطميّ عليها (أبا محمد الأسود) في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ثم أترعها منه (أنوش تكين) ^(١) الدزيرى بأمر المستنصر الفاطميّ في سنة تسع وعشرين وأربعمائة؛ ثم أمر بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، فخرج عنها وفسد أمرها بذلك؛ ثم تغلب عليها (ألسن بن أرتق) الخوارزمي أحد أمراء السلطان

(١) الضبط عن أبي الفداء، ونسبه إلى دزيرين دزيرى الديلمي .

(٢) أي أمر المستنصر أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزيرى .

ملكشاه السُّلُجُوقِ - في سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي وخطب للقتدى العباسي، وجمع من الأذان بحى على خير العمل، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها (نُشُّ بن ألب أرسلان) بن داود بن ميكايل بن سُلُجُوق. وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفي، فملكها بعده ابنه (دقاق) وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان صاحب حلب مقدما لرضوان في الذكر في الخطبة بعد حرب جرت بينهما، وتوفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فغلب طغتكين أتابك دولته لابن دقاق، وهو طفل عمره سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بتاش بن نُشُّ، ثم قطع الخطبة لبتاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له دِمَشْقُ من بني سلجوق، ثم استقر (طغتكين) المتقدم ذكره في ملك دِمَشْق بنفسه، وبقي حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وملك بعده ابنه (تاج الملوك توري) بعهد من أبيه، وتوفي سنة ست وعشرين وخمسمائة، وملك بعده ابنه (شمس الملوك إسماعيل) بعهد من أبيه.

ثم ملك بعده أخوه (شهاب الدين محمود بن توري) فبقي حتى قتل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعده ابنه (مجير الدين أرتق) وفي أيامه تغلب الفرنج على ناحية دِمَشْق.

ثم آتَرعها منهم الملك العادل (نور الدين محمود بن زنكي) المعروف بنور الدين الشهيد وملكها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، واجتمع له ملك سائر الشام معها، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل كِدِمَشْق وحمّاء وحمص وحلب وشيَرد وبعلبك وغيرها، وتوفي ملك بعده ابنه (الملك الصالح إسماعيل) وعمره إحدى عشرة سنة، وبقي بها حتى آتَرعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) صاحب مصر في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب،

ثم استخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك ابن أخيه عز الدين (فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) في سنة ست وسبعين وخمسمائة ؛ ثم صرفه عنها وقدر فيها ابنه الملك الأفضل (نور الدين عليا) ؛ وهو الذي وُزِّر له الوزير ضياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر" .

ثم أترعها منه أخوه الملك العزيز (عثمان ابن السلطان صلاح الدين) صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاونة عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، والخليفة يومئذ ببغداد الناصر لدين الله . وكان يميل إلى التشيع ، فكتب إليه الأفضل على يستعبد عليه أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر ، من شعره :

مَوْلَايَ ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ • عُمَانٌ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقِّي عَلَيَّ !
فَانظُرْ إِلَى حَقِّ هَذَا الْأَثَمِ كَيْفَ لَقِي • مِنَ الْأَوَانِيرِ مَا لَقِيَ مِنَ الْأَوَّلِ !

فكتب إليه الناصر لدين الله في جوابه :

غَضَبُوا عَلَيَّا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ • بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ بِسَبْرِ نَاصِرُ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ غَدًا عَلَيْكَ حَسَابُهُمْ • وَأَبَشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

ولكنه لم يجاوز القول إلى الفعل ؛ ثم سلمها العزيز بعد ذلك لعمه (العادل أبي بكر) فقدر فيها ابنه الملك المعظم عيسى مضافة إلى ما بيده من الكرك والشوبك ، وكان يخطب فيها لأبيه العادل ، ثم لأخيه الكامل محمد صاحب مصر ، وبقى حتى توفى في سنة أربع وعشرين وستمائة ؛ وملك بعده ابنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) ، وهو صغير .

ثم أترعها منه الملك الناصر (محمد بن العادل أبي بكر) صاحب مصر واستخلف فيها أخاه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر ، فبقى حتى توفى في سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وملكها بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) بعهد منه [فأنتزعها منه الملك الكامل بن العادل أبي بكر] في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة (٢١) وتوفي في السنة المذكورة .

فلك بعده الملك الجواد (يونس بن مودود) بن العادل أبي بكر .

ثم أنتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن العادل أبي بكر في سنة ست وثلاثين وستمائة ، ثم أقام فيها الملك المغيeth فتح الدين عمر نائباً عنه .

ثم أنتزعها منه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) صاحب بعلبك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم أنتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل محمد صاحب مصر وتسلمها له (معين الدين بن الشيخ) في سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتوفي قبل أن يتسلمها فتسلمها له حسام الدين بن أبي علي في السنة المذكورة ، ولم تزل بيد نواب الصالح أيوب حتى مات في سنة سبع وأربعين وستمائة .

ثم ملكها بعد وفاته (الملك الناصر يوسف) بن العزيز محمد صاحب حلب في سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فبقي بها إلى أن غلب عليها هولاكو في سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكان آخر أمر الناصر المذكور أنه لحق بهولاكو المذكور فأقام عنده مدة ثم قتله .



ثم كانت الدولة التركية فملكها منهم (الملك المظفر قطز) صاحب مصر حين غلبته التار على عين جالوت ، ثم توألى عليها توكب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى

(١) الزيادة عن أبي الفداء ليستقيم الكلام .

(٢) أى الملك الكامل .

(٣) أى نائباً عن العادل بن الكامل .

سلطنة (الناصر فرج) بن الظاهر برقوق في زماننا على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية ؛ ولم أقف على أسماء نوابها لطول المدة وقلة اعتناء المؤرخين بذكر أسمائهم .



وأما حلب فقد تقدم أن منزل الجند في ابتداء الإسلام كان يقتصرين ، ثم طرأت عليها حلب بعد ذلك وأضعفتها . ولعل ابتداء أمرها كان في ابتداء الدولة الطولونية ، وقد كان أحمد بن طولون آستولى عليها حين آستيلائه على دِمَشْق وصارت في ملكه تبعاً للديار المصرية كدِمَشْق . وكان بها نوابه ثم نواب ابنه نحمارويه ، ثم نواب جيش ابن نحمارويه ، ثم هارون بن نحمارويه في نيابة طنج بن جف عن هارون وجيش المذكورين ؛ ثم كانت مع دِمَشْق في نيابة أحمد بن كيخلف ، ثم في نيابة الأخشيدي محمد ابن طنج بن جف قبل أن يلى مصر ، ثم في نيابة بدر الأخشيدي على ما تقدم في الكلام على مملكة دِمَشْق .

ثم آتزعها من بدر الأخشيدي (سيف الدولة بن حمدون) التغلبي الرعي ، وملكها في سنة ثلاث وثلاثمائة ، وبقي بها حتى توفي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وملكها بعده ابنه (سعد الدولة أبو المعالي شريف) .

ثم آتزعها منه (قرعويه) غلام أبيه في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ثم غلب عليها (بكجور) غلام قرعويه المذكور بعد ذلك وأقلعها منه .

ثم آتزعها منه (سعد الدولة) المقدم ذكره ، ثم تقلد بها أبو علي بن مروان من انخليفة الفاطمي . يومئذ بمصر في سنة ثمانين وثلاثمائة ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة المذكور حتى توفي بالفالج في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .
ثم ملك بعده ابنه (أبو الفضل) مكانه .

ثم أترعها منه (أبو نصر بن لؤلؤ) وخطب بها للحاكم الفاطمي، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه بها فتسلموها منه واستقرت بأيديهم حتى انتهت إلى نائب من نوابه اسمه (عزيز الملك) فبقي بها بقية أيام الحاكم وبعض أيام ابنه الظاهر، ثم وليها عن الظاهر رجل يقال له (أبن شعبان) ثم تغلب عليها (صالح بن مرداس) أمير بني كلاب في سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ثم قتل في أيام الظاهر الفاطمي فلملكها بعده (شبل الدولة نصر بن صالح) .

ثم أترعها منه (أنوش تكين الدزيري) بأمر المستنصر العلوي في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وبقي حتى توفي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وملكها بعده (معز الدولة شمال بن صالح بن مرداس) ثم ملك قلعتها بعد ذلك في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم تسلمها منه مكين الدولة (الحسن بن علي بن ملهم) في سنة تسع وأربعين وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك .

ثم أترعها منه (محمود بن شبل الدولة) بن صالح المقدم ذكره، وملك قلعتها في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة .

ثم أترعها منه (معز الدولة شمال بن صالح) في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وبقي بها حتى توفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (عطية بن صالح) في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه ابن أخيه (محمود بن شبل الدولة) المقدم ذكره في رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقي بها حتى توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة .

وملكها بعده ابنه (نصر بن محمود) ثم قتله التركمان .

وملكها بعده أخوه (سابق بن محمود) .

ثم أترعها منه شرف الدولة (مسلم بن قريش) صاحب الموصل، وقتل في صفر سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (إبراهيم بن قريش) .

ثم أترعها منه (نُتُش بن ألب أرسلان) السلجوقي صاحب دِمَشْق في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه (السلطان ملكشاه السلجوقي) وسلمها إلى قسم الدولة آقسنقر، ثم استعادها (نُتُش بن ألب أرسلان) المقدم ذكره بعد موت ملكشاه وأستضافها إلى دِمَشْق، وأنبسط ملكه حتى ملك بعد ذلك أذَرَبَيْجَان، وبقى حتى قتل في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملكها بعده ابنه (رضوان) في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وبقى حتى توفي في سنة سبع وخمسمائة .

وملكها بعده ابنه (سلطان شاه بن رضوان) .

ثم أترعها منه (إيلغازي بن أرتق) صاحب ماردين وسلمها إلى ولده حسام الدين تيمتاش، ثم غلب عليها (سليمان بن أرتق) وعصى بها على أبيه فأترعها أبوه منه وسلمها إلى ابن أخيه (سليمان بن عبد الجبار بن أرتق) في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة .

ثم أترعها منه عمه (بلك بن بهرام بن أرتق) ، وبقى بها حتى قتل في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وملكها بعده ابن عمه (تيمتاش بن إيلغازي) في ربيع الأول من السنة المذكورة ، ثم حاصرها الفرنج، وهي في يده غلصها منهم آقسنقر البرسقي صاحب الموصل، وملكها مع ماردين في السنة المذكورة ، وبقى حتى قتلته الباطنية في سنة عشرين وخمسمائة .

وملكها بعده أبنه (عز الدين مسعود) وأستخلف بها أميرا من أهرائه أسمه قايماز، ثم أستخلف عليها بعده رجلا أسمه كيخلف .

ثم أترعها منه (سليان بن عبد الجبار) بن أرتق المقدم ذكره .

ثم أترعها منه (عماد الدين زنكى) : صاحب الموصل في المحرم سنة أثنين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماة وحمص وبلبك ، وبقى حتى قتله غلمائه في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده أبنه الملك العادل (نور الدين محمود) وبقى إلى أن توفى .

وملك بعده أبنه (الصالح إسماعيل) فبقى بها بعد ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ديمق حتى توفى بها في سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وملكها بعده بوصية منه ابن عمه (عز الدين مسعود) بن مودود بن زنكى بن مودود في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقدر فيها أبنه الظاهر غياث الدين غازى .

ثم أترعها منه وسلمها لأخيه (العادل أبى بكر بن أيوب) في السنة المذكورة ، ثم أعاد إليها أبنه الظاهر غازى المقدم ذكره في سنة أثنين وثمانين وخمسمائة ، فبقى بها حتى توفى في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وملكها بعده أبنه (الملك العزيز محمد) فبقى بها حتى توفى في ربيع الأول سنة أربع وثلثين وستمائة .

ثم ملكها بعده أبنه الملك (الناصر يوسف) وعمره سبع سنين ولم تزل بيده حتى أستولت عليها التار في سنة ثمان وخمسين وستمائة .



ثم كانت الدولة التركية . فكان أول من ملكها من ملوك الترك (المظفر قطز) حين كسر التتار على عين جالوت على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة دِمَشْق ، ثم توالى عليها ثواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى زماننا في سلطنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة الديار المصرية .



وأما حماة . فقد تقدم في الكلام على قواعد الشام أن الذكر في القديم إنما كان لِحِمَص ، وإنما تنهت حماة في الذكر في الدولة الأتابكية : عماد الدين زنكي . وذلك أن حماة كانت تبعا لغيرها من الممالك ، تارة تضاف إلى دِمَشْق ، وتارة إلى حَلَب . فكانت مع دِمَشْق بيد (طُغْتِكِين) أتابك دولة رضوان بن بُنْش السلجوقي في سنة تسع وخمسمائة .

ثم آتَرعها منه السلطان (محمد بن ملكشاه السلجوقي) في السنة المذكورة ، وسلمها للأُمير (فِرْخَان بن قراجا) .

ثم ملكها (توري بن طُغْتِكِين) وقرربها أبنه سويج فبقيت بيده حتى آتَرعها منه عماد الدين زنكي في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

ثم آتَرعها منه بعد ذلك (تاج الملوك إسماعيل بن توري) بن طُغْتِكِين السلجوقي في سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

ثم ملكها (العادل نور الدين محمود بن زنكي) مع دِمَشْق وحَلَب وغيرها في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ؛ ثم صارت بعده مع غيرها من البلاد الشامية إلى أبنه (الصالح إسماعيل) فبقيت بيده حتى آتَرعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف)

آبن أيوب) في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها خاله شهاب الدين الحارثي، ثم قرر فيها أخاه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في سنة أربع وسبعين وخمسمائة، فبقيت بيده حتى توفي في سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فوليها بعده أبنته الملك المنصور (ناصر الدين محمد) فبقى بها حتى آتزعها منه أخوه (الملك المظفر محمود) في سنة ست وعشرين وستمائة، فبقى بها حتى توفي في سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

فوليها بعده أبنته (الملك المنصور محمد) فبقى حتى غلب عليها هولاكو ملك التار مع ديمشقي وحلب وغيرهما، فقررها المظفر قطز صاحب مصر بعد هزيمة التار، فبقى بها حتى توفي في سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

فوليها بعده أبنته (المظفر شادي) عن المنصور قلاوون صاحب مصر بعهد منه، وبقى بها حتى توفي في سنة ثمان وتسعين وستمائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية .

فولى الملك الناصر مكانه (قراستقر) أحد أمراءه نائبا عليها، وكان العادل كتبها بعد خلعه من السلطنة قد استقر نائبا بصرخة فنقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إليها بعد هزيمة غازان ملك التار، وجعله نائبا بها في سنة اثنتين وسبعمائة، ومات بعد ذلك .

فولى الملك الناصر مكانه في نيابتها (قبيجق) أحد أمراءه ثم صرفه عنها .
وولى مكانه (استدسر الكرهي) ثم صرفه عنها بعد هوديه من الكرك .

وولى فيها الملك المؤيد (عماد الدين إسماعيل) بن الأفضل علي، بن المظفر عمر سلطنة على عادة من تقدمه فيها من الملوك الأيوبية، وكتب له بذلك عهدا عنه، فبقى بها إلى أن توفي في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

فولى السلطان الملك الناصر مكانه أبنه (الملك الأفضل محمد) وكتب له بذلك عهداً أيضاً، فبق بها حتى أزاله قُوصُون أتابك العساكر في سلطنة المنصور أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وولى مكانه الأمير (طغزدمش) نائباً بها، واستقرت نيابته إلى الآن، يتوالى عليها نواب ملوك مصر نائباً بعد نائب إلى زماننا كغيرها من الممالك الشامية، وأقطعت مملكة بى أيوب من الشام بذلك .



وأما أطرابُلُس، فكان قد تغلب عليها قاضيا أبو حنيفة بن عمار وملكها وطالت مدته فيها .

ثم أتزحها منه (المستنصر الفاطمي) خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية، بقيت بيده حتى غلب عليها القوميس فملكها في سنة ثلاث وخمسمائة، بقيت في أيدي الفرنج من حينئذ إلى أن فتحها "الملك المنصور قلاوون" أحد ملوك الديار المصرية في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بعد أن مضى عليها في يد الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأعجز فتحها من مضى من ملوك بى أيوب فن بعدهم . ومن حين فتحها جعلت نيابة، وتوالى عليها نواب ملوك مصر من لدنه إلى زماننا .



وأما صَفَد، فقد تقدم في الكلام على قواعد الممالك الشامية أنها كانت في القديم قرية وأن الفرنج الدّموية بنتها واستحدثت حصنها في سنة خمس وسبعين وأربعمائة . ثم فتحها (الظاهر بيبرس) بعد ذلك في رابع عشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة، وقررها الأمير كيخسرو الملاقى نائباً، وتوالى عليها بعد ذلك نواب ملوك مصر من لدن الظاهر بيبرس وإلى زماننا في سلطنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق .



وأما الكرك، فقد تقدم أن قلعها كانت ديراً لرهبان، وكانت بيد الفريخ، وأن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتحها، وفقر فيها أخاه (الملك العادل أبا بكر بن أيوب) فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين، وفقر فيها أبنه (الملك المعظم عيسى) فبقيت في يده إلى أن استضاف إليها دمشق، وتوفي في سنة أربع وعشرين وستمائة .

وملكها بعده أبنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) في سنة ست وعشرين وستمائة، وبقى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فاستخلف عليها أبنه (الملك المعظم عيسى) بعد أن أخذ منه غالب بلاده وفقر بنفسه .

ثم أترع (الصالح نجم الدين أيوب) الكرك من المعظم عيسى بن الناصر داود في السنة المذكورة، وأقام بها بدر الدين الصوابي نائباً عنه، وبقى الناصر داود بعد ذلك مُشرداً في البلاد إلى أن مات في سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان من أهل العلم والورع، وله شعر رائق، منه :

أَلَا لَيْتَ أُمِّي أَيْمٌ طَوَّلَ دَهْرَهَا • وَلَمْ يَقْضِهَا رَبِّي لِمَوْلَى وَلَا بَعْلٍ !
وَيَا لَيْتَهُنَّ لَمَّا قَضَاهَا لَسِيدٌ • لَيْسَ بِأَرِيْبٍ طَيْبُ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ ،
قَضَاهَا مِنَ اللَّاتِي خُلِقْنَ عَوَاقِرًا • وَلَا بُشِّرْتُ يَوْمًا بِأُنْفَى وَلَا فَعِلِ
وَيَا لَيْتَهَا لَمَّا غَدَتْ فِي حَامِلًا • أَصِيبَ بِنِ احْتَفَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَلِ
وَيَا لَيْتِي لَمَّا وُلِدْتُ وَأَصْبَحْتُ • تُشَدُّ إِلَى الشَّدَقِيْمَاتِ بِالرَّحْلِ ،
لَحِثْتُ بِأَسْلَافِي فَكُنْتُ حَمِيمَهُمْ • وَلَمْ أَرِ فِي الْإِسْلَامِ مَا فِيهِ مِنْ مُثُلِ

وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب معتقلاً بالشَّوَبَك، فأخرجه الصوابي نائب الملك الصالح وملكه الكرك فبقى بها حتى قبض عليه الملك الظاهر بيبرس وقتله في سنة إحدى وسبعين وستمائة، وهو آخر من ملكها من بني أيوب .

قلت : وأما غير هذه الممالك كَحِمَصَ وِجْلَكْ فَإِنَّمَا كَانَتْ فِي الْغَالِبِ تَبَعًا لغيرها حتى إِنْ حِمَصَ وِجْلَكْ حِينَ اسْتَوْلَتْ التَّارَ عَلَى الشَّامِ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ كَانَتَا مِضَافَيْنِ إِلَى دِمَشْقَ .

وأعلم أن غالب أطراف البلاد الشامية ومضافاتها كانت بأيدي ملوك متفرقة من قديم الزمان وبعضها حدثت أنفاده ، ثم تنقلت بها الأحوال حتى استولى على كثير منها أهل الكفر، وصارت بأيديهم إلى أن قَبِضَ اللهُ تَعَالَى لَهَا مِنْ فَتَحِهَا ؛ ثم استعاد أهل الكفر منها ما استعادوا ، ثم فَتَحَ ثَانِيًا عَلَى مَا بَاقِيَ ذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . من ذلك الْقُدْسُ - كانت بيد نُتُشْ بْنِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ السَّلْجُوقِيَّةِ صَاحِبِ دِمَشْقَ المتقدم ذكره . كان قد أقطعها لِلْأَمِيرِ أَرْتُقَ جَدِّ مُلُوكِ مَارِيْدِينَ الْآنَ . فلما تَوَقَّعَ أَرْتُقَ المذكور صار الْقُدْسُ لولديه إيلغازي وِسْمَانْ ، وبقي بيديهما إلى أنْ أَسْرَعَ مِنْهُمَا (المستنصر الفاطمي) في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وبقي بيده إلى أن ملكه الفريج منه في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، بعد أن بذلوا السيف في المسلمين نحو سبعة أيام وقتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على تسعين ألف نفس ، وبقي بيديهم حتى فتحه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم استعاد الفريج من الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمهادنة جرث بينهم في سنة ست وعشرين وستمائة .

ثم أسرعه منهم (الملك الناصر داود) صاحب الكرك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم ساه (الصالح إسماعيل) صاحب دِمَشْقَ (والناصر داود) صاحب الكَرْكَ المتقدم ذكره للفريج بعد ذلك ليكونوا عوناً لها على الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتحه الصالح (نجم الدين أيوب) صاحب مصر وأقتله من أيديهم في سنة اثنتين وأربعين وستمائة، فأستقر بأيدي المسلمين إلى الآن .
ومن ذلك بلاد السواحل الشامية كانت بأيدي أناس متفوقة .

فأما أطرايُلس وصَفْدُ، فقد تقدّم الكلام عليهما في الكلام على ملوك الممالك الشامية . وأما غيرهما من بلاد السواحل وما والاها، فإن غالبها كان بيد الفاطميين خلفاء مصر إلى أن ضعفت دولتهم في أيام المستنصر أحد خلفائهم، فقصدت الفريج هذه السواحل من كل جهة وأستولوا على بلادها شيئاً فشيئاً .

فأستولوا على عكا وجبيل في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وعلى صَيْدَا في سنة أربع وخمسمائة، وأستشروا فسادهم حتى ملكوا يَرُوتَ وَعَسْقَلَانَ وَصُورَ وَأَنْطَرُوسَ وَالْمَرْقَبَ وَأَرْسُوفَ وَالْأَذِقِيَّةَ وَلُدَّا وَالرَّمْلَةَ وَيَافَا وَنَابُلُسَ وَغَزَّةَ وَبَيْتَ لَحْمَ وَبَيْتَ جَبْرِيلَ، وغير ذلك من بلاد السواحل وما جاورها، فبقيت في أيديهم حتى فتحها السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" فيما بين الثلاث والأربعين والخمسمائة إلى الثمان والأربعين والخمسمائة .

ثم عقد الهدنة بينه وبين الفريج في سنة ثمان وأربعين إلى أن تكون يافا وأرسوف وعكا وقيسارية وأعمالها بيد الفريج، وأن تكون لُدُّ والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين .
ثم أستولوا على يَرُوتَ في سنة أربع وتسعين وخمسمائة، ثم وقعت الهدنة بعد ذلك بين الفريج وبين العادل أبي بكر بن أيوب في سلطنته في سنة إحدى وستمائة على أن تستقر بيد الفريج يافا وتترك لهم مناصفة لُدُّ والرملة .

ثم استعاد الفرنج عكا في سنة أربع عشرة وستمائة في أيام العادل أبي بكر المذكور .
ثم استولوا على صيدا وما معها في أيام ابنه الكامل محمد في سنة ست وعشرين
وستمائة قبل تسليمه القدس لهم .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل صاحب دمشق صفد والشقيف على أن يعاونوه على
الصالح أيوب صاحب مصر في سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل المذكور والناصر داود صاحب الكرك عسقلان وطبرية
حين سلمهم القدس في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتح "الصالح أيوب" صاحب مصر غزة واستولى عليها في سنة اثنتين وأربعين
وستمائة .

ثم فتح (الظاهر بيبرس) في سنة اثنتين وستين وستمائة قيسارية وأرسوف وصفد
وإفا في سنة أربع وستين وستمائة . وفتح صهيون في سنة ست وستين وستمائة ،
وأطرابلس في سنة ثمان وثمانين .

ثم فتح ابنه (الأشرف خليل) عكا في سنة تسعين وستمائة ، ولتأبعت فتوحه ففتح
صيدا ويروت وعثيث في السنة المذكورة . وافتوحه تكاملت بلاد السواحل
بأجمعها . ولما قضت هدمت جميعها خوفا أن يملكها الفرنج ثانيا وبقيت بأيدي
المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك أنطاكية - التي هي قاعدة العواصم ، فلما كانت بيد باغي سيان بن محمد
ابن ألب أرسلان السلجوقي إلى أن غلب عليها الفرنج في سنة إحدى وتسعين
وأربعمئة ، وقتلوا باغي سيان المذكور ، وقتل فيها ما يزيد على مائة ألف نفس بعد
حصار تسعة أشهر ، وملكوا معها كفر طاب ، وصهيون ، والشغرة وبكاس ، وسرمين

وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ حَلَبَ ، وَبِالْفُؤَا حَتَّى جَاوَزُوا الْفُرَاتَ إِلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ؛
وَمَلَكُوا الرُّهَا وَسُرُوجَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِهَا حَتَّى فَتَحَ السُّلْطَانُ صَاحِبُ الدِّينِ يَوْسُفَ
أَبْنَ أَيُّوبَ الشُّغْرَ وَبُكَاسَ وَسُرْمِينَ وَغَيْرَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

ثُمَّ أَسْتَعَادَتْهَا الْفَرَجُ بَعْدَ فَتْحِهِ ؛ ثُمَّ فَتَحَ أَعْلَى كَيْتَ "الظَّاهِرُ" بَيْرُوسَ " فِي سَنَةِ سِتِّ
وَسِتِينَ وَسَمِائَةٍ ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - بَاقِي بِلَادِ الثَّنُورِ وَالْمَوَاصِمِ كَأَيَّاسَ وَأَذَنَةَ وَالْمَصْبِصَةِ وَطَرَسُوسَ
وَبَرْغَاسَ وَبَهْسَى وَالْدَّرْبَسَاكَ وَسَيْسَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الثَّنُورِ . فَإِنَّ الْأَرْمَنَ وَثَبُّوا عَلَيْهَا
قَبْلَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَاسْتَوَلَوْا عَلَى نَوَاحِيهَا وَمَنَعُوا مَا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنَ الْإِمَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَأَسْتَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ قَلْعَةَ الرُّومِ وَمَا قَارِبَهَا . فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى فَتَحَ الظَّاهِرُ
بَيْرُوسَ بَرْغَاسَ وَبَهْسَى وَالْدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا ، وَأَتَرَعَهَا مِنَ الْأَرْمَنَ فِي سَنَةِ ثَمَانِ
وَسِتِينَ وَسَمِائَةٍ .

وَفَتَحَ الْأَشْرَفُ "خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ" قَلْعَةَ الرُّومِ ، وَأَتَرَعَهَا مِنْ يَدِ خَلِيفَتِهِمْ
فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَمِائَةٍ ، وَسَمَّاها قَلْعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْحَلِيقَةِ .

وَفَتَحَ "الْناصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ" فِي سُلْطَنَتِهِ الثَّالِثَةِ أَيَّاسَ^(١) ، وَمَا وَالَاهَا فِي سَنَةِ ثَمَانِ
وَتَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وَفَتَحَ "الْأَشْرَفُ شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنَ" بْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ سَيْسَ وَسَائِرَ بِلَادِ
الْأَرْمَنَ عَلَى يَدِ قَشْتَمَرِ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبِ حَلَبَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - قِلَاعُ الدَّعْوَةِ ، الَّتِي هِيَ الْآنَ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ : وَهِيَ مَعْيَافُ
وَالْمُعْلِقَةُ وَالْمُنِيقَةُ وَالْكَهْفُ وَالْقُدْمُوسُ وَالْخَوَاطِي . فَلِئِذَا كَانَتْ بِأَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَةِ

(١) مصلها صاحب "القاموس" كصاحب رضى على مد الهمة صاحب "التقويم" .

المعروفين الآن بالمداوية، قبل دخولهم في طاعة ملوك الديار المصرية، فبقيت بأيديهم حتى أُنزِعَها منهم الملك "الظاهر بيبرس" في سنة ثمان وستين وستمائة، وأُنزِعَ منهم العليقة في سنة تسع وستين .

ثم أُنزِعَت منهم باقي القلاع في سنة إحدى وسبعين ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حيثئذ، وصاروا شيعاً لهم .

وهذا آخر ما يحتمله الكتاب مما يحتاج إلى معرفته .

الطَّرَفُ الثالث

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية في ذكر أحوال

المملكة الشامية ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ترتيب نياباتها على ما هي مستقرة عليه)

قد تقدم أن الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد، وكلُّ مملكة منها قد صارت نيابةً سلطنة مضاهيةً للملكة المستقلة .

النيابة الأولى

(نيابة دِمَشْقَ، وفيها جملتان^(١))

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها فيها، فعلى ما تقدم في الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وزناً، والدنانير الأفرنجية عدداً، والدراهم النقرة وزناً

(١) قداسة ثلاث جمل فتنه .

لا تختلف النقود في ذلك ، إلا أن الصنجة في أوزان الذهب بالديار المصرية تخالف
الصنجة الشامية في ذلك ، فتتقص صنجة الشامية عن المصرية كل مائة مثقال
مثقال وربع مثقال ، وتتقص صنجة الدراهم الشامية عن الصنجة المصرية كل
مائة درهم درهم ، والمعاملة فيها بفلوس صغار ، وكان يتعامل بها في الديار المصرية
في الزمن الأول قبل ضرب الفلوس الجدد ، حسابا عن كل درهم أربعة وستون قلّسا ،
وكل أربعة فلوس منها يُعبر عنها بعملة ، ثم راجت الفلوس الجدد عندهم بعد
سنة ثنتين وثمانمائة . إلا أن كل ^(١) بدرهم بخلاف ما تقدم في الديار المصرية
من أن كل أربعة وعشرين قلّسا منها بدرهم .

وأما رطلها الذي يعتبر به ، وزوناتها فستائة درهم بدرهمهم المتقائم تقديره ،
وأوقيه اثنتا عشرة أوقية ، كل أوقية خمسون درهما .

وأما كيلها الذي يعتبر به ميكيلتها فبالغرامة ، وهي اثنا عشر كيلا ، كل كيل سنة
أمداد ، يتقص قليلا عن رُبع الوبنة المصرية ، ونسبة الإردب من الغرامة أن كل
غرامة ومد ونصف ثلاثة أرادب بالكيل المصري تحريرا على الدمشقي ^(٢) . ثم قال :
لكن كيل دِمَشْق ورطلها هو المعتبر وإليه المرجع .

وأما قياس ثمنها فبذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة بنصف سدس ذراع
وهو قيراطان .

وأما قياس أرض الدور بها وما في معناها ، فإنه يعتبر بذراع العمل المتقدم الذكر
في الديار المصرية .

(١) يياض في الأصل بقدر كلة .

(٢) لم يقدم لنا ما يعود عليه الضمير ولعله صاحب "المسالك"

وأما سعرها فقال في "مناك الأبصار" : سعر اللحم بها أرخص من مصر والدجاج والإوز أغلى من مصر، وكذلك السكر، ولم يتعرض لغير ذلك . ولا خفاء في أن الفاكهة فيها أرخص من مصر بالقدر الكبير، والقمح والشعير والبقلاء نحو من سعر مصر، وذلك كله عند اعتدال الأسعار . أما حالة الغلاء فيختلف الحال بحسبه .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها ، وهو ضربان)

الضرب الأول

(في ترتيب حاضرتها)

أما جيوشها ، فعلى ما تقدم في الديار المصرية في اجتماعها من الترك والحرکس والروم والروس والآص ، وغير ذلك من الأجناس المضاهية للترك في الزي ، ويزيد بها التركمان المتميزون عن صفة الترك وزيهم ، وجنودها ينقسمون إلى ما تقدم في الديار المصرية : من الأمراء المتقدمين والعلبانات والعشرات ، ومن بين المتقدمين والعلبانات : كأمرء السبعين والنمسين ، وما بين العشرات والعلبانات كالعشرينات ونحوهم ، وكذلك مقدمو الحلقة وجنودها ، ولا وجود فيها للمالک السلطانية لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان . وقد أخبرني من له خبرة بحال مملكتها أن الأمراء المتقدمين بها كانوا في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون عشرة غير النائب بها ، وربما نقصوا الآن عن ذلك ، وأن أمراء العلبانات بها كانوا إذ ذاك أربعين وأنهم الآن ثيِّف ونحسون ، وأن أمراء العشرات كانوا بها ألفين ومائة ونمسين بما فيها من البحرية .

وأما إقطاعاتها - فقال في "مسالك الأبصار" : إن إقطاعاتها لا تقارب إقطاعات مصر، بل تكون على التلّين منها ، إلا في أكابر الأمراء المقربين بمحضرة السلطان، فإن إقطاعاتهم خارجة عن العادة فلا يُعتد بها . قال : ولا أعرف بالشام ما يقارب ذلك إلا ما هو لثائب دِمَشْق .

وأما بيوتاتها السلطانية - فقال في "مسالك الأبصار" : بها حِزَانَةٌ تخرج منها الإنعامات والخيل، ونِزَائِنُ سلاح، وزَرْدَخَانَاهُ، وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مختصرة، حتى لو جهز السلطان إليها جريدة وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته . قال : وكل أمير أمر فيها أو في غيرها من الشام أو ربّ وظيفة ولى وظيفة من عادة متوليها لئس خِلمَةً أو خدم أحد خدمة في مهم من المهمات أو أمر من الأمور يستوجب خِلمَةً أو إنعاماً ولم يُخلع عليه من مصر كان من دِمَشْق خِلمَتُهُ وإنعامه ، ومنها تخرج أعلام الإمرة وطلائهن وشعار الطليعاناه . وفي نِزَائِنُ السلاح بها تُعْمَلُ المِجَانِيقُ والسلاح، ويحمل إلى جميع الشام وتعمربه البلاد والقلاع ، ومن قلعتها تجرد الرجال وأرباب المستائع إلى جميع قلاع الشام، وتسحب في التجاريد والمهمات .

قلت : أما باق البيوت كالتفرّاش خاناه والإصطبلات السلطانية وما شاكلها ، فلا وجود لها فيها مما ينسب إلى السلطان، بل يكون ذلك للثائب قائماً مقام السلطان لأنه في الحقيقة السلطان الحاضر، وكان بها مطابخ السكر السلطانية فاضيفت إلى من يتحدث في الأغوار من الثائب أو غيره من الأمراء الأكابر .

الضرب الثاني

(في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تباين مراتبهم ، ووظائفها
المعتبرة على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف)

وهي مضاهية لوظائف أرباب السيوف بالحضرة السلطانية في كثير منها ،
وهي عدة وظائف .

(منها) نيابة السلطنة بها - وهي أجل نيابات المملكة الشامية وأرفعها في الرتبة ،
ونائبها يضاهي النائب الكافل بالحضرة السلطانية في الرتبة والألقاب والمكتابة ، ويعبر
عنه في المكتبات السلطانية وضرها "بكافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس"
ويكتب له من الأبواب السلطانية تقليد شريف من ديوان الإنشاء الشريف ،
وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنيابته ، ويكتب عنه
الواقيع الكريمة ، ويكتب عنه المربعات بتعيين إقطاعات الجند ، وتجهز إلى الأبواب
الشريفة فيشملها الخط الشريف السلطاني ، ويترتب حكم المربعات المصرية والناشير
على حكمها كما سيأتي في الكلام على المناشير في موضعها إن شاء الله تعالى ، وهو يكتب
على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد ، ومعه يكون
نظر البهارستان النوري بدمشق كما يكون نظر البهارستان المنصوري بالقاهرة مع
اتابك العساكر ، وكذلك يكون معه نظر الجامع الأموي بها .

(ومنها) نيابة القلعة بها - وهي نيابة منفردة عن نيابة السلطنة ، ليس لنائب السلطنة
عليها حديث ، وولايتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف يكتب من ديوان

الإنشاء الشريف . قال في "التتيف" : وكان عادة نائها في الأيام المنقذمة مقدم ألف ، ثم أستقرت بعد ذلك طبلخاناه ، وهى على ذلك إلى الآن . ومن شأنه حفظ القلعة وصونها ، ولا يسلم مفتاحها لأحد إلا لمن يتولاها مكانه أولم يأمره السلطان بتسليمه له . ولناؤها أجناد بحرية مقيمون في القلعة لخدمته ، ولا يحضر هو ولا أحد منهم دار النيابة بالمدينة ، ولا يركبون في الغالب . وقد أخبرنى بعض أهل المملكة أن بالقلعة طبلًا مرتبًا لاستعلام أوقات الليل إذا أذن للعشاء الآخرة ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ضربة واحدة إلى أن ينقضى ثلث الليل الأول . فإذا دخل الثلث الثانى ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ضربتين إلى انقضاء الثلث الثانى . فإذا دخل الثلث الثالث ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ثلاث ضربات إلى أن يؤذن للصبح . قال : وهكذا شأن سائر القلاع بالمالك الشامية .

(ومنها) المحبوبة - وكان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون فيما يقال ثلاثة حجاب ، أحدهم حاجب الحجاب ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير حاجب ، وعادته أن يكون مقدم ألف من الزمن القديم وهلم جرا ، وهو الرتبة الثانية من النائب ، ومن شأنه الجلوس بدار العدل ، ولا يقف كما يقف حاجب الحجاب بين يدى السلطان بالديار المصرية ، وإذا خرج النائب عن دمشق في مهم أو غيره ، كان هو نائب القبة عنه . وإذا برز مرسوم السلطان بالقبض على نائب السلطنة بها ، كان هو الذى يقبض عليه ويفعل فيه ما يؤمر به من يحسن أو غيره ، ويقوم بأمر البلد إلى أن يُقام نائب آخر . والحاجبان الآخران طبلخانان أو طبلخاناه وعشرة ، وربما كانوا أربعة : حاجب الحجاب وثلاث طبلخانات أو طبلخانان وعشرون أو عشرة أو غير ذلك ، ورتبهم في المواكب أن يكون حاجب الحجاب والذى يليه في الرتبة مينة والثانى ميسرة . ثم صاروا في الأيام الظاهرية برقوق خمسة أو ستة .

ولم تجر العادة بأن يُكتب لأحد منهم مرسومٌ شريف من الأبواب الشريفة عند ولايته، ولا مدخلٌ للنائب بها في كتابة ما يوقع لأحد منهم .

(ومنها) شدُّ المُهمَّات - وهي رتبته جليلة ، وموضوعها التحدث في أمور الاحتياجات السلطانية، وتارة لنائب السلطنة بدمشق، وتارة لحاجب الحجاب، وتارة لبعض الأمراء من المتقدمين والطلبانات بحسب ما يقتضيه رأى السلطان .

(ومنها) تَقَابَةُ القلعة بها - وهي إمرة عشرة مرسوم شريف ، يكتب له من الأبواب الشريفة .

(ومنها) تَقَابَةُ النقباء - وهما نقيان : نقيب لليمنة ونقيب لليسرة .

(ومنها) الحِزْنَادِيَّة - وموضوعها التحدث على الخلع والنفاريف السلطانية بالقلعة وعادتها أربعة طواشيءٍ خُصِيَانٌ بعضهم أعلى رتبة من بعض ، أحدهم في رتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرين، والثاني دونه، والثالث دونه، والرابع دونه ، وكل منهم له توقيع كريم من نائب السلطنة بِدِمَشْقٍ على قدر رتبته .

(ومنها) تَقَابَةُ الجيش - وفيها ثلاثة نقر، أكبرهم يعبر عنه بنقيب النقباء ، تارة يكون أمير طبلخاناه، وفي غالب الأوقات أمير عشرة، ودونه آثنان من جند الحلقة . ويكتب لكل منهم توقيع كريم من النائب على قدر رتبته .

(ومنها) شدُّ البدواوين - وموضوعها التحدث في استخراج الأموال السلطانية رفيقا للوزير كما في الديار المصرية ، وكانت في الأيام المتقدمة إمرة طبلخاناه ، ثم استقرت إمرة عشرة . وهي الآن جندى من أجناد الحلقة ، ويكتب لتوليها توقيع كريم من النائب .

(ومنها) شدُّ الأوقاف - وموضوعها التحدث على أوقاف المسلمين بِدِمَشْقٍ ، وعادتها إمرة عشرة . ودعا كانت طبلخاناه، ويكتب لتوليها توقيع كريم من النائب .

(ومنها) شدّ الخالص - وعادته طلبناه أو عشرة أيضا .

(ومنها) شدّ الزكاة - وموضوعها التحدث على متجر الكارم ونحوه ، وكانت في الزمن المتقدم امرأة عشرة ، وهى الآن جندى ، ويكتب لمثولها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ العشر - وموضوعها التحدث في واصل الفرج ، وكانت امرأة عشرة ، وهى الآن جندى ، ويكتب لمثولها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ دار الطعم - وهى بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، ولولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وعادتها امرأة عشرة أو مقدم حلقة أو جندى ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدث في أمر الشرطة كما في سائر الولايات ، وعادتها امرأة عشرة ، وربما وليها جندى ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) المهندارية - وموضوعها تلقى الرسل الواردين ، في أمور أخرى كما في الديار المصرية . وقد أخبرنى بعض أهل المملكة أنه كان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون في نيابة الأمير تترك مهنداراً واحداً مقدّم ألف ، ثم استقرت في الدولة الإشرافية "شعبان بن حسين" فخرين ، وهى على ذلك إلى زماننا ، وهما الآن أمير عشرة ، وجندى ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) أمير اخورية البريد - وموضوعها التحدث على خيول البريد يدمشق ونواحيها . وأخبرنى بعض أهل هذه المملكة أنه لم يزل بها أمير عشرة من الأيام الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن .

(ومنها) تقدمة البريد - وموضوعها التحدث على جماعة البريدية يدمشق . وأخبرنى بعض أهل المملكة أنها كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون منحصرة

في واحد من جملة البريدية، ثم أستقر فيها الآن آثنان إما إمرة عشرة وإمرة خمسة، أو إمرة خمسة وجندى، أو نحو ذلك، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته .

(ومنها) شُدود صغار متعددة، يولى بها أجناد بتوقيع لهم عن النائب : كشّد دار الطيّخ والفاكهة ، وشّد المسابك من الحديد والحاس والزجاج وغير ذلك ، وشّد الموارد الحشيرية ونحو ذلك . وكان لمطابخ الشّكر شّد مفرد يولى بتوقيع كريم عن النائب، ثم أستقر ذلك مضافا لمن يتحدّث على الأغوار من النائب أو غيره .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المنسقر مثلهم بالحضرة السلطانية : كراس نوبة، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، وأمير اخور ، وأمير جندار ، وأستادار المباشرة، وأستادار الصحبة ، وشاذ الشراب خاناه، والباشكير، ومقدم المايليك ونحوهم، فلا وجود لهم هناك . وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء .

الصنف الثاني

(الوظائف الدّيوانية ، وهى عشر وظائف)

(منها) الوزارة ... وهى تارة تملورتيه صاحبها بأن يكون جليل القدر، كما إذا كان قد تقدّمت له ولاية وزارة بالديار المصرية أو نحو ذلك فيصرّح له بالوزارة ، وتارة تمصّر رتبته عن ذلك فيطلق عليه ناظر المملكة الشامية ، ولا يُسمع له من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية باسم الوزارة ، وإن كان الجارى على ألسنة العامة إطلاقاً لفظ الوزير عليه . وكيفما كان فإنما يولى السلطان من الأبواب الشريفة . إن كان وزيراً كتب له تقليد، وإن كان ناظر المملكة كتب له مرسوم . قلت : وقُل أن

يليا أر باب السيف، فإن وقع ذلك آحتاج معه إلى ناظر مملكة كما يكون ناظر الدولة مع الوزير ربّ السيف بالديار المصرية .

(ومنها) كتابة السّر - ويعبر عن متوليا في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس، ولا يقال فيه : صاحب دواوين الإنشاء كما في الديار المصرية . على أنها تضاهى كتابة السر بالديار المصرية في الرئاسة ورفعة القدر . وموضوعها على نحو ما تقدم في الديار المصرية . وكيفما كانت فإنما يؤتى من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، ويحترز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهسم ليطالعه بخفيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يخفيه عن السلطان . وبدويانه تُكتب الدُست وتُكتب الدرّج كما بالديار المصرية، ويقال إنه كان عدّة تُكتب الدُست في الأيام الناصرية ابن قلاوون نفرين وتُكتب الدرّج جماعة يسيرة، ثم زاد الأمر كما في الديار المصرية . ولولايات تُكتب الدُست وتُكتب الدرّج بتوقيع كريمة عن النائب دون الأبواب الشريفة .

وأخبرني بعض أهل دمشق العارفين بأحوال المملكة أن كاتب السّر في الزمر المتقدم لم يكن يحضر دار العدل مع النائب، وإنما كان يحضر تُكتب الدُست فقط فيوقعون بما يحتاج إليه في المجلس وينصرفون إلى كاتب السر فيخبرونه بما اتفق، وكاتب السّر يجتمع بالنائب في أوقات مخصوصة فيما يتعلق بالأمور السلطانية فقط، وكانت كاتب السّر ربما داجم عليه الموقعون فيما يقع بدار العدل فيلحقه بعض الخلل . فلما ولي كتابة السّر القاضي ... (١) ... سعى السعى العظيم حتى أُذن له في الحضور بدار العدل والتوقيع فيه، وأستمر ذلك إلى الآن .

(ومنها) نظر الجيش - وموضوعه التحدث في الإقطاعات : إما في كتابة مربعات نُكْتُبُ بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوقّرة عن أربابها بالموت ونحوها وتكليفها بخلوط ديوانه، ويجهزها النائب إلى الأبواب الشريفة ليشملها الخط الشرفي السلطاني ، وتحمل إلى ديوان الجيش بالديار المصرية فتجعل شاهداً غليظاً فيه ، وتكتب منه مربية ، بمقتضاها يخرج المنشور على نظيرها كما تقدّمت الإشارة إليه . وإما في إثبات المناشير الشريفة التي تصدر إليه من الأبواب السلطانية بديوانه حفظاً لحسابات المقطعين . وليس بالشام كتابة مناشير أصلاً ، بل ذلك مختص بالأبواب السلطانية ، فإن كان فيه كتابة الدست وقّع بدار العدل في حملة الموقعين وإلا فلا . وإذا كان موقفاً جلس بجلس ناظر الجيش وإن كان متاخراً في القدمة عن غيره من الموقعين ، وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف . وبديوانه علة مباشرين من صاحب ديوان وكُتّاب وشهود ، ولأيتهم عن النائب بتوقيع كريمة . وناظر الجيش هو الذي يحكم في المحاكمات الديوانية كما يحكم فيها مستوفى المرتجع بالديار المصرية .

(ومنها) نظر المهمات الشريفة - وهي وظيفة جلييلة يكون متوليها من أرباب الأقاليم وفقاً لشاذ المهمات المتقدم ذكره من أرباب السوف : من النائب أو حاجب الخُجّاب أو غيرها . وهي تارة تضاف إلى الوزارة ، وتارة تُفرد عنها بحسب ما يراه السلطان . ولولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وبهذا الديوان علة مباشرين من كُتّاب وشهود ، فيوليهم النائب بتوقيع كريمة

(ومنها) نظر الخاص - وموضوعه هناك التحدث فيما يتعلق بالمستأجرات السلطانية وغيرها من الأغوار وما يجري مجراها ، وربما أضيف نظرها للوزير .

(ومنها) نظرا لحُرارة، ويعبر عنها بالخزانة العالية . ومتوليها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشيّة المتقدم ذكرهم . فيكون متحدثا في أمر التشريف والجلع وما معها، وهى وظيفة جليلة يوليها النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا لبيارستان الثورى - وقد صار النظر عليه معدوقا بالنائب، يقوَّض التحدث فيه الى من يختاره من أرباب الأقلام .

(ومنها) نظرا لجامع الأموى - وفى الغالب يكون مع قاضى القضاة الشافعى .
(ومنها) نظرا خزائن السلاح - وموضوعها كما فى الديار المصرية ، وولايتها من لئائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا للبيوت - وموضوعها على ما تقدم فى الديار المصرية ، وولايتها من النائب بتوقيع كريم . وأخبرنى بعض الدسّيشيين أن هذه الوظيفة آسم على غير مسى لاحقيقة لها ولا مباشرة، لعدم البيوت السلطانية هناك .

(ومنها) نظرا بيت المال - وحكمها كما فى الديار المصرية .
(ومنها) نظرا ديوان الأسرى - وهو التحدث فى الأوقاف التى تُعدى بها الأسرى .
(ومنها) نظرا الأسواق - وموضوعها كما تقدم فى الديار المصرية من التحدث على سوق الرقيق والخيل ونحوها، وولايتها من النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا مراكز البريد - ومتوليها يكون رفيقا لأمير اخور البريد المتقدم ذكره، وولايته من النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا الحوطات - وهو على نحو من استيفاء المرتجع بالديار المصرية فى تحصيل الأموال السلطانية .

أما الحكم فى المحاكمات الديوانية، فيختص بناظر الجيش كما تقدم ذكره .

(ومنها) نظر المسابك - ومتولى يكون رفيقا لشاذ المسابك المتقدم ذكره في أبواب السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم . قلت : ويضم إلى كل نظر من هذه الأنظار مباشرتون : من شهود وغيرهم ، يكتب لذوى الصوب منهم تواقع كريمة عن النائب بوظائهم ، في أنظار أخرى لا يسع استيفائها : كنظر المواريث الحشرية وغيرها . وبما أهمل من الأنظار بها نظر مطابخ السكر كما أهمل شذوها لإضافتها إلى المتحدث في الأغوار على ما تقدم ذكره في الكلام على وظائف أبواب السيوف .

الصف الثالث

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية؛ وهى عدة وظائف أيضا)
(منها) قضاء القضاة - وبها أربع قضاة من المذاهب الأربعة على الترتيب المتقدم في الديار المصرية . فأعلام الشافعي وهو المتحدث على المواضع الحكيمة والأوقاف وأكثر الوظائف؛ ويختص بثولية التواب في النواحي والأعمال بجميع أعمال دمشق حتى في غزوة، ويليه في الرتبة الحنفى، ثم المالكي، ثم الحنبلي. وكان استقرار القضاة الأربعة بها بعد حدوث ذلك بالديار المصرية، لكن لم تستقر الأربعة دفعة واحدة كما وقع في الديار المصرية في الدولة الظاهرية ببيرس، بل على التدرج . وأقدمهم فيها الشافعي؛ وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة بتواقع شريفة .

(ومنها) قضاء العسكر - وموضوعه كما تقدم في الديار المصرية، وبها قاضيا عسكر شافعي، وحنفي، وليس بها مالكي، ولا حنبلي؛ وولايتهما من الأبواب الشريفة السلطانية بتواقع شريفة .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وهى على ما تقدم في الديار المصرية أيضا، وبها مفتيان شافعي وحنفي؛ كما في قضاء العسكر، وولايتهما عن النائب بتواقع كريمة .

(ومنها) وكالة بيت المال - وموضوعها ما تقدم في الديار المصرية ، ولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ووكالته مثبتة على الحكم ^(١) مُقَدَّة . ولكن لاجلوس له بدار العدل كما يجلس وكيل بيت المال بالديار المصرية ، إلا أن يكون كاتب دست فيجلس بواسطتها في جملة الموقعين لا بالوكالة .

(ومنها) نقابة الأشراف - والأمر فيها كما في الديار المصرية ، ولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وقد تقدم في الكلام عليها في الديار المصرية أنه كان من حقها أن تورد في جملة وظائف أرباب السيوف إذ يكتب في توقيع متوليها "الأميرى" وإن كان متعها ، وإنما التغليب العرفي اقتضى ذكرها في جملة وظائف أرباب الأقاليم .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - وموضوعها كما في الديار المصرية : من التحدث على جميع الخواص والفقراء بدمشق وأعمالها ، والعادة أن يكون متوليها شيخ الخساقاه الشيمصاتية بدمشق ، ولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) الحسبة - وهي كما تقدم في الديار المصرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولايتها عن النائب بتوقيع كريم . ولا مجلس لمتوليها بدار العدل كما يجلس محتسب القاهرة بدار العدل في الديار المصرية ، وإليه ولاية تواب الحسبة بجميع أعمال دمشق .

(ومنها) انقطاعات المدفوعة بنظر النائب - فيولى فيها بتواقيع كريمة حتى إنه ربما كتب عنه التواقيع بخطابة الجامع الأموى ، وإن كان الغالب أنها لاتولى إلا من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، وقد صارت مضافة لقاضى القضاة الشافعى .

(ومنها) التداريس - وتختلف باختلاف حال من يتولاها في الرقعة وغيرها ، ولاياتها عن النائب بتواقيع كريمة غالبا والله أعلم .

(١) الأولى ثابتة ، وقد جرى في التعبير العرف العام .

الصنف الرابع

(من الوظائف يَدْمَشْقَ وظائف أرباب الصناعات)

(منها) رياسة الطب، ورياسة الكحالين، ورياسة الجرائمية - وكلها على نحو ما تقدم في الديار المصرية؛ وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب. أما مهتارية البيوت وما في معناها، فهناك تختص بالنائب لقيامه مقام السلطان واختصاص البيوت به.

الصنف الخامس

(وظائف زعماء أهل الذمة بها)

وفيها بطرك النصارى البعلبكية، وبطرك النصارى المملوكية، ورئيس اليهود القرائين والربانيين، ورئيس السامرة، ولكنه مقيم بمدينة نابلس التي هي مدينتهم المعظمة عندهم، وإلى طورها حججهم، وله نائب مقيم بدمشق. قلت: وربما كتب عن السلطان من الأبواب الشريفة بتواقيع ومراسيم بالحل^(١) على ما تصدر ولايته عن النائب، وربما كتب به عنه ابتداء.

الجملة الثالثة

(في ترتيب النيابة بها)

وتوافق ترتيب السلطنة في الديار المصرية في بعض الأمور، وتخالفها في بعض. وكان عادة النائب بها في المواكب أن يركب في العسكر من الأمراء ومقدمي الحلقة وأجنادها في كل يوم اثنين وخميس، ويخرجون إلى سوق الخليل تحت القلعة فيسيرون

(١) المراد بتثيت ما يصدر عن النائب كما تفيد البقية.

خيولهم ، وتعرض عليهم خيول المنادة وغيرها من آلات السلاح ونحوها ، وينادى بينهم على العقار من الدور والضياح وغيرها ، ولا يتعدون سوق الخيل إلى غيره . أما الآن فإنهم قد رفضوا التسيير بسوق الخيل ، وصار النائب يخرج بالسكر إما إلى ميدان ابن أتابك ، وإما إلى قبة يلغا : قبلى دَمَشَق ، وإما إلى المزة غربى دَمَشَق ، وإما إلى القابون شمالى دَمَشَق على حسب ما يختاره ، فيسيرون هناك بدلا من تسييرهم بسوق الخيل ، ولا يسيرون بسوق الخيل إلا في يوم مهم من حضور رُسل من بعض الملوك الغرباء ونحو ذلك . فإذا فرغوا من التسيير عند ارتفاع النهار ، عاد النائب في موكبهِ حتى يأتى باب الحديد من ابواب القلعة ، ويقف الأمراء على ترتيب منازلهم ، وينادى بينهم على العقار والدور وغيرها ، وكذلك انطويل والسلاح . ثم يسير النائب إلى دار النيابة ، فإن كان في الموكب ستماط تقدم الأمراء في خدمته ، ويترجل مساليكه من سوق الخيل ، ثم الأمراء على القرب من دار النيابة على ترتيب منازلهم حتى يكون ترجل المقدمين على باب دار النيابة ، ويبقى النائب راجلا وحده حتى ينتهى إلى قاعة عظيمة معدة للجلوس في المواكب بمثابة الإيوان الذى يجلس فيه السلطان بقلعة الجبل بالديار المصرية ، ويصعد بها كرمى من خشب مغشى بفشاء من الحرير الأطلس الأصفر ، وعليه سيف نجماء ، مسند إلى صدره ، فيجلس النائب بصدر القاعة على مقعد مختص به ، لا يشاركه أحد في الجلوس عليه ، وخلفه بشمبغ منصوب وراء ظهره ككاهنة الأمراء ، ويكون الكرمى المذكور على شماله على نحو ثلاثة أذرع منه ، ويجلس قاضى القضاة الشافى عن يمين النائب على نحو ثلاثة أذرع منه ، مسندا ظهره إلى جدار صدر القاعة ، ويجلس قاضى القضاة الحنفى عن يمينه ، وقاضى القضاة المالكى عن يمين الحنفى ، وقاضى القضاة الحنبلى عن يمين المالكى ؛ وقاضى العسكر الشافى عن يمين قاضى القضاة الحنبلى ، وقاضى العسكر

الحنفى عن يمين قاضى السكر الشافى، صفاً مساوياً للنائب فى صدر القاعة، ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقاً لمقعدته الذى هو جالس عليه، جاعلاً يمينه إلى جدار صدر القاعة وظهره إلى جهة الكرى بأعتراف قليل لمواجهة النائب، وتُكَّاب الدست بالميسرة تحته بالتدرج على حسب القُدِّمة صفاً ممتداً من كاتب السر إلى جهة باب القاعة، ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر على سمت يمين قاضى القضاة الحنبل، ويجلس ناظر الجيش تحته، وتُكَّاب الدست باليمين تحته ناظر الجيش على الترتيب بالقُدِّمة أيضاً، أخذاً من الوزير إلى جهة باب القاعة، فيصير كاتب السر والوزير ومن يسامتهما صفين متقابلين، ويجلس أتابك السائر من الأمراء فى رأس الميمنة خلف الوزير على بُعد، وبقيّة الأمراء المتقدمين تحته على الترتيب بحسب القُدِّمة، وأمراء الطلخاناه باليمين تحتمهم كذلك حتى يصيروا صفاً آخر كصف الوزير ومن معه، ويجلس المتقدمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه وتحتمهم الطلخاناه على الترتيب المتقدم صفاً آخر مقابلاً لصف الميمنة، بحيث يكون أوله خارجاً عن يسار الكرى. ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع، وبينه وبين رأس الميسرة نحو عشرة أذرع، وتقف طائفة من أمراء العشرات والخمسات ومقدمى الحلقة باليمين صفاً مستقيماً خلف الأتابك والأمراء الجلوس فى صفّه على ترتيب منازلهم، ويقف مماليك النائب عن يسار الكرى صفاً أخذاً من خلف أول مقدمى الميسرة بأعتراف فيه إلى خلف، وطائفة من مقدمى الحلقة خلف الأمراء الجالسين فى الفرجة الواقعة بينهم وبين مماليك النائب، ويجلس صاحب الحجاب أمام النائب فى آخر صفى الموقفين المتأخرين من كاتب السر والوزير نيابةً إلى صف الميمنة، ويقف بقيّة الحجاب خلفه، وتُقبَّاء الجيش خلفهم. وترفع القصب فيتناولها ثقباء الجيش ويوصلونها إلى

حاجب المحجَّب فيتناولها ويقوم فيوصلها إلى كاتب السرفيفزقها على الموقعين .
ويتبدى هو بالقراءة فيقرأ ما بيده من القصص ويوقع عليها بما يرسم به النائب ،
ثم يقرأ الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر صفه . فإذا فرغ ذلك الصف من القراءة ،
قرأ من هو أول الصف الذى فى جانب الوزير ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر
الصف . فإذا انتهت القراءة ، قام القضاة ومن فى صفهم وكاتب السر والوزير وناظر
الجيش وسائر أرباب الأعلام فينصرفون . فإذا انقضى المجلس وأنصرف القضاة
ومن معهم ، مد السباط ، ويجلس النائب على رأس السباط والأمراء ومقدمو الحلقة
على ترتيب منازلهم فيأكلون ، ثم يرفع السباط ويحول النائب إلى طرف الإيوان
فيجلس فيه ، ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتى المحاميات فيفصلها ،
ويقرأ عليه كاتب السر ما يقع فى ذلك المجلس من القصص ، ويتكلم مع ناظر الجيش
فيما يتعلق بأمر الجيش والإقطاعات ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف كاتب
السر وناظر الجيش .

قال فى "مسالك الأبصار" : وتزيد عساكر الشام على غيرها ركوب يوم السبت .
قلت : وهو ركوب مجزئ ليس فيه دار عدل ولا سباط . على أنه ربما أهل
حضور دار العدل ومد السباط فى يومى الإثنين والخميس أيضاً كما فى الديار المصرية .

المقصود الثانى

(فى ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ، وهو على ضرين)

الضرب الأول

(ماهو خارج عن حاضرتها من النيابات والولايات)

قد تقدم أن لدمشق أربع صَفَقَات : غربية (وهى الساحلية) ، وقلبية .
وشمالية . وشرقية . وفى الصفقة الأولى وهى الغربية نيابتان ونمس ولايات .

فأما النيابتان :

فالأولى - (نيابة غزّة) أو تقدمه العسكرية على ما أتى بيانه إن شاء الله تعالى .
ومعاملاتها بالدنانير والدراهم الثقيرة ، وصنّجتها في الذهب والفضة كصنّجة الديار
المصرية . وكان بها فلوس كل ثمانين منها بدرهم ، ويعبر عن كل أربعة منها بحبة ،
ثم راجت بها الفلوس الجُدّد في أوائل الدولة الناصرية "فرج بن برقوق" ولكن كل
سبعة وثلاثين قلّسا منها بدرهم ، ورطلها سبعمائة وعشرون درهما بالدرهم المصري ،
وأواقه اثنا عشرة أوقية ، كل أوقية ستون درهما . وميكلائها معتبرة بالفرارة . وكل
غرارة من غرائرها ثلاثة أرواب بالمصري ، وقياس قماشها بالذراع المصري ، وأرضها
معتبرة بالفدان الإسلامي والفدان الرومي على ما تقدّم في دمشق ، وجيوشها مجتمعة
من الترك ومن في معانهم ومن العرب والتركيان ، وبها من الوظائف النيابية ، ثم تارة
يصرح لنايتها بنباية السلطنة . وبكل حال فنائبها أو مقدم العسكرية لا يكون
إلا مقدم ألف ، وبها أمراء الطليخان والعشيرات والخمسات ومن في معانهم ، وفيها
من وظائف أرباب السيوف المحبوبة ، وحاجبها أمير طليخاناه ، وولاية المدينة
وولاية البر ، وشدة الدواوين ، والمهندارية ، ونقابة النقباء وغير ذلك .
وبها من الوظائف الديوانية كاتب درّج ، وناظر جيش ، وناظر مال ، وولايتهم
من الأبواب السلطانية ؛

ومن الوظائف الدينية قاض شافعي ، وولايته من قبيل قاضي دمشق
إذا كانت غزّة تقدمه عسكر وإلا فهي من الأبواب السلطانية ، وقاض حنفي
قد استحدثت ، وولايته من الأبواب السلطانية ، وبها المحتسب ، ووكيل بيت المال
ومن في معانهم ، وكلهم نواب لأرباب هذه الوظائف يدسّق كما في القاضي الشافعي :
وليس بها قضاء عسكر ولا إفتاء دار عدل .

الثانية - (نيابة القدس) - وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة وأن النيابة استُعدت فيها في سنة سبع وسبعين وسبعائة، ونيابتها إمرة طبخاناه، وقد جرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام، ومعاملتها بالذهب والفضة والفلوس على ما تقدم في معاملة دِمَشْقَ، ورطلها ^(١) وكلها يعتبر بالغرارة، وضرارتها ^(١) وقياس قاشها بذراع ^(١)، وبها من الوظائف غير النيابة ولاية قلعة القدس، وواليها جندي، وكذلك ولاية المدينة، وكانت توليتها أولاً من جهة نائب السلطنة بدِمَشْقَ، ثم أخبرني بعض أهل المملكة الشامية أن ولاية والي القلعة وولاية البلد صارتا إلى نائب القدس من حين استقرت نيابة، وكذلك ولاية بلد الخليل عليه السلام. وبها قاض شافعي ومحتسب نائبان عن قاضي دِمَشْقَ ومحتسبها، وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن أرباب الوظائف بدِمَشْقَ.

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية الرملة) - وكانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من الولايات الصغار بها جندي، ثم استقرت بها في دولة الظاهر برقوق كاشف أمير طبخاناه، ثم حدثت مكابته عن الأبواب السلطانية بعد ذلك.

الثانية - (ولاية لد) - وقد كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون ولاية صغيرة بها جندي، ثم أضيفت إلى الرملة حين استقرت بها الكاشف المتقدم ذكره.

الثالثة - (ولاية قاقون) - وكان بها في الأيام الناصرية جندي، ثم أضيفت إلى كاشف الرملة عند استقراره.

الرابعة - (ولاية بلد الخليل عليه السلام) - وكان في الأيام الناصرية بها جندي، ثم أضيفت إلى القدس حين استقرت النائب به.

(١) بياض بالأصل في هذه المواضع ولعلها مثل الذي تقدم في غرة لتقارب الأمانة.

الخامسة - (ولاية نابلس) - وهي باقية على حالها في الأفراد بالولاية ، ووالها تارة يكون أمير طبلخاناه ، وتارة أمير عشرين ، وتارة أمير عشرة .
وأما الصفقة الثانية وهي القبيلة ، فيها نيايتان وثمان ولايات .
فأما النيايتان :

فالأولى منهما (نيابة قلعة صَرْخَد) - قال في " التعريف " : قد يجعل فيها من يَحْطُ عِزَّ ربة السلطنة أو تَكُونُ نيابة معظمة ، وذكر نحوه في " مسالك الأبصار " وكأنه يشير إلى ما كانت عليه في زمانه ، فإنه من جملة من كان نائبا بها العادل كتبنا بعد خلعها من السلطنة ، ثم انتقل منها إلى نيابة حماة . وأعلم أن صَرْخَد المذكورة قلعة لها وآل خاص . قال في " التحقيق " : وهي من القلاع التي يستقل نائب الشام بالتولية فيها .

الثانية - (نيابة بَجْلُون) - وقد أشار في " التحقيق " إلى أنها نيابة حيث قال : وَبَجْلُونُ إن كانت نيابة فإن نائب الشام يستقل بالتولية فيها ؛ ولم تجرله عادة بمكاتبة من الأبواب الشريفة .

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية بَيْسَانَ) - ووالها جُنْدِي .

الثانية - (ولاية بَايَاسَ) - ووالها جُنْدِي تارة ، وتارة إمرة عشرة .

الثالثة - (ولاية قلعة الصُّبَيْيَّة) - وكانت ولاية صغيرة وبها جُنْدِي ثم أضيفت إلى بَايَاسَ .

الرابعة - (ولاية الشُّعْرَا) - وكانت في الأيام الناصرية مضافة إلى بَايَاسَ . وهي الآن ولاية مفردة ، ووالها جُنْدِي .

(١) أي إن جلست الصلت ولاية مفردة وإلا فمبسة .

الخامسة - (ولاية أذَرَعات) - قال في "التعريف" : وبها مقر ولاية الحاكم على جميع الصفقة ، ثم الحاكم على جميع الصفقة تارة يكون طبلخاناه وتكون ولايته عن نائب الشام ، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . أخبرني بعض مُكَلِّب دَسْت دِمَشَق أنه إن كان مقدم ألف ، سُمِّي كاشف الكُشَاف وإن كان طبلخاناه سُمِّي والي الولاية وهو الغالب .

السادسة - (ولاية حُسْبَان والصَّلْت) - من البقاء . أخبرني القاضي ناصر الدين ابن أبي الطيب كاتب السريدِمَشَق أنها إن جمعا لوال واحد كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة ، وإن أفرد كل منهما لوال كان جُنْدِيَا .

السابعة - (ولاية بُصْرَى) - وواليها جُنْدَى أيضا .

الصفقة الثالثة الشمالية . وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات .

فأما النيابة (فنيابة بَعْلَبَك) - وقد كانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون إمرة عشرة ، ثم صارت الآن إمرة طبلخاناه ، وبكل حال فنائب الشام هو الذي يستقل بولايتها ، وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال في "التعريف" : ولها ولاية خاصة يعنى غير ولاية المدينة ، وقد كانت في الدولة الأيوبية مفردة في الغالب بملك بمفردها .

وأما الولايات :

فالأولى - منها (ولاية البَقَاع البَعْلَبَكِي) - قال في "التعريف" : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَعْلَبَك ، وهما مجموعتان لوال واحد جليل مفرد بذاته ، وهما على ما ذكره من جمعهما لوال واحد إلى الآن ، إلا أنه تارة يليهما مقدم حَقَّة وتارة جُنْدَى .

(١) أى ولاية "البَقَاع البَعْلَبَكِي" و"البَقَاع البَزْزِي" فكان المناسب أن يذكر البَقَاع البَزْزِي أيضا كما سبق له ذكرهما في الأعمال وعظمهما بعبارة التعريف هذه فنبه .

الثانية - (ولاية يَروَت) - وولايتها الآن إمرة طبلخاناه .

الثالثة - (ولاية صَيِّداً) - قال في "مسالك الأبصار" : وهي ولاية جلييلة ، وهي على ما ذكره إلى زماننا ، تارة يليها أمير طبلخاناه ، وتارة أمير عشرة .
الصفحة الرابعة الشرقية . وبها ثلاث نيابات وأربع ولايات .
فأما النيابات :

فالأولى - (نيابة مَحْصَ) - وهي نيابة جلييلة ، وقد كانت في الأيام الناصرية في بعدها مقدمة ألف . قال في "التتقيف" : ثم استقرت طبلخاناه بعد ذلك . قال : ونائب قلعته من الممالك السلطانية . وقد تقدم أن الذِّكْر في الزمن القديم كان لها دون حماة ، وقد كانت في الدولة الأيوبية مملكة منفردة تارة ، وتضاف إلى غيرها أخرى .
الثانية - (نيابة مِصْبَاف) - وقد تقدم أنها كانت أولاً من مضافات أطرابُلُس في جملة قِلَاع الدعوة ، ثم أضيفت بعد ذلك إلى دِسْشَق ، واستقرت على ذلك إلى الآن . ونيابته تارة تكون إمرة طبلخاناه ، وتارة تكون إمرة عشرة ، وبكل حال فتوليها من الأبواب السلطانية . ونائبها لا يكتب له إلا في المهمات دون خلاص الحقوق أيضاً .

الثالثة - (ولاية صَيِّداً)^(١) - والفالب في نيابته أن تكون مقدمة ألف ، وأشار في "التتقيف" إلى أنها قد تكون طبلخاناه . قال في "التعريف" : وبقلعته بحرية وخیالة وكشافة وطوائف من المستخدمين .

(١) تقدمت في "الصفحة الثالثة الشمالية" . على أنه لم يتكلم على الولايات الأربع التي ذكرها في ترجمة هذه الصفحة ، وقد ذكر في التعريف الجملة التي تغلقها عنه في الكلام على الرحلة التي مدتها من الصفحة الرابعة وجعل ولاياتها أربعة ولايات محص ، وولاية سلبية ، وولاية قارا ، وولاية تدمر . وبالجملة فهذا الموضع يحتاج إلى تحرير .

الضرب الثاني

(من الخارج عن حاضرة دمشق العُرَّان؛ والإمرة بها في بطون من العرب)

البلن الأولى

(آل ربيعة من طيء من كَهْلَانَ من القحطانية)

وهم بنو ربيعة بن حازم، بن علي، بن مفرج، بن دَغْفَل، بن جراح، وقد تقدم نسبه مستوفى مع ذكر الاختلاف فيه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى. قال في "العبر": وكانت الرياسة عليهم في زمن الفاطميين: خلفاء مصر لبني جراح، وكان كبيرهم مفرج بن دَغْفَل بن جراح، وكان من إقطاعه الرملة. ومن ولده حَسَّان وعلي ومحمود وحرار، وولى حَسَّان بعده فعظم أمره وعلا صيته، وهو الذي مدحه الرِّيَاسِيُّ الشاعر في شعره، قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الأتابك زنكي صاحب الموصل، وكان أمير عرب الشام أيام طُغْتُكَيْن السُّلْجُوقِ صاحب دِمَشْقَ ووفد على السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فآزره وشاد بذكره. قال: وكان له أربعة أولاد، وهم فَضْل، ومراء، وثابت، ودَغْفَل. ووقع في كلام المسيحي أنه كان له ولد اسمه بدر. قال الحمداني: وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيانٌ لهم مكانة وأبهة، أول من رأيتُ منهم مائع بن حديشة وغنام بن الطاهر، على أيام الملك الكامل محمد بن الصادل أبي بكر بن أيوب. قال: ثم حضر بعد ذلك منهم إلى الأبواب السلطانية في دولة المعز أليك وإلى أيام المنصور قلاوون زامل ابن علي بن حديشة، وأخوه أبو بكر بن علي، وأحمد بن حمى وأولاده وإخوته، وعيسى ابن مَهْمَا وأولاده وأخوه، وكلهم رؤساء أكابر وسادات العرب ووجوهها، ولم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيتٌ عظيم، إلى رونق في بيوتهم ومنازلهم.

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ : لَا قِيْتُ بِهَيْدَمُ * مثلُ النُّجُومِ الَّتِي تَسِيرُ بِهَا السَّارِي
ثم قال : إلا أنهم مع بُعد صهيبتهم قليلٌ عندهم . قال في "مسالك الأبصار" :
لكنهم كما قيل :

تُعَيَّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَيْدُنَا * فقلتُ لها : إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ
وَمَا صَرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا * عَزِيزُ وَجَارِ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

ولم يزل لهم عند الملوك المكَانَةُ العلية والدرجة الرفيعة ، يُحَلُّونَهُمْ فوق كِيَوَانَ ،
وَيُنَوِّعُونَ لهم أجناس الإحسان . قال الحمداني : وَقَدْ فَرَجَ بِنَ حَبَّةٍ عَلَى الْمُعْزَايِكَ
فَأَنْزَلَهُ بَدَارُ الضِّيَافَةِ وَأَقَامَ أَيَّامًا ، فَكَانَ مَقْدَارُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ عَيْنٍ وَقِمَاشٍ وَإِقَامَةٍ - لَهُ
وَلَمِنْ مَعَهُ - سَنَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قال : وَاجْتَمَعَ أَيَّامَ "الظَّاهِرِ بَيْرِسَ" جَمَاعَةٌ
مِنْ آلِ رُبَيْعَةٍ وَغَيْرِهِمْ فَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الضِّيَافَةِ خَاصَّةً فِي الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا
الْمُقْدَارِ ، وَمَا يَتَلَمَّ مَا صُرِفَ عَلَى يَدَيَّ مِنْ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ وَالْعِلَالِ لِلْعَرَبِ
خَاصَّةً إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ آلَ رُبَيْعَةٍ قَدْ انْقَسَمُوا إِلَى ثَلَاثَةِ أَغْزَاذٍ ، هُمُ الْمَشْهُورُونَ مِنْهُمْ وَمَنْ عَدَاهُمْ
أَتْبَاعُهُمْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي عَدَدِهِمْ . وَلِكُلِّ مَنِ الثَّلَاثَةِ أَمِيرٌ مُخْتَصٌّ بِهِ .

الفخذ الأول - (آل فضل) - وهو فضل بن ربيعة المقدم ذكره ، وهم رأس
الكل وأعلام درجة وأرفعهم مكانة . قال في "مسالك الأبصار" : وَدِيَارُهُمْ مِنْ
جَنْصَ إِلَى قَلْعَةِ جَبْعِيٍّ ، إِلَى الرَّحْبَةِ ، آخِذِينَ عَلَى شِقَى الْفَرَاتِ وَأَطْرَافِ الْعِرَاقِ حَتَّى
يَنْتَهَى حَدُّهُمْ قِبْلَةَ بَشْرِقِ إِلَى الْوَشْمِ ، آخِذِينَ بِسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَلَهُمْ مِيَاهُ كَثِيرَةٌ
وَمَنَاهِلٌ مُورَوْدَةٌ :

وَلَمَّا مَنَّهُلٌ عَلَى كُلِّ حَاءٍ * وَعَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ آثَارُ .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : نقلا عن محمود بن عرام ، من بني ثابت بن ربيعة : أن آل فضل تسعوا شعبا كثيرة ، منهم آل عيسى ، وآل فرج ، وآل سميطة ، وآل مسلم ، وآل علي . قال : وأما من ينضاف إليهم ويدخل فيهم ، فرعب ، والحريث ، وبنو كلب ، وبعض بني كلاب ، وآل بشار ، وخالد حمص ، وطائفة من سنيس وسعيدة ، وطائفة من بربر وخالد الجحاز ، وبنو عقيل من كدر ، وبنو رميم ، وبنو حنيفة ، وقران ، والسراجون . ويأتيهم من البرية من عربة غالب ، وآل أجود . والبطين ، وساعدة ، ومن بني خالد آل جناح ، والصبيا من مياس ، والحجور ، والدغم ، والقرصة ، وآل سنيعة ، وآل بيوت ، والعامرة ، والمطبات من خالد . وآل يزيد من عابد ، والدوامر ، إلى غير هؤلاء من يخالفهم في بعض الأحيان . قال المقرئ الشهابي بن فضل الله : علي أني لا أعلم في وقتنا من لا يؤثر محبتهم ويظهر محبتهم . وسأني ذكر قبائل أكثر هذه العربان التي تنضاف إليهم في مواضعها إن شاء الله تعالى .

قال في "مسالك الأبصار" : وأسعد بيت في وقتنا آل عيسى . وقد صاروا بيوتا : بيت مهنأ بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى ، وبيت جاث بن عيسى ، وأولاد محمد ابن عيسى ، وأولاد حديث بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى . قال : وهؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر فيما بعد وأقرب ، وسادات الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب . وأما الإمارة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولي من الأبواب السلطانية ، ويكتب له تقليد شريف بذلك ، وليس تشريفا أطلس أسوة التواب إن كان حاضرا ، أو يجهز إليه إن كان غائبا ، ويكون لكل طائفة منهم كبير قائم مقام أمير عليهم ، وتصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولم يصرح لأحد منهم بإمرة على العرب

بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر : أنى السلطان صلاح الدين يوسف
 ابن أيوب ، أمر منهم حديثه^(١) يعنى ابن عقبة بن فضل بن ربيعة ، والذي ذكره
 قاضي القضاة ولّى الدين بن خلدون فى تاريخه أن الإمرة عليهم فى أيام العادل
 أبى بكر بن أيوب كانت لميسى بن محمد بن ربيعة ، ثم كان بعده ماتع بن حديثه^(٢)
 ابن عقبة بن فضل ، وتوفى سنة ثلاثين وستمائة ، وولّى عليهم بعده أبنته مهنا ، وحضر
 مع المظفر قطز قتال هولاكو ملك التتار وأتتبع سلمية من المنصور بن المظفر
 صاحب حماة وأقطعها له ، ثم ولّى الظاهر بيبرس عند مسيره إلى دمشق لتشجيع
 الخليفة المستعصم إلى بغداد عيسى بن مهنا بن ماتع ووفّر له الإقطاعات على حفظ
 السابلة وبقى حتى توفى سنة أربع وثمانين وستمائة ، فولّى المنصور قلاوون مكانه أبنته
 مهنا بن عيسى ، ثم سافر الأشرف " خليل بن قلاوون " إلى الشام فوفد عليه مهنا
 ابن عيسى فى جماعة من قومه فقبض عليهم ، وبعث بهم إلى قلعة الجبل بمصر فأعتقلوا
 بها وبقوا فى السجن حتى أفرج عنهم العادل كتبنا عند جلوسه على تخت سنة
 أربع وتسعين وستمائة ورجع إلى إمارته ، ثم كان له فى أيام الناصر بن قلاوون نصرة^(٣)
 واستقامة تارة وتارة ، وميل إلى التتار بالعراق ، ولم يحضر شيئا من وقائع غازان ، وفود
 أخوه فضل بن عيسى على السلطان الملك الناصر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة فولاه
 مكانه وبقى مهنا مشردا ، ثم لحق سنة ست عشرة بخدايندا ملك التتار بالعراق فأكرمه
 وأقطعته بالعراق وملك خدايندا فى تلك السنة فرجع مهنا إلى الشام ، وبعث أبنته
 عمدا وموسى وأخاه محمد بن عيسى إلى الملك الناصر ، فأكرمهم وأحسن إليهم ، ورد
 مهنا إلى إمارته وإقطاعه ، ثم رجع إلى موالاة التتار فطرد السلطان الملك الناصر آل
 فضل بإجماعهم من الشام وجعل مكانهم آل حل ، وولّى منهم حل أحياء العرب محمد

(١) فى الأصل هنا غيبة ، والذي فى الجزء الأول (ص ٣٢٥) غيبة ، فلينبه .

أَبْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَلِيٍّ ، وَصَرَفَ إِقْطَاعَ مَهْنَا وَأَوْلَادَهُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَوْلَادِهِ ، وَأَقَامَ الْحَاسِبَ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً . ثُمَّ وَفَدَ مَهْنَا عَلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَحْبَةَ الْأَفْضَلِ بْنِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ فَرَضَى عَنْهُ السُّلْطَانُ وَأَعَادَ إِمَارَتَهُ إِلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ سَلْيَانُ فَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَقِبَ مَوْتَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ سَيِّفُ بْنُ فَضْلٍ فَبَقِيَ حَتَّى عَزَلَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ "شُعْبَانَ بْنِ فَلَاحُونَ" سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَحْمَدُ بْنُ مَهْنَا بْنِ عَيْسَى فَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَّى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فِي سُلْطَنَةِ النَّاصِرِ "حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فَلَاحُونَ" الْمَرَّةَ الْأُولَى ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ قِيَاضُ بْنُ قِيَاضٍ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ جِبَارُ بْنُ جَهْمَةَ النَّاصِرِ حَسَنُ فِي سُلْطَنَتِهِ الثَّانِيَةِ ، ثُمَّ حَصَلَتْ مِنْهُ نَفَرَةٌ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ سِتِّينَ إِلَى أَنْ تَكَلَّمَ بِسَبَبِهِ مَعَ السُّلْطَانِ نَائِبُ حِمَاةٍ يَوْمُئِذٍ فَأُعِيدَ إِلَى إِمَارَتِهِ ، ثُمَّ حَصَلَ مِنْهُ نَفَرَةٌ ثَانِيَةً سَنَةَ جَعِينَ فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ "شُعْبَانَ بْنُ حَسَنِ" فَوَلِيَ مَكَانَهُ أَبْنُ عَمِّهِ زَامِلُ أَبِي مُوسَى بْنِ عَيْسَى فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ ، قُتِلَ فِي بَعْضِهَا قَشْتَمَرُ الْمَنْصُورِيُّ نَائِبُ حَلَبٍ فَصَرَفَهُ الْأَشْرَفُ وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَبْنُ عَمِّهِ مُعَيْقِلُ بْنُ فَضْلِ بْنِ عَيْسَى ، ثُمَّ بَعَثَ مُعَيْقِلُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ يَسْتَأْمِنُ لِحِبَارِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ مِنَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ فَأَمَنَهُ ، وَوَفَدَ جِبَارُ عَلَى السُّلْطَانِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ فَرَضَى عَنْهُ وَأَعَادَهُ إِلَى إِمَارَتِهِ فَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ ، فَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ قَنَارَةُ ، وَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ ، فَوَلِيَ مَكَانَهُ مُعَيْقِلُ بْنُ فَضْلِ بْنِ عَيْسَى وَزَامِلُ بْنُ مُوسَى أَبِي عَيْسَى الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهَا شَرِيكَيْنِ فِي الْإِمَارَةِ ، ثُمَّ عَزِلَا فِي سَنَتِهِمَا وَوَلِيَ مَكَانَهُمَا

(١) ذَكَرَ فِي الْعَرَبِيِّ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ مَقْطَرُ الدِّينِ مُوسَى وَوَفَاتَهُ فِي ٤٢٢ وَذَكَرَ أَنَّ سَلْيَانَ تَوَفَّى فِي ٤٣٠

وَبَدَأَ شَرَفُ الدِّينِ عَيْسَى بْنُ فَضْلِ وَوَفَاتَهُ فِي ٤٤٤ .

محمد بن جبار بن مهنا وهو نُعير، ثم وقعت منه نُفرة في الدولة الظاهرية برقوق، فولى مكانه بعض آل زامل، ثم أعيد نُعير المذكور إلى إصرته وهو باق على ذلك إلى الآن، وهو محمد بن جبار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن ماثع بن حديثة بن عقبة^(١) ابن فضل بن ربيعة.

وقد ذكر المقتز الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار": أحراء آل فضل في زمانه، فذكر أن أمير آل عيسى وسائر آل فضل أحمد بن مهنا وأمير بيت فضل ابن عيسى سيف بن فضل، وأمير بيت حارث بن عيسى قناة بن حارث. ثم قال: أما أولاد محمد بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن عيسى فاتباع.

وذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجليش في "التتيف": أنهم صاروا بيتين: وهما بيت مهنا بن عيسى وفضل بن عيسى. وذكر من أكابرهم عساف بن مهنا وأخاه عتقا، وزامل بن موسى بن مهنا، ومحمد بن جبار وهو نُعير قبل الإمرة، وعواد ابن سليمان بن مهنا، وعلى بن سليمان بن مهنا، وأما بنو فضل بن عيسى فذكر منهم فضل بن عيسى، ومُعَيْل بن فضل، وقال: كان قبلهما سيف وأبو بكر. ثم قال: ومن لم يكتب أولاد قباض وبقية أولاد جبار ورقية بن عمر بن موسى ونحوهم.

. الفخذ الثاني - (من آل ربيعة آل مرا) - نسبة إلى مرا بن ربيعة، وهو أخو فضل المتقدم ذكره. قال في "التعريف": ومنازلهم حوران. وقال في "مسالك الأبصار": ديارهم من بلاد الجليثور والحولان إلى الزرقاء والفضليل إلى بصرى، ومشرقاً إلى الحرة المعروفة بحرة كشت قريباً من مكة المظلمة إلى شبة إلى نيران مزيد إلى الحصب المعروف بهضب الرافق، وربما طاب لهم البر وأبتد بهم المرعى أو أن يحصب الشتاء فتوسعوا في الأرض وأطالوا عدد الأيام والليالي حتى تعود مكة

المعظمة وراء ظهورهم، ويكاد سبيل يصير شامهم، ويصبرون مستقبلين بوجوههم الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شعبا كثيرة، وهم آل أحمد بن حمى وفيهم الإبرهة، وآل مسخر، وآل نعى، وآل بقرة، وآل شمسة .

ومن ينضاف إليهم ويدخل في أسرة أصرائهم حارثه، والخاص، ولأم، وسعيدة، ومُدجج، وفريز، وبنو محضر، وزبيد حوران: وهم زبيد صرخد، وبنو غنى، وبنو عمر قال: ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير، والمقارحة، وآل سلطان، وآل غزوى، وآل برجس، والحرسان، وآل المغيرة، وآل أبى فضيل، والزرّاق، وبنو حسين الشرفاء، ومطين، وخشم، ومدوان، وعقرة . قال: وآل مرا أبطال متاجيد، ورجال صناديد، وأقوال قلّ تكونوا حجارة أو حديدا، لا بعد منهم عترة العيسى، ولا مرأبة لأقوى، إلا أن الحظ يحط بن عمهم [بأكثر] مما يحظهم، ولم تزل بينهم نوب الحرب، ولم فأكثرها القلب . قال الشيخ شهاب الدين أبو التاء محمود الحلبي رحمه الله : كنت في نوبة حص في واقعة التار جالسا على سطح باب الإصطبل السلطاني بدمشق إذ أقبل آل مرا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسومة، والجياد المطهمة، وعليهم الكوغندات الحمر الأطلس المعدني، والديباغ الرومي، وعلى رؤوسهم البيض، مقلدين بالسيف، وبأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور، وأمامهم الميّد تيل على الركائب، ويرقصون بترافص المهارى، وبأيديهم الجنايب، التي إليها عيون الملوك صورا، ووراءهم الظفائن والحول، ومعهم مغيّة لهم تعرف بالحضمية طائفة السمعة، سافرة من المودج وهي تنفى :

وَكَا حَسْبَنَا كُلَّ بَيْضَاءِ ضَمَّةٍ * لَيْلَى لَا قَيْنَا جُنْدًا وَحَمِيرَا
وَلَا لَقَيْنَا عُصْبَةً تَغْلِيَّةً * يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْنَيْبَةِ ضَمْرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ * بَعْضُ آبَتْ عَيْدَانُهُ أَنْ تَكْثُرَا
سَقَيْنَاهُمْ كَمَا سَقَوْنَا بِمُسْلِيهِ * وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا .

وكان الأمر كذلك ، فإن الكسرة أولا كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكثرة على التار ، فسبحان منطق الألسنة ومُصَرَّف الأقدار .

الفخذ الثالث - من آل ربيعة (آل علي) - وهم فرقة من آل فضل المتقدم ذكرهم ينتسبون إلى علي بن حديشة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم مرج دِمَشْقَ وَغُوطُهَا ، بين إخوتهم آل فضل وبني عمهم آل مرا ، ومنتاهم إلى الحوف والجلبانة ، إلى السكة ، إلى البرادع . قال في "التعريف" : وإنما نزلوا غُوطَةَ دِمَشْقَ حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا وبني جاد الفرات في تلابيب التار . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت عظيم الشأن مشهور السادات ، إلى أموال حجة ونعم مخمة ومكانة في الدول عليه . وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان أميرهم في زمانه رَمْلَةَ بن جاز بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديشة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ثم قال : وقد كان جده أميراً ثم أبوه ، قلاد الملك الأشرف "خليل بن قلاوون" جده محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك مهنا بن عيسى . ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه أيضاً حين طرد مهنا وسائر إخوته وأهله . قال : ولما أُمِرَ رَمْلَةُ كان حَدَثَ السِّنِّ لحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر ، وقَدِمُوا على السلطان بتَقَادِيمِهِمْ وتَرَامَوْا على الأمراء ، وخواص السلطان ، وذوى الوظائف فلم يُحْضِرْهُمُ السلطان إلى عنده ولا أذن أحدًا منهم ، فرجعوا بعد معاينة الحين ، بِحُفَى حُتَيْنٍ ، ثم لم يزالوا يتربصون به الدوائر وينصبون له الحبال والله تعالى يقيه سيئات ما فكروا حتى صار سيد قومه ، وقرقند دهره ، والمُسَوَّدَ في عشيرته ، المَبَيَّضَ لوجوه الأيام بسيرته . وله إخوة ميامينُ كبار ، هم أمراء آل فضل وآل مرا . وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في "التثقيف" : أن الأمير عليهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان عيسى بن زيد بن جاز .

البطن الثانية

جرم (فتفتح الجيم وسكون الراء المهملة) . قال الحمداق : وأسمه ثعلبة وجرم أسم أمه ، وقد تقدم ذكر نسبه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى .
قال في "مسالك الأبحار" : وهم ببلاد غزّة والدأروم ممالي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام . قال الحمداق : وجرم المذكورة شيمجان ، وقران ، وجيان . قال : والمشهور منهم الآن جذيمة ، ويقال إن لهم نسبا في قريش ، وزعم بعضهم أنها ترجع إلى عزم . وقال آخرون : بل من جذيمة بن مالك بن حنبل ابن عامر بن ثعلبة بن غالب بن فهر . ثم قال : وجذيمة هذه هم آل عويصة ، وآل أحمد ، وآل محمود ، وكلهم في إمارة شاور بن سنان ثم في بيته ، وكان لستان المذكور أخوان فيهما سودد ، وهما غام وخضر . ومن جذيمة جامع (؟) الرازيين وبنو أسلم ، ويقال إن أسلم من جذام لا من جذيمة ولكنها أختلطت بها ، ومن جذيمة أيضا شبل ، ورضيمة جرم ونيفور ، والقدرة ، والأحامدة ، والرفعة وكور جرم ، وموقع . وكان كبيرهم مالك الموقعي ، وكان مقدما عند السلطان صلاح الدين بن أيوب وأخيه العادل ، ومنهم بنو غور ، ويقال إنهم من جرم بن جرهم من سنس ، ومن هؤلاء العاجلة ، والصمان ، والمبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ، ومن بنو جميل بنو مقدم ، ومن بنو غور آل نادر ، ومن بنو غوث بنو بها ، وبنو خولة ، وبنو هرماس . وبنو عيسى ، وبنو سبيل . وأرضهم الدأروم ، وكانوا سقراء بين الملوك ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببني فهد ثم أختلطوا بهم . قال الحمداق : فهذه جرم الشام وحلفاؤهم ، ومن جاورهم ولأذنيهم .

وأما الإمرة عليهم . فقد ذكر في "التعريف" : أن الإمرة على عرب غزّة في زمانه كانت لفضل بن حجي ، وعرب غزّة هم جرم المذكورون ، والمعروف أن

جرماً يكون لهم مقدم لا أمير . وعليه جرى القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في "التنقيف" وذكر أن مقدمهم في زمانه في الدولة الظاهرية برفوق كان على ابن فضل .

البطن الثالثة

تعلبة من طلي أيضاً . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم مما على مصر إلى الخروبة . وقد تقدم في سياقة الكلام على جرم أن تعلبة هذه من بقايا تعلبة المتقين إلى مصر ، وتقدم في الكلام على عرب الديار المصرية أن تعلبة الذي يُنسبون إليه تعلبة ابن سلامان ، وأن سلامان بطن من بطون طلي ، وأن تعلبة المذكورين بطنان : وهما دزماً ودرّيق أبنا عوف بن تعلبة وقيل أبنا تعلبة لصلبه ، وأن أسم دزماً وعمرو ، ودزماً أسم أمه فغلب عليه ، وأن من دزماً الجواهررة والحباللة والصبيحيين . قال الحمداوي : وتعلبة الشام من دزماً آل غياث الجواهررة ومن الحباللة ومن بنى وهم من الصبيحيين ، ومن أحلافهم فرقة من النميميين ومن العار والجمان ، وتقدم في الكلام على تعلبة نصر أيضاً أن بكل من تعلبة مصر والشام قوماً من خندف وقيس ومُراد ويمن .

قلت : ولم يكن في "التعريف" ولا "التنقيف" لتعلبة المذكورين ذكر لعدم من يكتب منهم إذ لم يكونوا في معنى من تقدم .

البطن الرابعة

بنو مهدي (بفتح الميم وسكون الهاء والبدال المهملة) قد تقدم في الكلام على عرب الديار المصرية أنهم أخو لخم وهو جذام بن عدى بن عمرو بن سبي من العرب العاربة ، إما من عمرو بن سبي من القحطانية كما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار"

ولما من عُدرة من قُضاعة من حمير بن سبيل من القحطانية أيضا كما صرح به في "التعريف" . قال في "التعريف" : ومنازلهم البلقاء . وقال في "مسالك الأبصار" : منازلهم البلقاء إلى ناس إلى الصنوان ، إلى علم أعفر . قال الحمداق : ومن بني مَهْدِيّ المشاطلة الذين منهم أولاد عسكرة ، والعنارة ، والنترات ، والبعاقبة ، والمطارنة ، والمغير ، والرؤيم ، والقطاربة ، وأولاد الطائية وبنو دوس ، وآل يسار . والمحاربة ، والسجاعة ، والمجاردة من بني طريف ، وبنو خالد والسلمان والقرانسية والدرالات والحملات والمساهرة والمعاورة ، وبنو عطا ، وبنو مباد وآل شبل ، وآل رويم ، وهم غير الرويم المتقدم ذكرهم ، والمحارقة وبنو عياض ، ومنهم طائفة حول الكرك يأتي ذكرهم في الكلام على عرب الكرك . قال الحمداق : ويحاورهم بالبقاء طائفة من حارثة وهم نسب بقرى بني عقيب .

وأما الإمارة عليهم فقد ذكر في "التعريف" أن إمارتهم مقسومة في أربعة منهم ، لكل واحد منهم الربع ، ولم يسم أمراء زمانه منهم . وذكر في "التثقيف" مثل ذلك ، وسمى أمراءهم في زمانه . فقال : وهم يروبر بن ذئب بن محفوظ العنسي ، وسعيد بن بحري بن حسن العنسي ، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنسي ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد المصري .

البطن الخامسة

زُبَيْدٌ (بضم الزاي) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم فرق شتى . وذكر من بالشام وغيره ولم يتعرض لنسبهم في أي أحياء العرب . وذكر الجوهري أن زُبَيْدًا اسم قبيلة ، ولم يزد على ذلك . قلت : والموجود في كتب التاريخ عند زُبَيْدٍ من

بطون سعد العَشِيرَة من مَدَّحِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبِيلٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ ، وَهَمَّ عَرَبُ
 الْيَمَنِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : أَنَّ الشَّامَ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ
 بَصْرَخَدَ ، وَفِرْقَةٌ بَغُوطَةُ دِمَشْقَ . وَذَكَرْتُ فِي "التَّعْرِيفِ" : مِنْهُمْ زُبَيْدُ الْمَرْجِ وَزُبَيْدُ
 حَوْرَانَ وَزُبَيْدُ الْأَحْلَافِ . وَذَكَرْتُ مِثْلَهُ فِي "التَّنْقِيفِ" : وَمَقْتَضَى الْجَمْعُ بَيْنَ
 كَلَامِهِ فِي "المَسَالِكِ" وَ"التَّعْرِيفِ" : أَنَّهُ تَكُونُ زُبَيْدُ نَحْمَسَ فِرْقَتَيْنِ : زُبَيْدُ
 الْمَرْجِ ، وَزُبَيْدُ الْغُوطَةِ ، وَزُبَيْدُ صَرَخَدَ ، وَزُبَيْدُ حَوْرَانَ ، وَزُبَيْدُ الْأَحْلَافِ
 وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ زُبَيْدُ الْغُوطَةِ وَزُبَيْدُ الْمَرْجِ وَاحِدَةٌ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ غُوطَةَ دِمَشْقَ
 وَمَرْجُهَا ، وَهِيَ مُتَصِلَتَانِ وَالنَّازِلُونَ فِيهِمَا كَالْفِرْقَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَزُبَيْدُ صَرَخَدَ هِيَ
 زُبَيْدُ حَوْرَانَ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : إِذْ صَرَّخَدُ
 مِنْ جَمَلَةِ بِلَادِ حَوْرَانَ . أَمَّا زُبَيْدُ الْأَحْلَافِ فَدِيَارُهُمْ بِالْقُرْبِ مِنَ الرَّجَّةِ بِجَوَارِ آلِ
 قُضَلٍ . قَالَ الْهَمْدَانِيُّ : وَالَّذِينَ بَصْرَخَدَ مِنْهُمْ آلُ مَيَّاسَ ، وَآلُ صَبْيِي ، وَآلُ بَرَّةَ ،
 وَآلُ عَمْسَنَ ، وَآلُ جَحْشَ ، وَآلُ رَجَاءَ . وَالَّذِينَ بِالْمَرْجِ وَالْغُوطَةِ آلُ رَجَاءَ ، وَآلُ
 بَدَالٍ ، وَالْدُّوسَ ، وَالْحَرِثَ ، وَهَمَّ فِي عِدَادِ آلِ رَبِيعَةَ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرُهُمْ وَذَكَرَهُمْ
 الْمَشَارِقَةُ جِيرَانَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : وَإِمْرَةُ زُبَيْدَ هَؤُلَاءِ فِي نَوَقْلٍ ، وَلَيْسَ لِلْمَشَارِقَةِ إِمْرَةٌ ،
 وَلَكِنْ لَمْ يَشُوخْ مِنْهُمْ ؛ وَأَمْرُ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى تَوَابِ الشَّامِ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ
 عَلَيْهِمْ إِمْرَةٌ ، وَدِيَارُهُمْ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْمَرْجِ وَالْغُوطَةِ إِلَى أُمِّ أَوْعَالٍ إِلَى الدَّرِيَشْدَانِ ،
 وَعَلَيْهِمُ الْمَرْكُ وَحَفِظَ الْأَطْرَافَ .



وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ ، (وَهُمُ ابْنُو إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! عَلَى مَا تَقَدَّمَ
 بَيَانُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ) ، فَالْمَشْهُورُ بِأَحْمَالِ دِمَشْقَ مِنْهُمْ قَبِيلَةٌ
 وَاحِدَةٌ ، وَهَمُ ابْنُو خَالِدِ عَرَبُ جَحْصَ . قَالَ الْهَمْدَانِيُّ : وَهَمُ يَدْعُونَ النَّسَبَ إِلَى خَالِدِ

آبن الوليد رضى الله عنه ، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على أن قرأض عقيبه . قال في "مسالك الأبصار" : ولعلهم من ذوى قرابته من مخزوم ، وكفاهم ذلك نفاًراً أن يكونوا من قريش . وقد تقدم ذكر نسب مخزوم في قريش في الكلام على بنى خالد في جملة حرب الديار المصرية فأغنى عن إعادته هنا .

قلت : ومن جملة من عده في "التعريف" من حرب الشام غزيرة ، ولم يتحذرنى هل هي من العرب العاربة أو العرب المستعربة فلذلك ذكرت بمفردها . وقد ذكر الحمداني أنهم متفرقون في الشام والحجاز وبغداد ، وفيما بين العراق والحجاز ، ولم يذكر واحد منهما منازلهم من الشام ، بل ذكر الحمداني منازلهم بالبرية والعراق خاصة . وقال : هم بطون وأنغاز ، ولم مشايخ منهم من وقّد على السلاطين في زماننا ، وأشار في "التعريف" إلى أن الغالب عليهم عدم الطاعة ، ومنهم أحلاف لآل فضل قد تقدم ذكرهم وهم غالب وآل أجود والبطنين ، وسأذكرها ببطونها ومنازلها ومياهاها من البرية في جملة حرب الحجاز .

النيابة الثانية

(من نيابات السلطنة بالممالك الشامية ، نيابة حلب ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها)

أما الأئمان المتعامل بها من الدينار والدرهم والصنجة ، فعلى ما تقدم في دمشق من غير فرق ، ولم ترج الفلوس الجند فيها إلى الآن وإنما يتعامل فيها بالفلوس القديمة ، ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً ، وأوقيه اثنتا عشرة أوقية ، كل أوقية سبعة درهماً ، وفي أعمالها ربما زاد الرطل على ذلك ، وتعتبر مكيالاتها بالمكيال

في حاضرتها وسائر أعمالها، والمكوك المتبر في حاضرتها سبع وبيات بالكل المصري،
وأما في نواحيها وبلادها، فيختلف أخلافا متباينا في الزيادة والنقص . قال
في "مسالك الأبصار" : والمتعدل منها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة^(١)،
وما بين ذلك كل ذلك تقريبا، ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش
المصري سُدس ذراع، وهو أربعة قواريط، وتعتبر أرض دورها بذراع العمل
كما في الديار المصرية وأرض زراعتها بالفتدان الإسلامي والفتدان الرومي كما في دمشق،
وتخرج أرض الزراعة بها كما في دمشق، وأسعارها على نحو سعر دمشق إلا في الفواكه
فإنها في دمشق أرخص لكثرتها بها .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ترتيب حاضرتها)

أما جيوشها فعلى ما تقدم في دمشق من اشتغال عسكرها على الترك والخراس
والروم والروس وغير ذلك من الأجناس المشابهة للترك، وأنقسامها إلى الأمراء
المقربين والطلبانات والعشرات ومن في معنهم من العشرينات والخمسات، وكذلك
أجناد الحلقة ومقدموها وإقطاعاتها على نحو ما تقدم في دمشق في المقدار، وربما
زاد إقطاع الحلقة بها على إقطاع الحلقة بالديار المصرية بخلاف إقطاعات الأمراء
بها فإنها لا تساوى إقطاعات الأمراء بالديار المصرية .

وأما وظائفها فعلى أربعة أصناف .

(١) تخدم ذلك في (ص ١١٨) من هذا الجزء فانظرو .

الصف الأول

(وظائف أرباب السيوف، وهى عدة وظائف)

(منها) نيابة السلطنة - وهى نيابة جليلة فى الرتبة الثانية من نيابة دمشق . ويعبر عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنائب السلطنة الشريفة ، ولا يقال فيه كافل السلطنة كما يقال لنائب دمشق ، ويكتب عن نائبها التواقيع الكريمة بأكثر وظائف حلب وأعمالها ، وكذلك يكتب عنه المربعات الخيشية بالديار المصرية ، والمناشير الإقطاعية على حكمها كما تقدم فى دمشق ، وكذلك يكتب على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتقاد ، ويزيد على نائب دمشق بـسـرحتين يسرحهما للصيد ، الأولى منهما يسرحها فى بلاد حلب من جانب الفرات الغربى بتصيد فيها الفزلان ، يقيم فيها نحو عشرة أيام ، والثانية وهى العظمى يسرحها الفرات إلى بر الجزيرة شرق الفرات ، وينتقل فى نواحيها مما هو داخل فى مملكة الديار المصرية وما حولها ، يتصيد فيها الفزلان وغيرها من سائر الوحوش ، ويقيم فيها نحو شهر .

(ومنها) نيابة القلعة بحلب - وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها ، وليس لنائب السلطنة على القلعة ولا على نائبها حكم كما تقدم فى قلعة دمشق ، وعادة نائبها أن يكون أمير طبلخاناه ، وتوليتهما من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف ، وفيها من الأجناد البحرية المعدنين لحراستها نحو أربعين نفسا ، مقيمون بها لا يظعنون عنها بسفر ولا غيره ، يجلس منهم فى كل نوبة عدة فى الباب الثانى منها من حين فتح الباب فى أول النهار وإلى حين قفله فى آخر النهار ، وبها الحرس فى الليل ، وضرب الطبلات .

تعليم مضى كل أربع درج كما تقدم فى قلعة دمشق .

(ومنها) المَجُوبِيَّة - والعادة أن يكون بها المَجُوبِيَّة مُجَّاب. أحدهم مقدّم ألف: وهو حاجب المَجَّاب، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة في المكتبات وغيرها بأمر حاجب بحلب تكاجب المَجَّاب بدمشق، وهو ثاني نائب السلطنة في الرتبة ولا يدخل أحد دار النيابة راكبا غير النائب وغيره، وهو نائب الغيبة إذا خرج نائب السلطنة في مهم أو متصيد أو غير ذلك؛ وإليه تردُّ المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان القبض عليه، ويكون هو المتصدّي لحال البلد إلى أن يُقام لها نائب، والثلاثة الباقون إما ثلاث طبليخانات، أو طبليخانتان وعشرة، أو ما في معنى ذلك، وولاية حاجب المَجَّاب والحاجب الثاني من الأبواب الشريفة السلطانية بغير تقليد ولا مرسوم، ومَنْ عداهما ولايته عن نائب حلب، وفيها اثنتان واحد بالميمنة وواحد بالميسرة، فالذي في الميمنة في الغالب يكون أمير عشرة وربما كان أمير خمسة، والذي بالميسرة جنديّ من أجناد الحلقة، وولايتهما عن النائب كل منهما بتوقيع كريم.

(ومنها) شدّ الأوقاف - وهي بها رتبة جليلة أعلى من شدّ الأوقاف بدمشق، وعادتها مقدمة ألف أو طبليخاناه، تؤلّى من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف. كذا أخبرني بعض أهلها، ومتوليا يتحدّث على سائر أوقاف المملكة الحلبية.

(ومنها) المِهْمَنْدَارِيَّة - وموضوعها على ما تقدّم في الديار المصرية ودمشق، وبها اثنتان: فأحدهما تارة يكون أمير طبليخاناه وتارة يكون أمير عشرة، والآخر جنديّ حلقة، وولاية كل منهما بكل حال عن النائب بتوقيع كريم.

(ومنها) شدّ الدّواوين - وموضوعها كما تقدّم في الديار المصرية ودمشق، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها جنديّ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم.

(ومنها) شد مراكر البريد - وموضوعها كما تقدم في دمشق، وعادتها إمرة عشرة، وربما كان مقدم حلقه أو جنديا، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدث في الشرطه كما تقدم في الديار المصرية ودمشق، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدم حلقه، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شد الأقواد - وموضوعها التحدث على الأموال التي تُساق قوداً من المملكة في كل سنة، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدم حلقه، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

قلت : وسائر وظائف الأمراء أرباب السيوف المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية كراس نوبة وأمير مجلس ومن في معناها ممن يجرى هذا التجري المختص بالنائب يكون له مثلها من أجناده لقيامه مقام السلطان هناك كما تقدم في دمشق .

وأما الوظائف الديوانية بها لأرباب الأقاليم .

(فمنها) الوزارة - ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنظر المملكة ليس إلا، ولا يصرح له بأسم الوزارة بحال، وإن كان الجارى على السنة العامة تلقيب متوليا بالوزير، ولم تجر العادة بأن يتولاها إلا أرباب الأقاليم، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف، ولديوان هذا النظر عده مباشرين أتباع لناظرها كصاحب الديوان والمستوفي والغلب والشهود وسائر فروع الوزارة، والنائب يولي كلاً من هؤلاء المباشرين بتوقيع كريمه .

(ومنها) كتابة السر - ويعبر عن متوليا في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بصاحب ديوان المكاتبات بحلب، ولا يُسمَح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب

كما في دِمَشْقَ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف، وبديوانه كُتَاب
الدِّسْت ومُكْتَاب الدَّرَج كما في دِمَشْق والديار المصرية .

(ومنها) نظر الجيش - والحكم فيه كما تقدم في دِمَشْق من كتابة المَرَبَّات بما
يُعيَّنه النائب من الإقطاعات وتجهيزها للأبواب الشريفة لتُشَمَّل بالخط الشريف
وتُخَلَّد شاهداً بدِيوان الجيوش بالديار المصرية، وكذلك إثبات ما يصدر إليه من
المناشير من الأبواب الشريفة، وولايته من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نظر المال - وهو بمعنى الوزارة كما في دِمَشْق إلا أنه لا يطلق على متوليه
وزير البتة، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ولديوانه كُتَاب اتِّبَاعُ
له : كصاحب الديوان والكُتَّاب والشمود وغيرهم، وولاية كل منهم عن النائب
بتواقيع لهم كما في دِمَشْق .

(ومنها) نظر الأوقاف - وحكمها التحدث على الأوقاف بمدينة حَلَبَ وأعمالها
كما في دِمَشْق، وولايتهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الجامع الكبير - ومتوليا يكون رفيقا للنائب في التحدث فيه؛
وولايتهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيارستان - وقد تقدم في الكلام على مدينة حَلَبَ أن بها بيارستانين
أحدهما يعرف بالعتيق والآثر بالحديد، ولكل منهما ناظر يُخَصُّصُ؛ وولاية كل منهما
عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الأقواد - ومتوليا يكون رفيقا لشاة الأقواد المتقدم ذكره في أرباب
السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

الصف الثاني

(الوظائف الدينية)

(لبنها) القضاء - وبها أربعة قضاء من المذاهب الأربعة كما في دِمَشْق ، إلا أن استقرار الأربعة بها كان بعد استقرارها بِدِمَشْق ، وولاية كل منهم من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ويختص الشافعي منهم بعموم تولية التواب بالمدينة وجميع أعمالها ، ويقتصر من عداه على التولية في المدينة خاصة كما تقدم في دِمَشْق والديار المصرية .

(ومنها) قضاء المسكر - وبها قاضيا عسكري شافعي وحنفي كما في دِمَشْق ، وولايتها من الأبواب الشريفة ، ويكتب لكل منهما توقيع شريف .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وبها اثنان أيضا: شافعي وحنفي كما في دِمَشْق ، وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) وكالة بيت المال - وولايتها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، ووكالته عن السلطان بمصر مشبوبة فتتخذ بالملكة كما تقدم في دمشق ^(١) .

(ومنها) رقابة الأشراف - والأمر فيها على ما تقدم في دِمَشْق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - والحكم فيها كما في دِمَشْق ، وعادتها أن يكون متوليا هو شيخ الخلفاء المعروفة بالقديم ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وربما كانت من الباب الشريف .

(ومنها) الحسبة - وهي على ما تقدم في دِمَشْق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، ومتوليا يولى نواب الحسبة بسائر الأعمال الحلية .

(ومنها) الخطابة بالجامع الكبير - وولايتها عن النائب بتوقيع كريم
(ومنها) التدريس والتبصير الممدودة بنظر النائب - وولايتها عنه بتوقيع كريم
على قدر مراتب أصحابها .

الصنف الثالث

(وظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رئاسة الطب ، ورئاسة الكهّالين ، ورئاسة الجراحية كما في دمشق
والديار المصرية ؛ وولاية كل منهم بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت
ومن في معانهم مفقودون هناك لفقد البيوت السلطانية ، وإنما مهتارية البيوت
بها للنائب خاصة لقيامه مقام السلطان بها كما في دمشق .

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدم في دمشق ؛ وعادة النائب بها أن يركب
في المواكب في يومى الاثنين والخميس من دار النيابة ، ويخرج من باب يقال له باب
القوس ، في وسط البلد على الغرب من القلعة ، ويمرّنه إلى سوق الخيل ، ويخرج من
سور البلد من باب الثرب ، ويتوجه إلى مكان يعرف بالميدان ويعرف بالقبة أيضا
على الغرب من المدينة بطريق القرية المعروفة بجبريل ، في جهة الجنوب عن المدينة ،
ثم يعود من حيث ذهب ، وقد وقف الأمراء في أنتظاره بسوق الخيل ، وآخر
خيولهم إلى القلعة ورموس خيولهم إلى الجهة التي يعود منها أمراء الخمسات ، ثم أمراء
العشرات ومن في معانهم على ترتيب منازلهم ، ثم أمراء الطبلخانات ، ثم الأمراء
المقتمون . فإذا حاذى النائب في عوده أمراء الخمسات والعشرات في طريقة ، سلم
وهو سائر فيسألون عليه ، وهم وقوف في أمكنتهم لا يتحركون ولا يرحلون عنها . فإذا
حاذى أمراء الطبلخانات ، سلم عليهم فيتقدمون بخيولهم إليه نحو قصبتى قياس فيسلمون

عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم فيقفون فيها . فإذا حاذى الأمراء المتقدمين سلم عليهم فيفعلون كما فعل أمراء الطبلخانات من التقدم إليه والسلام عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم ، ويمتز النائب حتى ينتهي إلى آخر سوق الخليل فيعطف رأس فرسه ويقف مستقبلاً للجهة التي عاد منها في الجنوب والعسكر ، واقفون على حالهم ، وينادى بينهم على العقارات من الأملاك والضيايع وكذلك الخيول والسلاح قدر خمس درج ، ثم يمتز إلى دار النياية : فإن كان ذلك الموكب فيه سباط ، سار في خدمته إلى دار النياية من كان معه في ركوب الموكب من الأمراء الأكابر والأصاغر من الحجاب وغيرهم ، ويمتز بباب القلعة وقد نزل نائب القلعة إلى بابها فوقف فيه بمالك في خدمته من الأجناد البحرية المقيمين بالقلعة ، فإذا مرت بهم النائب ، سلم على نائب القلعة فيسلم عليه ، ويطلع نائب القلعة إلى قلعته ، ويمتز النائب في طريقه إلى دار النياية ، ويكون مالك النائب قد ترجلوا عن خيولهم ، وترجل أمراء الخمسات والعشرات بعدهم ، ثم يترجل الطبلخانات على القرب من دار النياية ، ثم الأمراء المتقدمون على باب دار النياية ، كل منهم على قدر منزلته ، ويستمر النائب راجعاً حتى يأتي المقعد المذكور ، وهو مقعد مربع مرتفع عن الأرض عليه قبة مرتفعة ودرازين من خشب دائر، وفيه ذكة من خشب صغيرة في جانبه مرتفعة عن المقعد قدر ذراع ، تسع جالساً فقط معدةً بجلوس النائب ، فيزل النائب على باب من أبواب المقعد الثلاثة مخصوص به ، ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة أعلى السلم خارج الدرازين معدةً بجلوسه عن يمين النائب ، ويكون القضاة الأربعة وقاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وكتاب السر وكتاب الدست وناظر الجيش قد حضروا قبل حضور النائب وحاجب الحجاب وطلعوا من سلم مخصوص بهم وأخذوا مجالسهم وجلسوا في انتظار النائب ، فإذا حضر قاموا

وجلسوا يحلوسه ، ويكون جلوسهم بترتيب خاص يوافق دِمَشَقَ في بعض الأمور ويخالف في بعضها : فيجلس عن يسار النائب قاضى القضاة الشافى ، و يليه قاضى القضاة الحنفى ، و يليه قاضى القضاة المالكى ، و يليه قاضى القضاة الحنبلى ، و يليه قاضى المسكر الشافى ، و يليه قاضى المسكر الحنفى ، و يليه مفتى دار العدل الشافى ، و يليه مفتى دار العدل الحنفى ، و يليه الوزير ، صفًا مستقيما ، و يجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه ، و يليه عن يمينه ناظر الجيش ، و يليه كُتَّاب الدِّسْتِ على ترتيب منازلهم حتى يسأوا في المفاصلة الصف الذى فيه قضاة القضاة ومن معهم ، و يجلس باقى الموقعين بين الصفين مقابل حاجب الجُحَّاب حتى يصلوهما فيصلرون كالحلقة المستديرة ، و يقف الجُحَّاب الصغار أسفل السلم الذى يصعد منه ، و حاجب الجُحَّاب و ثقباء الجيش خلفهم ، والولاء خلف ثقباء الجيش . فإن كان الأمراء قد حضروا لأجل السَّماط ، جلس المقستمون والطلبانا على مصاطب معدة لهم على القرب من المقعد الذى يجلس فيه النائب ومن معه من أرباب الأعلام المتقدم ذكرهم ، و ترفع القصص فيتناولها ثقباء الجيش ويتناولونها الجُحَّاب فيتناولونها لحاجب الجُحَّاب فيتناولها لكاتب السر فيفرقها على الموقعين ويبقى بعضها معه ، فيقرأ ما معه ثم يقرأ من بعده على الترتيب إلى آخر الموقعين . فإذا آنقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومن في مناصبهم وكُتَّاب الدست فأنصرفوا . فإذا آنقضى المجلس ، فإن كان في الموكب سماء قام النائب والأمراء من أماكن جلوسهم فدخلوا إلى قاعة عظيمة قد وضع بصدرها كرسي سلطنة مغشى بالحرير الأطلس الأصفر وعليه نجماء سندهة إلى صدره كما تقدم في دِمَشَقَ ، وقد مد السَّماط السلطاني فيجلس النائب على رأس السَّماط والأمراء على ترتيب منازلهم في الإمرة والقُدِّمة وياكلون و يرفع السَّماط ، ثم يقوم الأمراء فيتصرفون ، و يقوم النائب ومعه كاتب السر و ناظر الجيش .

فيدخل إلى قاعة صغيرة فيها شباك مطلى على دوار بإصطبل النائب، فيجلس في ذلك الشباك، ويجلس كاتب السر وناظر الجيش فينصرفان^(١).

قلت : ويتخالف دمشق في أمور :

أحدها - أن كرمي السلطنة ليس بدار العدل حيث يجلس النائب والمتعممون كما في دمشق بل في مكان آخر.

الثاني - أن الأمراء لا يجلسون مع النائب بدار العدل كما في دمشق بل في مكان منفرد.

الثالث - أن النائب يجلس على دكة مرتفعة عن جلسائه بخلاف دمشق. فإنه يجلس مساويا لهم، وكان المعنى فيه عدم جلوس الأمراء في مجلس النائب بجل بخلاف دمشق.

الرابع - أن الوزير يجلس في آخر صف القضاة ومن في مناهم تحت مفتحي دار العدل، ودمشق يجلس في رأس صف يقابل كاتب السر، وكان المعنى فيه أن كاتب السر يجلس أمام النائب فلو جلس الوزير فوقه لخالف قاعدة جلوس كاتب السر، أو جلس تحته لكان نقصا في رتبته، ولا شك أنه يجلس فوقه القضاة ومن في مناهم لرفعة رتبة الشرع.

الخامس - أن السباط يجلس لا يمتد بدار العدل كما في دمشق بل في مكان آخر مخصوص.

السادس - أن النائب يجلس له موضع مخصوص يجلس فيه للحا كانت ومدة السباط، وفي دمشق يجلس على طرف الإيوان بدار العدل بعد رفع السباط منه.

(١) لعله ثم ينصرفان.

الجملة الثانية

(في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛ وهو ثلاثة أنواع^(١))

النوع الأول

(ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهو ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(النواب ؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ، وهي إحدى عشرة نيابة)

الأولى - نيابة قلعة المسلمين الممّاة في القديم بقلعة الروم - وعادة نائبها أن يكون مقدّم ألف يولّي من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثانية - نيابة الكُحُتَا - ونيايتها تارة تكون طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليّتها من نائب حلب .

الثالثة - نيابة كُرْكُز - ونيايتها تارة طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليّتها من نائب حلب .

الرابعة - نيابة بَهْسُون - وقد ذكر في "التتقيف" ما يقتضى أن نيايتها طبلخاناه ، لكن أخبرني بعض كُتّاب السرب أنّها ربما كانت مقدمة ألف . وقد ذكر في "التعريف" ما يقتضى ذلك فقال : ولنايتها مكانة جليّة ، وإن كان لا يتحقق بنائب اليُورَة ؛ وبكل حال فتوليّتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - نيابة حَيْتَاب - وقد أوردها في "التتقيف" في جملة أمراء العشرات وذكر أنه رأى بخط ابن النشائي ما يقتضى أنها كانت طبلخاناه . وقد أخبرني

(١) : ذكره الاثني عشر فنّه .

بعض كُتَّابِ سِرْ حَلَبِ أنها استقرتْ مقدمة ألف و أواخر الدولة الظاهرية برفوقها،
وَأَسْتَقَرَّتْ تَوَلِيَّتُهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ .

السادسة - (نيابة الرأؤندان) - وقد أوردتها في "التتيف" في جملة نيايات
العشرات . وقد أخبرني بعض كُتَّابِ السِرِّ حَلَبَ أنها استقرتْ بها آخرًا جنديًا،
وتوليَّتْها من نائبِ حَلَبِ .

السابعة - (نيابة الدُرْبَسَاك) - وقد أوردتها في "التتيف" في جملة العشرات .
وأخبرني بعض كُتَّابِ سِرِّ حَلَبَ أنها ربما أضيفت لنائب بفراس الآتي ذكرها وأنها
الآن بيد آبن صاحب البازِ التُّركيَّيْ، وتوليَّتْها من نائبِ حَلَبِ .

الثامنة - (نيابة بفراس) - وقد أوردتها في "التتيف" في جملة العشرات،
وولايَّتْها من نائبِ حَلَبِ . وهي بيد أولاد داود الشيباني التُّركيَّيْ من تقادُّمِ السنين،
وولايَّتْها من نائبِ حَلَبَ .

التاسعة - (نيابة القُصَيْرِ) - وقد أوردتها في "التتيف" في جملة العشرات .
وأخبرني بعض كُتَّابِ سِرِّ حَلَبِ أن بها الآن جنديًا .

العاشر - (نيابة الشُّغْرُوبَكَاَس) - وقد أوردتها في "التتيف" في جملة
العشرات، وقد أخبرت أنها استقرتْ بها آخرًا جنديًا، وتوليَّتْها من نائبِ حَلَبِ .

الحادية عشرة - (نيابة شيرد) - كانت في الزمن المتقدم إمرة عشرة يستقل نائب
حَلَبَ بتوليَّتْها فلما تسلمت عليها العُربان بعد وقعة منطاش والناصري استقرتْ
تقدمةً بولاية من الأبواب السُّلْطَانِيَّةِ بمرسوم شريف .

الضرب الثاني

(النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية، وهي قسمان)

القسم الأول

(بلاد الثغور والعواصم وما والاها، والمعتبر فيها ثمان نيابات)

الأولى - (نيابة مَلَيْطِيَّة) - ونيابتها طبلخاناه، وتوليها من الأبواب السلطانية

الثانية - (نيابة دَبْرَكِي) - وقد ذكر في "التتقيف" أنها تارة تكون طبلخاناه وتارة تكون عشرة، وبكل حال فولايتهما من نائب حلب .

الثالثة - (دَرَبْدَه) - ونيابتها في الغالب إمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه، وولايتهما في الحالتين من نائب حلب .

الرابعة - (نيابة الأَبْلُسْتَيْن) - ونيابتها تخدمه ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة آيَاس) - وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السادسة - (نيابة طَرَسُوس) - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السابعة - (نيابة أَذَنَه) - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثامنة - (نيابة سِرْفَنْدَكَار) - ونيابتها إمرة عشرة، ووقع في "التتقيف" نقلاً عن ابن النشائي ما يقتضي أنها كانت أولاً طبلخاناه، وبكل حال فولايتهما من نائب حلب .

التاسعة - (نيابة سيس^(١)) - وقد تقدم أن فتحها قريب في الدولة الأشرفية "شعبان ابن حسين" ولم تزل نيابتها منذ فتحت مقدمة ألف ، وكانت قد جعلت نيابةً مستقلة عند الفتح ثم جعلت بعد ذلك مقدمة عسكر كغزة إلا أن مقدم العسكر بها لا يكتب في خلاص الحقوق بخلاف مقدم العسكر بغزة .

قلت : وبعد ذلك نيابات صفار يولى بها نائب حلب أجنادا ، ولا مكتبة لها من الأبواب السلطانية : وهي نيابة قلعة باري كركوك ، ونيابة كاورا ، ونيابة كولاك ، ونيابة كركزال ، ونيابة كوي ، ونيابة تل حمدون ، ونيابة الحارونيين ، ونيابة قلعة قنجه ، ونيابة حميص ، ونيابة قلعة لؤلؤة .

القسم الثاني

(ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات ، والمعتبر فيها ثلاث نيابات)

الأولى - (نيابة البيرة) - ونيابتها مقدمة ألف ، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثانية - (نيابة قلعة جعفر) - ونيابتها طبلخاناه ، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثالثة - (نيابة الرها) - قال في "التثقيف" : وقد جرت العادة أن تكون نيابتها طبلخاناه ، ثم استقر بها في الدولة المنصورية في سنة ثمان وسبعين وسبعائة مقدم ألف .

الصنف الثاني

(من أرباب السيوف بخارج حَلَب الولاية جميعها من نائب حلب

بتواقيع كريمة ، والمشهور منها اثنتا عشرة ولاية)

الأولى - (ولاية بَرَحَلَب كما في دِمَشَق) - إلا أن والي برحلب هو والي الولاية.

الثانية - (ولاية كُفْر طَاب) - وواليها جندي .

الثالثة - (ولاية سَرْمِين) - وواليها في الغالب جندي ، وربما كان أمير عشرة .

الرابعة - (ولاية الجُبُول) - وواليها جندي .

الخامسة - (ولاية جَبَل سَمْعَان) - وواليها جندي ، وهو مقيم بمدينة حلب ، يحضر

المواكب مع والي المدينة ووالي البر : لقربه منها .

السادسة - (ولاية عَزَّاز) - وواليها جندي ، وربما كان أمير عشرة .

السابعة - (ولاية تَلِّ بَاشِر) - وكان لها والي بمفردها جندي ، ثم أضيفت آخرها

لَعَبْتَاب .

الثامنة - (ولاية مَنبِيج) - وواليها جندي .

التاسعة - (ولاية تِيزِينَ) - وهي تارة تفرد بوال يكون جنديا ، وتارة تضاف

إلى حارِم ، ويقال والي حارِم وتِيزِينَ .

العاشر - (ولاية الباب وَبُزَاطَا) - وواليها جندي .

الحادية عشرة - (ولاية دَرَكُوش) - وواليها جندي .

الثانية عشرة - (ولاية أَنْطَاكِية) - وواليها تارة يكون جنديا وتارة أمير عشرة ،

وأخبرني بعض مكاتب السريجات أنها ربما أضيفت إلى نائب القصير .

قلت : ووراء ذلك ولايات أتراب بلاد الأرمن ونحوها لم يتحورلى حالما والظاهر
أن ولاية جميعها أجناد .

النوع الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان)

واعلم أنه قد تقدم في الكلام على آل فضل من عربان دمشق أن منازلهم ممتدة
بأراضي الشام إلى الرحبة وجمع في جانب الفرات ، وتقدم في الكلام على قواعد
الشام المستقرة نقلًا عن المقر الشهابي ابن فضل الله في "التعريف" أن حفر كانت
في زمانه من مضافات دمشق ، وأن الواجب أن تكون من مضافات حلب ، فإنها
أضيفت بعده إلى حلب ، وحيث فيكون في بلاد حلب بعض حرب آل فضل
المتقدم ذكرهم هناك .

والمتخصص بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان .

القبيلة الأولى - (بنو كلاب) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم عرب أطراف
حلب والروم ، ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تملأ ، ولا تزال تباع بنات
الروم وأبنائهم من سباياهم ، ويتكلمون بالتركية ويركبون الأكاديش ، وهم عرب
غزو ، ورجال حروب ، وأبطال جيوش ، وهم من أشد العرب بأسا ، وأكثرهم ناسا .
قال : ولإفراط نكايتهم في الروم صُنفت السيرة المعروفة "بدهمة والبطل" ^(١) منسوبة
إليهم بما فيها من ملح الحديث ولَمَح الأباطيل ؛ ولكنهم لا يدينون لأمر منهم يجمع
كلمتهم ، ولو اتقادوا لأمر واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة .

(١) هي السيرة المشهورة الآن "بذات الهمة" وقد طُبعت أخيرا بالمطبعة "الحسينية" وأُنتشرت

في بعض النسخ العامة وهي في بابها لا بأس بها .

قال الجنداني : وكان بنو كلاب قد ظهروا على آل ربيعة . وذلك أن الملك الكامل كان طلب من ماتيح بن حديشة وغنم بن الطاهر رجلاً يحمل عليها غللاً إلى خلّاط يقوئها بها ، فاحتج بغيّة رجّاله في البرية ، وكان بعض بني كلاب حاضراً فتكفل له بمحاجته من الجمال ووفى له بذلك ، فحقد بها الملك الكامل على ماتيح بن حديشة وغنم بن الطاهر واستوحشاً منه ثم أتياه عند أخذه أمد ، فوجّهما فخرجا خافين منه إلى أن فتح دمشق فأتياه بأنواع التّقديم وتقرباً إليه بالخدمة . قال : وكانت بنو كلاب تحمّد الملك الأشرف موسى وتصعبه لمناخمة بلاد الروم .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان سلطاننا يعني الناصر محمد بن قلاوون لا يزال ملتفتاً إلى تأليف بني كلاب هؤلاء ، وكان أحمد بن نصير المعروف بالتّترى قد عاث في البلاد والأطراف وأشتت في قطع الطريق ، فأمنه وخلع عليه وأقطعته فأثقات بنو كلاب للطاعة ، وكان الملك الناصر قد أمر عليهم سليمان بن مهنّا وجعل عليه حفظ جعبر وما جاءها .

القبيلة الثانية - (آل بشار) - قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم الجزيرة والأحص^(١) ببلاد حلب . قال : والأحلاف منهم جالهم في عدم الاتقياد لأمير واحد حال بني كلاب . ولو اجتمعوا لما آمن بأسهم يقيم على تفرق كلمتهم ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل ، وطالما باتوا وقلوبهم منهم ملائى من الحذر ، ويعيونهم ونسب من السهر ، وبينهم دماء ، وهم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران ، وديارهم من منسجار وما يديانها إلى البصرة أو قريب الجزيرة العُمرية إلى أطراف بغداد .

(١) هو هذا الضبط موضع . أنظر معجم البلدان (ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٣) .

النيابة الثالثة
(نيابة أطرابُلُس ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى
(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فيالذنانير والدرهم النقرة على ماسر في الديار المصرية ودمشق وحلب ؛
وصنعتها كصنعة دمشق في الذهب والفضة ؛ وبها الفلوس المتق (١) فلسا بدرهم ؛
ورطلها سقائة درهم كما في دمشق ، وأواقيها اثنتا عشرة أوقية كل أوقية خمسون
درهما . وتعتبر ميكلاتها بالمكوك كما في حلب ؛ ويقاس القماش بها بذراع كل عشرة
أذرع منه إحدى عشرة ذراعا بالمصري ؛ وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما
في الديار المصرية وغيرها من البلاد الشامية ؛ وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامية
والفدان الرومي كما في دمشق وغيرها من البلاد الشامية ؛ ونراجها على ما تقدم
في دمشق وغيرها من بلاد الشام .

وأما جيوشها فمن الترك ومن في معناتهم على ما تقدم في غيرها من الممالك الشامية ،
وبها أمير واحد مقدم ألف غير النائب ، وباقي أشرافها طبلخاناه وعشرات ونحسات
ومن في معناتهم من المشرينات وغيرها ؛ وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة
السلطنة : وهي نيابة جليلة ، نائبها من أكبر مقدمي الألوف ، وهو في الرتبة الثانية
من حلب كما في حماة ؛ وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم
لجميعها والمتصرف فيها لديها من أمر السكر وغيره .

ومنها المجوبية ، وبها ثلاثة محجّاب أكبرهم طبلخاناه وهو حاجب المحجّاب ،
والحاجبان الآخران كل منهما أمير عشرة .

(١) يباض في الأصل .

ومنها المهتمندارية، وشدة الدواوين، وشدة الخصاص، وشدة مراكر البريد، وشدة
البناء ونقابة النقباء، وأمراخورية، وشدة الأوقاف، وتقديم البريدية، وأمراخورية
البريد، وولاية المدينة، وتقديم التركان وغير ذلك، وكلها يوليها النائب بها .

وبها من أرباب الوظائف الديوانية ناظر المملكة، وناظر الجيش، وصاحب
ديوان المكتبات، وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة، وكُتَّاب
دست، وكُتَّاب درج، ولايتهم من نائبها .

وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الأربعة، وقاضياً عسكري
شافعي وحنبلي، ومفتياً دارعدل كذلك، ومحتسب، ووكيل بيت المال . إلى غير
أولئك من أرباب الوظائف .

وأما ترتيب النيابة بها فإنه النائب يركب في يوم الاثنين والخميس من دار
النيابة، ويخرج في موكبه من الأمراء والأجناد حتى يأتي ساحل البحر، ثم يعود إلى
دار النيابة ومعه جميع الأمراء والأجناد، خلا الأمير المقدم فإنه لا يحضر معه إلى دار
النيابة . وإذا حضر النائب إلى دار النيابة جلس في دار العدل بصدر الإيوان
وليس بها كرسي سلطاني، ويجلس قاضيان شافعي وحنبلي عن يمينه، ومالك وحنبلي
عن يساره، ووكيل بيت المال تحت القاضي المالكي، ويجلس كاتب السر أمامه
على القرب من يساره وكُتَّاب الدست خلفه، وحاجب الحجاب جالس أمام النائب
على القرب منه، ويأخذ الحجاب الصغار القصص ويناولونها إلى حاجب الحجاب
فيدفعها لكاتب السر، ويفصل المحاكمات، ثم ينفض المجلس ويمد السباط فيأكلون
وينصرفون كما في غيرها .

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(النواب، وهم على قسمين)

القسم الأول

النيابات بمضافات نفس أطرابلس، وبها خمس نيابات كلهم يكتبون عن
الأبواب السلطانية في المهمات ونحوها، دون خلاص الحقوق، فإنه يخص بنائب
السلطنة بها.

الأولى - (نيابة حصن الأكراد) - ونيابته إمرة عشرة.

الثانية - (نيابة حصن عكار) - ونيابته إمرة عشرة.

الثالثة - (نيابة بلاطلس) - ونيابته إمرة عشرة.

الرابعة - (نيابة صهيون) - ونيابته إمرة عشرة.

الخامسة - (نيابة الأذقية) - ونيابته إمرة عشرة.

القسم الثاني

(نيابات قلاع الدعوة، وهي ست نيابات خارجا عن مصياف)

(حيث أضيفت إلى دمشق)

الأولى - (نيابة الرصافة) - وأصل نيابته إمرة عشرة.

الثانية - (نيابة الحواري) - وأصل نيابته إمرة عشرة.

الثالثة - (نيابة القُدسوس) - وأصل نيابته إمرة عشرة.

- الرابعة - (نيابة الكهف) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 الخامسة - (نيابة الميقة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 السادسة - (نيابة القلعة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 قلت : وقد أخبرني بعض مكاتب المملكة أن هذه النيابات كلها استقر فيها أجناد ،
 وبالجملة فإنما يولى فيها نائب طرابلس بكل حال .

الضرب الثاني

(الولاية)

- وبها ولايات ست ، وولاية جميعها أجناد ، عن نائب طرابلس .
 الأولى - ولاية أنطركوس .
 الثانية - ولاية جبة المتيطرة .
 الثالثة - ولاية الغلّين .
 الرابعة - ولاية بئر به .
 الخامسة - ولاية جبلة .
 السادسة - ولاية أفنة .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير
 والدرهم ، وصنعتها كصنعة دمشق وحلب وطرابلس ، تنقص عن الصنعة المصرية

كل مائة مثقال مثقال وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ، ورطلها سبعة وعشرون درهما بصنعتها ، ومكيلاتها متبعة بالمكوك كما في حلب وبلادها ، ومكوكها مقدر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالدمشق ، وقياس قاشها بذراع ^(١) وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

الجملة الثانية

(في ترتيب نيابتها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما بمحاضرتها)

أما جيوشها فن الترك ومن في معانهم ، وبها عدة من أمراء الطليخان والعشرات والخمسات ومقضى الحلقة وأجنادها ، وليس بها مقدم ألف . وقد تقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة أنها كانت بيد بقايا الملوك الأيوبية إلى آخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" في سلطنته الأخيرة . قال في "مسالك الأبصار" : إن صاحبها كان يستقل فيها بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وتكاتب السروسائر والوظائف بها ، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يُمضى أمرا كبيرا في مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يبيح إلا بأن الرأي مآتراه ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسوم شريف بالتصرف في مملكته . قال في "مسالك الأبصار" : ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولّاه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن جُلبع الأفضل محمد بن المؤيد المتقدم ذكره من سلطنتها ، بعد موت

(١) بياض في الأصل .

(٢) أي وأسندت نيابتها في ذلك الحين إلى مملوك أبيه "سيف الدين طغرتم" كما في تاريخ أبي القدا .

السلطان الملك الناصر وملك ابنه أبي بكر، ونائبها من أكابر الأمراء المقدمين، ولكنه في الرتبة دون نائب طرابلس وإن كان مساويا له في المكتبة من الأبواب السلطانية؛ ويظهر ذلك في كتابة المطلقات الكبار حيث يذكر نائب طرابلس قبله. وبها من وظائف أرباب السيوف المحيية؛ وبها حاجبان: الكبير منهما طبلخاناه والثاني عشرة؛ والمهندارية، وبها آثان وهما جنديان؛ وشدة مراكز البريد، وبه جندي؛ وأمراخورية البريد، ومتوليا جندي؛ وولاية المدينة، وواليها جندي؛ ونقابة العساكر، وبها آثان وهما جنديان أحدهما أكبر من الآخر. وجميع أرباب الوظائف يولمهم النائب بها بتواقيع كريمة، وليس بها قلعة لها نائب.

وبها من الوظائف الدينية من أرباب الأعلام أربعة قضاة من المذاهب الأربعة، وولايتهم من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة، وقاضى عسكر حنفى، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأخر ولا مفتو دار عدل؛ وبها وكيل بيت المال، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة شرعية؛ ومحاسب بولاية عن النائب بتوقيع كريم.

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأعلام كاتب سر، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بصاحب ديوان المكتبات بمحاة المحروسة، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، وله أتباع من مكاتب الدست ومكاتب الدرج وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، وله أتباع من مكاتب وشهود، وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة. إلى غير ذلك من وظائف صغار يولمها النائب بتواقيع كريمة.

وترتيب المكاتب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة في يوم الخميس والجمعة ويصحبته العسكر من الأمراء وأجناد الخلفة، ويخرج إلى خارج المدينة من مكاتبها.

ويسير في المركب إلى ضيعة تسمى بقرين على القرب من حماة ، ثم يعود في موطنه حتى يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف ، وينادي بينهم على الخيول ، وربما نودي على بعض العقارات ، ثم تصيح الجاويشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويبقى دار النيابة ويدخل أول المسكر من داخل باب يعرف بباب العسرة^(١) ، ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ، ولا يزال راكبا حتى يترجل شبّاك بدار النيابة معه للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشباك القضاة الأربعة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي عن يساره والحنبلي يليه ، ويجلس الأمراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار وقيس النقاء ، وتقع القصص فيقرأها كاتب السرعة ويستمع فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراء فيفصل بقية أموره مما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السباط بعد ذلك فيأكلون وينصرفون .

الضرب الثاني

(ماهو خارج عن حاضرتها)

وليس بخارجها نيابات ، بل يقتصر فيه على ثلاث ولايات ، ولأئها أجناد يوليهم النائب بها .

الأولى - ولاية برهاكا في دمشق وحلب .

الثانية - ولاية باري .

الثالثة - ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا تركان تنسب إليها .

(١) في الفهرست "باب العزة" .

النيابة الخامسة (نيابة صفد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى (فيما هو يحاضرتها)

أما معاملاتها فكما في دمشق وغيرها من البلاد الشامية؛ وصنعتها كصنعتها ورطلها ... (١) وأواقه اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ... (١) وتعتبر مكيلاتها ... (١) وتنفق أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها، وتعتبر أرض زراعتها بالقدان الإسلامي والقدان الرومي كما في غيرها من البلاد الشامية .
وأما جيوشها ووظائفها الديوانية ووظائفها الدينية، فكما في طرابلس . وأما ترتيب النيابة بها ... (١)

الجملة الثانية (فيما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بأعمالها نيابة بل كلها ولايات، يليها أجناد من قبل نائب صفد، وهي إحدى عشرة ولاية .

الأولى - ولاية برها كما في غيرها من الممالك المتقدمة .

الثانية - ولاية الناصرة .

الثالثة - ولاية طبرية .

الرابعة - ولاية بشتين وهونين .

الخامسة - ولاية عثليت .

(١) يباين الأصل في المواضع الأربعة .

- السادسة - ولاية عكا .
- السابعة - ولاية صور .
- الثامنة - ولاية الشاغور .
- التاسعة - ولاية الإقليم .
- العاشر - ولاية الشقيف .
- الحادية عشرة - ولاية جينين .

النيابة السادسة

(نيابة الكرك ، وفيها جلتان)

الجملة الأولى

(فيها هو بمحاضرتها)

أما معاملاتها فكما في غيرها : من المعاملة بالدنانير والدرهم ، وصيبتها ^(١) ورطلها ^(١) وأوقيه اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ^(١) ويقاس قاشها بذراع ^(١) وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من بلاد الشام ، وكذلك نحراج أرضها .

وأما جيوشها فعلى ما تقدم في غيرها من الممالك من اجتماعها من الترك ومن في معنهم ، وبها من الأمراء الطليخانات والمشترات والخمسات ومن في معنهم ، وليس بها مقدم ألف غير النائب كما تقدم والجهوية والمهندارية وتقديم البريد ، وولاية القلعة ، وبها من الوظائف الديوانية ناظر المال وناظر الجش وكتب درج ، وولاية هؤلاء الثلاثة من الأبواب السلطانية .

(١) يباشر في الأصل .

وأما ترتيب الموكب بها . .^(١١)

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الولايات، وفيها أربع ولايات)

الأولى - ولاية برها كما في غيرها .

الثانية - ولاية الشوبك .

الثالثة - ولاية زعفر .

الرابعة - ولاية معان .

الضرب الثاني

(المرب)

ومرب الكرك فيما ذكره في "مسالك الأبصار" : بنو عتبة، وعُتْبَةُ من جذام .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان آخر أسرائهم شعل بن عتبة (٩) وكان سلطاننا

(١) بياض بالأمل بقدرسة أسطر .

الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السماكين وألحقه
بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا ، وأقطعه الإقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف
الكبير ، وأجرل له الحباء ، وعمر له ولأهله البيت والخباء . وكذلك ممن ينسب إلى حرب
الكرك بنو زهير حرب الشوبك ، وآل عجبون ، والعطويون ، والصونيون وغيرهم .

الفصل الثالث

من الباب الثالث من المقالة الثانية
(في المملكة المجازية ، وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضل المجاز وخواصه وعجائبه)

أما فضله ففي " صحيح مسلم " من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم ! قال : " غَلَطَ القلوب والجفاه في المشرق ، والإيمان
في أهل الجاه " .

قلت : وفي ذلك دليل صريح لفضل المجاز نفسه ، وذلك أن هواء كل بلد
يؤثر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء ، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالا
تخصهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل المجاز بالركة كما أخبر عن أهل
المشرق بالغلظة والجفاه ، وناهيك بفضيل المجاز وشرفه أن به مهبط الوحي ومتبع
الرسالة ، وبه مكة والمدينة اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى وأجل بقاع الأرض ،
ولكل منهما فضل يخصه يأتي الكلام عليه عند ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما خواصه فيختص من جهة الشرع بأمرين :

أحدهما - أنه لا يستوطنه مشرك من ذمى ولا معاهد، وإن دخله لم يمكن من الإقامة في موضع منه أكثر من ثلاثة أيام ثم يُصرف إلى غيره، فإن أقام بموضع أكثر من ثلاثة أيام، عُرِّبَ إن لم يكن له عُذر. قال أصحابنا الشافعية: ولو عقد الإمام عقداً لكافر على الإقامة بالحجاز على مسعى بطل العقد ووجب المسعى.

الثاني - أنه لا تُدفن فيه موتاهم وإن دفن أحد منهم فيه نقل إلى غيره.

وأما عجائبه فمنها مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء البيت فأثرت فيه قدماء وصار أثرهما فيه ظاهراً كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو باق على ذلك أمام البيت من جهة الباب إلى الآن.

(ومنها) ماذكره في "الروض المطار" من أن أتر قدم إسماعيل عليه السلام بمسجد بنى في حجر فيه أثر عقبيه حين رَفَسَ لإبليس برجله عند اعتراضه له في دَهابه مع أبيه للذبح.

(ومنها) حصن الجمار، وهو أنه في كل سنة يرعى الحجاج عند الجمرات الثلاث في أيام منى ما تحصل منه التلال العظيمة على طول المدى، ومع ذلك لم يكن موجوداً بنى منها إلا الشيء القليل على تفاؤل السنين، يقال إن مهما تُقْبِلَ منها رفع والباقي منها ما لم يتقبل.

الطرف الثاني

(في ذكر حدوده، وأبتهاد عمارته، وتسميته حجازاً)

أما حدوده فأعلم أن الجواز عبارة عن مكة والمدينة والإمامة ومخالفها على خلاف في بعض ذلك، يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى، وهو بجملة قطعة من جزيرة العرب، وهي ما بين بحر القلزم وبحر الهند وبحر فارس والقرات وبعض بادية الشام.

قال المدائني: جزيرة العرب خمسة أقسام: يَمَامَةُ، وَتَجْدٌ، وَالْحِجَازُ، وَالْمَرْوُضُ .
وَالْيَمَنُ . وزاد ابن حوقل في أقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة فيما بين دِجْلَةَ
وَالْفُرَاتِ وبادية الشام، وفيها خلاف يطول ذكره .

قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": وسُميت جزيرة العرب جزيرة
لأنجزار الماء عنها حيث لم يمتد عليها وإن كان مُطِيقاً بها . والحجاز عندهم عبارة عن
جبل السَّراة - بالسَّين والراء المهملتين - على ما أورده في "الروض المعطار"، وَصُيِّطَ
في "تقويم السُّلْدَان" في الكلام على البَقَاء من الشام بالشَّين المعجمة . وهو جبل
يُقْبَل من اليمن حتى يتصل ببادية الشام، وهو أعظم جبال العرب . وحده من الجنوب
يَمَامَةُ: وهي ما بينه وبين بحر الهند في غربي بلاد اليمن؛ وحده من الشرق بلاد اليمن
وهي بينه وبين فارس؛ وحده من الشمال تَجْدٌ، وهو ما بينه وبين العراق؛ وحده من
الغرب بحر القَزْم وما في جنوبيه من بادية الشام .

الطرف الثالث

(في ابتداء عمارته وتسميته حجازاً)

أما ابتداء عمارته فإنه لما آتت أولاد سام بن نوح عليه السلام وهم العرب
في أقطار هذه الجزيرة حين قَسَم نوح الأرض بين بنيه، نزل الحجاز منهم من العرب
البادية طَمَمٌ وَجَدِيدٌ [ومتلهم] اليَمَامَةُ ومنزلة جرهم على القرب من مكة فكان ذلك
أول عمارة الحجاز بعد الطوفان؛ ثم بادت هذه العرب وهلكوا عن آخرهم، وَدَرَسَتْ
أخبارهم وأُتْقِطِعَت آثارهم . وعمر الحجاز بعدهم جُرْهُمُ الثانية، وهم سَوِجْرُهُم بن
قَحْطِلَيْت بن عَابِر بن شَائِح بن أَرْغَشْدَ بن سام بن نوح عليه السلام . ولما أَسْكَنَ
إِبْرَاهِيمُ الخليل عليه السلام ولده إِسْمَاعِيلَ بمكة كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي

أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) كانت جرهمُ الثانية نازلين بالقرب من مكة فأتصلوا بإسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم وكثر ولده وتناسلوا فعمروا الحجاز إلى الآن .

وأما تسميته حجازاً، فقال الأصمعي : سمي بذلك لأنه حمزين تَحْدٍ وتَهَامَةٌ ولامتداده بينهما على ما تقدم . وقال ابن الكلبي : سمي بذلك لما احتجز به من الجبال . قلت : ووقع في "الروض المعطار" فقال : سمي حجازاً لأنه حمز بين القُور والشام، وقيل لأنه حمزين تَحْدٍ والسَّراة ، وما أعلم ما الذي أوقعه في ذلك .

الطَّرْفُ الرَّابِعُ

(في ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة)

أما مياهه وعيونه، فقال المتكلمون في المسالك والممالك : ليس بالحجاز بل بجزيرة العرب جملةً نهر يجري فيه مَرْتَبٌ ، وإنما فيه العيون الكثيرة المتفجرة من الجبال المتعصدة بالسيول والأمطار، الممتدة من وَادٍ إلى وَادٍ، وعليها قُرَاهِمٌ وحدائقهم وبساتينهم مما لا يحصى ذلك كثرةً، كما في الطائف وبعثن مَرَّةً، وبعثن نَحْلٌ، وُصُفَانٌ وبَذَرٌ وغير ذلك .

وأما جباله المشهورة، فأعلم أن جميع أرض الحجاز جبال وأوديةٌ ليس فيها بسيط من الأرض، وجباله أكثر من أن تحصى تحت السَّدة أو يأخذها الحصر، وقد ذكر الأزرقي في "تاريخ مكة" أن مكة^(١) اثني عشر ألف جبل لكل جبل منها اسم يخصه ولكن قد شهرت جبال مكة والمدينة واليَبُوع .

فمن جبال مكة المشهورة (جبل أبي قيس) وهو الجبل الذى فى جنوبى مكة ممتداً على شرقها ، قال الأزد : وهو أول جبل وُضع بالأرض ولذلك كانت أقرب الجبال إلى البيت .

(ومنها) جبل قَيْقَاع^(١) - بقاف مفتوحة وياء مثناة تحُت ساكنة ونون مضمومة وقاف ثانية مفتوحة بعدها ألف وعين مهملة - وهو الجبل الذى غربى مكة ، سُمى بذلك لمكان سلاح تُع منه ، والقعقة صوت السلاح ، كما سُمى جِيَاد جِيَاداً لمكان خيله منها .

(ومنها) جبل حَرَاء - بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف - وهو جبل يُشرف على مكة من شرقها يرى البيت من أعلاه ، وفيه الغار الذى كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وفيه جاءه جبريل عليه السلام فى أول النبوة .

(ومنها) جبل قُور - بفتح التاء المثناة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر - وهو جبل مشرف على مكة من جنوبها ، وفيه الغار الذى آختنى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

(ومنها) جبل تَيْير^(٢) - بفتح التاء المثناة فوق وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وراء مهملة فى الآخر - وهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة .

الطَّرَفُ الْخَامِسُ

(فى زُرُوعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره)

أما زُرُوعه ففيه من الحبوب المزدرة البر والشعير والذرة والسَلْت ، وجميعها تُزْرَع على المطر ، وربما زُرِع بعضها على ماء العيون ، والشعير والذرة أكثر الحبوب

(١) صوابه قَيْقَاعَان . أنظر معجم البلدان ومجمع باقوت . (٢) صوابه تَيْير بالثاء المثناة .

وجوداً، ويزدج فيه على العمود البطيخ : الأخضر والأصفر، والقثاء، والبادنجان،
والدباء، والملوخيا، والهندباء، والفجل، والكراث، والبصل، والثوم .
وأما فواكه فيه الرطب، والعنب، والموز، والتفاح، والسفرجل، والليمون
وغير ذلك .

وأما رباحه ففيه التامر حياء، ويسمى عندهم الفأغية : بالفاء وحين معجزة وباء
مثناة تحت وهاء في الآخر .

وأما مواشيه ففيه الإبل، والضأن، والمعز بكثرة، والبقر بقلة . وبه من الخيل
ما يفوق الوصف حسنة، ويسجز برق إدراكه .

وأما وحوشه ففيه الفيلان، وحمر الوحش، والذئاب، والضباع، والثعالب،
والأرانب وغيرها .

وأما طيوره ففيه الحمام، والدجاج، والجداعة، والرخم .

الطرف السادس

(في قواعده وأعماله ؛ وفيه ثلاث قواعد)

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لها ستة عشر اسماً . "مَكَّة" بفتح الميم وتشديد
الكاف المفتوحة وهاء في الآخر . كما نطق به القرءان الكريم في قوله تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي
كَلَّمَ آبَائِهِمْ عَنْهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ عَنْهُمْ بَطْنُ مَكَّةَ)) ، سميت بذلك لقلة ما فيها أخذاً من

قولهم أَمَتَكَ الْفَصِيلُ ضَرَعَ أَنَّهُ إِذَا أَمْتَصَهُ ، وَقِيلَ لَأَنَّهُ تَمَكُّ الذَّنُوبُ بِمَعْنَى أَنَّهُ
تَذَهَّبَ بِهَا ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا (بَكَّةُ) بِإِبْدَالِ الْمِيمِ بَاءً مُوَحَّدَةً . وَبِهِ نَطَقَ الْقُرْآنُ أَيْضًا
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ قَالَ اللَّيْثُ : سَمِيَتْ
بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَبَكُّ اعْتِاقُ الْجَبَابِرَةِ أُنْفَى تَدَقُّهَا وَالْبَكُ الدَّقُّ ؛ وَقِيلَ بِالْمِيمِ الْحَرَمُ كُلُّهُ وَبَكَّةُ
الْمَسْجِدُ خَاصَّةً ، حَكَاهُ الْمَسَاوِدِيُّ عَنِ الزَّهْرِيِّ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ؛ وَقِيلَ بِالْبَاءِ أَسَمُ
لِمَوْضِعِ الطَّوَافِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَزْدِحَامِ النَّاسِ فِيهِ وَالْبَكُّ الْأَزْدِحَامُ . وَمِنْ أَسْمَائِهَا أَيْضًا
(أُمُّ الْقُرَى) وَ (الْبَلَدُ الْأَمِينُ) وَ (أُمُّ رُحْمٍ) بِضَمِّ الرَّاءِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ لِأَنَّ النَّاسَ
يَتَرَامَحُونَ فِيهَا وَيَتَوَادَعُونَ ؛ وَ (صَلَاحٍ) مَنِ عَلَى الْكُسْرِ كَقَطَامٍ وَنَحْوِهِ ؛ وَ (الْبَاسَةُ) لِأَنَّهُ
تَبَسَّ الظَّالِمُ أَيْ تَحَطَّمَهُ ؛ وَ (النَّاسَةُ) بِالنُّونِ لِأَنَّهُ تَلَسَّ الْمَلْعَدُ فِيهَا أَيْ تَطَرَدَهُ ؛ وَ (النَّسَاسَةُ)
لِذَلِكَ أَيْضًا ؛ وَ (الْحَاطِمَةُ) لِأَنَّهُ تَحَطِّمُ الظَّالِمَ كَمَا تَقْدَمُ وَ (الرَّاسُ) وَ (كُوْنِي) بِضَمِّ الْكَافِ
وَفَتْحِ الْمِثْلَةِ ؛ وَ (الْقُدْسُ) وَ (الْقَادِسُ) وَ (الْمَقْدَسَةُ) ، قَالَ النَّوَوِيُّ : وَكَثَرَةُ الْأَسْمَاءُ تَدُلُّ
عَلَى شَرَفِ الْمَسْجِدِ ، وَلِذَلِكَ كَثُرَتْ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَاءُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْجَمَازِ . وَحَكَى ابْنُ حَوْقَلٍ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا مِنْ تِيَامَةِ
وَرَجْمِهِ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" . وَمَوْقِعُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ . قَالَ
فِي "كِتَابِ الْأَطْوَالِ" : طُولُهَا سَبْعٌ وَسِتُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثَ عَشْرَةَ دَقِيقَةً ، وَعَرْضُهَا
إِحْدَى وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَأَرْبَعُونَ دَقِيقَةً ، وَقَالَ فِي "الْقَانُونِ" : طُولُهَا سَبْعٌ وَسِتُونَ دَرَجَةً
فَقَطْ ، وَعَرْضُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَعِشْرُونَ دَقِيقَةً . وَقَالَ فِي "رِسْمِ الْمَعْمُورِ" :
طُولُهَا سَبْعٌ وَسِتُونَ دَرَجَةً ، وَعَرْضُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ . وَقَالَ كُوشِيَا وَطُولُهَا
سَبْعٌ وَسِتُونَ دَرَجَةً وَعِشْرَ دَقَاقٍ ، وَعَرْضُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَأَرْبَعُونَ
دَقِيقَةً . وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : طُولُهَا سَبْعٌ وَسِتُونَ دَرَجَةً وَإِحْدَى وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً ،
وَعَرْضُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَعِشْرُونَ دَقِيقَةً . وَهِيَ مَدِينَتُهُ فِي بَطْنِ بِلَادِ الْبَحْلِ

مَحْتَقَّةٌ بِهَا ، فَأَبُو قُبَيْسٍ مَشَرَفٌ عَلَيْهَا مِنْ شَرْقِيَّهَا وَأَجْيَادٌ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مَشَرَفٌ عَلَيْهَا مِنْ غَرْبِيَّهَا . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَوْضِعِ خَيْلِ تُبَيْعٍ مِنْهُ . قَالَ فِي "الروض المعبطار" : وَسَمَّيْنَا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْجَنُوبِ مِائِلِينَ ، وَمِنْ أَسْفَلِ أَجْيَادٍ إِلَى ظَهْرِ جَبَلٍ قَعِيقَانٍ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ الْكَلْبِيُّ : وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مَنَازِلٌ مَبْلِيَّةٌ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ ؛ وَكَانَتْ جُرْمُهُمُ وَالْعَمَاقَةُ حِينَ وَلَّيْتَهُمْ عَلَى الْحَرَمِ يَنْتَجِمُونَ جِبَالَهَا وَأَوْدِيَّتَهَا يَنْزِلُونَ بِهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَهُمْ فَشَاوْا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صَارَتِ الرَّيَاسَةُ فِي قُرَيْشٍ لَقُصَيٍّ بْنِ كَلَابٍ فَبَنَى بِهَا دَارَ النَّدْوَةِ ، يَحْكُمُ فِيهَا بَيْنَ قُرَيْشٍ ؛ ثُمَّ صَارَتْ لِمَشَاوَرَتِهِمْ وَعَقْدِ الْأُلُويَةِ فِي حَرْبِهِمْ ؛ ثُمَّ نَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ ؛ فَبَنَوْا دُورًا وَسَكَنُوهَا ، وَتَزَايَدَ الْبِنَاءُ فِيهَا حَتَّى صَارَتْ إِلَى مَا صَارَتْ . وَبَنَآؤُهَا بِالْمَجْمُوعِ عَلَيْهَا سُورٌ قَدِيمٌ قَدْ هُيِمَ أَكْثَرُهُ وَبَقِيَ أَثَرُهُ وَالْمَسْجِدُ فِي وَسْطِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ فِي "تَارِيخِ مَكَّةَ" أَنَّ الْكَعْبَةَ كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تُدْعَى الْأَرْضُ رَابِعَةً حَرَاءَ مَشْرِفَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، وَلَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، اسْتَوَحَشَ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ قُبَّةً مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءَ لَهَا بَابَانِ فَوُضِعَتْ مَكَانَ الْبَيْتِ فَكَانَ يَتَأَلَّسُ بِهَا ، وَجَمَلٌ حَوْلُهَا مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ بِصَرِّ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهَا . قَالَ فِي "الروض المعبطار" : وَكَانَ الْمَجْمُوعُ الْأَسْوَدُ كَرْسِيًّا يَجْلِسُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَطُولُهُ ذِرَاعٌ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْمَسْأُودِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا قَالُوا : ﴿ أَتَجْمَعُلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لَأَذُوا بِالْعَرْشِ خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَطَافُوا حَوْلَهُ سَبْعًا فَرَضَى عَنْهُمْ وَقَالَ : آبَتُوا فِي الْأَرْضِ بَيْنَا يَتَوَدُّ بِهِ مِنْ تَحَنُّطٍ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي آدَمَ فَبَنَوْا هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ أَوَّلُ بَنَائِهِ ؛ ثُمَّ بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ قَالَ فِي "الروض المعبطار" : وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَقْفًا . قَالَ : ثُمَّ أَتَاهُمُ الْكَعْبَةُ فَبَنَتْهَا الْعَمَاقَةُ ؛ ثُمَّ أَتَاهُمُ فَبَنَتْهَا جُرْمُهُمْ ، ثُمَّ أَتَاهُمُ فَبَنَاهَا قُصَيُّ بْنُ كَلَابٍ وَسَقَّفَهَا بِخَشَبِ

القوم وحريد النخل، وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا، ثم استهدمت وكانت فوق القامة فأرادت قريش تليتها فهدمتها وبتها، والنبي صلى الله عليه وسلم عمره خمس وعشرون سنة، وشهد بناءها معهم، وكان بابها بالأرض فقال أبو حذيفة ابن المغيرة: يا قوم أرفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا مسلم ففعلوا ذلك وسقفوها بخشب سفينة ألغوها البحر إلى جدة

قال في "الروض المعمار": وكان طولها ثمانى عشرة ذراعا، ثم أحرقت البيت حين حوَّصر ابن الزبير بمكة وتأثرت حجارته بالنار، فهدمه ابن الزبير وأدخل فيه ستة أذرع من الحجر، وقيل سبعة، وجعل له باين ملصقين بالأرض: شرقيا وغربيا يُدخل من أحدهما ويُخرج من الآخر، وجعل على بابها صفايح الذهب، وجعل مفاطيه من ذهب. قال في "الروض المعمار": وبلغ بها في الملق سبعا وعشرين ذراعا. فلما قتل ابن الزبير كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره بإعادته على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من بناء قريش فهدم جانب الحجر وأعاده إلى ذلك، وسد الباب الغربى ورفع الشرقى عن الأرض إلى حده الذى هو عليه الآن، وكان عبد الملك بن مروان بعد ذلك يقول: "وَدِدْتُ أَنى كُنْتُ حَمَلْتُ ابْنَ الزَّيْرِ مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ مَا تَحْمَلُ".

ثم جدد المتوكل رُخام الكعبة فأزرها بفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب، وهو على ذلك إلى الآن. وهو مبنى بالحجر الأسود مستطيل البناء على التربع، في ارتفاع خمسة وعشرين ذراعا. وله أربعة أركان.

الأول - ركن الحجر الأسود. وهو ما بين الشرق والجنوب، ومنه يتبدأ الطواف.

(١) عبارة ياقوت "ورفعوا بابها مخافة السيل وأن لا يدخل فيها إلا من أحبوا".

الثاني - الشامي . وهو ما بين الشرق والشمال ، سمي بذلك لمسامته بعض بلاد الشام ، ودخله باب المَطْلَع إلى سطح الكعبة .

الثالث - الغربي . وهو ما بين الشمال والغرب ، سمي بذلك لمسامته بلاد المغرب ، ولو سمي بالمصري لكان جديراً به لمسامته بلاد مصر .

الرابع - اليماني . وهو ما بين الغرب والجنوب ، سمي بذلك لمسامته بلاد اليمن ولذلك خففت الياء في آخره نسبة إلى اليمن . وقال ابن قتيبة : سمي بذلك لأنه بناه رجل من اليمن يقال له **أبى سالم** ، وقد يُطْلَق عليه وعلى ركن الحجر الأسود **اليمانيان** ، وعلى الشامي والغربي **الشاميان** تغليبا .

ثم بين ركن الحجر الأسود وبين الركن الشامي أربعة وعشرون ذراعاً ، وبالقرب من الركن الأسود في هذا الجدار باب الكعبة على أربعة أذرع وشيء من الأرض يُرقى إليه بدرج من خشب توضع عند فتح الباب ، والمُسْتَرَمُّ بين الركن الأسود والباب الشرقي ، وبالقرب من الركن الشامي منه مصلى آدم عليه السلام .

وهذا الجدار مقسوم ثلاث جهات .

الأولى - من الركن الأسود إلى باب الكعبة . وهي في جهة القبلة لأهل البصرة ، والأهواز ، وفارس ، وأصبهان ، وكرمان ، وچيستان ، وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك .

الثانية - من الباب إلى مصلى آدم عليه السلام . وهي جهة القبلة لأهل الكوفة . وبغداد ، وحلوان ، والقادسية ، وحمدان ، والرقي ، ونيسابور ، ومرو ، وخوارزم ، وبخارا ، ونسا ، وفرغانة ، والشاش ، وخراسان ، وما على سمت ذلك .

الثالثة - من مصلى آدم عليه السلام إلى الركن الشامي . وهي جهة القبلة لأهل الرها ، والموصل ، وملطية ، وشمشاط ، والحيرة ، وسنجار ، وديار بكر ، وأرمينية إلى باب الأبواب ، وما على سمت ذلك .

وبين الركن الشامي والركن الغربي أحد وعشرون ذراعاً ، وبأعلى هذا الجدار الميزاب في الوسط منه وخارجه الحجر (بكر الحاء المهمله وسكون الجيم) مستديراً به على سمت الركنين ، يفصل بينه وبين البيت قُرْبَتَان .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضاً .

الأولى - من الركن الشامي إلى دوير الميزاب . وهي جهة القبلة لدمشق ، وحماة ، وسامية ، وحلب ، ومنبج ، وميافارقين ، وماسامت ذلك .

الثانية - وسط الجدار من الميزاب وما إلى جانبه . وهي جهة القبلة للدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) وجانب الشام الغربي ، وغزة ، والرملة ، وبيت المقدس ، وفلسطين ، وعكا ، وصيدا .

الثالثة - ما يلي هذه الجهة إلى الركن الغربي . وهي جهة القبلة لمصر بأسرها من أسوان إلى دمياط ، والإسكندرية ، وبرقة ، وكذلك طرابلس الغرب ، وصقلية ، وسواحل الغرب ، والآندلس وما على سمت ذلك . وبين الركن الغربي والركن الثاني في هذا الجدار الباب المسدود بمجاء الباب المفتوح .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضاً .

الأولى - من الركن الغربي إلى ثلث الجدار . وهي جهة القبلة لأهل الشمال من بلاد البجاة ، والنوبة ، وأوسط الغرب من جنوب الواحات إلى بلاد البريد إلى البحر المحيط وما على سمت : ذلك من حذاب ، وسواكن ، وجنوب أسوان ، وجدة ، ونحو ذلك .

الثانية - من ثلث الجدار إلى دوير الباب المسدود . وهي جهة القبلة لأهل الجنوب من بلاد البجاة ودهلك وسواكن والنوبة والتكرور ، وما وراء ذلك وعلى سمتة .

الثالثة - من دون الباب المسنود إلى الركن الثاني ، وهي جهة القبلة لأهل الحَمَسَةِ ، والرَّمَج ، والرَّيْلَج ، وأكثر بلاد السودان وما والاها من البلاد أو كانت على سمتها .

وبين الركن الثاني وركن الحجر الأسود عشرون ذراعاً ، أنقص من مقابله بذراع ، وبالقرب من ركن الحجر الأسود من هذا الجدار مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات .

الأولى - الركن الثاني إلى سبعة أذرع من الجدار . وهي جهة القبلة لتَدَمَّر ، وَحَضَرَمَوْت ، وَعَدَن ، وَصَنْعَاء ، وَثَمَان ، وَصَعْدَةَ ، وَالشَّحْر ، وَسَبْيَا ، وَزَيْدَةَ وما والاها أو كان على سمتها .

الثانية - من حدّ الجهة المتقدمة إلى دون مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة . وهي جهة القبلة لجنوب بلاد الصَّيْن ، والسَّنْد ، والتَّهَام ، والبحرين ، وما سامت ذلك .

الثالثة - من مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة إلى ركن الحجر الأسود . وهي جهة القبلة لأهل واسطَ ، وبلاد الصَّيْن ، وَالْهِنْد ، وَالْمَرْجَان ، وَكَابُل ، وَالْقَنْدُهَار . والمعبر ، وما والاها من البلاد أو كان على سمتها .

ومقابل الجدار الشرق من البeth مما على ركن الحجر الأسود زَمَزَمُ وَسِقَايَةُ الْعَبَّاس ، ويقابله مما على الركن الشاميّ مقامُ إبراهيم عليه السلام . وقد تقدّم الكلام عليه في عجائب الحجاز فيما مرّ ، ويسمى ما بين الكعبة وزَمَزَمُ والمقام الحطيم (بالحاء والطاء المهملتين) . قال في "الروض المعطار" : سمي بذلك لأنه كان من لم يجد من الأعراب

نوبا من ثياب أهل مكة يطوف فيه رعى ثيابه هناك وطاف عربانا، وخارج المسجد الصفا والمروة اللذان يقع السعى بينهما.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(الحرم ومشاعر الحج الخارجية عن مكة)

أما الحرم فهو ما يطيف بمكة بما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه ونحو ذلك ، وقد تقدم أن الله تعالى جعل ملائكة يحرسون القبة التي أنزلها الله تعالى إلى آدم من الجنة ووضعت له مكان الكعبة وجعلت الملائكة حراسا لها كي لا يقع عليها بصر الشياطين ، فكانت مواقف الملائكة هي حدود الحرم . قال ابن حوقل : وليس بمكة والحرم شجر يشمر إلا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون ونمار .

وأعلم أن مقادير جهات الحرم تتفاوت في القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده أعلام منصوبة في كل جهة تدل عليه . قال في "الروض المعطار" : قال الزبير : وأول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان بن أدد ، خوفا من أن تدرس معالم الحرم أو تتغير . قال : وحده من التنعيم على طريق سيرف إلى ممر الظهران خمسة أميال ، وذكر في موضع آخر أنها ستة أميال ، وحده من طريق جدة عشرة أميال ؛ ومن طريق اليمن ستة أميال ، ودوره سبعمائة وثلاثة وثلاثون ميلا . ثم يحدود هذا الحرم أما كن مشهورة ، يخرج إليها من مكة من أراد أن يحل بعمره فيحرم منها .

أحدهما - (التَّعِيمُ) - بالف ولام لازمتين وفتح التاء المثناة فوق وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم في الآخر - وهو موضع على حد الحرم على طريق السالك من بطن مكة وإلى مكة . قال في "الروض المعطار" : وسمي التعيم لأنت الجبل الذي عن يمينه أسمه نُعَيْم والذي عن يساره أسمه ناعيم والولدى الذي هو فيه أسمه نَعْمَانُ ؛ ومنه أعتمرت عائشة رضي الله عنها مع عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهناك مسجد يعرف بمسجد عائشة إلى الآن .

الثاني - (الحَدِيثِيَّةُ) - بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء المثناة تحت وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشددة وفي آخرها تاء - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعي تخفيف الياء الثانية . قال في "تقويم البلدان" : وهو موضع بعضه في الحِلِّ وبعضه في الحرم ، وفيه صَدُّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت ، وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت ، وهي على مسيرة يوم ، وهي في مثل زاوية للحرم . وذكر في "الروض المعطار" أن الحديبية أسم لبئر في ذلك المكان ، ومذهب الشافعي أن العمرة منه أفضل من التعيم .

الثالث - (الجَمْرَانَةُ) - بكسر الجيم والعين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة بعدها ألف ونون مفتوحة وهاء في الآخر - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعي سكون العين وتخفيف الراء . قال : وهو مكان بين مكة والطائف ولكنه إلى مكة أقرب ، ومنه أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة في وجهته تلك ، ومذهب الشافعي أن العمرة منه أفضل من الحَدِيثِيَّةِ .
وأما مشاعر الحج الخارجية عن مكة فثلاثة .

{1} أي مزيجه من غزاة حنين وقسم فيها غنائم هوازن . أنظر "معجم البلدان" .

أحدها - مَنَى بكسر الميم وفتح النون وألف مقصورة - سميت بذلك لما نُمِنِي فيها من الدماء أى يراق . قال فى "المشترك" : وبينها وبين مكة ثلاثة أميال - وهى تشبه القرية مبنية على ضفتى الوادى . وبها مسجد الخُيْط - يفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفى آخره فاء وهو مسجد عظيم مُتسع الأرجاء بغير سقف .
 الثمانى - (المُزْدَلِفَةُ) - بضم الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وكسر اللام وفتح الفاء وآخرها هاء - وهى موضع على بَسْرَةِ الذاهب من مَنَى إلى عرفة . قال النووى : سميت بذلك من التزلف والأزدلاف وهو التقرب ، لأن الحجاج إذا أفاضوا من عَرَفَاتٍ أزدلّفُوا إليها أى تقربوا ومَضَوْا إليها ، وتسمى جَمْعاً أيضاً بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة - لأنه يجمع بها بين المغرب والعشاء وبها مسجد متسع . قال فى "الروض المطار" : طوله ثلاثة وستون ذراعاً ، وعرضه خمسون ذراعاً ، وأرتفاع جداره عشرة أذرع .

الثالث - (عَرَفَةُ) - بفتح العين والراء المهملتين والفاء وهاء فى الآخر - ويقال فيه أيضاً عَرَفَاتٌ على الجمع ، وبه جاء القرءان فى قوله تعالى : (فَإِذَا أَنْفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ) وهو موقف الحج ، وسمى عرقات لتعارف آدم عليه السلام وحواء به . قال كعب الأحبار : أهبط آدم عليه السلام بالهند ، وحواء بِعَرَفَةَ ، وإبليسُ بِجُدَّةَ ، والحیة بِأَصْبَهَانَ ، وأمر الله تعالى آدم بيجع البيت لحج ، فكان حيث وضع قدمه تنفجر الأتجار وتنبئ المساجد . فلما وصل إلى عرفة ، وجد بها حواء فتعارفا بها .

الضرب الثانى

(قُرَاهَا وَتَحَالِفُهَا)

وأعلم أن أكثر جبال مكة وأوديتها مسكونة معمورة إلا أنه ليس بها قرية مُقَرَّاة إلا حيث المياه والعيون الجارية والحدائق المهدقة ، والمشهور من ذلك عشرة أماكن .

الأول - (جدة) - بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء - وهي فُرْضة مكة على ساحل بحر القلزم ، وموقعها في أول الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة ، وهي في الغرب عن مكة بميلة إلى الشمال ، قال في "الأطوال" : طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، ووافقه على ذلك في "القانون" . وقال في "رسم المعمور" : طولها خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . وهي مينا عظيمة محل حط وإقلاع ، إليها تنتهي المراكب من مصر واليمن وغيرها ، وغيا تصدر من مكة . قال في "تقويم البلدان" : "وهي من مكة على مرحلتين . وقال الإدريسي : بينهما أربعون ميلاً ، وهي ميقات من قطع البحر من جهة عيذاب إليها .

الثاني - (بطن نخل) - وضبطه معروف ، ويقال فيه أيضا وادي نخلة على التوحيد ونخلة بإسقاط لفظ وادي . قال الجوهري : وبه كانت العزى التي هي أحد طواغيت قريش ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد فهدمها ، وهي الآن بيد هذيل ، وهي قرى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . أخبرني بعض أهل الحجاز أن بها نحو أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وغالب فواكه مكة وقطائفها وبقولها منها ، ومنها يصب الماء إلى بطن مَرَة الآتي ذكره .

الثالث - (الطائف) - بالثاء ولام لازمتين فطاء مهملة مشددة مفتوحة بعدها ألف وياء مثناة تحت مكسورة ثم فاء - وهو بلد شرقي بطن نخل المتقدم ذكرها ، وبطن نخل بينه وبين مكة . قيل سميت الطائف لأنها في طوفان نوح أقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالأرض حتى أرست في هذا الموضع . وقال في "الروض المعطار" : "أسمها القديم وَّجْج يعني بواو مفتوحة وجيم مشددة - سميت برجل من العالقة ، ثم سكنها فتيقف فبنوا عليها حائطا مطيفا بها فسميت الطائف

قال : وهى إحدى القرينتين المذكورتين فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من الحجاز تقريبا ، وموقعها فى أوائل الإقليم الثاوى . وقال ابن سعيد : طولها ثمان وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وهو بلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيرها ، وهى طيبة الهواء إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما جمّد الماء بها لشدة بردها .

الرابع - (بَطْنُ مَرَّةٍ) - بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة ونون بعدها ثم ميم مفتوحة وراء مهملة مشددة - وهو واد من أودية الحجاز فى الشمال عن مكة على مرحلة منها على طريق مُجَاجِ مصر والشام . قال فى "الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بُقعة بها عدة عيون ومياه تجري ونخيل كثير ، والنخل والمزدرع متصل من وادى نخلة إليها . وذكر غيره أن بها نحو أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية ، ومنها تُجَمَلُ الفواكه والبُقولات إلى مكة كما تحمل من نخلة والطائف ، وهى بيد بنى حَسَنٍ أمراء مكة .

الخامس - (الْمَدَّةُ) - بالف ولام ثم هاء ودال مهملة مفتوحين وهاء ساكنة فى الآخر - وهو واد على القرب من بطن مَرَّةٍ ، على مرحلة ونصف من مكة ، به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وهى بيد بنى جابر .

السادس - (مُسْقَانُ) - بضم العين وسكون السين المهملتين وفتح الفاء ثم ألف ونون - وهو واد معروف على طريق مُجَاجِ مصر ، على ثلاث مراحل من مكة ، كان بها حدائق ومياه تنصب إليها من المدد المذكورة ، وهى الآن خراب ليس بها عمارة .

السابع - (الْبَرْزَة) - بالف ولام ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى واد بالقرب من عُسْقَان على مرحلتين من مكة؛ به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية؛ وهى الآن بيد بنى سُلُول وبنى مُعَيْد بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة .

الثامن - (خُلَيْصٌ) - بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وإسكان الياء المثناة تحت والصاد المهملة - وهو واد على طريق مُجَاج مصر على أربع مراحل من مكة؛ به نحو تسعة أنهر على كل نهر قرية .

التاسع - (وَادِى كَلْبَة) - بضم الكاف وفتح اللام وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وهو واد بالقرب من خُلَيْص به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية؛ وكان بيد سُلَيْم، وقد حُرب من مَدَّة قريبة بعد الثمانين والسبعائة .

العاشر - (مَرُّ الظُّهْرَانِ) - بفتح الميم وتشديد الزاء المهملة ثم ألف ولام وظاء معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ونون - وهو موضع بينه وبين مكة نحو ستة عشر ميلا، وهو الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ! عند ضُلُحِه مع قريش، كان به ضِيَاع كثيرة وهو الآن خراب . قال فى "الروض المعمار" : وبه حصن كبير؛ كان يسكنه شُكْر بن الحسن بن على بن جعفر الحنفى يعنى أمير مكة الآتى ذكره فى جملة أمرائها .

الطرف السابع

(في ذكر ملوك مكة ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

اعلم أن مكة بعد الطوفان كان ملكها في عاد ، وكان بها منهم معاوية بن بكر بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان مع معاوية بن بكر (وهو عاد) الآخرة فيما يقال) يمرّب ثم غلبهم العالقة عليها . فلما غلب ابن قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عادا على اليمن وفترق ملك اليمن في إخوانته ، استولى على الحجاز وأخرج العالقة منه وولّى أخاه جرهم بن قحطان على الحجاز ، فبقى به حتى مات . فملك بعده ابنه عبد باليسل . ثم ملك من بعده ابنه جرهم ، ثم ملك بعده ابنه عبد المدين . ثم ملك بعده ابنه ببيعة ، ثم ملك بعده ابنه عبد المسبح . ثم ملك بعده ابنه مضاض . ثم ملك بعده ابنه الحرث . ثم ملك بعده مضاض بن عمرو بن مضاض .

قال ابن سعيد : وجرهم هذه هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، وكانت قبلهم جرهم أخرى مع عاد . قال في " الروض المعطار " : وفي ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مضاض ، وهو التاسع من ملوك جرهم المتقدم ذكرهم :

وصاهرنا من أكرم الناس والدا * فأبناؤه منا ونحن الأصاهر !

قال صاحب حمة في " تاريخه " : وقد اختلف المؤرخون في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين إسماعيل ، فبعضهم يقول : كان الملك في جرهم ، ومفاتيح الكعبة وسداتها في يد ولد إسماعيل ، وبعضهم يقول : إن قيادار بن إسماعيل توجّهت أخواله من جرهم وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز .

وأما سِدَانَةُ الْبَيْتِ ومفاتيحه فكانت مع بنى إِسْمَاعِيلَ بلا خلاف حتى آتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى نَائِبٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، فَصَارَتِ السِّدَانَةُ بَعْدَهُ جُرْهُمَ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ الْحَرِثِ :

وَكَا وَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَائِبٍ * نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْأَمْرُ ظَاهِرُ !
وذكر في "الروض المعمار" : أنه كان مع جُرْهُمَ بِمَكَّةَ قَطُورًا ، وَجُرْهُمَ وَقَطُورًا أَخُوَانِ ، وَكَانَ مِثْلُ جُرْهُمَ أَعْلَى مَكَّةَ بَقِيْعَةً فَحَازَ ، وَمِثْلُ قَطُورًا أَسْفَلَ مَكَّةَ بِأَجْيَادٍ لَهَا حَازَ ، وَأَنْتَهتْ رِيَاسَةُ قَطُورًا فِي زَمَنِ مُضَاضِ بْنِ عَبْدِ الْمَسِيحِ الْمُنْتَقِمِ ذَكَرَهُ إِلَى السَّمِيدِ ، وَكَانَ مُضَاضٌ يُعَشِّرُ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَالسَّمِيدُ عِشْرَ مِنْ دَخَلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا ، ثُمَّ بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَنَافَسُوا الْمَلِكَ وَأَقْتَتَلُوا فَقُتِلَ السَّمِيدُ ، وَأَسْتَقْبَلَ مُضَاضٌ بِالْأَمْرِ ، وَبَقِيَتْ جُرْهُمُ وَلَاةَ الْبَيْتِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ سَنَةٍ فَأَكَلُوا مَالَ الْكُفَّةِ الَّذِي يَهْدَى إِلَيْهَا وَاسْتَحْلَوْا حَرَمَهَا ، وَبَلَغَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا لَمْ يَجِدْ بَكَانًا يَزِي فِيهِ (١) الْكُفَّةَ فَزَنَى فِيهَا ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا حَتَّى يُقَالَ إِنَّ إِسَافَ ابْنَ سَمِيلَ زَنَى بِنَائِلَةَ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ ذُرَيْبٍ فِي جُوفِ الْكُفَّةِ فَنَسَا حَجْرِينَ ، وَنَضَبَ مَاءً زَمَزَمَ لِكُثْرَةِ الْبَغْيِ وَدَرَسَتْ مَعَالِمُهَا ، ثُمَّ جَاءَ عَمْرِو بْنُ لُحْيٍ فَقَبِلَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَدَّلَهُ وَبَعَثَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ النَّسَائِلِ ، وَعُمِّرَ ثَلَاثَةَ سَنَةٍ وَخَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَبَلَغَ مِنَ الْوَلَدِ وَوَلَدَ الْوَلَدِ الْفَيْنَ .

ثم صارت سِدَانَةُ الْبَيْتِ ومفاتيحه إِلَى ثُرَاعَةَ بْنِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ بْنِ سَبَّحٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْ حِينَ تَفْزُقُ عَرَبُ الْيَمَنِ بِسَبَبِ سَيْلِ الْعَرِمِ يَهْطُلُ مَرًّا عَلَى الْقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ ، وَصَارَتْ لَهُمُ الرِّيَاسَةُ بِسِدَانَةِ الْبَيْتِ ، وَبَقِيَتْ السِّدَانَةُ بِيَدِهِمْ

(١) فِي "السِّبَاطِ" وَ"الْمَعْرِ" بِدَرْزِ أَلْفٍ .

(٢) بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ أَسْلَهُ "دَخَلَ" كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ .

إلى أن آتته إلى أبي غنشان: سليمان بن عمرو الخزازي في زمن بهرام جور بن زدرج
من ملوك الفرس؛ ورئيس قريش يومئذ قصي بن كلاب، فأجتمع قصي مع أبي غنشان
على شراب بالطائف، فلما سكر أبو غنشان اشترى قصي سدانة البيت منه بريق نحر
وتسلم مفاتيحه وأشهد عليه بذلك، وأرسل ابنه عبد الدار بها إلى البيت فرفع صوته
وقال: يا معشر قريش! هذه المفاتيح: مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، قد ردها الله عليكم
من غير عار ولا ظلم^(١)، فلما سمع أبو غنشان ندم حيث لا يتفقه الندم، ويقال "أخسر
من صفة أبي غنشان" وأكثر الشعراء القول في ذلك حتى قال بعضهم:

بَاعَتْ نِزَاعَةُ بَيْتِ اللَّهِ إِذْ سَكِرْتُ * بَرَقَ نَحْرِي، فَبِلَسْتِ صَفْقَةَ الْبَادِي

بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالزَّرِيرِ وَأَنْصَرَفْتُ * عَنِ الْمَقَامِ وَظِلَّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي

ولما وقع ذلك عدت نخاعة على قصي فظهر عليهم وأجلاهم عن مكة؛ وكان بمكة
عرب يجيئون الجميع إلى الموقف، وكان لهم بذلك رياسة فأجلاهم قصي عن مكة
أيضا وأنفرد بالرياسة. قال العسكري في "الأوائل": وكان أول من نال الملك من
ولد النضير بن كنانة.

ولما تم لقصي ذلك بنى دار الندوة بمكة، فكانت قريش تقضي فيها أمورها
فلا تشكع ولا تتساور في أمر حرب ولا غيره إلا فيها، ولم تزل الرياسة فيه وفي بنيهِ
بعد ذلك. فولد له من الولد عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى.

ثم انتقلت الرياسة العظمى بعد ذلك لبني عبد مناف، وكان له من الولد هاشم
وعبد شمس والمطلب ونوفل؛ وكان هاشم أرفعهم قدرا وأعظمهم شأنًا، وإليه انتهت
سيادة قومه؛ وكانت إليه الرقادة وسقاية الحجيج بمكة؛ وكانت قريش تجارًا،
وكانت تجارتهم لا تسدو مكة وما حولها فخرج هاشم إلى الشام حتى زل بقبصر

ملك الروم فسأله كتابة أمان لتجار قريش ، فكتب له كتابا لكل من مر عليه ، فخرج هاشم فكلما مر بحي من العرب أخذ من أشرافهم أمانا لقومه حتى قدم مكة ، فاناهم بأعظم شيء أتوا به قط بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج معهم حتى أوردتهم الشام ، وخرج أخوه المطلب إلى اليمن فأخذ لهم أمانا من ملكه ، وخرج أخوهما عبد شمس إلى ملك الحبشة فأخذ لهم أمانا كذلك ، وخرج أخوهم نوفل إلى كسرى ملك الفرس فأخذ لهم منه أمانا . وكانت قريش يرحلون في الشتاء للشام وفي الصيف لليمن ، وآتست معاشهم بسبب ذلك ، وكثرت أموالهم حتى آمن الله عليهم بذلك بقوله : ﴿ لِئَلَّا يَفِرَّ قَرِيشٌ إِيَّالَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ والإيلاف الأمان .

ثم ولد لهاشم عبد المطلب وبقيت الرئاسة فيه ، وكانت بر زمنم . قد أنفطت ونضب ماؤها فحفرها عبد المطلب ، حتى أكل الله تعالى ببقوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ! .

وأما سيدانة البيت ومفاتيحه ، فبقيت بيد بني عبد الدار بن قصى المتقدم ذكره من حين تسلمها عبد الدار عند أخذها من أبي غنشان الخزاعي حتى صارت لبني شيبه من بني عبد الدار ، وأنتهت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة بن عبد الدار . فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلوئى على بن أبي طالب يده وأخذته منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فصلى ركعتين ، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرده المفتاح إلى

عثمان ويعتذر إليه ، فقال عثمان : أكرهت وأذيت ثم جئت ترفعني ؟ فقال له علي :
لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرأنا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره أن السدانة في أولاد عثمان أبداً ، فهي باقية فيهم إلى الآن .

الضرب الثاني

(ملوكها في الإسلام ، وهم على طبقات)

الطبقة الثالثة^(١)

(عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)

هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل وفاته ، وبعث حجة الوداع في السنة
العاشرة من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى عشرة من الهجرة وعلى مكة عثمان بن أبي سفيان ،
وتوالى عليها عمال الخلفاء بعده إلى آخر أيام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه .

الطبقة الرابعة

(عمال بني أمية من لدن معاوية رضي الله عنه إلى آخرهم)

ثم وثى عليها معاوية بن أبي سفيان في خلافة في سنة آثنتين وأربعين من الهجرة
(جالد بن العاص بن هشام) ثم أضيفت إلى عمال المدينة إلى أيام الوليد بن عبد الملك
فكان من وليها منهم (الوليد بن عتبة) ثم (عمر بن سعيد الأشدق) ثم (الوليد بن عتبة)

(١) هكذا في الأصل بهذا العنوان وصوابه الأول والذي يظهر أن هذا من النسخ فإن المقام لا يحتمل
الفسط . ومن جهة أخرى لم يترك في الأصل بياض حتى كان يحتمل أن المؤلف ترك الكلام عليه للمرد إليه
لحق ما هنا "الطبقة الأولى" وما بعدها "الطبقة الثانية" وهكذا حتى تشمل الطبقات .

ثانياً ؛ ثم (مُصْعَب بن الزبير) من جهة أخيه عبد الله بن الزبير لا بويج له بالخلافة ؛
ثم (جَابِرُ بْنُ الْأَسَدِ) ثم (طلحة بن عبد الله بن عوف) ثم (طارق بن عمرو بن عثمان) '
ثم (الْجَسَّاجُ بن يوسف الثقفي) ثم (أَبَانُ بن عثمان) ثم (هشام بن إسماعيل المخزومي)
ثم (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) .

ثم أفردها الوليد بن عبد الملك عن المدينة وولى عليها (خالد بن عبد الله القسري) '
بعد عمر بن عبد العزيز ؛ ثم وليها (عبد العزيز بن خالد بن أُسَيْدٍ) أيام سليمان
أبن عبد الملك ؛ ثم عزله يزيد سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة إلى (عبد الرحمن
أبن الضمَّحَك) ، ثم عزله عن مكة والمدينة ثلاث سنين من ولايته وولى مكانه
(عبد الواحد النضري) ، ثم عزله هشام بن عبد الملك في خلافة وولى مكانه
على مكة والمدينة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل) ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة
وولى مكانه على مكة والطائف دون المدينة (محمد بن هشام المخزومي) ؛ ثم ولى
الوليد بن يزيد في خلافة خاله (يوسف بن محمد الثقفي) على مكة مع سائر أعمال
الحجاز ؛ ثم ولى مروان على مكة وبرا الحجاز (عبد العزيز بن عمر) بن عبد العزيز
ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولى مكانه على مكة والحجاز (عبد الواحد)
ثم توالى عليها عُثَالُ بن أمية إلى أن انقرضت دولتهم .

الطبقة الخامسة

(عُثَالُ بن العباس)

وأولهم أبو العباس السَّفَّاح ، فولى عليها وعلى المدينة وسائر الحجاز عمه (داود) ثم تولى
سنة ثلاث وثلاثين ومائة ؛ فولى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله بن عبد
الدار الحارثي) .

ثم وثى السَّقَّاحُ على ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة (السري بن عبد الله ابن الحارث بن العباس) .

ثم عزله أبو جعفر المنصور سنة ست وأربعين ومائة ووثى مكانه عمه (عبد الصمد ابن علي) ثم عزله عنها سنة تسع وأربعين ومائة ووثى مكانه (محمد بن إبراهيم الإمام) ثم عزله ووثى مكانه (إبراهيم ابن أخيه) ثم وثى على مكة وسائر الجحاز والجمامة (جعفر بن سليمان) ثم توالى عليها العمال إلى أن وثى الرشيد في خلافته على مكة واليمن (حماد اليزيدي) سنة أربع وثمانين ومائة .

ثم وليها في زمان الأمين (داود بن عيسى) .

ثم وليها (محمد بن عيسى) ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وولى مكانه ابنه (المتنصر) بن المتوكل .

ثم وليها (علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ووثى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين ووثى مكانه (عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام) ثم توالى عليها العمال من قبل خلفاء بني العباس إلى أن غلب عليها السليانيون الآتي ذكرهم آنفا .

الطبقة السادسة

(السليانيون من بني الحسن)

نسبة إلى سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط .

وكان سليمان هذا في أيام المأمون بالمدينة وحدت الرئاسة فيها لبنيه بعد أيام، وكان كبيرهم آخر المائة الثالثة محمد بن سليمان الربذي .

(١) في الكامل لابن الأثير "البربري" .

قال البيهقي: خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة في سنة إحدى وثلاثمائة في خلافة المعتذر، ثم أعرضه أبو طاهر القرمطي في سنة ثلثي عشرة وثلاثمائة، فأقطع جميع العراق بسبب ذلك.

ثم أنفذ المقتدر الحجاج من العراق في سنة سبع عشرة وثلاثمائة فوافاهم القرمطي بمكة فتهبهم، وخطب لعبد الله المهدي صاحب إفريقية وقلع الحجر الأسود وباب الكعبة وحملهما إلى الأحساء، وتعطل الحج من العراق إلى أن ولي الخلافة القاهرة في سنة عشرين وثلاثمائة فخرج بالناس أمير في تلك السنة.

ثم أقطع الحج من العراق بعدها إلى أن صولحت القرامطة على مال يؤديه الحجاج إليهم، فخرجوا في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وخطب بمكة للراضي بن المقتدر، وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المتقي من بعده.

ثم أقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، فخرج ركب العراق بمهانة القرامطة في خلافة المستكفي، ثم حُطِب بمكة لمعز الدولة ابن بويه مع المقتدر في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ثم تعطل الحج بسبب القرامطة، ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلى مكاهه فأعاده في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. وفي سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة حاول أمير الركب المصري الخطبة لابن الأخشيذ صاحب مصر فلم يثأ له ذلك وخطب لابن بويه، وأتصت وفود الحج من يومئذ.

وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة مع المطيع.

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لبيخيار بن معز الدولة بعد موت أبيه

ثم في سنة ستين وثلثمائة جهز المميز الفاطمي عسكرا من إفريقية لإقامة الخطبة له بمكة وعاضدهم بنو الحسين أهل المدينة ففتحهم بنو الحسن أهل مكة من ذلك واستولوا على مكة .

فلما ملك مصر المميز كان الحسن بن جعفر بن الحسن بن سليمان بالمدينة فبادر فملك مكة ودعا للميز وكتب له الميز بالولاية ؛ ثم مات الحسن فولى مكانه أخوه عيسى .

ثم ولى بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم ؛ ثم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود سنة أربع وثمانين وثلثمائة ؛ ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه ففزع الحسن وترك مكة . ولما مات المعز وولى ابنه العزيز ، بعث إلى مكة أميرا علويا فخطب له بالحرمين واستمرت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وستين وثلثمائة .

وفي سنة ثمان وستين خطب لعضد الدولة بن بويه ؛ ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأنكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة وحمله ذلك على أن أسبى بالأمر في مكة وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين فرجع أبو الفتوح إلى طاعته فأعاده إلى إمارته بمكة .

وفي سنة ثنى عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم ؛ ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمائة للستنصر بن الظاهر ؛ ثم توفى أبو الفتوح أمير مكة المتقدم ذكره سنة ثلاثين وأربعمائة لست وأربعين سنة من إمارته .

وولى بعده إمارة مكة ابنه شكر وملك معها المدينة واستضافها لمكة ، وجمع بين الحرمين كله ثلاثا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . قال ابن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد وأنقضت بموته دولة بني سليمان بمكة .

الطبقة السابعة

(المواشيم)

نسبة إلى أبي هاشم : محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام
 ابن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط .
 كان رئيس المواشيم لما مات شكر آخر أمراء السليمانيين (محمد بن جعفر) بن أبي
 هاشم المذكور فاستولى على إمارة مكة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة بعد موت
 شكر، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، ثم خطب لبني العباس في سنة
 ثمان وخمسين وأربعمائة فقطعت ميرة مصر عن مكة فعدّ له أهله على ذلك فأعاد
 الخطبة للمستنصر الفاطمي . ثم استماله القائم العباسي وبذل له الأموال فخطب له
 سنة ثنتين وستين بالموسم فقط ، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه . ثم بعث إليه
 السلطان ألب أرسلان السلجوقي بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه .
 ثم جمع محمد بن جعفر المتقدم ذكره وزحف إلى المدينة فأخرج منها بنى الحسين
 وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم وأقطع ما كان يصل إلى أمير مكة منه فقطع الخطبة للعباسيين .
 ثم أرسل المقتدى بالله العباسي بمال فأعاد الخطبة للعباسيين فاستمرت الخطبة
 لهم إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ١١٠١ وثمانين وأربعمائة فاقطعت
 الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاج من العراق ، ومات المقتدى وبويع ابنه
 المستظهر . ومات المستنصر العبيدي بمصر وبويع ابنه المستعلى فخطب له بمكة .

ثم مات محمد بن جعفر أمير مكة المتقدم ذكره سنة سبع وثمانين وأربعمائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ، وولى بعده ابنه (قاسم) فكثرت اضطرابه ، ثم توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته .

وولى بعده ابنه أبو قلبة فافتتح بالخطبة العباسية وحسن الثناء عليه ، ثم مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة لعشر سنين من إمارته وولى بعده ابنه قاسم والخطبة مستمرة للعباسيين .

ثم صنع المقتنى بابا للكعبة وأرسله إليها في سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وحمل الباب العتيق إليه فأخذته تابوتا يدفن فيه ، وأتصلت الخطبة لبني العباس إلى سنة خمس وخمسين ، وبويع المستنجد فخطب له كما كان يُخطب لأبيه المقتنى .

ثم قتل قاسم بن أبي فليحة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه (عيسى) في أيام العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، وتوفي المستنجد وبعث المستنقى بالركب العراقى وأتقضت دولة الفاطميين بمصر ، وولياها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فخطب له بالحرمين الشريفين .

والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن عيسى عم قاسم سيرا إلحاج في سنة ست وخمسين وخمسمائة وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى فملكها وهرب قاسم إلى جبل أبي قبيس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى وقتله .

ثم مات المستنقى وبويع ابنه الناصر وخطب له بالحرمين ، وحجت أمه وعادت فانتهت إليه من أحوال عيسى بن قاسم أمير مكة ما عزله به ، وولى مكانه أخاه (مكث بن قاسم) وكان جليل القدر ، وهو الذى بنى القلعة على جبل أبي قبيس ، ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وبموته انقرضت دولة الموحدين بمكة .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن أمير حاج العراق في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة توجه من عند الخليفة بعزله ، بحري بينهما حرب انتهى الأمر فيها إلى أن هزم أكثر المذكور ، وأقيم أخوه داود مكانه . وما زالت الإمرة فيه تارة ، وفي أخيه أكثر تارة حتى مات داود في سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وقال : إنه داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم .

الطبقة الثامنة

(بنو قتادة)

نسبة إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان السبب في ولايته مكة أنها لما كانت مع الهواشم كان بنو حسن مقيمين بنهر العلقمية من وادي يَنْبُع ، فجمع قتادة قومه بنو مطاعن وأسالف بنو أحمد وبنو إبراهيم وأمر عليهم وملك يَنْبُع ، ثم ملك الصفراء ، وسار إلى مكة فأنزعهما من الهواشم المتقدم ذكرهم وملكهما ، وخطب للناصر لدين الله العباسي : خليفة بغداد ، وتعاضم أمره حتى ملك مع مكة واليَنْبُع أطراف اليمن وبعض أعمال المدينة وبلاد نجد ، ولم يقُدْ على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة ، وولّى مكانه ابنه الحسن فامتص لذلك أخوه راجح بن قتادة ثم قدم الملك المسعود أقمر بن الكامل صاحب اليمن سنة عشرين وستمائة من اليمن إلى مكة وملك مكة وقتل جماعة من الأشراف ونصب رايته وأزال راية أمير الركب الذي من جهة الخليفة ، فكتب الخليفة من بغداد إلى أبيه الكامل يعاتبه في ذلك ، فكتب الكامل

إلى ابنه أفسز برث يا أفسز من ظهر العادل إن لم أقطع يمينك ! فقد نبذت وراءك دينك ودينك ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! ، وذهب حسن ابن قتادة إلى بغداد صريحا فأتى بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، ومات أفسز بمكة سنة ست وعشرين ودفن بالمعل ، وبقي على مكة فائده نحر الدين بن الشيخ ، وقصد راجح بن قتادة مكة مع عساكر عمر بن رسول فلما كان يد نحر الدين بن الشيخ سنة تسع وعشرين وستمائة .

ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فلما كانوا بمكة وهرب راجح إلى اليمن ، ثم عاد ومعه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسه فهرب عساكر مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر .

ثم طلب على مكة سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة وخلق راجح باليمن ، وسار بجهاز حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وستمائة إلى الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب يدمشق مستجيبا على أبي سعد أن يقطع ذكر صاحب اليمن ، فجهز له عسكرا وسار إلى مكة فقتل أبا سعد في الحرم وملك مكة ، ثم وصل راجح من اليمن إلى مكة وهو شيخ كبير السن وأخرج منها بجهاز حسن فلقى باليمن .

ثم دار أمر مكة بين أبي نعي محمد بن أبي سعد علي بن قتادة وبين غالب بن راجح ابن قتادة ، ثم استبد أبو نعي بإمرة مكة ونفى قبيلة أبيه أبي سعد إلى اليمن ،

ولما هلك أبو نعي قام بأمر مكة من بعده أبناء ربيعة وحبيضة ونازعهما أخوهما عطفة وأبو الفيث فاعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيارس الجاشنكير كافل المملكة المصرية في الأيام الناصرية فاطلق عطفة وأبا الفيث وولاهما ، وأمسك ربيعة وحبيضة وبعث بهما إلى مصر ، ثم رد السلطان ربيعة وحبيضة إلى إمارتهما بمكة

مع عسكره وبعثاً إليه بعطيفة وأبي الغيث - وبني التنازع بينهم ، وهم يتعاقبون في إمرة مكة مره بعد أخرى وهلك أبو الغيث في بعض حروبهم ببطن مَرّة .

ثم تنازع حمضة ورمثة وسار رمثة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سنة خمس عشرة وسبعمائة فأمدّه بساكر وجّه بها إلى مكة وأصلحها .

ثم خالفهم عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ووصل إلى السلطان فأمدّه بالساكر فملك مكة وقبض على رمثة فسجن ثم أطلق سنة عشرين وأقام بمصر، وبقي حمضة مشرّداً إلى أن أسّسها السلطان فأمنه ، ثم وثب بحمضة بمالك كانوا معه وقتلوه ، وأطلق رمثة من السجن وأستقر شريكاً لأخيه عطيفة في إمارتها .

ثم مات عطيفة وأقام أخوه رمثة بعده مستقلاً بإمارة مكة إلى أن كبر وهُرم . وإلى ذلك أشار في "التعريف" بقوله : وأوّل إمرة في رمثة وهو آخر من بقى من بيته ، وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع تداولهم لها، وكان أبناء بقية وعجلان قد أقسموا معه إمارة مكة برضاه، ثم أراد الرجوع فلم يوافقاه عليه وأستقرا معه في الولاية .

ولما مات رمثة تنازع ولداه : بقية وعجلان ، وخرج بقية وبقي عجلان بمكة ، ثم ظبه عليها بقيّة ، ثم اجتمعوا بمصر سنة ست وخمسين وسبعمائة فولى السلطان عجلان، ونزح بقية إلى الجحاز فأقام هناك منازعا لعجلان من غير ولاية . وعجلان هو المستنبّه بها مع سلوكه سيرة العدل والإنصاف والتجاف عن أموال الرعية والتمرض للجلاورين إلى أن توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

وولى بعده أبنه أحمد، وكان قد فوّض إليه الأمر في حياته وقاسمه في أمره ، فقام أحمد بأمر مكة جارياً على سنن أبيه في العدل وحسن السيرة ، ومات في رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة في الدولة الظاهرية برقوق .

(١) عبارة التعريف "رمى الآن في ربة وهو الخ."

فُوَيْلٌ مكانه أبْنُه محمد، وكان صغيراً في كَفَالَةِ عمه كَيْشِ بْنِ عَجْلان فَبَقِيَ حَتَّى وَثَبَ عَلَيْهِ فِدَاوَى عِنْدَ مَلَاقَاةِ الْمُحَمَّلِ فَقَتَلَهُ ؛ وَدَخَلَ أَمِيرُ الرِّكْبِ إِلَى مَكَّةَ فَوَيْلٌ مَسَانِ أَبْنِ مَغَاسِ بْنِ رَمِيْثَةَ مَكَانَهُ .

ثُمَّ لَحِقَ عَلِيٌّ بْنُ عَجْلان بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِمِصْرَ فَوَلَّاهُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقَ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ شَرِيكَاً لِعَتَّانَ ، وَسَارَ مَعَ أَمِيرِ الرِّكْبِ إِلَى مَكَّةَ فَهَرَبَ عَتَّانُ وَدَخَلَ عَلِيٌّ بْنُ عَجْلان مَكَّةَ فَأَسْتَقْبَلَ بِأَمَارَتِهَا ؛ ثُمَّ وَقَفَ عَلِيٌّ بْنُ عَجْلان عَلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ فَأَنْفَرَدَ بِالْإِمَارَةِ وَأَنْزَلَ عَتَّانَ بْنَ مَغَاسِ عِنْدَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَحْتَقَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَبَقِيَ عَلِيٌّ بْنُ عَجْلان فِي إِمَارَةِ مَكَّةَ حَتَّى قَتَلَ بَطْنُ مَرْفُوفٍ سَبْعَ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

فَوَيْلُ السُّلْطَانِ أَبْنُ أَخِيهِ حَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ مَكَانَهُ وَأَسْتَبَدَّ بِإِصْرَةِ مَكَّةَ وَهُوَ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ . وَهُوَ حَسَنٌ ، بْنُ أَحْمَدَ ، بْنُ عَجْلان ، بْنُ رَمِيْثَةَ ، بْنُ أَبِي نَمِيٍّ مُحَمَّدٌ ، بْنُ أَبِي سَعْدٍ عَلِيٌّ ، بْنُ أَبِي عَزِيزٍ قَتَادَةُ ، بْنُ إِدْرِيسَ ، بْنُ مَطَاعِنَ ، بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، بْنُ مُوسَى ، أَبْنُ عَيْسَى ، بْنُ سُلَيْمَانَ ، بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنُ أَبِي الْكَرَامِ ، بْنُ مُوسَى الْجَلُودِ ، بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَبْنُ حَسَنِ ، بْنُ الْحَسَنِ السُّبُطِ ، بْنُ عَلِيٍّ ، بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الطرف السابع

(فِي تَرْتِيبِ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، وَفِيهِ جَمْعَانِ)

الجملة الأولى

(فِيمَا هُوَ بِمَحَاضِرَتِهَا)

أَمَّا مَعَالِمُهَا فَعَمَلُ مَا تَقَامُ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنَ الْمَعَامِلَةِ بِالذَّنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ الثَّقَرَةِ ؛ وَصَنَعَتِهَا فِي ذَلِكَ كَصَنَعَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَيَعْبَرُ عَنْ الدَّرْهِمِ الثَّقَرَةِ فِيهَا بِالْكَامِلِ . نَسَبَةً إِلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ صَاحِبِ مِصْرَ ،

وعندهم درهم آخر من فضة خالصة، مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، يعبرون عنه بالمسعودى نسبة إلى الملك المسعود صاحب اليمن، وهو في المعاملة بثقل درهم كامل،

ولم يكن بها في الزمن المتقدم فلوس يتعامل بها ثم راجت الفلوس الجدد بها في أيام الموسم فيما قبل الدولة الظاهرية برقوق. ثم راجت في سائر الأوقات آخر، إلا أن كل درهم بها ثمانية وأربعون فلساً على الضعف من الديار المصرية، حيث كل درهم فيها أربعة وعشرون فلساً، ويعبر عن كل خمسة قراريط من الدرهم الكامل فيها بجائز. وعن الربع والسدس منه بجائزين، وتعتبر أوزانها باليمن: وهو مائتان وستون درهماً. وأواقيها عشرة، كل أوقية عشرة دراهم، ويكفلها بالغرارة، وكل غرارة من غرائرها (١) وقياس قماشها بالذراع المصرى، وأسعارها في الغالب مرتفعة عن سعر مصر والشام. وأما إمرتها فإنها إمرأة أعرايسة يمشى أميرها في إمرته على قاعدة أمراء العرب دون عادة الملوك في المواكب وغيرها، وأتباعه عرب، وأكثرهم من بني الحسن أشراف مكة، ويعبر عن أكابرهم بالقواد، وهم بمثابة الأمراء للملوك. وربما استخدم المحاليل الترك ومن في معانهم.

وأكثر متحصله مما يؤخذ من التجار الواردين إلى مكة من الهند واليمن وغيرها. وأما تجهيز ركب الحجيج إليها ففي كل سنة يجهز إليها التحميل من الديار المصرية بكسوة البيت مع أمير الركب ويكسى البيت بالكسوة المجهزة مع التحميل. ويأخذ سدنة البيت الكسوة التي كانت على البيت، فيأدون بها الملوك وأشراف الناس. وداخل البيت كسوة أخرى من حرير منقوش لا تحتاج إلى التغيير إلا في السنين المتطاولة لعدم وصول الشمس ولمس الأيدي إليها.

ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج للملاقاة، فإذا وافاه
تربل عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمحمل فقلب خُفَّ يده اليمنى وقبَّله خدمة
لصاحب مصر . وقد روى ابن النجار في تاريخ المدينة النبوية من طريق الحافظ
أبي نعيم إلى حسين بن مُصعب أنه أدرك كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن
تصل إلى مكة . فنُشِرَ على الرضراض في مؤخر المسجد، ثم يُخرج بها إلى مكة . وذلك
في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين ومائة .

وأعلم أن كسوة الكعبة لما حالان :

الحال الأول - ما كان الأمر عليه في الجاهلية . قد روى الأزرق في "أخبار
مكة" : بسنده إلى أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ! "سُئِلَ
عَنْ سَبِّ أَسْعَدَ الْحِمْيَرِيِّ وَهُوَ بُتَيْحٌ" وكان أول من كَسَا الكعبة . وذَكَرَ ابن إسحاق
عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كَسَا الكعبة كُسُوَةً كَامِلَةً بُتَيْحٌ وَهُوَ أَسْعَدُ
أُرَيْ فِي مَنَامِهِ أَنْ يَكْسُوَهَا فَكَسَاهَا الْأَنْطَاعُ ، ثُمَّ أَرَى أَنْ أَكْسُهَا فَكَسَاهَا الْوَصَائِلُ
ثِيَابٌ حَبْرَةٌ مِنْ عَصَبِ الْيَمَنِ ، وَعَنْ ابْنِ جَرِيمٍ نَحْوَهُ .

وعن ابن أبي مليكة أنه قال : بلغني أن الكعبة كانت تَكْسَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُسَى
شَتَّى . كانت الْبُذُنُ تُجَلَّلُ الْحَبَرُ وَالْبُرودُ وَالْأَكْسِيَّةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ عَصَبِ الْيَمَنِ ، وَكَانَ
يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ هَدَايَا مِنْ كُسَى شَتَّى سِوَى جِلَالِ الْبُذُنِ : حَبْرٌ وَنَحْوُهُ نَامَطٌ فَتَكْسَى مِنْهُ
الْكعبةُ ، وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي خَزَانَةِ الْكَعْبَةِ . فَإِذَا بَلَى مِنْهَا شَيْءٌ أَخْلَفَ عَلَيْهَا مَكَانَهُ ثَوْبٌ
آخَرُ ، وَلَا يُتْرَعُ مِمَّا عَلَيْهَا شَيْءٌ .

وعن عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبي مليكة يقول : كانت قريش
فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاقَدُ فِي كُسوةِ الْكَعْبَةِ ، فَيَضْرِبُونَ ذَلِكَ عَلَى الْقَبَائِلِ بِقَدَرِ أَحْتِمَالِهَا ، مِنْ عَهْدِ
قُصَيِّ بْنِ كَلَابٍ حَتَّى نَسَا أَبُو رَبِيعَةَ بْنُ الْمَغيرةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرُومٍ ، وَكَانَ

يختلف إلى الين يجبر فيها فأثرى في المال، فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات : يأتي بالحرير الجندية من الجند فيكسو الكعبة ، فسمته قريش المذل لأنه عدل فعله بفعل قريش .

وروى الواقدي عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت رضي الله عنه أنها قالت : رأيت قبل أن يلبس الله زيد بن ثابت على الكعبة مطارف نزع أخضر وأصفر ، وكراز وأكسية الأعراب وشقاق شعر .

وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى إنما كانت تكتلى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحاج ، حتى كان بنو هاشم فكانوا يملقون القصيص يوم التروية من الديباج لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وحالا ، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار .

وعن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : نذرت أمي بذنه تحرقها عند البيت وجللتها شقطين من شعر ووبر فصعرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقطين ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر ، فنظرت إلى البيت يومئذ وعليه كس شق من وسائل وأنطاع وكراز ونزع وتمارق عراقية ، كل هذا قد رأيت عليه .

قلت : حاصل الأمر أن الذي كسبته الكعبة الأنطاع وحبرات اليمن والبرود والكراز والأنطاع والتمارق ومطارف انظر الأخضر والأصفر والأكسية وشقاق الشعر والوبر وغير ذلك .

الحال الثانية - ما كان الأمر عليه في صدر الإسلام وهم جرا إلى زماننا .

أما في صدر الإسلام فقد روى الواقدي عن إبراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه أن البيت كان في الجاهلية يكسى الأنطاع فكساه النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمنية ، ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي . وعن ابن أبي نجيع أن عمر

آبن الخطاب رضى الله عنه كسا الكعبة القبايطى من بيت المال ، كان يكتب فيها إلى مصر ، ثم عثمان من بعده . فلما كان معاوية بن أبى سفيان كساها كسوتين : كسوة عُمر القبايطى وكسوة ديباج ، وكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القبايطى في آخر شهر رمضان .

وروى الأزرقي عن نافع قال : كانت آبن عمر يكسو بذته إذا أراد أن يحرم القبايطى والحبر ، وفي رواية الألباط ، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها وإذا كان يوم النحر زعها عنها ثم أرسل بها إلى شيبه بن عثمان المحب فناطها على الكعبة . وروى الواقدي عن إسحاق بن عبد الله أن الناس كانوا ينشدون كسوة الكعبة ويهدون إليها البدن عليها الحبر ، فيبعث بالحبرات إلى البيت كسوة . فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج الخشرواني ، فلما كان آبن الزبير أتبعه على ذلك ، فكان يبعث إلى أخيه مضعب بن الزبير يبعث بالكسوة كل سنة وكانت تكسى يوم عاشوراء .

قال الأزرقي : وقد قيل إن ابن الزبير أول من كساه الديباج . قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : وهو الصحيح .

وذكر الواقدي عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان كان يبعث في كل سنة بالديباج من الشام فيمطر به على المدينة فيلشربوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأساطين هاهنا وهاهنا ، ثم يطوى ويبعث به إلى مكة . وقد قيل إن عبد الملك أول من كسا الكعبة الديباج . قال المسوردي : وكساه بنو أمية في بعض أيامهم الحلل التي كانت على أهل نجران في جزيتهم ، والديباج من فوقها .

قال الأزرقي : ولما حج المهدي في سنة ستين ومائتين^(١) ، رفع إليه أن ثياب الكعبة قد أفلتها ويخاف على جذرانها من ثقل الكسوة ، فجزدها حتى لم يبق عليها شيء من

الكسوة، ثم أفرغ عليها ثلاث كُمَيَّ : قباطي ونزوديبج . ولما غلب حسينُ ابنُ حسن الطالق على مكة سنة مائتين، وجد ثيابها قد ثقلت عليها أيضا فجزدها في أول يوم من المحرم وكساها كسوتين من قَزْ رقيق أحدهما صفراء والأخرى بيضاء مكتوب بينهما .

”بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار.“
 ”أمر أبو السرايا الأصغر بن الأصغر رابعة آل محمد صلوات الله عليه وسلامه بعمل“
 ”هذه الكسوة لبنت الله الحرام“ .

وذكر الأزرق عن جده أن الكعبة كانت تكمى في كل سنة كسوة ديباج يعنى أحمر وكسوة قباطي . فاما الديباج فتكساه يوم التروية ، فيعلق القميص وبدل ولا يخاط . وإذا صدر الناس من متى خيط القميص وترك الإزار حتى يذهب الحاج ابلا يخرقه . فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الإزار يوصل بالقميص ، وكأن المراد بالإزار ما تدركه الأيدي في الطواف والقميص ما فوق ذلك إلى أعلى الكعبة ، فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم سبع وعشرين من شهر رمضان فتكنى القباطي القطن .

فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يبل ويخرق قبل أن يبل الفطر ، فسأل المأمون صاحب بريد مكة في أى الكسوة الكعبة أحسن ؟ فقال له : في البياض ، فأمر بكسوة من ديباج أبيض ، عملت سنة ست ومائتين وبُعِث بها إلى الكعبة ، فصارت الكعبة تكمى ثلاث كسَي : تكمى الديباج الأحمر يوم التروية ، وتكنى القباطي يوم هلال رجب ، وتكنى الديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر .

ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض يتخرق وَيَبُلُّ في أيام الحج من مسّ الحاج قبل أن يُحَاطَ عليها إزار الديباج الأحمر في عاشوراء ، فزادها إزار ديباج أبيض تُكْسَاهُ يوم التَّروِيَةِ . فيستر به ما تخرق من الإزار الذي كسبته .

ثم رفع إلى المتوكل في سنة أربعين ومائتين أن إزار الديباج الأحمر يَبُلُّ قبل هلال رجب من مسّ الناس ومسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، فأزال قميصها الديباج الأحمر وأسله حتى بلغ الأرض ، ثم جعل الإزار فوقه ، في كل شهرين إزاره ، ثم نظر اتجئة فإذا الإزار الثاني لا يحتاج إليه ، فوضع في تابوت الكعبة وكتبوا إلى المتوكل أن إزارا واحدا مع ما أذيل من قميصها ، فصار يبعث بإزار واحد فتكفى بعد ثلاثة أشهر ، فيكون الذيل ثلاثة أشهر .

ثم في سنة ثلاث وأربعين ومائتين أمر المتوكل بإذالة القميص القباطي حتى بلغ الشاذروان الذي تحت الكسوة . قال الماوردي : ثم كسا المتوكل أساطينه الديباج .

وقد حكى المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" أن الفاطميين خلفاء مصر في إمارة أبي الحسن جعفر من السيلانيين على مكة في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة كسوا الكعبة البيضاء .

قلت : ثم رفع الأمر في خلفاء بني العباس ببغداد إلى شعارهم من السواد . فالبسوا الكعبة الديباج الأسود ، ثم جرى ملوك مصر عند استيلائهم على الجاهلي على لباسها السواد .

والذي جرى عليه الحال في زماننا إلى آخر الدولة الظاهرية بقوق وأوائل الدولة الناصرية ولده أن الكعبة تُكْسَى الديباج الأسود كسوة مسبلة من أعلى

الكعبة إلى أسفلها مرقوما بأعلىها طراز رقم بالبياض من أصل النسيج مكتوب فيه (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا) الآيات، وعلى الباب برقع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض ... (١) ... ثم في سنة ... (١١) ... وثمانمائة في الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطراز من لون البياض إلى لون الصفرة، فصار الرقم في السواد بحرير أصفر مقصَّب بالذهب، ولا يخفى أنه أنفُس من الأول والثاني أبيض منه لثلاثة مضادة ما بين البياض والسواد، ثم جعل بعض جوانب الكسوة ديساجا أسود على العادة، وبعضها كعنا أسود بجامات مرقوم فيها بالبياض "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ثم جعل بعد ذلك برقع البيت من حرير أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نفاسة وعلا قيمة. ثم في سنة أربع عشرة وثمانمائة جعل واجهة الباب من الكسوة كعنا أزرق بجامات مكتوب فيها ... (٣) ... والله العالم ما كان وما يكون.

قلت : وحاصل ما تقدم أن الذي أشتمت عليه أصناف الكسوة في الإسلام الثياب البجانية، والقباطي المصرية، والخبر والأتماط والحلل النجراتية، والديباج الأبيض، والديباج الأحمر، والديباج الأخضر، والديباج الأصفر، والديباج الأسود، والديباج الأزرق.

وأما تجريد الكعبة من ثيابها، فقد ذكر الأزرق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلف يزع كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج. وعن ابن أبي مليكة أنه قال : كانت على الكعبة كُتُب كثيرة من كسوة أهل الجاهلية : من الأنطاع والأكسية والكرار والأتماط، فكانت رُكَّامًا بعضها فوق بعض.

(١) في الأصل بياض بهذا المقدار.

(٢) لعله وإن كان أبيض منه لثلاثة الخ تأمل.

(٣) في الأصل بياض بهذا المقدار.

فلما كسبت في الإسلام من بيت المال، كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء إلى أن كانت أيام معاوية فكتب إليه شيبه بن عثمان المجبيُّ يرغب إليه في تخفيفها من كسب الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم لتجاستهم، فكتب إليه معاوية أنَّ جرَّدها، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وجبرة، فجردها شيبه حتى لم يبق عليها شيء، وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية، وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة؛ وكان ابن عباس حاضرا في المسجد وهم يجردونها فلم ينكر ذلك ولا كرمه .

وروى أن عائشة رضى الله عنها أنكرت على شيبه ذلك ، وقالت له إنها وأجل منها في سبيل الله، وكذلك ابن عباس .

وروى الواقدي عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : إذا نزعنا عن الكعبة ثيابها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب . وقد تقدَّم أن المهدي جردها حين حج في سنة ستين ومائتين ؛ وحسين الطالبي جردها في سنة مائتين .

قلت : والذي أستقر عليه الحال في زماننا أنها لا تلبس في كل سنة غير كسوة واحدة على ما تقدَّم بيانه . وذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النمط المتقدم ، ثم تحمل محبة الركب إلى مكة فيقطع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامة من جدار الكعبة ويظهر من الجدار ما كان تحته ، ويبقى أعلاها معلقا حتى يكون يوم فينزع الكسوة العتيقة وتعلق الجديدة مكانها ، ويكفى المقام من نسبة كسوة الكعبة ، ويأخذ بنو شيبه الحجة الكسوة العتيقة فيهدونها للجهنم ولأهل الآفاق . وقد زاد رندهم فيها من حين حصلت المغالاة في كسوة الكعبة وبرقعها على ما تقدَّم .

” اللهم زد هذا شيعتنا ثيابا وتعظيما ، ونكرينا ومهابة “ .

(١) صوابه ومائة . أنظر تاريخ خلافة المهدي .

(٢) يساء في الأصل .

وأعلم أن جدار الكعبة كان عزيز الرؤية حين كنت الكسوة تراكم عليها ولا يجزى عنها شيء، حتى إن الأزرق حكى عن جده أنه تبجح برؤية جدارها حين جردت في سنة ثلاث وستين ومائتين، وأنه رأى جدار الباب المسدود الذي كان عمله ابن الزبير في ظهرها وسده الحجاج، وشبه لون جدارها بالعنبر الأشهب.

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

أكثر من هو بياديتها وأوديتها القريبة منها بنو الحسن الأشراف. وقد ذكر في "التعريف" من عرب الجحاز لأم، وخالد، والمتفق، والعايد، وزاد في "مسالك الأبصار": ذكر زبيد، وبنو عمرو، والمضاربة، والمساعد، والزارق، وآل عيسى، وآل دعم، وآل جناح، والحبور، ثم قل: وديارهم يتلو بعضها بعضا. قال الحمداني: وشرقي مكة حلجة، وبنو هزرو منازلهم بيضة.

ومنهم من ختم بنو منبه، وبنو فصيلة، ومعاوية، وآل مهدى، وبنو نصر، وبنو حاتم، والموركة، وآل زياد، وآل الصغافير، والشهاوبلوس. ثم قال: ومنازلهم غير متباعدة.

أما العربان بالدرب المصري إلى مكة، فن ركة الحجاج إلى عقبة آيلة للعائد من حرب الشرقية، ومن العقبة إلى الدأماء دون جُبوت القصب لبني عقبة، ومن الدأماء إلى أكدي ليلى، ومن أكدي إلى آخر الوعرات بطنينة، ومن آخر الوعرات إلى نسيابة بدر إلى نهاية الصفراء، وتق على لبني حسن أصحاب الينبج، ويلهم من أقاربهم من بني حسن أصحاب بدر إلى رملة طالج في طرف قاع البروة، ومن

الصغراء إلى الجحفة ورايح لُزَيْد، ومن الجحفة على قُدَيْد وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السويق لِسَلَم، ومن الثنية على خُلَيْص إلى الثنية المشرفة على عُشْفَان إلى الفجّ المسّى بالمحاطب لِنَبِي جابر، وهم في طاعة صاحب مكة، ومن المحاطب إلى مكة المعظمة لصاحب مكة وبنى الحسن .

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة النبوية . على ما كتبها أشرف الخلق محمد أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، وفيها ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في حاضرتها) .

المدينة ضبطها معروف، وهو أسم غلب عليها، وبه نطق القراءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ ﴾ . وقوله : ﴿ وَيَمُنُّ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ . وأسمها القديم يَقْرُبُ وبه نطق القراءان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ .

قال الزجاجي : وهو يثرب، بن قانية، بن مهلائيل، بن إرم، بن عيّيل، بن عوّص، ابن إرم، بن سام، بن نوح، هو الذي بناها، وورد ذكره في الحديث أيضا . قال الشيخ عماد الدين بن كثير في " تفسيره " وحديث النهي عن تسميتها بذلك ضعيف، وسمّاها الله تعالى الدار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . وسمّاها النبي صلى الله عليه وسلم طَيِّبَةً (بفتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء) وطَابَّةً بإبدال الياء بعد الطاء بالفاء . قال النووي : وهما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، وقيل من الطيب خلاف الرديء، وقيل من الطيب بمعنى

الطاهرين ، وقيل من طيب العيش . وزاد السهيل في اسمائها الجارية بالجيم والباء
الموحدة ، والمحبة ، والمحبة ، والقاسمة ، والمحجورة ، والصدراء ، والمزحومة ، وكانت
تدعى في الجاهلية غلبة لأن اليهود ظفروا عليها المالحق ، والأوس والخزرج غلبوا عليها
اليهود . قال صاحب حاة : وهي من الحجاز ، وقيل من نجد ، وموقعها قريب من
وسط الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في كتاب "الأطوال" : طولها خمس
وستون درجة وثلاث ، وعرضها إحدى وعشرون درجة . وقال في "القانون" :
طولها سبع وستون درجة ونصف ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وثلاث .
وقال ابن سعيدي : طولها خمس وستون درجة وثلاث ، وعرضها خمس وعشرون
درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها خمس وستون
درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها خمس وعشرون درجة .

وقد ذكر صاحب "المنها الدائم" بولد أبي القاسم " أن أول من بناها تبع
الأول ، وذكر أنه مزمع مكانها وهي يومئذ منزلة بها أعين ماء ، فأخبره أربعمائة عالم من
علماء أهل الكتاب لم عالم يرجعون إليه أن هذا موضع مهاجر نبي يخرج في آخر
الزمان من مكة اسمه محمد ! وهو إمام الحق ، فأمن بالنبي صلى الله عليه وسلم !
وبنى المدينة ، وأزعم بها وأعطى كلا منهم مالا يكفيه وكتب كتابا فيه :

"أما بعد يا محمد فإني آمنت بك وبربك ، وبكل ما جاء من ربك"
"من شرائع الإسلام والإيمان ، وإني قلت ذلك فإن أدركتكم فيها"
"ونعمت ، وإن لم أدركتكم فاشفع لي يوم القيامة ، ولا تنسني فإني من"
"أمتك الأولين ، وتابعتك قبل مجيئك ، وقبل أن يرسلك الله ، وأنا على"
"ملة أبيك إبراهيم !"

وختم الكتاب ونقش عليه : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ بِتَعْمِيرِ اللَّهِ .

وكتب عزانه .

”إلى محمد بن عبد الله خاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله
”عليه وسلم ! من تبع الأول حَمِير ، أمانة الله في يد من وقع إليه أن يدفعه
”إلى صاحبه“

ودفع الكتاب إلى رئيس العلماء المذكورين ، وتداوله بثبوت بعده إلى أن هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم ! إلى المدينة فتلقاه به بعض أولاد ذلك العالم بين مكة
والمدينة ، وتاريخ الكتاب يومئذ ألف سنة بغير زيادة ولا نقص . وقيل في بنائها غير
ذلك ، وهي مدينة متوسطة في مستو من الأرض ، والغالب على أرضها السباخ ،
وفي شمالها جبل أُحُد ، وفي جنوبها جبل عير ، وكان عليها سور قديم وبخارجها
خندقٌ محفور ، وهو الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب .

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسماعيل بن محمد الجعدي سوراً منيعاً ،
وجدد عَصْدُ الدولة بن بويه الديلمي في سنة آثنتين وسبعين وثلثمائة ، وهو باق عليها
إلى الآن ؛ ولها أربعة أبواب : باب في الشرق يُخْرَجُ منه إلى البقيع ، وباب في الغرب
يُخْرَجُ منه إلى العتيق وقُبَاء ، وبين يدي هذا الباب جداول ماء جارئة ، وبوسطها
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! وهو مسجد متسع إلا أنه لم يبلغ في القدر مبلغ
مسجد مكة .

قال ابن قتيبة في ”كتاب المعارف“ : وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم !
مبنيًا باللبن وسقفهُ الجريد ومحمد النخل ، ولم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ،

ثم غيّر عثمان وزاد فيه عثمان زيادة كبيرة، وبني جداره بالحجارة المنقوشة «بالقصة»
وجعل مَحْدَهُ من حجارة منقوشة، ووسعه المهدي سنة ستين ومائة، وزاد فيه المأمون
زيادة كبيرة في سنة اثنتين ومائتين، ولم تزل الملوك تتداوله بالعمارة إلى زماننا.

وبه الخجرة الشريفة التي بها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم! وأبو بكر
وعمر رضي الله عنهما، بجمرته الشريفة دائرٌ عليه مقصورةٌ مرتفعة إلى نحو السقف،
عليه ستر من حرير أسود، وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التي أخبر صلى الله
عليه وسلم! أنها روضةٌ من رياض الجنة.

وقد ذكر أهل الأثر: أن المنبر كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم! ثلاث
درجات بالمقعد، وارتفاعه ذراعان وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وارتفاع
صدره وهو الذي يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم! ذراع، وارتفاع رُمانته
التي كان يمسكها صلى الله عليه وسلم! بيديه الكرمتين إذا جلس شرباً وأصبغاً،
وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة، ويقع على ذلك إلى أيام معاوية فكتب إلى
مروان: فأمله على المدينة أن أرفعه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفع
عليها فصار له تسع درجات بالمجلس. قيل: وصار طوله أربعة أذرع وشبراً.

ولما حج المهدي بن المنصور العباسي سنة إحدى وستين ومائة، أراد أن يعيده
إلى ما كان عليه فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشية التهاافت فكره، ويقال: إن
المنبر الذي صنعه معاوية ورفّع منبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه، تهافت على طول
الزمان، وجده بعض خلفاء بني العباس وأتخذ من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله
عليه وسلم أمشاطاً للتبرك، ثم أحرق هذا المنبر لما أحرق المسجد في مستهل رمضان
سنة أربع وخمسين وستمائة أيام المستعصم بالله، وشغل المستعصم عن عمارته بقتال

التار ، فعلم المُطَفَّرُ صاحب اليمن المنبر ، وبعث به إلى المدينة سنة ست وخمسين وستمائة ، فنصب في موضع منبر النبي صلى الله عليه وسلم ! فبقى إلى سنة ست وستين وستمائة ، فأرسل الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر المنبر الموجود الآن فأزيل ذاك ووضع هذا وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبه سبعة أذرع تزيد قليلا ، ودرجاته سبع بالمقعد والأمر على ذلك إلى الآن :

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(رحاها ومرافقها)

وأعلم أن المدينة الشريفة حرم ، حماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة . قال في "الروض المعطار" : رحاها اثنا عشر ميلا ، وخارج بابها الشرقى البقيع المتقدم ذكره ، وهو مدفن أكثر أمواتها ، وهو باباء الموحدة في أوله ، ويسمى بَقِيعُ الْفَرَقْدِ - بفتح الفين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح القاف ودال مهملة في الآخر . قال "الإصمعي" : سمي بذلك لأنه قُطِعَ مابه من شجر الفرقد يوم مات عثمان رضي الله عنه . وبه قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ! من مارية القبطية ، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب ، وإلى جانبه قبر العباس : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقبر عثمان بن عفان رضي الله عنه في قبة دونهما ؛ وقبر مالك بن أنس إمام المذهب المعروف ؛ وحول المدينة خدائق النخل الأنيقة ؛ وثمرها من أطيب الثمر وأحسنه ، وغالب قوت أهلها منه .

الضرب الثاني

(في مخالفتها وقراها ، والمشهور منها ثمانية أما كن)

الأول - (قَبَاءٌ) - بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف في الآخر - ويروى بالمد والقصر والمد أشهر . قال في "الروض المعطار" : ومن العرب من يذكّره فيصرفه ، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه . قال : وسميت قَبَاءً ببئر كانت بدار توبة بن الحسن ابن السائب بن أبي لبابة يقال لها قَبَاءُ ، وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها ، وبها مسجد التقوى الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قَبَاءَ كل يوم سبت راكباً وماشيئاً ، ومُصَلِّاً بها مشهور .

الثاني - (خير) - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء المهملة في الآخر - قال الزجاجي : سميت بخَيْرٍ بن قانية وهو أول من نزلها ، وهي بلدة بالقرب من المدينة الشريفة . قال ابن سعيد : طولها أربع وستون درجة وست ونحسون دقيقة ، وعرضها سبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهي بلدة عامرة أهله ذات نخيل وحدائق ومياه تجري . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بنى حمزا من اليهود ، وانخبيز في لغة اليهود الحصن ، وهي في جهة الشمال والشرق عن المدينة على نحو ست مراحل وقيل أربع مراحل . قال الإدريسي : وهي ذات نخيل وزرع ، وكانت في صدر الإسلام داراً لبنى قُرَيْظَةَ والنخبيز ، وبها كان السَّموك بن عاديّاً الشاعر المشهور .

الثالث - (فَدَكٌ) - بفتح الفاء والداًل المهملة وكاف في الآخر - قال الزجاجي : سميت بفَدَك بن حام ، وقيل : سميت بفَيْد بن حام ، وهو أول من نزلها . قال

فى "الروض المعطار": وبنها وبن المدينة يومان، وحصنها يقال له الشمروخ على القرب من خير، وكان أهلها قد صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم! على النصف من ثمارها فى سنة أربع من الهجرة، ولم يؤجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصة، وكان معاوية بن أبى سفيان قد وهبها لمروان بن الحكم، ثم أرتجمها منه لمؤجدة وجدها عليه. فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، ردها إلى ما كانت عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تغل فى أيام امرته عشرة آلاف دينار، يتجافى عنها.

الرابع - (الصقراء) - مؤت أصفر - وهو واد على ست مراحل من المدينة كثير المزارع والمياه والحدائق. أخبرنى بعض أهل المجاز أن به أربعة وعشرين نهراً على كل نهر قرية، وعيونته تصبب فضلها إلى ينبع، وهو بيد بن حسن الشفاء.

الخامس - (ودان) - ففتح الواو وتشديد الدال المفتوحة وألف ثم نون - وهو واد به قرى نوابه لا تحصى كثرة.

السادس - (القرح) - بضم الفاء وسكون الراء المهملة وبالعين المهملة - وهو واد فى جنوبى المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدة قرى أهله، أخبرنى بعض أهل المجاز أن به أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية، وماؤها يصب فى رابع حيث يؤرم مجاج مصر، وعليها طريق المنشأة من مكة إلى المدينة. قال فى "الروض المعطار": ويقال إنها أول قرية مارت إسماعيل عليه السلام القربكة، وهى الآن بيد بن حرب.

السابع - (الجار) - قال فى "اللباب": بفتح الجيم وألف وراء مهملة - وهى قرصة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها. قال ابن حوقل: وبنها وبن ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل، منه عن أيلة على نحو عشرين مرحلة.

الثامن - (وَادِي الْقُرَى) - بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر جمع قرية . قال في "الروض المعمار" : وهي مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون ، وبها ناس من وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهم الغالبون عليها ، وتُعرف بِالْوَادِيِّينَ ، والذي أخبرني به بعض أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عِدَّة قُرَى غُفِرَتْ لِاخْتِلَافِ الْعَرَبِ ، وهي الآن خراب لا عاصرها ولو عمرت أغشت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها .

قلت : وبالحق الإدريسي في "نزهة المشتاق" فعد من غاليها تيماء ودومة الجندل ، ومدّين ، والتحقيق خلاف ذلك .

فأما تيماء بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت وميم ثم ألف في الآخر فقد عدها في "تقويم البلدان" : من بادية الشام تقريبا . قال في "العزري" : وهي حاضرة طيء وبها الحصن المعروف بالأبلى المنسوب إلى السموءل بن عاديّا . قال في "تقويم البلدان" : وهي الآن أعمر من تبوك ، وبها نخيل قائمة .

وأما دومة الجندل فقال في "تقويم البلدان" : هو موضع فاصل بين الشام والعراق على سبع مراحل من دِمَشْقَ ، وبينه وبين المدينة الشريفة ثلاث عشرة مرحلة . وأما مدّين فقد تقدم ذكرها في الكلام على كُور مصر القديمة ، ووقع الكلام عليها هناك وإن كان الحق أنها من ساحل الحجاز .

الجملة الثالثة

(في ذكر ملوك المدينة وأمرائها ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من قبل الإسلام ، وهم ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(التبايع)

قد تقدم في الكلام على بنائها نقلا عن صاحب "التهذيب الدائم" : أن تبعاً الأول هو الذي بناها وأسكنها جماعة من علماء أهل الكتاب ، وكتب كتاباً وأودعه عندهم ليوصله من أدركه من أبنائهم إليه ، وبقي الكتاب عندهم يتوارثونه حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فتلصاه من صار إليه الكتاب منهم وأوصل الكتاب إليه . ويثبت ذلك أول من ملكها التبابعة .

الطبقة الثانية

(العاقلة من ملوك الشام)

قال السهيلي : وأول من زلها منهم يقرب ، بن عييل ، بن مهلائيل ، بن عوض ، ابن عملاق ، بن لاوذ ، بن إرم ، بن سام ، بن نوح عليه السلام فسميت به . قال في "الروض المطعار" : وكانت هذه الأمة من العالقي يقال لها جاسم ، وكانوا قد استولوا على مكة وسائر الجحاز ، وكانت قاعدة ملكهم تيماء ، وكان آخر ملوكهم الأرقم بن أبي الأرقم .

(١) أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم غريباً .

الطبقة الثالثة .

(ملوكها من بني إسرائيل ومن أنضم إليهم من الأوس والخزرج)

قال في "الروض الممتع": لما ظهر موسى عليه السلام على فرعون، بعث بعثاً من بني إسرائيل إلى الجحاز وأمرهم أن لا يستبقوا^(١) منها أحداً بلغ الحلم، فقتلهم حتى أتتهوا إلى ملكهم الأرقم بتياء فقتلوه وأبقوا له أبناً صغيراً ليرى موسى عليه السلام فيه رأيه . فلما رجعوا به إلى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد توفى^(٢) ، فقال لهم الناس : عصيتهم وخالفتم أمر نبيكم، وحالوا بينهم وبين الشام ، فقال بعضهم لبعض : حزين من بلدكم البلد الذي خرجتم منه ، فعادوا إلى الجحاز فقتلوه ، فكان ذلك أول سكتى اليهود الجحاز ، فنزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب يجتمع السيول وأنحدوا الآطام والمنازل ، ونزل معهم جماعة من أحياء العرب من بلى وجهينة .

وكانت يثرب أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قباء إلى الجحرف ، ثم لما كان من سبيل العريم باليمن ما كان ، تفزق أهل مأرب ، فأتى الأوس والخزرج يثرب لليهود لحاربهم ، وكان آخر الأمر أن عقدوا بينهم وبينهم جواراً وأشتركوا وتحالفوا ، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً ، فصارت للأوس والخزرج ثروة ومال وعز جانبهم نفاهم اليهود ، فقطعوا الحلف ، وخافهم الأوس والخزرج فبعثوا إلى من لهم بالشام فاعانهم حتى أذلوا اليهود وغلبهم عليها ، وبقيت بأيديهم حتى جاء الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها وهم رؤساؤها وحكامها .

(١) أى من العالقي والأرض منهم .

(٢) في المعجم "أبنا شابا جيلا" وهو الأنسب .

الضرب الثاني

(من في زمن الإسلام، وهم أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(من كان بها في صدر الإسلام)

كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى في سنة إحدى عشرة من الهجرة . ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن توفى سنة اثنتي عشرة من الهجرة . ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة ثلاث وعشرين . ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة خمس وثلاثين . ثم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أن قتل سنة أربعين . ثم الحسن بن علي بن أبي طالب إلى أن سلم الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية .

الطبقة الثانية

(عُمَـل الخلفاء من بني أمية)

وُلِّي عليها معاوية سنة اثنتين وأربعين من الهجرة (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وأربعين وولِّي مكانه (سعيد بن العاص) . ثم عزله سنة أربع وخمسين ورَدَّ إليها (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وخمسين وولِّي مكانه (الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان) .

ثم عزله يزيد بن معاوية عن المدينة والحجاز وولِّي مكانه (عمر بن سعيد الأشدق) ثم عزله سنة إحدى وستين وأعاد (الوليد بن عتبة) .

ثم استعمل ابن الزبير عند غلبته على المدينة أخاه (مُصعباً) سنة خمس وستين؛
ثم نقله إلى البصرة وولّى مكانه (جابر بن الأسود) بن عوف الزهري؛ ثم ولى مكانه
(طلحة بن عبد الله) بن عوف .

ثم غلب عبد الملك بن مروان على الخلافة فبعث على المدينة (طارق بن عمرو)
فغلب عليها طلحة بن عبد الله وأتبعها منه . ثم أنفرد عبد الملك بالخلافة وولّى على
المدينة والحجاز واليمن واليمامة (الحجاج بن يوسف) وعزل طارقاً عن المدينة وجعله
من جُنْدِه . ثم ولى عليها سنة سبع وسبعين (أبان بن عثمان) . ثم عزله في سنة اثنتين
وثمانين وولّى مكانه (هشام بن إسماعيل المخزومي) .

ثم كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فعزل هشام بن إسماعيل وولّى مكانه (عثمان
ابن حيان) .

ثم ولى عليها (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) أيام سليمان بن عبد الملك .
ثم استعمل عليها عمر بن عبد العزيز في خلافته (عبد العزيز بن أرطاة) . ثم عزله
يزيد بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة وولّى مكانه (عبد الرحمن بن الفضل)
وأضاف إليه مكة؛ ثم عزله لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه على مكة والمدينة
(عبد الواحد النضري) .

ثم عزله هشام بن عبد الملك وولّى عليها وعلى مكة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل
المخزومي) . ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة وولّى مكانه بالمدينة خاصة (خالد
ابن عبد الملك بن الحرث بن الحكم) . ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولّى مكانه
(محمد بن هشام بن إسماعيل) .

ثم ولى الوليد بن يزيد في خلافته خالد (يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي) على
المدينة وسائر الحجاز في سنة أربع وعشرين ومائة . ثم عزله يزيد في خلافته في سنة

ست وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز بن عمرو بن عثمان) . ثم ولّى مروان^(١) على المدينة وسائر الحجاز . ثم عزله في سنة سبع وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) . ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه على المدينة وسائر الحجاز (عبد الواحد) .

الطبقة الثالثة

(عُمّالها في زمن خلفاء بني العباس)

لما ولّى السّاق الخليفة وولّى على المدينة والحجاز واليمن والشمّامة عمّه (داود) . ثم توفّي داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولّى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله ابن عبد المّدان الحارثي) . ثم ولّى سنة ثلاث وأربعين ومائة على المدينة (محمد بن خالد ابن عبد الله القسري) . ثم آتاه في أمر فزله وولّى مكانه (رياح بن عثمان المزني) فقتله أصحاب محمد المهدي ؛ فولّى مكانه (عبد الله بن الربيع الحارثي) . ثم عزله المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه على المدينة (جعفر بن سليمان) . ثم عزله في سنة خمسين ومائة وولّى مكانه (الحسن بن زيد بن الحسن) . ثم عزله المنصور في سنة خمس وخمسين ومائة وولّى مكانه عمّه (عبد الصمد بن علي) . ثم عزله المهدي في خلافته سنة تسع وخمسين ومائة وولّى مكانه (محمد بن عبد الله الكتيري) . ثم عزله وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان) . ثم عزله وولّى مكانه (زفر بن عاصم) . ثم تولّى على المدينة والحجاز (جعفر ابن سليمان) . ثم كان بها (محمد بن عيسى) بعد مدّة ،

(١) لم يذكر من ولّاه لعل الصواب ثم ولّاه مروان [أي أمّره] على المدينة الخ وأظنّ الكلام على مكة في السّبق . (٢) في الكامل "محمد بن عبد الله الخ" .

وعزله المتوكل وولى مكانه (المستنصر بن المتوكل) . وتوالى عليها عمال بنى العباس
إلى عشر السنين والمائة .

الطبقة الرابعة

(أمرأء الأشراف من بنى حُسين الذين منهم الأمراء
المستقزون فى إمارتها إلى الآن)

كانت . الرئاسة بالمدينة آخرأ لبنى الحسن بن عليّ .

وكان منهم أبو جعفر عبد الله ، بن الحسين الأصغر ، بن عليّ زين العابدين ،
أبن الحسين السبط ، بن عليّ ، بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان من جملة ولده جعفرٌ حجة الله ، ومن ولده الحسن ، ومن ولد الحسن يحيى
الفيقيه النسابة ، كانت له وجاهة عظيمة ونفر ظاهر ، وتوفى سنة ست وسبعين
وماثنين ، ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيى ، ساد أهل عصره وبنى دارا بالعقيق
ونزيها ، وتوفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة .

وكان من ولده الحسن بن طاهر رحل إلى الأخشيذ بمصر ، وهو يومئذ ملكها ،
فأقام عنده وأقطعته الأخشيذ ما يُبذل فى كل سنة مائة ألف دينار وأستقر بمصر ، وكان
له من الولد طاهر بن الحسن ، وتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وخلف أبنه محمدا
الملقب بمسلم ، وكان صديقا لكافور الأخشيذى صاحب مصر ، ولم يكن فى زمنه بمصر
أوجه منه . ولما أختل أمر الأخشيذية دعا مسلم هذا للعز صاحب إفريقية يومئذ .
ولما قدم المعز إلى الديار المصرية بعد فتح جوهر القائد لها ، تلقاه مسلم بالجمال
بأطراف برقّة من جهة الديار المصرية ، فأكرمه وأركبه معدلا له وأختص به ؛ ثم توفى
سنة ست وستين وثلاثمائة فصلى عليه المعز ، وكانت له جنازة عظيمة .

وكان من ولد مسلم هذا طاهر أبو الحسين فلقق طاهر بالمدينة الشرفية
فقدّمه بنو الحسين على أنفسهم وأستقل بإمارتها سنين، وكان يقب بالمليح، وتوفى
سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وولى بعده ابنه (الحسين بن طاهر) وكنيته أبو محمد .
قال العتبي : وكان موجودا في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وطلبه على إمارتها بنوع أبيه
أبي أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر حجة الله وأستقلوا بها .
وكان لأبي أحمد القاسم من الولد داود ويكنى أبا هاشم . وقال العتبي : الذي
ولى بعد طاهر بن مسلم صهره وأبن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر،
وكناه أبا علي .

وقال ابن سعيد : ملك أبو الفتوح الحسن بن جعفر من بني سليمان إمرة مكة
والمدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم العبيدي وأزال إمرة بني الحسين منها،
وحاول الحاكم نقل الجسد الشريف النبوي إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريح عظيمة
أظلم منها الجو، وكادت تقتلع المباني من أصلها، فردهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد
إلى مكة ورجع أمراء المدينة إليها .

وكان لداود بن القاسم من الولد مهنا وهاني والحسن . قال العتبي : ولى هاني
ومهنا وكان الحسن زاهدا .

وذكر الشريف الخوافي النسابة هنا أميرا آخر منهم وهو أبو عمارة مته كان
بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة . قال : وخلف الحسن بن داود ابنه هاشما وولى المدينة
سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قبل المستنصر .

قال : وخلف مهنا بن داود عبيد الله والحسين وعمارة فولى بعده ابنه عبيد الله
وكان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة وقتله موالى الهاشميين بالبصرة، ثم ولى الحسين وبعده
ابنه مهنا بن الحسين .

قال الشريف الخوافي : وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله وقاسم
فولى الحسين المدينة وقتل عبد الله في وقعة نخلة . وذكر صاحب حماة من أمرائها
منصور بن عمارة الحسيني وأنه مات في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقام ولده
مقامه ولم يسمه ؛ ثم قال وهم من ولد مهنا . [وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنا ^(١)]
حضر مع صلاح الدين بن أيوب فتح أنطاكية سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وذكر ابن سعيد عن بعض مؤرخي الحجاز أنه عد من جملة ملوكها قاسم بن مهنا
وأنه ولده المستضيء . فأقام نحسا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة
وولى آبنه سالم بن قاسم .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : وكان مع السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب في فتوحاته يتبرك به وينمي بصحبته ويرجع إلى
قوله . ويق إلى أن حضر إلى مصر للشكوى من فتادة فأت في الطريق قبل وصوله
إلى المدينة . وولى بعده آبنه شيعة وقتل سنة سبع وأربعين وستمائة . وولى آبنه عيسى
مكانه . ثم قبض عليه أخوه جَمَاز سنة تسع وأربعين وستمائة . وملك مكانه ، وهو
الذي ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : أن الإمرة في يته إلى زمانه .
قال ابن سعيد : وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، كان بالمدينة أبو الحسين بن
شيعة بن سالم . وقال : غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وولى أخوه جَمَاز فطال عمره وعمرى ومات سنة أربع أو خمس بعد السبعائة .

وولى بعده آبنه منصور بن جَمَاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جَمَاز على الظاهر بيبرس
بمصر ، فأشرك بينهما في الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة وأستخلف آبنه

(١) أى المكى . بابي طيبة ، والزائدة عن ابن خلدون ليستقيم الكلام . (٢) أى قاسم المكى . بابي طيبة .

(٣) أى سالم بن قاسم .

كيشة فهجم عليه مقبل وملكها من يده ولحق كُبَيْشَةُ بأحياء العرب فأستجاشهم وهم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبعمائة، ورجع منصور إلى إمارته، وبقي ماجدُ ابن مقبل يستجيشُ العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إلى المدينة كلما نرج منها، ثم زحف ماجدُ سنة سبع عشرة وسبعمائة، وملكها من يده عمه منصور، فأستصرخ منصور بالملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فأجده بالعساكر وحاصروا ماجدا بالمدينة ففتر عنها وملكها منصور، ثم سقط عليه السلطان الملك الناصر فعزله، وولى أخاه وديَّ بن بَماز أياما، ثم أعاد منصورا إلى ولايته، ثم هلك منصور سنة خمس وعشرين وسبعمائة، فولى ابنه كيشة مكانه فقتله عسكر ابن عمه وديَّ وعاد وديَّ إلى الإمارة، ثم توفي وديَّ، فولى طُفَيْلُ بن منصور بن بَماز وأُفِرْدُ بإمرتها، وهو الذى ذكر المقر الشهابيَّ في "التعريف": "أنه كان أميرها في زمانه، وبقي إلى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فوقع النهب في الركب، فقبض عليه الأمير طاز أمير الركب، وولى مكانه سيفاً من عقب بَماز، ثم ولى بعده فضل من عقب بَماز أيضاً، ثم ولى بعد فضل مائع من عقب بَماز، ثم ولى بَماز بن منصور، ثم قتل بسيد الفداوية أيام الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وأتفق أصحاب الركب على تولية ابنه هبة إلى حين يرد عليهم من السلطان ما يستمدونه، ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب وديَّ فعزل وديَّ وولى مكانه، ثم ولى بعده عطية بن منصور بن بَماز، فأقام سنين، ثم عزل وولى هبة بن بَماز، ثم عزل وأعيد عطية، ثم توفي عطية وهبة وولى بَماز بن هبة بن بَماز، ثم عزل وولى بُعَيْرَ بن منصور بن بَماز، ثم قتل، فوثب بَماز بن هبة على إمارة المدينة وأستولى عليها، فعزله السلطان، وولى ثابت بن بُعَيْرَ، وهو بها إلى الآن في سنة تسع وتسعين وسبعمائة. وهو ثابت،

أَبْنُ جَمَازٍ، بَنُ هُبَيْةٍ، بَنُ جَمَازٍ، بَنُ مَنْصُورٍ، بَنُ جَمَازٍ، بَنُ شَيْخَةٍ، بَنُ سَالِمٍ، بَنُ قَاسِمٍ .
 أَبْنُ جَمَازٍ، بَنُ قَاسِمٍ، بَنُ مَهْنَأٍ، بَنُ الْحُسَيْنِ، بَنُ مَهْنَأٍ، بَنُ دَاوُدَ، بَنُ الْقَاسِمِ .
 أَبْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، بَنُ طَاهِرٍ، بَنُ يَحْيَى، بَنُ الْحُسَيْنِ، بَنُ جَعْفَرِ حِجَّةِ اللَّهِ، بَنُ عَبْدِ اللَّهِ،
 أَبْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَرِ، بَنُ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، بَنُ الْحُسَيْنِ السَّبْطِ، بَنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .

وإسرتها الآن متداولة بين بني عطية وبين بني جَمَازٍ . وهم جميعا على مذهب
 الإمامية الرافضة يقولون بإمامة الأئمة عشر إماما وغير ذلك من معتقدات الإمامية،
 وأمرهم مكة الزيدية أخف في هذا الباب شأنهم .

الجملة الثالثة

(في ترتيب المدينة النبوية)

أما معاملاتها فعلى ما تقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدرهم، والأمر
 في الفلوس على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر وزنها في المبيعات بالمتن وهو مائتان وستون درهما
 على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر كيلها بالمد، وقياس قماشها بالذراع الشامي؛ وأسعارها
 نحو أسعار مكة، بل ربما كانت مكة أرخص سعرا منها لقربها من ساحل البحر بمجدة .
 وأما معارثها فإمارة أعرابية كما في مكة من غير فرق .

وأما وفود الحجيج عليها، فقد جرت العادة أن كل من قصد السبق في العود إلى
 الديار المصرية من الجند وضيهم يزور النبي صلى الله عليه وسلم ! عند ذهاب الركب
 إلى مكة ثم يعود بعد الحج إلى مصر من غير تعريض على المدينة، وباقي الحجيج وأمير
 الركب لا يأتونها للزيارة إلا بعد انقضاء الحج .

وأعلم أن كسوة الحجرة الشريفة ليست مما يحدّد في كل سنة كما في كسوة الكعبة ، بل كلّما بليت كسوة جدّدت أخرى ، ويقع ذلك في كل نحو سبع سنين أو ما قاربها ، وذلك أنها مصنّونة عن الشمس ، بخلاف كسوة الكعبة فإنها بارزة للشمس فيسرع بلباؤها .

وقد حكى ابن النجار في " تاريخ المدينة " أن أوّل من كسا الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبي الهيثم صهر الصالح طلائع بن رزيق وزير العاضد ، والعاظم آخر الخلفاء الفاطميين ، عمل لها ستارة من الديق الأبيض عليها الطرز والجوامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر ، مكتوب عليها سورة يس بأسرها ، والخليفة العباسي يومئذ المستضيء بأمر الله .

ولما جهزها إلى المدينة ، أمتنع قاسم بن مهنا أمير المدينة يومئذ من تعليقها حتى يأذن فيه المستضيء فنقذ الحسين بن أبي الهيثم قاصدا إلى بغداد في استئذانه في ذلك فأذن فيه ، فعلمت الستارة على الحجرة الشريفة نحو سنتين . ثم بعث المستضيء ستارة من الإبريسم البتسجي عليها الطرز والجوامات البيض المرقومة ، وعلى دور جواماتها مرقوم " أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى " وعلى طرازها اسم الإمام المستضيء بالله ، فقلعت الأولى ونقذت إلى مشهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه بالكوفة ، وعلقت ستارة المستضيء مكانها . ثم عمل الناصر لدين الله في خلافته ستارة أخرى من الإبريسم الأسود فعلقت فوق تلك . ثم عملت أم الخليفة الناصر بعد مجيها ستارة على شكل ستارة أبيها المتقدمة الذكر فعلمت فوق الستارين السابق ذكرهما .

قال ابن النجار : ولم يزل الخلفاء في كل سنة يرسلون قوبا من الحرير الأسود عليه علم ذهب يكسّى به المنبر . قال : ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها ليعملوها ستورا

على أبواب الحرم ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى حين انقراض الخلافة من بغداد ، فتولى ملوك الديار المصرية ذلك كما تولوا كسوة الكعبة على ما تقدم ذكره .

قلت : والستارة الآن من حرير أسود عليها طرز مرقوم بحريز أبيض ، وآخر من عملها في العشر الأول من الثمانمائة السلطان الملك الظاهر برقوق .

وقد ذكر ابن التجار في " تاريخ المدينة " أيضا أن الناصر لدين الله العباسي كان يرسل في كل سنة أربعة آلاف دينار للصدقة وألفا ونعمسائة ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء ، خارجا عما يجهزه للمارة ، وما يُعده من القناديل والشيرج والشمع والنذ والغالية المرگبة والعود : لأجل تفتيح المسجد .

وذكر عن يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! كان يحمل من الشام حتى أقطع في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة بفعله على سوق المدينة . ثم لما ولي داود بن عيسى في سنة ثمان وسبعين ومائة . أخرجه من بيت المال ، ثم ذكر أنه كان في زمانه في خلافة الناصر لدين الله يصل الزيت من مصر من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطارا ، كل قنطار مائة وثلاثون رطلاً للصري ، ومائة وستون شمعة ما بين كبيرة وصغيرة ، وعلبة فيها مائة مثقال نذ .

الباب الرابع

من المقالة الثانية

(في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول

(في الممالك والبلدان الشرقية عنها : وما يخروط في سلكها من شمال

أو جنوب ؛ وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الأول

(في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك إليه ، وما كان له

من الأولاد ، وتقسيمه الملك فيهم)

أما اسمه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن اسمه في الأصل ترجمين ، وأنه لما عظم شأنه سمي جنكرخان . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن بعضهم : أن الصواب في النطق به جنكص خان بالصاد بدل الزاي .

وأما نسبه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أيضا أنه جنكرخان ، بن يسوكي ، بن بهادر ، بن تومان ، بن برتيل خان ، بن تومنيه ، بن بادستقر ، بن تيدوان ديوم ، بن بنا ، ابن بودنجه ، بن ألانقوا ، وألانقوا هذه امرأة من قبيلة من التتر تسمى قبات من أعظم قبائلهم شمرة ، كانت متزوجة بزوج أولدها ولدين اسم أحدهما بكنوت ، والآخر

بلكنوت ؛ ومن عقبهما الطائفة المعروفة في قبائل التتر بالدلوكة إلى الآن ؛ ثم مات زوج ألانقوا أبو هذين الأثنين وبقيت ألانقوا أيمًا فحملت فأُنكر عليها الحمل ، ومُحِلَّت إلى وليّ أمرهم حينئذ فسأطا من حملت ؟ فقالت : إني كنت جالسة وفرجي مكشوف ، فقتل نور ودخل في فرجي ثلاث مرات فحملت منه هذا الحمل ، وأنا حامل بثلاثة ذكور ، كل مرة من دخول ذلك النور بذكر ، فأْمهلوني حتى أضع . فإن وضعت ثلاثة ذكور فأعلموا صدقي ، وإلا فدونكم وما ترون ؛ فأْمهلوها حتى ولدت فأتت بثلاثة ذكور ، فسمّيت أحدهم يوقن قوتاغي^(١) ، والثاني بوسن سابغي ، والثالث بودنجير . وهو جد جنكرخان . وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانيين نسبة إلى النور الذي زعمت أنه دخل فرجها فحملت منه . قال في "مسالك الأبصار" : "وهذه أكذوبة قبيحة ، وأحدوثه غير صحيحة ؛ وإن صححت عن المرأة فلعلها كانت قد سمعت بقصة مريم البتول عليها السلام . فأحتالت لسلامة نفسها بالتشبه بشأها" . وأما مصير الملك إليه فقد اختلف فيه على مذهبين .

أحدهما - ما حكاكه في "مسالك الأبصار" عن صاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجويني : أنه كان يملك الترك ملك من عطاء الملوك يدعى أذربكخان ، فتردد إليه جنكرخان في حال صغره وخدمته ، فتوسم فيه النجابة فقتل به وأذناه وزاده في الارتقاء على أقاربه ، ففسدوه فوشوا به إلى الملك حتى غيروه عليه فأضمر له المكيد ، وكان بالقرب من أذربكخان ملكهم صغيران يُخدّمانه فأطلعا على ما أضمره الملك لجنكرخان وعرفاه ما أضمره الملك له وحذراه ؛ وكان جنكرخان قد لَفَّ لفيفا عظيمًا بجمع لفيفه من قبائل التتر وقصد ذلك الملك في جيوشه ، وكان من أعظم القبائل الهيمية لدعوته قبيلتان : إحداهما تدعى إديرات والأخرى فيقورات مع قبيلته قبات المقدم ذكرها ،

(١) وجد في البر (ج ٥ ص ٢٥٥) فرق في الأسماء ولم تعلم الصواب لمجهتها فليتبّه .

بفقد العساكر لأزبك خان وجرت الحرب بينهما فقتل أزبك خان وملك جنكرخان وقرب كلاً من الصغيرين وجعل كلاً منهما ترخانا، وكتب لها بفراغهما من جميع المون والكلف إلى سبعة أبطن من أولادهما .

والثاني - ماحكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : عن محمد بن أحمد بن علي المنشي : كاتب إنشاء السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه : أن مملكة الصين كانت منقسمة من قديم الزمان إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر، يتولى أمر كل جزء منها خان نيابة عن خاتنهم الأعظم بطمغاج قاعدة الصين .^(١) إلى أن كان خاتنهم الأكبر في زمان السلطان خوارزم شاه يسمى الطرخان، وكان من جملة الخانات الستة الذين ينوبون عنه شخص يسمى دوشي خان، وكان متركباً بعمة جنكرخان فمات دوشي خان زوج عمة جنكرخان ، فحضر جنكرخان إلى عمته معزياً ، وكان يجاور دوشي خان خان من الخانات الستة يسمى أحدهما كشلوخان والآخرفلان ، فأرسلت زوجة دوشي خان إليهما بنى زوجها إليهما وتلاطفانهما في استقرار جنكرخان ابن أخيها مكانه في الخانية على أن يكونا معاضدين له ، فأجاباها إلى ذلك . فاستقر جنكرخان في الخانية مكان دوشي خان زوج عمته ، فبلغ ذلك الخاتن الأعظم الطرخان فأنكر ذلك على كشلوخان وقلان المذكورين ، فاتصل ذلك بهما فأجتمعا هما وجنكرخان وغلوا طاعة الطرخان ، ثم مات أحد الخاتنين وخلف ابنه اسمه كشلوخان فقلب جنكرخان على ملكه ، ثم مات الخان الآخر وأستقل جنكرخان بالملك ، ثم غلب على خوارزم شاه ، ثم على ابنه جلال الدين وأستقل بها وراء النهر .

(١) في تاريخ أبي الفدا "بلوغا وهي واسطة الصين" .

وأما أولاد جنكرخان فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن صاحب علاء الدين الجويني المتقدم ذكره أنه كان له عدة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسراري ، وكان أعظم نسائه أربوى ، من تيكى . ومن رسم المغل تعظيم الولد بنسب والدته ، وكان له من هذه أربعة أولاد معدين للأولاد الخطيرة ، هم تحت ملكه بمنزلة أربع قوائم ؛ وهم توشى وجفطاي ، وهو أصغرهم ، وأوكداى ، وأوتكين نويان ، وأنه جعل موضعه نقطة دائرة ملكه وبنيه حوله كحيط الدائرة ، فجعل أبنه أوكداى ولّى عهده ورثته لـ يتعلّق بالعقل والرأى والتدبير والولاية والعزل واختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه فى حياة أبيه حدود ايمك وقرباى . فلما جلس بعد أبيه على تخت الملك ، انتقل إلى الموضع الأصلي بين الخطا وبلاد الاينفور ، وأعطى ذلك الموضع لولده كيوك . وجعل لأبنه أوتكين حدود بلاد الخطا ؛ وعين لأبنه الكبير توشى حدود قياق (؟) إلى أقصى سفسين (؟) وبلغار ، ورثته على الصيد والقصص ؛ وجعل لأبنه جفطاي حدود بلاد الأينفور إلى سترقند ومجارا ، ورثته لتنفيذ النابات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال ابن عطاء ملك : وكانت أولاده وأحفاده تزيد على عشرة آلاف .

وذكر عن الشيخ شمس الدين الاصفهاني أن جنكرخان أولد أربعة أولاد ، وهم جوجى ، وهو أكبرهم ، وكداى ، وطولى ، وأوكداى ، فقتل جوجى فى حياة أبيه وخلف أولادا . قال ابن الحكيم الطيارى : وهم باتو ويقال : باطو ، وأورده ، وبركه ، وتولى ، وحقى . قال الشيخ شمس الدين المذكور : والمشهور باتو وبركه ، وأوصى بأن يكون تختة لولده الصغير أوكداى وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداى ؛ وجعل لأبنه جوجى دشت القبچاق وما معه وأضاف إليه إيران وتبريز وهمذان

ومراغة ، ولم يحصل لطول شيء . فلما مات جنكرخان أستقل أوكداى بتخت أبيه ، وأستقل جوجى بدشت التيجاق وما معه ، وأستقل باتو بن جوجى فيما جملة جدّه جنكرخان لأبيه جوجى من إيران وتبريز وما مع ذلك ، ولم يتمكن كداى من مملكة ماوراء النهر ، ثم مات أوكداى مالك التخت وملك بعده ولده كيوك ، وكان جبارا قوى النفس فحكم على بنى أبيه فقهرهم وأنترع ما يسد باتو بن جوجى من إيران وسائر مامعها ، وأقام بها أميرا اسمه الحكراى . ثم جرى بينهم اختلاف كان آخر الأمر فيه أن أسك الحكراى وقتل حمل إلى باتو بن جوجى وطبخه وأكله ، فبلغ ذلك كيوك صاحب التخت فشق عليه وجمع ستمائة ألف فارس ، وجمع باتو لقاته وسار كل منهما لمحاربة الآخر حتى كان بينهما عشرة أيام مات كيوك فكتب خواتينه إلى باتو يعلمونه بموته ويسألونه فى أن يكون عوضه على تخت جنكرخان ، فلم يرض ذلك وميزله منكونان بن تولى بن جوجى بن جنكرخان ، وجهز معه إخوته قبلاى خان وهولاكو : ولدا تولى ، ووجه معهم باتو أخاه بركة بن جوجى فى مائة ألف فارس للمجلسة على التخت ثم يعود ، فتوجه بركة بمنكونان فاجلسه على التخت ، ثم عاد فتر فى طريقه بخارا ، فأجتمع فيها بالشيخ شمس الدين الباهرزى من أصحاب شيخ الطريقة نجم الدين كيزى وحادثه فحسن موقع كلامه منه فأسلم على يده ، وهو أول من أسلم من بيت جنكرخان ، وأشار الباهرزى على بركة بموالاة المستعصم خليفة بنى العباس ببغداد يومئذ ، فكتبه وهاداه وتردّدت الرسل والمكاتبات بينهما . ثم إن منكونان بعد أستقلاله بتخت جدّه جنكرخان ملك أولاد جفطاي مملكة ماوراء النهر تنفيذًا لما كان جنكرخان أوصى به لأبيهم جفطاي كما تقدم ومات دونه ، وعلت كلمة منكونان صاحب التخت ووصلت إليه كتب أهل قزوین وبلاد الجبال يشكون من سوء مجاورة الملاحدة : وهم الإسماعيلية فجهر إليهم منكونان أخاه مكوقان لقتال

الملاحدة وأخذ قلاعهم ، وأن يضم إلى ذلك بلاد الخليفة المستعصم فبلغ ذلك بركة
 ابن جوبجي فشق عليه لصداقته مع الخليفة ، وكلم أخاه باتو في ذلك فكتب باتو
 إلى هولاكو بمنعه من التعرض لممالك الخليفة ، فوافاه الكتاب قبل أن يعبر نهر
 جيحون ، فأقام هناك سنتين حتى مات باتو وتسلطن أخوه بركة بعده فكتب هولاكو
 إلى أخيه منكوتان يستأذنه في إنفاذ ما كان عزم عليه من أخذ ممالك الخليفة
 وحسن له ذلك فلم يأذنه فيه فأصر هولاكو على عزمه فأوقع بالملاحدة وقتل جماعة
 آتهمهم بمالاة بركة ، وأشتد في البلاد وقصد دشت القبجاق بلاد بركة فدمه بركة
 بساكره فكانت الدائرة على هولاكو ففكر راجعا ودخل بلاد الخليفة وقبض عليه
 وقتله وملك بلاده . وكان أمر الله قدرا مقدورا !

الجملة الثانية

(في عقيدة جنكرخان وأتباعه في الديانة إلى أن أسلم من أسلم منهم وما جرت
 عليه عادتهم في الآداب وحالهم في طاعة ملوكهم)

أما عقيدتهم فقد قال صاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجويني : إن الظاهر
 من عموم مذاهبهم الإدانة بوحداية الله تعالى ، وأنه خلق السموات والأرض ،
 وأنه يُحيي ويميت ، ويعطي ويفقر ، ويمنع ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن منهم
 من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من أطرح الجميع ، ومنهم من
 تقرب بالأصنام . قال : ومن عادة بني جنكرخان أن كل من اتحل منهم مذهباً لم ينكره
 الآخر عليه ، ثم الذي كان عليه جنكرخان في التدين وجرى عليه أعقاباً بعده الجري
 على منهاج ياسة التي قررها ، وهي قوانين نخبها من عقله وقزرها من ذهنه ، رتب فيها
 أحكاماً وحدد فيها حدوداً ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها مخالف

لذلك سماها الياسة الكبرى، وقد آكثبها وأمر أن تجعل في خزانته لتُوارث عنه في أعقابه وأن يتعلمها صغار أهل بيته .

منها أن من زنى قتل . ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ، ومن بال في الماء قتل، ومن أعطى بضاعة نفسر ثم أعطى ثانيا نفسر ثم أعطى ثالثا نفسر قتل، ومن وقع حملهُ أو قوسه فتر عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قُتل، ومن وجد أسيرا أو هاربا أو عبدا ولم يرده قُتل، ومن أطعم أسير قوم أو سقاه أو كساه بغير إذنهم قتل، إلى غير ذلك من الأمور التي رتبها ملهم داثنون به إلى الآن، وربما دان به من تحب بحيلة الإسلام من ملوكهم . ومن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تُلَفَّ قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه . ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح .

وأما عاداتهم في الأدب فكان من طريق جنكرخان أن يعظم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلى الله تعالى؛ ومن حال الترفي الجملة إسقاط المؤن والكلف عن العلويين وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ومن جرى هذا المجرى .

ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتى يأكل المَطْعُم منه ولو كان المَطْعُم أميرا والآكل أسيرا، ولا يختص أحد بالآكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه، ولا يمتاز أمير بالشَّع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية، ولا يخطو أحد مَوْقَدَ نار ولا طبقا رآه، ومن اجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن. وأن لا يُدْخِل أحد يده في الماء بل يأخذ منه ملء فيه

(١) في المخطوط للقرن ١٢ (ص ٢٢٠ ج ٢) ما نصه "ولا يتخطى أحد نارا ولا مائدة ولا طبق الذي يؤكل عليه" .

ويغسل يديه ووجهه، ولا يبول أحدٌ على الرماد . ويقال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة، ولا يميزون بين طاهر ونجس .

ومن طرائقهم أنهم لا يتعصبون لمذهب، وأن لا يتعزّضوا لمال ميت أصلاً، ولو ترك مِلء الأرض، ولا يدخلونه نحرّانة السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لا يُفخّمون الألقاب، ولا يعظّمون في الألقاب حتّى يقال في مراسيم السلطان "القان بكدا" من غير مزيد ألقاب .

وأما حالهم في طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلطانهم، لالمال ولا بخد بل ذلك دأب لهم حتّى إنه إذا كان أمير في غاية من القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى أذنب ذنباً يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من أخس أصحابه مَنْ يأخذه بما يجب عليه ألقي نفسه بين يدي الرسول ذليلاً ليأخذه بموجب ذنبه، ولو كان فيه القتل .

ومن طريق أمرائهم أنه لا يتردّد أمير إلى باب أمير آخر، ولا يتغير عن موضعه المعين له . فإن فعل ذلك عوقب أو قتل، وإذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وقّروا في العرض حتّى بالغبط والإبرة، ورعاياهم قائمون بما يُزَمون به من جهة السلطان طيّبةً به نفوسهم، وإن غاب أحد من الرجال قام النساء بما عليهم .

(١) عبارة الخطاط "وأزمنهم: أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء، ولكنه يتناول الماء بشئ، يفتّره به" .

المهني الثاني^(١)

(في ذكر ممالك بني جنكخان على التفصيل ، وهي مملكتان)

المملكة الأولى

(مملكة أيران)

بفتح الهجمة وسكون الياء المثناة تحت والراء المهملـة وألف ثم نون . وهي مملكة
الفرس ، وتعرف بأيران بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أول من ملكها
وأضيفت إليه وعرفت به . قال في " التعريف " : وهي مملكة الأكاسرة .
ثم قال : وهي من الفرات إلى نهر جيحون حيث يُلغ ، ومن البحر الفارسي وما صابـه
من البحر الهندي إلى البحر المسمى بالقزيم بحر طبرستان ، وهي المملكة الصائرة إلى
بيت هولاكو . قال : وقد دخل فيها مملكة الحياطة ، وهي مملكة مازندران وما يليها
إلى آخر كيلان ، وطبرستان واقعة بين مازندران وكيلان ، ومازندران الآخذة شرقا ،
وكيلان الآخذة غربا .

وقال في " مسالك الأبصار " : هذه المملكة طولاً من نهر جيحون المحيط بآحر
نُراسان إلى الفراتِ القاطع بينها وبين الشام ، وعرضها من كَرَمَانَ المتصل بالبحر
الفارسي المنقسم من البحر الهندي إلى نهاية ما كان يبدقياً الملوك السلجوقية بالروم
على نهاية حدود العاليا وأنطاليا من البحر الرومي . قال : ويفصل في الجانب الشمالي
بين هذه المملكة وبين بلاد القَبجاقِ النهرُ المجاور لساب الحديد المسمى باللغة التركية
دقربو ، وبحر طبرستان المسمى بحر الخزر . ثم قال : وأخبرني الفاضل نظام الدين
أبو الفضل يحيى بن الحكيم الطيارى أن هذه المملكة تكاد تكون مربعة ، فيكون

(١) لعله المقصد الثاني فإن التسمية كان بالمقاصد .

(٢) ضبطه بالقوت بالكسر .

طولها بالسير المعتاد أربعة أشهر ، وعرضها أربعة أشهر . وهي من أجل ممالك الأرض ، وأوسطها في الطول والعرض ، متوسطة في الطول والعرض . وإذا أنصفت كانت هي قلب الدنيا على الحقيقة ، ذات أقاليم كثيرة ومدن كبيرة ، مشتملة على رساتيق وأعمال وخطط وجهات ، وهي ممتدة من بلاد الشام وما على سمتها إلى بلاد السند والهند وما والاها .

ولها جانبان : جنوبي وشمال .

الجانب الأول

(الجنوبي)

ويشتمل على ستة أقاليم :

الإقليم الأول

(الجزيرة الفراتية)

وهي أقرب أقطار هذه المملكة لمملكة الديار المصرية وأشامية لمجاورتها بلاد الشام . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طَرَف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة . فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات إلى مَلَطِيَّة ، إلى شمشاط ، إلى قلعة الروم ، إلى البيرة ، إلى قبالة منبج ، إلى السن ، إلى الرقة ، إلى قرقيسيا ، إلى الرحبة ، إلى هيت ، إلى الأنبار . ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ويعطف الحد من الأنبار إلى تكريت ، وهي على نهر دجلة ، إلى بالس ، إلى الحديثة على دجلة إلى الموصل . ثم يعطف من الموصل إلى جزيرة ابن عمر ، إلى آمد . ثم بصير الحد غربا يمتد بعد أن يتجاوز آمد على حدود إرمينية ، إلى حدود بلاد الروم ، إلى الفرات عند مَلَطِيَّة من حيث وقع الابتداء . قال : فعلى هذا يكون بعض إرمينية وبعض الروم غربي الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض

إربمينة شماليا . قال في "تقويم البلدان" : وتشتمل الجزيرة على ديار ربعة وديار مَصْر (يعنى بالصاد المعجمة) وبعض ديار بكر ، وهم القبائل الذين كانوا يتزلونها في القديم على ما تقدم ذكره في الكلام على أحوال العرب في المقالة الأولى .

قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه الجزيرة مجموعها مملكة جليلة باقية بذاتها في الدولة الأتابكية يعنى دولة الأتابك زنكى صاحب الموصل والد نور الدين الشهيد صاحب دِمَشْق ، وقاعدتها (الموصل) . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام في الآخر . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى على دِجْلَة من الجانب الغربى ، ويقابلها من الجانب الشرقى مدينة تَيْنَوَى التى يُعْت يونس عليه السلام إلى أهلها . وهى الآن نراب . وفى جنوبى الموصل مَصَبُّ الرّابِّ الأصفرى دِجْلَة . وهى فى مستو من الأرض ، ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دِمَشْق . قال المؤيد صاحب حماة : والعامر منها فى زماننا نحو ثلثها ، ولها قلعة قد صارت فى جملة الخراب . قال قاضى القضاة ولّى الدين بن خلدون : وهى قاعدة ملك قديم يُعرف قديما بمملكة الجَرّامقة ، وكانت قد صارت إلى عماد الدين زنكى : والد نور الدين الشهيد ، ثم أنفق بها الحال إلى أن دخلت فى مملكة التتر من بنى هولاكو . قال ابن خردادبه فى كتابه فى المسالك والممالك : ومن أقام بها سنة (١) ثم ... عقله وجمده قد نقص ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكرها فى "التتيف" وذكر أنه كان بها الأمير أردبدا قبل أن يحصل عليها من يريم خواجا ثم أبو القان أويس .

(١) بياض فى الأصل . وأنظر معجم البلدان فإنه يؤخذ منه أن من أقام بها سنة تين فى بانه فضل توة .

ثم بها عدة مدُن وقلاع مشهورة .

(منها) مَآرِدِين . قال في "اللباب" : ففتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والدال المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها ونون - وهي قلعة بديار ربيعة من هذه الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة ونحس ونحسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على جبل عال ، من الأرض إلى ذروتِه نحو فرسخين . قال ابن حوقل : وهي قلعة منيعة لا يستطاع فتحها عنوة ، ويجعلها جواهر الزجاج ، وبه حَيَات تفوق غيرها بسرعة القتل .

وأعلم أن ماردِين هذه بيد ملوكها من بني أُرْتُق ، لها بيدهم الأمد الطويل ، لم تزل أيديهم عنها مذ ملكوها . قال القاضي ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" : وأول من ملكها منهم ياقوق بن أُرْتُق بعد السبع والأربعائة ، تملكها من يد مغن كان ملكشا ابن ألب أرسلان السلجوقي أقطعها له ، ثم ملكها بعد ياقوق المذكور أخوه علي . ثم عمه سُقَان ، ثم أخوه إيلغازي ، ثم ابنه حُسام الدين تمرتاش ، ثم ابنه قطب الدين الهي ، ثم ابنه نظام الدين إيلغازي ، ثم ابنه حسام الدين بولق أرسلان . ثم أخو ناصر الدين أُرْتُق أرسلان بن إيلغازي ، ثم ابنه نجم الدين غازي ، ثم أخو قرا أرسلان ، ثم ابنه شمس الدين داود ، ثم أخوه نجم الدين غازي ، وتلقب بالمنصور . وهو أول من تلقب بالقباب السلطنة منهم ، ثم ابنه شمس الدين صالح وتلقب بالصالح ، ثم ابنه أحمد وتلقب بالمنصور ، ثم ابنه محمود وتلقب بالصالح ، ثم ابنه نضر الدين داود ، وتلقب بالمظفر ، ثم ابنه نور الدين عيسى ، وتلقب بالظاهر ، وهو القائم بملكها إلى الآن ، وهو الظاهر عيسى ، بن المظفر داود ، بن الصالح [محمود] ، بن المنصور أحمد ، بن الصالح^(١) صالح ، بن المنصور غازي ، بن المظفر قرا أرسلان ، بن المنصور أرتقي أرسلان [ابن بولق أرسلان] بن إيلغازي ، بن أبي ، بن تمرتاش ، بن إيلغازي ، بن أرتق .

(١) لإفادة عن تاريخ ابن خلدون (ص ٢٢٠ ج ٥) .

ولما ملك هولاء كوفى بفساد وأعمالها كان القائم بملك ما ردين يومئذ المظفر قرا أرسلان فأعطاه الطاعة وخطب له في جميع أعماله ، وتبعه على ذلك من بعده من ملوكها إلى حين موت القان أبى سعيد من بقايا الملوك الهولاء كوفى ، فقطع الخطيبة لصاحب بغداد وما معها وخطب لنفسه ، والأمر على ذلك إلى الآن ، وملوكها مؤادون لملوك الديار المصرية والمكاتب بينهم متواصلة .

(ومنها) حصن كيفا . قال في "تقويم البلدان" : بجاء وصاد مهملتين ثم نون ثم كاف وباء مشاة من تحت وفاء وألف - وهى مدينة من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع ، قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة ونحو ثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهى من ديار بكر . قال في "المشترك" : وهى على دجلة بين جزيرة ابن عمر وبين مابا قارقين . قال في "اللباب" : والنسبة إليها حصن كفى - بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح الكاف وفاء ثم باء النسب . قال في "التعريف" : وملكها من بقايا الملوك الأيوبية ومن ينظر إليه ملوك مصر بعين الإجلال ، لمكان ولائهم القديم لهم . واستمرار الوداد الآن . قال في "التنقيف" : وأخبرنى المقر السيفى منجك كافل المالك الشريفة أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان يعظم سلفه فإنه كان أستاذ قلاوون والده . قال في "التعريف" : وكان آتروقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية . فلما أتى دمشق عقبته الأخبار بأن أخاه قد ساور سريره ، وقصد بسلطته سلطانه . ففكر راجعا ولم يعقب ، فلما لبثت الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعه ، وكر نحو سريره رجعت ، وشب عليه أخوه المتوثن فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه ندمه . وكتب إلى السلطان فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعداره والسرائر مكدره ، والخواطر بعضها من بعض متفره . وذكر في "التنقيف" أن الذى أنضج له

آخرًا في رمضان سنة ست وسبعين وسبعمائة أن صاحبها الملك الصالح سيف الدين أبو بكر، ابن الملك العادل شهاب الدين غازي، ابن الملك العادل مجد الدين محمد، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر، ابن الملك الموحد تقي الدين عبد الله، ابن الملك المعظم سيف الدين توران شاه، ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد، بن العادل أبي بكر بن أيوب . ثم قال : وما يبعد أن الصالح المذكور هو ابن عم العادل مجد الدين محمد، وأن العادل غازي لاحققة له . ثم قال : وهو غلط لأن المستقر إلى آخر سنة ثنتين وستين وسبعمائة وما بعدها بمدة هو العادل مجد الدين، وكتبت إليه في هذه المدة بهذا الاسم واللقب، ولم يبلغنا أنه استقر بعده سوى ولده، ثم نقل أنه الصالح ونقل الناقل أنه ابن العادل وهو صحيح لكنه قال : إن اسمه شهاب الدين غازي بن العادل مجد الدين وفيه بعد : كون الولد يلقب بلقب والده الملوكي . انتهى كلامه .

قلت : والذي أخبرني به بعض قصّاد صاحبها في سنة تسع وتسعين وسبعمائة أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود، وذكر لي لقبه الملوكي فنسبته . وذكر أنه يقول الشعر، وأجضر معه بيتا مفردا من نظمته وهو :

وَجَارِيَةٌ تُعِيرُ الْبَدْرَ نُورًا * وَلَوْلَا نُورُهَا عَادَ الظُّلَامُ !

فنظمت له أبياتا وبعث بها إليه محبة قاصده أولها :

سُلَيْمَانُ الزَّمَانِ يَحْيِي كَيْفَا * لَهُ فِي الْمُلْكِ آثَارُ كَوَامٍ

زَكَ أَصْلًا فَطَابَ الْفَرْعُ مِنْهُ * وَطَابَ النَّصْنُ إِذْ طَابَ الْيَكَامُ

بَنُو أَيُّوبَ أَبْقَوْا مِنْهُ دُخْرًا * وَنِعَمَ الذُّخْرُ وَالْقَيْلُ الْمُهْمَامُ

وأثبت البيت الذي قاله في آخر هذه .

(ومنها) حَرَّانُ . قال في "المشترك" : بفتح الحاء وتشديد الراء المهملين وفي آخرها نون بعد الألف - وهى مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ثلاث وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . وكانت حَرَّانُ مدينةً عظيمةً أما اليوم فخراب . قال ابن حوقل : وهى مدينة الصابئين ، وبها سَدَتُهُمُ السبعة عشر ، وبها تَلٌّ عليه مصلًى للصابئين يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام ، وهى قليلة الماء والشجر . قال في "العزيزى" : والجبل منها فى شَمْتِ الجنوب والشرق على فرسخين ، وتربتها حراء ، وشرب أهلها من قناة تجرى من العيون خارج المدينة ومن الآبار ، وحاكمها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى فى المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(ومنها) شَيْشَاءُ . قال فى "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانية ثم ألف نطاء مهملّة - وهى بلدة من ديار مُضَرَ ، وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول اثنتان وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحس وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى بلدة الثغور الجريدية بين آمد وبين نَحْرَتِ رِبْتِ . وقال ابن حوقل : هى شُجْرُ الجزيرة ، وبها حاكمٌ يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حَيْرَانُ . قال فى "اللباب" : بكسر الحاء المهملّة وسكون المشاة من تحتها وفتح الزاى المعجمة وألف ونون - وهى مدينة من ديار بكر من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها نحس وستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى كثيرة

الأشجار خصوصا شجر البُنْدُق . قال : وهى بين جبال ، ولها مياه سارحة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكر فى "التقيف" أنه كان اسمه فى زمانه عز الدين ، ثم استقر بعده ابنه أسد الدين .

(ومنها) رَأْس عَيْن . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الراء المهملة ثم سين وعين مفتوحة مهملتان ومثناة تحت ونون فى الآخر - وتسمى عين وَرْدَة أيضا ، وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة فى مستنق من الأرض . قال ابن حوقل : يخرج منها فوق ثلثمائة عين كلها صافية ، وبصير من هذه العين نهر الخابور ، وهى السمعاني فجعلها منبع دجلة . قال فى "العزى" : وهى أول مدُن ديار ربيعة من جهة ديار مُصَرّ ، وذكر السمعاني أنها من ديار بكر ، وأنكره ابن الأثير وقال : ليست من ديار بكر [بل هى] من الجزيرة . قال فى "اللباب" : وهى على يومين من حرّان - النسبة إليها رَسْمِيٌّ ، وإليها ينسب الرَسْمِيُّ المُقَسَّر .

(ومنها) مِيَا فَارِقِينَ . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وتشديد المثناة من تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبمدهما راء مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول خمس وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى قاعدة ديار بكر . وقال ابن حوقل : هى بين الجزيرة وبين إرمينية . قال فى "اللباب" : وعليها سورٌ حجر دائر ، وهى دون حماة فى القدر ، وهى فى ذيل جبل ، فى شمالها وهى فى ذيله . قال فى "اللباب" : والمياه والبساتين محدقة بها ، ولها نهر صغير على شوط فرس منها ، من عين تسمى عين حَبْوَص بين الغرب والشمال ، تغرق دُورَهَا

وتسقى بساكنها، وبينها وبين الموصِل على حصن كيفا نحو ستة أيام وعلى ماردين نحو ثمانية أيام، والنسبة إليها قَارِيٌّ . قال في "اللباب" : أسقطوا بعضها لكثرة حروفها، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قَرْقِيسِيَّا . قال في "تقويم البلدان" : المشهور بفتح القاف الأولى وكسر الثانية وبينهما راء مهملة ساكنة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم سين مهملة ثم ياء ثانية وألف - وهي مدينة من ديار مُضَرَّ من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : وهي على الفُرات والخابور، على القرب من الرِّقَّة . قال في "العزى" : وهي شرق الفرات والخابور الخارج من رأس عين فيصب في الفرات على القرب منها . قال : وهي مدينة الزبَاء صاحبة جَذِيَّة الأبرش، يعنى التى قتله . قال في "اللباب" : وبها مات جَرِيرُ بن عبد الله البجليّ الصحابيّ رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها قَرْقِيسِيَّا في وقد تحذف النون وتجعل الياء عوضاً .

(ومنها) مَا كِسِينُ . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الكاف والسين المهملة وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "اللباب" : وهي على الخابور . قال في "العزى" : وبينها وبين قَرْقِيسِيَّا سبعة فراسخ ، وبينها وبين سِنْجَارِ اثْنان وعشرون فرسخاً .

(ومنها) نَصِييْنُ . قال في "اللباب" : بفتح النون وكسر الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها ثم باء موحدة وياء ثانية ونون - وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : وهي قاعدة ديار ربيعة . قال

وهي مخصوصه بالورد الأبيض لا يوجد فيها وردة حمراء ، وفي شمالها جبل عظيم يقال إنه الجودي الذي آسقرت عليه سفينة نوح عليه السلام ، منه ينزل نهرها حتى يتر على سورها وعليه بساينها ، ونهرها يسمى الهرماس ، وبها عقارب قتالة .

(ومنها) جزيرة ابن عمر - وضبطها معروف - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : حيث الطول ست وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في " تقويم البلدان " : وهي مدينة صغيرة على دجلة من غربها ذاتُ بساين كثيرة . وقال في " المشترك " : هي في شمالي الموصل ودجلة محيطة بها مثل الهلال ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) سنجار . قال في " اللباب " : بكسر السين المهملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهملة - وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " تقويم البلدان " : والقياس أنها حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي في جنوبي نصيبين - وهي من أحسن المدن وجبلاًها من أخصب الجبال . قال ابن حوقل : وهي في وسط برية ديار ربيعة بالقرب من الجبل والجبل في عاليها ، وليس بالجزيرة بلد فيه نخيل سواها . وهي في جهة الغرب عن الموصل على ثلاث مراحل عنها ، وهي على قدر المرة من البلاد الشامية ، ولها قلعة وبساين كثيرة ، وشربها من الثقي ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) تل آعفر - وضبط التل معروف ، وأعفرُ فتح الحمزة وسكون العين المهملة وفتح الفاء وراء مهملة في الآخر - وهي من الجزيرة من الإقليم الرابع من

الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وتُلْ أعقر قلمة بين سِنَجَارَ وبين المَوْصِلِ . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض أهلها أنها غربي المَوْصِلِ فيما بينها وبين سِنَجَارَ ، وربما تكون إلى سِنَجَارَ أقرب . وذكر في "العزيزي" : أن بينها وبين سِنَجَارَ خمسة فراسخ ، ولها أشجار كثيرة ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) الحديثة . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحاء وكسر الدال المهمتين ثم مثناة من تحت وناء مثلثة وهاء في الآخر وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي في وَسَطِ الْفُرَاتِ والماء محيطٌ بها ، وتعرف بحديثة النورة . وهي غير حديثة المَوْصِلِ : بلدة صغيرة إلا أن لها ذكرا في القديم . قال في "المشترك" : وهي على فراسخ من الأنبار ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) عانة . قال في "الباب" : بفتح العين المهملة وألف ونون وهاء في الآخر . وهي بلدة من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . وهي بلدة صغيرة على جزيرة في وَسَطِ الْفُرَاتِ . قال في "الباب" : وهي تقارب الحديثة . وقال ابن حوقل : يطوف بها خليج من الفرات . قال ابن سعيد : وتجرها مذكور في الأشعار ، وأستشهد بقول بعض الشعراء :

« وَمِنْ عَانَةِ أُمِّ مِّنْ مَّرَاشِفِكَ الْحُمْرُ ؟ »

وكثيرا ما تُقَرَّن في الذكر مع الحديدية لقرىها فيقال عانة والحديدية ، وبها حاكم
يكتآب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) آمِدُ . قال في "اللباب" : بمَد الألف وكسر الميم وفي آخرها دال
مهملة . وهي مدينة من ديار بكر ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة .
قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض
سبع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة أزيلية على الدجلة .
قال ابن حوقل : وعليها سور في غاية الحصانة . قال في "العزيزي" : وسورها
من الحجارة السود التي لا يعمل فيها الحديد ، ولا تضر بها النار ، وهو مشتمل عليها
وعلى عيون ماء ، ولها بساتين ومزارع كثيرة . قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخصب .
(ومنها) سِعِرْتُ . قال في "تقويم البلدان" : نقلا عن صالح : بكسر السين
والعين وسكون الراء المهملات وفي آخرها مثناة من فوق ، وقيل إسْعِرْد بكسر
الهمزة وسكون السين وكسر العين وسكون الراء المهملات ودال مهملة في الآخر -
وهي مدينة من ديار ربيعة ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
في "تقويم البلدان" : وهي مبنية على جبل تحيط بها الوطاة ، على القرب من شط
دجلة من جهة الشمال والشرق ، وهي في المقدار أكبر من المعرة ، وبها الأشجار
الكثيرة من التين والرقان والكروم ، جميع ذلك عذى لا يسقى ، وشرب أهلها من بئار
قرية من وجه الأرض ، وهي عن مَيَّافَرَقِيْبَ على مسيرة يوم ونصف في جهة
الجنوب ، وعن آمِد على مسيرة أربعة أيام في جهة الشمال منها ، وعن المَوْصِل على
خمسة أيام في جهة الشرق والشمال عنها .

(ومنها) تِكْرِيْتُ . قال في "اللباب" : بكسر المثناة من فوق وسكون الكاف
وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة من تحت في آخرها تاء مثناة من فوق - وهي مدينة

(١) ضبطها المجد بالفتح وكذا يافوت وقال : وكسرهما العامة .

من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأثنى عشرة دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مدُن الجزيرة مما يلي العراق على غربي دجلة في الموصل . قال في "اللباب" : وسميت تَكْرِيتُ تَكْرِيتَ بنت وائل أخت بكر بن وائل .

أما قلعتها فبناها سابور بن أردشير بن بابك ، وهي الآن خراب . قال ابن سعيد : وفي جنوبها وشرقيها النهر الإصحاقي ، حفره إصحاقي بن إبراهيم صاحب شُرطة المتوكل ، وهو أول حدود سواد العراق ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) بَرْقِيعُ - بفتح الموحدة وسكون الراء المهمله وفتح التاف وكسر العين المهمله وسكون المثناة من تحتها ودال مهمله في الآخر . قال في "العزيزي" : وهي [مدينة] لها سور وأسواق كثيرة .

(ومنها) العِبادِيَّة - بكسر العين المهمله وفتح الميم وبعدها ألف ثم دال مهمله مكسورة وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة عامرة على ثلاث مراحل من الموصل في الشرق والشمال ، وهي على جبل من الصخر ، وتحته مياه جارية وبساتين ، وهي في جهة الشمال عن أربل ، بناها عماد الدين زنكي صاحب الموصل فنسبت إليه ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة كُشَاف - قال في "تقويم البلدان" : بضم الكاف وبالشين المعجمة ثم ألف وفاء في الآخر - وهي قلعة عامرة بين الزاب والشط ، قريبة من مصبه في الشط (وهي في الشرق) والجنوب عن الموصل . قلت : وقد ذكرها في "تقويم البلدان" أولا

في جملة بلاد الجزيرة ووصفها بهذا الوصف ولم يضبطها ، ثم ذكرها في بلاد الجبل المعروفة بعراق العجم بهذا الوصف أيضا وضبطها على ما تقدم ، والظاهر أنها من بلاد الجزيرة ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة فنك . قال في "تقويم البلدان" : نقلا عن أبي المجد في "كتاب التمييز" : بفتح الفاء والنون - وهي قلعة حصينة فوق جزيرة ابن عمر .

(ومنها) الشوش . قال في "المشترك" : بضم الشين المعجمة وسكون الواو ثم شين ثانية . قال : وهي قلعة مشهورة من أعمال الموصل في الجبال شرق دجلة ، وإليها ينسب حب الرمان الشوشى .

(ومنها) عقر الحيدية . قال في "المشترك" : بفتح العين المهملة وسكون القاف ثم راء مهملة - وهي قلعة حصينة مشهورة ، والحيدية قبيلة من الأكراد بتلك البلاد .

(ومنها) الحناخ . قال في "مزيل الأرتياب" : بفتح الهاء وتشديد التاء المثناة من فوقها وفتحها وبعد الألف خاء معجمة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة .

(ومنها) حافي . قال في "الباب" : على وزن داعى ، يعنى بفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون مكسورة وياء مثناة تحت في الآخر . قال : هذا ما تعرف به الآن ، ولكن السمعاني قد قال فيها حنا ، بفتح الحاء المهملة والنون ، وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة [من الإقليم الرابع] من الأقاليم السبعة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية معنود في الأكراد .

وأعلم أن هذه الجزيرة مجاورة لمملكة الديار المصرية من حيث اتصالها بالبلاد الشامية من الجهة الشرقية ، وقد تعتمد أن بعض بلادها داخلية في أعمال حلب

من ممالك الديار المصرية كالرها وقلة جعبر وما والاها، والمسافة ما بين حلب والرها معلومة ؛ ومن الرها إلى حران يوم واحد؛ ومن حران إلى رأس عين ثلاثة أيام ، ومن رأس عين إلى نصيبين ثلاث مراحل؛ ومن نصيبين إلى الموصل أربع مراحل . وقد تقدم أن الموصل هي قاعدة الجزيرة في القديم، ومن الموصل إلى تكريت سبعة أيام، وقد تقدم أن تكريت هي آخر مدُن الجزيرة مما يلي العراق ، ومن الموصل أيضا إلى أمد أربعة أيام؛ ومن أمد إلى شمشاط ثلاثة أيام .

الإقليم الثاني (العراق)

قال في "اللباب" : بكسر العين وفتح الراء المهملتين ثم ألف وقاف . قال الجوهري : وهو يذكَر ويؤنث . قال أبو المجد إسماعيل الموصلي في كتابه المسمى " بالتمييز والفصل " : وإنما سمي عراقا لأنه سَقَل عن تَجِد ودَنَا من البحر . أخذنا من عراق الفُربة ، وهو الخُرُز الذي في أسفلها ؛ ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية ؛ ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خوزستان ؛ ومن الشرق حدود بلاد الجبال إلى حُلوان ؛ ومن الشمال من حلوان إلى الجزيرة من حيث وقع الابتداء .

قال : والعراق على ضفتي دجلة مثل ما بلاد مصر على ضفتي النيل ، ويمر دجلة من الشمال ببيلة إلى الغرب ، إلى الجنوب ببيلة إلى الشرق . وامتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحَدِيثَةِ على دجلة إلى عِبَادَانَ على مصب دجلة في بحر فارس ، وامتداده غربا وشرقا من القادِسِيَّة إلى حُلوان . فالحدِيثَةُ في وسط الحد الشمالي

بمسلة إلى الغرب، والقادسية في وسط الحد الغربي بمسلة إلى الجنوب، وعبادان في وسط الحد الجنوبي بمسلة إلى الشرق، وحلوان في وسط الحد الشرقي بمسلة إلى الشمال، ووسط العراق الذي من القادسية إلى حلوان هو أعرض ما في العراق .
وأما رأس العراق الذي عند عبادان، فيدق عن ذلك . ثم قال : والذي يستدير على العراق - يعني والعراق على شماله - إذا ابتدأ من تكريت من بلاد الجزيرة المتقدمة، يمر منها إلى حدود شَرْزُورْ، وهي بين الشرق والشمال عن العراق، ثم إلى السَّيْرَوَان، وهي في الشرق، إلى حدود جُبَا، وهي في الشرق والجنوب، ثم إلى البحر يعني بحر فارس، وهو في الجنوب عن العراق . وفي هذا الحد من تكريت إلى البحر تقويس، ثم من البحر إلى البصرة، وهي في الجنوب عن العراق، ثم من البصرة إلى البادية على سَوَاد البصرة، ثم إلى بَطَاخ البصرة، ثم إلى واسط، ثم إلى سَوَاد الكوفة وبطائرها، ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار، ثم من الأنبار إلى تَكْرِيت حيث وقع الابتداء .
(١)

ثم لادن قواعد ومدن .

القاعدة الأولى

(بابل)

بفتح الباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة ثانية مكسورة ولام في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" "حيث الطول سبعون درجة، والعرض آثنان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقدم أبنية العراق، وإليها ينسب إقليم بابل لقِدَمِها، وكانت ملوك الكِنَعَانِيِّينَ

(١) لعل الصواب "ثم للعراق قواعد ومدن" .

وغيرهم يقيمون بها . قال في "تقويم البلدان" : وبها آثار أبنية أحسبها أن تكون في قديم الأيام مصرا عظيما ، ويقال إنها من بناء الضحّاك : أحد ملوك الفرس الذي ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها ألقي إبراهيم الخليل عليه السلام في النار ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن بها هَارُوتَ وَمَارُوتَ المَلَكَيْنِ اللّٰذِينَ يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ ، ويقال إنهما بها في يَمَرٍ وإن البئر ظاهرة بها إلى الآن . قال صاحب حماة : وهي اليوم مدينة نراب ، وقد صار في موضعها قرية صغيرة .

القاعدة الثانية

(المدائن)

جمع مدينة وضبطها معروف . قال في "تقويم البلدان" : وأسمها بالفارسية طَيْسَقُونُ - بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو ونون - ثم قال : وكل ذلك سمعا وقد تبدل الفاء باء . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي على دجلة من شرقها تحت بغداد على مرحلة منها . قال في "العزيزي" : والمدائن في جنوبي بغداد ، وكان بالمدينة الكبرى منها إيوانٌ كسرى في شرق دجلة ارتفاعه ثمانون ذراعا . وتقل في "تقويم البلدان" عن بعض الثقات في سَعَتِهِ من ركنه إلى ركنه خمسة وتسعون ذراعا . وكانت هي قاعدة ملوك الفرس ، فلما وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم ، آتَشَقَ هذا الإيوان ثم حارب هو وسائر المدائن في الإسلام .

القاعدة الثالثة

(بَغْدَادُ)

قال في "الباب": بفتح الباء الموحدة وسكون الفين المعجمة وفتح الدال المهملة وفي آخرها ذال معجمة . وموقعها في آخر الإقليم الثالث . قال في "القانون": حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان": سميت بغداد بهذا الاسم لأن كسرى أهدى إليه خصى من المشرق فأقطعه بغداد . وكان له صنم يعبد به المشرق يقال له البَغْ فقال ذلك الخصى يغ داذ بنى أعطاني الصنم ، وكان عبد الله بن المبارك يكره أن يقال لها بغداد بالذال المعجمة في آخرها ، فإن يغ شيطان وذاذ عطية فعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بغداد بالذالين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن يغ بالفارسية البُستان وذاذ بإهمال الأولى وإعجام الثانية اسم رجل ومعناه بستان داذ؛ ويقال فيها أيضا بَغْدَان بإبدال الدال الأخيرة نونا؛ ومَغْدَان بإبدال الباء الأولى ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادى السلام . وبغداد على جانبي دجلة من الشرق والغرب، والجانب الغربي منها يسمى الكَوْخُ، وبه كان سكنى أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، والجانب الشرقي منها بناء المهدي بن المنصور المتقدم ذكره وسكنه بمسكوه فسمى عسكر المهدي . ثم بنى فيه الرشيد بن المهدي قصرا سماه الرِّصَافَةَ فأطلق على الجانب كله الرِّصَافَةَ ، ويسمى جانب الطاق أيضا نسبة إلى رأس الطاق ، وهو موضع السوق الأعظم منها . وبهذا الجانب حَمْلَةٌ تسمى (الحريم) بمعنى حريم دار الخلافة . قال في "المشترك": بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخره ميم . قال : وهي قريب من ثلث الجانب الشرقي، وعليه سور آبتداؤه من دجلة وآتهاؤه إليها أيضا

كهشة الهلال أو كنصف دائرية وله أبواب أولها باب الغربية ، وهو على دجلة ، ثم يليه باب سوق التمر ، وهو باب شاقق ولكنه أُغلق في خلافة الناصر لدين الله ، ثم استمر غلقه ، ثم باب البدرية ، ثم باب النوى . وفيه القبة التي كانت تقبلها الملوك والرسل ، ثم باب العائمة ، ويقال له أيضا باب عمورية . ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنطرة التي تتحرتحتها الضحايا . ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميق سهم .

وبهذا الحريم محال وأسواق ودور كثيرة للرعية وهو كأكبر مدينة تكون . قال :
وبين دور الرعية التي داخل هذا السور وبين دجلة سور آخر ، وداخل السور الثاني دور الخلافة لا يدخلها شيء من دور العائمة . قال في "مسالك الأبصار" : وبين الجانبين جسران منصوبان على دجلة شرقا وغرب على سفن وزوارق أوقفت في الماء ومدت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقال . وفوقها الخشب الممدود ، وعليها التراب يمر عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالحمر والجمال والحمول . وعلى ضفتي دجلة قصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية بالشبابيك والطاقات المطللة على دجلة ، وبنائها بالآجر .

ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجر أيضا ملصق بالقيرو وهو الزفت ، ولهم الصنائع العجيبة في التزييق والآجر ، وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخانات والربط والبيارسنات والصدقات الجارية ووجوه المعونة ، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض . ومنها قلائد الأعناق ، وترابها إلى القبيل وإثمد الأحداق .

قال في "مسالك الأبصار" : قال الحكيم نظام الدين بن الطياري : وأوقافها حارية في مجاريها ، لم تعترضها أيدي العدو في دولة هؤلاء ولا فيها بعدها ، بل

كل وقف مستعرب يد متولية، ومن له الولاية عليه، وإنما نقصت الأوقاف من سوء ولادة أمورها لا من سواها. وبها البسائين الموقفة، والحدائق المحدقة، وبها تمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتمر، وبها أنواع الرياحين والخضراوات والفلال؛ وسعرها متوسط في الغالب لا يكاد يرخّص. قال المقر الشهابي بن فضل الله: سألت الصدر محمد الدين بن الدوري عن السبب في قلة الفلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها، فقال: قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيثه^(١) للعراق وما جاوره من البلاد.

قلت: وبغداد وإن كانت أم الممالك ودار الخلافة، فقد أغفل ملوك التتر الإلتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تيريز والسُلطانية وصيروها قاعدتين لهذه المملكة على ما ساقى ذكره في الكلام على إقليم أذربيجان فيما بعد إن شاء الله تعالى

القاعدة الرابعة

(سُرَّ مَنْ رَأَى)

من السرور والرؤية، ثم خففها الناس فقالوا سَمرًا. قال في "اللباب": بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مهملة مشددة - وهي مدينة واقعة في الإقليم الرابع. قال في "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال في "العزيزي": وهي على شاطئ الدجلة من الشرق. قال ابن سعيد: بناها المعتصم، وأضاف إليها الواثق المدينة الهارونية، والمتوكل المدينة الجعفرية فعظم قدرها. قال في "اللباب": ثم خربت عن قريب من عمارتها. قال في "العزيزي": ولم يبق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقريّة.

(١) بمعنى حوزة وامتلاكه، لغة قلها الفيومي في مصباحه.

وأما المُنْدُ التّي بالعراق :

(فنها) هَيْتٌ . قال في "المشترك" : بكسر الهاء وسكون المثناة تحت وتاء مثناة من فوق في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزيرى" : وهي من حدود العراق . قال ابن سعيد : وإليها ينتهى حد الجزيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على شمالى الفرات ، ويقيم في "العزيرى" بجمعها غربي الفرات . قال في "المشترك" : وهي من أعمال بغداد . قال في "اللباب" : وهي فوق الأنبار . قال صاحب "التهذيب" : وتُسمّى هيت لكونها في هوة من الأرض . قال في "اللباب" : وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حيرةٌ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة تحت وراء مهمله وهاء في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار ، وهي عن الكوفة على نحو فرسخ . وقال في "العزيرى" : مدينة قديمة على ثلاثة أميال من الكوفة ؛ وكانت منازل آل النعمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن أمية القيس وبنى بها الكنائس العظيمة . والحيرة على موضع يقال له التَّجْفُ ، زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصل به ؛ وبينهما اليوم مسافة بعيدة . قال في "اللباب" : والحيرة مدينة قديمة عند الكوفة ، وبها الخوّرق . قال في "الترتيب" : إن تبعاً لما سار من ائمن إلى خراسان وآتته إلى موضعها ليلا فخصر ونزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة .

(ومنها) الأنبار . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف - وهي من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال في "المشترك" : والأنبار عن بغداد [على] عشر فواضع منها . قال في "المشترك" : وهي من نواحي بغداد على شاطئ الفرات . قال ابن حوقل : وهي أول بلاد العراق ، وبها كان مقام السفاح : أول خلفاء بني العباس حتى مات ، ويقال إن أول ما قلت الكتابة العربية إلى مكة من الأنبار على ما تقدم في المقالة الأولى في الكلام على الخط .

(ومنها) الكوفة . قال في "اللباب" : بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء - وهي مدينة إسلامية بنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي على ذراع^(١) من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال في "الترتيب" : وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذاً من قول العرب رأيت كوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لأجتماع الناس ، أخذاً من قولهم تكوَّف الرمل إذا ركب بعضه بعضاً . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "العزري" : وهي قدر نصف بغداد ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه حيث دُفن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

(١) وقع في الأصل سقط من النسخ في أثناء الكلام على الحيرة والأنبار . وقد استوفينا من كتاب نعيم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مربعين هكذا [] .

(٢) في نسخ البلدان "شعبة" وهي المراد بالفرع .

(ومنها) البَصْرَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح
الراء المهملةين - وهى مدينة إسلامية بنيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه أيضا ، واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول
أربع وستون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرَةَ أخذًا من
البَصْرَة ، وهى المجارة السود ، وفى جنوبيّها وغربيّها البرية ، وليس فى برّيّتها ماء ، يزرع
على المطر . قال فى "المشترك" : وبالبصرة محلة يقال لها المُرْبَدُّ - بكسر الميم وسكون
الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة - وهى محلة عظيمة من جهة البرية
كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون .

(ومنها) وآسِطُ . قال السمعاني فى "الأنساب" : بفتح الواو وسكون الألف
وكسر السين المهملة وطاء فى الآخر - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم
السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ،
والعرض اثنتان وثلاثون درجة ونحو عشرون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" :
سميت واسط لتوسطها بين مدُن العراق إذ منها إلى البَصْرَةَ نحوون فرسخًا ، ومنها إلى
الكُوفَةِ نحوون فرسخًا ، ومنها إلى الأهواز نحوون فرسخًا ، ومنها إلى بغداد نحوون
فرسخًا . وهى نصفان على جانبي دجلة بينهما جسر من السفن كما تقدّم فى بغداد .
قال فى "المشترك" : وهى من بناء الجّاح آخطها بين الكوفة والبصرة فى سنة
أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها فى سنة ست وسبعين .

(ومنها) حُلَوَانٌ . قال فى "المشترك" : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال
فى "اللباب" ثم ألف وواو ونون - وهى مدينة من أوّل الإقليم الرابع . قال
فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون

درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مَدُن العراق ، ومنها يُصْعَد إلى الجبال ، وقيل هي من الجبال ، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها . قال ابن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف ، وأكثر ثمارها التين ، والتلج يسقط على جبلها دائماً ، وهو منها على مرحلة ، وبينها وبين بغداد خمس مراحل .

(ومنها) الحِلَّة . قال في "المشترك" : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام - وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول ثمان وستون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحموي : وتعرف بحِلَّة بن مَرْيَد . وأول من أخط بها المنازل وعمرها سيف الدولة صدقة بن دُبَيْس بن علي بن مَرْيَد الأسدي في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وكان موضعها قبل ذلك يسمى بالجامعين .

(ومنها) النَّهْرَوَانُ . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الهاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهي مدينة في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ضَفَى نهر . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : النَّهْرُوان اسم للدينة والنهر الذي يشقها ، وهي مدينة صغيرة على أربعة فراسخ من بغداد . قال في "اللباب" : ولها عدة [نَوَاجِح] خرب أكثرها . وقال السمعاني في "الأنساب" : هي على أربعة فراسخ من دجلة ، والنَّهْرَوَان هذه هي التي أنحاز إليها الخوارج عند فراقهم لعل بعد وقعة صفين على ما تقدم ذكره في الكلام على النحل والمِلل في المقالة الأولى .

(ومنها) الأُبُلَّة . قال في "تقويم البلدان" : بضم المعزة والباء الموحدة وتشديد اللام وهاء في الآخر - وهي مدينة في فوهتها نهر طولها أربعة فراسخ بينها وبين البصرة

على جانبيه قصور وبساتين ومُدُن على خط واحد كأنها بُستان واحد ، وهو أحد
متنزهات الدنيا .

(ومنها) القادسية - بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة وياء مشنة من
تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث
الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة
وخمس وأربعون دقيقة . وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومباني ، وهى على حافة
البادية وحافة سواد العراق . البادية : من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق .
قال فى "المشترك" : وبيننا وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا فى طريق الحاج .
قال فى "تقويم البلدان" : وسميت القادسية لتزول أهل قادس بها ، وقادس قرية
يمرو الرُود ، وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادسية .

(ومنها) عبّادان - بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملة بين
ألفين وفى آخرها نون - وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال
فى "الزيج" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض
إحدى وثلاثون درجة . قال ابن سميّد . وعبّادان على بحر فارس ، وهو يحيط بها
لا يبقى منها فى البر إلا القليل ، وعندها مصب دجلة فى جنوبى عبّادان وشرقيها ،
وهى عن البصرة على مرحلة ونصف ، وفى جنوبها وشرقيها علامات للمراكب يبحر
فارس لا تتجاوزها المراكب ، وهى حُشْب منصوبة حيث يكون البحر عند الجزر
فى بعض البحار . قال فى "العزيزى" : فى طريق العراق من الغرب القادسية
وهيت ، ومن الشرق حلوان ، ومن الشمال سمرقند ، ومن الجنوب الأبله .

الإقليم الثالث (خُوزِسْتَانُ وَالْأَهْوَازُ)

بضم الخاء وسكون الواو وضم الزاي المعجمة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "المشترك" : ويقال لها أيضا الخُوزُ بضم الخاء المعجمة ثم واو وزاي معجمة . قال : وخُوزُسْتَانُ إقليم واسع بين البصرة وفارس يشتمل على مُدُن كثيرة . قال في "تقويم البلدان" : والذي يُحيط به من الغرب رُسْتاقٌ واسعٌ ودُور الراسبيّ ، ومن جهة الجنوب من عبادان على البحر إلى مَهْرُوبَان ، إلى الدُورق ، إلى حدود فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الجنوب حدود فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الشمال حدود أصقهان وبلاد الجبل ؛ ومن جهة الشمال حدود الصيتر ، والكرجة ، وجبال اللور ، وبلاد الجبل إلى أصقهان . قال : وخُوزُسْتَان في مستوي من الأرض ليس بها جبال ، وهي كثيرة المياه الجارية . وتجتمع مياهها وتعرض وتتصل ببحر فارس عند حصن مَهْدِيّ .

وقاعدتها على ما ذكره صاحب حماة في "تاريخه" (كُستَر) . قال في "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وفي آخرها راء مهملة ، والعامية تسميها كُستَر بإبدال التاء الأولى شينا - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وجعلها في "تقويم البلدان" من الأهواز ، ولها نهر معروف بها ؛ بنى فيه سابور : أحد ملوك الفرس بناء عظيمًا حتى أرتفع الماء إلى المدينة ، على مرتفع من الأرض ؛ ويقال إنه ليس على وجه الأرض مدينة أقدم منها . قال في "اللباب" : وبها قبر البراء بن مالك الصحابي رضي الله عنه .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" : بخوزستان عدة مُدُن .

(منها) السُّوس . قال في "المشترك" : بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية . قال أبو الريحان : وهى بالفارسية معجمة . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" "حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى بلدة قديمة ، قال : وبها قبر دانيال النبي عليه السلام . قال فى "تقويم البلدان" : ولها بساتين وفيها تخرج كالأصابع .

(ومنها) الطَّيْب . قال فى "المشترك" : بكسر الطاء المهملة وسكون المشاة من تحتها وفى آخرها باء موحدة ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" "حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى بلدة بين واسط وبين الأهواز . ثم قال : وفيها عجائب ولم يذكر ما هى ، وإلى الطَّيْب هذه ينسب الطَّيْبُ صاحبُ الحواشى على "كشف الزمخشري" .

(ومنها) جُي . قال فى "المشترك" : بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وياء آخر الحروف فى الآخر . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم العُرفية . قال فى "الأطوال" "حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى كثيرة النخل . قال : وإليها ينسب أبو على الجبائى المعتزلى^(٢) .

(ومنها) مَهْرُوبَان . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء المهملة وسكون الواو ثم باء موحدة وألف ونون . وعندها ابن حوقل وابن

(١) فى معجم البلدان "بالضم ثم التشديد والقصر" .

(٢) أى على غير قياس والقياس جُبَيْرٌ .

سعيد من فارس؛ وهي مدينة من قَارِسَ صغيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة . وهي فرضة أَرْجَانَّ وما والاها . قال في "العريزي" :
وهي على البحر .

(ومنها) أَرْجَانُّ . قال في "اللباب" : بفتح الألف وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وفي آخرها نون بعد الألف . وقال ابن الجوالقي في المغرب من العجمية للعربية : إنها بتشديد الراء . وقال ابن حوقل : هي من آخر فارس من جهة خُورُستان . وقال في "العريزي" : هي أول مُدُن فارس . وهي مدينة كبيرة كثيرة الخبز، وبها النخل والزيتون بكثرة، بَرِيَّةٌ بحرية، سُهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ، على مرحلة من البحر . قال في "العريزي" : وهي مدينة جبلية لها كورة وأعمال نفيسة؛ وإليها ينسب القاضي الأَرْجَانِّي الأديب الشاعر .



وأما الأهواز . فقال في "اللباب" : هي بفتح الألف وسكون الهاء وفي آخرها زاي معجمة . وهي كورة من كُور خُورُستان المقسم ذكرها كما ذكره في "تقويم البلدان" وإن كان قد ذكر في أول الكلام على إقليم فارس أن خُورُستان هي الأهواز إلا أنها غلب ذكرها فصارت كالإقليم المنفرد بذاته .
ولها عتة مُدُن تعرف بها .

(منها) سوق الأهواز . وهي مدينتها، فقد قال في "المشترك" : وسوف الأهواز هي مدينة الأهواز، وذكر مثله في "العريزي" . قال في "المشترك" : وقد حَرِبَ أكثرها . قال في "العريزي" : ومنها إلى أَصْفَهَان ثمانون فرسخاً .

(ومنها) قَرْقُوبٌ . قال في "اللباب" : بضم القافين وبينهما راء مهملة ثم واو وفي الآخراء - . وهى مدينة واقعة في الإقليم الثالث ، قال في "القانون" حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . وهى مدينة مشهورة . قال في "اللباب" قرية من الطيب قال في "العزى" : وبينهما سبعة فراعخ ومنها إلى مدينة السوس عشرة فراعخ .

(ومنها) جُبْدَى سَابُور . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وسبعون درجة ونحو دقاتق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ونحو وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة خُصْبَةٌ كثيرة الخبز . قال ابن حوقل : وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه . قال في "العزى" : منها إلى أَسْتَرْمُخَانِيَّة فراعخ ، ومنها إلى السوس ستة فراعخ .

(ومنها) عَسْكَرُ مَكْرَم . قال في "اللباب" : بفتح العين وسكون السين المهملتين وفتح الكاف وفى آخرها راء مهملة . قال في "تقويم البلدان" : عن الثقات أن مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة ثم ميم - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ست وسبعون درجة وثمان دقاتق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ونحو وخمسون وعشرون دقيقة . قال في "العزى" : وهى مدينة مُحَدَّثَةٌ ، وكانت قرية ينزلها مكرم بن الفُزَر أحد بنى جَعُونَةَ بمسركان قد أنقذه به الحجاج لمحاربة نُحْرَازِ بْنِ بَارِسَ ، فأقام بها مدة وآبَتْنِي بها البنات فسميت عَسْكَرُ مَكْرَم . قال : وليس بالأهواز مدينة مُحَدَّثَةٌ سواها ، وبها عقارب صغار مشهورة بالقتل .

(ومنها) رَاهُزْمُ . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والميم وضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم الثانية وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كُورَة من كُورِ الأهواز . قال ويقال إن سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْهَا . قال المَهَلْبُيُّ : وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ سُوْقِ الْأَهْوَازِ تِسْعَةُ عَشَرَ فَرَسَخًا .

(ومنها) الدَّوْرُقُ . قال في "المشترك" : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وفي آخرها قاف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس ونمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال أَبْنُ حَوْقَلٍ : وهي مدينة كبيرة . قال في "العزيزي" : ومنها إِلَى أَرْجَانِ ثَمَانِيَّةٍ عَشَرَ فَرَسَخًا .

(ومنها) حِصْنُ مَهْدِيٍّ . وضبطه معروف ، وموقعه في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهو حِصْنٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ مِيَاهُ خُوزِستان ثم تصير نهرًا وتصب في بحر فارس ، وبينه وبين البصرة خمسة عَشَرَ فَرَسَخًا .

(ومنها) جُرْحَانُ . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وخاء معجمة ثم ألف ونون . قال : وهي بلدة بقرب السُّوس .

(ومنها) جِبَالُ اللُّورِ . قال في "اللباب" : بضم اللام وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة . قال : وبها جبال يقال لها لُورُستان من بلاد خُوزِستان . وقال أَبْنُ حَوْقَلٍ : غالبُ بلاد اللُّورِ جبال وكانت قديمًا من خُوزِستان . قال في "تقويم البُلْدَانِ" : وهي بلاد خَصْبَةٌ والغالب عليها الجبال ، وهي متصلة بخُوزِستان ولكن

أفردت عنها . قال في "الأطوال" : وهى بين تُسْتَرُ وأَصْبَهَانَ ، وامتدادها طولاً نحو ستة أيام ، وفيها خلق عظيم من الأكراد . قال : وهى حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال في "مسالك الأبصار" : وهى طائفة كثيرة العدد ومنهم فِرَقٌ مفرقة فى البلاد ، وفيهم مُلْكٌ وإمارة ، ولهم خِفةٌ فى الحركات يقف الرجل منهم إلى جانب البناء المرتفع ويُصِيقُ بطنه باحدى زواياه القائمة ثم يصعد فيه إلى أن يرتقى صُتُوه المُلْيا .

ومما يحكى أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حضره رجل منهم وصعد فى جدار كذلك ، فأنعم عليه الإنعام الجزيل وأمره أن يُحضِرَ كل من قدر عليه من أصحابه فأحضر منهم جماعة ، وهو يُحْسِنُ إليهم إلى أن لم يبقَ منهم أحدٌ فقتلهم عن آخرهم خشيةً مما لهم من قوة التسوّر ، ومن هؤلاء طوائف بمصر والشام يُعرفون بالنُورَة ، يجالس أحدهم الرجل فيسرق ماله وهو لا يدري ، ويمشون على الجبال المرتفعة ولنسائهم فى ركوب الخيل القُرُوبية العظيمة .

الإقليم الرابع

(فارس)

بفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة مكسورة وسين مهملة فى الآخر . قال فى "تقويم البلدان" : ويحيط ببلاد فارس من جهة الغرب حدودُ خُورَسْتَانَ ، وتنام الحد الغربى إلى جهة الشمال حدودُ أَصْفَهَانَ والجبال ؛ ويحيط بها من جهة الجنوب بحر فارس ، ومن جهة الشرق حدودُ كَرْمَانَ ، ومن جهة الشمال المَقَازَة التى بين فارس وخراسان ، وتنام الحد الشمالى حدودُ أَصْفَهَانَ وبلاد الجبال ؛ قال فى "العزيزى" : وعلى نهاية فارس الشرقية ناحية يَزْد ، وعلى نهايتها من الجنوب سِيرَاف والبحر ؛ وحدها

من الشمال الرئي . قال ابن حوقل : وقاعدتها فيما ذكره صاحب حماة في تاريخه : (شيراز) . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملّة وفي آخرها زاي معجمة بعد الألف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض ثمان وعشرون درجة وست وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة إسلامية محدّثة، بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل الثقفى^(١)، وهو ابن عم الجحاج بن يوسف . قال : وسميت بشيراز تشبهاً بحوف الأسد لأنّ عامة الميرة بتلك النواحي تُحمّل إلى شيراز ولا يحمل منها شيء إلى غيرها . قال المهلبى : وهي مدينة واسعة سرية كثيرة المياه؛ وشربهم من عيون تتفرّق البلد وتجري في دُورهم، وليس تكاد تخلو دار بها من بُستان حسن ومياه تجري، وأسواقها عامرة جليلة؛ وإليها ينسب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي - صاحب "التبيه" رحمه الله؛ وبها قبر سيويه النحوى، وبينها وبين أصبهان اثنتان وسبعون فرسخاً، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) جور . قال في "اللباب" : بضم الجيم ثم واو وراء مهملّة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" . وهي من قواعد فارس . قال ابن حوقل : وعليها سور من طين وخندق؛ ولها أربعة أبواب وفيها المياه جارية - وهي مدينة زهّية كثيرة البساتين جدّاً ويرفع منها ماء ورد يعمّ البلاد، وهي في ذلك كدمشق . قال "العزّيزي" : ومنها إلى شيراز أربعة وعشرون فرسخاً، وقال في موضع آخر عشرون فرسخاً .

(١) كذا في التقويم أيضاً وفي معجم البلدان ابن عقيل .

(ومنها) كَأَزْرُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الكاف وسكون الألف وفتح الزاي المعجمة وضم الراء المهملة وواو ساكنة وفي آخرها نون - وهي مدينة من كورة سابور واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أعظم مدينة في كورة سابور . وقال المهلبى : هي مدينة لطيفة صالحة للمارة . قال ابن حوقل : وهي صحيفة التربة والهواء وماؤها من الآبار . قال في "اللباب" : وتخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) فَيْرُوزَابَاد . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وكسرهما وسكون المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وزاي معجمة ثم ألف وباء موحدة وألف ثانية وذال - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال في "المشترك" : وكانت تسمى في القديم جُور ثم غير اسمها ، وهي بلدة مشهورة على القرب من شيراز ، وهي أصل بلد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي المتقدم ذكره في شيراز .

(ومنها) سِيرَاف . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفاء في الآخر - وهي بلدة على البحر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أعظم قُرْصَةٍ لفارس ، وليس لها زرع ولا ضرع بل هي مدينة حَطَّ وإقلاع للراكب ؛ وهي مدينة أهلة ، ولهم عناية بالبدان حتى إن الرجل من التجار ينفق في عمارة داره ثلاثين ألف

دينار، وليس حولها بساتين ولا أشجار، وبنائهم بالساج والخشب، يحمل اليهم من بلاد الرّيح، وهي شديدة الحر.

(ومنها) البَيْضَاء - بفتح الموحدة وسكون الياء المشناة من تحت وفتح الضاد المعجمة وألف في الآخر. وهي مدينة من عمل إصطخَر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال في "القانون": حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة. قال ابن حوقل: وهي من أكبر مدُن كورة إصطخَر. قال: وسميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء ترى من بُعد، وأسمها بالفارسية نسانك، ويقال إن الحسين الحلاج منها، وإليها ينسب القاضي ناصر الدين البيضاء صاحب "المنهاج" في أصول الفقه، و"الطوال" في علم الكلام وغير ذلك. قال المهلب: وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ.

(ومنها) إصطخَر. قال في "الباب": بكسر الألف وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وفي آخرها راء مهملة قبلها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال ابن سعيد حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأثنتان وثلاثون دقيقة. قال في "تقويم البلدان": وهي من أقدم مدُن فارس، وبها كان سرير الملوك في القديم، وبها آثار عظيمة من الأبنية حتى يقال إنها من عمل الجن كما يقال عن تدمر وبعثك من بلاد الشام. قال في "العزري": وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً. قال [وينسب إليها] أبو سعيد الإصطخري أحد أصحابنا الشافعية.

(ومنها) بَسَا. قال في "الباب": بفتح الياء الموحدة والسين المهملة ثم أنف - وهي مدينة من كورة دَارًا يجرد واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال

(١) الزائد مأخوذ بالخط من "معجم البلدان".

في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ونحس ونحسون دقيقة ،
والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي تقارب شيراز في الكبر وأكثر
خشب أبنيتها السرو ، ويجتمع فيها الثلج (؟) والرطب والجوز والأترج ، وإليها ينسب
الأساسيرى الذى خطب خلفاء مصر في بغداد .

(ومنها) يزد . قال السمعاني في "الأنساب" : بفتح المثناة التحتية وسكون الزاى
المعجمة وفي آخرها دال مهملة - . وهي مدينة من كورة إصطخر . قال في "الأطوال"
حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . يخرج منها
جماعة من العلماء وإليها ينسب القماش اليزدى .

ومنها - (داراً بجرد) . قال في "الباب" : بفتح الدال المهملة وسكون الألفين
بينهما راء ثم باء موحدة وجم مكسورة وراء مهملة ساكنة وفي آخرها دال مهملة -
وهي مدينة من فارس واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيب الطول
ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : ومعنى
دارا بجرود تحمل دارا ، وهي مدينة لها سور وخندق تتولد المياه فيه ، وفيه حشيش
يلتف على الساج فيه حتى لا يكاد يسلم من الفرق ، وفي وسط المدينة جبل كالقبة
ليس له اتصال بشيء من الجبال ، وبنوا حبه جبال من الملح الأبيض والأسود
والأصفر والأحمر والأخضر ، يفتح منه ويحمل منها إلى البلاد . قال في "المشترك" :
وعملها من أجل حور فارس . قال في "العزيزى" : وبأعمالها معدن مؤمياً
ومعدن زئبق .

الإقليم الخامس (خرمات)

كما قاله في "مسالك الأبصار" : قال في "المشرك" : بفتح الكاف، ومنهم من يكسرها . قال : وهو صُفْعٌ كبيرين فارس ويحيستان ومكران من بلاد الهند . ويحيط به من جهة الغرب حدود فارس ؛ ومن جهة الجنوب بحر فارس ؛ ومن جهة الشرق أرض مكران من وراء البلوص إلى البحر ؛ ومن الشمال المفازة التي هي فيما بين فارس وخرمات وبين خراسان . قال في "تقويم البلدان" : وأرض خرمات داخلية في البحر ، وللبحر ساعدان قد آعتنقا أرض خرمات ، فالبحر على ساحل خرمات قطعة قوس من دائرة . وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" السيرجان . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها والراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي أكبر مدينة بكرمات ، وأبنيتها أقباء لقلة الخشب بها وداخلها قُبَى الماء . قال في "اللباب" : وهي مما على فارس . وتشتمل خرمات على عدة مُدن .

(منها) جِيْرُفْتُ . قال في "اللباب" : بكسر الجيم وسكون المثناة تحت وضم^(١) الراء المهملة وسكون الفاء وفي آخرها تاء مثناة من فوق - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة مجمع للتجار الواصلين من خراسان ويحيستان ،

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء .

وهي حصينة للغاية . قال المهلبي : وهي من أعظم مدينة بكرمان كثيرة النخل والأترج وبينها وبين السرجان مرحلتان .

(ومنها) زَرَنْدُ . قال في "المشترك" : بفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي مدينة مشهورة . قال "المهلبي" : وبينها وبين مدينة السرجان تسعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) بَمُّ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة ونسديد الميم - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "المزني" : وهي من كبار مدُن كَرْمَانَ ، وهي مصر من الأمصار . قال ابن حوقل : وهي أكبر من جيرفت ، وبها ثلاثة جوامع .

(ومنها) هُرْمَزُ . قال في "المشترك" : بضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي فُرْضة كَرْمَانَ . قال في "المشترك" : تدخل إليها المراكب من بحر الهند في خليج . قال صاحب حماة : وهي مدينة كثيرة النخل شديدة الحر . ثم قال : أخبرني من رآها في زماننا يعني في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أن هُرْمَزَ العتيقة خربت من غارات التتروا أهلها آتقوا عنها إلى جزيرة في البحر تسمى زَرَوَنَ - بفتح الزاي المعجمة وضم الراء المهملة ثم واو وفي الآخرون - وهي جزيرة قريبة من البرغربي هُرْمَزَ العتيقة ،

ولم يبقَ بهرمز الشيعة إلا قليل من أطراف الناس ؛ ومنها إلى أول حدود فارس نحو سبع مراحل .

قلت : وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة كُتِبَ إلى صاحبها عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في الدولة الناصرية أبي السعادات فرج بن السلطان الشهيد الظاهر برفوق ، وسيأتي الكلام على صورة المكتبة إليه في المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم السادس (سجستان والرخج)

أما سَجِسْتَانُ فقال في " المشترك " : بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون السين الثانية ثم مشاة من فوقها وألف ونون . قال : وسَجِسْتَانُ إقليم عظيم بين خُرَاسَانَ وبين مَكْرَانَ والسند وبين كَرْمَانَ . قال ابن حوقل : ويحيط بسجستان من جهة الغرب خُرَاسَانُ ، ومن جهة الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس وكَرْمَانَ ، ومن جهة الشرق مفازة بين سجستان وبين مَكْرَانَ ، وهي المفازة الواصلة بين مَكْرَانَ والهند ،^(١) وتنام الحد الشرقي في شيء من عمل المثلثان من الهند ، ومن جهة الشمال أرض الهند ، وفيما يلي خراسان والغور والهند تقويس . وقال في " العريزي " ، سجستان شرق كَرْمَانَ إلى الشمال . قال ابن حوقل : وأراضي سجستان بها الرمال والنخيل ، وهي أرض سهيلة لا يرى فيها جبل ، وتشتت بها الريح وتدوم ، وبها أرحية تطحن بالريح ، والرياح تنقل رمالهم من مكان إلى مكان ، وإذا أرادوا نقل الرمل عن مكان ، عملوا هناك حائطا من خشب أو غيره وجعلوا في أسفله طوقا وأبوابا

(١) في " تقويم البلدان " والسند وهو الصواب بدليل ما سيأتي .

فندخل فيها الريح من تلك الأبواب وتطير الرمل وترميه بعيدا، وبجستان خضبة كثيرة الطعام والتمر والأعناب وأهلها ظاهرو اليسار . وقال في "اللباب" : والنسبة إلى بجستان يجزى بكسر السين المهمله وسكون الجيم ثم زاي معجمة على غير قياس . قال : وينسب إليها بجستانى أيضا يعنى على الأصل .

وقاعدتها (زَرْجُ) . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة والراء المهمله وسكون النون وجيم في الآخر - وهى مدينة كبيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وقد يطلق على زَرْج نفسها بجستان . قال في "المشتد" : بل أُنسئ اسم زرج وأطلق اسم الإقليم وهو بجستان على المدينة . وسيل في "اللباب" : زَرْج ناحية بسجستان . قال ابن حوقل : ولها سورٌ وَخَنَقٌ ينبع فيه الماء، وأبنيتها عقود لأن الخشب فيها يسوس ولا يثبث . وفيها مياه تجري في البيوت والأزقة وأرضها سبخة . قال في "اللباب" : ونخرج منها جماعة من العلماء منهم محمد بن كرام الزرجي صاحب المذهب المشهور . ولها مدنف .

(منها) حصن الطاق - وضبطه معروف . قال ابن سعيد : وهو حصن واقع في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الفسان" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، على جبل عند ألتواء النهر في غاية المنعة لا يرام يحصار . قال وبه يعتصم ملوك هذه البلاد ويعملون فيه خزائهم . أما الطاق المضاف إليها فمدينة صغيرة لها رستاق، وبها أعناب كثيرة يتسع بها أهل بجستان .

(ومنها) سَرَوَانُ . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الثقات - بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الواو ثم ألف ونون - وهي مدينة من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة ونحس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة بها فواكه كثيرة ونخيل وأعناب .

(ومنها) بُسْتُ . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها تاء مشاة من فوقها - وهي مدينة على شط نهر الهندمند ، قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وتسعون درجة وثمان وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة ونحس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة كثيرة النخل والأعناب . وقال في "اللباب" : هي مدينة حسنة كثيرة المياه والخضرة . وقال في "العزيزي" : مدينة جبلية بها عدة منابر ورباطات كثيرة عظيمة . وذكر في "اللباب" : أنها من بلاد كابل بين هراة وغزنة . قال ابن حوقل : وبينها وبين غزنة نحو أربع عشرة مرحلة .

وأما (الرشج) فقال في "اللباب" : بضم الراء المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وفي آخرها جيم . قال ابن حوقل : وهو إقليم عظيم متصل بـججستان فيه عدة مدن وهي على غاية الخصب والسعة . قال : ومن مدنها بججوان (?) ولم يزد على ذلك .

الجانب الثاني

(من مملكة إيران الشمالية)

ويشتمل على عدة أقاليم من الأقاليم العرفية .

الإقليم الأول (إرمينية)

قال ياقوت : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وكسر النون ثم ياء ثانية مخففة وقد تشدد - وضبطها في "اللباب" :
بفتح الهمزة . قال في "تقويم البلدان" : وقد جمع أرباب المسالك والممالك إرمينية وأزان وأذربيجان لفسر أفراد إحداها عن الأخرى . قال : ويحيط بها على سبيل الإجمال من الغرب حدود بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة ؛ ومن جهة الجنوب بعض حدود الجزيرة وحدود العراق ؛ ومن جهة الشرق بلاد الحليل والدليم ، إلى بحر الخزر ؛ ومن جهة الشمال بلاد القتيق ؛ ثم أفرد أذربيجان بحدود تحصها فقال : يحدها من جهة الشرق بلاد الجليل وتام الحد الشرق بلاد الدليم ؛ ويحدها من جهة الجنوب العراق عند ظهر حلوان وشيء من حدود الجزيرة . وذكر في "مسالك الأبصار" نحوه إلا أنه ذكر أن حدها الغربي إلى بلاد الأرمن . قال ابن حوقل : والغالب على إرمينية الجبال .

وقاعدتها (الدبيل) فيما ذكره ابن حوقل والمهلب . قال في "المشتك" : وهي بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة ثم مشنة من تحتها ساكنة وفي آخرها لام - وتوقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة والنصارى فيها كثيرة ، وبها جامع للمسلمين إلى جانب كنيسة النصارى . قال في "العزى" : وهي من أجل البلاد وأنفسها وهي مستقر سلطانها ، وبها عدة مدن .

(منها) أَرَزَّجَانُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم ثم ألف ونون، ويقال بالكاف أيضا عوضا عن الجيم - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي بين سيواس وبين أَرَزَنْ الرُّوم، وبينها وبين كل واحدة منهما أربعون فرسختين ، وما بينها وبين أَرَزَنْ كُلِّهِ مروج ومرعى ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) أَرَزَنْ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة ثم نون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أطراف إرمينية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي غير أَرَزَنْ الرُّوم، وهي عن خِلَاطٍ على ثلاثة أيام . قال : ويوهم في "اللباب" بفتحها من ديار بكر من الجزيرة ، والصحيح ما تقدم . وصاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما سياتي ذكره في الكلام على المكتبات في المقالة الثانية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) بَدْلَيْسُ . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة ساكنة ولام وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة . قال : وعن بعضهم أنها بفتح الباء الموحدة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة

وخمس وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهل تلك البلاد أنها بين ميا قَارِقِينَ وبين خَلَّاط . قال : وهي مدينة مسورة . وقد حارب نصف سورها والمياه تحترق المدينة من عيون في ظاهرها ؛ ولها بساتين في وادٍ وهي بين جبال تحفُّ بها . قال وهي دون حماة في القدر . وقال ابن حوقل : بلد صغير عامر خصب كثير الخير ؛ وهي شديدة البرد كثيرة الثلوج ، وصاحبها يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سياتي ذكره في الكلام على المكاتب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(ومنها) أَخَلَّاط . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام ثم ألف وطاء مهملة ، ويقال فيها خَلَّاط^(١) بفتح الخاء من غير همز - وموقعها في الإقليم الخامس . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : عن بعض أهلها إنها في مستو من الأرض ، ولها بساتين كثيرة . وبها عِدَّة أنهار على شبه أنهار دِمَشْق ، وليس يدخل المدينة منها إلا الشئ اليسير ، ولها سور خراب ، وهي قدر دِمَشْق ، والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم ، وبردها شديد . قال ابن سعيد : وهي أجل مدينة بإرمينية ، وذكرها بطليموس الشهيرة . وقال ابن حوقل : وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير . قال في "العزى" : وبينها وبين دِليّس سبعة فراسخ .

(ومنها) خِرْت رِث - بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وتاء مشاة فوق ثم باء موحدة مكسورة بعدها راء مهملة ساكنة وتاء مشاة فوق في الآخر ، وتعرف

(١) ضبطها ياقوت بالكسر .

بِحَصْنِ زِيَاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بإرمينية على القرب من خَلَّاط ، وحاكمها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الإقليم الثاني

(أذربيجان)

قال ابن الجوالقي في "المعزب من المعجمة إلى العربية" بقصر الألف وإسكان الدال المعجمة . قال ابن حوقل : الغالب عليها الجبال أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أجل الأقاليم الثلاثة ، وهي كانت قَرَارَ ملوك بني جنكخان . وبها ثلاث قواعد .

القاعدة الأولى

(أَرْدُبِيل)

قال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون الزاء وضم الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت ولام في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : لعله بناها أردبيل بن أردمبني بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال في "العزري" : وهي في الجهة الشمالية من أذربيجان . قال : وهي مدينة كثيرة الخصب ، وعلى فرمحين منها جبل عظيم الارتفاع لا يفارقه الثلج . قال المهلبي : وأهلها غليظو الطبع شرسو الأخلاق . قال : وبينها وبين تبريز خمسة وعشرون فرسخا . قال في "مسالك الأبصار" : وأعمالها تكون ثلاثين فرسخا . قال : وبها كانت دار الإمارة في صدر الإسلام .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطه ياقوت بفتح الدال وهو المشهور .

القاعدة الثانية

(تَبْرِيزُ)

قال في "اللباب": بكسر المثناة من فوق وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم مثناة من تحت وفي آخرها زاي معجمة ، والجاري على السنة العاقمة توريز بالواو بدل الموحدة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة ونحوه وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة أذربيجان في عصرنا . قال في "اللباب" : وهي أشهر بلدة بأذربيجان : وبها كان كرسى بيت هولاكو من التتر ، ثم انتقل بعد ذلك إلى السلطانية الآتية ذكرها . ومبانيها بالقاشاني والحص والكلس ، وبها مدارس حسنة وطباغطنة واثقة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة عرفت في السعادة أنسابها ، وبثبت في النعمة قواعدها . قال : وهي مدينة غير كبيرة المقدار . والماء منساق إليها ؛ وبها أنواع الفواكه لكن ليست بغاية الكثرة ، وأهلها من أكبر الناس حشمة ، وأكثرهم تظاهرا بنعمه ؛ ولهم الأموال المديدة ، والنعم الوفرة ، والنفوس الأبية ؛ ولهم التجميل في زيهم : من المأكول والمشروب ، والملبوس والمركوب ؛ وما منهم إلا من يأنف أن يذكر الدرهم في معاملته ، بل لا معاملته بينهم إلا بالدينار . وسيأتي ذكر مقدار دينارهم في الكلام على معاملته هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى - وهي اليوم أم إيران جميعا لتوجه المقاصد من كل جهة إليها . وبها محط رحال التجار والسفار ، وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحين لسلطانها لقربها من أرجان محلّ مشاتهم . قال : ويستبد البرد بتوريز كثيرا ، وتناول التلوج بها حتى إن سرّوات أهلها يحذون في أدبرهم ، ليس فيها فرجة ولا يدخلها ضوء إلا ما يروونه من طاقات حيطانها من وراء الزجاج المركب عليها .

القاعدة الثالثة

(السلطانية)

نسبة إلى السلطان ، وأسمها قُنُزْلان . قال في "تقويم البلدان" : بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملّة ولام ألف ونون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال : وهي عن توريز في سمت المشرق بمسلة يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها - وهي مدينة مُحَدَّثة ، بناها خربندا بن أرغون بن أبقا بن هولأكو ، على الغرب من جبال يكلان ، على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسى مملكته ، وهي في مستو من الأرض ، ومياهها قُتِي ، قليلة البساتين والفواكه ، وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد المُصَابِقة لها . قال في "مسالك الأبحار" : وهي مدينة قد رُفِعَ بناؤها ، وأتسع فَنَاقُها ، وأثَقَّتْ قسمتها في الخلط والأسواق ، وجَلَبَّ إليها بانيها الناس من أقطار مملكته ، وأستجلبهم إليها بما بسط لسكانها من العدل والإحسان . قال : وهي الآن عامرة أهلة كأنما مر عليها مئوت سنين لكثرة من استوطنها وتأهل بها وأولد من الولد فيها ، وقد مضت عليها مدة بنوها مبالغ الرجال ، وفيهم من جاز إلى الإكتهال .^{١١}
وبها عدة مدُن غير هذه القواعد .

(منها) سَلْمَاسُ . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملّة واللام والميم وفي آخرها سين مهملّة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال المهلّي : وهي على آخر حدود أذربيجان من الغرب ، وهي مصر من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة .

(١) لعله "حتى بلغ بنوها" أو نحو ذلك .

(ومنها) حُوى . قال في "الباب" : بضم الخاء وفتح الواو وتشديد المشاة من تحت - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "الباب" : وهى آخر مُدُن أذربيجان ، وبينها وبين سَلَمَاسَ أحد وعشرون ميلا .

(ومنها) أُرَمِيَّة . قال في "الباب" : بضم الألف وسكون الراء المهملة والميم في آخرها هاء بعد ياء مثناة من تحتها . قال ابن الجوالقي في "المعرب" : ويحوز في قياس العربية تخفيف الياء منها وتشديدها - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة ، قال المهلبى : وهى آخر حدود أذربيجان ، وهى مدينة جليلة . قال : ويقال إن زَرَادُشت نَجى المجوس منها . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة وَسْطَى عامرة ، وهى في أوّل الجبال وآخر الوطاة ، في الغرب عن سَلَمَاسَ على ستة عشر فرسخا منها ، وبينها وبين الموصل قاعدة الجزيرة أربعون فرسخا ، والموصل في سمت القُرب عنها ، ولأُرَمِيَّة قلعة على جبل تسمى قلعة تالا في غاية الحصانة ، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصانتها والنسبة إلى أُرَمِيَّة أُرَمِيَّي .

(ومنها) مَرَّاقَة . قال في "المشترك" : بفتح الميم والراء المهملة وألف وغين معجمة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال المهلبى : وهى مدينة مُحدّثة كانت قرية ، فنزل بها مَرَوَّان بن محمد وكان

(١) الذى في "تقويم البلدان" وهى في آخر الجبال وأوّل الوطاة التى خلف بحال الميم .

هناك سِرْجِينٌ فَرَّغَ النَّاسُ فِيهِ دَوَابَهُمْ فَبَنَاهَا مَدِينَةً فَسَمِيَتْ مَرَاغَةَ . قَالَ أَبُو حَوْقَلٍ :
 وَهِيَ مِنْ قَوَاعِدِ أَذْرَبِجَانٍ ، وَهِيَ حَصِينَةٌ ، نَزْهَةٌ كَثِيرَةُ الْبَسَاتِينِ وَالرَّسَاتِيقِ .

(وَمِنْهَا) مَيَّابُجُ . قَالَ فِي "الْمَشْتَرَكِ" : يَفْتَحُ الْمَيْمُ وَالْمِثْنَةُ مِنْ تَحْتِهَا وَسُكُونُ الْأَلْفِ
 وَكَسْرُ النُّونِ وَفِي آخِرِهَا جِيمٌ - وَمَوْقِعُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقْلَامِ السَّبْعَةِ . قَالَ
 فِي "الْقَانُونِ" : حَيْثُ الطُّولُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً .
 قَالَ فِي "الْمَشْتَرَكِ" : وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ مِنْ مَرَاغَةَ . وَسَمَّاها
 فِي "الْبَابِ" : مَيَّانَهُ يَفْتَحُ الْمَيْمُ وَالْمِثْنَةُ مِنْ تَحْتِهَا وَالْفُ نُونٌ وَهَاءُ . وَقَالَ : خَرَجَ
 مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ .

(وَمِنْهَا) مَرَّندُ . قَالَ فِي "الْبَابِ" : يَفْتَحُ الْمَيْمُ وَالرَّاءُ الْمَهْمَلَةُ وَسُكُونُ النُّونِ وَفِي آخِرِهَا
 دَالٌ مَهْمَلَةٌ - وَمَوْقِعُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقْلَامِ السَّبْعَةِ . قَالَ فِي "الْقَانُونِ" : حَيْثُ
 الطُّولُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً . قَالَ فِي "الْبَابِ" :
 وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ تَبْرِيزَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ ضَرْبُهَا بِمِثْلَةِ يَسِيرَةِ إِلَى الشَّامِ . وَقَالَ الْمَهْلِيُّ :
 هِيَ عَنْ تَدْمَرَ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ فَوْسَخًا . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَذَكَرَ مَنْ رَأَاهَا
 أَنَّهَا بَلَدَةٌ صَغِيرَةٌ ذَاتُ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ .

الإقليم الثالث

(أَزَان)

قَالَ فِي "الْمَشْتَرَكِ" : يَفْتَحُ الْمَهْمَزَةُ وَقَشْدِيدُ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ أَلْفٌ وَنُونٌ .
 وَلَهَا قَاعِدَتَانِ .

(١) فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" عَنْ أَبِي حَوْقَلٍ "خَصْبَةٌ" .

القاعدة الأولى

(برَدَّة)

قال في "الباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم عين مهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة مملكة أزان . وقال في "الباب" : هي من أقاصي أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة كثيرة الخصب تربة . قال : وعلى أقل من فرسخ منها موضع [يسمى الأندراب يكون] مسيرة يوم في يوم بساتين مشتبكة كلها فواكه . قال المؤيد صاحب حماة : هذا ما كانت عليه في زمان ابن حوقل ، أما في زماننا فاخبرني من رآها أنها تحربت ولم يبق منها معمور إلا دون المعرفة والقدر ، وهي في مستوى الأرض ، ذات بساتين ومياه ، وهي على القرب من نهر الكر .

القاعدة الثانية

(تَقْلِس)

قال في "الباب" : بفتح المثناة فوق وسكون الفاء وكسر اللام وسكون المثناة التحتية وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في آخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : وهي قصبة كرجستان . وقال في "الباب" : هي آخر بلدة من أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة مسورة عليها سوران ، ولها ثلاثة أبواب ، وبها حمامات مثل حمامات طبرية ماؤها ينبع من بئر نار ، وهي كثيرة

الْخِصْبِ . قال ابن سعيد : وكانت المسلمون قد فتحوها وسكنوها مدة طويلة .
ونخرج منها جماعة من العلماء ، ثم أسترجمها الكُرُج وهم نصارى ، وهى بأيدى الكُرُج
إلى الآن ، وملك الكُرُج صاحبها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على
ما سياتى ذكره فى الكلام على المكتبات فى المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
وبها عدة مدن .

(منها) تَشْوَى . قال السمعاني فى "الأنسَاب" : بفتح النون والشين المعجمة
وفى آخرها وار ثم ياء آخر الحروف . وسماها ابن سعيد نَقَّحَوَان - بفتح النون وسكون
القاف وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم
السبعة . قال فى "الأطوال" "حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون
دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهى من المدن المذكورة
فى شرق أَرَّان . "قال السمعاني" : وهى بلدة متصلة بإرمينية وأذربيجان . قال
ابن سعيد : وهى فى شمال نهر الكَرَّ . قال فى "الأنسَاب" : وبينها وبين تيريزسته
فراخ . قال ابن سعيد : وقد تحربها التتروقتلوا جميع أهلها .

(ومنها) مُوقَان . قال فى "اللباب" : يضم الميم وسكون الواو وفتح القاف
وسكون الألف وفى آخرها نون ، والعامة تُبْدِل القاف غينا معجمة فيقولون مُوْغان .
قال فى "الأطوال" "حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون
درجة . قال السمعاني : وهى بَدْرَبَنْدَ فيما أُظُن ، وقال المهلبى : هى من عمل أَرْدُبِيل .
وقال المهلبى : مُوقَانُ فى نهاية بلاد كِلَانَ فى جهة الغرب . قال ابن حوقل : وبينها
وبين باب الأبواب يومان . قال فى "تقويم البلدان" : لم يبق لمدينة مُوقَان فى هذا
الزمان شهرة بل المشهور أراضى مُوقَان . وهى أراضى كثيرة المياه والأقصاف والمراعى

في ساحل بحر طَبْرَسْتَانَ على القرب من البحر، وهي في سَمْت الشَّمال والغرب، عن تَبْرِينَ
على نحو عشر مراحل منها، وبها يشقُّ أَرْدُو النتر في غالب السنين .

(ومنها) تَمُكُورُ . قال في "اللباب" : بفتح الشين الممجمة وسكون الميم وضم
الكاف وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم
السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض
إحدى وأربعون درجة ونحسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهو حصن من أعمال
أَرَّان . قال في "تقويم البلدان" : وَتَمُكُورُ بِقَرَبِ بَرْدَعَة، وبها منارة في غاية
الارتفاع والشُّبُوق .

(ومنها) بَيْلَقَان . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت
وفتح اللام والقاف ثم ألف ونون . قال في "القانون" حيث الطول أربع وستون
درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . وهي عند سُروان ، قال :
ولعلها بناها بَيْلَقَانُ بْنُ أَرْمِينِي بْنِ لَمْطَى بْنِ يُونَانَ فَلَسَبَتْ إِلَيْهِ . قال في "اللباب" :
وهي مدينة من دَرَبَنْدِ تَنْزَرَان . قال في "المشترك" : وهي من مشاهير البلدان .
قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخير .

(ومنها) كَنْجَة . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الكاف وسكون النون وفتح
الجيم ثم هاء ساكنة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال :
والقياس أنها حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة
وعشر دقائق . قال في "المشترك" : وهي من مشاهير بلاد أَرَّان . قال المؤيد صاحب
حماة : وأخبرني مَنْ أَقام هناك أنها على مرحلتين من بَرْدَعَة، وبردعة عنها في جهة
الغرب بِمِثْلِ بِسِيرَةٍ إِلَى الشَّمال، وهي قصبة تلك الناحية، وهي في مستو من الأرض
وفيها بساتين كثيرة، وبها التين الكثير . وقد شهر أن من أَكل من ذلك التين حُمَ

(ومنها) شُرَّوان . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ونون في الآخر - وهي واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وستون درجة وست ونمسون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاث وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : بناها أنوشروان فأسقطوا أنو للتخفيف وبق شُرَّوان . قال ابن سعيد : وهي من أزان . وكانت قاعدة بلادها ، ثم صارت مملكتها مضافة إلى أذربيجان . قال : وبشروان الدربند المشهور . قال السلطان عماد الدين صاحب حاة : وهو المعروف في زماننا بدربند باب الحديد . قال ابن الأثير : وقد خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) باب الأبواب . قال في "تقويم البلدان" : بإضافة الباب المفرد الذي يدخل منه إلى جمعه . قال في "القانون" : ويعرف باب الأبواب بدربند خزان . قال في "تقويم البلدان" : ويعرف هذا المكان في زماننا بباب الحديد بإضافة الذي ينفق إلى الذي يتطرق . قال ابن حوقل : وهي على بحر طبرستان ، وتكون في القدر أصغر من أردبيل . قال : ولهم الزرع الكثير وثمار قليلة تحمل إليهم من النواحي . قال : وهي قُرْصَة الخَزَر والنَّسِير وسائر بلاد الكفر ، وهي أيضاً قُرْصَة جرجان والدَّيْلَم وطَبْرِستان ، ويحلب إليها الرقيق من سائر الأجناس . قال في "تقويم البلدان" : وهذه الصفات التي ذكرها ابن حوقل على ما كانت في زمانه ، أما اليوم فمن بعض المسافرين أن باب الحديد بليدة هي بالقرى أشبه ، على بحر الخَزَر وهي كالحدية بين التتر الشماليين المعروفين ببيت بركة وبين التتر الجنوبيين المعروفين ببيت هولاكو ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سياتي ذكره في الكلام على المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم الرابع

(بلاد الجبل)

بفتح الجيم والباء الموحدة ولام في الآخر، وصاحب "مسالك الأبصار" يسميها بلاد الجبال على الجمع . والعامة تسميها عراق العجم . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها من جهة الغرب أذربيجان . ومن جهة الجنوب شيء من بلاد العراق وخوزستان . ومن جهة الشرق مفازة نهر آسان وفارس، ومن جهة الشمال بلاد الديلم وقزوین والرّي عند من يخرجهما عن بلاد الجبل ويضمهما إلى الديلم من حيث إن جبال الديلم تحفّ بهما .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" (أصبهان) . قال في "اللباب" : بكسر الألف وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وألف ثم نون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وقد تبدل الباء فاء . قال السمعاني : وسمعت من بعضهم أنها تسمى بالعجمية سباهان . قال وسبا العسكر، وهان الجمع . وذلك أن عساكر الأكاسرة كانوا إذا وقع لهم بكار يجتمعون بها فغربت فقبيل أصفهان . وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول سبع وسبعون درجة ونحسون دقيقة . والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي في نهاية الجبال من جهة الجنوب . قال : وهي مدينتان وإحدهما تعرف باليهودية، وهي من أخصب البلاد وأوسعها خطّة، وبها معدن الكحل الذي لا يئسى . مصافيا لفارس، وإلى أصبهان ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير .

قلت : وقد تقدّم في الكلام على أعمال الديار المصرية من أول هذه المقالة عند ذكر الأعمال القلوبية أنه ينسب إلى بلدتنا قلقشنّة أيضا وأنه كان له دار بها،

فيحتمل أنه كان أولاً بأصبهان، ثم لما رحل عنها إلى مصر نزل قَلْقَشَنَدَة فنسب إليها على عادة من ينتقل من بلد إلى آخر .
ولها عدة مدن .

(منها) إِرْبُل . قال في "المشترك" : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الياء الموحدة ولام في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة بلاد شَهْرزُور، وموقعها في الإقليم الرابع . قال ابن سعيّد حيث الطول سبعون درجةً وعشرون دقيقةً ، والعرض خمس وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقةً . قال : وهي مدينة مُحَدَّثة . قال في "المشترك" : بين الرّايين، فيما بين المشرق والجنوب عن الموصِل، على مسيرة يومين خفيفين . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة كبيرة قد تحرب غالبها، ولها قلعة على تل عالٍ داخل السور مع جانب المدينة في مستوى من الأرض، والجبال منها على أكثر من مسيرة يوم، ولها قنطرة تدخل منها اثنتان إلى المدينة للجامع ودار السلطان، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) شَهْرزُور . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضّم الراء المهملة والزاى المعجمة وسكون الواو في الآخراء مهملّة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول سبعون درجةً وعشرون دقيقةً ، والعرض سبع وثلاثون درجةً وخمس وأربعون دقيقةً . قال في "اللباب" : وهي بلدة بين الموصِل وبين هَمْدَان بناها زُورُ بن الضّحّاك فقيل شهرزور، يعني مدينة شهر . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة . قال في "العزى" : وهي خصبة كثيرة المتاجر في عزلة إلا أن في أهلها غلظة وجفاء . قال : وبينها وبين المراكفة ست مراحل .

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء وهو المشهور . (٢) في تقويم البلدان "مدينة زرد" وهو الصواب .

(ومنها) الدَّيْنُور . قال في "الاسباب" : بفتح الدال المهملة وسكون المشاة من تحت وفتح النون والواو ثم راء مهمله في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي غربي همدان بميلة إلى الشمال ، وهي مدينة كثيرة المياه والمنازه كثيرة الثمار خصبة . قال في "العزيزي" : وبينها وبين الموصل أربعون فرسخا ، وبينها وبين صراغة كذلك .

(ومنها) مَاسِدَانُ - بفتح الميم وبعد الألف سين مهمله وباء موحدة وذال معجمة بفتح الجميع وبعد الألف نون . وهي مدينة من سَبَوَانَ - بكسر السين المهملة وسكون المشاة من تحتها وفتح الراء المهملة وواو وألف ونون . كورة من كُورِ عِراق العجم . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وهي مدينة قديمة بين جبال وشعاب . قال : وهي في ذلك تشبه مكة شرفها الله تعالى وعظمتها ، وفيها عيون ماء تجري في وسطها . قال ابن خلكان : وكان المهدي العباسي يسكنها وبها مات ودفن .

(ومنها) قصر شِيرِينَ - بإضافة قصر إلى شِيرِينَ - بكسر الشين المعجمة ثم ياء آخر الحروف وراء مهمله ثم ياء ثانية بعدها ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهو قصر شِيرِينَ حَظِيَّة كسرى أبرويز . وقال الإدريسي : شِيرِينَ امرأة كسرى . قال : وبهذا الموضع آثار ملوك الفُرس عجيبة ، ومنه إلى شَهْرُزُور عشرون فرسخا ، ومنه إلى حُلوان من بلاد العراق خمسة فراسخ .

(ومنها) الصَّيْمَرَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الصاد المهملة وسكون المشاة من تحتها وفتح الميم والراء المهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" :

حيث الطول إحدى وسبعون درجة ونحسون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة. قال ابن حوقل: وهي مدينة صغيرة تزهة ذات زروع وأشجار. والمياه تجري في دورها ومحالها. قال أحمد بن يعقوب: وهي في مَرَجٍ أَفِيحٍ، فيه عيون وأنهار.

(ومنها) قَرْمِينِيْنٌ، قال في "اللباب": بكسر القاف وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون المثناة من تحتها وكسر السين المهملة ومثناة تحتيّة ثانية ونون في الآخر. قال في "تقويم البلدان": ووجدناها في كثير من الكتب بإبدال الياء الأولى ألفا. قال في "اللباب": وهي مدينة ببحال العراق - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. قال في "اللباب": ويقال لها كَرْمَانِشَاه. قال في "المزبى": وهي من أجل مُدُن الجبل وأعظمها خطرا، وهي عاصمة غاصّة بالناس. قال: وسينت بها الزعفران.

(ومنها) سُهْرَوْدُ، قال في "اللباب": بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة. قال في "تقويم البلدان": كذا ضبطها ولم يذكر الراء الأولى - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة. قال ابن حوقل: وهي مدينة صغيرة، والغالب عليها الأكراد.

(ومنها) زَنْجَانُ، قال في "اللباب": بفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم وألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. قال ابن حوقل: وهي أقصى مُدُن الجبال

في الشمال . قال في " اللباب " : وهي على حدٍّ أذربيجان من بلاد الجبل ، ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم .

(ومنها) نُهاوند . قال في " اللباب " : بضم النون وفتح الهاء وسكون الألف^(١) وفتح الواو وسكون النون وبعدها دال مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة على جبل ، ولها أنهار وبساتين ، وهي كثيرة الفواكه ، وفواكهها تحمل إلى العراق لجودتها . قال في " اللباب " : ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام ، وإنه كان اسمها نوح أو نند ، فأبدلوا الهاء هاء .

(ومنها) همدان . قال في " الأنساب " : بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي وسط بلاد الجبال ، ومنها إلى حلوان : أول بلاد العراق سبعة وستون فرسخا . قال : وهي مدينة كبيرة ، ولها أربعة أبواب ، ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة . قال في " الأنساب " : وهي على طريق الحاج والقوافل .

(ومنها) أهر . قال في " المشترك " : بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء ثم راء مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة ونحس ونحسون دقيقة . قال في " المشترك " : وهي مدينة بين قزوین وزيجان . قال ابن خرداذبه : ومنها إلى زيجان خمسة عشر فرسخا .

(١) قال ياقوت : " بفتح النون الأولى وتكسر " .

(ومنها) سَاوَة . قال في "الباب" : بفتح السين المهملة وبعدها ألف ثم واو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال "المهلبّي" : وهي مدينة جلييلة على جادة حُجَّاج نُرَاسَانَ ، وبها الأسواق الحسنة ، وبها المنازل الحسنة .

(ومنها) قَزْوِيْنُ . قال في "الباب" : بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة وكسر الواو وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" و "رسم المعمور" حيث الطول خمس وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها حصن وماؤها من السماء والآبار ، ولها قنّاة صغيرة للشرب فقط . وهي مدينة حصينة ، وبها أشجار وكروم كلها عذى لا تسقى ، وليس بها ماء جار سوى ما يشرب ويمرّ إلى المسجد . قال ابن حوقل : وماء قنّاتها وريء .

(ومنها) آبَة . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الألف ثم باء موحدة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال : والعامة تسميها آوة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال المهلبّي : وهي مدينة في الشرق بأحراف إلى الشمال عن هَمْدَانَ ، وبينهما سبعة وعشرون فرسخاً . قال في "المشترك" : وبينها وبين سَاوَة خمسة أميال .

(ومنها) قُمُ . قال في "الباب" : بضم القاف وتشديد الميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "الباب" : وكان بناؤها في سنة ثلاث وثمانين للهجرة ، بناها عبد الله بن سعد

والأحوص وإصحاق ونعيم وعبد الرحمن بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعريّ
من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند أنزاعهم من الحجّاج، وكان مكانها
سبع قرى فأهلكوا أهلها وبنوها مدينة، كل قرية محلة من محلات المدينة. قال
أبو حوقل: وهي مدينة غير مسورة حصينة البناء، وماؤها من الآبار، وبها
اليساتين على السواني، وبها شجر الفستق والبندق، وأهلها شيعة. قال المهلب: وهي
في مرج تقدير سعة عشرة فراعخ في مثلها ثم تفضى إلى جبالها، وبها من الفستق
ماليس بغيرها.

(ومنها) الطالقان. قال في "المشترك": بفتح الطاء المهملة واللام والقاف
ثم ألف ونون. وقال في "اللباب": بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من
الأقاليم السبعة. قال في "المشترك": وهو مدينة وكورة بين توريز وأهر^(١). قال أبو
حوقل: وهي أقرب إلى الدّيلم من قزوین. وقد أوردها في "كتاب الأطوال"
المنسوبة للفرس مع بلاد الدّيلم. قال أحمد الكاتب: وهي بين جبلين عظيمين،
وهي تسمى الطالقان بلاد خراسان^(٢).

(ومنها) قاشان. قال في "اللباب": بفتح القاف وسكون الألف وبالشين
المعجمة وبعد الألف نون. قال: ويقال بالسين المهملة أيضا - وموقعها في الإقليم
الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون
درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال المهلب: وهي مدينة لطيفة. قال أبو
حوقل: هي أصغر من قم وغالب بناتها بالطين، وهي خصبة، وقد خرج منها جماعة
من العلماء. قال في "اللباب": وأهلها شيعة.

(١) في تقويم البلدان، بين قزوین وأهر.

(٢) كذا في الأصل بالاهمال، ولعله وهي غير الطالقان ببلاد الخ.

(ومنها) الرّى . قال في "اللباب" : بفتح الراء وتشديد الباء آخر الحروف . قال في "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة . قدرُ عمارتها فرسخ ونصف فى مثله ، وفيها نهران يريان . وبها قنّى تجرى غير ذلك . وعندها فى "اللباب" من الدّيلم ، ويخرج منها قطنٌ كثير للعراق . وبها قبر محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة ، والكسائى أحد القراء السبعة ، والنسبة إليها رازى على غير قياس ، وإليها ينسب الإمام نضر الدين الرازى الإمام المشهور .

(ومنها) الكرج . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف والراء المهملة وفى آخرها جيم - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وأربعون دقيقة . والعرض أربع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة متفرقة البناء ليس لها اجتماع المذنب ، وتعرف بكرج أبى دلف . قال فى "المشترك" : لأن أول من مَصَرَهَا أبودلف القاسم بن عيسى العجلّ وقصده الشعراء . قال ابن حوقل : ولها زروع ومواش . ولكن ليس لها بساتين ولا متزهات ، والفواكه تجلب إليها .

(ومنها) خوار . قال فى "المشترك" : بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وسكون الألف وراء مهملة فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة من نواحى الرّى تخترقها القوافل . قال فى "القانون" : وَقَلْبًا يَذْكُرُ إِلَّا مَنْسُوبًا إِلَى الرّى - فيقال خوارُ الرّى .

(ومنها) جبال الأكراد . قال في "مسالك الأبصار" : والمراد بهذه الجبال الجبال الحاضرة بين ديار العرب وديار العجم ، دون أماكن من توغل من الأكراد في بلاد العجم . قال : وأبتدأوها جبال همدان وشهرزور ، وأتتها صياصي الكفرة من بلاد الكفوز . وهي مملكة سبيس وما هو مضاف إليها مما بأيدي بيت لاون ، ثم ذكر منها عشرين مكاناً في كل مكان منها طائفة من الأكراد .

الأول - (دياوش) . من جبال همدان وشهرزور ، وهو مقام طائفة من الأكراد ولم أمير يخصهم .

الثاني - (درانتك) . وهو مقام طائفة ثانية من الكورانية أيضاً ، ولم أمير يخصهم . قال في "مسالك الأبصار" : والطائفتان جميعاً لا تريد عتتهن على خمسة آلاف رجل .

الثالث - داترك وناوند إلى قرب شهرزور . وهي مقام طائفة منهم تعرف بالكلاية . يعرفون بجماعة سيف ، عتته ألف رجل مقاتلة ، ولم أمير يخصهم ، وهو يحكم على من جاورهم من الأكراد .

الرابع - مكان بجوار ديار الكلاية المقدم ذكرهم بجبال همدان . وهو مقام طائفة من الأكراد يقال لهم زنكية . وعتتهم نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة ، ولم أمير يخصهم . يحكم على بلاد كيكور وما جاورها من البقاع والكور .

الخامس - نواحي شهرزور . قال في "مسالك الأبصار" : كانت يسكنها طوائف من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها اللوسة والأخرى يقال لها الباسرية ، رجال حرب ، وأقبال طعن وضرب ، نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ، ووفدوا إلى مصر والشام . وسكن في أماكنهم قوم يقال لهم الحوسة ليسوا من صميم الأكراد .

السادس - مكان بين شمرزور وبين أشتنه من أذربيجان؛ به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفي رجل؛ وهم ذوو شجاعة وحياة، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يختصم .

السابع - بلاد بسقاد - وهي مقام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية ويبدعهم من بلاد أذربك أماكن أخر، قال : وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولم أمير يختصم .

الثامن - بلاد الكركار - وهي مقام طائفة منهم يقال لها الحسانية، وهم على ثلاثة أبطن : أحدها طائفة عيسى بن شهاب الدين، ولم خفر قلعة برى والهامى، وثانيها طائفة تعرف بالنلية، وثالثها طائفة تعرف بالحاكية . وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة منهم أمير يختصم .

التاسع - دربند قراير - وهو مقام الطائفة القرياوية، ولم خفارة الدربند المذكور، وصاحبه يكتبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وقد ذكر في "التتيف" أن صاحبه كان سيف الدين بن مير الحسنانى .

العاشر - بلاد الكرخين ودقوق الناقة - وبه طائفة منهم عتتهم يزيد على سبعمائة ولم أمير يختصم .

الحادى عشر - بين الجبلين، من أعمال إربل . قال في "مسالك الأبصار" : وبها قوم كانوا يدأرون الترو وملوك الديار المصرية . ففى الشتاء يعاملون الترو بالمجاملة؛ وفى الصيف يعينون سرايا الشام فى المجاملة . قال : وعددهم كعدد الكلالية، ولم أمير يختصم . وذكر أنه كان لهم فى الدولة المنصورية قلاوون أمير يسمى الخضر ابن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فأخترته المنية قبل عوده، وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته فى الدولة الزينية كتبغا .

الثاني عشر - مازنجان، ويرو، وسحمة، والبلاد البرانية - وهى مقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية لا تزيد عدتهم على خمسمائة، وهم طائفة ينتسبون إلى الحمديّة، والمازنجانية هم طائفة المبارزكّ الموجود أسمه ورسم المكتبة إليه فى دساتير المكتبات القديمة . وقد أضيف إليهم الحميدية ، وهم طائفة من الأكراد لا تنقص عدّتهم عن ألف مقاتل ، لأن أميرهم مبارز الدين كك، كان من أمراء الخلافة فى الدولة العباسية، ومن ديوان الخلافة لُقّب بمبارز الدين ، وكك أسمه . قال : وكان يدعى الصلاح وتذرله النذور، فإذا حملت إليه قبلها وأضاف إليها مثلها من عنده وتصدّق بهما معا . وذكر نحوه فى "التعريف" . ثم كان له فى الدولة الهولاء كوكبة المكانة العلية، وأستأبوه فى إربل وأعمالها، وأقطعوه عقرشوش بكالها وأضافوا إليه هراة وتل حفتون وقدموه على خمسمائة فارس، وتولّى الإمرة وقوانين(?) نحو عشرين سنة، وبقي حتى جاوز التسعين وهمنته همة الشبان، ثم مات وخلفه ولده عز الدين، فكان من أبيه نعم الخلف، وجرى على نهج أبيه فى ترتيب المملكة وعلت رتبته عند ملوك التتروملوك الديار المصرية ، ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر بخرى على سمت أبيه وأخيه . ثم قال : وكانت ترد على الأبواب السلطانية بمصر ونواب الشام كتب تهلّل بماء الفصاحة كالسحب، وسرح من أجنابها الأبقار العرب . ثم خلفه ولده بخرى على سنيّه وبقيت الإمارة فى بنيّه . والأمير القائم منهم هو المعبر عنه فى الدساتير بصاحب عقرشوش، وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالث عشر - بلاد شعلاباد إلى خفتيان، وما بين ذلك من الدشت والدربند الكبير - وهو مقام طائفة منهم تعرف بالشهرية معرويون باللصوصية، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجالهم عاصية، ودربندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب

الكبير . قال في "مسالك الأبصار" : وعليه ثلاث قناطر : اثنتان منها بالجمر والطين ، والوسطى مصفورة من الخشب كالخصير ، علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء ، وطولها بين الجبلين خمسون ذراعاً في عرض ذراعين ، تمر عليها الدواب بأحمالها ، والخليل رجالها . وهي ترتفع وتخفض ، يخاطر المجتاز عليها بنفسه ، وهم يأخذون الخفارة عندها ، وهم أهل غدر وخديعة . لا يستطيع المسافر مدافعتهم ، ولم أمير يخلصهم ، ولصاحبها مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الرابع عشر - ما ذكره والرساق ، وممرت ، وجبل جنتجرين المشرق على أشنه من ذات اليمين - وهو مقام طائفة منهم يقال لهم الزرزارية ، ويقال إنهم ممن تكرر من العجم ، ولم عدد جم ، يكاد يبلغ خمسة آلاف ما بين أمراء وأغنياء وقراء وأكابر وغيرهم ، وجبلهم في غاية العلو والشوق في الهواء ، شديد البرد ، بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرة أشبار في عرض دون الثلاثة ، متخذة من الجمر الأخضر المائع ، وعلى كل منها كتابة قد أصبحت لطول السنين ، يقال إنها نصبت لمعنى الإنذار والإخبار عن أهللك التلج والبرد هناك في الصيف ، وهم يأخذون الخفارة تحته .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان لهم أمير جامع لكلمتهم اسمه نجم الدين باشاك ، ثم تولاها من بعده أبنته جيدة ، ثم أبنته عبد الله . قال : وكان لهم أمراء آخرون منهم الحسام شير الصغير ، وأبنته باشاك وغيرهم . قال : وينضم إلى الزرزارية شردمة قليلة تسمى باسم قريتها بالكان نحو ثلثمائة رجل منفردين بمكان مشرف على عقبة الحان يأخذون عليها الخفارة ، ولصاحبها ما ذكره مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . ثم قال في "التتقيف" : وهو حنش بن إسماعيل .

الخامس عشر - جولرك - وهو مقام طائفة تسمى الجولركية ، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم ذلك فعرفوا به ، ويقال : إنهم طائفة من العرب من بني أمية اعتصموا

بهذه الجبال عند غلبة بنى العباس عليهم ، وأقاموا بها بين الأكراد فأخترطوا في سلكهم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم الآن في عدد كثير ، يزيدون على ثلاثة آلاف ، كان ملكهم في أوائل دولة التتر أسد بن مكلان ، ثم خلقه أبوه عماد الدين . ثم أبوه أسد الدين . وبيلاؤه معدن الزرنجيين : الأحمر والأصفر ، ومنها ينقل إلى سائر الأقطار . قال : وكان قد ظهر عنده معدن لا زورده فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه ، ومعه من أمنع المعاقل ، على جبل مقطوع بذاته ، والزاب الكبير مُحْدَق به ، لا تحط للجيش عليه ، ولا وصول للسهام إليه ، وسطحه منسج للزراعة ، وفي كل ضلع من أضلاعه كهف مرتفع يأوي إليه من أراد الامتناع ، وأعله مغفور بالثلج ، والصعود إليه في بعض الطريق يستدعى العبور على أوتاد مضروبة . ومن لا يستطيع التسلق جرباً بالجبال ، وكذلك بغال الطواحين . وملكهم معتمد عند الأكراد ، وهو يأخذ الخفارة من جميع الطرقات من تبريز إلى خوى وتنجوان ، وهذا هو المعبر عنه في "التعريف" وغيره من الدساتير في المكاتب بصاحب جولرلد ، وهو يكتب من الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

السادس عشر - بلاد مراكوات . على القرب من الجولركية . كثيرة التلوج والأقطار ، بلاد زرع وضرع - وهي متاخمة لأرمية من بلاد أذربيجان ، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدتهم ثلاثة آلاف ، وهم أحلاف للجولركية .

السابع عشر - بلاد كواردات - وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولركية من جهة بلاد الروم ، وهي بلاد خصبة ، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة ، وعدتهم نحو ثلاثة آلاف ، ولم أمير يخصهم .

الثامن عشر - بلاد الدينار - وهي بلاد تلي بلاد الجولركية ، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم ، وعددهم نحو خمسة آلاف ، ولم سوق وبلد ،

وكان لهم أميران، أحدهما الأمير إبراهيم بن الأمير محمد، كان له وجه عند الخلفاء، والثاني الشهاب بن بدر الدين، توفي أبوه وخلفه كثيراً خلفه في إمرته، وكان بينهم وبين المازنجانية حروب.

التاسع عشر - بلاد العمادية وقلة هارون. وهي بالقرب من بلاد الجولندية، وبها طائفة منهم يقال لهم الهكارية يزيد عددهم على أربعة آلاف مقاتل، ولم إمارة تحضهم. قال في "مسالك الأبصار": وهم يأخذون الخفارة في أماكن كثيرة من بخارا إلى بلد الجزيرة. وصاحب هارون يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

العشرون - القمرائية وكهف داود - وبها طائفة منهم يقال لهم التنكية. قال في "مسالك الأبصار": وقليل ما هم لكنهم حمة رماة وطعامهم مبدول على خصاصة.

وهم أنه بعد أن ذكر في "مسالك الأبصار" ما تقدم ذكره عقب ذلك بذكر جماعة من الأكراد تفرقوا في الأقطار بعد اجتماع، منهم التحتية، وهم قوم كانوا يضاهون الحميدية كان لهم أعيان وأمرأه وأكابر، فهلك أمرأه ونسيت كبرأؤهم، ولم يبق منهم إلا شزيمة قليلة تفرقت بين القبائل والشعوب. ثم قال: وشعبهم كثيرة: منهم السندية وهم أكثر شعبهم عددا، وأوفرهم مددا، كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل. ومنهم المحمدية، وكان لهم أمير لا يزيد جمعه على مائة رجل. ومنهم الراسية، كانوا أوفى عدد وعدد، وجمع ومدد، ثم تشتت شملهم، وتفرق جمعهم، وعادت عتتهم في بلد الموصل لا تزيد على ألف رجل، وكان لهم أمير يقال له علاء الدين كورك بن إبراهيم في بلد العقر، ولا ينقص عن مائة، ومنهم الدينكية، وهم متفرقون في البلاد لا يزيد عددهم على ألف رجل.

قلت : وقد ذكر في " التثقيف " عدة أماكن من بلاد وقلاع يكتب أصحابها من الأكراد سوى من تقدم ذكره ، وهي خمسة وعشرون موضعا .

- إحداها - برجو . الثانية - البليهة . الثالثة - كرم ليس . الرابعة - اندشت .
- الخامسة - حردقيل . السادسة - سكرالك . السابعة - قبلبس . الثامنة - جرموك .
- التاسعة - شنكوس . العاشرة - بهرمان . الحادية عشرة - حصن أران وهو حصن الملك . الثانية عشرة - ... الثالثة عشرة - سونج . الرابعة عشرة - اكرسا .
- الخامسة عشرة - يزاركد . السادسة عشرة - الزاب . السابعة عشرة - الزيتية .
- الثامنة عشرة - الدربندات العراقية . التاسعة عشرة - قلعة الجبلين .
- العشرون - سيدكان . الحادية والعشرون - صاحب رمادان .
- الثانية والعشرون - الشعبانية . الثالثة والعشرون - نمرية . الرابعة والعشرون -
- الحمديّة . الخامسة والعشرون - كركيك .

الإقليم الخامس

(بلاد الدليم)

يفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر . وهم جيلٌ من الأعاجم سكنوا هذه البلاد فعُرِفَت بهم ، وبعض الناس يزعم أنهم من العرب من بني ضبة ، ومنهم كان بنو بويه القائمون على حلفاء بني العباس ببغداد ، قال ابن حوقل : وهي جبال متسعة إلى الغاية ، وبها غياض وفياض مشبكة في الوجه الذي يقابل طبرستان والبحر ، وبين ذيل الجبل وبين البحر مسيرة يوم ، وربما نقص عن ذلك ، وربما زاد حتى يبلغ يومين .

وقاعدتها (رُودَبَار) . قال في "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الذال المعجمة والباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وبه مقام ملوكهم .

ومن بلادها (كَلَار) . قال في "تقويم البلدان" : بكاف ولام وألف وفي الآخر راء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال المهلبي : وهي مدينة الديلم، وهي في جهة الشرق والجنوب عن لَاهْجَان من بلاد يَكَلَان .

الإقليم السادس (الحِجِلُّ)

قال في "المشترك" : بكسر الجيم وسكون المثناة من تحت ثم لام - وهو اسم لصُفْمٍ واسع مجاور لبلاد الديلم، ليس فيه قرى كثيرة، وليس فيه مدينة عظيمة . وقال في "اللباب" : الحِجِلُّ اسم لبلاد متفرقة وراء طَبْرِسْتَانَ . قال : ويقال لها أيضا يَكَلَان ويكل، فلما هُزِّبَت قبل جِيلَان وجيل، ومنها كُوشِيَار الحكيم الحليّ فيما ذكره ياقوت، وإليها ينسب الشيخ عبد القادر الكيلاني، وبالجملة فهما صُفْعَان متلاصقان ينسب تمييز أحدهما عن الآخر . قال في "مسالك الأبصار" عن الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد الحليّ : إن بلاد يَكَلَان في وطة من الأرض، وإنه يحيط بها أربعة حدود، من الشرق إقليم مَازَنْدَرَان، ومن الغرب مَوْقَان، ومن الجنوب عراق العجم، يفصل بينهما جبل يعرف بأشناده، ومن الشمال بحر

الْقَلْبُ يَعْنِي بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ . قَالَ : وَطُولُ مَجْمُوعِ كِلَانٍ مِمَّا بَأَيْدِي مُلُوكِهَا ، وَهُوَ شَرْقٌ
بَغْرِبٍ نَحْوَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَعَرْضُهَا وَهُوَ جَنْوِبٌ بِشَمَالٍ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَزِيدُ وَتَقْصُرُ ،
وَهِيَ شَدِيدَةُ الْأَمْطَارِ ، كَثِيرَةُ الْأَنْهَارِ ، كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ خِلَا النَّخْلِ وَالْمَوْزِ وَقَصَبِ السَّكَّرِ
وَالْمَشْمَشِ ، وَيَجْلِبُ إِلَيْهَا الْحَمَضَاتُ مِنْ مَازَنْدَرَانَ . قَالَ : وَمُدُنُ كِلَانَ غَيْرُ مَسُورَةٍ ،
وَلِلْمُلُوكِ قُصُورٌ عَلَيْهِ ، وَجَمِيعُ مَبَانِيهَا بِالْأَجْرِ مَفْرُوشَةٌ بِهِ أَيْضًا كَمَا فِي بَغْدَادَ ، مَسْقُفَةٌ
بِالْخَشَبِ ، وَبَعْضُهَا مَعْقُودَةٌ أَقْبَاءً وَعَلَيْهَا قَشٌّ مَضْفُورٌ ، وَفِي غَالِبِ دِيَارِهَا آبَارٌ قَرِيبَةٌ
الْمُسْتَقْبَلُ نَحْوَ ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَقَلٍّ ، وَالْأَنْهَارُ حَاكِمَةٌ عَلَى مُدُنِهَا ، وَبِهَا حِمَامَاتٌ
يَجْرِي إِلَيْهَا الْمَاءُ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَبِهَا الْمَسَاجِدُ وَالْمَدَارِسُ وَتُسَمَّى بِهَا الْخَوَانِقُ ، وَغَالِبُ
أَهْوَاتِهِمُ الْأَرْضُ يَعْمَلُ مِنْهُ الْخَبْزُ وَالرَّقَاقُ مَعَ تَيْسَرِ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ عِنْدَهُمْ ، وَالْبَقَرُ وَالنَّمْرُ
عِنْدَهُمْ بِكَثْرَةٍ ، وَأَسْعَارُهُمْ مُتَوَسِّطَةٌ إِلَى الرَّخْصِ ، وَبِهَا الْحَرِيرُ الْكَثِيرُ ، وَلَهَا حِصُونٌ
فِي نَوَاحِي مَازَنْدَرَانَ وَجَزَائِرُ فِي بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ ، بِهَا الرِّمَانُ وَالْبَلُوطُ وَالْفَوَاكِهُ ، وَفِيهَا
تَحْصُنُهُمْ عِنْدَ مَغَالِبَةِ الْعَدُوِّ لَهُمْ ، وَلِبَاسُهُمُ الْإِفْقِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الصَّيْقَةُ الْأَكْثَامُ ، وَتَخَافُفُ
صَفَارُ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، وَيَسْتَنُونَ الْمَنَاطِقَ وَالْبُنُودَ ، وَخَيْلُهُمْ بِرَازِينَ ، وَفِي سُرُوحِهِمُ الْمُحَلُّ
بِالْفُصَّةِ وَغَيْرِهِ ، وَلِلْمُلُوكِ زِيٌّ جَمِيلٌ عَلَى ضَبِيقِ بِلَادِهِمْ وَقَلَّةٌ مُتَحَصِّلُهَا ، وَيَرْكَبُ
الْمَلِكُ بِالرَّقَبَةِ السَّاطِنِيَّةِ وَالْمُجَنَّبِ وَالسَّلَاحِ دَارِيَّةِ وَالْجِدَارِيَّةِ وَالْجَنَاطِ الْمَجْرُورَةِ ،
وَيُقَدِّدُ بِظَوَاهِرِ قُصُورِ مُلُوكِهِمْ مِيَادِينَ خُضْرًا ، فِي أَوْسَاطِهَا قُصُورٌ صَفَارٌ مِنَ الْخَشَبِ
فِيهَا جُلُوسُهُمْ لِلحَدِّمِ وَالْمُظَالِمِ . وَلَا يَزَالُ بَيْنَ مُلُوكِهِمْ الْخُلْفُ ، فَإِذَا قَصَدَهُمْ عَدُوٌّ خَارِجٌ
عَنِهِمْ تَأَلَّفُوا وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنْ هُوَ لَا كُوْهُ جَهْزُ إِلَيْهِمْ جَيْشًا عِدَّتَهُ مَسْبُوعُونَ أَلْفًا
صَحْبَةً نَاقِبُهُ قَطُلُوشَاهُ فَلَمْ يَنْلِ مِنْهُمْ قَصْدًا ، وَكَانَ آخِرُ الْأَمْرِ أَنْ قُتِلَ قَطُلُوشَاهُ وَهَلَكَ
جُلٌّ مِنْ مَعِهِ . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" أَنَّ بِهَا ثَمَانًا قَوَاعِدَ بِكُلِّ قَاعَةٍ
سِتُّهَا مَلِكٌ ، بَعْضُهُمْ أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ ، وَمَوْقِعُ جَمِيعِهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ .

فأما الكبار فأربع^(١) قواعد .

القاعدة الأولى

(بُومِن)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة التي بين الفاء والباء الموحدة وسكون الواو وكسر الميم ثم نون في الآخر . قال : وهي قرية من البحر، وبها فيما يحاذيها مَعْدِن حديد، وبها من معمولات القهّاش . قال في "مسالك الأبصار" : وصاحبها شافعي المذهب دون غيره من ملوك الجليل، مذهب نشأ عليه ملوكها . قال : وعسكره يزيد على ألف فارس، وبلاده قليلة ولكن غالب دخله من التجّار، والحرير بها كثير . قال : وصاحبها يدعى النسبة إلى بيت الشرف، وله اعتناء بأهل العلم والفضل، ولباس الملك والجند بها نوع من لباس التتّر، ولباس غلمانها قريب من زى التجار، ولهم عَذَبَات كالصوفية قدامهم، وعمامة أهلها كغيرهم من جاورهم .

القاعدة الثانية

(تُولُمُ)

قال في "تقويم البلدان" : بضم المثناة الفوقية وواو ولام وميم، وصاحب "مسالك الأبصار" يثبت فيها ياء مثناة تحمية بين اللام والميم - وهي قرية من البحر أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وأمر صاحبها قريب من صاحب بُومِن ولكن لا حريّ في بلاده، وهو حنبلي المذهب، وعدة عسكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولهم على ملوك الجليل استظهار لما ظهر من نكايتهم في عسكر التتّر . قال : وزينها كرى بُومِن .

(١) لم يذكر إلا ثلاثا . ولعل الرابعة درلاس .

القاعدة الثالثة

(صَكْرُ)

قال في "تقويم البلدان": بفتح الكافين وسكون السين المهملة بينهما وراء مهملة في الآخر. وقد ذكر أنها دُولَابٌ - بضم الدال المهملة وسكون الواو ولام ألف وباء موحدة في الآخر. قال: وعن السمعاني فتح الدال وأنه أفصح وأنها من حدود الديلم. وذكر في "اللباب" أنها قرية من أعمال الري. قال في "مسالك الأبصار": وصاحبها له صَوْلَةٌ في ملوك تُولَمَ، وجيشه أكثر عندنا من غيره من ملوك الحيل، وبلاده أوسع، وأرضه أخصب وأكثر حَبًّا وفاكهةً وأغناماً وأبقاراً مما حولها، وهي كثيرة السمك والطير. ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلاني قدس الله روحه.

وأما الصغار فأربع أيضا.

القاعدة الأولى

(لَاهِبَاتُ)

قال في "تقويم البلدان": بفتح اللام وبعدها ألف وهاء وجم مفتوحتان ثم ألف بعدها نون، ثم قال: وهي من الديلم أو يكلان. قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسين عشرة دقيقة قال في "تقويم البلدان": ومنها يجلب الحرير المشهور إلى البلاد. قال في "مسالك الأبصار": وهي في حال الحرير كما في يومين بخلاف غيرها من سائر بلاد الحيل.

القاعدة الثانية - (سَخَامُ)

القاعدة الثالثة - (مَرَسْتُ)

القاعدة الرابعة - (تَنْفَسُ)

ولها عدة مُدُن غير القواعد .

(منها) كُوتُمْ . قال في "تقويم البُلْدَان" : بضم الكاف وواو ساكنة ثم تاء مثناة فوقية مضمومة ثم ميم في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة . والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "تقويم البُلْدَان" : قال من رآها إنها مدينة لها بساتين . وهي ناقلة عن البحر مسيرة يوم . قال المهلبى : وهي مدينة كبيرة للجليل .

(ومنها) سَالُوسُ . قال في "تقويم البُلْدَان" : المشهور بالسین المهملّة وألف ولام مضمومة وواو ساكنة ثم سین ثانية - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة . والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي على البحر ولها منعة وهي صعبة المسلك . قال المهلبى : وهي آخر حدّ طَبَرِستانَ من جهة العرب .

الإقليم السابع

(طَبَرِستانُ)

بفتح الطاء المهملّة والباء الموحدة والراء المهملّة وسكون السين المهملّة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "تقويم البُلْدَان" : وهي في جهة الشرق عن بلاد الديلم وکیلان . قال : وإنما سميت طَبَرِستانَ لأن طَبَر بالفارسية القاسُ ، وهي من كثرة أشجارها لا يسلك فيها الجيُوش إلا بعد أن تقطع الأشجارُ بالطَّبر من بين أيديهم ، وآستان بالفارسية الناحية ، فسميت طَبَرِستانَ أى ناحية

(١) ضبطها ياقوت بفتح الكاف والتاء .

(٢) ضبطه ياقوت بكسر الراء ، وقد تاجناه في ضبط ما تقدم .

الطبر . قال في "المريزى" : وهى فى غاية المنعة والحصانة بالجبال المنبئة المحيطة بها من كل جانب ، وفى وسط الجبال الأراضى السهلة ، وفيها من كثرة المياه والفياض ما لا يساويها فيه بلد آخر ، وهى عن قزوین فى الشرق بالخراف إلى الشمال . قال ابن حوقل : وهى بلاد كثيرة المياه والأشجار والغالب عليها الفياض ، وأبنيتها بالخشب والقصب . وهى بلاد كثيرة الأمطار . ويرتفع منها حريرهم الآفاق . وغالب خبرهم الأرز . قال : وليس بجميع طبرستان نهر تجرى فيه السفن . إلا أن البحر قريب منهم على أقل من يوم . قال ابن خلكان : والنسبة إليها طبرى .

وقاعدتها (أمل) . قال في "المشترك" : بهيمة مفتوحة بعدها ألف ثم ميم مضمومة ولام فى الآخر - وهى مدينة من طبرستان واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى قصبة طبرستان ، وهى أكبر من قزوین ، مشتبكة بالهارة لا يعلم على قدرها أمر منها فى تلك النواحي . قال أحمد الكاتب : وهى على بحر الديلم . وقال فى "المشترك" : هى أكبر مدينة بطبرستان . ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - الإمام الكبير المشهور . ولها عدة مدن .

(منها) رويان . قال فى "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو ثم ياء . مشاة من تحت وألف وون - وهى مدينة من طبرستان واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعبور" : حيث الطول ست وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة كبيرة فى جبال طبرستان . ولها كورة عظيمة وعمل . قال فى "اللباب" : وخرج منها جماعة كثيرة من العلماء .

(ومنها) مَاطِطِرٌ . قال في "اللباب" : بفتح الميمين وكسر الطاء المهملّة وسكون المثناة من تحت وراء مهملّة في الآخر . قال في "اللباب" : وهي بلدة من عمل أَمَل ، خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) دِهِسْتَانٌ . قال في "اللباب" : بكسر الدال المهملّة والهاء وسكون السين المهملّة وفتح المثناة من فوق ثم ألف ونون . قال ابن حوقل : وهي مدينة من طَبَرِسْتَانَ ، وقيل هي من تُرْسَات - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وثمانون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة عند مَازَنْدَرَانَ ، بناها عبد الله بن طاهر ، ومعناها بالفارسية موضع القرى . وهي آخر حدّ طَبَرِسْتَانَ بين جُرْجَانَ وَخُوَارَزْمَ .

الإقليم الثامن

(مَازَنْدَرَانَ)

بفتح الميم وبعدها ألف وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الدال والراء المهملتين وألف ثم نون ، وهو إقليم على القرب من طَبَرِسْتَانَ وقاعدتها (جُرْجَانُ) . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملّة وجم ثمانية وألف وفي آخرها نون . قال في "المشترك" : والعجم تسميها كُرْكَانَ بضم الكاف وسكون الراء المهملّة . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة ومحسّون دقيقة . قال "المهملّي" : وهي

مدينة جبلية بين نُرَاسَانَ وبين طَبَرَسَانَ . فَخَوَّارُزْمُ منها في جهة الشرق وطَبَرَسَانَ منها في جهة الغرب . قال : وهي بلدة كثيرة الأمطار متصلة الشتاء ، وفي وسطها نهر يجري ، وهي قرية من بحر الخزر ، والجبال مُحْتَفَةٌ بها فهي سَهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ ، يجتمع فيها نواكح القُور والنَّجَد . قال : وبها من خشب الخَلَنْج مالهس في بلد آخر مثله . ولها مَدُنٌ أُخْرَى .

(منها) سَارِيَّةٌ . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وألف وراء مهملة ومثناة من تحتها وهاء . قال في "اللباب" : وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقال ابن سعيد : من طَبَرَسَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . وفي شرقها خَوَّارُ الرِّيِّ وبينهما نحو ثمانين ميلاً .

(ومنها) أُسْتَرَبَازُ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة . وقال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وكسر المثناة من فوق وفتح الراء المهملة وبالياء الموحدة بين ألفين وفي آخرها ذال معجمة . قال في "اللباب" : وقد يلحقون فيها ألفاً أُخْرَى بين التاء والراء . قال في "المشترك" : أُسْتَرَأْسَمُ رجل وإباز أَسَمُ عمارة ، فكأنه قال عمارة أُسْتَر . وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقيل من نُرَاسَانَ . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول تسع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والمرض سبع وثلاثون درجة ونحس دقائق . قال في "العزيزي" : وهي على حَدِّ طَبَرَسَانَ ، وبينها وبين أَمَلٍ : قصبة طَبَرَسَانَ تسعة وثلاثون فرسخاً .

(١) الذي في تحويم البلدان عن اللباب بكسر الألف

(٢) ضبطها بإقترت بالفتح .

(١) (ومنها) أَنْسُكُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف الممدودة وضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفي آخرها نون - وهي بلدة على ساحل بحر الخزر واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "القانون" : وهي قُرْصَةُ جُرْجَانَ . قال ابن حوقل : وإليها ينسب بحر أَنْسُكُونُ ، ومنها يركب إلى الخزر وإلى باب الأبواب والجليل والدائم وغير ذلك .

الإقليم التاسع : (قُومُسُ)

(٢) قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم وفي آخرها سين مهملة ، قال : ويقال لها بالفارسية كُومَسْ بإبدال القاف كافا ، قال : وهي من بَسْطَامَ إلى سَمَنَانَ ، وهما من قُومَسْ بين خُرَاسَانَ وبين الجبال ، أقطا من ناحية الغرب سَمَنَانَ . قال أحمد الكاتب : وقُومَسْ بلد واسع جليل القدر . وقال في "المشترك" : قُومَسْ موضع كبير فيه بلاد كثيرة وقُرَى - وقاعدتها (سَمَنَانُ) . قال في "المشترك" : بكسر الشين المهملة وسكون الميم ونونين بينهما ألف . قال في "القانون" : حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهو بلد مشهور بين أَرَمِّي والدَّامَقَانِ .
وبها مُدُنٌ أيضا .

(منها) الدَّامَقَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وألف وفتح الميم والذين المعجمة وألف ثانية ثم نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون"

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء . (٢) ضبطها ياقوت بكسر الميم .

حيث الظل تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

(ومنها) بَسْطَامُ . قال في "الباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وفي الآخر ميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الباب" : وهي بلدة مشهورة . قال ابن حوقل : ولها البساتين الكثيرة ، وهي كثيرة الفواكه ، وإليها ينسب أَبُو يَزِيدَ السَّطَامِيُّ الزاهد .

الإقليم العاشر (خُرَّاسَانُ)

قال في "الباب" : يضم الهاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون - وهي بلاد كثيرة . قال : وأهل العراق يقولون إنها من الرُّبَّى أَيْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، وبعضهم يقول من حُلُونِ إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، ومعنى خُرَّاسَمُ لِلشَّمْسِ ، واسان موضع الشيء ومكانه ، وقيل معنى خُرَّاسَانُ كُلُّ بِالرَّفَاعَةِ . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها من جهة الغرب المَقَازَةُ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ بِلَادِ الْجِيلِ وَبُجْرَجَانَ . ومن جهة الجنوب مَفَازَةٌ فَاصِلَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَارِسَ وَقُومَسَ ، ومن الشرق نَوَاحِي بَحْسَتَانَ وَبِلَادِ الْهِنْدِ ، ومن جهة الشَّامِ بِلَادُ مَاوَرَاءَ النُّهْرِ وَشَى مِنْ رَهْسَتَانَ . قال : وَخُرَّاسَانُ تَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ كُورٍ كُلُّ كُورَةٍ مِنْهَا نَحْوُ إِقْلِيمٍ .

ومن كورها المشهورة (جَوَيْنٌ) يضم الجيم وفتح الواو وسكون المشناة من تحت ونون في الآخر . (وَقُومَسَتَانُ) يضم القاف وسكون الواو وفتح الهاء وسكون السين المهملة وفتح المشناة فوق وألف ثم نون . (وَبَشَّوْرُ) بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة

(١) ضبطها ياقوت بكسر الهاء .

الساكنة ثم شين معجمة وواو وراء مهملة في الآخر. و(مَرَوْ) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو في الآخر. و(طَوْسُ) بضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر. و(يَبْقُ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الهاء وقاف في الآخر. و(بَآخَرُ) بفتح الباء الموحدة ثم ألف وخاء معجمة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة؛ وإليها ينسب البأخرى الذى أسلم على يديه بركة.

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في تاريخه (نيسابور). قال في "اللباب":
 بفتح النون وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة وبعدها واو وراء مهملة. قال في "اللباب": وسميت نيسابور لأن سابور الملك لما رآها، قال: يصلح أن يكون ها هنا مدينة، وكانت قصباً فأمر بقطع القصب وأن تبنى مدينة، فقبل نيسابور والتي هو القصب. قال ابن سعيد:
 والعجم تسمي نساور. قال في "تقويم البلدان": وأسمها الآن نساور، يعنى بفتح النون والشين المعجمة وألف وفتح الواو وراء مهملة في الآخر. وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال": حيث الطول ثمانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة. قال ابن حوقل: وهى مدينة مشهورة فى أرض سهلة، وهى مفترشة البناء مقدار فرسخ فى فرسخ، وبها نقي ماء، وهى محببة الهواء. قال فى "اللباب": وهى أحسن مدن نرسان وأجمعها للخير. قال أحمد بن يعقوب الكاتب: وبينها وبين كل من مرو ومن هراة ومن جرجان ومن الدامغان عشر مراحل.

وبها مدن عديدة.

(منها) الطابران. قال فى "اللباب": بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وبعده الألف نون. قال فى "القانون": وهى قسبة طوس من كور

نُحْرَاسَانٌ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "العريزي": وهي من أجَلْ مدن نُحْرَاسَانٌ .

(ومنها) نَوْقَانٌ . قال في "اللباب" ^(١) : يفتح النون وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون - وهي مدينة من أعمال طُوسَ من نُحْرَاسَانٌ ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول اثنتان وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال المهلبى : وهي من أجَلْ مدن نُحْرَاسَانٌ وأصمهرها ، وبظاهرها قبر الإمام على بن موسى بن جعفر الصادق ، وقبر هارون الرشيد الخليفة العباسى ، وبها معدن التبروزج والدّهج .

(ومنها) إِسْفَرَايُنٌ . قال في "اللباب" ^(٢) : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر المثناة التحتية ونون في الآخر - وهي بلدة بنواحي نيسابور من نُحْرَاسَانٌ - موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى المِهْرَبَجَانُ أيضا بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء المهملة والجيم وألف ونون في الآخر . يقال إن كسرى سماها بذلك تشبيها بالمِهْرَبَجَانِ أحد أعياد الفُرس : لأن المِهْرَبَجَانَ أطيب أوقات الفصول ، شبيها بذلك لحظرتها ونصارتها ، وإليها ينسب الأستاذ أبو إسحاق الإسفَرَايِنِي الإمام الكبير المشهور .

(ومنها) خُسْرَوْرْدٌ . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وسكون السين وفتح الراء المهملتين وسكون الواو وكسر الجيم ثم راء وodal مهملتان - وموقعها

(١) ضبطها بالقوت بالضم .

(٢) ضبطها بالقوت بالفتح ، ثم قال وياه مكسورة وياه أخرى ساكنة .

في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى
وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "المشترك" :
وهي قَصَبَة ناحية يَتَقَّى من خُرَّاسَانَ . وقال في "اللباب" : كانت قَصَبَتُهَا ثم صارت
القَصْبَة سبروار .

(ومنها) كَسَا . قال في "المشترك" : بفتح النون والسين المهملة وألف
مقصورة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيّد حيث
الطول اثنتان وثمانون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال في "المشترك" :
وهي مدينة من خُرَّاسَانَ بين أَيْبُورْدَ وسَرَخْسَ . قال ابن حوقل : وهي مدينة
سَبْغَة ، ومنها الإمام أحمد النسائي صاحب السُّنَنِ .

(ومنها) أَزَادُور . قال في "تقويم البلدان" : بالهمزة والراء المعجمة ثم ألف
وذال معجمة وواو مفتوحين وألف وراء مهملة في الآخر . وهي قَصَبَة جُورَيْنَ
من خُرَّاسَانَ . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال"
حيث الطول ثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة
وثلاثون دقيقة ؛ ومنها إمام الحرمين الإمام الشافعي المشهور .

(ومنها) قَائِنُ . قال في "اللباب" : بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناة تحية
مكسورة ثم نون . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون"
حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس وثلاثون دقيقة [والعرض ثلاث وثلاثون
درجة وخمس وثلاثون دقيقة^(١)] . قال ابن حوقل : وهي قَصَبَة قُوهَسْتَانْ ، من
خُرَّاسَانَ على مِغَازَة . قال : وهي مثل سَرَخْسَ في الكِبَرِ ، وماؤها من الفَيِّ ، وبساتينها
قليلة . وقرأها متفردة . قال في "اللباب" : وإليها ينسب جماعة من العلماء :

(١) زيادة عن تقويم البلدان نقلا عن القانون .

(ومنها) سَرَحْسُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملتين ثم خاء معجمة ساكنة وسين مهملة ساكنة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة بين نيسابور وبين مرو في أرض سهلة ، وليس لها ماء جار إلا نهر يجري في بعض السنة ، وهو فضلة مياه هَرَّاءَ ، والغالب على نواحيها المراعي ، ومعظم مال أهلها الجمال ، وماؤها من الآبار ، وأرحيتهم على الدواب . قال المهلب : والرمال مخففة بها .

(ومنها) بُوَشْنَجُ . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وجيم في الآخر . قال في "اللباب" : ويقال لها أيضا بُوَشْنَجُ بالفاء بدل الباء . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا بُوَشْنَكُ بالكاف بدل الجيم . قال ابن حوقل : وهي مدينة على نحو النصف من هَرَّاءَ في مستوي من الأرض ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، وماؤها من نهر هَرَّاءَ ، وهو يجري من هَرَّاءَ إلى بُوَشْنَجَ إلى سَرَحْسُ .

(ومنها) هَرَّاءُ . قال في "اللباب" : بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء في الآخر . قال في "التعريف" : ولا يسمع مجمى يقول إلا هَرَّى - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي من خراسان ، ولها أعمال ، وداخلها مياه جارية ، والجبل منها على نحو فرسخين ، ومنه تعمل حجارة الأرحية وغيرها ، وليس به مخضب ولا مَرْتَعَى ، وعلى رأسه بيت ناركان للفرس ، وخارج هَرَّاءَ المياه والبساتين . قال في "المشترك" : وكانت مدينة عظيمة تغربها التتر . قال في "اللباب" : وكان فتحها في خلافة أمير المؤمنين

عثمان رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها **هَرَوِيٌّ** . قال في "مسالك الأبصار" :
ومن الناس من يمدُّ **هَرَاءَ** مفردة بذاتها عن **نُحْرَاسَانَ** ، وصاحبها يكتبُ عن الأبواب
السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) **مَرَوُ الرُّوْدِ** . قال في "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة
وفى آخرها واو . وقال في "اللباب" بفتح الواو وألف ولام وضم الراء الثانية
وسكون الواو وذال معجمة ، والرُّوْدُ بالعجمية النهر ، ومعناه **مَرَوُ النهر** . وموقعها
في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول سبع وثمانون
درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلثون درجة وثلثون دقيقة . قال
أبن حوقل : وهى أكبر من **بُوشَنَج** ، ولها نهر كبير وعليه البساتين ، وهى طيبة التربة
والهواء ، والجبل عنها فى جهة الغرب على ثلاثة فراسخ . قال في "اللباب" : وهى
من أشهر مدُن **نُحْرَاسَانَ** ، والنسبة إليها **مَرَوُ رُوْدِيٌّ** و**مَرَوِذِيٌّ** أيضا .

(ومنها) **مَرَوُ الشَّاهِيَّانِ** . قال في "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة
وواو فى الآخر ، وهو مضاف إلى الشَّاهِيَّانِ بفتح الشين وألف بعدها هاء ثم جيم
وألف ونون - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى "المشترك" :
و**مَرَوُ الشَّاهِيَّانِ** معناه رُوح الملك . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع
وثمانون درجة ، والعرض سبع وثلثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل :
وهى مدينة قديمة يقال إنها من بناء طهمورث : أحد ملوك الفُرس . قال فى "مسالك
الأبصار" : ويقال إنها من بناء ذى القرنين . قال : وهى فى أرض مستوية بعيدة
عن الجبال لا يرى منها الجبل ، وأرضها كثيرة الرمل وفيها سُبُوحَةٌ ، ويمرُّ على بابها
نهرٌ يدخل منه الماء إلى حياض المدينة ، ومنه شرب أهلها ، ولها ثلاثة أنهار أُتْرَءُ ،
وبها القواكه الحسنه تقعد وتعمل إلى البلاد ؛ وبها الزبيب الذى لا نظير له ، ولها من

النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الأبنية والغُرُوس على الأنهار، وتمييز كل سوقٍ عن غيره مالمس لغيرها من البلاد . قال في "المشترك" : والنسبة إليها مَرْوَزِيٌّ . قال في "تقويم البلدان" : وبها كان مُقام المأمون لما كان بِمُحْرَاسَانَ، وبها قُتِلَ يَزْدَجَرْدُ آخرُ ملوك الفُرس، ومنها ظهرت دولة بَنِي العباس، وبها صُيِّغَ أوَّلُ سواد لبسته المسوَّدة، ومنها يرتفع الحرير الكثير والقطُن . قال في "المشترك" : وبينها وبين كُلِّ من تَيْسَابُورَ وَهَرَّاءَ وَبَلَّغَ وَبُخَّارَا مسيرة أَمْنَى عَشْرِيوما .

(ومنها) الطَّالْقَانُ . قال في "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال في "اللباب" : بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة نحو مَرَوَزُورُودَ في الكَبَر، ولها مياه جارية وبساتين قليلة، وهى فى جبل، ولها رُستاق فى الجبل، وهى غير الطَّالْقَانِ المقدم ذكرها فى عراق المعجم .

(ومنها) بَلَّغُ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفى آخرها خاء معجمة - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" و"القبانون" : حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة فى مستوي من الأرض، بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ، والمدينة نصف فرسخ فى مثله، ولها نهر يسمى ^(١) الدهاش يجرى فى ربضها، وهو نهر يدير عَشْرَ أَرَحِيَّةٍ، والبساتين تحف بها من جميع جهاتها، وبها الأُتْرُجُ وَقَصَبُ السُّكَّرِ، وتقع فى نواحيها الثلوج . قال فى "اللباب" :

(١) وقع فى التقويم بإهمال السين، ولم تقرر عليه فى المعجم ولا فى القاموس .

فتسحق الأحنف بن قيس التيمي في خلافة عثمان رضي الله عنه ؛ وتخرج منها مالا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء .

(ومنها) شَهْرَسْتَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملتين وفتح التاء المثناة من فوق وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" و "القانون" : حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : شهر بلغة الفرس المدينة ، وإستان الناحية ، لغنى اسمها مدينة الناحية . قال : وهي مدينة مشهورة بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان وأول حدود رمال خوارزم .

الإقليم الحادى عشر (زَابُلِسْتَانُ)

بفتح الزاى المعجمة ثم ألف بعدها باء موحدة ولام مضمومتان وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق مفتوحة ثم ألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة ونحس عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها بلاد وأعمال ، وهي عن بُلُغ على عشر مراحل ، وعندها نهركبير يجري ، وليس لها بساتين بل هي مدينة على جبل ، والفواكه تأتيها مجلوبة . قال في "اللباب" : وبها قلعة حصينة .

ولها مدن غيرها .

(منها) غَزْنَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الغين وسكون الزاى المعجمتين وفتح

النون - وموقعها في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " و " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : هي من عمل الباميان ، وقد تقدم أن الباميان من زابلستان . وقال في " اللباب " : هي من أول بلاد الهند . وقال في " مزيل الارتباب " : هي في طرف ترأسان وأول بلاد الهند ، وهي كالحد بينهما . قال ابن حوقل : وهي فُرْضة الهند وموطن التجار ، ولها دَرَبُنْد مشهور .

(ومنها) بَجْمِيرُ . قال في " اللباب " : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الجيم وكسر الهاء وسكون المثناة تحت وراء همزة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من أعمال الباميان على جبل ، والغالب على أهلها العيثُ والقَسَاد . قال في " اللباب " : وبها جبل الفضة ، والدراهم بها كثيرة ، لا يشترون ولو بأقَّة بَقْلٍ بأقل من درهم ، وقد جعلوا السوق كهيفة الغربال لكثرة الحفر . قال : وإنما يتبعون عروقاً يحدونها تُفِضِي إلى الفضة ، فإذا وجدوا عرقاً حفروا أبداً إلى أن يصيروا إلى الفضة ، والرجل منهم يُنْفِقُ الأموال الكثيرة في الحفر ، وربما خرج له من الفضة ما يستغني به هو وعقبه ، وربما خاب عمله لقلّة المال وغير ذلك ، وربما وقف رجل على العرق ووقف آخر عليه في موضع آخر فإخاذان جميعاً في الحفر ، والعادة عندهم أن من سبق فاضترض على صاحبه فقد استحق .

الإقليم الثاني عشر (الْفُور)

قال في "الباب" : بضم الفين المعجمة وسكون الواو وراء مهمله في الآخر . قال : وهي بلاد في الجبال بخراسان قرية من هراة ، وهي مملكة كبيرة ، وغالبها جبال عاصرة ذات عيون وبساتين وأنهار ، وهي بلاد حصينة منيعة ، وتحيط بها خراسان من ثلاث جهات ولذلك حُصبت من خراسان ، والحد الرابع لها قبل يحصتان .

فأعدها فيما قاله في "تقويم البلدان" (بيروز كوه) . قال في "المشارك" : بكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهمله وواو ثم زاي معجمة وضم الكاف وواو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "المشارك" : معنى بيروز كوه الجبل الأزرق ؛ وهي قلعة حصينة دار مملكة جبال الفور . قال : وبها كان مستقرًا بنو ساسان ملوك الفُور .

قلت : وبلاد الفور وغزنة وما والاها وإن عدها في "مسالك الأبصار" من مملكة التورانيين ، فإنها ليست من أصل مملكة توران ، وإنما تغلب ملوكها عليها من مملكة إيران ، فلذلك أثبتنا في مملكة إيران ؛ وما غلب عليه بنو هولاكو من مملكة الروم ، وهو قونية وما معها ليس من مملكة إيران بل هو مملكة مستقلة بذاتها كما سيأتي ، ولذلك لم أثبتنا في مملكة إيران وإاقه أعلم .

(١) كذا في الأصل على هذه الصورة ، والذي في التقويم "بها كان مستقر آل سام الخ" وفي معجم البلدان "بها بنو سام ملوك الفورية" .

الجملة الثالثة

(في الأنهار المشهورة)

واعلم أن هذه المملكة عدة أنهار، والمشهور منها ثلاثة عشر نهرًا :

الأول - الفرات وما يصب فيها وينخرج منها ^(١) . فأما نهر الفرات فأقله من شمال مدينة أرزن الروم وشرقيها، وأرزن هذه آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق، ثم يأخذ إلى قرب ملطية ثم إلى شمشاط، ثم يأخذ مشرقًا ويتجاوز قلعة الروم ويمر مع جانبها من شمالها وشرقيها، ثم يسير إلى البيرة، ويمر من جنوبيها، ثم يمر مشرقًا حتى يتجاوز بالس وقلعة جعفر ويتجاوزها إلى الرقة، ثم يمر مشرقًا ويتجاوز الرقة من شمالها ويسير إلى عانة ثم إلى هيب، ثم يسير إلى الكوفة . فإذا جاوز نهر كوثي بستة فراسخ أنقسم نصفين، ومن الجنوب منهما إلى الكوفة ويتجاوزها ويصب في البطائح . ويمر القسم الآخر وهو أعظمهما ويعرف بنهر سورا، ويمر بإزاء قصر ابن هبيرة، ويتجاوزها إلى مدينة بابل القديمة، ويتفرع منه عدة أنهر ويمر عموده إلى النيل ويسمى من بعد النيل نهر الصراة، ثم يتجاوز النيل ويصب في دجلة .

وأما الأنهار التي تصب فيه، فمنها نهر شمشاط، ونهر البليخ، ونهر الخابور، ونهر الهرماس، وغيرها .

وأما الأنهار التي تخرج من الفرات، فمنها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر الملك، ونهر كوثي وغير ذلك .

الثاني - دجلة وما يصب إليها وينخرج منها . فأما دجلة فقال في " المشترك " :
بكسر الدال المهملة وسكون الجيم . قال : وهي نهر عظيم مشهور يخرج من بلاد

(١) كما في التفسير أيضا بالتأنيث والأصل الذكر .

أروم؛ ثم يمر على أمّد، وحِصْن كَيْفَا، وجزيرة ابن عَمْر، والمَوْصِل، وَتِكْرِيت، وَبَغْدَادَ، وَوَاسِطَ، وَالبَصْرَةَ؛ ثم يصبّ في بَحْر فَارَسَ . وذكر في "العزري" :
 أن رأس دِجْلَةَ شمالاً مِيقَاتَيْنِ من تحت حِصْن يعرف بحِصْن ذِي الْقَرْنَيْنِ .
 ويمرّ من الشمال والغرب إلى جهة الجنوب والشرق ؛ ثم يشرّق ويرجع إلى جهة
 الشمال ؛ ثم يغرب بميلة إلى الجنوب إلى مدينة أمّد ؛ ثم يأخذ جنوباً إلى جزيرة
 ابن عَمْر؛ ثم يأخذ شرقاً وجنوباً إلى مدينة بَلَد ؛ ثم يشرّق إلى المَوْصِل، ثم يسير
 مشرقاً إلى تِكْرِيت ؛ ثم يأخذ مشرقاً نصيباً إلى سُرْمَنْ رَأى ؛ ثم يأخذ جنوباً إلى
 عَمْكَبْرى ؛ ثم يأخذ مشرقاً إلى الْبَرْدَانِ، ثم يأخذ جنوباً بميلة إلى الشرق إلى بَغْدَادَ ؛
 ثم يسير جنوباً إلى كَلَوَاذَا ، ويأخذ إلى المدائن ويتجاوز إلى دير العاقول ؛ ثم يسير
 مشرقاً إلى التُّنْمَانِيَّة ؛ ثم يسير جنوباً ومشرقاً إلى قَمِ الصِّلَح ؛ ثم يسير مغرباً إلى
 وَاسِطَ ؛ ثم يشرّق إلى بطائع وَاسِطَ ؛ ثم يخرج من البطائع ويسير بين الشرق
 والجنوب حتى يتجاوز البَصْرَةَ، ويمرّ على قُوَّة الأُبُلَّة ، ثم يسير إلى عِبَادَانَ ويصبّ
 في بَحْر فَارَسَ .

وأما الأنهار التي تصب في دِجْلَةَ : فمنها نهر أَرْزَنَ ، ونهرُ التُّرْتَارِ، ونهرُ الْفُرَاتِ
 الأعلى وهو الأكبر، ونهر الزَّابِ الأصغر، وغيرها .

وأما الأنهار التي تخرج من دِجْلَةَ فعِدَّةُ أنهار ؛ من أشهرها نهر الأُبُلَّة ، ونهر مَقِيل
 المقدم ذكرهما في الكلام على متزهات هذه المملكة .

الثالث - دِجْلَةُ الأهواز . وهو نهر ينبعث من الأهواز، ويمرّ في جهة الغرب
 إلى عَسْكَرٍ مُكْرَمَ؛ وهو قرب دِجْلَةَ بَغْدَادَ؛ وعليه مَزَارِعُ عظيمة من قصب
 الشَّكَّر وضرة .

الرابع - نهر شيرين ، وهو نهر يخرج من جبل دينار من ناحية بازرع ويحترق بلاد فارس ويقع في بحر فارس عند جنابة ، من بلاد فارس .

الخامس - نهر المرقان ، وهو نهر عظيم في بلاد خوزستان ، يجري من ناحية نُسْتَر ، ويمر على عسكر مكرم ، ويسقي بجميع مائه النخل والزرع وقصب السكر ، ولا يضيع شيء من مائه .

السادس - نهر نُسْتَر ، وهو نهر يخرج من وراء عسكر مكرم ، ويمر على الأهواز ، ثم ينتهي إلى نهر السدرة إلى حصن مهدي ، ويصب في بحر فارس .

السابع - نهر طاب ، ويخترجه من جبال أصفهان من قرب المرج ، وينضم إليه نهر آخر ويسير حتى يمر على باب أرجان ، ويقع في بحر فارس عند شير .

الثامن - نهر سگان ، وهو نهر يخرج من رُستاق الرويجان من قرية تدعى ساركري ، ويسقي شيئاً كثيراً من كور فارس ، ثم يصب في بحر فارس ، وعليه من العارة ما ليس على غيره .

التاسع - نهر زَنْدَوْدَ ، بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة والواو ثم راء مهملة ساكنة وذال معجمة في الآخر ، وهو نهر كبير على باب أصفهان .

العاشر - نهر الهندي مند ، قال ابن حوقل : وهو أعظم أنهار جيحستان ، ويخرج من ظهر الفور ، ويمر على حدود الرخج ، ثم يعطف ويمر على بُست ، حتى يصير على مرحلة من جيحستان ، ثم يصب في بحيرة زَرَّة ، وإذا تجاوز بُست ينشعب منه أنهار كثيرة ، وعلى باب مدينة بُست على هذا النهر جسر من السفن كما في دجلة .

(١) في التوقيع "نازنج" ولم تشر في المعجم على كلا القطين .

(٢) في التوقيع "الرويجان ... : ساذفري" .

الحادى عشر - نهر الرّس . وهو نهر يخرج من جبال قَالِقَلَا ، ويمتد إلى وَرثَانَ ، ثم يلتقى مع نهر الكَرَّ الآتى ذكره بالقرب من بحر الخَزَر فيصيران نهرًا واحدًا ويصبّان في بحر الخَزَر المذكور . قال في "تقويم البلدان" : وخلف نهر الرّس فيما يقال ثلثائة وستون مدينة نراب ، يقال إنها المراد في القرآن بقوله تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الرّس ﴾ .

الثانى عشر - نهر الكَرَّ ، وهو نهر فاصل بين أَرَانَ وأَذَرَبَيْجَانَ كالحُدَّ بينهما ، وأوله عند جبل باب الأبواب ، ويمتد في بلاد أَرَانَ ويصب في بحر الخَزَر . وذكر ابن حوقل أن نهر الكَرَّ يمتد على ثلاثة فراسخ من بَرْدَعَة ، وبفَارِسَ أيضًا نهر يقال له نهر الكَرَّ إلا أنه دون هذا في القدر والشهرة .

الثالث عشر - نهر جُرْجَانَ ، ومخرجه من جبل جرجان ، ويسير غربًا بجنوب إلى أْبُسْكُون ثم يفتق من أْبُسْكُون نهرين ويصب في بحر الدَّيْلَم .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة ، وذكر شئ من المسافات بين بلادها)

وأعلم أن آخر المملكة المضافة إلى الديار المصرية من جهة الشرق مملكة حَلَب . فتعين الابتداء منها ، ونحن نورد ذلك على ما يقتضيه كلام عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" مقتصرًا على ذكر مشاهير البلاد .

(الطريق من حَلَب إلى الموصل) - من حَلَب إلى مَنبِج ، ومن مَنبِج إلى الرّسْتَنِ ، ومن الرّسْتَنِ إلى الرّقّة إلى رأس عين سبعة عشر فرسخًا ، ومن رأس عين إلى كَفَرْتُونَا سبعة فراسخ ، ومن كَفَرْتُونَا إلى دارًا خمسة فراسخ ، ومن دارًا إلى نَصِيبِينَ أربعة فراسخ ، ثم إلى بَلَدَ ثَلَاثُونَ فرسخًا ، ثم إلى الموصل سبعة فراسخ .

(الطريق من الموصل إلى بغداد) - من الموصل إلى الحديثة أحد وعشرون فرسخا ،
ثم إلى السن خمسة فراسخ ، ثم إلى سمرقن رأى ثلاثة فراسخ ، ثم إلى القادسية تسعة
فراسخ ، ثم إلى عكبري ثمانية فراسخ ، ثم إلى البردان أربعة فراسخ ، ثم إلى بغداد خمسة
فراسخ . وأخبرني بعض أهل تلك البلاد أن الطريق من حلب إلى البيرة يومان .
ومن البيرة إلى الرها يومان ، ومن الرها إلى ماردين أربعة أيام ، ثم من ماردين إلى
جزيرة ابن عمر ثلاثة أيام ، ثم من جزيرة ابن عمر إلى الموصل يومان ، ومن الموصل
إلى تكريت يومان ، ومن تكريت إلى خوي يومان ، ومن خوي إلى بغداد يومان .
(الطريق إلى نيسابور : قاعدة خراسان) - من بغداد إلى النهروان أربعة فراسخ .
ثم إلى السكرة اثنا عشر فرسخا ، ثم إلى جلولا سبعة فراسخ ، ثم إلى خاقين سبعة
فراسخ ، ثم إلى قصر شيرين ستة فراسخ ، ثم إلى حلوان خمسة فراسخ ، ثم إلى مرج
القلعة عشرة فراسخ ، ثم إلى قصر يزيد أربعة فراسخ ، ثم إلى قصر عمر ثلاث عشرة
فرسخا ، ثم إلى قصر اللصوص سبعة عشر فرسخا ، ثم إلى قرية القسل ثلاثة فراسخ ،
ثم إلى همدان خمسة فراسخ ، ثم إلى الأساورة اثنان وعشرون فرسخا ، ثم إلى ساوة
خمسة عشر فرسخا ، ثم إلى الرى أربعة وعشرون فرسخا ، ثم إلى قصر الملح أحد
وثلاثون فرسخا ، ثم إلى رأس الكلب سبعة فراسخ ، ثم إلى سمنان ثمانية فراسخ ،
ثم إلى بومن سبعة عشر فرسخا ، ثم إلى أسد آباد أربعون فرسخا ، ثم إلى خسرو جرد
اثنا عشر فرسخا ، ثم إلى نيسابور خمسة عشر فرسخا .

(الطريق من نيسابور إلى بلخ ثم إلى نهر جيحون) - من نيسابور إلى طوس ثلاثة
عشر فرسخا ، ثم إلى مرو الروذ أحد عشر فرسخا ، ثم إلى سرخس ، ثم إلى قصر التجار
ثلاثة فراسخ ، ثم إلى مرو الشاهجان سبعة وعشرون فرسخا ، ثم إلى القريتين خمسة

وعشرون فرسخاً، ثم إلى أسدَابَذَ عَلَى النهر سبعة فراسخ، ثم إلى قَصْر الْأَخْنَفِ عَلَى النهر عشرة فراسخ، ثم إلى مَرَو الرُّوذ خمسة فراسخ، ثم إلى الطَّلَقَانِ ثلاثة وعشرون فرسخاً، ثم إلى اِرْعِينَ تسعة فراسخ، ثم إلى العاديَات عشرة فراسخ، ثم إلى السَّدَةِ من عمل بَلْخ أربعة وعشرون فرسخاً، ثم إلى القُور تسعة فراسخ، ثم إلى بَلْخ ثلاثة فراسخ، ثم إلى شَطِّ جَيْحُوعَ اثْنَا عشر فرسخاً. فذات اليمين كُورَةُ خُتَلٍ ونهر الضَّرْغَامِ، وذات اليسار خُورَازْمُ، وسيأتي ذكرهما في الكلام على مملكة تُوزَانَ فيما بعدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(الطريق إلى شِيرَازَ قَاعِدَةُ فَارِس) - قد تقدّم الطريق من حَلَبَ من مضافات الديار المصرية إلى بَغْدَادَ، ومن بَغْدَادَ إلى واسطَ خمسة وعشرون سِكَّةً، ومن واسطَ إلى الْأَهْوَازَ عشرون سِكَّةً، ثم إلى التُّوبَنْدَجَانَ تسع عشرة سِكَّةً، ثم إلى شِيرَازَ اثْنَا عشرة سِكَّةً .

(الطريق من شِيرَازَ إلى السَّيرْجَانَ: قَاعِدَةُ كَرْمَانَ) - من شِيرَازَ إلى اِصْطَخَرَ خَمْسُ سِكَّاتٍ، ثم من اِصْطَخَرَ إلى البحيرة ثلاثة عشر فرسخاً، ثم إلى شَاهَكَ الْكَبْرَى سبعة عشر فرسخاً، ثم إلى قرية المَلُح تسعة فراسخ، ثم إلى مَرْزُبَانَهُ ثمانية فراسخ، ثم إلى اِرْوَانَ ثلاثة فراسخ، ثم إلى المَرْمَانَ وهو آخر عمل فَارِسَ إلى السَّيرْجَانَ سِتَّةَ عشر فرسخاً .

(الطريق إلى أَصْبَهَانَ) - من يُوْمَنَ الْمُقَدِّمِ ذَكَرَهَا إِلَى الرِّبَاطِ ثَلَاثَةَ عشر فرسخاً، ثم إلى أَصْبَهَانَ أَرْبَعَةَ عشر فرسخاً .

(الطريق إلى البصرة) - قد تقدّم الطريق من حَلَبَ إلى بَغْدَادَ، ثم إلى واسطَ، ثم إلى الفَارُوثَ، ثم إلى دِيرِ الْعَمَالِ، ثم إلى الْحَوَانِيتِ، ثم يسير في البَطَانِجِ، ثم إلى نهر أَبِي الْأَسَدِ، ثم في دِجْلَةِ الْعُورَا، ثم في نهر مَعْقِلٍ، ثم يَمْضِي إِلَى البَصْرَةِ .

(الطريق إلى تبريز^(١)) - قد تقدم الطريق من حلب إلى مَريدين، ثم من مَريدين إلى حصن كَيْفَا يومان، ومن الحصن إلى سِعرْت يومان، ومن سِعرْت إلى وان يومان، ومن وان إلى وَسْطَان ثلاثة أيام، ومن وَسْطَان إلى سَلْمَاس يومان، ومن سَلْمَاس إلى تَبْرِيز أربعة أيام، فيكون بين حلب وتَبْرِيز ثلاثة وعشرون يوما.

(الطريق إلى السُلْطَانِيَّة) - من تَبْرِيز إليها سبعة أيام، فيكون من حلب إلى السُلْطَانِيَّة ثلاثون يوما.

الجملة الخامسة

(في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة)

(بعض مسافات بلاد الجزيرة) - من لَأَنْبَار إلى تَكْرِيت مرحلتان، ومن تَكْرِيت إلى المَوْصِل ستة أيام، ومن المَوْصِل إلى أَمْد أربعة أيام، ومن أَمْد إلى شُحِيَّاط ثلاثة أيام، ومن المَوْصِل إلى نَصِيْبين أربع مراحل، ومن نَصِيْبين إلى رأس عين ثلاث مراحل، ومن رأس عين إلى الرِّقَّة أربعة أيام، ومن رأس عين إلى حَرَّان ثلاثة أيام، ومن حَرَّان إلى الرِّقَّة يوم واحد.

(بعض مسافات خُوزِسْتَان) - من عَسْكَر مُكْرَم إلى الأهواز مرحلة، ومن الأهواز إلى الدَّورَق أربع مراحل، [وكذلك من عسكركم إلى الدَّورَق^(٢)] ومن عَسْكَر مُكْرَم إلى سُوِّق الأَرَبَاء مرحلة، ومن سوق الأَرَبَاء إلى حصن مهدي مرحلة، ومن السُّوس إلى بَصْطِ مرحلة خفيفة، ومن السُّوس إلى مَتَوْت مرحلة.

(بعض مسافات فارس) - قال ابن حوقل: من شِيرَاز إلى سِيرَاف نحو ستين فرسحا، ومن شِيرَاز إلى إِصْطَخَر نحو آثني عشر فرسحا، ومن شِيرَاز إلى كَازَرُون

(١) في القاموس "تبريز وقد تكسر".

(٢) الزيادة عن "تقويم البلدان" لبيم البيان.

نحو عشرين فرسخاً ، ومن كازرون إلى جنابة أربعة وأربعون فرسخاً ، ومن شيراز إلى أصفهان آثنان وسبعون فرسخاً ، ومن شيراز موقراً إلى أول حدود خوزستان ستون فرسخاً ، ومن شيراز إلى بسا سبعة وعشرون فرسخاً ، ومن شيراز إلى البيضاء ثمانية فراعخ ، ومن شيراز إلى دارابجرد خمسون فرسخاً ، ومن مهرuban إلى حصن ابن عمارة نحو مائة وستين فرسخاً .

(بعض مسافات كرمان) - من السرجان إلى المفازة مرحلتان ، ومن السرجان إلى جيرفت مرحلتان ، ومن السرجان إلى مدينة الزند تسعة وعشرون فرسخاً .

(بعض مسافات إرمينية وأران وأذربيجان) - قال ابن حوقل : من بردعة إلى شمكور أربعة عشر فرسخاً ، ومن بردعة إلى تغليس ثلاثة وأربعون فرسخاً ، ومن أردبيل إلى المراغة أربعون فرسخاً ، ومن المراغة إلى أرميسة أربع مراحل ، ومن أرميسة إلى سلماس مرحلتان ، ومن سلماس إلى حوى سبعة فراعخ ، ومن حوى إلى بركري ثلاثون فرسخاً ، ومن بركري إلى أرجيش يومان ، ومن أرجيش إلى خلط ثلاثة أيام ، ومن خلط إلى بدليس ثلاثة أيام ، ومن بدليس إلى ميا فارقين أربعة أيام .

[ذكر الطريق من المراغة إلى أردبيل : من مراغة إلى أرمية ثلاثون فرسخاً ^(١) ، ومن أرمية إلى سلماس أربعة عشر فرسخاً ، ومن حوى إلى نسوى [ثلاثة أيام ، ومن نسوى ^(١) إلى دبيل أربع مراحل ، ومن المراغة إلى الدينور ستون فرسخاً ، ومن خوج إلى مراغة [ثلاثة عشر فرسخاً ^(١) ، ومن بردعة إلى ورنان سبعة فراعخ ، ومن ورنان إلى بقلقان سبعة فراعخ ، ومن شروان إلى باب الأبواب نحو سبعة أيام ، ومن بردعة إلى تغليس نحو اثنين وستين فرسخاً .

(١) الزائد من تقويم البلدان عن ابن حوقل ليستقيم الكلام .

(بعض مسافات عراق العجم) - من همدان إلى الدينور ما ينيف على عشرين فرسخا ، ومن همدان إلى ساوة ثلاثون فرسخا ، ومن ساوة إلى الرى ثلاثون فرسخا أيضا ، ومن همدان إلى زنجان على شهرزور ثلاثون فرسخا ، ومن همدان إلى أصبهان ثمانون فرسخا ، ومن همدان إلى أول خراسان نحو سبعين فرسخا ، ومن ساوة إلى قم نحو اثني عشر فرسخا ، ومن قم إلى قاشان نحو اثني عشر فرسخا أيضا ، ومن الرى إلى قزوین ثلاثون فرسخا ، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل ، ومن أصبهان إلى قاشان ثلاث مراحل .

(بعض مسافات طبرستان ومازندران وقومس) - قال ابن حوقل : بين أمل وسارية مرحلتان ، ومن سارية إلى إسفاباذ نحو أربع مراحل ، ومن إسفاباذ إلى بجران نحو مرحلتين ، ومن أمل إلى ما مطير مرحلة ، ومن ما مطير إلى سارية مرحلة ، ومن بجران إلى بسطام مرحلتان .

(بعض مسافات خراسان) - قال في "تقويم البلدان" : من أول أعمال نيسابور إلى وادی جیحون ثلاث وعشرون مرحلة ، ومن سرخس إلى نسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن هراة إلى نيسابور أحد عشر يوما ، ومن هراة إلى مرو كذلك ، ومن هراة إلى سيستان كذلك ، ومن مرو الروذ إلى مرو الشاهجان أربعة أيام ، ومن بلخ إلى فرغانة ثلاثون مرحلة مشرقا ، ومن بلخ إلى الرى ثلاثون مرحلة مغربا ، ومن بلخ إلى سيستان ثلاثون مرحلة جنوبا ، ومن بلخ إلى كرمات ثلاثون مرحلة ، ومن بلخ إلى خوارزم ثلاثون مرحلة .

الجملة السادسة

(فإيا بهذه المملكة من النفائس العلية القدر، والعجايب الغريبة الذكر،

والمتزهات المرتفعة الصيت)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : بها عدة نفائس وعجايب .

أما النفائس فإن بها مفاص اللؤلؤ ببحر فارس بجزيرة كيش وثمان، وهما من أحسن المفاص وأشرفها وأعلاها قدرا في حسن اللؤلؤ على ما تقدم ذكره في الكلام على الأحجار النفيسة فإيا يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبالدأمان في جبلها معدن ذهب . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني : وهو قليل المحصل لكثرة ما يحتاج إليه من الكلف حتى يستخرج وبذخشان^(١) شرق عراق العجم البازهر الحيواني الذي لا يباريه شيء في دفع السموم يوجد في الأبابل التي هنالك ، وقد مر ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبها الإمدد الأصفهاني الذي لا يساوي رتبة، وقد مر ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى، ولكنه قد عر الآن حتى لا يكاد يوجد قال المقتضب الشهابي رحمه الله : سألت الشيخ شمس الدين الأصفهاني عن سبب قلته ، فقال : لا تقطع عن قوله بما بقي يوجد منه إلا ما لا يرى . قال في "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة سميت من الفاش الفاجر من النخ ، والمخمل ، والكخا ، والعنابي ، والنصافي ، والصوف الأبيض المارديني ، وتعمل بها البسط الفاخرة في عدة مواضع مثل شيراز وأقصرا وتوزل إلى غير ذلك من الأشياء النفيسة التي لا يضاهاها غيرها فيها .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .



وأما العجائب ، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن بمدينة فشمير على ثلاثة أيام عن أصفهان عين ماء سارحة يشرب ماؤها بماء الجراد ، إذا حمل ماؤها في إناء وعلق في تلك الأرض على عال ، أنها طير يقال له سارفاكل ما فيها من الجراد حتى لا يدع منه شيئا بشرط أن لا يوضع على الأرض حتى يؤق به إلى مكان الجراد فيعلق . وحكى محمد بن حيدر الشيرازي في مصنف له : أن بين الدامغان وأستراخان من كراسان عيناً ظاهرة إذا التفت فيها نجاسة فار ماؤها وأزبدت شيئاً تشبه دودة طول أكلة الإنسان حتى لو حمل الماء تسعة وكان معهم عاشر لم يحمل الماء ، تبع كل واحد من حمل الماء دودة ، ولم يتبع الآخر منها شيء ، فلو قتل واحد منهم تلك الدودة امتنع الماء ، مرا لوقته ، وكذلك ماء كل من هو وراءه ، ولا يستعمل ماء من هو إلى جانبه مراً . قال ابن حوقل : وبكورة سابور من بلاد فارس جبل فيه صورة كل ملك وكل مرزبان معروف للعجم وكل مذكور من سدة النيران . وفي كورة أرجاند قرية يقال لها طبريان [بئر^(٢)] يذكر أهلها أنهم امتنعوا قعرها بالمتقلبات فلم يحقوا لها قعراً ، وفور منها ماء بقدر ما يدبر حتى تسقى أرض تلك القرية . قال : وفي كورة رستاق [بئر^(٢)] تعرف بالهنديجان بين جبلين يخرج منها دخان لا يستطيع أحد أن يقربها ، وإذا طار عليها طائر سقط فيها وأحرق . وبساحنة ذاتين نهر ماء عذب يعرف بنهر أخشين ، يشرب منه الناس وتسقى به الأرض ، وإذا غسلت به الثياب خرجت خضراً .

(١) الله ولم يحمل واحد من ما هنا عجائب الخ ..

(٢) الزيادة عن تكملة التكملة المستقيم الكلام .



وأما المنتزهات فيها نهر الأبلّة وشعب بوّان - وهما نصف منتزهات الدنيا الأربعة : وهى نهر الأبلّة وشعب بوّان المذكوران وصُفد سَمَرَقَنْدَ وَغُوطَة دِمَشَقَ . وقد تقدّم أن نهر الأبلّة نهر شقّه زيادٌ مقابلةً نهر مَعْقِلَ ، وبينهما البساتين والقصور العالية والمباني البديعة ، يتسلسل مجراه ، وتتهلّل بكَرّه وعشاياه ، ويُظله الشجر وتغنى به زمر الطير . وفيه يقول القاضى التنوخى من أبيات :

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْأَبْلَةِ خَلَّتْهَا * مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ حِينَ تُحِيلُ !
كَمْ مَسْزِلٍ فِي نَهْرِهَا إِلَى السُّرُو * رَبَّاهُ فِي غَيْرِهَا لَا يَسْزِلُ !
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْقُصُورُ عَرَائِشُ * وَالرُّوْضُ حُلًى وَهِيَ فِيهِ تَرْفُلُ !

وشعب بوّان - وهو عذّة قُرى مجتمعة ومياه متصلة ، والأشجار قد غطت تلك القرى فلا يراها الإنسان حتى يدخلها ، وهو بظاهر هَمْدَانٍ يشرف عليها من جبل ، وهو فى سفح الجبل والأنهار تحطّ عليه من أعلى الجبل ، وهو من أبداع بقاع الأرض منظرًا . قال المبرد : أشرفت على شعب بوّان فنظرت فإذا بماء يتحدّر كأنه سلاسل فضة ، وتربة كالكاפור ، وتربة كالثوب الموشى ، وأشجار متبادلة ، وأطيار متجاوبة . وفيه يقول أبو الطيّب المتنبى حين مرّ به :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَعَانِي * بِمِثْلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ !
وَلَيْكُنَّ النَّسَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا * غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ !

الجملة السابعة

(في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما)

وهم على ضربين :

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

وأعلم أن هذه المملكة لم تزل بيد ملوك الفُرس لابتداء الأمر وإلى حين انقراض دولتهم بالإسلام على ما سيأتي ذكره . قال المؤيد صاحب حماة : وهم أعظم ملوك الأرض من قديم الزمان ، ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم في ذلك أحد .
وهم على أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(الفيشداذية)

سموا بذلك لأنه كان يقال لكل من ملك منهم فيشداذ ومعناه سيرة العدل .
وأول من ملك منهم (أوشهنج) وهو أول من عُقد على رأسه التاج وجلس على السرير ورُتّب الملك ونُظِم الأعمال ووضع الخراج . وكان ملكه بعد الطوفان بمائة سنة ، وهو الذي بنى مدينتي بابل والسُوس ، وكان محمود السيرة ، حسن السياسة .
ثم ملك بعده (طهمورث) وهو من عقب أوشهنج المقدم ذكره ، وبينهما عدة آباء ، وسلك سيرة جدّه ، وهو أول من كتب بالفارسية .
ثم ملك بعده أخوه (بَهمشيد) ومعناه شُعاع القمر ، وسار سيرة من تقدّمه وزاد عليها ، وملك الأقاليم السبعة ، ورتب طبقات الحُجّاب والكُتّاب ونحوهم ، وهو الذي أحدث التبرّوز وجعله عيداً ، ثم حاد عن سيرة العدل فقتله الفُرس .

(١) في تاريخ أبي القدا (ماتق) بالفنّية .

وملك بعده (بيوراسب) ويعرف بالدهاك^(١)، ومعناه عشر آفات، والعامية تسميه الضحاك؛ وملك جميع الأرض فسار بالبحر والعسف، وبسط يده بالقتل، وأحدث الكسوس والعشور، واتخذ المغنن والملاهي. وسبأ خبر هلاكه مع كابي الخارج عليه في الكلام على النحل والملل، ويقال إنه هو ومن قبله كانوا قبل الطوفان.

ثم ملك بعده (إفريدون) ويقال إنه التاسع من ولد "بشميش" المتقدم ذكره، وفي أول ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضا وقسمها بين يتيه ومات.

فلما ملك بعده ابنه (إيراج) بعهد من أبيه، ثم ملك بعده أخوه (شرم) و(طوج) ثم عليهما على الملك (متوجهر بن إيراج) وفي أيامه ظهر موسى عليه السلام. ويقال إن فرعون موسى كان عاملا له على مصر داخل تحت أمره.

ثم تغلب على المملكة (فراسياب بن طوج) فأفسد ونزب؛ ثم غلبه عليها (زوبن طهماسب) من أولاد متوجهر، فأحسن السيرة وعمر البلاد، وشق نهر الزاب ونهى مدينة على جانبه.

ثم ملك بعده (كرشاسف) من أولاد طوج بن إفريدون، وهو آخر ملوك هذه الطبقة.

الطبقة الثانية

(الكينانية)

سُموا بذلك لأن في أول أسم كل واحد منهم لفظة كى، ومعناه الروحاني وقيل الجبار.

وأول من ملك منهم بعد كرشاسف المتقدم ذكره (كيقباز) بن زوب، فسار سيرة أبيه في العدل ومات؛ فلما بعده (كيكاؤوس) بن كينيه بن كيقباز ومات؛ فلما

(١) كذا في المختصر أيضا وفي العبر "الازدهاك صادم بين السين والزاى وحاء، فريضة من الهاء وكاف فريضة من الفاف" وفي المسعودي "الدهاك".

بعده أبنة (كيخسرو بن سياووس بن كيكائوس) بولاية من جدّه ، ثم أعرض عن الملك .

وملك بعده (كيهراسف بن أنى كيكائوس) وأخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجوهر ، كان يجلس عليه ، وبني مدينة بلخ بأرض خراسان وسكنها لقتال الترك ، وفي زمنه كان يختصر فجعله نائباً له ثم مات .

وملك بعده (كيشناسف) وبني مدينة نسا ، وفي أيامه ظهر زرادشت صاحب "كتاب المجوس" الآتي ذكره في الكلام على النعل والملل ، وتبعه كيشناسف على دينه ثم قُتِل .

وملك بعده (أردشير بهمن) ومعنى بهمن الحسن البنية ابن إسفنديار بن كيشناسف ، وأسمه بالعبرانية كورش ، وملك الأقاليم السبعة ، وهو الذي أمر بعارة البيت المقدس بعد أن خربه ^{موسى} بختنصر .

ثم ملك بعده أبنة (دارا بن أردشير) وفي زمنه ملك (الإسكندر بن فيلبس) وغلب داراً على ملك فارس ، وأستتاب به عشرين رجلاً ، وهم المسجون بملوك الطوائف ، فأقاموا على ذلك خمسمائة وأثنى عشرة سنة ، ثم بطل حكم ذلك .

الطبقة الثالثة

(الإشغانية ، ^(١) يقال لكل منهم اشغا)

وأول من ملك منهم بعد ملوك الطوائف (اشغا بن اشغان) . ثم ملك بعده أبنة (سابور بن اشغان) عشرين سنين . ثم ملك بعده (يسين بن اشغا) ستين سنة . ثم ملك بعده (جور بن اشغان) عشرين سنين . ثم ملك بعده (بيرز الاشغاني) إحدى وعشرين

(١) في العبر "الاشكانية" وكأنها أقرب إلى "النين" فنه .

(٢) هذه مخالفة لما في كتابي مختصر أبي الفداء والعبر فراجعهما .

سنة ومات . فملك بعده (جودرز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (زري الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (هرمز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (اردوان الاشغاني) اثنتي عشرة سنة ومات . فملك بعده (خسرو الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (بلاش الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (اردوان الأصغر) وهو آخر ملوكهم من هذه الطبقة .

الطبقة الرابعة

(الأكاسرة)

وأول من ملك منهم (أردشير بابك) من عقب ساسان بن "أردشير بهمن" قتل "اردوان" وأستولى على ملكه ، فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وكتب عهداً بالملك في عقبه ومات . فملك بعده أبنه (سابور) إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر ، وفي أيامه ظهر "ماني الزنديق" وأدعى النبوة ، وأهتدى بنقل كتب الفلسفة من اللغة اليونانية إلى اللغة الفارسية ، ويقال إن العود الذي يتغنى به حدث في أيامه ومات . فملك بعده أبنه (هرمز) سنة واحدة وستة أشهر ومات . فملك بعده أبنه (بهرام) ثلاث سنين وثلاثة أشهر ومات ، فملك بعده أبنه (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة ومات . فملك بعده أبنه (بهرام بن بهرام بن بهرام) أربع سنين ثم مات . فملك بعده أخوه (زري بن بهرام) تسع سنين ثم مات . وملك بعده أبنه (هرمز) تسع سنين أيضاً ومات . فملك بعده أبنه (سابور) وهو الذي عمل الجسر الثاني لدجلة ليكون أحد الجسرين للذاهبين ، والآخرون^(١) . وفي زمنه كان قسطنطين ملك الروم ومات . فملك بعده أخوه (أردشير) بوصية منه ، ثم مات . فملك بعده أبنه (سابور^(٢))

(١) قال في العبر "ضبطه الهارقل بالراء المهملة" .

(٢) صوابه ابن أخيه .

أبن سابور) ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) ثم ملك بعده أبنه (يزدجرد) المعروف بالأنيم؛ ثم ملك بعده (كسرى) من ولد "أردشير" [ثم ملك بعده (بهرام جور بن يزدجرد الأنيم) وكانت مدة ملكه ^(١) ثلاثا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (يزدجرد) ثمانيا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (هرمز) ثم مات . فملك بعده أخوه (فيروز) سبعا وعشرين سنة ، وظهر في أيامه غلاء شديد . ثم ملك بعده أبنه (بلاش) أربع سنين ومات . فملك بعده أخوه (قباد) ثلاثا وأربعين سنة "وفي أيامه ظهر مردك الزنديق وادعى النبوة" ثم خلع . وملك بعده أخوه (جاماسف) [ثم تغلب عليه قباد واستمر في الملك] ثم مات . وملك بعده (أنوشروان) ثمانيا وأربعين سنة، وقتل مردك الزنديق وأتباعه وجماعة من المانوية . وغلب على اليمن وأتزعها من الحبشة ، وفي زمانه ولد عبدالله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ! ثم ولد النبي صلى الله عليه وسلم ! في آخر أيامه ؛ ثم مات . وملك بعده أبنه (هرمز) نحو ثلاث عشرة سنة ونصف . ثم ملك (أبرويز بن هرمز) ؛ ثم غلبه على الملك (بهرام جو بين) من غير أهل بيت الملك ؛ ثم عاد أبرويز إلى الملك وملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وتزوج شيرين المغنية وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين . ثم ملك بعده أبنه (شبرويه) تغلبا على أبنه ثمانية أشهر . ثم ملك بعده أبنه (أردشير) سنة وستة أشهر . ثم ملك بعده (شهریان) من غير بيت الملك ثم قتل . وملك بعده (بوران) بنت أبرويز سنة وأربعة أشهر . ثم ملك بعدها (خشندة) من بنى عم أبرويز أقل من شهر . ثم ملك بعده (أزميدخت) بنت أبرويز أخت بوران . ثم قتلت ؛ وملك بعدها (كسرى بن مهر خشندخت) ؛ ثم قتلوه بعد أيام ؛ ثم ملك بعده

(١) الزيادة من تاريخ أبي الفداء لثم الكلام ويستقيم

(٢) » » » بالكى لتسم الكلام

فرخ زاد خسرو [من أولاد أنوشروان وملك ستة أشهر وقتلوه؛ ثم ملك] (يزدجرد) وهو آخرهم .

الضرب الثاني

(ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(عُثماني الخلفاء)

قد تقدم أن فتحها كان في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتوالت عليها عُثماني الخلفاء في بقية خلافة عمر ، ثم في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومقامهما يومئذ بالمدينة النبوية ، فملك بريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعد قتل عثمان ، جعل إقامته بالعراق ، ثم كان بعده ابنه الحسن السبط رضي الله عنه . فأقام بالعراق إلى أن سلم الأمر إلى (معاوية بن أبي سفيان) فحسارت الخلافة إلى بني أمية ، وجعلوا دار إقامتهم بالشام وتوالت على هذه المملكة توابعهم في خلافة معاوية ، ثم (ابنه يزيد) ، ثم (معاوية بن يزيد) ، ثم (مروان بن الحكم) ، ثم (عبد الملك بن مروان) ، ثم (الوليد بن عبد الملك) ، ثم (سليمان بن عبد الملك) ، ثم (محمد بن عبد العزيز) ، ثم (يزيد بن عبد الملك) ، ثم (هشام بن عبد الملك) ، ثم (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ، ثم (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) ، ثم (إبراهيم بن الوليد) ، ثم (مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم) وهو آخرهم .

(١) أي ابن شهریار . وبقيت شبه في تاريخ أبي الفداء والزيادة من لفظ الكلام .

الطبقة الثانية

(خلفاء بني العباس)

وقد تقدم في أول هذه [المقالة] أن دار مقامهم كانت بالعراق، وأن أول من ولي منهم الخلافة (أبو العباس السفاح)، فبنى المدينة الهاشمية ونزلها، ثم انتقل منها إلى الأنبار فكانت دار مقامه إلى أن مات، ثم كان بعده أخوه (أبو جعفر المنصور) فبنى بغداد وسكنها، ثم سكنها بعده ابنه (المهدي) بن المنصور، ثم ابنه (الهادي)^(١)، ثم أخوه (هارون الرشيد) بن المهدي، ثم ابنه (الأمين)، ثم أخوه (المأمون)، ثم أخوه (المعتصم) بن الرشيد، ثم (الواثق) بن المعتصم، ثم أخوه (المتوكل)، ثم ابنه (المتصر)، ثم (المستعين بن المعتصم)، ثم (المعتمد بن المتوكل)، ثم (المهدي) ابن الواثق، ثم (المعتمد بن المتوكل)، ثم (المعتضد بن الموفق طلع) بن المتوكل، ثم ابنه (المكتفي) بن المعتضد، ثم أخوه (المقدر)، ثم (المرتضى) بن المعتمد، ثم أخوه (القاهر)، ثم (المقدر) المقدم ذكره، ثم أخوه (القاهر) المقدم ذكره، ثم ابن أخيه (الراضي)، ثم أخوه (المتقي)، ثم ابن عمه (المستكفي)، ثم ابن عمه (المطيع)، ثم ابنه (الطائع)، ثم (القادر)، ثم ابنه (القائم)، ثم ابنه (المعتدي)، ثم ابنه (المستظهر)، ثم ابنه (المسترشد)، ثم ابنه (الراشد)، ثم (المقتفي) بن المستظهر، ثم ابنه (المستجد)، ثم ابنه (المستضي)، ثم ابنه (الناصر)، ثم ابنه (الظاهر)، ثم ابنه (المستنصر)، ثم ابنه (المستعصم) وقتله هولاكو ملك التتار الآتي ذكره، في العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة، وهو آخرهم ببغداد.

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ كَانَ قَدْ وَهِيَ وَضَعُفَ، وَتَنَاهَتْ فِي الضَّعْفِ أَيَّامَ الرَّاضِي، وَتَقَلَّبَ عُمَلَاءُ الْأَطْرَافِ عَلَيْهَا، فَاسْتَوْلَى مُحَمَّدُ بْنُ رَاقٍ مِنَ الْفِرَاتِ عَلَى الْبَصْرَةِ.

(١) سقط من قلم الناحي فأثبتناه ليم الكلام وينظم.

والبريدى على خوزستان، وعماد الدولة بن بويه على فارس، ومحمد بن الياست على كرمان، وركن الدولة بن بويه على الري وأصفهان. وبنو حمدان على الموصل وديار بكر وديار مضر وديار ربيعة، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك آخر. ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، وأستولى آبن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر، وأقام سنة وعشرة أشهر، ثم صار الأمر بعده إلى (يحكم) مملوك وزير (ماكان) بن كاكى الديلمى وأستقر أيام الراضى فقتل، وأستقر (البريدى) بعده فى أيام المتقى وأيام المستكنى. وضربت ألقابه على البنائير والدرهم، وخطب باسمه على المنابر، وأستمر ذلك لذويه من بعده، ثم ملك بعده (بختيار)؛ ثم آبن عمه (عضد الدولة) بن ركن الدولة حسن بن بويه؛ ثم آبنه (صمصام الدولة) بن عضد الدولة؛ ثم أخوه (شرف الدولة) شيرزبك بن عضد الدولة؛ ثم أخوه (بهاء الدولة أبو نصر) بن عضد الدولة؛ ثم آبنه (سلطان الدولة أبو شعاع)؛ ثم آبنه (بهاء الدولة)؛ ثم أخوه (مشرف الدولة آبن بهاء الدولة)؛ ثم أخوه (جلال الدولة) أبو الطاهر بن بهاء الدولة؛ ثم آبن أخيه (أبو كاليبجار) بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة؛ ثم آبنه الملك الرحيم (خسرو فيروز) آبن كاليبجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة آبن بويه. وبنو بويه هؤلاء ينسبون إلى يزيدجرد ملك الفرس.

ثم كانت دولة السلجوقية. وهى من أعظم الدول الإسلامية، ونسبتهم إلى سلجوق بن دقاق أحد مقدى الأتراك، وبهم زالت دولة بنى بويه عن بغداد وأعمال الخلافة.

وأول من ملك منهم (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلجوق فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة؛ ثم ملك بعده آبن أخيه (ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل؛ ثم آبنه

(١) فى الأصل "ثم آبنه"، وهو خلاف الواقع.

(٢) أجمعت التواريخ على إسقاط هذا من الين، وهو ما تقتضيه عبارة المؤلف.

(ملكشاه) بن ألب أرسلان ؛ ثم أبوه (محمود بن ملكشاه) ؛ ثم أخوه (برتيكار) ؛
 ابن ملكشاه ؛ ثم أخوه (محمد بن ملكشاه) ؛ ثم أبوه (محمود بن محمد) ؛ ثم أبوه
 (داود بن محمود) ؛ ثم عمه (طغرليک) بن محمد ؛ ثم أخوه (مسعود) بن محمد ؛
 ثم ابن أخيه (ملكشاه) بن محمود ؛ ثم أخوه (محمد بن محمود) . ثم قام منهم ثلاثة : وهم
 (ملكشاه بن محمود) أخو محمد المذكور ؛ و (سلیمان شاه) بن محمد بن ملكشاه ، وهو عم
 محمد المذكور ؛ و (أرسلان شاه) بن طغرليک بن محمد بن ملكشاه . ثم قبض على سلیمان
 شاه ، ومات ملكشاه ، وأنفرد أرسلان شاه بن طغرليک بالسلطنة . ثم ملك بعده
 ابنه (طغرليک) بن أرسلان شاه وبقى حتى قتل علاء الدين تگش صاحب خوارزم
 وبعض نرأسان والرئ وغيرها ، في خلافة الناصر لدين الله في سنة تسعين وخمسمائة ،
 واشتغل (خوارزم شاه) عن فصل العراق فبقى بيد الخلفاء من لدن الناصر لدين الله ،
 ومن بعده إلى أن انقرضوا بفعله هولاكو ملك التتر الآتي ذكره .

الطبعة الثالثة

(ملوكها من بني جنكروخان)

واقل من ملكها منهم (هولاكو) بن طولي بن جنكروخان المقدم ذكره ، قصدها بأمر
 أخيه منكوقان بن طولي صاحب التخت في سنة خمسين وسبعمائة ، وقتل المستعصم
 آخر الخلفاء ببغداد ، وأستولى على جميع المملكة . قال في "مسالك الأبصار" : قال
 شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني : إلا أن هولاكو لم يملك ملكا مستقلا بل
 كان نائبا عن أخيه منكوقان ، ولم يضرب بأسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت
 تضرب باسم أخيه منكوقان . قال : وكان يكون لصاحب التخت أمير لا يزال مقيا
 في مملكة إيران مع هولاكو ، ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وسمائه ؛ وملك بعده (أبنا) . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني : ولما ملك
أضاف اسمه في السكة إلى اسم صاحب التخت ، وكان قد وجه أخاه منكوتر إلى
الشام وألقى مع الجيوش الإسلامية على يَمَصَّ ، وأنكر عليها ؛ ومات سنة إحدى
وثمانين وسمائه ؛ وملك بعده أخوه (يوكدار بن هولاءكو) وأسلم وحسن إسلامه
وتلقب أحمد سلطان ، وحمل السكر على الإسلام فقتلوه ؛ وملك بعده ابن أخيه
(أرغون) بن أبنا بن هولاءكو في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وسمائه ،
وتوفي في ربيع الأول سنة تسعين وسمائه ؛ وملك بعده أخوه (كيختو) فخرج
عن الياسة وأغش في الفسق بنساء المخل وأبنائهم ، فوثب عليه بنو عمه فقتلوه
في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وسمائه ؛ وملك بعده (بيدو بن طرغاي)
ابن هولاءكو ، وبقى حتى قتل في ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ وملك بعده
(محمود غازان) بن أرغون بن أبنا بن هولاءكو ، ودخل إلى الشام ، وكان بينه
وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقعات يَمَصَّ وغيرها أضرها على شَقَّحَب ، كُسر
فيها كسرة فاحشة ، هلك فيها معظم عسكره في سنة اثنتين وسبعائة ، وبقى حتى توفي
في ثالث عشر شوال سنة ثلاث وسبعائة ؛ وملك بعده أخوه (خدابندا) والعالمه
تقول خربندا بن أرغون بن أبنا بن هولاءكو في الثالث والعشرين من ذى الحجة
سنة ثلاث وسبعائة ؛ ثم ملك بعده (أبو سعيد بن خدابندا) وهو آخر من ملك من
بنى هولاءكو ، وكان بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون مكاتبات ومراسلات وتوقد
بعد وحشية ، وبموته تفرقت المملكة بأيدي أقوام ، وصارت شبيهة بملوك الطوائف
من الفُرس .

قال في "مسالك الأبصار" بعد ذكر أبي سعيد : ثم هم بعده في دهاء مظالمه ،
وعمياء مقتميه ؛ لا يُفَضَّى ليلهم إلى صباح ، ولا فرقتهم إلى اجتماع ، ولا فسادهم إلى

صَلَّاحٌ ؛ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ هَائِفٌ . يَدْعِي بِأَسْمِهِ ، وَخَائِفٌ ، أَخَذَ جَانِبًا إِلَى قَسَمِهِ ؛ وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَتَغَلَّبُ وَتَقِيمُ قَائِمًا يَقُولُ هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الْقَانِ ، وَتَنْسِبُهُ إِلَى فَلَانٍ ؛ ثُمَّ يَضْمَعُ لُأَمْرِهِ عَنْ قَرِيبٍ ، وَلَا تَلْحَقُ دَعْوَتُهُ حَتَّى يَدْعِيَ فَلَا يَجِيبُ ، وَمَا ذَلِكَ مِنَ الدَّهْرِ بِمُعْجِبٍ . وَذَكَرَ نَحْوَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" "وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : "وَكَانَ الْعَهْدُ بِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَسُلْطَانٍ فَرْدٍ مَطَاعٍ ، وَعَلَى هَذَا مَضَتْ الْأَيَّامُ إِلَى حِينٍ وَفَاةِ أَبِي سَعِيدٍ ، فَصَاحَ فِي جَنَابَاتِهَا كُلِّ نَاعِقٍ وَقَطَعَ رِءَايَهَا كُلَّ جَاذِبٍ ، وَتَفَرَّدَ كُلُّ مُتَغَلِّبٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ ؛ فَهِيَ الْآنَ تُنْهَى بِأَيْدِيهِمْ .

فَأَمَّا عِمْرَاقُ الْعَرَبِ وَهُوَ بَنْدَادٌ وَبِلَادُهَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ دِيَارٍ بَكْرٌ ، وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ ، فَبَيْدُ الشَّيْخِ حَسَنِ الْكَبِيرِ ، وَهُوَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَقْبَا مِنْ طَائِفَةِ الْتُورَانِيِّينَ ، كَانَ جَدُّهُ نَوَكْرًا مُؤَلَّكًا بِنَ طُولِي بْنِ جَنْكِرْخَانَ ، وَالنَّوَكْرُ هُوَ الرِّفِيقُ .

وَأَمَّا بَقِيَّةُ دِيَارِ بَكْرٍ ، فَبَيْدُ إِبْرَاهِيمَ شَاهِ بْنِ بَارَنْبَايَ بْنِ سُونَايَ .

وَأَمَّا مَمْلَكَةُ أَذَرْبَيْجَانِ وَهِيَ قَطْبُ مَمْلَكَةِ إِيرَانَ ، وَمَقَرُّ كَرَسِيِّ مُلُوكِهَا مِنْ بَنِي جَنْكِرْخَانَ ؛ فَهِيَ الْآنَ بِيَدِ أَوْلَادِ جَوْبَانَ ، وَبِهَا الْقَانُ الْقَائِمُ بِهَا (سَلْجَانُ شَاهٍ) . قَالَ :
وَلَا أَعْرِفُ صَحَّةَ نَسَبِهِ وَلَا سِيَاقَتَهُ بِالْدَّعْوَى .

وَأَمَّا خِرَاسَانُ ، فَبَيْدُ الْقَانِ طَفِيفْتِمَرِيَارٍ . وَهُوَ صَحِيحُ النِّسَبِ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفُ أَسْمَ آبَائِهِ .

: وَأَمَّا بِلَادُ رُومٍ ، فَقَدْ أَضْيِفَتْ إِلَى إِيرَانَ مِنْهَا قِطْعَةٌ صَالِحَةٌ ، وَبِلَادُ نَازَحَةٍ ؛
ثُمَّ قَالَ : وَهِيَ الْآنَ بِيَدِ أَرْتَا ، وَقَدْ نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ لِبَعْرِفٍ .
قُلْتُ : ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ عَنْ ذَلِكَ .

الجملة الثامنة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فالمعتبر فيها معاملة ثلاث قواعد .

الأولى - (بغداد) ، قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن ببغداد دينارين .
 أحدهما يسمى العوال ، عنه أنشأ عشر درهما ، الدرهم بقيراط وحبتين . وذلك أن
 الدينار عشرون قيراطا ، كل قيراط ثلاث حبات ، كل حبة أربعة فلوس من الدرهم
 النقرة ، عن كل فلس فلسان أحمران . والثاني الدينار المرسل ، عنه عشرة دراهم ،
 وبه أكثر مبيعاتهم ومعاملات تجارهم . وقد اختلف أصحاب الشافعية في رطل
 بغداد . فذهب الرافعي إلى أنه مائة وثلاثون درهما وهو الموجود فيها الآن ، وعليه
 أقصر في "مسالك الأبصار" . وذهب الشيخ محي الدين النووي إلى أنه مائة
 وسبعة وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم ، والمن بها رطلان بالتوراني . ومكاييلها
 أكبرها الكُرُّ ، وهو ثلاثون كارة ، كل كارة قفيزان ، فيكون الكُرُّ [ستين] قفيزا ، والقفيز
 مكوكات كل مكوك خمس عشرا^(١)ق . وتختلف الكارة في الغلال ، فالقمح كارة
 مائتان وأربعون رطلا ، وكارة الأرز ثلثمائة رطل ، وكارة كل من الشعير والجحش
 والعديس والمُرطمان مائة رطل ، وكارة الحبة السوداء ، وهي الشونيز مائة رطل .

الثانية - (توريز) قاعدة أذربيجان وسائر المملكة غير بغداد ونهرسان . فمعاملاتها
 بدينار يسمى عندهم بالراج ، عنه ستة دراهم .

الثالثة - (نيسابور) قاعدة نهرسان . فدينارها أربعة دراهم ، وفي بعضها الدينار
 الراج المقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يساع بتوريز وبلادها

(١) كذا في الأصل ، وقد تكلم على المكوك صاحب القاموس وصاحب اللسان بأوضح مما هنا .

في الغالب قُح ولا شعير ونحوهما إلا بالميزان، وليس لهم إلا المُنْ، وهو بتؤر يزِرْطَلان بالبغدادى، فتكون زنته مائتين وستين درهما، وبالسلطانية المُنْ ستمائة درهم .
وأما أسعارها فنقل في "مسالك الأبصار" عن يحيى بن الحكم الطيارى في السعر ببغداد : أن كُرَّ القمح بتسعة وثلاثين دينارا ونصف دينار، والشعير بخمسة عشر دينارا، كلاهما من العوال . ثم قال : ولعل هذا هو السعر المتوسط، لا يكاد يميل فيه القانون عن معتله . وذكر أن الأسعار بتبريز والسلطانية إذا لم ينزل عليها السلطان، فأسعارها رخيصة لا إلى غاية، وكل بلد ينزل عليه السلطان غلت أسعاره، ولعل هذا قد تغير كلها في زماننا كما تغير غيره من الأحوال .

الجملة التاسعة

(في ترتيب هذه المملكة على ما كانت عليه في زمن نبي هولاكو، آخر أيام أبي سعيد : من الأمراء والوزراء وأرباب الوظائف)

أما الأمراء . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنهم عندهم على أربع طبقات أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف، ويعبر عنه بأمير تومان، إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف ، ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة . قال في "التعريف" : (وحكام دولة هذا السلطان أمراء الألوُس، وهم أربعة، أكبرهم بكلارى بك، وهو أمير الأمراء، كما كان قطلوشاه عند غازان، وهو بان عند خدابندا، ثم عند أبي سعيد). قال : وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يُفصل جليل أمر إلا بهم، فمن غاب منهم كتب في اليرائع : وهى المراسيم كما يكتب لو كان حاضرا، ونائبه يقوم عنه . وهم لا يَمْضُون أمرا إلا بالوزير، والوزير يَمْضِي الأمور دونهم ويأمر نوابهم فتكتب أسماءهم، والوزير هو حقيقة السلطان، وهو المنفرد بالحديث في المسال ،

والولاية، والعزل، حتى في جلائل الأمور كما كانت بكلارى بك يقتضت في أمر
العسكر بمفرده. فأما الاشتراك في أمور الناس فبهم أجمعين، وليس للأمرء في غالب
ذلك من العلم إلا ما علم توابعهم.

قال في "مسالك الأبصار" نقلا عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى: وأمر
الجيوش والعساكر إلى كبير أمرء الألويس المسمى بكلارى بك، كما كان قتلوشاه مع
السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابندا، وجوابان مع خدابندا، ثم بعده مع ولده
السلطان أبى سعيد بهادرخان، والشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع خاتنه السلطان
محمد بن طشتمر بن اشتمر بن غبري، وإليه يقطع أمر كل ذى سيف. قال: وأمر
متحصلات البلاد ودخلها ونخرجها إلى الوزير، وإليه يرجع أمر كل ذى قلم ومنصب
شرعى، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع، لا يساور السلطان
إلا فيا جل من المهمات وما قل من الأمور، وهو السلطان حقيقة وصاحب البلاد
معنى، وإليه ترجع الأمور كلها، وإليه عقدها وحلها. أما السلاطين بها فلا آلتفات
لهم لأمر ولا نهى ولا نظر في متحصل ولا دخل ولا نخرج. قال: وعدة جيوشهم
المتزلة في دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانا. أما إذا أرادوا فإنهم يركبون بثلاثين تومانا
وما يزيد عليها، وعامة العسكر لا تزال أسماؤهم في دواوينهم على الأفراد، وكل طائفة
منهم طيهم في الديوان فارس معين، إذا رسم لهم بالركوب ركب العدة المطلوبة. قال:
وقد ذكر أنه كان في هذه المملكة عدة ملوك كصاحب هراة، وحلول الجبل هم كالعبيد
لنائبها الأكبر متقادون إليه وداخلون تحت طاعته.

وأما القضاة فعادة هذه المملكة أن يكون بها في محبة السلطان قاضى قضاء الممالك،
وهو الذى يولى القضاة في جميع المملكة على نسأى أقطارها إلا العراق، فإن لبغداد
قاضى قضاء مستقل بها يولى فيها وفى بلادها من جميع عراق العرب.

وأما الثَّغَابُ وأصحاب الدَّواوين : من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال ، فعلى
أتمّ نظام وأعدل قاعدة .

الجنس العاشرة

(فيا لأرباب المناصب والجُند من الرزق على السلطان)

قد نقل في "مهالك الأبصار" عن نظام الدين الطياري : أن المقرّر للأمراء
في القديم من زمن هولاكو لكل نوين (أمير) توماناً : وهو عشرة آلاف دينار راجح ،
عنها سستون ألف درهم . ثم زائد الحال بهم حتى لا يقنع النوين فيهم إلا بنجسين
ألف^(١) تومان . وهي خمسمائة ألف دينار راجح ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومن
نجسين توماناً إلى أربعين توماناً . وكان قد استقر لجوبان ، وهو يومئذ بكلارى بك
ثم لمن بعده ثلثمائة تومان ، وهي ثلاثة آلاف ألف دينار راجح ، عنها ثمانية عشر
ألف ألف درهم مع ما يحصل لكل من أمراء الألوس الأربعة من الخدم الكثيرة
في البلاد جميعها عند تقريرات الضمان بها على عُثمانيها . قال : وأما أمير ألف ومَنْ
دونه ، فلا يتجاوز أحد منهم تقريره القديم في الديوان : وهو لأمر الألف ألف دينار
راجح . عنها ستة آلاف درهم . وأما أمير المائة وأمير العشرة وكل واحد من العسكرية
إلى الجند فمائة دينار راجح . عنها ستمائة درهم لانتفاوت بينهم ، وإنما تبقى مزية أمير
المائة أو العشرة أنه يأخذ لنفسه شيئاً مما هو للعسكرية ، ولكل طائفة أرض لتزويهم ،
توارثها الخلف عن السلف منذ ملك هولاكو البلاد ، فيها منازلهم ، ولم بها مزدراع
لأقواتهم ، لكنهم لا يعيشون بالحرث والزرع .

وأما الخواتين فإنه يبلغ ملخاتون الواحدة في السنة مائتي تومان ، وهو ألف ألف^(٢)

(١) لعل لفظ ألف من زيادة الناصح كما يستفاد من الفذلكة بعد قائل .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب ألفا ألف بالثنية ليعتم الحساب .

دينار رايح، عنها اثنا عشر ألف ألف درهم، وما دون ذلك إلى عشرين تومانا، وهو مائتا ألف دينار. عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم.

وأما الوزير فله مائة وخمسون تومانا، وهو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار رايح، عنها تسعة آلاف ألف درهم، ولا يقنع بعشرة أضعاف هذا في تقادير البلاد.

وأما الخواجكية من أرباب الأقلام، فمنهم من يبلغ في السنة ثلاثين تومانا، وهي ثلثمائة ألف دينار، عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم. ثم قال: والذي للأمرءاء والسكرية لا يكتب به مرسوم، لأن كل طائفة ورثت مالها من ذلك عن آبائها، وهم على الجهات التي قررها لم هؤلاء لم تتغير بزيادة ولا نقص، إلا أكابر الأمرء الذين حصلت لهم الزيادات فإنه في ذلك الوقت كتب لهم بها بأمر القان أصدرها الوزراء عنه، ومن الخواطين من أخذ بماله أو ببعضه بلدا فهي له. قال: وفي هذه المملكة ما لا يحصى من الإدارارات والرسومات حتى إن بعض الرواتب يبلغ ألف دينار.

وأما الإدارارات من المبلغ أو القرى، فإنها تبقى لصاحبها كالملك يتصرف فيه كيف شاء من بيع وهدية ووقف لمن أراد.

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب أمور السلطان بهذه المملكة على ما كان الأمر عليه)

حكى في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن أهل هذه المملكة من التتر كانوا قد داخلوا المعجم وزوجوهم وترجوا منهم، وخطبوا بالنفوس في الأمور. فتفخمت قواعدهم، وجرت على عوائد الخلفاء والملوك في غالب الأمور قوانينهم.

ثم للسلطان بهذه المملكة شَتَّى ومَصِيف :

فأما مَشَاهِدُ فَيَأْوِجَانُ بظَاهِرِ تبرِيزَ ، وهو مكانٌ متسعٌ ذو مَرُوجٍ ومياهٍ على ما تقدّم ذكره ، وبه قُصُورٌ لأَكْبَرِ الأُمراءِ والنَحْوَاتين . أما عامة الأُمراءِ والنَحْوَاتين ، فإنهم يتخذون زُرُوباً من القصب كالخفاثر يترّزون بها ، ويتصبّون معها الحركات وانطباعاً ، فتصير مدينة متسعة الجوانب ، فسيحة الأرجاء ، حتّى إذا خرجوا لمصيفهم راحلين عنها ، أحرقوا تلك الخفاثر لكثرة ما يتولد فيما بقي منها من الأفاعى والحيات ، ولا يزالون بما يُغرم عليها من كثير الأموال .

وأما مَصِيفُهُ فكأنَّ يعرف بقراباغ ، ومعناه البستان الأسود ، وفيه قُرَى ممتدة ، وهو صحیح الهواء ، طيب الماء ، كثير المَرعى . وإذا نزل به الأردوا ، وهو وطاق السلطان وأخذت الأُمراء والنَحْوَاتين منازلهم ، نُصب هناك مساجدُ جامعة ، وأسواق متوّعة ، يوجد بها من كل ما فى أمهات المدن الكبار حتّى يكون بها أسواق لا ينكر أحد على أحد ، بل كل أحد وما استحسن ، إلا أن الأسعار تغلو حتّى يصير الشيء بقيمة مثليه أو أكثر لكلفة الحمل ومشقة السفر . وذكر أنه كان من عادة سلطانهم أنه لا يعمل موكباً ، ولا يجلس لخدمة ولا لقراءة قصص حكيّة وإبلاغ مظلّم إليه ، بل له من أبناء الأُمراء خاصّة له يقال لهم الإنشافية ، يكونون حوله لا يكاد منهم من يفارقه .

وأما الأُمراء فإنهم يركبون فى غالب الأيام على نحو عشرين قَلْوَةً سهم منها إلى باب الكرباس ، وتتصب لهم هناك كراسى صندلية ، يجلس كل أمير منهم على كرسى منها بحسب مراتبهم : الأعلى ثم الأدنى ، ويدخل الوزير فى بكرة كل يوم على القان ، ويبقى الأُمراء على باب الكرباس ، فإذا أن يخرج لهم القان ، وإما أن يأذن لهم فى الدخول ، أو لا هذا ولا هذا . فإذا حضر طعام القانِ بعت إلى كل أمير منهم شيئاً للأكل بمفرده يأكله هو ومن أنضمّ معه ، فإيا كلون ثم يتفرّقون ويذهبون إلى حالهم ، ومن تأخر منهم عن الحضور لم يطلب بحضور إلا أن تدعو الحاجة .

أما الظَّلَامَات فإن كانت متعلّقة بالعسكرية، فالى أمير الألوُس . وإن كانت متعلّقة بالبلاد والأموال أو الرعايا، فالى الوزير . بل أكثر الظَّلَامَات لا يفصلها إلا الوزير للملازمة باب القان، بخلاف أمير الألوُس لقلة ملازمته، ثم قال: وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة، بل كل من أنضوى إلى خاتون من الخواتين أو أمير من الأمراء أو كبير من الخواجكية، قام بأمره إما في قضاء حاجة يطلبها، أو إزالة غَلَامَة يشكوها. حتى إن من الخواتين والأمراء من يقتل ويؤسّط بيده بغير أمر القان ولا أمير الألوُس .

الجملة الثانية عشرة

(فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة)

أما اليرلغ: وهى المراسيم، فالمتعلق بالأموال تسمى الطن طمغا ويكون صدورها عن رأى الوزير، وكذلك المتعلق بالبريد . والمتعلق بالعسكرية صادر عن أمير الألوُس . وليس لأحد على الجميع خط إلا الوزير . وإنما العادة أن يأمر الوزير بكتابة ما يرى، ثم تؤخذ خطوط المتحدثين فيما يكتب، ثم تحرر مسودة وتعرض على الوزير فيما امر بتدبيرها، فإذا بيّضت كتب عليها اسم السلطان . ثم تحته اسم الأمراء الأربعة . ويخلّى تحته مكان لخط الوزير، ثم يكمل اليرلغ ويختتمه بالتاريخ شخص مُعد لذلك غير من يكتب، ثم يكتب الوزير في المكان الخالى " فلان سورى " أى هذا كلام فلان يسمى نفسه .

ثم إن كان متعلقا بالمال أثبت بالديوان المتعلق به، وإلا فلا . وأما المتعلق بالعسكر، فنشأ الأمر فيه عن أمير الألوُس بأمرهم على بقية الترتيب، ولا خط لأمر الألوُس بيده . وعادة أصحاب الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا يعلم صاحب علامة حتى يرى خط نائبه عليه أولا ليَعْلَم أنه قد ثبت عنده .

قلت: وقد اختلفت الأحوال بعد ذلك وتغيرت عما كانت عليه في جُل الأمور.

المملكة الثانية

(مما بيد بني جنكرخان مملكة توران)

قال في "المشترك" : بضم المثناة من فوق وسكون الواو ثم راء مهملة وألف ونون . قال في "التعريف" : وهي من نهر يُلغ إلى مطلع الشمس على سمت الوسط ، فما أخذ عنها جنوبا كان بلاد السند ثم الهند ، وما أخذ عنها شمالا كان بلاد الخفجاء ، وهي طائفة القبجاق ، وبلاد الصقلب ، والجهار كس ، والروس ، والماجار ، وما جاورهم من طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشمال . قال : ويدخل في توران ممالك كثيرة ، وبلاد واسعة ، وأعمال شاسعة ، وأمم مختلفة لانكاد تحصى ، تشمل على بلاد غزنة ، والباميان ، والقور ، وما وراء النهر الذي هو نهر جيحون ، نحو بخارا وسمرقند والصغد ومجند وغير ذلك ، وبلاد تركستان وأشروسنة وقرغانة ، وبلاد ساغون وأطراز وصر يوم ، وبلاد الخطا نحو شمالق والمالط إلى قراقوم ، وهي قرية جنكرخان التي أخرجته ، وعير سبته التي أدرجته . إلى ما وراء ذلك من بلاد الصين وصين الصين . ثم قال : وكل هذه ممالك جليله ، وأعمال حفيله . أما في "المشترك" : فإنه قد جعل توران أسماء لمجموع ما وراء النهر من مملكة الهياطلة ، وهي جزء مما تقدم ذكره .

وقد قسم في "التعريف" : مملكة توران إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول - منها غزنة وبخارا وسمرقند وعامة ما وراء النهر و تركستان .

قال في "مسالك الأبحار" : وما بعده وما معه . قال : وهي من أجل الممالك وأشهرها . ثم قال : وهي ممالك طائفة السمنه ، طائفة البقعه ، أميرة ملوك ، وأفق علماء ، ودارة أكابر ، وسمقند ألوية وبنود ، وبحرى سوابق وجنود ، كانت

(١) عبارة "التعريف" وأما مملكة توران فهي مقسمة ثلاثة أقسام وبها سلطانان سلطان سلطان كافر . ثم تكلم على المكتبة إلى الجميع .

بها سلطنة الخانية وآل سامان وبنى سُبُكْتِكِين والقُورِيَّةُ؛ ومن أَقْبَحُها بَرِغْتَ شمسُ
آل سَلْجُوق، وأمنت في الإشراف والشُّرُوق؛ وغير هذه الدول مما طَمَّ سَهْلُ هذه
الممالك على قربها. كانت قبل آنتقالها إلى الإسلام، في ملوك الترك لا ترمى ولا
ترام، ولا يشق لها سهام؛ حتَّى [إذا] خيم بها الإسلام وحاز ملكها هذه الأمة، برقت
بالإيمان أَسْرَتُها، وتطهرت بالجوامع والمساجد قراها؛ ثم بنيت بها المدارس والخوانق
والربط والزوايا، وأبحرت الأوقاف عليها، وكثر من العلماء أهلها، وسارت لها
التصانيف المشهورة في الفقه والحديث والأصول والخلاف، وكان فيهم الرؤساء
والأعلام، والكبراء أهل البحث والنظر. ثم قال: وهي في أواسط المعمور وأوسع
الأرض إذا قيل لها أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها ماء ومرعى، لم يَغَيِّرِ القائلُ
الحقُّ في أوصافها؛ ذات الأنهار السارحة، والمروج الممتدة؛ كأنما نشرت الحُلَّ على
آفاقها، وثرت الحل على حصبتها.

ويرجع المقصود منها إلى سبع جمل.

الجملة الأولى

(في ذكر حدودها، وطولها وعرضها، وموقعها من الأقاليم السبعة)

أما حدودها وطولها وعرضها. فقَالَ في "مسالك الأبصار": وهي واقعة بشرق
محيط أخذة إلى الجنوب؛ يحدها السَّند من جنوبيها، والصَّين من شرقيها، وشَوَارِزُ
وإيران من جنوبيها، وطولها من ماء السند إلى ماء ايلان المسعى قراخوجا، وهي
تلي برا الخطأ، وعرضها من وَتَج وهو منبع نهر جَيْحُون إلى حدود كُرْكَانَج قاعدة
خَوَارِزْم؛ وحدها من الجنوب جبال البُتْم وماء السَّند الفاصل بينها وبين السَّند؛
ومن الشرق أوائل بلاد الخطأ؛ ومن الشمال مراعي باران وكند وبعض نراسان

(١) لعله من غربها.

إلى بحيرة خُورَازْمَ، ومن الغرب بعض خُرَّاسَانَ إلى خُورَازْمَ إلى مجرى النهر أخذاً على الختل . ثم حكى عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن بلاد هذه المملكة متصلة بخُرَّاسَانَ متداخلة بعضها ببعض، لا يفصل بينهما بحر ولا نهر ولا جبل ولا مَازَاة، بل بينها وبين خُرَّاسَانَ أنهار جارية ومزارع متصلة .

الجملة الثانية

(فيما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهى سبعة أقاليم)

الإقليم الأول منها

(ما وراء النهر)

قال في "تقويم البلدان" : والذي ظهر لنا في تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خُورَازْمَ، ومن الجنوب نهر جِيحُونْ من لَدُنْ بَدَخْشَانَ إلى أن يتصل بحدود خُورَازْمَ، فإن جِيحُونْ في الجملة يجرى من الشرق إلى الغرب، وإن كان يعرض فيه عَطَفَاتٌ تجري جنوباً مرةً وشمالاً أخرى . ثم قال : أما حدوده من الشرق والشمال فلم نتضح لى . قال صاحب "كتاب أشكال الأرض" : وما وراء النهر من أخصب الأقاليم منزلة، وأزهرها وأكثرها خيراً، وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير، وأستجابة لمن دعاهم، مع قلة غائلة، وسلامة ناحية، وسماحة بما ملكت أيديهم، مع شدة شوكة ومنعة وبأس وتجدة وعدة، وآلة وكراع وبسالة وعلم وصلاح، وليس من إقليم إلا ويُفَحِّطُ أهله مراراً قبل أن يُفَحِّطَ ما وراء النهر مرةً واحدة، ثم إن أحسوا برد أو يجراد أو بآفة تأتي على زروعهم وغلاتهم، ففي فضل ما يسلم في عروض بلادهم ما يقوم بأوْدِيعِهِمْ حتى يستغنوا به عن شئ، ينقل إليهم من غير بلادهم . قال : وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مُدُنْ

أَوْ قَرَى أَوْ مَرَّاجَ لِسَوَاتِمِهِمْ ؛ وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لَا يَذُوقُ النَّاسُ مِنْهُ إِلَّا وَعِنْدَهُمْ مِنْهُ مَا يَقِيمُ
أَوَدَهُمْ وَيُقْضَى عَنْهُمْ لَفِيهِمْ ؛ وَمِيَاهُهُمْ أَغْذَبَ الْمِيَاهِ وَأَبْرَدَهَا وَأَخَفُّهَا ، وَقَدْ عَمَّتْ
جِبَالُهَا وَضَوَائِحُهَا وَمُدَّتْهَا إِلَى التَّحْكَنِ ^(١) مِنَ الْخِذِّ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِهَا ، وَالتَّلَوُّجِ مِنْ جَمِيعِ
نَوَاحِيهَا ، وَالغَالِبُ عَلَى أَهْلِ الْمَالِ وَالثَّرَةِ بِهَا صَرْفُ الْمَالِ فِي عَمَلِ الْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ
الرُّبُطِ وَعِمَارَةِ الطَّرِيقِ ، وَالْأَوْقَافِ عَلَى سُبُلِ الْجِهَادِ وَوُجُوهِ الْخَيْرِ ، وَعَقْدُ الْقَنَاطِرِ ،
إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ ذَوِي الْبَطَالَةِ .

وَفِيهَا مِنَ الدَّوَابِّ الْخَيْلُ وَالْبَقَالُ وَالْحَمِيرُ وَالْإِبِلُ الْبُخْتُ وَالْبَقَرُ ، وَالْقَتَمُ أَكْثَرُهُمْ
فَإِنَّهَا كَمَا يُقَالُ أَعَزُّهَا لِلزَّرَائِبِ ، وَفِيهَا مِنَ الْمَبَاحِ مَا فِيهِ كِفَايَتُهُمْ ، وَلَهُمْ مِنْ نَسَاجِ الْقَتَمِ
الْكَثِيرِ وَالسَّائِةِ الْمَرْطَةِ . وَذَكَرَ أَنَّهُ يَوْجَدُ عِنْدَ أَحَادِ الْعَامَةِ مِنْ عَشْرِينَ دَابَّةً إِلَى
تَمْسِينَ دَابَّةٍ لَا كُفَّةَ عَلَيْهِ فِي أَقْتِنَاتِهَا لِكثَرَةِ الْمَاءِ وَالْمَرْعى .

وَفِيهَا مِنَ الْحُبُوبِ الْقَمْحُ وَالشَّعِيرُ وَالْحَمْصُ وَالْأَرْزُ وَاللُّخْنُ وَسَائِرُ الْحُبُوبِ خِلَا
الْبَاقِلَا ؛ وَبِهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ الْمُنَوَّعَةِ الْأَجْنَسُ الْعِنَبُ ، وَالتَّيْنُ ، وَالرَّمَّانُ ، وَالتَّنَاقُصُ ،
وَالْكُكُّوْنُ ، وَالسَّفَرَجَلُ ، وَالنَّخْلُوحُ ، وَالْمِشْمِشُ ، وَالتَّوْتُ . وَالْطُّيُحُ الْأَصْفَرُ . وَالْطُّيُحُ
الْأَخْضَرُ ، وَالنَّجَارُ ، وَالْقِنَاءُ .

وَفِيهَا مِنَ الْبَقُولِ اللَّفْتُ وَالْجَزْرُ وَالْكُرْبُ وَالْبَازِجَانُ وَالْقَرْعُ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الْبَقُولِ .
وَفِيهَا مِنَ الرِّاحِينَ الْوَرْدُ وَالْبَنْسَجُ وَالْأَسُّ وَاللَّيْنُوفُ وَالْحَقِيقُ ، وَلَا يَوْجَدُ بِهَا الْاُتْرُجُ
وَالنَّارَنْجُ وَاللَّيْمُونُ وَاللِّيمُ ، وَلَا الْمَوْزُ وَلَا قَصَبُ السُّكَّرِ . وَلَا الْقُلُقَاسُ ، وَلَا الْمُلُوحِيَا ،
فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ عَارِيَةٌ الْخَدَائِقُ ، خَالِيَةٌ مِنَ الْمَوْجِ ، إِلَّا مَا أَتَى بِهِ إِلَيْهَا مِنَ الْمَحْمُضَاتِ مَجْلُوبَا .
وَفِيهَا أَصْنَافُ الْمَلْبُوسِ : مِنَ الْقَزِّ ، وَالصُّوفِ ، وَطَرَائِفِ الْبَزِّ .

وَفِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ مَعْدَنُ زَيْتِيقٍ لَا يَعَادِلُهُ مَعْدَنٌ فِي الْفَزَاةِ .

(١) لَهُلَهُ كَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى التَّحْكَنِ الْخ .

وقد اشتمل ما وراء النهر على عدة كور .

(منها) السُّفْد . قال في "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الفين المعجمة ودال مهمل في الآخر، ويقال الصُّفْدُ بالصاد بدل السين، ويضاف إلى سَمَرْقَنْدَ، فيقال سَفْدُ سَمَرْقَنْدَ، وهو أحد منتزهات الدنيا الأربعة التي هي غوطة دِمَشْقَ، ونهر الأُبُلَّةِ، وشعب بَوَّانَ، وسَفْدُ سَمَرْقَنْدَ . قال ابن حوقل : وهو أزه الأربعة لأنه ممتد نحو ثمانية أيام، مشتبك الخُضرة والبساتين، لا ينقطع ذلك في موضع منه . وقد حُطَّت تلك البساتين بالأنهار الدائم جريهاً، ومن وراء الخُضرة من الجانبين مزارعٌ، ومن وراء المزارع مَرَاغَى السوائم . ثم قال : وهي أركى بلاد الله وأحسنها أشجاراً .

ومنها أَسْرُوسَنَةُ . قال في "اللباب" : بضم الألف وسكون السين وضم الراء المهملتين وسكون الواو وفتح الشين المعجمة ثم نون . قال ابن حوقل : والغالب عليها الجبال، ويحيط بها من الشرق بعض قَرَّغَانَةَ، ومن الغرب حدود سَمَرْقَنْدَ، ومن الشمال بعض قَرَّغَانَةَ أيضاً، ومن الجنوب بعض حدود كَشَّ والصَّبْغَايَانِ . قال أحمد الكاتب : ولها عدة مُدُنَ، ويقال إن بها أربعائة حصن .

(ومنها) قَرَّغَانَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الفين المعجمة وألف ونون . قال ابن حوقل : وفيها مُدُنٌ وكُورٌ، وإليها ينسب جماعة من العلماء، منهم أبو سعيد القَرَّغَانِيُّ شارح "نائية ابن الفارض" قال ابن حوقل : وبجبال قَرَّغَانَةَ معادنُ الذهب والفضة والفيروزَج والحديد .

وقاعدتها بُخَّارَا . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم ألف وراء مهمل مفتوحة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض

تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة خارجها زره كثير البساتين . قال : وليس بتلك البلدان بلد أهلها أحسن قياما على عمارة قراها منهم . ويحيط بها وبقراتها ومزارعها سور واحد اثنا عشر فرسخا، ولها كورة عظيمة تصاقب جيحون على معبر نهر آسان ، وبها يتصل سفد سمرقند . قال في "مسالك الألبار" : وهي أم الأقاليم وبم التقاسيم ، وقد كانت [مستقرا] للدولة السامانية ومركز أفلاكم الدائرة ، وكانت تلك الممالك كلها تبعا لها . قال صاحب "أشكال الأرض" : ثم لم أر ولم أسمع بظاهر بلد أحسن من بخارا . لأنك إذا علوت لم يقع نظرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء ، مكبة زرقاء على بساط أخضر ، تلوح القصور فيما بين ذلك كالثراس التنية ، أو الخجف اللطيفة ، أو الكواكب العلوية ، بين أراض وضياح مقسومة بالاستواء ، مهيطة كوجه المرأة في غاية الهندسة ، ولها سبعة أبواب حديد : وهي باب المدينة - باب يون ، وباب خضرة ، وباب الحديد . وباب قهندر ، وباب بنى أسد . وباب بنى سعد . وليس فيها ماء جار لارتفاعها ، ومياههم من النهر الأعظم الجاري من سمرقند ، وإليها ينسب الإمام الحافظ (أبو عبد الله البخاري) صاحب الجامع الصحيح في الحديث .

ولها عدة مدد :

(منها) الطواويس . قال في "الباب" : يفتح الطاء المهملة والواو وبعد ألف واو ثانية مكسورة ومثناة تحت ساكنة وسين مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من مضافات بخارا داخل الحائط الدائر على أعمال بخارا . كثيرة البساتين والماء الجاري . قال : وقد نخرت الآن . وقال في "الباب" :

هى قرية من قرى بخارا نخرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين بخارا سبعة فراسخ، وإليها ينسب الطاووسى صاحب "المصباح على الحساوى الصغير" فى فقه الشافعية، ردا لها فى النسب إلى المفرد وهو الطاوس .

(ومنها) نَحْشَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم باء موحدة . قال فى "تقويم البلدان" : فلما عربت قبل نَسَف - يعنى بفتح النون والسين المهملة وفاء فى الآخر . قال ابن حوقل : وهى فى مستوى من الأرض . والجبال منها على نحو مرحلتين مما إلى كَشْ ، وبينها وبين جِيحُون مفازة ، ولها نهر يجرى فى المدينة ويتقطع فى بعض السنة ، والغالب عليها الخِصْبُ . قال المهلبى : وهى وَبِيَّةُ .

(ومنها) كَشْ . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف ثم شين معجمة مشددة - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قدرها ثلث فرسخ فى مثله ، وهى خِصْبَةٌ وفواكهها تُدْرِك قبل فواكه غيرها من بلاد ما وراء النهر ، وطول عملها أربعة أيام فى نحوها . قال المهلبى : ولها رستاق جليل ، ولها نهران ، وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(ومنها) سَرَقَنْدُ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وسكون النون ثم دال مهملة - وموقعها فى الإقليم الخامس . قال فى "القانون" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض أربعون درجة . قال ابن حوقل : وهى قَصَبَةُ السُّغْدِ ، وهى مبنية على صَفَّة واديه ، وهى مرتفعة عن الوادى ، وحول سُورِها رسمُ خندق عظيم ، ولها نهر يدخل إليها على حمالات فى الخندق معمول بالرصاص ، وهو نهر جاهلى يُشَقُّ السوق

بموضع يعرف برأس الطاق . قال ابن حوقل : ورأيت على باب من أبوابها يسمى باب كَشْ صفحة من حديد وعليها كُتِبَتْ يزعم أهلها أنها بالحِمْيَرِيَّة ، وأن الباب من بناء بُتَيْع ملك اليمن ، وأن من صَنَعَهُ إلى سَمَرْقَنْد ألف فرسخ ، وأن ذلك مكتوب من أيام بُتَيْع . قال : ثم وقعت فتنة بها في أيام مَقَامِي بها وأُحْرِقَ البابُ وذهبت الكتابة ، ثم أعاد عمارة الباب محمد بن قُتَيْب بن نصر الساماني ولم يُعَدِ الكتابة . قلت : والمراد بتبع المسعى باسمه أبا كَرَب ، وقد أشرت إلى قضية بُتَيْع في بناء سَمَرْقَنْد في الكتاب الذي أنشأته لأن يكتب عن الأبواب السلطانية ببندبار المصرية إلى تمرلنك عند إرساله بالمفاوضة في الصلح بعد واقعة دِمَشْقَ والقُبُض على ابن عثمان صاحب برسا من بلاد الروم بقول بعد الدعاء : ” ولا زال بالنصر تَقْضِي قَواضِيهِ . وبالظَّفَرِ وَحُسْنِ الْأَثَرِ تَمْضِي مَقَانِيهِ وَتَشَاعُ مَنَاقِيهِ ، ولسان دولته القاهرة بِصَاحِ بُتَيْع سَمَرْقَنْدَ لَنْ تَلِغَ هَذِهِ الرَبَّةُ حَتَّى تَنْظُمَ الْحَزَنَ ثَابِتُهُ “ . على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكتبة القان صاحب ما وراء النهر ، في الكلام على المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

قال في ” مسالك الأبصار “ : وسَمَرْقَنْدُ مدينة مرتفعة يُشْرِفُ الناظر بها على شجر أخضر ، وقُصُور تُزْهِرُ ، وأنهار تَطْرُدُ ، وعمارة نَتَقْدُ ، لا يقع الطُوفُ بها على مكان إلا ملاه ، ولا بستان إلا آسَحتْهُ . قال صاحب ” أشكال الأرض “ : وقد نصصت أعمار السير ، وتشبهت بطوائف الحيوان : من القَيْلَةِ والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض . قال : وبها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما على المَشْرِقِ يعرف بباب الصَّيْنِ ، مرتفع عن وجه الأرض ينزل إليه (٩) بدرج كثيرة ، مغل على وادي السُّغْدِ ، وباب مما على المغرب يعرف بباب التُّوْهَارِ على تَشْرَمِ

(١) كذا في الأصل والخراد وصف المدينة بالقمم والأوتقاء .

الأرض؛ وباب مما إلى الشمال يعرف بباب بُخَّاراً، وباب مما إلى الجنوب يعرف بباب كَشْ . قال: وفيها مافي المدن العظام من الأسواق الحسان والحمامات والخانات والمساكن؛ وبنائها من طين وخشب؛ والبلد كله: طُرُقُه وسِكَكُه وأسواقُه وأزِقَّتُه مفروشة بالحجارة .

(ومنها) بُنْكُ . قال في "اللباب": بكسر الباء الموحدة وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثناة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة^(١) . قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . ولها سُورٌ وَرَبَضٌ وبساتين كثيرة .

(ومنها) نوبكت - بنون وواو وباء موحدة ثم كاف ومثناة من فوق . قال ابن حوقل: وهي قصبة ناحية لإيلاق^(١)، وعليها سُورٌ ولها عدة أبواب، وفيها مياه وبساتين كثيرة .

(ومنها) بُجَنْدَةُ . قال في "اللباب": بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ثم دال مهملة - وهي مدينة على طرف سِيحُون مضمومة إلى فَرْغَانَةَ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول تسعون درجة، والعرض أربعون درجة ونحسون دقيقة . قال في "اللباب": وهي مدينة كبيرة، وهي في مستوي من الأرض، ولها بساتين كثيرة . قال أحمد الكاتب: ومنها إلى سَمَرْقَنْدَ سبع مراحل، ومنها إلى الشاش كذلك .

(ومنها) تَنْكُ . قال في "اللباب": بضم المثناة من فوق وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها ثاء ثانية - وهي مدينة من مدن الساحل، وقيل هي قصبة لإيلاق؛

(١) الذي في "تقويم البلدان" عن ابن حوقل أن عاصمة إيلاق تسمى تونكت، وكذا في "معجم البلدان" لياقوت، إلا أنه نص على أن آخرها ثاء مثناة، وهي تنكت الآتية بعد طينجه .

وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في " الباب " : ولها نهر ودّار إمارة . وخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) أَخْسِيَكْتُ . قال في " الباب " : بفتح الألف وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثلثة . وهي مدينة من بلاد قَرْغَانَة ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول إحدى وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي على شَطِّ نهر الشاش في أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو فرسخ .

(ومنها) تَرِمِذ . قال في " الباب " : قبل بفتح التاء ثالثة الحروف وقيل بضمها وقيل بكسرها . قال : والمتداول على لسان أهلها فتح التاء وكسر الميم ، والمشهور في القديم كسر التاء والميم جميعاً ، وقيل بضم التاء والميم وبينهما راء ساكنة وفي آخرها ذال معجمة . وهي مدينة على شَطِّ جَيْحُون ، واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول إحدى وتسعون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : ومعظم مساكنها وأسواقها مفروشة بالآبُرّ ، وهي قَصَبَة تلك النواحي . وأقرب الجبال إليها على مرحلة ، وليس لقرائها شُرْب من جَيْحُون بل من نهر الصَّغَايَاَن . قال : ولها مَدُن كثيرة وكُور مضافة إليها . قال في " الباب " : وهي مدينة قديمة .

(ومنها) الصَّغَايَاَن . قال في " الباب " : بفتح الصاد المهملة والسين المعجمة وألف ونون ومثناة تحتيّة ونون في الآخر ، جميع ذلك بالتخفيف . قال : ويقال لها بالعجمية جَغَايَاَن . وهي مدينة موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أكبر من ترمذ إلا أن ترمذ أكثر أهلا . ثم قال : وهي كورة كبيرة كثيرة الماء والشجر، والنسبة إليها صَغَانِي وصَغَانِي .

الإقليم الثاني (تُرْكُستَانُ)

بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء المهملية وضم الكاف وسكون السين المهملية وألف بعدها نون، ومعناه ناحية الترك . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مملكة لو انفردت لكانت مُلكاً كبيراً وسلطنة جليلة (زهرة الدنيا، وطرار الأرض بلاد الترك) وحقيقة من يكأسها رنمت غِرْلَانُها، ومن غابها أَفْخَرَتْ لُيُوثُهم . وهي إقليم فسيح المَدَى، قديم الذكر، منشأ حُماه، ومنسبُ سُجَاه . قال : وهو المراد بقوطم بلاد الأتراك، ولم تزل الملوك تَلَحَّظُهَا لِقَنَاءِ بوادِرها، وآلتقاء ذوائرها، فأشدَّ مانَكُرت الأيام معاملها، وغيرت الفِيزُ أحوالها . قال : ولقد صادفت حَذَّةَ التَّارِ في أول التَّيَّارِ، فجاءت قدامهم في سَوْرَةِ غضبهم، ونفحة نارهم، فأملت السيوف حصائدَ أحبالهم، ولم يبق إلا من قَلَّ عديده . ثم قال : حكى لي من جال في رساتيقها، وجَازَ في قُرَاهَا، أنه لم يبق من معاملها إلا رسومٌ دائرة، وأطلال نائثة، يرى على البُعدِ القرية مُشَيَّدة البناء، مُحَصَّرة الأكاف، فيأنس لعله يبعد بها أنيسا ساكنا، فإذا جاءها وجدها عالية البنيان، خالية من الأهل والسُّكَّانِ، إلا أهل العمل وأصحاب السائمة . ليست بذات حرث ولا زرع، وإنما خضرتها مُرُوجٌ أطلمها بارِيا بها من النباتات البرِّيَّة، لا يَبْدُرُها بآذِرٌ، ولا زرعها زارع . ويوجد بها خَلْفٌ من بقايا العلماء، ويجزى التيعم فيها بالتراب بعد الماء .

ومن نواحها (فَارَابٌ) . قال في "المشترك" : بفتح الفاء والراء المهملة بين الفين وفي آخرها باء موحدة . وقال في "مسالك الأبصار" : الصواب إبدال الفاء باء موحدة لأنه ليس في اللغة التركية فاء . قال ابن حوقل : وهي ناحية لها غياض ، ولهم مزارع ، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى أطرار .

وقاعدتها (قَاشَغَر) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الالف ثم سكون الشين المعجمة أيضا وفتح الفين المعجمة وفي آخرها راء مهملة . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها كَاشَغَر بإبدال القاف كافا - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال المهلبي : وهي مدينة عظيمة أهلة عليها سُورُ وأهلها مسامون . قال في "القانون" : وتسمى أزدوكند .

قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقاعدتها (قرشي) بقاف وراء مهملة وشين معجمة ثم ياء مثناة من تحت في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على نهر قراخوجا في نهاية الحد . قال : وهي وإن لم تكن شيئا مذكورا ، ولا لها على اختلاف حالات الزمان شهرة تُذكر ، لكن قد شملها في دولة ملوكها الآن من نظر السعادة لنسبتها إلى أنها سكن لهم ، وإن كانوا ليسوا بسكان جدار ، ولا متدبرين في ديار ، ولكن لاسم وُسِمَتْ به . وبها عدة مدن أيضا :

(منها) كدر . قال في "الأطوال" : وهي قَصْبَة فَارَاب . قال في "مسالك لأبصار" : وإليها ينسب فيلسوف الإسلام أبو نصر الفارابي .

(ومنها) حُتَن . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح المثناة من فوق ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أقصى تُرْكُستَان . قال في "العزى" : وهي مدينة رخصبة أهلة عامرة ، بها أنهار كثيرة .

(ومنها) جَنْدُ . قال في "اللباب" : بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وهي بلدة واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي في حدود التُّرك على طَرَف سَيْحُون ، خرج منها جماعة من الفضلاء .

(ومنها) إِسْفِيصَابُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وسكون المثناة من تحت وفتح الجيم وفي آخرها باء موحدة بعد الألف - ووقع في "مسالك الألبار" إبدال الفاء باء موحدة - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي بلدة كبيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من شعور التُّرك .

(ومنها) طَرَارُ . قال في "اللباب" : بفتح الطاء والراء المهملتين وألف وزاي معجمة - وهي مدينة على حد بلاد التُّرك واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة . والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وحولها حديدون منسوبة إليها .

(ومنها) نيل . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أربعة مُدُن بين كل مدينة والأخرى فرسخ واحد ، ولكل واحدة منها اسم يخصها : فالأولى نيل ، والثانية نيل مالح ، والثالثة بلك ، والرابعة تلان . قال : وبينها وبين سمرقند عشرون يوما .

(ومنها) المُسَالِقُ - بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم وألف بعدها ثم لام مكسورة وقاف في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وبينها وبين نيل عشرون يوما . ونقل عن الشيخ محمد المُجَنِّدِي الصوفي وغيره أن بها من الخيل والأغنام مالولاً وموتان يقع فيها في بعض السنوات ، لما بيعت ولا وجد من يشتريها لكثرتها وبركات نتائجها .

الإقليم الثالث

(طَحَارُسْتَانُ)

قال في "الباب" : يضم الطاء المهملة وفتح الحاء المعجمة وألف وضم الراء وسكون السين المهملتين وفتح المثناة من فوق وألف ونون . قال : وهي ناحية مشتملة على بلدان في أعلى نهر جيحون . وقال ابن حوقل : هو إقليم له مُدُن كثيرة من مضافات بلخ . وقاعدتها فيما ذكره في "القانون" - ولؤلأج . قال في "تقويم البلدان" : بوأرين بينهما لام ساكنة ثم ألف ولام وجيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة ونحس ونمسون دقيقة . قال في "القانون" : وهي مقر مملكة الهياطلة في القديم . قال المهلب : وهي في مستوي من الأرض . ولها مُدُن .

(منها) إسْكَلَكَنْدُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الكافين ، بينهما لام ساكنة ثم نون كذلك ودال مهملة في الآخر . قال : وقد تحذف الألف من أولها . وهي مدينة صغيرة موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة صغيرة كثيرة الخير .

(ومنها) رَاوُنُ . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والواو ونون في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمسون وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة من طُغَارِسْتَانَ ولم يزد .

الإقليم الرابع (بَذَخْسَانُ)

قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة والذال وسكون الخاء وفتح الشين المعجمات ونون في الآخر . قال ابن حوقل : وهو أسم للدينة والإقليم معاً . قال في "اللباب" : وهي في أعلى طُغَارِسْتَانَ متاخمة لبلاد التُّرك . وقال في "مسالك الأبحار" : هي مع مملكة ما وراء النهر وليست حقيقة منها ولا من تَرْكِسْتَانَ ، بل هو إقليم قائم بذاته ، معدود المجاورة مع أخواته ، قد حوى كل بديع من حيوانه ومعدنه ونباته .

ثم حكى عن محمد بن محمد بن الصوفي وغيره أن بها معدن البَلَّخَشِ . ومعدن الأَلَاوَزِيدِ ، وهما في جبل بها ، يُحَقَّرُ عليهما في معادنهما ، فيوجد الأَلَاوَزِيدُ بسهولة ، ولا يوجد البَلَّخَشِ إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد

والإنفاق الكثير . ولذلك عَزَّ وجوده ، وعلت قيمته ، وكثر طلبه ، وألفتت الأعناق إلى التحلِّي به . وقد تقدّم ذكره في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته ليصفه عند ذكر الأبحار النفيسة . وقد تقدّم هناك أن أغص قطعة وصلت إلى بلاد الشام منه قطعة زُتَتْ نحسود درهما . وقد ذكر في "اللباب" أن بها معدنَ البُلُورِ أيضا ، وقد تقدّم ذكره هناك في الكلام على الأبحار النفيسة .

الجملة الثالثة

(في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها)
قد تقدّم في الكلام على مملكة إيران الطريقُ إلى أَمَل الشطِّ بسط جَيُّحُونَ . قال ابن خرداذبه : ومن أَمَل إلى بُخَارَا تسعة عشر فرسخا ، ومن بُخَارَا إلى سَمَرْقَنْدَ سبعة وثلاثون فرسخا ، ومن سَمَرْقَنْدَ إلى الشَّاش آثنان وأربعون فرسخا ، ثم إلى باب الحديد مِيلَان ، ثم إلى كَار فرسخان ، ثم إلى إسفيجاب عشرة فراسخ ، ومن إسفيجاب إلى أَطَرَارَ وهي قَارَابُ ستة وعشرون فرسخا . قال في "تقويم البلدان" : ومن سَمَرْقَنْدَ إلى مُجَنْدَةَ سبع مراحل ، ومن مُجَنْدَةَ إلى الشَّاش أربع مراحل .

الجملة الرابعة

(في عِظَام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة تُورَانَ ، وهي نهران)
الأول - نهر جَيُّحُونَ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم نون ، ويسمى نهر بَلَّخ أيضا ، إضافة إلى مدينة بَلَّخ من بلاد فَارِسَ المتقدم ذكرها . قال في "تقويم البلدان" : وقد اختلف النقل فيه ، وأقربُه ما نقله ابن حَوْقَل أن عمود نهر جَيُّحُونَ يخرج من حدود بَذْخَسَانَ ، ثم تجتمع إليه أنهار

كثيرة . ويسير غربا وتَمَلَّا حَتَّى يَصِلَ إِلَى حَدُودِ بَلُخَ ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى تَرْمِذَ ، ثُمَّ غَرِبَا
وَجَنُوبًا إِلَى زَمٍّ وَأَسْمَاهَا أَمُويَه ، وَيَجْرِي كَذَلِكَ غَرِبَا وَتَمَلَّا إِلَى خَوَارَزْمَ . قَالَ فِي "رُسْمِ
الْمَعْمُورِ" : وَيُخْرَجُ جَنُوبًا وَيَمُزُّ قَرَبَ مُجَنَّدَةَ وَيَتَجَاوَزُهَا وَيَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ .
الثَّانِي - نَهْرُ سَيْحُونَ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَقَدْ اخْتَلَفَ النُّقُلُ فِيهِ
أَبْضًا . قَالَ : وَالْمُخْتَارُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَوْقَلٍ ، لِأَنَّهُ يَحْكِي ذَلِكَ عَنْ مَشَاهِدَةٍ . فَقَالَ :
إِنَّ نَهْرَ الشَّاشِ بِقَدْرِ الثَّلَاثِينَ مِنْ نَهْرِ جَيْحُونَ . وَهُوَ يَجْرِي مِنْ حَدُودِ بِلَادِ التُّرْكِ وَيَمُزُّ
عَلَى أَخْبِيكَثَ . ثُمَّ يَسِيرُ مَغْرِبًا بِمِثْلَةِ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى مُجَنَّدَةَ . ثُمَّ يَجْرِي إِلَى قَارَابَ
إِلَى بَنِي كَنْتَ ثُمَّ يَقَعُ فِي بَحِيرَةِ خَوَارَزْمَ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ بَنِي كَنْتَ .

الجملة الخامسة

(فِي مَعَامِلَاتِهَا وَأَسْعَارِهَا)

أَمَّا مَعَامِلَاتُهَا فَالِدِينَارُ الرَّابِعُ ، وَهُوَ سِتَّةُ دِرَاهِمٍ كَمَا فِي مُعْظَمِ مَمْلَكَةِ إِيرَانَ . وَفِي بَعْضِهَا
بَلْدِينَارُ الْخُرَاسَانِيِّ وَهُوَ أَرْبَعَةُ دِرَاهِمٍ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَدِرَاهِمُهُمْ
وَعَانُ . دِرْهَمٌ بَخْمَانِيَّةٌ فِلُوسٌ ، وَدِرْهَمٌ بَارْبَةُ فِلُوسٌ . قَالَ : وَدِرَاهِمُهَا فِضَّةٌ خَالِصَةٌ غَيْرُ
مَنْشُوشَةٍ . وَهِيَ وَإِنْ قَلَّ وَزْنُهَا عَنْ مَعَامِلَةِ مِصْرَ وَالشَّامِ فَلَهَا تَجَوُزُ مِثْلُ جَوَازِهَا .
وَأَمَّا أَسْعَارُهَا فَاسْعَارُهَا جَمِيعُهَا رَخِيَّةٌ حَتَّى إِذَا غَلَّتِ الْأَسْعَارُ فِيهَا أَعْلَى الْغُلُوقِ ،
كَانَتْ مِثْلَ أَرْخَصِ الْأَسْعَارِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ .

الجملة السادسة

(فِي مَنْ مَلَكَ هَذَا الْقِسْمَ مِنْ مَمْلَكَةِ تُورَانَ)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَوَّلِ مَمْلَكَةِ تُورَانَ أَنَّهَا كَانَتْ مَمْلَكَةَ التُّرْكِ فِي التَّحْدِيدِ .

وأنه كان بها افراسياب بن^(١) شبك بن رستم بن ترك بن كوبر بن يافث بن نوح عليه السلام على الخلاف السابق فيه ، وكانت تعرف بمملكة انطانية ،
أما في الإسلام فملوكها على طبعتين :

الطبقة الأولى

(ماهو عقيب الفتح ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوك ماوراء النهر)

وكانت بيد نواب الخلفاء برهة من الزمان في صدر الإسلام ، ثم تغلب عليها الملوك بعد ذلك وحازوها ، وتوالت عليها أيديهم إلى الآن . وأول من تغلب عليها من الملوك السامانية ، وهم بنو سامان بن جثان بن طمعان بن بوشرد بن بهرام چويين المذكور في أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك القروس .

وأول من ملكها منهم أولاد أسد بن سامان في خلافة المأمون في سنة أربع ومائتين . فقولى (أحمد بن أسد) قَرْغَانَة ، و(يحيى بن أسد) الشَّاش وأُسْرُوشَنَة و(نوح ابن أسد) سَمَرْقَنْد ، ثم مات نوح بن أسد بِسَمَرْقَنْد ، ثم مات أحمد بِقَرْغَانَة وأستخلف ابنه نصرا على أعماله ، وكان إسماعيل بن أحمد يُحْتَمُّ أخاه نصرا فولاه نصرا بُخَّارَا في السنة المذكورة . وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فأستقرت قدمه بُخَّارَا وملك جميع ماوراء النهر . وملك إسماعيل المذكور حُرَّاسَانَ مع ماوراء النهر في سنة سبع وثمانين ومائتين .

(١) في "الأخبار الطوال" للدينوري "أبن تودل بن الترك بن يافث ، وفي أبي الفداء "أبن طوج" وفي غيرهما غير ذلك . نبتا على ذلك ليم أن بين المؤرخين اختلافا ، ولم يتقدم المؤلف في توران شيء من هذا النسب ، فكتبه .

ثم ملك بعده ماوراء النهر وخراسان (أبنة أحمد بن إسماعيل) حتى قتل في سنة إحدى وثلاثمائة؛ وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (أبو الحسن نصر بن أحمد) وتوفى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (نوح بن نصر) وتوفى في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (عبد الملك بن نوح) وبقى حتى قبض عليه إيلك خان ملك الترك، وحبس هو وجميع أقاربه، ومات في الحبس في مسنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وأقرضت بموته دولة بنى سامان، وكانت دولتهم من أحسن الدول وأعظمها، وكانت ولايتهم إمارة لأملاك .

وملك بعدهم ماوراء النهر (إيلك خان) المقدم ذكره، وتوالت بأيديهم حتى ملكها منهم رجل اسمه (أحمد خان) فبقيت بيده حتى ملكها منه (ملكشاه السلاجوقي) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وأطاعه صاحب تركستان فخطب له وضرب السكة باسمه، ثم خرج عنها وعاد أحمد خان إليها، فبقى حتى ثبتت زندقته وضرب عنقه في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملك بعده ابن عمه (مسعود)، ثم أقيمت الخطبة بما وراء النهر (أبريكارقي)، ثم خطب بريكارقي فيما بيده مما وراء النهر وغيره لأخيه محمد بن ملكشاه. ثم غلب عليها خطا الكفار في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وأتزعوها من يد سنجر بن ملكشاه. ثم صارت بيد الفز: وهم طائفة من الترك مسامون .

ثم استولى عليها بنو أوشتكين ملوك خوارزم الآتي ذكرهم، إلى أن غلب عليها جنكركان في سنة ست عشرة وسفانة .

وأما غزنه وما معها فكانت بيد بنى سامان ، ثم غلب عليها سبكتكين : وهو أحد ممالك أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنه للسامانية المقدم ذكره في سنة ست وستين وثلاثمائة بعد موت أبي إسحاق المذكور ، ثم مات وقام بالأمر بها بعده أبوه إسماعيل ، ثم غلبه عليها أخوه محمود بن سبكتكين ، وأستضاف إليها بعض ثُرَاسَانَ في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقطع الخطبة السامانية ، وبقي حتى توفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

وملك بعده أبوه (محمّد بن محمود) بعهد من أبيه ، ثم قدم أهل المملكة عليه أخاه (مسعود بن محمود) وملّكوه عليهم ، وبقي حتى قتل في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره وقتل من عامه ، وملك بعده ابن أخيه (مودود بن مسعود) وتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده عمه (عبد الرشيد بن محمود) وقتل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة . وملك بعده أخوه (فرخزاد بن مسعود بن محمود) ، وتوفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة . وملك بعده أخوه الملك المؤيد (إبراهيم بن مسعود) ، وتوفى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وملك بعده أبوه (مسعود بن إبراهيم) ، وتوفى سنة ثمان وخمسمائة .

وملك بعده (أرسلان شاه بن مسعود) .

ثم ملك بعده (بهرام شاه بن مسعود) ثم توفى .

وملك بعده أبوه (خسرو شاه بن بهرام) ، وتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده أبوه (ملكشاه بن خسرو شاه) بن بهرام بن مسعود بن محمد بن سبكتكين ، وهو آخرهم .

ثم أُنْتُقِلَ الْمَلِكُ إِلَى الْقَوْرِيَّةِ .

(١) الضمير راجع إلى مودود والأول أن يقال "ابن أخيه" ليرد الضمير إلى عبد الرشيد .

فأول من ملك منهم علاء الدين (الحسين بن الحسين)، ملك عند آقراض الدولة السبكتكيّة، وأستضافها إلى النور في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتلقّب بالملك المعظم، وتوفى سنة ست وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده غياث الدين (محمد بن سام بن الحسين) ، ثم آستولى عليها الغزنوي خمس عشرة سنة ، ثم ملكها (شهاب الدين) أخو غياث الدين المقدم ذكره سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقتل سنة اثنتين وستمائة، وفي أيامه كان الإمام نغر الدين الرازي وكان يقشاه ويعظّمه .

ثم ملك بعده علاء الدين (محمد بن سام بن محمد بن مسعود بن الحسين) ، ثم غلبه عليها (يلدز) مملوك غياث الدين أنى شهاب الدين ، ثم غلبه عليها علاء الدين المذكور ، ثم غلب عليها يلدز أيضا ، ثم غلب عليها علاء الدين (محمد بن تكش) بن خوارزم شاه في سنة اثنتي عشرة وستمائة، وبقي حتى غلبه عليها جنكخان الآتي ذكره في سنة سبع عشرة وستمائة .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني جنكخان)

قال في "مسالك الأبصار" : كان جنكخان قد أوصى بمملكة ماوراء النهر لولده جدای، ويقال له جفطای فلم يتمكن من ذلك .

ثم ملك بعده ابنه قراولادو، ثم ولده مبارك شاه ، ثم غلب عليه قیدو بن قاشي ابن يکبوك بن أوكداي بن جنكخان ، ثم غلب عليه براق بن بسنطون منکوقان ابن جفطای بن جنكخان .

ثم ملك بعده ابنه دوا بن براق، ثم أخوه كنجك، ثم أخوه اسبنغا، ثم أخوه كبوك، ثم أخوه الجكداي، ثم أخوه دراآمر، ثم أخوه ترما شیرين .

ثم ملك بعده رجل ليس من أولاد دوا اسمه توزون بن أويكاكان . قال : وتخلل في خلال ذلك من وثب على الملك ، ولم ينتظم له حال ولاصلت له أعلام دولة ، وبقى الملك بعد ترماشيرين غير منتظم حتى قام جفصون دراغر بن حلون براق بن بسنطو ابن منكوقان بن جفطاي بن جنكرخان . إلى هنا أنقضى كلامه في "مسالك الأبصار".

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة "ترماشيرين" المقدم ذكره سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأسلم وحسن إسلامه وأخلص في إسلامه وأيد الإسلام ، وقام به حق القيام ، وأمر به أمراءه وعساكره ، فمنهم من كان سبق لإسلامه ومنهم من أجاب دأبيه فأسلم ، وفشا فيهم الإسلام ، وعلا لوائه حتى لم تمض عشرة أعوام ، حتى أشتمل فيها بلاءه الخاصة والعامة ، وأعان على ذلك من في تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايع الصالحاء . وصارت التجار من مصر والشام مترددة إلى تلك المسالك ، وهو بكرمهم أتم الإكرام ، على أن رعايا هذه المملكة من قدماء الإسلام ، السابقين إليه . كانوا مع كفر ملوكهم في جانب الإعزاز والإكرام ، لا يتطرق إليهم منهم أذية في دين ولا حال ولا مال .

الجملة السابعة

(في ترتيب هذه المملكة وحال عساكرها)

أما ترتيبها فقد أشار في "مسالك الأبصار" إلى أنها على نحو ما تقدم في مملكة إيران لاختلاف ملوك بني جنكرخان في الترتيب على طريقة واحدة .

وأما عساكرهم فذكر أن عساكرهم من أهل النجدة والبأس ، لا يصح ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يخالف فيه مخالف ، حتى حكى في "مسالك الأبصار" عن مجد الدين إسماعيل السلامي أنه كان إذا قيل في بيت هؤلاء : العساكر ،

تَحَوَّكَتْ مِنْ خُورَزْمَ وَالْقَبْجَاقِ ، لَا يَجْعَلُ لَذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَمًّا . وَإِذَا قِيلَ : إِنْ
الْعَسَاكَرُ تَحَوَّكَتْ مِمَّا وَرَاءَ النِّهْرِ ، نَافَرُوا لَذَلِكَ غَايَةَ النَّافَرِ ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَقْوَى نَاصِرًا وَإِنْ
كَانَ أُولَئِكَ أَكْثَرَ عِدْدًا ، لِأَنَّهُ يُقَالُ : إِنْ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ بِمِائَةٍ مِنْ أُولَئِكَ ، وَلِذَلِكَ
كَانَتْ تُحْرَسَانُ عِنْدَهُمْ تَقَرًّا لِأَيُّمَلُ سِدَادَهُ ، وَلَا يَزَالُ فِيهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِيرَاثَ الصَّخْتِ
أَوْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ، لَمَّا وَقَرَ فِي صُدُورِهِمْ لِهَؤُلَاءِ مِنْ مَهَابَةٍ لَا يَقْلُقُلُ طُودُهَا ، لِأَنَّهُمْ
طَالَمَا بَلَّوْهُمْ فِي الْحَرْبِ وَأَبْتَلَوْهُمْ فِيهَا .

القسم الثاني

(من مملكة توران خوارزم والقَبْجَاقِ)

قال في "مسالك الأبصار" : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ بْنِ الشُّعَامِ الْمَوْصِلِيُّ :
أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ مَتَسَعَةُ الْجَوَانِبِ طَوْلًا وَعَرْضًا ، كَبِيرَةُ الصَّحْرَاءِ ، قَلِيلَةُ الْمُدُنِ ، وَبِهَا
عَالَمٌ كَثِيرٌ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَدٍّ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ كَثِيرٌ نَفْعَ لِقَلَّةِ السِّلَاحِ وَرَدَاءَةِ الْخَيْلِ ،
وَأَرْضُهُمْ سَهْلَةٌ قَلِيلَةُ الْحَجَرِ ، لَا تُطَبِّقُ خَيْلٌ رُبَيْتٍ فِيهَا الْأَوْعَارَ ، فَلِذَلِكَ يَقِلُّ غَنَاؤُهَا
فِي الْحُرُوبِ . قَالَ فِي "التعريف" : وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ زَمَانِ الْخُلَفَاءِ
وَمَا قَبْلَهُ تَعْرِفُ بِصَاحِبِ السَّرِيرِ . قَالَ فِي "الروض المطار" : وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا
سَرِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ مُلُوكُهَا قَفْلَهُ إِلَيْهَا مُلُوكُ الْفُرْسِ . قَالَ فِي "التعريف" :
وَكَانَ صَاحِبُهَا فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ (يَعْنِي أَبْنِ قَلَاوُونَ) السُّلْطَانُ أَرْبُكَ خَان . قَالَ :
وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ فَرْوَجُ بَنَتَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا زَالُ بَيْنَ مُلُوكِ هَذِهِ
الْمَمْلَكَةِ ، وَبَيْنَ مُلُوكِنَا قَدِيمِ اتِّحَادٍ ، وَصِدْقٍ وَدَادٍ ، مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِبِيرِسَ
وَالْإِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

ويحصل الغرض من ذلك في ثمان جُمَلٍ :

الجملة الاولى

(في ذكر حدود هذه المملكة ومساقفها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" نقلا عن الشيخ علاء الدين بن النعمان الخوارزمي "أن طول هذه المملكة من بحر أصطنبول إلى نهر أريس ستة أشهر، وعرضها من بلخار إلى باب الحديد أربعة أشهر تقريبا . ثم ذكر عنه في موضع آخر : أن مجموع هذه المملكة من ورعات خوارزم^(١) من الشرق إلى باشقرد، وعرضا من خوارزم إلى أقصى بلاد سير، وهي منتهى العارة في الشمال . وذكر في موضع آخر عن ابن النعمان أن مبدأ عرض هذه المملكة من ديرمو، وهي مدينة من بناء الإسكندر، كان عليها باب من حديد قديما، إلى بلاد بوعره^(٢)، وطولها من ماء أريس . وهو أعظم من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الخطأ، إلى أصطنبول يعني القسطنطينية . قال : ويتجاوز هذا الطول قليلا إلى بلاد تسمى كمنج مشتركة بين الروس والفرنج . وذكر في موضع آخر أن خوارزم إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر، والمقارز محيطة به من كل جانب، وحدته متصل بغزنة مما يلي الشمال والغرب وجنوبه وشرقيه، وهو على جانبي جيحون . قال ابن حوقل : وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ومنها يتدنى الجحود في نهر جيحون . قال في "العزيزي" : وبلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم، وبينهما نحو ست مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وأول حد خوارزم بلدة تسمى الظاهرية مما يلي أمل، وتمتد العارة في جانبي جيحون معا . وحكى عن حسن الرومي التاجر السفار أن طولها من مدينة باكو المعروفة بالباب الحديد إلى حدود بلاد الخطأ، فيكون يسير القوافل خمسة أشهر، وعرضها من نهر

(١) كذا في الأصل . ولها درعان الآتية قريبا .

جَيَّحُونَ إِلَى نَهْر طُونَا . وقال في "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة واقعة في الشمال
أخذة إلى الشرق ، تحدها أطراف الصين من شرقها ، وبلاد الصُغْلَب وما يليها من
شمالها ، وخراسان وما سامتها من جنوبها ، والخليج القاطع من بحر الروم من غربها .

الجزء الثانية

(فيما اشتملت عليه من الأقاليم العرفية)

اعلم أن هذه المملكة قد اشتملت على عدة أقاليم :

الأقليم الأول

(خُوارزْم)

بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وألف بعدها راء مهملة ثم زاي معجمة ساكنة
وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهو إقليم منقطع عن خُراسان وعن
ما وراء النهر ، والمفأوز يحيط به من كل جانب . قال : ويحيط به من الغرب بعض
بلاد الترك ، ومن جهة الجنوب خُراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ، ومن الشمال
بلاد الترك أيضا . قال : وإقليم خُوارزْم في آخر جَيَّحُونَ ، وليس بعده على النهر
عمارة إلى أن يقع جَيَّحُونَ^(١) في بحيرة خُوارزْم ، وهو على جاني جَيَّحُونَ . قال
ابن حوقل : (وبلاد خُوارزْم من أبرد البلاد ، ويتددى الجود في نهر جَيَّحُونَ من
جهة خُوارزْم) . وقال المهلب : بلاد خُوارزْم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة
خُوارزْم إلى أُمْل نحو اثنتي عشرة مرحلة ، ومن خُوارزْم إلى بحيرة خُوارزْم نحو ست
مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وبخُوارزْم جبل يُقال له جبل الخير به عين
تعرف به ، يقصدها دَوُّ الأمراض المزمنة ، ويقيمون عندها سبعة أيام ، في كل يوم

(١) نقلت هذه الجملة بتمامها في الصفحة التي قبل هذه ، فإعادتها غير مفيدة .

يغتسلون بها بكرة وعشية، ويشربون منها عقب كل اغتسال حتى يتضلعوا، فيحصل البرء . قال : وَخَوَارِزْمٌ عَلَى جَيْحُونَ بَيْنَ شُعَيْنٍ مِنْهُ مِثْلُ السَّرَاوِيلِ . قال : ويلي خَوَارِزْمَ أَرْضٌ مَدْقُورَةٌ تَسْمَى قَسْلَاعَ ، طَوَّلَهَا خَمْسَةُ أَشْهُرَ ، وَعَرْضُهَا كَذَلِكَ كُلِّهَا صَهْرَاءُ ، يَسْكُنُهَا أُمَمٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْبَرْجَانِ ، وَيفصل بينها وبين نهر جَيْحُونَ جَبَلٌ أَسْمُهُ أُولْيَانُ شِمَالِي نَخْرَسَانَ . ولها قاعدتان .

القاعدة الأولى

(القديمة مدينة كَات)

بكاف وألف وئاء مثلثة . قال ابن حوقل : وهو اسمها بالخوارزمية ، وهي مدينة واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وست عشرة دقيقة . قال في "القانون" : وهي في شرق جَيْحُونَ . قال المهلب : وبينها وبين القرية الحديثة من بلاد الترك خمسون فرسخا . قال : وهي من أجل مدُن خَوَارِزْمَ . قال ابن حوقل : وقد نحرِبها التُّرُوكُ والنَّاسُ لهم مدينة وراءها . قال : وكانت هذه المدينة في الجانب الشمالي عن جيعون . قال في "مسالك الأبصار" : وبها مائة بيت من اليهود ، ومائة بيت من النصارى ، لا يسمح لهم بأكثر من ذلك .

القاعدة الثانية

(كُورْكَانْج)

قال في "المشترك" : بضم الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف ثانية وألف ونون ساكنة وفي آخرها جيم . قال : ويلتقي فيها ساكان (يعني الألف والنون) ولذلك يكتبونها كُورْكَانْج بغير ألف ، وتعرف بِكُورْكَانْج الْكُجْرِي ، والعرب تسميها

البحرانية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " و " القانون " حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في " المشترك " : وهى على صَفَةِ جَيْحُونَ . قال في " القانون " من غربيه . وبها علة مدن أيضا :

(منها) كُرْكَنْج الصغرى . وتعرف بالبحرانية أيضا - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة أيضا . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في " المشترك " : وهى مدينة قريبة من كُرْكَنْج الكبرى ، بينهما عشرة أميال ، وهى في غربى جَيْحُونَ .

(ومنها) زَحَّشَرُ . قال في " اللباب " : بفتح الزاى المعجمة والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وراء مهملته في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وإليها ينسب الإمام أبو القاسم محمود الزَّحَّشَرِيُّ صاحب " الكشاف " في التفسير وغيره من المصنفات الفارقة النافعة .

(ومنها) هَرَّارَاسُبُ . قال في " اللباب " : بفتح الهاء والزاى المعجمة وسكون الألف وفتح الراء وسكون السين المهملتين وباء موحدة في الآخر - وهى قلعة بخوارزم موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول خمس وثمانون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . قال السمعاني : ويقال لها بالفارسية هَرَّارَسُفُ . قال : وهى قلعة حصينة . قال المهلبى غربى جَيْحُونَ ، وبينها وبين مدينة كَاتَسْتة فرائخ .

(ومنها) دَرْعَان . بدال وراء وعين مهملات وألف ثم نون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست ومائون درجة وأربع وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر حدود خُوارزَم إلى جهة مَرُوء . قال المهلب : وبينها وبين هَزَارَاسَب أربعة وعشرون فرسخاً .

(ومنها) فَرَّيرُ . قال في "اللباب" : بفتح الفاء والراء المهملة وسكون الباء الموحدة . وقال في "مزيل الأرتياب" : بفتح الفاء وكسرها، كل منهما مسموع - وهي مدينة على طرف جَبَّحُون مما يلي بُخَّارَا - موقعها في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع ومائون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "القانون" : وهي المعبر من بلاد ما وراء النهر إلى تُرَاسَانَ . وجعلها ابن حوقل من أعمال بُخَّارَا . فتكون ما وراء النهر، وهي خُصْبَةٌ ولها قرى عامرة .

الإقليم الثاني (الدُّشْتُ)

بفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة وتاء مثناة فوق في الآخر - وهي صحارى في جهة الشمال ، وتضاف إلى القَبَجَاقِ بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف - وهم جنس من التُّرك يسكنون هذه الصحارى . أهل حَلَّ وتَرَحَّال على عادة البَتُّور .

وقاعدة المملكة بها (صَراى) . قال في "تقويم البلدان" : يفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحتية . ووقع في "مسالك الأبصار" بالسین المهمة بدل الصاد .. وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة عظيمة في مستوٍ من الأرض على شطِّ نهر [الأئيل] من الجانب الشمالى [الشرقى] غربيّ بحر الخزر وشماله على مسيرة نحو يومين ، وبحر الخزر شرقها بجنوبيها ، ونهر الأئيل عندها يجرى من الشمال والغرب إلى الشرق والجنوب حتى يصب في بحر الخزر . وهى قُرْصَة عظيمة للتجار ورقيق التُّرك . وذكر في "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخوارزمي الترجمان : أنها بناء بركة بن طوبى بن حنكرخان ، وأنها فى أرض سيخة بغير سُور ، ودار الملك بها قصرٌ عظيم على عليائه هلالٌ من ذهب زينتَه قطاران بالمصرى ، ويحيط بالقصر سُورٌ وأبراج فيها الأبراء ، وهذا القصر يكون مَشْتَاهم ، والسرائى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوه رٌ ، مقصودة بالإجلاب ، وفى وسطها بركةٌ ماؤها من نهر الحِل ماؤها للاستعمال (٢) . أما شربهم فن النهر يسقى لهم فى حرار فَخَّار ، وتُصَفُّ على العَجَلات وتجر إلى المدينة وتباع بها . قال : وبعدها عن خُوارزم نحو شهر ونصف . قال في "تقويم البلدان" : وقد بنى بها السلطان أذربك مدرسةً للعلم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم فى جَهْد من قَشْف العيش لأنهم يسوا أهل حاضرة ، وشدة البرد تُهلك مواشيهم . قال : وهم لشدة ما بهم من سوء الحال إذا وجد أحدهم لحماً صلقه ولم يُنَضِّجْهُ وشرب مَرَقَه ، وترك اللحم ليا كله مرة أخرى ، ثم يجمع العظام ويعاود صَلَقَها مرة أخرى ويشرب مرقها ، وقِس على هذا بقية عَيشهم . ونقل عن جمال الدين عبد الله الخصى الناجى : أن لبس كثير منهم الجلود : مُدَكَّاة كانت أو مَيِّتة ، مدبوغة أو غير مدبوغة ، من حيوان

(١) الزيادة عن تقويم البلدان . (٢) لعل هذا اللفظ زائد من النسخ .

طاهر أو غيره ، ولا يعرفون في المآكل ما يُعاف مما لا يُعاف ، ولا التحريم من التحليل ، وأنهم يبيعون أولادهم في بعض السنين لضيق العيش . قال : ومع ذلك فليس لهم تمسك يدين ولا رزانة في عقل ؛ ثم عقب ذلك بأن قال : ومع ذلك فهم من خيار الترك أجناسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنّبهم الفُدر ، مع تمام قاداتهم وحسن صُورهم وظرفاة شمائلهم . ثم قال : ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجُنُدها ؛ إذ لما رغب الملك الصالح (نجم الدين أيوب) في مشترى الممالك منهم ، ثم صار من ممالكه من انتهى إلى الملك والسلطنة ، فالت الخنسية إلى الخنسية . ووقعت الرغبة في الاستكثار منهم حتّى أصبحت مصر بهم أهلة العالم ، حَمِيَّة الجواب ؛ منهم أقار موابها ، وصدور مجالسها ، وزعماء جيوشها ، وعطاء أرضها . وحده الإسلام موافقهم في حماية الدين ، حتّى إنهم جاهدوا في الله أهليهم . قال : وكفى بالنصرة الأولى يوم عَيْنِ جَالُوتَ وكسر الملك المظفر قطز صاحب مصر إذ ذاك في سنة ثمان وخمسين وستائة عساكر هؤلاء كَوْمِكَ التَّيْر بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار . وأسأصلوا شأفة السلطان (جلال الدين محمد بن خوارزم شاه) وقتلوا عساكره ؛ مع أن الجيش المصري بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة من الدائرة ، والنَّفْية من البحر ، والله يؤيد بنصره مَنْ يشاء .

أما في زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر بقوق من جنس الإبركس ، رغب في الممالك من جنسه وأكثر من الممالك الإبركسية حتّى صار منهم أكثر الأشراف والجند ، وقَلَّت الممالك الترك من الديار المصرية حتّى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم .

الإقليم الثالث

(بلاد الخزر)

بفتح الخاء والزاي المعجمتين وراء مهملة في الآخر .

وقاعدته مدينة (بَلَنْجَر) . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة واللام ونون ساكنة وجيم مفتوحة ثم راء مهملة - وهي مدينة بَدْرَبَنْد نزران، واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "كتاب الأطوال" : وهي إيل . قال في "اللباب" : وهي داخل الباب والأبواب، قيل إنها نسبت إلى بَلَنْجَر بن يافث .

الإقليم الرابع

(الْقِرْمُ)

قال في "تقويم البلدان" : بكسر القاف والراء المهملة وميم في الآخر . قال وهو اسم لإقليم يشتمل على نحو أربعين بلدا .

وقاعدتها (صُلْفَاتُ) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف وناه مثناة فوقية في الآخر - وقد أطلق الناس اسم الْقِرْم عليها حتى إذا قالوا الْقِرْم لا يريدون إلا صُلْفَاتُ - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق والعرض خمسون درجة . قال : وهي عن البحر على نصف يوم، وهي عن الأَرَق في الغرب والشمال .

وَبَصْرَايَ بلاد مضافة إليها .

(منها) الأتْكُ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة وفتح الكاف الأولى ثم كاف ثانية - وهى بليدة من بلاد الصَّرَاى ، موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : القياس حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض تسع وأربعون درجة وخمسة وخمسون دقيقة ، وهى على جانب نهر إزبل من الجانب الغربى بين صَرَاى وبَلَّار ، على قرب منتصف الطريق بينهما ؛ وهى عن كل واحدة منهما على نحو خمس عشرة مرحلة . وإلى الأتْكِ هذه ينتهى أردو القان صاحب هذه المملكة ؛ ولها مُدُنٌ أخرى تقدم . وهى عن الكَفَا شمالاً بغرب ، وعن صُودَاقٍ شمال بشرق ، وبين كل منهما مسيرة يوم ؛ وبها حاكم يكتبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنهما) صُودَاقُ . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وواو ، وفتح الدال المهملة وألف وقاف فى الآخر ، والعامة يقولون : سُرْدَاق ، فيبدلون الصاد سيناً مهملة والواو راءً مهملة - وموقعها فى آخر الإقليم السابع من الأقاليم السبعة أو فى الشمال عنه . قال ابن سعيد حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض إحدى وخمسون درجة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى فى ذيل جبل على شَطِّ بَحْرِ الْقِرْمِ ، وأرضها محجرو وهى مَسُورَةٌ ، وهى قُرْصَةٌ للتجار ؛ ويقابلها من البرِّ الآن مَدِينَةُ سَامْسُون ، من سواحل بلاد الروم الآتية ذكرها . قال : وأهلها مسلمون . وقال ابن سعيد : أهلها أخلاط من الأمم والأديان ، والأمر فيها راجع إلى النصرانية . وإليها يُنسب الجبل السُّرْدَاقُ المعروف .

(ومنهما) كَفَا . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الكاف والفاء وألف مقصورة . وهى قُرْصَةُ الْقِرْمِ - وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهى فى وطاة

من الأرض؛ وهى على ساحل بحر القيرم، ويقابلها من البر البحر الآخرمدينة طَرَابُزُون
من سواحل بلاد الروم، وهى شرق صُودَاقَ، وعليها سورٌ من لَينَ، ومن شماليها
وشرقها صحراء القَبَجَاقِ؛ وهى عن صُودَاقِ فى سمت الشرق، والكُفَا وصُودَاقُ
وَصُلُفَاتُ كَالَانَفَى .

الإقليم الخامس

(بلاد الأَرَقِ)

قال فى "تقويم البُلدان": بفتح الهمزة والزاي المعجمة وقاف فى الآخر .

وقاعدته مدينة الأَرَقِ بالضبط المعروف - موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم
السبعة . قال فى "تقويم البُلدان": والقياس أنها حيث الطولُ خمس وستون درجة،
والعرض ثمان وأربعون درجة . قال : وإليها ينسب بحر الأَرَقِ المعروف فى الكتب
القديمة ببحر مانيطش، وهى قُرْصَة على بحر الأَرَقِ فى مستوى من الأرض عند مَصَبِّ
نهر "تان" فى بحر الأَرَقِ، وبنائها بالخشب، وبينها وبين القيرم نحو خمس عشرة
مرحلة، وهى فى الشرق والجنوب عن القيرم . ولها مدن أخر .

(منها) الكَرُش . قال فى "تقويم البُلدان": بفتح الكاف وسكون الراء
المهملة وشين معجمة فى الآخر - وهى بلدة صغيرة على ساحل بحر الأَرَقِ، واقعة
فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلدان": القياس حيث
الطول ستون درجة، والعرض سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . وهى بلدة
صغيرة بين الكُفَا والأَرَقِ على قَمِ بحر الأَرَقِ، ويقابلها من البر البحر الآخر الطامان من
سواحل أرمينية وبلاد الروم، وأهلها قَبَجَاقُ كُفَار .

الإقليم السادس

(بلاد الجُرْكيس)

بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الكاف وسين مهملة في الآخر. قال المؤيد صاحب حماة في "تاريخه": وهو على بحر نبطش من شرقه، وهم في شَطَف من العيش . قال : وقد غلب عليهم دينُ النصرانية ، وقد صار في زماننا منهم أكثرُ عسكر الديار المصرية من لدن ملك الظاهر برقوق فإنه أكثر الإجلاب منهم .

الإقليم السابع

(بلاد البُلغار)

بضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الفين المعجمة وألف ثم راء مهملة في الآخر . وهم جنس معروف أيضا . قال صاحب حماة في "تاريخه" : وهم منسوبون إلى بُلْدان يسكنونها .

وقاعدتها مدينة (بُلَّار) بضم الباء الموحدة وفتح اللام وألف وراءهمهملة في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها بالعربية بُلْغار - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة ، أو في الشمال عنه . قال في "الأطوال" وطولها ثمانون درجة ، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي بلدة في نهاية العمارة قريبة من شَط نهر إيزل من البر الشمالي الشرقي ، وهي وصَّارَى في بَرِّ واحد ، وبينهما فوق عشرين مرحلة ، وهي في وطاة والجبال عنها أقل من يوم ، وأهلها مسلمون حَفِيَّة ، وليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها ، والفُجَلُ الأسود في غاية الكبر . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد حكى لي بعض أهلها أن في أول الصيف لا ينيب الشَّقَق عنها ويكون ليلها في غاية القَصَر . ثم قال .

وهذا الذى حكاه صحيح موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يبتدىء عدم غيوبة الشفق في أول فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصع ما تقدم على كل تقدير . قال في "مسالك الأبصار" : وحكى إلى الحسن الإدري أن أقصر ليلا أربع ساعات ونصف ، وهو غاية نقصان الليل . قال حسن الرومى : وسألت مسعودا المؤقت بها عن هذا فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجدناه كذلك تحريرا . قال في "مسالك الأبصار" : وقد ذكر المسعودى في "مروج الذهب" أنه كان في السرب والبُلغار من قديم دار إسلام ومستقر إيمان . فأما الآن فقد تبدلت بإيمانها كُفرا ، وتداولها طائفة من عبّاد الصليب ، ووصلت منهم رُسل إلى حضرة مصر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من صاحب السرب والبُلغار ، يعرض نفسه على موته ، ويسأله سيفا يتقلده وسنجقا يقره أعداء به ، فأكرم رُسله ، وأحسن نُزله ، وجعله معه خلعة كاملة : طرد وحش بقصب بسنجاب مقدس على مقرح سكندرى وكلوته زركش بطرفين ، ومنطقة ذهب ، وكلاليب ذهب وسيف محلى ، وسنجدى سلطاني أصفر مُذهب . قال : وهم يدارون سلطان القبحاق لعظيم سلطانه عليهم ، وأخذهم بخناقهم لقرهم منه . وذكر في "التعريف" قريبا منه ؛ ولصاحب السرب مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتى ذكرها في المكتبات إن شاء الله تعالى .
وبين السرب والبُلغار وبلاد الترك بلاد :

(منها) أقبا كَرْمَان - بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الجيم وألف وفتح الكاف والراء المهملّة والميم وألف والنون في الآخر - وهى بليدة على بحر نيطنش المعروف ببحر القرم ، واقعة في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول خمس وأربعون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهى

في مستو من الأرض، وأهلها أخلاط من مسلمين وكُفَّار، وعلى القرب منها يصب نهر طُرُونُ .

(ومنها) صَارَى كَرْمَانَ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وألف وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحتيه - وَكَرْمَانُ على ما تقدم، مبخرطة في أَقْبَا كَرْمَانَ، وهي بلدة أصغر من أبقا كرمان - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول خمس وخمسون درجة، والعرض خمسون درجة قياسا، ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنُوب من سواحل بلاد الروم، وهي شرقي أَقْبَا كَرْمَانَ المقدم ذكرها، وبينهما نحو خمسة عشر يوما، وبينها وبين صُلَفَات نحو خمسة أيام .

الإقليم الثامن (بلاد الأولاقي)

بضم الهمزة وسكون الواو ولام ألف بعدها قاف، ويقال لهم البرَغَال بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الفين المعجمة وألف ثم لام، وهم جنس معروف . وقاعدتها مدينة (طُرُونُ) . قال في "تقويم البلدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو في الآخر - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهي غربي صَفَّجِي على ثلاثة أيام منها، وأهلها كُفَّار من الجنس المذكور . ولهم بلاد أخرى :

(منها) صَفَّجِي . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الفقهاء^(١) : بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وكسر الجيم المشربة بالشين المعجمة وفي الآخرياء مثناة تحتيه -

(١) الذي في تقويم البلدان "عن بعض أهلها" .

وهي من أولآق وبلاد القُسطنطينية . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وأربعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة، وهي متوسطة بين الصَّغَر والكَبَر في مستو من الأرض، عند مصب نهر طُتّا في بحر نيطنش المعروف بحر القيرم في الجانب الجنوبي الغربي منه . وهي عن أَقْبَا كَرَمَانَ على مسيرة خمسة أيام، وبينها وبين القُسطنطينية في البحر عشرون يوما، وغالب أهلها مسلمون .

الإقليم التاسع

(بلاد الآص)

بفتح الهمزة الممدودة وصاد مهملة - وهم جنس معروف وقاعدته (قِرْقَر) . قال في "تقويم البلدان" : يكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية (؟) وكسر الراء المهملة في الآخر . ومعنى "آصها" بالتركية أربعون رجلا، وموقعها في آخر الإقليم السابع . قال في "تقويم البلدان" : القياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهي قلعة عاصية على جبل لا يقدر أحد على الطلوع إليه، ووسط ذلك الجبل وطاة تسع أهل البلاد، وهي بعيدة عن البحر في شمالي صَارِي كَرَمَانَ على نحو يوم، وعندها جَبَل عظيم شاهق في الهواء يقال له (جَاطُوطَاغ) بفتح الجيم وألف وطاء مكسورة وواو ساكنة وطاء مهملة وألف وغين معجمة، يظهر للراكب من بحر القيرم .

الإقليم العاشر

(بلاد الروس)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . وهم جنس معروف . قال في "تقويم البلدان" : في شمالي مدينة بَلَار المذكورة . قال صاحب حماة

في "تاريخه" : ولهم جزائر أيضا في بحر نيطنش وبلأر في شماليه . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية . قال في "مسالك الأبصار" : وإذا سافر المسافر على غربي جولمان وصل إلى بلاد الروس ، ثم إلى بلاد التبرنج وسكان البحر الغربي . قال في "تقويم البلدان" : وفي شمالي الروس الذين يبيعون مغاية . ونقل عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنهم يتصلون بساحل البحر الشمالي ، فإذا وصلوا إلى تخومهم ، أقاموا حتى يعلموا بهم ، ثم يتقدمون إلى المكان المعروف بالبيع والشراء ، ويحط كل تاجر بضاعته معلمة ويرجعون إلى منازلهم ، فيحضر أولئك القوم ويضمون قبالة تلك البضاعة السمور والعلب والوشق وما شاكل ذلك ، ويدعونه ويمضون ، ثم يحضر التجار فمن أعجبه ذلك أخذه ، وإلا تركه حتى يتفصلوا على الرضا .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان : أن البلاد التي يجلب منها السمور والسنجاب هي بلأر المقدمة الذكر . قال ابن النعمان : وتجار بلادنا لا يتعدون بلاد البلغار ، وتجار البلغار يسافرون إلى بلای جقطاي ، وتجار جولمان يسافرون إلى بلاد بوغزه ، وهي في أقصى الشمال ليس بعدها عمارة سوى برنج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المنارة العالية ، ليس وراءه مذهب لأحد إلا الظلمات ، فسئل عن الظلمات فقال : صحاري وجبال لا يفارقها الثلج والبرد ، ولا تطلع عليها الشمس ، ولا ينبت فيها نبات ، ولا يعيش فيها حيوان ، متصلة ببحر أسود لا يزال يطرر ، الغيم منعقد عليه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَ "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : قد ذكر عدة أماكن من هذه المملكة سوى ما تقدم ولم ينسبها إلى إقليم .

(منها) كوماجر - بضم الكاف وسكون الواو والميم المشددة وألف وجيم وراء مهمله - وهي مدينة قرية من الوسط ما بين باب الحديد والأزق ، شرق الأزق وغربي باب الحديد .

(ومنها) مدينة لكر - بفتح اللام وسكون الكاف وفي آخرها زاي معجمة - وهي مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم اللكرى ، وهم في الجبل الفاصل بين ترمملكة برّكة ، وتر مملكة هولّاكو .

(ومنها) بلاد القيتق - بفتح القاف وسكون المثناة تحت وفتح المثناة من فوق وفي آخرها قاف ثانية ، وهم جنس من الترك يسكنون الجبل المتصل باللكر من شماليه . قال في "تقويم البلدان" وهم قُطّاع طريق ، وجبلهم متحكم على باب الحديد . قلت : وهذه المملكة أوسع من أن يحاط ببلادها ، وفيها ذكرناه مقنع لمن تأمله .

الجملة الثالثة

(في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة)

أما الأنهار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة سيجون وجيجون المقدم ذكرهما في مملكة ماوراء النهر . وذلك أنهما يمتدان من هذه المملكة إلى تلك ، فيصدق وجودهما في الملكتين جميعا . وقد تقدّم ذكرهما هناك فأغنى عن إعادته هنا . ثم المشهور مما يختص بهذه المملكة بحمة أنهار .

أحدها - نهر أئيل - بفتح الهمزة وكسر المثناة ولام في الآخر - فعرف بأئيل ، وهي مدينة بَلَنْجَر المقدم ذكرها ، ويقال فيه نهر الأئيل بالآلف واللام أيضا ، وهو من أعظم الأنهار يتلك البلاد وأشهرها . ذكر في "مسالك الأبصار" عن الفاضل شجاع الدين عبد الرحمن انلوارزقي الترجمان أنه يكون قدر النيل ثلاث مرّات أو أكثر . قال : وأصله من بلاد الصقّلب . قال في "تقويم البلدان" : وهو يأتي من أقصى الشمال والشرق من حيث لا عمارة ، ويمرّ بالقرب من مدينة بلار ، وهي

(١) كذا في "التقويم" ونص ياقوت على أنه بالمشاة الفوقية وأنه يورثان إيل .

بُلْغَارُ، ويستدير عليها من شمالها وغربها، ويمجرى منها إلى بُيْدَةِ عَلٍ شَطْطُهُ يُقَالُ [لَهَا أَوْلَكُ ثُمَّ يَتَجَاوَزُهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ] لَهَا بُلْجَمُنُ، ويمجرى جنوباً ثم يعطف، ويمجرى إلى الشرق والجنوب، ويمتز على مدينة صَرَائِ من جنوبيها وغربها، فإذا تجاوز مدينة صَرَائِ أَقْتَرَقَ، ويصير على ماقيل ألف نهر ونهر، ويصب الجميع في بحر الخَزَرِ. قال في "مسالك الأبصار": ويمجرى فيه السفن الكبار، ويسافر فيه المسافرون إلى الرُّوسِ والصَّقَلِّبِ .

الساني - نهر طُنَّا . قال في "تقويم البلدان": يضم الطاء المهملَة ونفع النون وألف . قال في "تقويم البلدان": وهو نهر عظيم يكون أكبر من دجلة والفرات إذا اجتمعوا بكثير . قال : ويمجرى من أقصى الشمال إلى جهة الجنوب، ويمتز في شرق جبل يسى (قشغا طاغ) . ومعناه الجبل الصَّعْبُ ، وهو جبل فيه أجناس مختلفة من أم الكُفَرِ مثل الأولاق والماجار والترب وغيرهم، فيمر في شرقيه، وكلما جرى جنوباً قرب من بحر نيطنش المعروف الآن ببحر القِرْمِ، ولا يزال يتقارب منه ويقرب ما بين الجبل والبحر المذكور حتى يصب فيه في شمالي مدينة صَقِيجِي في شمالي القُسْطَنْطِينِيَّةِ بِمِيلَةٍ إِلَى الْغَرْبِ .

(٢١)
الثالث - نهر أَرُو . قال في "تقويم البلدان": بالزاي المعجمة [المفخمة] بعد الألف وواو في الآخر . قال : وهو نهر عظيم يأتي من الشمال شرقاً نهر طُنَّا المُقَدَّم ذكره، ويمتز مغرباً، ثم يعطف ويمتز مشرقاً حتى يصب في خَوْزٍ من بحر القِرْمِ بين صَارِي كَرْمَانَ وَأَقْبَا كَرْمَانَ المُقَدَّم ذكرهما .

(٢٢)
الرابع - نهر تَان . قال في "تقويم البلدان": بناء مثناة من فوق وألف [مسألة] ونون في الآخر . قال : وهو نهر عظيم شرقاً أَرُو المُقَدَّم ذكره وغرباً نهر

الأبل يجرى من الشمال إلى الجنوب . ويصب في بحيرة ما نيطش المعروفة في زماننا
ببحر الأزق عند مدينة الأزق من غربها .
الخماس - نهر طرؤلو . قال في "تقويم البلدان" بضم الطاء وسكون الراء
المهلثين ولام وواو . قال : وهو نحو عاصي حماة ، ويصب على القرب من
أقبا كرمآن في بحر نيطش المعروف ببحر التيرم .



وأما البحيرات فالمشهور بها بحيرة خوارزم : وهي بحيرة كبيرة ماؤها ملح . قال
ابن حوقل : دورها مائة فرسخ ، وفيها يصب نهر جيحون في جانبها الجنوبي ، وفيها
يصب نهر الشاش أيضا ، وبينها وبين البحر عشرون مرحلة ، وبينها وبين خوارزم
ست مراحل .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

ولها طريقتان : طريق في البر ، وطريق في البحر .
فأما طريق البر فقد تقدم في الكلام على مملكة إيران الطريق إلى شط جيحون .
وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن بين آمل الشط وبين خوارزم نحو اثنتي عشرة
مرحلة . وذكر في "مسالك الأبصار" أن بين خوارزم ومدينة صراى نحو شهر
ونصف . وأن بين خوارزم ومدينة صراى مدينة وجق ومدينة قتلود .
وأما طريق البحر فهو أن يركب المسافر إليها في بحر الروم من مدينة الإسكندرية
أو مدينة دمياط من شمالي الديار المصرية ، ويسير إلى خليج القسطنطينية المتصل
ببحر الروم من جهة الشمال . ويركب فيه ويمجاوزه إلى بحر نيطش المعروف ببحر التيرم ،
ثم إلى بحر ما نيطش المعروف ببحر الأزق ويتبى إلى آخره .

الجملة الخامسة

(في الموجود بها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" أن فيها من الحبوب القمح، والشعير، والدخن، ويسمى عندهم الأرزن، والماش، والجاوزس، وهو شبه بحب البرسيم، على قلة في القمح والشعير. أما القول فلا يكاد يوجد عندهم، وأكثر حبوبهم الدخن ومنه أكلهم، وبها من الفواكه جميع أنواع الفواكه إلا النخل، والزيتون، وقصب السكر، والموز، والأترج، والليمون، والتاريخ. وذكر عن بلاد القبجاق أنها كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة الجوانب، وأنها في بقايا تلك العارة والغراس، وأن فيها من الفواكه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والكثير من المشمش، والبطيخ، والجوز، وفاكهة تسمى بلغة القبجاق بانيك شبيهة بالثين، وأن الفواكه بكثرة الوجود في جبالهم مع كثرة مآبئ منها. قال: وأما الطيخ فينبج عندهم بحابة خاصة الأصفر، وهو في غاية صدق الحلاوة يقدونه ويصفونه فينبج عندهم من السنة إلى السنة، وربما استخرجوا ماءه وصنعوا منه الحلوى، وعندهم من الخضراوات ألقت، والجزر، والكرب، وغير ذلك. ثم قال: وكذلك مدن الحرّيس والرّوس والآص، وبها العسل الكثير الأبيض اللون اللذيذ الطعم الخالي من الحدة.

الجملة السادسة

(في المعاملات والأسعار بها)

أما المعاملات فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخوارزمي الترمذاني أن دينارهم رايح في غالب مملكة إيران، وهو الذي عنه ستة دراهم، وأن الحبوب تباع كلها عندهم بالرطل، وذكر أن رطل خوارزم زنته ثلثمائة وثلثون درهما.

وأما الأسعار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن الأسعار في جميع هذه المملكة رخيصة إلى الغاية إلا كُرْكُجَ أَمْ أَقْلِيمَ خُورَزْمَ فإنها ممتاسكة في أسعار الغلات قَلَّ أَنْ تُرَخَّصَ، بل إما أَنْ تَكُونَ غَلِيَّةً أَوْ مُتَوَسِّطَةً لَا يَعْرِفُ [بِهَا] الرُّخْصَ أَبَدًا. ثم ذكر عن شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي التُّرْجَمَانُ: أَنَّ الْأَسْعَارَ فِي خُورَزْمَ وَالسَّرَايَ لَا يَكَادُ يَتَبَايَنُ مَا بَيْنَهُمَا. قال: والسعر المتوسط عندهم القَمْحُ بدينارين ونصف، وكذلك الماش والشعير بدينارين، وكذلك الدخن والبطا وورس، وربما زاد، والغالب أَنْ يَكُونَ سَعْرُهُ مِثْلَ سَعْرِ الْقَمْحِ، والقمح الضأن على السعر المتوسط كل ثلاثة أروطال بدرهم. وذكر ابن مسافر أَنَّ القمح بها رخيصة، وأكثر ما يذبح بها الخيل.

وأما سُكَّانُ الْبَرَفَانِ القَمْحَ لَا يَبِيعُ لَدَيْهِمْ وَلَا يُشْتَرَى لِكَثْرَتِهِ، وغالب أَكْلُهُمْ لَحُومُ الطَّيْرِ وَاللَّبَنُ وَالسَّمْنُ، وَإِنْ تَلَفَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ دَابَّةٌ مِنْ فَرَسٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، ذَبَحَهَا وَأَكَلَ هُوَ وَأَهْلُهُ مِنْهَا، وَأَهْدَى بِحَيْرَانِهِ. فإذا تلفَ عِنْدَ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، ذَبَحَهُ أَيْضًا وَأَهْدَى بِحَيْرَانِهِ، فلهذا لَا تَكَادُ بَيْوتُهُمْ تَحُلُو مِنَ القَمْحِ.

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدم أنها قسم من مملكة تُورَانَ، ومملكة تُورَانَ كانت في القديم بيد أفراسياب ملك التُّرْكِ، وتداولها ملوك الترك بعده إلى الفتوح الإسلامية، وأسلم مَنْ أَسْلَمَ مِنْ مُلُوكِهِمْ.

أما خُورَزْمُ فتوالت عليها الأيدي حتى صارت إلى (محمود بن سُبُكْتِكِين) المتقدم ذكره في ملوك غَزَنَةِ من القسم الأول من هذه المملكة، ثم صارت (للسعود) آتية،

واستتاب فيها خُوَارَزْمَ شاه هارونَ بن الطَّيْطاش، ثم قتله غلمانُه عند خروجه إلى الصيد؛ وأستولى عليها رجل يقال له (عبد الجبار)؛ ثم وثب غلمانُ هارونَ بعبد الجبار فقتلوه، وولَّوا مكانه (إسماعيل بن الطيْطاش) أخا هارونَ؛ ثم غلبه عليها (شاه ملك) ابن علي؛ ثم غلبه عليها (طغرليك) بن ميكائيل بن سلجوق، وبقيت بيد السلجوقية المقدم ذكرهم في مملكة إيران، إلى أن صارت منهم إلى (بركيارق) بن ملكشاه بن أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق، فأستتاب فيها علاء الدين محمد أنوشتهكين في أيام بركيارق بن ملكشاه بن ميكائيل بن سلجوق السلجوق، ولُقِّب خُوَارَزْمَ شاه في سنة تسعين وأربعمائة .

ثم ولي بعده أبنه (أطسز) بن محمد؛ ثم غلبه على ذلك (سنجر) بن ملكشاه أخو علاء الدين محمد، وأقام بها من يحفظها في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، [ثم غلبه عليها أطسز بن محمد المقدم ذكره^(١)]، وبقى بها حتى توفى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده أبنه (أرسلان بن أطسز) وتوفى سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وملك بعده أبنه (سلطان شاه محمود) صغيرا، وقامت أمه بتدبير دولته؛ ثم غلب على المُلْك أخوه (علاء الدين تكش) ثم غلبه أخوه (سلطان شاه) وطرده، ثم مات سلطان شاه وأنفرد (تكش بالملك) ثم مات في سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وولي بعده أبنه (محمد بن تكش) وكان لقبه قُطْبَ الدين فتلقب علاء الدين، وبقى حتى غلبه جنكركان وهزمه في سنة تسع عشرة وستمائة، ثم مات بعد ذلك .

ولما ملك جنكركان أوصى بِدُشْت القَبْجَاق، وما معه لأكبته طوحي، ويقال له دوجي أيضا، فمات طوحي في حياة أبيه جنكركان . فلما مات جنكركان أستقر في مملكة ماوراء النهر، وما معه باتو بن طوحي بن جنكركان، ثم مات باتو .

(١) الزيادة عن تاريخ أبي العدا ليوافق الواقع .

وملك بعده أخوه (بركة بن طوحي) وهو الذي تنسب هذه المملكة إليه، فيقال فيها بيت بركة، بمعنى هذه مملكة بيت بركة، كما يقال في مملكة إيران هي مملكة بيت هولأكو. قال صاحب "الذيل على الكامل" وكانت المكتبة بينه وبين الظاهر ببيرس لاتقطع، وبقي حتى توفي سنة خمس وستين وستمائة عن غير ولد.

وملك بعده ابن أخيه (منكوتمر بن طغان) بن باطو بن دوجي خان، ابن جنكرخان، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وملك بعده أخوه (تدان منكوتمر) بن طغان بن باطو بن دوجي خان، ابن جنكرخان وقبل سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وكان صاحب مصر قد جهز إلى منكوتمر هدية فلم تصل إليه حتى مات، وأستقر (تدان منكو) فقدمت إليه فابتهج بها، وعادت الرسل بجوابه بذلك، وبقي إلى سنة ست وثمانين وستمائة فإظهر الولة وتغل عن المملكة وأتى إلى المشايخ والفقراء.

وملك بعده (تلابغا) بأشارته [ابن منكوتمر بن طغان بن باطو] بن دوجي خان ابن جنكرخان، وبقي حتى قتل في سنة تسعين وستمائة.

وملك بعده (طقطغا) بن منكوتمر بن طغان بن باطو خان ابن جنكرخان.

والذي ذكره قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" أنه ملك بعد باطو خان أخوه طرطو، ثم أخوه بركة، ثم منكوتمر بن طغان خان ابن باطو خان ابن دوشي خان، ثم ابنه تدان منكو، ثم أخوه تلابغا، ثم أخوه جفطاي، ثم ابن أخيه أربك، وهو الذي كان في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية. قال في "التعريف": وخطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرب إليه، ثم ابنه جاني بك، ثم ابنه بردي بك، ثم ابنه طقتمش، ثم نائبه ماماي، ثم عبد الله بن أربك،

(١) في تاريخ أبي الفدا "سنة ثمانين". (٢) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا.

ثم فطقتهم، ثم مامى ثانياً، ثم حاجى جركس، ثم أليك خان، ثم آبنه قانى بك خان، ثم أرس خان، ثم طقتمش خان آبن بردى بك خان. قال: ومنه آتزعها تمرلك وقتله. قلت: المعروف أن تمرلك لم يملك هذه المملكة أصلاً ولا قتل طقتمش، وما ذكره وهم فيه.

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان برتكة بن طوجى آبن جنكرخان، وكان إسلامه قبل تملكه حين أرسله أخوه باطوخان لإجلاس منكوخان على كرسي جدّه جنكرخان، فاجلسه، وعاد فتر في طريقه على الباتخرزى شيخ الطريقة، فأسلم على يديه وحسن إسلامه، ولم يملك بعد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة في الإسلام حتى كان أربك خان منهم، فأخلص في الإسلام غاية الإخلاص، وتظاهر بالديانة واتمسك بالشريعة، وحافظ على الصلاة وداوم على الصيام.

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن زين الدين عمر بن مسافر أن ملوك هذه الطائفة مع ظهور الإسلام فيهم وإقرارهم بالشهادتين مخالفون لأحكامها في كثير من الأمور، واقفون مع ياسة جنكرخان التي قزرها لهم وقوف غيرهم من أتباعه، مع مؤاخذه بعضهم بعضاً أشد المؤاخذه في الكذب والزنا ونبيذ المواثيق والعهود. وقد جرت عادة ملوكهم أنهم إذا غضبوا على أحد من أتباعهم، أخذوا ماله وباعوا أولاده، وأن في سلطان هذه المملكة طوائف الجركيس والرؤيس والآص، وهم أهل مدن عاصرة أهلة، وجبال مشجرة مثمرة؛ ينبت عندهم الزرع، ويذّر لهم القترع، وتجري الأنهار، وتجنّى الثمار، وهم وإن كان لهم ملوك فهم كالرعايا، فإن داروه بالطاعة والتخف كف عنهم، وإلا شق عليهم الغارات، وضايقهم، وحاصرهم،

(١) لعله فهم الملك مصر أو تمر ذلك كالرعايا لينظم الكلام.

وقتل رجالهم، وسبوا نساءهم، وذراريتهم، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض .
ثم قال : والقسطنطينية مجاورة لأطراف ملك القبرجاق، وملك الروم معه في كليب دائم،
وأفتراحات متعددة في كل وقت، وملك الروم على توقد جمرته، وكثرة حمايته وأنصاره،
يخاف غارته وشره، ويتقرب إليه، ويداريه، ويدافع معه الأيام من وقت إلى وقت
منسذ تدبير ملوك بني جنكركان هذه المملكة . وما تخلو بينهم مدة عن تجديد عهود
ومسالة إلى مدة تؤجل بينهم، وأشياء تحمل من جهة ملك الروم إلى ملكهم .

الجملة الثامنة

(في مقدار عسكر هذه المملكة ، وترتيبها ، ومقادير الأرزاق)

الجلارية عليهم ، وزيتهم في اللبس)

اما مقدار عسكرها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين
ابن النعمان أن عساكرها كثيرة نفوت الحصر، لا يُعلم لها مقدار إلا أنه خرج مرة
عليه وعلى القان الكبير اسبنغا سلطان ما وراء النهر خارجاً، فجزد إليه من كل عشرة
واحد اقبل عدة المجزدين مائتين وخمسين ألفاً من دخل تحت الإحصاء سوى من
أنضم إليهم، وألزم كل فارس منهم بفلامين وثلاثين رأساً من الغنم وخمسة رؤوس
من الخيل وقدرين نحاس وعجلة .

وأما ترتيب مملكتهم فحكى عن الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلى أن ترتيب
هذه المملكة في أمر جيوشها وسلطانها كما في ترتيب مملكة العراق والعجم في عدة
الأمراء والأحكام والخدم ، ولكن ليس لأمر الألويس والوزير بها تصرف . أمير
الألويس والوزير بتلك المملكة، ولا لسلطان هذه المملكة نظير ما لذلك السلطان من
الدخل والمجاى وعدد المدين والقرى ، ولا مشى أهل هذه المملكة على قواعد الخلفاء
مثل أولئك، ولخواطين هؤلاء مشاركة في الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل

أولئك وأكثر ، إلا ما كانت عليه بغداد بنت جوبان امرأة أبي سعيد بهادر بن خدابندا ، فإنه لم يرَ من يحكم حكمها . قال المقر الشهابي بن فضل الله : وقد وقفتُ على كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بركة وما بعده ، وفيها "وأنتقت آراء الخواتين والأمراء على كذا" أو ما يحرى هذا التجري .

وحكى عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر عن أربك خان سلطان هذه المملكة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون أنه لا آلتفات له من أمور مملكته إلا إلى بحليّات الأمور دون تفصيل الأحوال ، يَفْتَعُ بما حُلَّ إليه ، ولا يبحث عن وجوه القبض والصرف ، وأن لكل امرأة من خواتينه جانباً من الحمل ، وأنه يركب كل يوم إلى امرأة منهن ، يقيم ذلك اليوم عندها ، يأكل من بيتها ويشرب ، وتلبسه بدلة قماش كاملة ، ويخلع التي كانت عليه من اللبس على من يتفق من حوله . ثم قال : وقاشه ليس بفائق الجنس ولا غالى الثمن ، مع قربه من الرعايا القاصدين له . إلا أن يده ليست مبسوطة بالعطاء ، ولو أراد هذا لما وفي به دخل بلاده ، فإن غالب رعاياه أصحاب عمل في الصحراء ، أفواتهم من مواشيهم . ونقل عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن لسلطان هذه المملكة على جميعهم خراجاً يستأديه منهم ، وأنهم ربما طُوبوا بالخراج في سنة مُحمّلة لوقوع الموتان بدوابهم ، أو سقوط الثلج ونحوه ، فباعوا أولادهم لأداء ما عليهم من الخراج .

وأما مقادير أرزاق جنّدهم ، فقد حكى عن شجاع الدين عبد الرحمن أن كل من كان بيد آبائه شئ من الإقطاع فهو بيد أبنائه . ثم قال : والأمراء لهم بلاد ، منهم من تغلّ بلاده في السنة مائتي ألف دينار راجح وما دون ذلك إلى مائة ألف دينار راجح . أما الجند فليس لأحد منهم إلا نقود تؤخذ ، كلهم فيها على السواء ، لكل واحد منهم في السنة مائتا دينار راجح .

وأما زِيَهُم في اللبس . فحكى عن شجاع الدين الترحمان أيضا أنه كان زِيَهُم زِيَّ
عسكر مصر والشام في الدولة الإسلامية وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زِيَهُم زِيَّ القتر
إلا أنهم بهائم صغار مُنَوَّرَة .

القسم الثالث

(من مملكة تُورَانَ مملكةُ القان الكبير)

قال في "التعريف" : وهو أكبر الثلاثة ، (يعني ملوك الأقسام الثلاثة المتقدمة
الذكر) . وهو صاحب الصَّيْنِ والخيَطِ ووارث تخت جنكرخان . قال : وقد تواترت
الأخبار بأنه أسلم ودان بدين الإسلام ، ورَمَمَ كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام .
قال : وإن صحَّ وهو المؤمل ، فقد ملأت الأمةُ المحمديةُ الخافقين ، وعمرتِ المشرقَ
والغربَ ، وأمتدت بين ضَفَقَي البحر المحيط . قال في "مسالك الأبصار" : وهو
القائم مقام جنكرخان وأجالس على تخته . قال : وهو كاخليفة على بن عمه من بقية
ملوك تُورَانَ : من مملكة إيران ، وصاحب القَبَجَاقِ ، وصاحب ما وراء النهر .
فإذا تجدد في مملكة أحد منهم مُهمٌ كبير ، مثل لقاء عسكر . أو قتل أمير كبير بذنوب .
أو ما يناسب ذلك ، أرسل إليه وأعلمه به . وإن كان لا آفتقار إلى استئذانه ،
ولكنها عادة مَرَعِيَّةٌ بينهم .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم العياري أنه لم
يزل يكتب إلى كلِّ من القانات الثلاثة ، يأمرهم بالاتحاد والألفة ، وإذا كتب إليهم
بدأ باسمه قبلهم ، وإذا كتبوا إليه بدأوا باسمه قبلهم . قال : وكلهم مُدْعُونون له بالتقدم
عليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وأهل هذه المملكة هم أهل الأعمال اللطيفة ،
والصنائع البديعة ، التي سلمت إليهم فيها الأمم . وقد تكتب^(١) الكتب من أحوالهم
بما أغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين في الصنائع أنهم إذا عملوا عملا

(١) لعله "وقد تكلت الكتب الخ" .

بديعا، حملوه إلى باب الملك، وعلّق عليه ليراه الناس، ويبقى سنة، فإن سلم من عائب أسدى إلى صاحبه الإحسان، وإن عيب عليه وتوجه العيب، وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب [على] من عابه .

وقد حكى المسعودى في "مروج الذهب" أن صانعا منهم صور عصفورا على سبلة في نقش ثوب كمخا وعلقه، فاستحسنه كل من رآه، حتى مر به رجل فعابه باستقامة السبلة، لأن العصفور من شأنه أنه إذا وضع على السبلة أملأها .

وحكى في "مسالك الأبصار" عن بدر الدين حسن الإسعردى أن بعض صنّاعهم عمل ثيابا من الورق وباعها على أنها من الكتفوات الخطائية، لا يشك فيها شاك، ثم أظهرهم على ذلك فعجبوا منه .

وحكى عن الشريف حسن السمرقندى أنه كان بهذه البلاد، فشكا ضرسه، فأراه لرجل من الخطا، فوضع يده عليه، فأخرج منه قطعة متأكلة، ووضع مكانها قطعة من ضرس أجنبي، ودهنه بدهن وأمره أن لا يشرب ماء يومه، فالتصق حتى صار كأنه من أصل الحلقة، إلا أن لون الأول يبين من اللون الثانى. وذكر المفتر الشهابى أنه أراه له بمحضرة الشيخ شمس الدين الأصفهاني وجماعة من أهل العلم. قال بدر الدين حسن الإسعردى : ولقد رأيت منهم من هذه الأعمال ما يتحار فيه العقل . ويحصل الغرض منه في خمس جمل :

الجملة الأولى

(فيما أشتمت عليه هذه المملكة من الأقالم)

وأعلم أن هذه المملكة هي أوسع ممالك بى جنكرخان وأفسحها جوانب، وأكثرها أقاليم، وأوفرها مدنا، غير أنها بعيدة المسافة، منقطعة الأخبار، فجعلت لذلك أسماء

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب "وقع".

أفانجها، وتعذرت الإحاطة بأقطارها، ونحن نورد منها ماشاع ذكره في سائر الآفاق
وأنتشر، وتفتح من التفصيل بالجملة، ونكتفى من البحر بالنبذة .

والقول الجلي في ذلك أنه يشتمل على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول (الصين)

بكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر . قال في "تقويم
البلدان" : ويحيط به من جهة الغرب المفاوز التي بينه وبين الهند، ويحيط به من
جهة الجنوب البحر (يعنى بحر الهند) ، ويحيط به من جهة الشرق البحر المحيط،
ويحيط به من جهة الشمال أرض بأجوج ومأجوج وغيرها من الأراضى المنقطعة
الأخبار عنا . ثم قال : وقد ذكر أصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلادا كثيرة،
ومواضع وأنهارا وغيرها في إقليم الصين، ولم يقع لنا ضبط أسمائها، ولا تحقيق
أحوالها، فصارت كالمجهولة لنا لعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين إلينا
لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين حسن بن الجلال
السمرقندى، وهو من السفار، ومن جال الآفاق، ودخل الصين وجال بلاده، وجاب
آفاقه، وجاس خلالها، وجال في أقطاره : أن بالصين ألف مدينة، وأنه دار الكثير
منها . قال : وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية .

وقاعدة هذه المملكة (خان بالقي) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح انشاء المعجمة
ثم ألف ونون ساكنة وباء موحدة مفتوحة ثم ألف ولام مكسورة وقاف في الآخر.
قال : وهى مدينة من أقاصى الشرق عند بلاد الخلط، واقعة في الإقليم الرابع من
الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة، والعرض

خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . وهى قاعدة مشهورة على ألسنة التجار وأهلها من جنس الخطا ، وعندهم معادى الفضة . قال ابن سعيد : ويذكر عن عظيم هذه المدينة ما يستبعد العقل . قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندى : إن مدينة خان باتى المذكورة مدينتان ، قديمة وجديدة ، والجديدة منهما اسمها ديدو ، بناها (ديدو) آخر ملوكها فسميت باسمه ، والقان الكبير يتزل بوسطها فى قصر عظيم يسمى كوك طاق ، ومعناه بلغة المغل القصر الأخضر ، لأن طاق معناه عندهم القصر ، وكوك معناه الأخضر ، ومنازل الأمراء حوله خارج القصر ، قال : وهى مدينة طيبة ، واسعة الأقوات ، رخيصة الأسعار ، ويجد بها الماء فى زمن الشتاء فيصير كالثلج ، فيرفع إلى أيام الصيف حتى يبرد به الماء كما يبرد بالثلج . ويشق مدينة ديدو المذكورة نهر .

وبها أنواع الفواكه إلا العنب فإنه قليل بها ، وليس بها نارنج ولا ليمون ولا زيتون ، ثم يعمل بها السكر . وبها من الزرع والجبال والخيل والبقر والغنم ما لا يدخل تحت الإحصاء . وبالصين مدن مشهورة سواها .

(منها) قرأقوم . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح القاف والراء المهملة ثم ألف وقاف مضمومة وووا ساكنة وميم . قال : وهى مدينة فى أقصى بلاد الترك الشرقية ، ومعنى قرأقوم باللغة التركية الرمل الأسود ، لأن قرا فى لغتهم بمعنى الأسود ، وقم بمعنى الرمل ، ويقع فى كثير من الكتب قرأقوم بإبدال الواوراء وهو خطأ ، وإنما كتبت الواو بها بعد القاف دليلا على الضمة على عادتهم فى ذلك . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وست وخمسون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال : وهى كانت قاعدة التتر ، وفى جهاتها بلاد المغل : وهم خالصة التتر . ومنها خاناتهم . قال الشريف

حسن بن الجلال السمرقندى : وفيها غالب عساكر القان الكبير، وبها يُعمل القاش الفاجر، والصنائع الفاتحة، وغالب ما يحتاج إليه القان يُستدعى منها لأنها دار استعمال، وأهلها أهل صنائع فاتحة، قال في "مسالك الأبصار" : وهي قرية جتكرخان التي أخرجته، وعريسته التي أدرجته .

(ومنها) الخنساء . قال في "تقويم البلدان" : بانحاء المعجمة والنون والسين المهسلة وألف . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : حيث الطول مائة وخمس وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وعن بعض المسافرين من بلادنا أن الخنساء في هذا الزمان أعظم قُرض الصين ، وإليها ينتهى وصول التجار المسافرين من بلادنا . قال الشريف السمرقندى : وطول الخنساء يوم كامل، وعرضها نصف يوم، وفي وسطها سوق واحد ممتد من أولها إلى آخرها، وأسواقها مبلطة بالبلاط، وبنائها خمس طبقات بعضها فوق بعض، وكلها مبنية بالأخشاب والمسامير، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها في قشيف عظيم، وغالب أكلهم لحم الجاموس والإوز والتجاج. وفيها الأرز، والموز، وقصب السكر، واليُمون، وقليل الرمان، وأسعارها متوسطة، وتجلب إليها الغنم والقمح على قلة، ولا يوجد فيها من الخيل إلا ما قُلَّ عند أعيانها. وأما الجمال فلا توجد فيها البتة، فإن دخلها حملٌ تعجبوا منه، ونقل في "مسالك الأبصار" أن بينها وبين جائق بالى أربعين يوما. وحكى عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادى أنه وصل إلى الخنساء ووصف عظمت بنائها ومنعة رقة مدينتها مع تسطُّح الأقوات بها ووفور المكاسب فيها ورخص التقيق^(١) الجيسد فيها وفي جميع تلك البلاد . قال : وأهلها يتفانحون بكثرة الجوارى السرارى، حتى إنه ليجد لأحد التجار وآحاد الناس أربعون سرية لما زاد على ذلك .

(ومنها) الزَّيْتُونُ . قال في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين الثقافات : هي بلفظ الزيتون الذي يُعْتَصَر منه الزيت ، وهي قُرْصَةٌ من قُرُصِ الصِّين - موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة ، والعرض سبع عشرة درجة . قال : وهي مدينة مشهورة على ألسنة التجار المسافرين إلى تلك البلاد ؛ وهي على خَوَر من البحر . والمراكب تدخل إليها من بحر الصِّين في الخَوَر المذكور ، وقدره نحو خمسة عشر ميلاً ، ولها نهر عند رأس الخور المذكور . وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشريف السمرقندي أن مدينة الزَّيْتُون

على البحر المحيط وهي آخر المارة . قال : وبينها وبين جائق بالق شهر واحد . (ومنها) السَّيْلُ . قال في "تقويم البلدان" : بالسَّيْن المهمل والياء المثناة التحتية ولام وياء ثانية . ثم قال : هكذا وجدناه في الكتب . قال : ويقال لها سَيْلًا يعني باللام ألف ، ورأيت في بعض الكتب سيلان بزيادة نون بعد اللام ألف . قال : وهي مدينة في أقصى الصِّين الشرقي ، خارجة عن الإقليم الأول إلى الجنوب . قال في "القانون" حيث الطول مائة وسبعون درجة ، والعرض خمس درج ، وهي في أعلى الصِّين من الشرق بجزائر الخالدات في بحر الغرب ، لكن هذه معمورة في خصب بخلاف تلك .

(ومنها) جحكوت . قال في "تقويم البلدان" : بالميم والميم والكاف ثم واو وتاء مثناة فوقية في الآخر . قال : كذا وجدناها مكتوبة ، وأسماها عند الفُرس جماركد . قال : وهي مدينة في أقصى المارة الشرقية ، خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال في "الأطوال" : وهي على خط الاستواء لا عرض لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي على النهاية الشرقية مثل ما يمكن عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربية . قال : وليس شرقي جحكوت عمارة أصلاً .

(ومنها) مدن أخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط .

إحدىها مدينة (نجو) - وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة ونمسين وعشرون ، والعرض اثنتان وعشرون . وقد ذكر في "القانون" أنها مستقر ملكهم الأكبر الملقب بطمناج .

(ومنها) مدينة خانقو . بناء معجزة وألف ونون وقاف ثم واو - وهي مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول مائة وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أبواب الصين . قال ابن سعيد : وموقعها على شرق نهر حمدان . قال ابن خرداذبه : وهي المرفأ الأكبر ، وفيها الفواكه الكثيرة ، والبقول ، والحنطة ، والشعير ، والأرز ، والعنب ، والسكر .

(ومنها) مدينة خانجو - بإبدال القاف من المدينة السابقة جيا - وهي مدينة على النهر ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة واثنتان وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "القانون" : وهي من أبواب الصين .

(ومنها) مدينة سوسة - بسنين مهملتين بينهما واو ساكنة وفي الآخر هاء . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة كثيرة التجار متصلة بالهامة ، و يُصنع القنار الصيني الذي لا يفوقه ولا يعده شيء من أعمال الصين . قال : وهي على شرق نهر حمدان .

الإقليم الثاني

(بلاد الخطأ)

بكر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر ، وهم جنس من الترك بلادهم في متاخمة بلاد الصين .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" مدينة (قجوهي) بقاف وميم وجيم وواو ثم هاء
وباء آخر الحروف . وقال : إنها أول بلاد الخطأ، وإن منها إلى جالق بالقي أربعين
يوماً . بل ذكر أن مدينة جالق بالقي التي هي قاعدة هذه المملكة من بلاد الخطأ .

الجملة الثانية

(في معاملة هذه المملكة وأسعارها)

أما معاملتها فقال في "مسالك الأبصار" : حدثني الفاضل نظام الدين ابن الحكيم
أن معاملتهم بقشور من لحاء شجر التوت مطبوعة باسم القان، فإذا عتق ذلك حمله
صاحبه إلى نواب هذا القان وأخذ يعوضه مع خسارة لطيفة، كما يؤخذ في دار
الصرب مما يحل إليها من الذهب والفضة ليضرب بها . وذكر عن الشريف حسن
السمرقندي أن فيها بكرا وفيها صفارا، فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد،
ومنها ما يقوم مقام درهمين، ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم وأكثر إلى ثلاثين وأربعين
ونخسين ومائة . وقد تقدم في الكلام على جالق بالقي والخنساء ذكر ما بهما من الحيوان
والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إلى هذه المملكة)

قد حكى في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين السمرقندي : أن من
سمرقند من بلاد ما وراء النهر إلى سبلى عشرين يوماً، ومن سبلى المذكورة إلى ألماتق
عشرين يوماً، ومن ألماتق إلى قراخوجا إلى قجوهي إلى خان بالقي أربعين يوماً .
ثم قال : ومن خان بالقي إلى الخنساء طريقان : طريق في البر، وطريق في البحر،

(١) كذا في الأصل . وسبق له مثله مراراً عن "المسالك" ولكن الذي ضبطه فيما تقدم عن "التقويم"
خان بالقي بفتح المعجمة والتون .

وفى كل من الطريقين من خان بالى إلى النخساء أربعون يوما . وذكر فى الكلام على مملكة بيت بركة عن حسن الإربلى أن المسافر إذا سافر من جولان على شرفيها وصل إلى مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة

(فى ذكر ملوكها)

قد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" عدة ملوك من ملوك الصّين قبل الإسلام وبعده ، أسماؤهم أعجمية لاحاجة بذكرها ، والمقصود معرفة حالها فى أيام بنى جنكرخان القائمين بها إلى الآن .

قد تقدم فى الفصل الأول من هذا الباب الكلام على مبتدأ أمر جنكرخان وكيفية مصير الملك إليه فأغنى عن إعادته هنا .

ثم لما ملك جنكرخان أوصل بفقته المستولى فيه على هذا القسم من المملكة لولده الصغير أوكدادى ، ومات جنكرخان فاستقر ولده أوكدادى ، [ثم استقر] فى هذه المملكة مكانه أبنة كيوك ثم مات

فلك بعده (منكوفان) بن طولى بن جنكرخان ، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة .

فلك بعده (أرى^(١) بك)، ثم قبلى خان ، ثم دمرياق ، ثم قرماى ، ثم ترفاى كيزى ، ثم قيان قان ، ثم سند مرقان بن طولى بن جنكرخان ، وهو الذى كان فى الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون صاحب الديار المصرية ، ثم أقطع خبرهم فلم يعلم من ملك منهم ، وملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان كغمار يدينون بتعظيم الشمس ، واقفون فى الأحكام مع ياسة جتهم جنكرخان المقدم ذكرها فى الفصل الأول . قال فى "مسالك الأبصار" :

(١) وجدنا فى "العبر" ج ٥ ص ٥٣٠ اختلافًا فى الأسماء فاتبعنا الأصل وأجلنا فى التبيين .

(٢) فى العبر "سند مرقان بن طرمالان بن جنكر بن قبلاى بن طولى" .

ذكر لي الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارى الكاتب البوسعيدى أنهم على ما هم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضلة الشاملة لأهل مملكتهم ومن يرد إليها . قال الشريف السمرقندى : ومن عجائب ما رأيت في مملكة هذا القان أنه مع كُفْرِهِ في رعاياه من المسلمين أُمُّ كَثِيرَةٍ وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحدٌ من الكفار مسلماً ، قُتِلَ القاتلُ الكافر هو وأهلُ بيته ونُسِبَتُ أموالُهُمْ ، وإن قَتَلَ مسلمٌ كافراً لا يُقْتَلُ به ، بل يُطْلَبُ بِدِيْنِهِ ، وَدِيْنَةُ الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

الجملة الخامسة

(في عسكره)

قال بدر الدين حسن الإسعردى التاجر : وهذا القان ذو عسكر مديد . قال : والذي أعلم من حاله أن له اثني عشر ألف بازدار يركبون الخيل ، وعساكره من المغل عشرون تومانا . وهى مائتا ألف فارس ، أما من الخطأ فما لا يحصى .

الجملة السادسة

(في ترتيب هذه المملكة)

قال الشريف تاج الدين السمرقندى : وترتيب هذه المملكة أن لهذا القان أميرين كبيرين هما الوزراء ، يسمّى كل من يكون في هذه الرتبة جنكشان ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بنجار ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما زوجين ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بوجين . قال : وله كاتب هو رأس كُتَّابِهِ يسمّى لنجون ، وهو بمنزلة كاتب المرفى بلادنا ، والقان يجلس في كل يوم في صدر دار فسيحة تسمى شن ، بمثابة دار العدل عندنا ، ويقف الأمراء المذكورون حوله عن اليمين وعن الشمال على مقادير رُتَبِهِمْ ، ورأس الكُتَّابِ المسمى لنجون . فإذا

شكا أحدُ شكوى أو سأل حاجة ، أعطى فصته رأس الكُتاب المذكور فيقف عليها ، ثم يوصلها إلى أحد الأميرين اللذين يليانه وهما أصغر الكل فيقف عليها هو ومن معه ، ثم يوصلانها إلى من يليهما في الرتبة ، وهكذا إلى أن تصير إلى القان ، فيأمر فيها بما يراه . وذكر عن الشريف أبي الحسن الكر بلاى وكان ممن اجتمع بالقان في هذه البلاد أن لهذا القان أربعة وزراء يُصدرون الأمر في مملكته كلها ، ولا يُراجع القان إلا في القليل النادر . قال : وإذا أراد القان أن يركب ركب في حجة ولا يظهر للناس إلا في يوم واحد ، وهو مثل يوم مولده في كل سنة ، فإنه يركب فرسا ويخرج إلى الصحراء ويعمل بها من الأطعمة والسَّاطات ما ينمرُّ الناس ، ويكون مثل يوم العيد عندهم .

تم الجزء الرابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس .

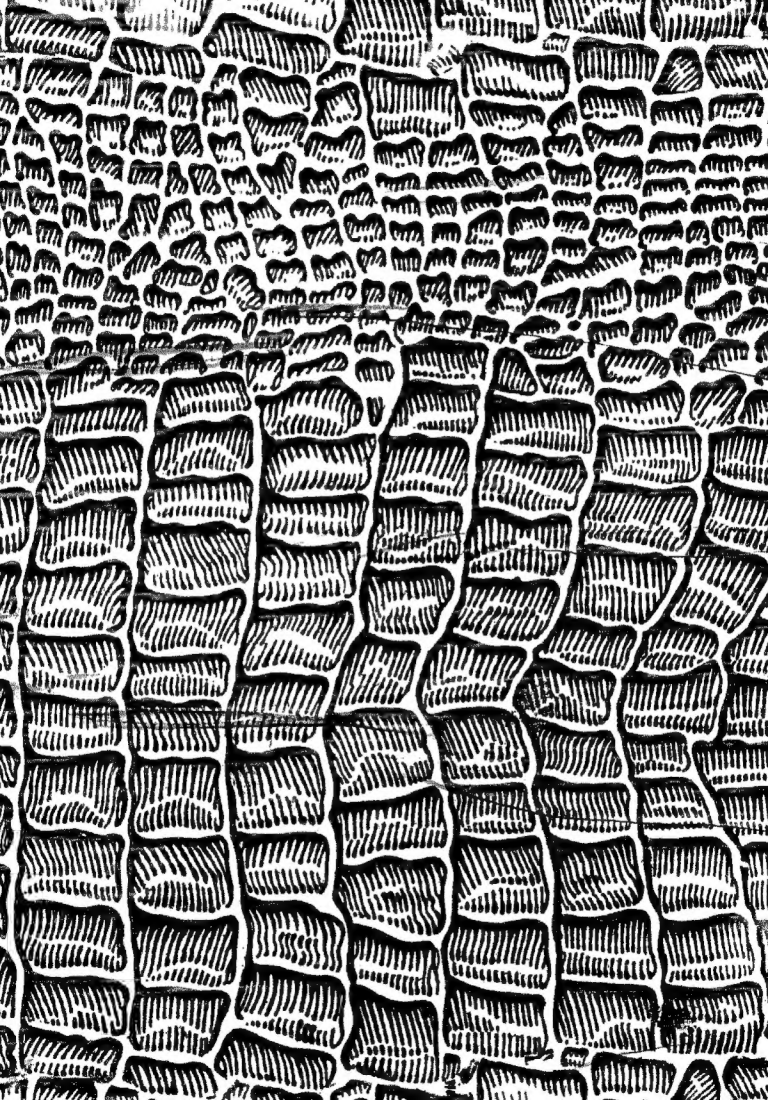
وأوله المقصد الثاني

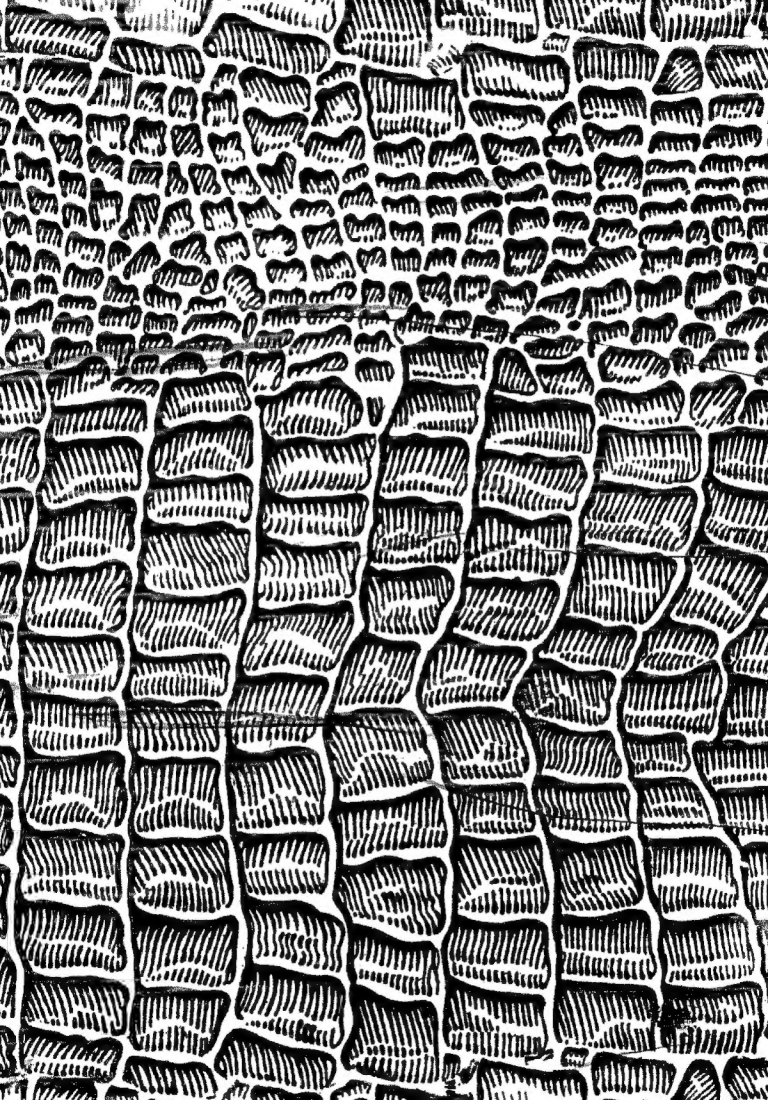
في مماليك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،

وآله وصحبه والتابعين وسلامه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل





Bibliotheca Alexandrina



0632971